المولَّد في العربية

دراسة في نموّ اللغة العربية وتطوّرها بعد الإسلام

تأليف
الدكتور حلمي خليل
أستاذ مساعد العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الطبعة الثانية

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ١١٠٧٤٩

المولّد في العربية

دراسة في نموّ اللغة العربية وتطوّرها بعد الإسلام

تأليف
الدكتور حلمي خليل
استاذ مساعد العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

الطبعة الثانية

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ٧٤٩ - ١١٠

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان - ص.ب: ٧٤٩-١١

الإهداء

إلى أبي وأمي

حناناً وبراً

مقدمة

فرغ اللغويون المحدثون في الشرق والغرب على السواء من تقرير أمر الصلة بين اللغة والمجتمع ولهم في ذلك مناهج ودراسات مختلفة ومتعددة تنتهي كلها الى حقيقة واحدة وهي أن اللغة شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى في خضوعها لقوانين الحياة وسنن التطور.

وقد التفت بعض اللغويين القدماء من العرب الى أمر هذه الصلة وأثبتوا في دراساتهم بعض العوامل الاجتماعية التي تؤثر في اللغة وإن لم يضعوا ذلك في منهج عام يحكم أمر هذه الصلة ويوضح حقيقتها.

والحق أن لغتنا العربية قد درجت مع أسلافنا من قديم وسايرتهم في حضارتهم وجرت معهم في ذلك شوطاً بعيداً، اتسعت ونمت فيه لكل ما أرادوها عليه، وهي اليوم بين يديها حضارة ذات ألوان مختلفة لم تنبت في أرضها أو بيئتها بحيث تخرج وعليها طابع العربية ووسمها وقد انحدرت الينا هذه الحضارة غريبة عنا بأسماء أعجمية المبنى والمعنى.

وكان لابد أن نتصل بتلك الحضارة فاتصلنا بها ونحن على بعد من لغتنا والالمام التام بها بل لقد كان منا من كان بصره باللغات الأجنبية يزيد على بصره بالعربية. ولعلي لا أكون مغالياً إذا قلت إن المتداول من هذه اللغة كان ولا يزال قلاً من كثرة، وقطرة من نبع، ولذا كان شعورنا دائماً أمام ذلك الفيض الأجنبي من الكلمات العجز نرمي به لغتنا والنقص

نتجنى به أحياناً عليها.

ولا أحب أن أدعي للعربية الكمال المطلق ولكني لا أحب أن أدعي عليها العجز أيضاً، فهاتان حالان يجب أن نكل أمرهما الى ما بعد أن نبعث كل ثروتها اللغوية بعثاً جديداً نستفيد به في تنميتها لمواجهة هذه الحضارة الوافدة، حتى إذا ما فعلنا ذلك ووقفنا حقاً على تلك الثروة وعرفنا ما فيها كلمة كلمة، استطعنا حينئذ أن نحكم حكماً لا يستطيع معارض له دفعاً.

وقليلة هي تلك الدراسات اللغوية التي حاولت أن تتبع أمر هذه الصلة بين اللغة والمجتمع وتخرج بها من حدود الدرس النظري الى آفاق الدراسة التطبيقية وخاصة فيما يتصل بلغتنا العربية، إلا من اشارات تأتي في خلال الدرس االنظري تضرب المثل أو المثلين لتوضيح ظاهرة أو أخرى، ومن ثم بقيت العربية تفتقر الى درس لغوي مفرد يتتبع أمر هذا التطور الاجتماعي وخاصة فيما يتصل بجوانبه الحضارية والفكرية وأثر ذلك على اللغة العربية لكي يكشف عن هذا النمو والتطور الذي أصاب ثروتها اللغوية والذي انحدر الينا مع تراثها الحضاري. كما يبين الطرق التي سلكتها في سبيل ذلك ثم الأسباب والعوامل التي أدت الى تخلفها عن مسايرة ركب الحضارة ومواصلة هذا النمو وذاك التطور حتى انتهت الى أن رماها البعض بالعجز والقصور.

وهذا البحث هو محاولة لسد هذا النقص في تاريخ دراسة العربية وخاصة فيما يتصل بهذا النمو اللغوي وذلك في ضوء ما قرره وتوصل اليه علم اللغة الحديث من نتائج وقوانين تحكم الصلة بين اللغة والمجتمع، ولما كان من العسير على باحث واحد أن يتتبع الجوانب المختلفة والظواهر المتعددة على مستويات الدرس اللغوي صوتاً ولفظاً وتركيباً ودلالة في اطار هذا التغير اللغوي الذي أصاب العربية منذ ظهور الاسلام وحتى اليوم،

فقد اخترت ظاهرة لغوية تتصل أكثر ما تتصل بالتغير والتطور على مستوى واحد من مستويات الدرس اللغوي وهو التغير في دلالة الألفاظ والتراكيب وهي ظاهرة التوليد في اللغة ومن ثم فإن هذا البحث يقوم على فكرة أساسية ومنهج عام.

أما الفكرة فهي دراسة ظاهرة التوليد اللغوي وبيان دور المولد في امداد اللغة العربية بحاجتها من الألفاظ والتراكيب الجديدة التي استدعتها مقتضيات فكرية وحضارية واجتماعية معينة طرأت على فكر وحياة العرب بعد انتشار الاسلام.

وأما المنهج فهو المنهج التاريخي الذي يتتبع هذه الظاهرة اللغوية ونموها وتطورها في ضوء التغير الاجتماعي والعوامل المؤثرة فيهما.

وكان لابد من وقفات تحليلية اعتمدت فيها على اختيار « عينات لغوية » من الألفاظ والتراكيب المولدة في كل مرحلة من مراحل حياة العربية أقوم بدراستها دراسة لغوية مبيناً حقيقة ما طرأ عليها من تغير وتطور حتى استقرت على دلالات جديدة لم تكن تعرفها العربية من قبل.

ولتحقيق ذلك كله قسمت هذا البحث الى أربعة أبواب تتخللها فصول:

ففي الباب الأول درست عوامل التطور اللغوي ونمو اللغة بشكل عام أثبت فيه ما قرره وتوصل اليه البحث اللغوي الحديث من نتائج في هذا السبيل باعتبار أن ذلك هو الأساس النظري الذي أقمت عليه هذا البحث، ومع ذلك فقد حرصت على أن أثبت أيضاً ما التفت اليه اللغويون العرب القدماء من هذه العوامل تأصيلاً للدرس اللغوي العربي وبياناً لجوانب مشرقة في جهود اللغويين القدماء، ثم درست أيضاً في هذا الباب طرق نمو الثروة اللغوية في العربية من اشتقاق ونحت ومجاز واقتراض

وانقـراض، وخصصت الفصل الأخـير لدراسـة ظاهـرة التوليـد باعتبـارها الطريق الرئيسية من طرق النمو اللغوي التي يوليها هذا البحث اهتمامـه، فحددت ماهية التوليد وحقيقته وقيمتـه ودوره وصلته بـطرق النمو اللغـوي الأخرى وكل ذلك في ضوء آراء اللغـويين القـدماء والمحـدثين مـع تحديـد موقف كل فريق منهم من هذه الظاهرة اللغوية.

وفي البـاب الثاني من هـذا البحث حاولت أن أتتبـع تـاريخيـاً ظـاهـرة التـوليد ودورهـا في نمو الثـروة اللغويـة في العربيـة وذلك في ضـوء التـطور الفكري والاجتماعي والحضاري للمتكلمين بالعربيـة وخاصـة بعد الفتح الاسلامي وانتشار العربية في بيئـات وين أمم ذات تراث حضـاري ولغوي تميز عن تراث العربية تميزاً واضحاً.

أما الباب الثالث من هذا البحث فقـد عقدتـه لدراسـة لغويـة تحليلية لمجموعة من الألفاظ والتراكيب المولدة قديماً وقد أخذتها بحيث تغطي كـل جوانب التراث الفكري والحضاري للعربية فكان منها ألفاظ وترايكب دينية وتشريعية وسياسية وحربية وفلسفية وأدبية وعلميـة وعامـة، كما أشـرت الى بعض التراكيب المولدة بالتـرجمة وخـاصة فيما ترجمـه المترجمـون السريـان، وختمت هذا الباب بـدراسة لخصـائص العربيـة المولـدة رددت فيه عـلى ما ذهب اليه المستشرق الألماني « يوهان فك » من وجود لغة عربية مولدة ذات سمات وخصائص لغوية صوتية وتركيبية تختلف عن العربية القـديمة وتكـاد تكون لغة مستقلة عنها.

وأما الباب الرابع والأخير من هذا البحث فقـد أفردتـه لدراسـة النمو اللغـوي للعربيـة في العصر الحـديث مـع لاشـارة الى الـدواعي الفكـريـة والحضارية التي دعت الى التجديد اللغوي وجهود الأفراد والمجامع اللغوية في هذا السبيل وخاصة مجمع اللغة العربية في مصر الذي أولى قضية المولـد في اللغـة اهتمامـاً خاصـاً انفرد بـه عن بقية المجـامـع اللغـويـة الأخـرى.

وختمت هذا الباب بدراسة لبعض مظاهر التوليد اللغوي المعاصر في لغة الصحافة والأدب اليوم. وأخيراً ختمت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة.

وقد حاولت أن تخرج هذه الدراسة لغوية خالصة دون أن تقع في زحمة التفاصيل التاريخية وبالتالي اعتمدت على هوامش البحث في الاشارة الى مظان كثير من الأحداث التاريخية التي كان لابد من التعرض لها والتي حظيت في الواقع بعناية كثير من المؤرخين والباحثين حيث اعتمدت على نتائج هذه الدراسات ووضعت نصب عيني الجانب اللغوي وحده حتى لا يضيع في زحمة الأحداث والجوانب التاريخية التي كان لابد من التعرض لها توضيحاً للظروف والملابسات المختلفة اليت أحاطت بظاهرة التوليد ولعلي أكون قد حققت في هذا السبيل بعض ما أريد.

وبعد، فلست أريد أن أختم هذه المقدمة قبل أن أقرر أن استخراج المادة اللغوية لهذا البحث وتحقيقها على جسامته، وتنفيذ المنهج على مشقته، ثم كتابة هذه الدراسة على طولها، كل هذا في الحقيقة لا يعدل عملاً لا يكاد يظهر وراء ذلك كله، وهو أن هذه الدراسة قامت حول كلمات وتراكيب كان علي أن أسعى وراءها في نصوص لغوية وأدبية متنوعة ومعاجم مختلفة أنقلها الى جزازات تراكمت حتى بلغت الآلاف عداً، ثم كان علي أن أختار من ذلك المادة اللغوية لهذا البحث وكان الاختيار - كما هي طبيعته - صعباً غير ميسور ومع ذلك فقد بقيت مادة لغوية أخرى آثرت أن أضعها في ملحق خاص مع هذا البحث حوى أكثر من ألف وخمسمائة كلمة مولدة، وهو عدد من الكلمات المولدة لم يجمع من قبل وذلك غير ما ضمه البحث نفسه من ألفاظ وتراكيب أخرى مولدة.

ولقد كنت أمام هذا كله كمن رام بناء بيت من حبات الرمل فهو يضع الحبة الى جوار الحبة، ويؤلف بين الذرة والذرة على ما في عمله من

مظنه الخطأ ومغبة الضلال، فان كنت قد وفقت الى شيء فذلـك من فضل الله وبتوجيه من أستـاذي الجليل الـدكتور حسن ظـاظا الـذي لولا رعـايته وتوجيهه لما خرج هذا البحث الى الوجـود، فالله أسـأل أن يجزيـه عني خير الجزاء لقاء ما هيأ لي من أسباب الرعـاية والمعـرفة. وان كنت قـد أخطأت فعليّ وحدي تقع تبعة هذا الخطأ، ومـا عن قصد كـان، ولكني حاولت مـا وسعتني المحاولة وعجزت وسائلي عن بلوغ ما طمحت اليه آمالي.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

حلمي خليل

الباب الاول

التطور اللغوي ونمو الثروة اللغوية

الفصل الأول

عوامل التطور اللغوي ونمو اللغة

١ ـ تعريفات

عرف أبو الفتح عثمان بن جني (ت ـ ٣٩٢ هـ) اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[١]. وهو تعريف دقيق، ويتفق الى حد كبير مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين[٢]. وبتحليل هذا التعريف تبرز ثلاثة عناصر رئيسية في طبيعة اللغة:

أ ـ الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية.

ب ـ أن وظيفة اللغة الاجتماعية هي التعبير في اطار البيئة اللغوية.

حـ ـ أن اللغة تؤدي وظيفتها في مجتمع بعينه، فلكل قوم لغتهم.

---

(١) ابن جنى، الخصائص، ١/٣٣.

(٢) Dinneen, An Introduction to general lenguistics p. 6

وأنظر أيضاً Sapir, language, An Introduction to the study of speech p. 8

وأنظر شرح وتعليق أستاذنا د. حسن ظاظا على تعريف العالم الأمريكي سابير في اللسان والانسان ص ٢٨ وما بعدها.

وأنظر كذلك تعريف العالم افرنسي أندرى مارتيني (A. Martunat) حيث يقول: « ان اللسان هو أداة تبليغ يحصل بقياسها تحليل لما يخبره الانسان على خلاف بين جماعة وأخرى. وينتهي هذا التحليل الى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على المعنى، ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره الى وحدات مميزة متعاقبة وهي العناصرة الصوتية. ويكون عددها محصوراً في كل لسان. وتختلف هي أضاً من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينها باختلاف الألسنة » مجلة اللسانيات، المجلد الأول، حـ ١ ص ٣٢.

ومن هـذا التحليل تنجم الأسس المنهجيـة للبحث اللغـوي بمنـاهجـه المختلفـة، إذ الدراسـة اللغويـة تعرف في الحقيقـة قـطاعـين متكـاملين من البحث.

الأول: دراسة البنية اللغوية في جوانبها الصوتية والصـرفية والتـركيبية والمعجمية.

الثاني: بحث ارتباط هذه البنية اللغوية بوظيفتها الحيوية في المجتمع.

ويـدخـل في دراسـة وظيفـة اللغـة في المجتمـع ايضـاح أثـر الجـوانب السياسية والفكرية والحضارية بشكل عام عـلى الحياة اللغـوية وتـطورها[1] وعلى هذا فـإن دراسة التـطور أو النمو اللغـوي تشمل هي الأخـرى هذين القطاعين من البحث اللغوي. فيدرس الأول التطور والنمو في بنية اللغة، ويـدرس الثاني التـطور والنمو في مجـالات الاستخدام والانتشـار اللغوي. وهذان الشقان نـابعان من الـطبيعة الـرمزيـة الصوتيـة للبنية اللغـوية ومن الطبيعة الاجتماعية لها.

ولكن قبل أن نوضح ماهية هذا التطور وعوامله، يجدر بنا أن نتـوقف قليلاً أمام ثلاث كلمات أو بمعنى أدق ثلاثة مصطلحات ستصادفنا كثيراً في هذا البحث، وذلك لتعريفها وتحديد مفهومها بدقة. والمصطلحات الثـلاثة هي: النمو ـ التطور ـ التطوير.

١ ـ **النمـو**: ونعني به انتقـال اللغة من طـور الى طور أحسن وأفضـل Evolution أو Development على أساس أن اللغة بهذا الانتقال قد أدت وظيفتها على خير وجه فقابلت حاجات الانسان المتجددة في حياته الفكرية والمادية، ولم تقف عاجزة أو جامدة عن مواكبة الحركة الدائبة في المجتمع الذي يحتضنها. وهذا النوع من النمو اللغوي مرغوب فيه لأنه يثري اللغة، بعكس

(١) راجع د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ٩٧.

النمو المرضي للغة ، الذي يؤدي الى التضخم المعيق لحركة اللغة نحو الثراء الحقيقي الذي تظل به فتية تلبي حاجات المجتمع ، ومتصلة اتصالا وثيقاً برقي الفكر[1] .

٢ ـ التطور :

يستخدم الدارسون للغة كلمة التطور في أربعة معان مختلفة :

أ ـ تفيد عند بعضهم معنى النمو الذي أشرنا اليه، أي يستعملونها وهم يقصدون أن اللغة انتقلت من طور الى طور أحسن وأفضل.

ب ـ هناك رأي آخر يأخذ اتجاهاً مضاداً لهذا المفهوم السابق للتطور، وهو رأي التقليديين من المشتغلين باللغة الذين ينظرون الى مظاهر التطور على أنها نوع من الخطأ Incorrectinees ، وحجتهم في ذلك أن هذه المظاهر كلها أو بعضها تتضمن بالضرورة خروجاً على القواعد المرسومة والأحكام المحددة التي سجلت في كتب اللغة، والتي ارتضاها اللغويون الموثوق بهم.

حـ ـ وهناك من اللغويين من يتخذ موقفاً وسطاً فيفسر التطور بالانحراف Drift أو Deviation[2] فالتطور في نظرهم خطوة في الطريق لم تصل بعد الى مرحلة الخطأ الصرف، وفي استطاعة الباحثين رد أمثلة هذا التطور الى أصلها بالتنبيه عليها وتوجيه مستعمليها الوجهة الصحيحة.

د ـ أما الاتجاه الرابع والأخير فقد حاول أن يفسر التطور تفسيراً موضوعياً على أساس من الواقع، ففسر التطور بالتغير ـ Change ،وكل ما يعنيه أصحاب هذا الاتجاه هو أن هناك شيئاً ما حدث للغة أو أن هناك

---

(١) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ١٠٠ .

(٢) Sapir, language p. p 147 - 170.

تغيرات أو ظواهر جديدة لحقت بها في فترة زمنيةمعينة، وعلى هذا المستوى أو ذاك من مستويات البحث اللغوي(١).

وهذا الاتجاه الأخير لمعنى التطور هو ما سنأخذ به في هذا البحث، ومما هو جدير بالذكر أن هذا اللون من التغير أو التطور هو تغير لا ارادي يحدث عفواً دون تدخل مقصود من أي فرد من أفراد المجتمع، أو أية جماعة أو هيئة من هيئات المجتمع المتكلمة باللغة.

٣ ـ التطوير:

وهو ينبع من ادراك الطبيعة الاجتماعية للغة، ذلك لأن العلاقات الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات الانسانية يحكمها في الحقيقة اتجاهان متقابلان:

اتجاه نحو المحافظة والتقليد، واتجاه نحو التطور والتغير. وهذان الاتجاهان كلاهما يفرضان فرضاً على اللغة من أصحابها في البيئة اللغوية المعينة. وانطلاقاً من هذه الفكرة يقول اللغوي الفرنسي دار مستيتر(٢): إن اللغة، أية لغة كانت، وفي أي فترة من فترات حياتها تكون في تطور دائم ومستمر، يتنازعها في ذلك قوتان متعارضتان تجاهد اللغة في الاحتفاظ بتوازنها بينهما. وهاتان القوتان هما:

أ ـ المحافظة، وهي نزعة طبيعية عند المتحدثين بهذه اللغة في الابقاء عليها كما عرفوها، سواء في أصواتها أو مفرداتها أو تراكيبها، بحيث لا تتغير ولا تختلف.

ب ـ القوة الثورية، وهي تعمل على دفع اللغة نحو التطور والتغير الذي

---

(١) د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة ٢/١٢٤.
وانظر أيضاً Dinneen, A, Introduction to general languistics p. p. 422 - 423.
Sturtevant, linguistic change p. p 29 - 31.

(٢) Darmesteter, la vie des Mots p. 6.

يصيب بعض أصواتها، أو تهجر ألفاظاً وتستعير أخرى وقد يختلف شكل التركيب فيها أحياناً.

وبين هاتين القوتين المتضادتين تقع اللغة في صراع دائم وأبدي، إذا تمسكت بالقديم المحافظ جمدت وتخلفت، وإذا فتحت صدرها للتطور والتغير اندثرت وضاعت شخصيتها. ولاشك أن الحياة السليمة للغة لابد أن تخضع لنوع من التوازن العادل بين هاتين القوتين. القوة الثورية الدافعة، والقوة المحافظة التي تتمسك بالقديم التقليدي من التراث. ويتلخص ذلك في تطور هادىء مطمئن يرتبط بالقديم وتراثه، ولا يرفض الجديد ومتطلباته[١].

وهذا النوع من التطور هو ما سنطلق عليه مصطلح « التطوير » لأن هذا التوازن الذي أشرنا اليه لا يحدث في الحقيقة من تلقاء نفسه، وانما يحدث نتيجة لجهد ارادي يتدخل لحسم هذا الصراع، ويكون ذلك عن طريق فرد أو مجموعة من الأفراد كالمجامع اللغوية أو الهيئات العلمية مما سنفصل فيه القول في الباب الرابع من هذا البحث[٢].

بعد هذا التمهيد والتعريف الذي عرفنا فيه اللغة، وظيفتها الاجتماعية ومستويات البحث فيها، وحددنا مفاهيم واضحة للتطور والتطوير والنمو اللغوي، ننتقل الى الجزء الأول من هذا الفصل لنتعرف على عوامل التطور والنمو، وبعض مظاهر هذا التطور والنمو في بنية اللغة ومتنها، وتأثير هذه العوامل على حياتها وانتشارها. أما الجزء الثاني من هذا الفصل فسنخصصه لموقف اللغويين العرب من قضايا التطور وعوامله.

---

(١) د. حسن ظاظا، محاضرات في فقه اللغة. ص ٢٤.
(٢) أنظر هذا البحث ص ٤٠٦.

٢ ـ عوامل التطور والنمو اللغوي

تتـأثر اللغـة في تـطورهـا ونمـوهـا بعـوامـل كثيـرة أفـاض في ذكـرهـا البـاحثون[1] ولكن من الممكن أن نبلور هـذه العـوامـل الكثيـرة في ثـلاثـة عوامل محددة تمثل مجموعة من العلاقات مع اللغة تؤثر فيها فتـدفعها نحـو التطور والتغير والنمو، وهي:

١ ـ علاقة اللغة بالفكر.
٢ ـ علاقة اللغة بالمجتمع.
٣ ـ علاقة اللغة باللغات الأخرى، أو الصراع اللغوي.

يضاف الى ذلك بعض العوامل الثانوية التي تتصل بالطبيعة الجغرافيـة للبيئة اللغوية، أو بالطبيعة الفسيولوجية والبيولوجية للمتكلم باللغة. وكلها تؤثر في دفع عجلة التطور والتغير والنمو. وفيما يلي سوف نقف أمـام كـل عامل من هذه العوامل محاولين دراسة طبيعتـه ومدى تـأثيره عـلى نمو اللغـة وتطورها.

١ ـ اللغة والفكر:

ما يزال موضوع الفكر واللغة وتحديد العـلاقة بينهـما من أشد مبـاحث علم اللغـة تعقيداً وأكثـرها طـرافة في نفس الـوقت وقد تنـازع البحث فيه اللغـويون والفـلاسفة[2] كـل يحاول تحـديد العـلاقة التي تـربط بين اللغـة

---

(١) انـظر د. محمود السعـران، اللغة والمجتمـع رأي ومنهج ص ١٦٨ ـ ١٨١. و، د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ٩٦ ـ ١١٤. د. عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمـع ص ٨ ـ ٩٤. ابراهيم السمرائي، التطور اللغوي التاريخي ص ٢١ وما بعدها.
وانظر أيضاً: Sturtevant, linguistic change p. 103.
Darmisteter. la Vie des Mots p. p 7 - 13.
Sapir, language p.p 192 - 206. Morio pie, The story of Language p. p 199 - 286.

(٢) انظر في ذلك Russell, An Inquiry into Meanning and truth

والفكر. والحقيقة أن للموضوع جانباً عاماً لا يمكن لأي عالم في أي فرع من فروع المعرفة أن يتجاهله. فلكل علم من العلوم مصطلحاته الخاصة به التي يحددها غالباً أصحاب هذا العلم. وهذه المصطلحات ما هي إلا محاولة جزئية لتحديد العلاقة بين اللغة والفكر. هذه العلاقة التي تربط بين لفظ وما يعطيه هذا اللفظ من فكرة أو معنى أو دلالة، وذلك حتى لا يضل العالم في تعامله مع هذا العلم في مدلولات الألفاظ العادية ذات الدلألات المتباينة أحياناً والمتضادة أحياناً أخرى، تلك المحاولة، كما قلت، هي صورة من صور تحديد العلاقة بين اللغة والفكر، لا يختص ببحثها اللغويون وحدهم، بل يشاركهم فيها غيرهم من أصحاب العلوم المختلفة. فإذا ارتقينا من تلك المحاولة الجزئية الى البحث عن ماهية العلاقة بين اللغة والفكر، خرجنا في الواقع من حيز البحث اللغوي ودخلنا في نطاق البحث الفلسفي الميتافيزيقي. والباحث في هذا الجانب من جوانب الدرس اللغوي لابد له من أن يستعير عقل الفيلسوف وحس اللغوي، أو بمعنى آخر أن يكون فيلسوفاً لغوياً. يضاف الى ذلك أن البحث في هذه المشكلة يقتضي التعرف على بعض مناهج علم النفس، إذ يلعب هذا العلم دوراً هاماً في الكشف عن حقيقة العلاقة بين اللغة والفكر لأن الفكر يتصل اتصالاً وثيقاً بعمليات شعورية وعقلية تتم داخل عقل الانسان الواعي واللاواعي أيضاً. ومن ثم فان علم النفس يساعد على الكشف عن طبيعة هذه العلاقة[1]. ولقد كانت هناك محاولات عملية متعددة على مر العصور تعرضت لهذه المشكلة، وخاصة أثناء البحث في اللغة

= وانظر أيضاً د. عبد الرحمن بدوي، اللغة والمنطق، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول ص ٦٥ وما بعدها.

(١) أنظر Carroll, language and Thought p. 28.

وهناك علم تخصص في بحث الجانب النفسي في اللغة وعلاقته بالفكر من ناحية، والسلوك اللغوي من ناحية أخرى أطلق عليه اسم: psycholinguistics انظر Greene, judith, psycholinguistics p. p. 13 - 20.

ونشأتها[1] أو في الفلسفة بشكل عام. وقد بدأت تلك المحاولات عند اليونان مارة بالعصور الوسطى عند العرب والأوروبيين الى العصر الحديث الذي أضاف باكتشافاته العلمية في ميادين علم اللغة وعلم النفس والفلسفة ونحوها، أدوات ساعدت الى حد كبير على تحديد هذه العلاقة التي تربط الفكر واللغة[2].

وعلى الرغم من كل تلك المحاولات، فقد ظلت العلاقة بين اللغة والفكر من الأمور التي لم يستقر على تحديدها الباحثون بعد ولم يتفقوا على رأي قاطع فيها. ولعل لطبيعة تلك المشكلة من حيث هي مشكلة فلسفية أكثر منها مشكلة لغوية بحتة دخلاً كبيراً في ذلك. والخلاف القائم ليس في مدى ارتباط اللغة بالفكر، فهذه قضية، يبدو أن هناك قدراً من الاتفاق عليها، وانما الخلاف في أسبقية وجود كل منهما على الآخر، هل الفكر وجد قبل اللغة، أم اللغة قبل الفكر؟ هل الفكر خالق اللغة وموجدها أم أن اللغة هي التي تصنع الفكر وتكونه؟[3].

هذا الخلاف في الواقع خلاف طويل ليس هنا مجال البحث فيه. ولكن على أية حال، فإن هناك مفاهيم معينة استقرت حول علاقة اللغة بالفكر، وسنحاول فيما يلي التعرف على بعض وجهات النظر في هذا الشأن، حتى يتيسر لنا فهم حقيقة هذه العلاقة وبالتالي يمكن لنا أن نتبين أثر هذه العلاقة في تطور ونمو اللغة باعتبارها أحد العوامل الهامة التي تحدث هذا التطور وتؤدي الى نمو اللغة.

نحن نعلم أن اللغة الانسانية، كما رأينا في تعريف ابن جنى وغيره من

---

(١) انظر د. أحمد أبو زيد، حضارة اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول ص ١٧ وما بعدها.

(٢) راجع كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة ص ١٩ ـ ٥٠.

(٣) أنظر د. عثمان أمين في ، اللغة والفكر ص ٢٢ ـ ٣٥.

العلماء المحدثين تحمل في طياتها شيئاً أكثر من كونها أصواتاً مجردة، وذلك بما فيها من تعبير عن دلالة معينة، بعكس الحيوان أو الكائنات الحية الأخرى التي قد تصدر أصواتاً، بل لعل لها لغة خاصة، ولكن هذا الصوت الذي يصدر عن الحيوان صوت غريزي غير واع، بلا دلالة محددة، وان كانت له دلالته الخاصة عند غيره من الحيوان.

فالألفاظ اللغوية في الحقيقة ما هي إلا علامات أو رموز صائتة ذات دلالة يميز بها الانسان تجاربه الحسية والمعنوية بعضها عن بعض، وهو يرتبها بناء على ذلك التمييز بحسب أصنافها وأنواعها ويختزنها ليكون في النهاية مئونته من المعرفة والذي يدفعه الى ذلك حاجة لا مفر منها الى المعيشة في مجتمع، هو مضطر الى أن يتبادل معه الأخذ والعطاء في الماديات والمعنويات جميعاً. وهنا نجد أن قيمة اللفظة تتحدد بمقدار ما لدلالتها من شيوع بحيث تسعف المتحدث في كل المناسبات التي يحتاج فيها لأداء تلك الدلالة التي وسمت بها وبحيث لا يعتري دلالتها هذه تغير أو التواء أثناء تداولها على الألسن وتجاوبها في الآذان أي ألا تكون دلالتها عينية بل فكرة عامة مجردة، أو بعبارة أخرى أن تدل على معقول أو متصور Concept[(١)].
على ضوء هذا يمكن لنا أن نقول ان اللغة كلام مفيد، كلام يدل على معنى، فهي تتركب من ألفاظ أسندت احداها الى الأخرى لتصور عن طريق هذا الاسناد معنى، وقصد المعنى من خصائص الانسان وحده من بين الكائنات الحية الأخرى، إذ لا شيء يثبت حتى الآن أن الحيوان يعني على غرار ما يعنيه الانسان، ومن ثم تصبح اللغة فعلاً انسانياً بحتاً مرتبطاً به وبالمجتمع الذي يعيش فيه، والانسان في تعبيره عن المعنى ينقل في الحقيقة صورة لهذا المعنى، كما اتضح في فكره هو. ولكن هناك سؤال، كيف توصل الانسان الى هذا الوضوح في الفكر حتى ينقله الى معادل له في

---

(١) د. حسن ظاظا، محاضرات في فقه اللغة. ص ١٥.

الكـلام، أو بمعنى آخر حتى يـركبه في ألفـاظ تنقل للسـامع أو القـاريء ما يريد؟ هل اللغة هي صانعة هذا الوضوح أم أن الفكر يصنعها بطبيعته، أو من الممكن أن نضع هذا السؤال في صورةأخرى كما صاغه أستاذناالدكتور حسن ظاظا، هـل يمكن أن يوجـد الفكر دون أن يـوجد الكـلام أو بعبارة أخرى أليس الفكر والكلام كلاهما مظهرين لعلمية نفسية واحدة؟(١).

يقول ادوارد سابير(٢) أنه للاجابة على هذا السؤال يجب أن نفهم تماماً أنه، حتى مع التسليم بـأن الفكر في عمليـاته المختلفـة في حاجـة الى رموز حسية يتعلق بها، أي في حاجة الى لغة على وجه التحديد فانه لا ينبني على ذلك أن يكون الكلام دائماً وأبداً صورة لعملية من عمليات الفكر في معناه الفلسفي الأعـلى. وقد سبق أن رأينـا أن العنصـر اللغـوي الأسـاسي هـو الصـوت ثم اللفـظة الـدالـة عـلى متصـور، وليس معنى هـذا أن اللغـة لا تستعمل أبداً إلا في التعبير عن متصورات، فإننا في الحياة اليومية العادية لا نهتم بالمتصورات بقدر اهتمامنا بالواقع الملموس، فعندما أقول انني تناولت افطاراً شهياً هذا الصباح فـانه من الـواضح أني لا أتجشم وأنـا أنطق بهـذه الجملة عنـاء الجهد العقـلي والفكري التي تحتـاج اليه عمليـة من عمليـات الفكر الجديرة بهذا الاسم، بـل على العكس فـانني أشعر بسـرور لاستعادة ذكرى طيبة، وبالرجوع الى كل لفظة من ألفاظ هذه الجملة نجد أنها تعبـر عن متصور أو عن نسبة بين متصورين أو أمـرين مقترنـين متلازمـين، ومع ذلـك فالجملة كلهـا بعيدة تمـاماً عن هـذا الجو المكفهـر، جـو التصـورات المنطقية والنسب القـائمة بينهـما، ونحو ذلـك من أشكال الفكـر الفلسفي، وأنا في نطقي بهذه الجملة واستعمال اللغة ـ هذا الجهـاز الفكري الضخم المعقد ـ للتعبير عن هذا الحاضر البسيط والمتداول، كمـن يستعمـل مولـداً

---

(١) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة. وانظر أيضاً: Sapir language p. p 13 - 17.

كهربائياً هائلاً في ادارة جرس صغير، وهذا القياس في الواقع أكثر جدية مما يبدو في الظاهر اذ يمكننا أن نعتبر اللغة آلة صالحة لأداء ما يرجى منها في شتى الظروف النفسية والفكرية، ابتداء من الحاضر البسيط والحياة اليومية، الى الفكرة الفلسفية المجردة بكل تعقيداتها وقوتها، وفي كل هذه الحالات التي لا حصر لها يختلف الموضوع ويختلف المعنى والمستوى الذي يدور فيه التفاهم، ولكن تبقى دائماً صورة هذا التفاهم واحدة.

وعلى هذا يمكننا من وجهة النظر اللغوية أن نقول أن الفكر هو المضمون الخفي أو الطاقة القصوى للكلام وهو ذلك المضمون الذي نكشف عنه عندما نتدبر القيمة التصورية والفلسفية لكل وحدة من وحدات الكلام وهذا يعني أن الفكر في معناه الفلسفي العالي واللغة ليسا بالضرورة قرينين لا يفترقان، وأن اللغة بالنسبة للفكر هي أولاً، وقبل كل شيء، طبيعة مصاحبة للفكر غير خالصة له. هي رفيق لهذا الفكر، تعمل دائماً على أن ترتفع الى مستواه، وليس كما يظن البعض، البطاقة التي نلصقها في النهاية على الفكرة عند بلوغها حد الكمال.

فإذا سألنا مثلاً زيداً من الناس، هل تستطيع أن تفكر بلا كلام؟ بلا لغة؟ وبدون أن تستحضر في نفسك ألفاظاً معينة؟ فانه غالباً ما سيجيبك نعم، ومع ذلك فليس من السهل على أن أفعل، وان كنت أعلم أن ذلك ممكن والواقع أن الذي يجيبك بذلك مخدوع، فاللغة للفكر كالأرقام للحساب، لا يمكن تصور عملية حسابية بلا أرقام، ولا يمكن تصور فكرة فلسفية دون ألفاظ والذي يوقع الناس عادة في هذا الخطأ هو ظنهم أن الفكر طبيعي واللغة صناعية، وعلى ذلك تكون الرابطة بينهما شيئاً محدثاً ابتدعه الناس. والواقع أن للفكر حرماً منيعاً ليس له إلا طريق واحد يؤدي اليه وهو الألفاظ. بقيت كلمة يضيفها « ادوار دسابير » الى بحثه

هذا، وهي أنه يجب ألا نهمل تأير الفكر على اللغة[١]. وتمهيداً لذلك يقول إن الأصل في اللغة أن تعبر عن أمور عملية في حياة الانسان ورقيها أو تطورها الى مرتبة الفكر بمعناه الفلسفي مرحلة متأخرة تابعة للرقي العقلي والفلسفي نفسه، أي أن الفكر هو ذلك السر البشري المتطلع الى الكمال والتجريد، يتأثر باللغة ويؤثر فيها آخذاً بيدها في رحلته الطويلة، يعينها ما استطاع على أن تتم معه الرحلة حتى نهايتها.

على ضوء هذه المناقشة نستطيع القول اذن بأن التفكير والتعبير شيء واحد، وأن اللغة في الواقع ما هي إلا فكر ناطق، بل إننا لا نستطيع أن نضع حداً فاصلاً واضحاً بينهما. لا نستطيع القول، الى هنا ينتهي التفكير، ومن هنا تبدأ اللغة. كما أننا لا نستطيع أن نعتبر احدى هاتين الظاهرتين واسطة والأخرى غاية. اذ أنهما في الواقع شيء واحد أحدهما امتداد للآخر. ومن هنا أيضاً ندرك دقة تعريف ابن جنى عندما قال أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. فاستعماله لكلمة يعبر هنا هو ادراك دقيق لطبيعة العلاقة التي تربط اللغة بالفكر.

من خلال هذه كله يتضح لنا أن العلاقة بين اللغة والفكر قائمة على الاتحاد بينهما، كل منهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه، فالنظرة الى الفكر واللغة، باعتبارهما عمليتين منفصلتين نظرة خاطئة، ويتجسد هذا الخطأ اذا نظرنا الى الكلمة المفردة، فالكلمة الخالية من المعنى ليست كلمة على الاطلاق وانما هي صوت أجوف. ولذلك فإنمعنى هو المعيار الأساس الضروري للكلمة ذاتها. فالمعنى هو الكلمة منظوراً اليها من الداخل، من الفكر. ومن هنا يكون اللغويون على حق تماماً حين ينظرون الى معنى اللفظة كظاهرة لغوية، ويترتب على ذلك، ونتيجة لعلاقة الترابط بين الكلمة والفكرة، أن الفكر اذا تغير أو تطور تغيرت معاني الكلمات وتطورت هي

---

(١) Sapir language p. 16.

الأخرى. أو كما قال ادوارد سابير أن نمو وتطور اللغة يعتمد الى حد كبير على نمو وتطور الفكر[١] ويدرس اللغويون ظاهرة تطور المعنى في مبحث خاص هو دلالة الألفاظ وتطورها، ولهم في ذلك قواعد وقوانين محددة تجري عليها سنن النمو والتطور، سنقف عليها في الباب الثالث من هذا البحث[٢] ونكتفي هنا بعرض أثر الفكر على نمو اللغة وتطورها ممثلاً في بعض الألفاظ التي رفعها المفكر من طينة الحس الى آفاق التجريد، قاطعة بذلك شوطاً طويلاً من التطور. وما دمنا نتكلم عن الفكر وأثره في اللغة، فلعل كلمة « العقل » وما أحدثه الفكر فيها من تغير وتطور، أقرب الألفاظ لكي نضرب بها المثل، باعتبار أن هذه اللفظة أكثر ارتباطا من غيرها بالفكر. وسوف نرى الى أي مدى أثر عليها تطور الفكر وتغيره، فأصبحت تدل على معنى مغاير تماماً للمعنى الذي بدأت به حياتها الأولى.

الأصل الحسي لمادة (ع ق ل) هو الامساك والربط والمنع، يقال عقلت البعير عقلاً هو أن تثني وظيفه مع ذراعه فتشدهما جميعاً في وسط الذراع بحبل، وذلك هو العقال[٣]. و « عقلت القتيل عقلاً »، أديت دينه قال الأصمعي (ت ـ ٢١٦ هـ) سميت الدية عقلاً تسمية بالمصدر الأول لأن الابل كانت تعقل بفناء ولي القتيل ثم كثر الاستعمال حتى أطلق العقل على الدية ابلاً كانت أو نقداً[٤].

وهذه التفاتة طيبة من اللغوي العربي لأثر الاستعمال في تطور الألفاظ وتغيرها وسمى الحبل عقالاً لأنهم يربطون به الابل[٥]. ثم تطور هذا المدلول الحسي من معنى الربط بشيء كالحبل مثلاً، الى معنى الامساك

---

(١) Ibid. p. 17.

(٢) أنظر هذا البحث ص ٢٢١ وما بعدها.

(٣) المصباح المنير، مادة (عقل).

(٤) المصدر السابق، نفس المادة.

(٥) المصدر السابق، نفس المادة.

والمنع مطلقاً، سواء عن طريق أداة كالحبل أو غيرهـا، فقيل « عقـل الدواء البـطن عقلاً، أمسكـه، فالـدواء عقول. و « اعتقلت الـرجـل حبستـه » و « اعتقل لسانه بالبناء للفاعل والمفعول اذا حبس عن الكلام »[١].

وهنا نجد أن المدلول قد تطور الى معنى المنع والحبس، ثم تطور الفكر الانساني وأصبح يفرق بين المحسوسات والمعنويات فـأطلق على تلك القـوة التي« يكون بها التمييز بين القبـح والحسن ولمعان مجتمعـة في الذهن تستتب بها الأغراض والمصالح »[٢] اسم العقـل. وبالتـالي أطلق لفظ العاقـل على الانسان « لهيئة محمـودة في حركـاته وكـلامه[٣]. وواضـح أنهمأطلقـوا اسم « العقل » على تلك القوة الخفية الكامنة في الانسان لأنها تمسك النفس فـلا تجمح أو تضل. وهنا نجد أنفسنا أمام معنى فلسفي مختلف تمـاماً عن معنى امساك البعير واعتقاله بحبـل أو بغيره، وان كـانت الكلمة مـا زالت ترتبط بمدلوللها الحسي الأول بين طياتها.

كلمة أخرى قـريبة الشبـه الى حد كبـير بكلمة « العقـل ». بل لعلهـا مـرتبطة بهـا أشد الارتبـاط، وهي كلمة « العقيـدة »، وأصلهـا من الفعـل الثلاثي (عقد) الذي يدل معناه الحسي على الـربط والامساك أيضـاً. يقال « عقد الحبل عقداً فانعقد، والعقدة مـا يمسكه ويـوثقه[٤]. وكـان الانسان القديم يعقد خيـطاً أو خصلة من الشعر أو الصـوف على ـ اصبعـه ليتذكـر شيئاً هاماً ولا ينساه[٥]. ثم أنشـأ المعنى يتطور فـأصبح يـدل على التجمـع والترابط في الماديات. يقال « لمـا تعقد من الـرمل وتـراكم، رمل عقـد » و « العنقود من العنب » لتجمعه وتماسكه و « اليعقيد لطعـام يعقد بـالعسل »

---

(١) المصباح المنير، نفس المادة.

(٢) القاموس المحيط، مادة (عقل).

(٣) المصدر السابق، نفس المادة.

(٤) المصباح المنير، مادة عقد.

(٥) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ٩١.

و « العقد بالكسر القلادة »[1] ثم تجرد المدلول حتى أصبح يدل على قرب المنزلة. يقال « هو مني معقد الأزار، أي قريب المنزلة »[2]. ثم أخذ اللفظ يدل على نوع من التوثيق والتوكيد فيقال « عقدت البيع ونحوه وعقدت اليمين، وعقدتها بالتشديد توكيد » و « عاقدته على كذا، وعقدته عليه بمعنى عاهدته »[3]. وأخيراً أصبح يدل على الاحكام والابرام، ومنه قيل « عقد النكاح، وغيره، احكامه وابرامه »[4]. ومن ثم استعملت كلمة « العقيدة » استعمالاً تجريدياً فلسفياً لتدل على ما استقر في القلب من فكرة دينية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها، يحرص عليها ويتعصب لها، فيقال، اعتقدت كدا، أي « عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل العقيدة ما يدين الانسان به »[5].

كلمة ثالثة سارت بدورها في طريق تطوري طويل، رفعها فيها الفكر من طينة الحس الى آفاق التجريد حتى كدنا أن ننسى أصلها، وهي كلمة « الشرف ». وأصل مدلولها الحسي يدور حول العلو والارتفاع. « الشرف العلو والمكان العالي » و « الشرف من البعير سنامه ». وسمى أعلى جبل في بلاد العرب بشريف، و « مشارف الأرض أعاليها »[6]. لذلك أطلق لفظ الشرفة على ذلك المكان العالي في البيت أو القصر، لعلوه وارتفاعه. ثم أصبحت تدل على القدم والكبر فأطلق لفظ الشارف من السهام على العتيق القديم منها، وعلى النوق المسنة الهرمة[7]. ثم نجد أن « شرفة المال خياره » فاذا وضعنا معنى العلو مع القدم، بالاضافة الى معنى طيب

(١) القاموس المحيط، مادة عقد.
(٢) المصدر السابق، نفس المادة.
(٣) المصباح المنير، مادة عقد.
(٤) المصدر السابق، نفس المادة.
(٥) المصدر السابق، نفس المادة.
(٦) القاموس المحيط، مادة (شرف).
(٧) القاموس المحيط، مادة شرف.

العنصر، وصلنا الى مدلول كلمة الشرف وهو، مجموعة صفات بعضها بالنسب وبعضها بالحسب تجعل الانسان في منزلة أرفع من غيره أو على حد قول صاحب القاموس « الشرف المجد لا يكون إلا بالآباء أو علو الحسب »[(١)].

وهكذا نجد لو شئنا الكثير من الألفاظ كأمثلة على ما أحدثه الفكر وتطوره في تطور معاني الألفاظ وتغيرها. فألفاظ مثل: المروءة، وأصلها من المرء أي الرجل، والروح، وأصلها من الريح، والنفس، وأصلها من التنفس، أي استنشاق الهواء. والشك، وهو في الأصل الوخز. والدين، وأصل معناه الحق. والشرع، وأصله، الاتجاه نحو الشرعة أي مورد الماء. والجنة، وكانت في الأصل بمعنى البستان يجري فيه الماء. وأخيراً كلمتي المعروف والمنكر، فمعناهما المجرد هو الخير والشر. أما المعنى الحسي المادي القديم فالمعروف هو ما يعرفه الانسان والمنكر مالا يعرفه[(٢)].

كل هذه الألفاظ وغيرها، استطاع الفكر أن يطورها من أصلها الحسي البسيط الى معان فلسفية مجردة. ننتقل بعد هذا الى العامل الثاني من عوامل التطور اللغوي ونمو اللغة، وهو علاقة اللغة بالمجتمع وأثرها في نمو اللغة وتطورها.

٢ ـ اللغة والمجتمع:

من دراستنا لطبيعة العلاقة بين اللغة والفكر ومدى تأثر كل منهما بالآخر وتأثيره فيه، عرفنا الى أي مدى كان ابن جنى (ت **٣٩٢** هـ) دقيقاً عندما قال إن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. وفي هذه

---

(١) القاموس المحيط، نفس المادة.

(٢) انظر اللسان والانسان ص ٨٨ ـ ص **٩٣** وكلام العرب ص **٤٢** ـ ص **٤٥** لأستاذنا الدكتور حسن ظاظا حيث يفصل القول في مراحل تطور كل لفظة من هذه الألفاظ.
وأنظر أيضاً غرائب اللغة العربية ص ٩٨ ـ ١١١.

العبارة نجد كلمة أخرى تدلنا على دقة هـذا التعريف وهـي كلمة (قـوم) وما القوم إلا المجتمع من الناس. اذن فاللغة لا تكـون الا في مجتمع لتعبـر عن أغراض هذا المجتمع كما قـال ابن جني. وهنا نتـوقف قليلاً أمـام رأي العالم الأنثروبولوجي مالينوفسكي Malinoviski الذي يرى أن وظيفة اللغـة ليست مجرد كونها وسيلة للتعبير، بل يرى أن وظيفة اللغة هي أنها حلقة في سلسلة النشـاط الانسـاني المنتـظم. هي جـزء من السلوك الانســاني. انها ضرب من العمل وليست أداة للتعبير عن الفكر[1]. وقـد عرض نـظريته تلك أستـاذنا المـرحوم الـدكتور محمـود السعران فـأورد أنواعـاً من وظائف الكلام ليدلل بها عـلى أن الوظيفـة الأساسيـة للغة ليست كـونها ضربـاً من توصيل الفكر والتعبير عنه فقال أن لغة « المونولوج » أي الكـلام الانفرادي بصـوره المختلفـة، لا تـرمي الى التعبـير بقـدر مـا تــرمي الى التنفيس عن النفس. ورفض رد ادوارد سـابير عـلى هـذا بـأن « المتكلم والسـامـع هنـا متحققــان في شخص واحـد يمكن أن يــوصف بـأنــه ينقـل الأفكــار الى نفسه »[2].

ثم استعـرضص الدكتـور محمود السعـران ألوانـاً من السلوك اللغوي الـذي لا ينـطوي عـلى أي تعبـير كـاستعمـال اللغـة فيـما يسمى بـالسلوك الاجتمـاعي كلغة التحيـة والتأدب، أو في الاجتمعـات الدينيـة كـالصـلاة والدعاء ومخاطبة الله سبحانه وتعالى، أو أية كائنات أخرى مقدسة[3].

والحقيقـة أنه إذا فققنـا النظر في مثـل هذا النـوع من السلوك اللغوي وجـدنا شـرط التعبير متـوفراً فيهـا جميعاً. فـالمونـولوج هـو حـديث النفس للنفس، هـو تقليب الفكر عن طـريق اللغة. فـالمرأة المصـريـة التي تنشـد

(١) انظر د. محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج ص ١٧.

(٢) Sapir: language p. 12.

(٣) د. محمود السعران: اللغة والمجتمع رأي ومنهج ص ١٧ ـ ص ٢٤.

الأشعار الحزينة عندما تخلو الى نفسها[1] هي نفسها التي تنشد الأغنية المرحة عندما تكون وحدها أيضاً وهي في كلتا الحالتين ترى في كلمات تلك الأغاني تعبيراً عن حزنها ان كانت حزينة، أو تعبيراً عن فرحها ان كانت كذلك. وهكذا يمكن القول في لغة الصلاة والعبادة. فأنا، وأنا أصلي أتمثل الله سبحانه وتعالى أمامي. حقاً هو لن يرد علي، ولكن أنا أتكلم وأعبر عن طاعتي وخشيتي بلغة مخصوصة حددها لي الشرع، بل لعل في اختيار بعض المصلين لآيات مخصوصة من القرآن الكريم دليلاً على وجود الرغبة في التعبير عن أنفسهم أمام الخالق جل وعلا. وفي لغة التأدب تأخذ الألفاظ دلالتها في التعبير بوضوح عن طريق الكلمات، وهل من الممكن اعتبار ألفاظ مثل « شكراً ». « عفواً »، « العفو »، « آسف »، « لا تؤاخذني »، « من فضلك » وأمثالها من العبارات[2] كلمات خالية من التعبير[3]. والواقع أن نشأة اللغة بمعناها الاصطلاحي الذي حدده لنا ابن جنى (ت ـ ٣٩٢ هـ) تنفي تماماً فكرة هذا السلوك اللغوي المجرد عن التعبير. يقول فندريس « في أحضان المجتمع تكونت اللغة. وجدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة الى التفاهم. وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس ويستعملون في علاقتهم الوسائل التي وضعت الطبيعة تحت تصرفهم، الاشارة إذا أعوزتهم الكلمة والنظرة اذا لم تكف الاشارة. فالاختبار الذي يمكن اجراؤه اذا ما أريد استلهام أبسمتيك[4] هو أن يوضع طفلان أو عدة أطفال ممن يجهلون جهلاً تاماً

---

(١) د. محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج ص ١٨.

(٢) المرجع السابق. ص ٢١.

(٣) انظر مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول سنة ١٩٧١ ص ١١٨ ـ ١٢٩ حيث يعرض د. سيد غنيم عرضاً وافياً لنظرية فيجونسكي Thinking in words التي ترد على فكرة أن اللغة نشاط انساني خال من التعبير.

(٤) « ابسمتيك ملك مصري قديم أراد أن يعرف ما اذا كان الفريجيون أسبق في العالم من المصريين، فأمر بتربية طفلين في عزلة منذ ميلادهما وحرم أن يسمعا أي كلام. وعند=

كل شيء عن اللغة، بعد اقصائهم تماماً عن كـل مؤثر علمي. عندئذ، اذا غضضنا النظر عـما قد يكـون عندهم من استعـدادات موروثـة، فليس من شـك، مهـما كانت جنسيتهم، في أنهم سيخلقـون بفـطرتهم لغـة لحسـابهم الخاص، وهذه اللغة لن تكون الفريجية، ذلك بأن الحاجة توجه العضو حتماً الى العمل، ولابد أن الأشياء عند البـدء وقعت على هـذا النحو. فـاللغة، وهي الواقع الاجتماعي بمعنـاه الأوفى، تنتج من الاحتكـاك الاجتماعي، وصارت واحدة من أقوى العرى التيتربط الجماعات، وقد دانت بنشـوئها الى وجود احتشاد اجتماعي »[1].

اللغـة اذن ليست من الأمور التي يمكن أن يصنعهـا فرد واحـد، وانمـا تخلقها طبيعة الاجتماع الانساني وما يقضيه هذا النسق من الحياة من تعبـير عن الخـواطر وتبـادل للأفطـار، وهي بالتـالي نظام اجتمـاعي تخضـع لمـا يخضع له المجتمـع منمؤثرات تتـطور بتطوره وتنمـو بنموه. فـاذا عرفنـا مما يتكون المجتمع، عـرفنا بـالتالي العـوامل الاجتمـاعية التي تؤثـر في التطور اللغوي.

إذا طـرحنا جـانباً اللغـة، بـاعتبـارهـا احـدى المكـونـات الأسـاسيـة للمجتمـع، وجدنـا أن المجتمع الانسـاني هـو عبـارة عن نسق مكـون من العـرف والتقاليـد والعادات والاجـراءات المرسـومة كـالنـظام الاقتصـادي والسيـاسي والـديني يضـاف الى ذلـك المؤسسـات العلميـة كـالجـامعـات والمـدارس والمعاهـد، ثم المؤسسات الفنيـة كالسينـما والاذاعة والتليفـزيون وغيرها. كل هذا يشكل في النهايـة مانـطلق عليه في العصـر الحديث اسم المجتمـع. ولأن اللغـة من خلق الفكـر، ولأنها خلقت خصيصـاً لتيسـير

= اختبارهما بعد بضعة أشهر وجد أن الطفلين يطلبان الطعام بقولهما « بيكوس » ومعناها الخبز بالفريجية فاستنتج من ذلك أن اللغة الفريجية أقدم من المصرية. أنظر فندريس، اللغـة ص ٣٤.

(١) انظر فندريس. اللغة ص ٣٥.

التبادل المادي والفكري مع المجتمع، ولأن المجتمع كما يقول « ماكيفر » من أخص صفاته أنه لا يثبت على حال(١)، فاللغة التي تسايره لا تثبت على حال هي الأخرى بل تتطور وتتغير، وهي صورة صادقة لحضارته ونظمه. فالمعجم اللغوي لأمة ما، هو في نفس الوقت صورة ملخصة لما تعرفه هذه الأمة في حياتها اليومية وكيانها الاقتصادي والسياسي وسلوكها الديني والأخلاقي، وتقدمها العلمي والفني(٢) فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في اللغة، ولذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب وفيما يلي سنقف أمام أهم العوامل الاجتماعية التي تؤثر في اللغة فتدفعها نحو التطور والتغير والنمو.

أ ـ اللغة والدين:

لاشك أن الدين من أقوى العوامل وأعمقها تأثيراً في اللغة. فالدين، سواء أكان سماوياً أم وثنياً موحداً أم معدداً، يؤثر في لغة الأمة التي تؤمن به، ويطبعها بطابع معين نلمحه في ألفاظها وتراكيبها(٣). ومن أهم ما يلاحظ على لغة الدين استعمالها للكلم الغامض أحياناً، ومنه كلمات وعبارات قد تكون غير مستعملة في اللغة، مثل استعمال الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم: الم ـ طسم ـ يس ـ الر ـ كهيعص مما لا يعرف معناه وأوله المفسرون والدارسون تأويلات كثيرة(٤). وقد كان القرآن الكريم من أخطر الحوادث وأهمها في حياة اللغة العربية، ذلك لأنه أعطى نموذجاً جديداً وممتازاً لهذه اللغة دفعها الى حضارة جديدة. ومن الطبيعي أن تتطلب هذه الحضارة الاسلامية الجديدة مادة لغوية

---

(١) ماكيفر، المجتمع ص ١٧.

(٢) انظر د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ٩٨.

(٣) Mario pei, the story of language p. p 206 - 214.

(٤) راجع القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١ في تفسير قوله تعالى: (الم) في بداية سورة البقرة.

جـديدة، وجـدها العلماء في تلك الثـروة اللفـظيـة الضخمـة ليت أتى بهـا القـرلآن الكـريم فـدخلت في المصـطلح العلمي لتلك الحضـارة، وأطلق عليها العلماء اسم الكلمات الاسلامية[1] مما ستتعرض له مفصـلاً في الباب الثاني من هذا البحث.

ولعل نظرة نلقيهـا على أثـر الدين الاسـلامي في لغة الحيـاة اليوميـة، تعطينا فكرة واضحة عن أثـر الدين في نمـو الثروة اللغـوية وتـطورها. فمن ذلك:

١ ـ لغــة الأذان والأدعيـة والصلوات، وخــطب الجمعـة، والأوراد والأذكـار، واللغة المستعملة في الحـج بمـراحله المختلفـة كلغـة السعي بـين الصفا والمروة ولغة الطواف ولغة الرجم ولغة الدعاء.

٢ ـ اللغة المتصلة بالمـوت كالصـلاة على الميت، والكـلام الذي يقـال أثنـاء تشييع الجنـازات، ومـا يقـال عنـد دفن اليمت وبعـده وفي التعـزيـة والشكر عليها، من العبارات المستعملة في مصر في مجـال التعزيـة: « البقية في حياتك » « حياتك الباقية »، « البركة فيك »، « البركة في دين محمد »، « شكر الله سعيكم »، « غفر الله ذنبكم ».

٣ ـ اللغة المستعملة في عقد القـران كتلاوة القـرآن وكلمة « المـأذون » وصيغـة العقد وكـلام المهنئين مثـل « مبـروك »، « مبـارك »، « الله يبـارك فيك ».

٤ ـ ألفاظ القسم وعباراته، فنحن نسمع دائـماً صيغ القسم التـالية في عـامية المسلمـين: والله ـ والله العظيم ـ وربنـا ـ والنبي ـ وحيــاة النبي ـ وشبـاك النبي ـ والمصطفى ـ والمصحف ـ والمصحف الشـريف ـ والكعبة... الخ.

---

(١) راجع الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ١/٥٦ وما

٥ - ومن العبارات الشائعة على ألسنة المتكلمين بـالعربيـة: « لا حول ولا قوة إلا بالله »، « أستغفر الله »، « أعوذ بالله ».

٦ - وفي لغـة السائلين نجـد الأثر الـديني واضحـاً، فعبـاراتهم جلهـا عبـارات دينية مثـل: « لله » - « حسنة لله » - « يـا رب » - « يـا كـريم » - « أعطنا مما أعطاك الله ». والرد على السـائلين عند عـدم اعطائهم شيئـاً من عباراته: « على الله ». « ربنا يديك »، « ربنا يرزقك »... الخ.

٧ - وممـا يكثر استعمـاله عـلى ألسنة المصـريات لأطفـالهن الذكـور في ظروف خاصة: اسم النبي حارسك وصاينك - اسم النبي حارسـك - ربنا يحرسك - اسم الله عليك[١].

هـذا وتكشف لغة الصـوفية والـزهاد والـرهبان والمـلاحدة والزنادقـة والمتنبيئـين وغيـرهم، وكـذلـك اللغـة المستعملة في الفقـه والحـديث وعلم الكلام عن مدى أثـر الـدين في تطور اللغـة ونموهـا، كما سنـرى ذلك في الباب الثاني من هذا البحث[٢]. وقد يشكل الدين أحياناً حـاجزاً في وجـه التطور الطبيعي للغة. يقول أستاذنا الدكتور حسن ظـاظا أن اليهـود كانـوا يعتقدون أن اللغة العبرية قبل أن ينزل بها التوراة، كـانت لغة الـرب ولغة الملائكة، وأن حروفها الاثنين والعشرين قد حفرها الله بيده في كبـد السماء قبل أن يخلق شيئاً على الأرض، وتزمتوا في ربطهـا بالـدين حتى فشلت كل المحـالاوت التي قام بهـا المصلحون من أنبيـائهم لجعل الشـريعة المـوسويـة شريعة عالمية. وذهبت دعوة ارميا وأشعيا وغيرهما أدراج الرياح.

وعندما بعث المسيـح كانت اللغـة العبريـة قد مـاتت فعلاً عـلى ألسنة النـاطقين بهـا وحلت محلها اللغـة الآرامية. أمـا احياؤهـا مع الصهيـونيـة

(١) انظر د. محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج ص ١٢٤ - ١٢٦.
(٢) راجع هذا البحث ص ١٤١ وما بعدها.

المعاصرة، فقد وقفت وراءه العصبية العنصرية المتحفزة[1].

أما عند الأمة العربية فقد كان الأمر على العكس من ذلك تماماً، ذلك أن القرآن الكريم لم يكن نصاً مقدساً وكتاباً دينياً عند العرب فحسب، ولكنه كان معجزة. وظل المسلم حتى يومنا اهذا يؤمن في قرارة نفسه بأن القرآن لا يمكن تقليده، ولو اجتمعت الأنس والجن على ذلك، فهو معجزة الرسول الكبرى، وبالتالي خفت قيوده اللغوية على الكتاب والمؤلفين، واستطاعوا أن يبنوا حضارتهم الفكرية على تطور لغوي أكثر مرونة وأقل تعنتاً[2].

ب ـ اللغة والسياسة:

السياسة نظام من نظم الحياة الاجتماعية التي تعمل على تطور اللغة ونموها. فتغير الحياة السياسية وتقلبها من نظام الى نظام آخر يترك بصماته على اللغة فتظهر بعد فترة ألفاظ وتموت أخرى وتندثر تراكيب وتظهر تراكيب أخرى. فدراسة المصطلحات والتعبيرات التي يصطنعها كل نظام من الأنظمة السياسية المختلفة دعاية لنفسه وتثبيتاً لحكمه وفي تعامله مع النظم الأخرى التي تخالفه، كل ذلك يقوم للباحث المهتم بالتطور اللغوي مادة غنية تبيّن أثر هذا العامل الاجتماعي في اللغة وتغيرها[3] فمن ذلك:

١ ـ دراسة لغة الانتخابات، فندرس اللغة المستعملة في الحملات الانتخابية تحريضاً على انتخاب مرشح وتنفيراً من انتخاب سواه، مع بيان اختلافها باختلاف طبقات الناخبين واللغة المتصلة بالتقسيم الاداري للدوائر الانتخابية وباعطاء الأصوات (فرزها) واعلان نتيجة الانتخاب ولغة القوانين التي تصدرها الدولة في هذا الشأن، وما سوى ذلك من

(١) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق ـ ص ١٠٠.

(٣) Mario pei, The story of language p. p 244 - 251.

جوانب استعمال الكلام الانتخابي.

٢ ـ تحليل المفردات والتعبيرات المستعملة أثناء اعلان الحرب أو تمهيداً لها، ثم لغة السلام بعد ذلك.

٣ ـ تحليل التعبيرات الدلالية التي تصحب الثورات نتيجة للتغير السياسي، ويبرز ذلك في أنها تميت كثيراً من الألفاظ لأنها تميت كثيراً من العادات والأفكار، وأنها تحيى كثيراً من الكلمات لأنها بطبيعتها الثورية تريد أن تخلق قيماً جديدة، فلو درسنا أثر التاريخ الثوري لمصر الحديثة في اللغة، لاتضحت لنا حقائق كثيرة. فالثورة العرابية أضافت الى كلمات « مصر » و « المصري » و « الفلاح » و « الفلاحون » معاني الاعتزاز والفخار، وأضافت الى غيرها معاني الهزء والسخرية. وقد غيرت ثورة سنة **١٩١٩** من أسلوب الصحافة خاصة ومن أسلوب التعبير الكتابي والكلامي عامة فأخذ يتخلص من كثير من الزخرف والزينة والقيود التي لا طائل من ورائها. أما ثورة سنة **١٩٥٢** فلها كذلك شأن كل ثورة، آثار على اللغة. فقد حكمت بالموت على كثير من الكلمات والعبارات، فلم تعد تطلق على المصريين ألقاب مثل « أفندي » و « بك » و « باشا » و « صاحب العزة »، « صاحب السعادة »، « صاحب المعالي »، « صاحب الرفعة »، « صاحب العصمة »، « البرنس »، « الأمير »، « سمو الأمير »، « الملك »، صاحب الجلالة »، الذات المليكة »، « صاحب الجلالة »[١].

وكما ماتت ألفاظ وعبارات ظهرت ألفاظ وعبارات أخرى مثل « الجمهورية »، « القصر الجمهوري »، « رئاسة الجمهورية »، « القيادة »، « مجلس الثورة »، « قيادة الثورة ». وكثر استعمال كلمة التحرير فهناك « مديرية التحرير »، « ميدان التحرير ». واستعملت عبارات دالة على تنظيمات لم تكن موجودة من قبل مثل « هيئة التحرير »، « الاتحاد

(١) د. محمود السعران. اللغة والمجتمع رأي ومنهج ص ٧٤ ـ ٧٨.

القومي »، « الاتحاد الاشتراكي ». ومن اتخاذ النظام الاشتـراكي استفاض استعمـال كثير من مفـردات النظريـة الاشتراكيـة ومصطلحـاتها وعبـاراتهـا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ودخـل العربيـة شيء جديـد من هذا مثـل: « سيـطرة رأس المـال »، « تحكم رأس المـال »، « ملكيـة وسـائـل الانتـاج »، « سيـطرة الشعب عـلى وسـائـل الانتـاج »، « الاحتكـار »، « القـطاع العام »، « القـطاع الخـاص »، « التـأميم »، « تـوسيـع قـاعـدة الانتاج »، « حريـة لقمة العيش »، « تكـافؤ الفرص »، تـذويب الفوارق بين الطبقات »، « الرجيعة »، « التقدمية »، « الكفاية والعدل »، « حتمية الحل الاشتراكي »، « سيطرة الاقطاع »، « الظلم الاجتماعي »[1] وغيـرها من مئـات الألفـاظ والعبـارت التي تنتـظر من يتعقبهـا في دراسـة مستقلة. ولاشك أن نتاجئ مثل هذه الدراسة لابد أن تدرج في مواضعها من المعاجم العامة للغة العربيـة فلا تـزال معاجمهـا خاليـة، أو تكاد، من الاشـارة الى أمثال هذهـ المفردات والاصطلاحات والتركيبات وبيان ما يعرو بعضها من تطور واختلاف في الدلالة على مر السنين.

حـ ـ اللغة والاقتصاد:

يطبع النشاط الاقتصادي لأي مجتمع من المجتمعات لغة هذا المجتمـع بـطابع خـاص يميزه، سـواء في ألفـاظـه وتـراكيبـه أم في أسلوبـه وطـرق تشبيهاته واستعاراته. وتغير النظام الاقتصادي يتبعه بالضرورة تطور في لغة التعـامل بـين أفراد هـذا المجتمع، فـاللغة المستعملة في الجـوانب المختلفـة والمستويات المتنوعة للحياة الاقتصاديـة تقدم للبـاحث اللغوي مـادة خصبة يؤدي تحليلها الى الكشف عن طرق التغير والتطور والنمو في اللغة، ومـادة هذه الدراسة يمكن أن نستقيها من أبسط صور النشاط الاقتصـادي كالبيـع والشراء، إلى أشدها تعقيداً وأوسعها نطاقـاً كأعمـال الشركـات والمصارف

---

(١) د. محمود السعدان: اللغةوالمجتمع رأى ومنهج ص ٩٠ ـ ٩٣.

والنظريات الاقتصادية وغيرها من مظاهر النشاط الاقتصادي في المجتمع.

فلغة كل من الحياتين الزراعية والصناعية تمثل ألواناً من العلاقات بين اللغة والمجتمع، اذ أن لكل من هذين الميدانين بل لكل فرع من فروعها مفرداته الخاصة ومن هذه المفردات مالا يستعمله ولا يعرف مدلوله إلا أصحاب هذين النشاطين. ومما لاشك فيه أن التغيرات الكبيرة التي تصيب هذين المجالين من النشاط الاقتصادي كالتوسع في استعمال الآلات الزراعية، والتحول، لها آثارها في استحداث كلمات وعبارات جديدة. فقد كنا قبل ثورة سنة ١٩٥٢ نعتمد على الزراعة اعتماداً شبه كامل في حياتنا الاقتصادية، فغيرت الثورة هذا المفهوم عن المجتمع المصري فظهرت امكانيات تحويل مجتمعنا الى مجتمع صناعي، وسرعان ما شملت نواحي النشاط الاقتصادي مشروعات التصنيع وتوليد القوى الكهربية وغيرها، فظهرت مصطلحات وتراكيب ومفردات فنية لازمة لمثل هذا التحول، ففي حقل التصنيع زاد تداول الاصطلاحات التي كانت تستخدم قبل ذلك للدلالة على مفهومات خارج حدود الوطن مثل: « الصناعات الثقيلة، «الصناعات الزراعية»، «الصناعات الاستهلاكية»، «الصناعات الانتاجية « صناعة الحديد والصلب » وغيرها. وفي مجال الانتاج والعمل حدثت تعبيرات مثل: « العاطلون بالوراثة »، « العمل حق »، « العمل واجب »، « توظيف رؤوس الأموال » « الوظيفة الاجتماعية لرأس المال ». أما في مجال الضرائب فقد ظهرت تعبيرات مثل: « الشرائح الضريبية »، « الأوعية الضريبية »، « الضرائب التصاعدية »، « الضرائب النوعية »، وفي مجال الاستهلاك نجد تعبيرات مثل: « المستهلك » - المجمعات الاستهلاكية - السلع البديلة وغير ذلك. وما دامت حياتنا الاقتصادية متطورة فلابد للغة العربية في مجتمعنا أن تكون دائماً على استعداد لتلبية مطالب الحياة الاقتصادية بتقديم المصطلحات والتراكيب والأساليب. أما لغة الاعلان فمجال فسيح للباحث اللغوي لرصد التطور

والنمو في اللغة بتأثير العامل الاقتصادي، وذلك من أبسطها وأشدها سذاجة كنداءات البائعين، الى أكثرها تعقيداً وفنية كالاعلان عن طريق الاذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات وغيرها.

فنداءات البائعين الجائلين في الجماعات البدوية والقربية منها يكثر اللجوء الى المجاز والى التبشبيه، والى السجع وغره من ضروب الترصيع ويغلب فيها على الجملة الاطالة في المناداة والتغني. أما المجتمعات التي قطعة شوطاً كبيراً وتعقدت أمورها فتلجأ الى الاعلان عن طريق الاذاعة، ويتخذ الاعلان أحياناً شكل حوار بين اثنين أو يكون في صورة أغنية خفيفة. وللاعلان عن طريق السينما والتليفزيون امكانياته الخاصة، اذ يجتمع فيه الكلام المسموع والتصوير المنظور. فالصورة والكلام وتنسيق ذلك مع اللغة يعطي دلالات جديدة ويخلق ألفاظاً جديدة(١).

وصفوة القول فان دراسة اللغة المستعملة في أوجه النشاط الاقتصادي وحصر جميع المصطلحات الخاصة بكل وجه من وجوه هذا النشاط مثل التعاقد والاستئجار والشحن والتأمين، ومصطلحات المراسلات وغيرها يعطي للباحث اللغوي مادة ثرية لمعرفة الكثير عن التطور اللغوي، وأثر العامل الاقتصادي فيه.

هذا، ولا يقتصر أمر الصلة بين اللغة والمجتمع على ما لاحظناه من تبعية تفرضها ظروف الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية على نمو اللغة وتطورها، كما مثلنا لذلك فيما سبق، وانما هناك آثار أكثر عمقاً ما تزال جديرة بالبحث والتنبيه تسببها أيضاً مظاهر الحضارة الحديثة، فمن ذلك ما أشار اليه أستاذنا الدكتور حسن ظاظا من أن في البلاغة العربية يوجد مبحث كامل للفصل والوصل يهتم بوصف أبلغ الأساليب وأمثلها في تحد

(١) راجع د. محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج ص ٦٩ ـ ١٠٨.

صلات الجمل في الكلام وكل جملة بما قبلها وما بعدها فيذكر في هذا الباب كيفية الوصل بين جملتين بالـواو، وكيفية ربـطهما ببعض أدوات الاضـراب والاستدراك مثل بـل ولكن. كما يـذكر فيـه ما يلزم لقـطع الجمل المتتـابعة بعضها عن بعض. والدارس لهذا الباب يشعر أن معظم قواعده وشـواهده مـأخذو من نصـوص قديمـة من الأدب العربي شعـراً ونثـراً في وقت كـانت الفصاحة والبـلاغة أسـاسها المشـافهة، ولكن ظهـرت بعد ذلـك الكتابـة، وغلب النص المكتـوب على الكـلام المنطوق، ثم ظهـرت المطبعـة وأصبـح القاريء لا يرى الكاتب ولا يسمعه. ومع رقي الكتابة والطبـاعة ظهـر فن التقسيم والتنقيط فعـرفت اللغـات المكتـوبـة الفصلة، والفصلة المنقوطة، والنقـطتين الـرأسيتين، والنقـطة الكاملة، وعـلامـة الاستفهـام، وعـلامـة التعجب، وشـرطة الاعتـراض. . . الخ وواضـح أن كل هـذه الاشـارات تفيد الفصل والوصل. فليس عجيباً والحالة هذه أن يظهر تسامح شديد في التـزام هذا البـاب من قواعـد البلاغـة، إذ يكتفي الكـاتب اللغـوي بهـذه العلامات(١).

كذلك تؤثر الصبغة العامة التي يتسم بهـا نشاط المجتمـع في عصر من العصور على أسلوبه في الأداء، ففي العصور الوسطى كانت الحياة تسير في تقاليد بطيئة في كـل أنحائهـا. فالمـواصلات عـلى ظهور الـدواب، والسفن الشـراعية، والصنـاعة كلهـا يدويـة، والحرب بـالقوس والسهم والسيف، فكـان يلذ للنـاس اذا قـرأوا أن يكـون الكتـاب مسهبـاً مـطولاً حتى تـدوم التسلية وقتاً طـويلاً. وهـذا ما يبـرر ظهور مؤلفـات طويلة مثـل ألف ليلة وليلة وقصص عنترة وأبي زيد الهـلالي والشاهنـامة في الشـرق، والكوميـديا الالهية لدانتي ودون كيشوت لسير فانتس في الغرب(٢).

---

(١) انظر د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١٠٩.
(٢) المرجع السابق ص ١١١.

أما اليوم، فالسرعة التي تعمل بها الطائرات والآلات الحاسبة والمطابع، واللاسلكي والمصانع ذات الانتاج الآلي وغير ذلك من وسائل الحياة الحديثة، كل ذلك لا يسمح مادياً ولا نفسياً بأن يأخذ الأسلوب البطيء في القصص أو المسامرة أو التأليف مكانه في المجتمع. فلو قرأنا مثلاً عدداً من صحيفة يومية صدر اليوم، وعدداً آخر من نفس الصحيفة صدر منذ خمسين عاماً، لأحسسنا على الفور بالفرق الهائل في طريقة الكتابة وأسلوبها، بل وفي طبيعة الألفاظ والتراكيب نفسها، والى أي مدى تغيرت وتطورت نتيجة للتغير والتطور الذي حدث في المجتمع.

وكما يؤثر المجتمع بمعناه الواسع في تطور اللغة، فان اللغة أيضاً تتأثر بالمجتمعات الضيقة في داخل المجتمع الواحد، فتظهر ألفاظ وتعبيرات خاصة بأفراد هذه المجتمعات لا يكاد يعرفها غيرهم. وقد تتبع بعضها الدارسون واللغويون(١). وسوف نشير فيما بعد الى مثل هذه المجتمعات في العصر العباسي، ونتتبع بعض ألفاظها وعباراتها بالدرس والتحليل(٢).

ننتقل بعد هذا الى العامل الثالث من العوامل المؤثرة في تطور اللغة ونموها وهو:

٣ ـ الصراع اللغوي:

تشبه اللغة الحضارة في أن كلا منهما نادراً ما تنغلق على نفسها، فالضرورات التي تلجيء حضارة ما للتأثر بحضارة أخرى تجاورها، هي بعينها التي تدفع احدى اللغات للتأثر بلغة أخرى مجاورة لها أيضاً، أو دخيلة

---

(١) انظر د. السامرائي، التطور اللغوي التاريخي ص ١٤٤ وما بعدها.
وانظر أيضاً د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١١٣ وما بعدها.
ود. عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع هامش ص ١٥١ حيث سجل بعض المفردات الخاصة بالصيادين والبحارة في رشيد.

(٢) انظر هذا البحث ص

عليها. وقد يتم ذلك عن طريق اتصال مباشر بين اللغتين، أو عن طريق غير مباشر. وتختلف طبيعة الصراع الذي ينشأ بين اللغتين. فأحياناً يكون سلمياً قائماً على تبادل المنافع الحضارية كالفن والعلم والدين، أو عنيفاً بغرض الغزو والفتح(١) وينشأ هذا الصراع عن عوامل كثيرة أهمها عاملان:

أ - أن ينزح الى أحد البلاد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهل هذا البلد.

ب - أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة فيتبادلان المنافع، وتتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادي والثقافي(٢).

أما بالنسبة للعامل الأول فيحدث ذلك على أثر فتح أو حرب أو استعمار أو هجرة، حين ينزح عنصر أجنبي يتكلم لغة غير لغة أهله، فتشتبك اللغتان في صراع ينتهي، إما بأن تنتصر احداهما على الأخرى فتصبح لغة السكان، أصيلهم ودخيلهم وإما ألا تقوى احداهما على الأخرى فتعيشان جنباً الى جنب.

وهنا تتدخل عوامل أخرى لكي تحسم هذا الصراع، فاذا كانت احدى اللغتين المتصارعتين ذات حضارة منحطة، وعدد المتكلمين بها يزيد زيادة كبيرة عن عدد المتكلمين باللغة الأخرى، كانت الغلبة من نصيب أكثرهما عدداً، سواء كانت لغة الغالب أم المغلوب، لغة الأصيل أم الدخيل. وذلك لأنه عند أنعدام النوع يتحكم الكم في مصير الأمور، ولا تحدث هذه النتيجة الا اذا كانت اللغتان المتصارعتان من شعبة لغوية

---

(١) انظر الباب الثاني من هذا البحث عن علاقة اللغة العربية باللغات الأخرى بعد الفتح الاسلامي ص وأنظر أيضاً: Sapir language p. 192.

(٢) انظر د. عبد الواحد وافي، علم اللغة ص ٢٠٨، وانظر أيضاً لنفس المؤلف / اللغة والمجتمع ص ٩٥.

واحدة، أو من شعبتين متقاربتين. والأمثلة على ذلك كثيرة[1].

وقد يحدث أحياناً أن تتغلب لغة على أخرى من غير فصيلتها، ولكن هذه الظاهرة نادرة الحدوث، ولا يتم التغلب فيها إلا بصعوبة وبعد أمد طويل. أما إذا كان الشعب الغالب أرقى حضارة من الشعب المغلوب، وأشد منه بأساً، وأوسع نفوذاً، ففي هذه الحالة يكتب النصر للغة الشعب الأول، وان قل عدد أفراده، على شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية. وأن تكون اهللغتان من شعبة لغوية واحدة. ومثال ذلك سيادة اللغة الأسبانية أو البرتغالية بين شعوب أمريكا اللاتينية وسيادة الانجليزية في أمريكا الشمالية[2].

أما إذا لم تقو أحداهما على التغلب على الأخرى، فغالباً ما تعيش اللغتان جنباً الى جنب. فاللغة اللاتينية لم تقو على اللغة الاغريقية، مع أن الأولى كانت لغة الشعب الغالب، وذلك لأن لغة الاغريق، مع خضوعهم للرومان، كانوا أعرق منهم حضارة، فعاشت اللغتان جنباً الى جنب. ولكن عدم تغلب احدى اللغتين على الأخرى لا يحول دون تأثر كل منهما بالأخرى.

وأما بالنسبة للعامل الثاني، وهو تجاور شعبين مختلفي اللغة، فقد ينتهي الصراع أيضاً بتغلب احداهما على الأخرى، أو ببقائهما جنباً الى جنب. وغالباً ما يكون الانتصار لتلك التي يتكلم بها عدد كبير من

---

(١) انظر د. عبد الواحد وافي، «علم اللغة ص ٢٠٩ وما بعدها، و «اللغة والمجتمع» ص ٩٧ وما بعدها حيث ضرب عدة أمثلة منها أن الانجليز السكسونيين حينما نزحوا من أواسط أوروبا الى انجلترا، لم تلبث لغتهم أن تغلبت على اللغات السلتية التي كان يتلكم بها السكان الأصليون، وذلك لأن عدد من بقي من السلتيين بهذه الأقاليم لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب عدد المغيرين. وكلا الشعبين كان همجياً منحط الثقافة، وكلتا اللغتين تنتمي الى فصيلة اللغات الهندية الأوروبية.

(٢) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١٢٨.

الشعبين. ثم يتزايد عدد أفراده فيشتد ضغطه على حدود الشعب المجاور له. وتكثر تبعاً لذلك عوامل الاحتكاك والنزاع بين اللغتين. وفي هذه الحالة قد تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة المناطق المجاورة له، على شريطة ألا يقل عن أهلها حضارة وثقافة، مثال ذلك طغيان اللغة الألمانية على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لألمانيا كسويسرا وبولونيا والنمسا[1].

وقد يتم تغلب احدى اللغتين المتجاورتين عن طريق تغلغل نفوذ أحد الشعبين في الشعب المجاور. وفي هذه الحالة أيضاً تتغلب لغة الشعب القوي النفود، شريطة ألا يقل عن الآخر في حضارته وثقافته. والأمثلة على ذلك كثيرة، فلغة شعوب الباسك قد أخذت تنهزم أمام اللغة الفرنسية في المناطق التي تغلغل فيهانفوذ الفرنسية، وأمام اللغة الأسبانية في المناطق التي تغلغل فيها نفوذ الأسبانية[2].

وغنى عن البيان أن أي انتصار للغة على أخرى لا يتم الا بعد أمد طويل قد يبلغ أحياناً بضعة قرون. كذلك لا تخرج اللغة المنتصرة سليمة تماماً من هذا الصراع، بل أن طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها في بعض مظاهرها وخاصة في مفرداتها. يقول « سابير » ان أبسط مظاهر التأثر التي تمارسه لغة على أخرى يتمثل في اقتراض الكلمات[3].

وفي هذه الناحية تنشط حركة التبادل بين اللغات المتصارعة ويكثر اقتباس إحداهما من الأخرى. وقد تذهب بعض اللغات الى مدى بعيد في هذا السبيل، فتقتبس معظم مفرداتها، أو قسماً كبيراً منها، كما فعلت اللغة التركية مع اللغتين العربية والفارسية، وكما فعلت السريانية مع اليونانية،

(١) د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ص ٢١٩.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة

(٣) Sapir, language, p. 193.

والفارسية مع العربية، وهي الظاهرة المعروفة في علم اللغة باسم الاقتراض اللغوي وسنتعرض لها بالتفصيل، وخاصة بالنسبة للعربية، في الفصل الثاني من هذا الباب[١].

وأما قواعد التركيب وأساليب النطق (الصوت) فلا تنتقل غالباً من لغة الى أخرى الا بعد صراع طويل بين اللغتين. وفي الغالب تخضع الألفاظ الدخيلة لنوع من التعديل الصوتي في نطق الكلمات يتناسب مع صوتيات اللغة التي دخلت فيها، فينالها الكثير من التغير خفي أصواتها وطريقة نطقها[٢]. فالكلمات التي أخذتها العربية مثلاً من الفارسية أو اليونانية قد صبغ معظمها بصبغة اللسان العربي، كما سنرى ذلك فيما بعد.

وأما بالنسبة لقواعد التركيب، فانه من العسير تصور لغة تنقل عن لغة أخرى طرق التركيب فيها، خاصة إذا كانت كل لغة من اللغتين المتصارعتين من عائلة لغوية مخالفة للأخرى، اذ أن زعزعة النظام النحوي للغة يؤدي في النهاية الى موتها[٣]. أما اذا كانت اللغتان من عائلة لغوية واحدة، كاللغة العربية واللغة العبرية مثلاً فأمر جائز، وان كان من العسير كذلك تتبعه، اذ أن أوجه التشابه تكون واحدة حتى يصعب على الباحث ادعاء أن تركيباً معيناً انتقل من العربية الى العبرية أو العكس، لأن تركيب الجملة في كل منهما واحد. فالجملة في العبرية، كما نعلم، أما أن تكون اسمية. من مبتدأ وخبر، أو فعلية، .وكذلك في العبرية كما تبدو وجوه الشبه قوية الى حد كبير في الضمائر وأسماء الاشارة والحروف التي تستعمل في العطف والجر ونحوهما.

---

(١) انظر هذا البحث ص ١٠٩ وما بعدها.

(٢) Sapir, language, p. 197.

وأنظر أيضاً: هنري فليش، العربية الفصحى ص ٧٨.

(٣) Sapir, language, p.p 205 - 206.

وهكـذا نرى أن الصـراع بين اللغـات يتولـد عنه تغـير وتطور يصيب احدى اللغتين المتصارعتين، أو يصيبهـما، معاً. وغـالباً مـا تتأثـر كل منهـما بالأخرى، حتى ولو هزمت احداهما أمام الثانية. وهذا القانون شبـه حتمى تخضـع له اللغـات جميعاً، اذ من الصعب تصـور لغـة مـا بمنـأى عن هـذا الصراع، وبالتالي لم تتأثر به، وحافظت على نقائها الى الأبد.

تلك هي أهم العـوامل التي تؤثـر في اللغة فتـدفعها في طـريق التطور والنمو، وهي، كما رأينا عوامل تتفق جميعاً في أنها أمور خارجـة عن اللغة، ومع ذلك فهي تؤثر على أصوات اللغة ومفرداتها وقواعد الصرف والتركيب فيها أحياناً فتغيرها. ولكن هناك، بالاضافة الى هذه العوامل الثلاثة، وهي كما قلت عوامل خارجة عن اللغة، عـوامل أخـرى داخلية تنبـع من طبيعة اللغة ذاتها فتؤثر في تطورها وخاصة بالنسبـة لأصواتهـا. فأصـوات الكلمة الـواحدة يتفـاعل بعضهـا مع بعض، وقـد يحل صـوت محل صـوت آخر. وأحياناً يكون لموقع الصوت في الكلمة أثر في تطورها[١].

بقي بعـد ذلك أن نشـير الى عامـل أخـير خله أثـره، وان لم يـرق الى العوامل السـابقة، وهـو العامـل الفردي. وقـد اعتبره بعض العلماء ضمن العوامل المؤثرة في تطور ونمو اللغة، وفي ذلـك يقول ادوارد سـابير انـه من المستحيل على فردين يعشان في منـطقة واحـدة ويتكلمات بلهجـة واحدة، ويكون لكل منهما نفس عادات الآخر في الكلام. فلو تتبعنا، ولو لمدة دقيقة واحدة، كلام كل منهما، لوجدنا عدداً لا حصر له من الاختلافات، سـواء في طريقة الكلام أم في اختيار الكلمات، أم في تركيب الجمل، وكذلك في طريقة نطق كل منهما للحروف[٢].

---

(١) راجع د. ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ١٣٥ ـ ١٤٢.
د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ص ٢٧٢ ـ ٢٨٥.
(٢) Sapir, language p. 147.

هذا الاختلاف، كما يرى سابير، يؤدي شيئاً فشيئاً الى احداث تغير وتطور في اللغة. ويمكن لنا أن نلاحظ ذلك فعلاً، فمثلاً اذا استمر فرد ذو مكانة اجتماعية مرموقة في النطق على نحو جديد بصوت من الأصوات، أو اضافة عنصر من عناصر اللغة كحرف جر أو غيره الى لفظ من الألفاظ، أو استخدم كلمة جديدة ابتكرها هو، أو استخدم أسلوباً جديداً ثم سمعه الناس وأعجبوا به عن وعي أو دون وعي، النتيجة، كما سنرى، هي حدوث تطور وتغير لغوي. وقد غالى بعض الباحثين[1] في أهمية هذا العامل الفردي في الاستخدام اللغوي وجعلوه أساساً من أسس التطور والتغير، ولكنه في الحقيقة ذو أثر محدود بجانب العوامل الأخرى الت ذكرتها.

اللغة اذن، كاما رأينا، نظام من الرموز الصوتية يؤدي وظيفة في المجتمع، ويتأثر بالعلاقات المختلفة فيه، ومعرفة نوعية هذه العلاقات وصلتها باللغة تضع الباحث اللغوي أمام تلك العوامل التي تحدث التطور والنمو في أي لغة من اللغات.

ولكن هناك سؤالاً هاماً لابد من الاجابة عليه قبل أن نختم هذا الجانب من البحث وهو: ما موقف علماء العربية القدماء من عوامل التطور اللغوي؟ هل فطنوا اليها؟ هل عرفوا طبيعة العلاقات التي ترتبط بها اللغة؟ هل أثبتوا في دراساتهم تلك العلاقة الحيوية بين اللغة والمجتمع وبين اللغة والفكر، وبين اللغة واللغات الأخرى، والتي تدفع اللغة الى التطور والتغير؟ ان الاجابة على هذه الأسئلة وغيرها سيكون هو موضوع الجزء التالي من هذا الفصل، وهو أمر يحتمه منهج البحث، فضلاً عما فيه من تأصيل لفكرنا اللغوي القديم أراه جديراً باهتمام الباحثين المحدثين من العرب في شتى مجالات المعرفة، وفي الدرس اللغوي بشكل خاص.

---

(١) انظر د. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٣٩.

٣ ـ علماء العربية وعوامل التطور اللغوي

من الثابت أن علماء العربية القدماء أبدوا اهتماماً واسعاً وعميقاً بالبحث اللغوي على كافة مستوياته الصوتية واللفظية والصرفية التركيبية، ولهم في ذلك آراء قامت على منهج في الفهم قد يختلف قليلاً أو كثيراً عما استقرت عليه الأبحاث الحديثة في علم اللغة وفقهها، فهم لم يحاولوا وضع نظريات عامة تنظم اللغة العربية وغيرها من اللغات. ولم يصبوا ملاحظاتهم في قالب منهجي واضح، وانما عبروا عن آرائهم اللغوية من خلال درسهم العميق للغة العربية باعتبارها لغة للنص القرآني الكريم. ومن ثم كان على الباحث الذي يريد تأصيل الفكر اللغوي العربي أن ينقب في أمهات الكتب اللغوية كالمعاجم وكتب النحو والصرف، بل وفي كتب الفقه والتشريع والتفسير أيضاً حتى يعثر على تلك الآراء والملاحظات. وسأكتفي هنا بذكر بعض الملاحظات التي فطن اليها علماء العربية فيما يتصل بعوامل التطور اللغوي مبيناً مدى التفاتهم لهذا العامل أو ذاك، وهم كما أشرت، لم يحاولوا وضع نظريات في هذا الشأن وانما هي آراء ولامحظات تخطر لهم أثناء درسهم للعربية فيثبتونها. ولعل ما يشفع لهم في هذا التصور هو ظهور بعض الحقائق العلمية التي لم يكن من الممكن الكشف عنها الا في عصرناالحديث، بما أحرزه من تقدم وتطور في مناهج البحث العلمي ووسائله. ولنأخذ مثالاً على ذلك مخارج الأصوات عند سيبويه (ت حوالي ١٨٠ هـ) فإننا نجد تقسيمه لها قائماً على أساس الفصل بين المخرج والصفة، على حين مضى اللغويون المحدثون الى عدم الفصل بينهما باعتبار أن الصوت وحدة لغوية متكاملة، وعلى الرغم من أن الخلاف بينهما اعتباري، فقد حاول المحدثون وضع مصطلحات مغايرة لما وضعه سيبويه. ومن الجائز أن يكون في محاولة سيبويه بعض النقص نظراً لاعتماده، في تحديد المخارج أو الصفات على معلومات عصره، التي لم

تكن وليدة التجربة العملية أو التشريح[1]، وهكذا نرى أن طبيعة الفترة التي وضعت فيها أسس البحث اللغوي العربي لعبت دوراً في قصور بعض المفاهيم. ومع ذلك فان الباحث المدقق يعثر على لمحات وآراء تكاد تطابق أحياناً تلك التي نادى بها المحدثون. فمثلاً بالنسبة لمحاولة سيبويه السابقة نجد أن اللبس عنده في تحديد مخارج وصفات الحروف كان منحصراً في المنطقة الي خفيت عنه في الحنجرة فلم يتبين دورها في تحديد الجهر والهمس، نتيجة لنقص المعلومات التشريحية. ومع ذلك فقد أحس سيبويه بها فيما أطلق عليه « صوت الصدر » مقابل ما أطلق عليه أيضاً « صوت الفم » وهو وصف يقترب من الحقيقة العلمية، حتى يصبح منها قاب قوسين أو أدنى[2].

هذا مثال واحد، بالنبة لمستوى واحد من مستويات البحث اللغوي لعالم عربي عاش في أواخر القرن الثاني الهجري تقريباً، فما بالنا بمستويات البحث اللغوي الأخرى؟ ولعله من الأفضل لنا أن نتساءل مباشرة عن موقف علماء العربية القدماء من عوامل التطور اللغوي ونمو اللغة، وهو الأمر الذي يعنينيا الآن.

الحقيقة أن ادراك علماء العربية لطبيعة اللغة باعتبارها أداة للفكر وصورته المادية، ثم باعتبارها ظاهرة اجتماعية تنشأ من طبيعة الاجتماع، هذا الادراك وحده يعتبر اللبنة الأولى في التفاتهم الى بعض جوانب فكرة التطور اللغوي الذي يعتور اللغة فتنمو وتتغير عبر الزمن. وفيما يلي سوف نقف أمام كل عامل من عوامل التطور اللغوي التي ذكرناها آنفاً مبينين آراء علماء العربية وغيرهم من علماء المسلمين وموقفهم منه.

أما بالنسبة لعلاقة اللغة بالفكر، فقد عرفنا فيما سبق أن من أخص

---

(١) هنري فليش، العربية الفصحى ص ١٥.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

صفات اللغة أنها تعبير عن الفكر، تتأثر به فتنمو وتتطور، وفي نفس الوقت تعطيه الوجود والحياة ممثلاً في ألفاظ وتراكيب. وقد طرحت هذه المشكلة نفسها على العلماء العرب القدامى في صورة تختلف قليلاً عما نعرفه في الأبحاث اللغوية الحديثة، فقد بحثوها فيما يعرف عندهم باسم مشكلة «اللفظ والمعنى». أما المحدثون فقد كانوا أكثر شمولاً وأوسع ميداناً فبحثوها فيما عرفناه من قبل باسم مشكلة اللغة والفكر، أو علاقة الفكر باللغة. فهي دراسة أو نوع من البحث شغل، كما رأينا وسنرى، القدماء والمحدثين على السواء.

ولن نحاول هنا تسجيل التتبع الدقيق لعلماء العربية لهذه المشكلة، ولكن سنكتفي بذكر المثل أو المثلين للتدليل على جانب من جوانب البحث اللغوي الحديث الذي شارك فيه علماؤنا الأقدمون بجهود تستحق الدراسة والتأصيل.

نحن نعرف أن مشكلة اللفظ والمعنى قد تناولها بالبحث اللغويون والأدباء والنحاة والبلاغيون والمفسرون والفقهاء وعلماء الكلام[1]، فهي مشكلة لم يختص بها الدرس اللغوي وحده، وانما هي مشكلة الفكر الانساني في ارتباطه بالألفاظ والتراكيب ويرى الدكتور السيد خليل أن علماء أصول الفقه كانوا أول من شغل بمشكلة اللفظ والتراكيب ويرى الدكتور السيد خليل أن علماء أصول الفقه كانوا أول من شغل بمشكلة اللفظ والمعنى تاريخياً. وذلك لارتباطها بالحكم الذي يراد فهمه وتطبيقه، اذ الحكم في عامة أمره لا يخاطب الوجدان وانما يخاطب العقل الذي هو مناط التفكير ودعامة الاقناع ووسيلة الفهم، وفي سبيل استنباط الحكم وتحديد طريقة تطبيقه، أخذت اللغة تتجه الى الاصطلاح[2].

---

(١) راجع د. سيد خليل، دراسات في القرآن ص ٤٧ ـ ٥٥ حيث يعرض لمشكلة اللفظ والمعنى في تلك البيئات المختلفة.

(٢) د. السيد خليل، دراسات في القرآن ص ٣٧.

وفكـرة الاصطلاح هـذه هي جـزء من مشكلة العـلاقـة بـين اللغـة والفكر كما أشرت من قبل[1]. وهنا نجد أن المقـدمة اللغـوية لعلم أصـول الفقـه هي المكان المنـاسب الذي نبحث فيـه عن تصـور الأصـوليـين لهـذه العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو بين اللغة والفكر.

وفي هذه المقدمة نجد نظرات صائبة في اللغة وطبيعتهـا ونشأتهـا، فهم يقررون باديء ذي بدء أن اللغة اصطلاحية، وأنها عبارة عن رموز صـوتية خص بها النوع الانساني. يقول الآمـدي (ت ـ ٦٣١ هـ): « اعلم أنه لمـا كان نوع الانسان أشرف موجود في عالم السفليات لكونه مخلوقـاً لمعرفـة الله تعـالى التي هي أجل المـطلوبات وأسنى المـرغوبـات، بما خصـه الله بـه من العقل الذي به ادراك المعقولات والميز بين حقائق الموجودات. ولما كان هذا المقصود لا يتم دون الاطلاع عـلى المقدمـات النظريـة المستندة الى القضـايا الضرورية المتوسل بها الى مطلوباته وتحقيق ما جاء بـه، وكان كـل واحد لا يستقل بتحصيل معـارفه بنفسـه وحده دون معـين ومساعـد له من نـوعه، دعت الحاجة الى نصب دلائل يتوصل بها كل واحد الى معرفة مـا في ضمير الآخر من المعلومات المعينة له في تحقيق غرضه، وأخف ما يكون من ذلـك ما كان من الأفعـال الاختياريـة، وأخف من ذلك مـا كان منهـا لا يفتقر الى الآلات والأدوات، ولا فيه ضرر الازدحـام ولا بقاء لـه مع الاستغنـاء عنه وهو مقدور عليه في كل الأوقـات من غير مشقـة ولا نصب، وذلك هـو ما يتـركب من المقاطـع الصوتيـة التي خص بها نـوع الانسان دون سائر أنواع الحيوان عناية من الله تعالى بـه، ومن اختلاف تـركيبات المقـاطع الصـوتية حدثت الدلائل الكلامية والعبارات اللغوية »[2] هذا هو مفهوم اللغة عنـد الأصوليين ومنه تتضح الحقائق الآتية:

---

(١) انظر هذا البحث ص ٢٠ .

(٢) انظر الأمدي، الأحكام في أصول الأحكام ١/١٦ - ١٧.

١ ـ اللغة رموز صوتية دالة على معنى .

٢ ـ اللغة ظاهرة اجتماعية اذ « كل واحد لا يستقل بتحصيل معارفه بنفسه وحده دون معين ومساعد » .

٣ ـ اللغة تعبير عن الفكر ودليل عليه « دعت الحاجة الى نصب دلائل يتوصل بها كل واحد الى معرفة ما في ضمير الآخر من المعلومات » .

ولست في حاجة الى أن أشير مرة أخرى الى أن هذا المفهوم الدقيق لطبيعة اللغة وعناصرها هو ما أسفرت عنه أحدث الأبحاث اللغوية المعاصرة، فإذا انتقلنا الى علاقة اللفظ بالمعنى أو علاقة اللغة بالفكر، وجدنا ذلك عندهم فيما أسموه « أقسام الدلالة » .

فالعبارات اللغوية أما أن لا تكون موضوعة لمعنى، أو هي موضوعة لمعنى. والقسم الأول مهمل لا اعتبار به[١] أي ذلك القسم الذي لا يكون موضوعاً لمعنى. وهنا نجد أن قصد المعنى عندهم شرط أساسي في طبيعة اللغة. اذ لا لغة حيث لا معنى، ولذلك يقسمون العبارات اللغوية، من حيث الدلالة على المعنى الى نوعين:

أما أن يكون اللفظ الدال بالوضع مفرداً أو مركباً[٢]. وفي كلامهم عن حقيقة المفرد يتضح قصد المعنى الذي أشرت اليه فالآمدي يقرر هنا أن دلالات الألفاظ ليست لذواتها، بل هي تابعة لقصد المتكلم وارادته. فإذا قلنا « ان » من قولنا انسان، وهي، وان دلت على الشرط فليست في هذه الحالة جزءاً من لفظ الانسان، على الرغم من أنها كانت كذلك لأن قصد معنى « ان » الشرطية غير متحقق[٣]، فالعلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة ارادية تلعب فيها القوى المفكرة في الانسان دوراً في ربط الدلالات

---

(١) الآمدي : الاحكام في اصول الاحكام نفس الصفحة .

(٢) المصدر السابق ١٨/١ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة. وأنظر أيضاً الفخر الرازي، التفسير الكبير ٢٢/١ .

بالألفاظ للتعبير عن المتصور أو المذكر. فوضع لفظ ما ازاء معنى معين هو نتيجة القصد، أي، من عمل الفكر. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى نارهم يقسمون الدلالات الى أنواع، وهم في هذا التقسيم يدركون حقيقة ارتباط الألفاظ بالقوى الفكرية في الانسان. يقول الآمدي في أقسام دلالة اللفظ:

« وهو أما أن تكون دلالته لفظية، أو غير لفظية. فاللفظية، أما أن تعتبر بالنسبة الى كمال المعنى الموضوع له اللفظ أو الى بعضه:

فالأول: دلالة المطابقة كدلالة لفظ الانسان على معناه.

والثاني: دلالة التضمني كدلالة لفظ الانسان على ما في معناه من الحيوان أو الناطق. والمطابقة أعم من التضمين لجواز أن يكون المدلول بسيطاً لا جزء له »[1].

وهنا نلاحظ دقة التقسيم المنطقي للدلالة. وهو تقسيم، ربما يكون متأثراً بالمنطق الفلسفي الى حد ما. ومع ذلك فالحديث عن دلالة المطابقة أو دلالة التضمين في النص السابق يضعنا أمام حقيقة هامة، وهي أن المعنى، أو الدلالة لا يمكن أن تظهر الا من خلال اللفظ، فهي متعلقة به، سواء بصورة مطابقة أم متضمنة. ثم لا يقفون عند هذا القدر من تحديد دلالة اللفظ، وانما يخطون خطوة أخرى فيما يتعلق بالدلالة من حيث استدعاء دلالات أخرى مرتبطة هي أيضاً باللفظ. يقول الآمدي:

« وأمّا (الدلالة) غير اللفظية فهي دلالة الالتزام، وهي أن يكون اللفظ له معنى وذلك المعنى له لازم من خارج، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ الى لازمه. ولو قدر عدم هذا الانتقال الذهني، لما كان ذلك اللازم مفهوماً[2].

---

(١) المصدر السابق ١/١٩.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

وهنا نلاحظ مرة أخرى مدى ارتباط المعنى باللفظ عندهم. فاللفظ يستدعي المعنى، وبالتالي يستدعي المعنى اللفظ، وهي عين العلاقة التي أشرنا اليها من قبل أن اللغة تستعين بالفكر، ويستعين الفكر بها. والعلاقة بينهما كعلاقة الروح بالجسد لا يتحقق أي منهما الا في وجود الآخر. وهكذا نرى الى أي مدى انتبه الأصوليون الى حقيقة العلاقة بين اللغة والفكر، فأصلوا القول فيها بما يتفق وأحدث النظريات العلمية الحديثة التي تناولت تلك العلاقة بالدراسة والبحث.

أما من ناحية علاقة اللغة بالمجتمع، فنجده عند علماء العربية في مبحث نشأة اللغة وأصلها أو ما عرف عندهم باسم « القول على لغة العرب، أتوقيف أم اصطلاح[1]. وفي خضم المناقشات التي دارت حول هذا الموضوع تطفو الفكرة التي تقول ان اللغة ظاهرة اجتماعية. ويصور لنا ابن جنى (ت ـ **٣٩٢** هـ) موقفه بين فكرتي الاصطلاح والتوقيف، وهو في نفس الوقت يلخص لنا تلخيصاً دقيقاً الآراء التي ترددت حول هذا الموضوع، فيقول « هذا موضوع محوج لفضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف. الا أن أبا على رحمه الله (يعني أبا على الفارسي أستاذه (ت **٣٧٧** هـ) قال لي يوماً هي من عند الله، واحتج بقوله سبحانه « وعلم آدم الأسماء كلها » وهذا لا يتناول موضع الخلاف. وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة. فإذا كان ذلك محتملاً غير مستنكر سقط الاستدلال به. وقد كان أبو علي رحمه الله أيضاً

---

(١) ابن فارس، الصاحبي ص **٣١** وما بعدها. وانظر أيضاً، ابن جنى، الخصائص ١/ ٤٠ ـ ٤٧.
والسيوطي، المزهر ١/ ٨ ـ ٢٨ حيث جمع قدراً طيباً من الآراء التي ترددت بين علماء العرب حول هذا الموضوع.

قـال به في بعض كـلامه. وهـذا أيضاً رأي أبي الحسن (يعني الأخفش (ت ٣١٥ هـ)).

على أنه لم يمنع قول من قال أنها تواضع منه[١]. ثم بـين لنا بعـد ذلك طرق المواضعة المختلفة التي يحتمل أن يكون الانسـان الأول قد بـدأ وضع اللغة بها[٢] ويشـير في أثناء ذلـك اشارة واضحـة الى تطور اللغـة وارتباطـه بتطور المجتمع. وأن هـذا المجتمع، يصنـع بمحض ارادته ألفـاظاً جـديدة للمعاني الجديدة، وهو ما نص عليه بقوله « وعلى هذا ما نشاهـده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجار والصائغ والحائـك والبناء، وكذلك الملاح[٣] ثم يقول بعد ذلـك ». واعلم فيما بعـد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع فأجدالدواعي والخوالج قـوية التجـاذب لي، مختلفة جهـات التغـول عـلى فكـري، وذلـك أنني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفـة، وجدت فيهـا من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك على جانب الفكـر حتى يكـاد يـطمح بـه أمام غلوة السحر، فمن ذلـك ما نبـه عليه أصحـابنا رحمهم الله، ومنـه ما حذوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقيـاده وبعد مـراميه وآمـده صحة مـا وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به، وفرق لهم عنه وانضـاف الى ذلك وارد الأخبار المأثـورة بأنها من عنـد الله جل وعـز ـ فقوى في نفس اعتقـاد كونها توقيفاً من الله، سبحـانه وتعـالى وأنها وحي. ثم أقول في ضـد هذا كـما وقع لأصحـابنا ولنـا، وتنبهوا وتنبهنـا على تـأمل هـذه الحكمة الـرائعة الباهرة. كذلك لا ننكـر أن يكون الله تعـالى قد خلق من قبلنـا، وان بعد مداه عنا، من كان ألطف من منا ذهناً وأسرع خواطر وأجرأ جناناً فأقف بين تين الخلتين حسيراً وأكاثـرهما فـأنكفيء مكثوراً وان خـطر خاطـر فيما بعـد

(١) ابن جنى، الخصائص ١/ ٤٠ ـ ٤١.
(٢) المصدر السابق ١/ ٤٤ ـ ٤٧.
(٣) المصدر السابق ١/ ٤٥.

يعلق الكف باحدى الجهتين، ويكفها عن صاحبتها قلنا به[1] ومهما يكن من شيء فان هذا التردد من ابن جني ليس الا تشريفاً لعلامة العربية القديم ذلك أن واحداً من جهابذة الباحثين المعاصرين، هو الأستاذ ج ريفيز، أستاذ علم اللغة في جامعة أمستردام، قد خصص لهذاالموضوع كتاباً كاملاً[2]. عرض فيه جميع الاحتمالات ووجهات النظر التي قيلت، وما تزال تقال، حول نشأة اللغة، وألم فيه بمذاهب العلماء القدامى والمحدثين، ولكنه لم يستطع في النهاية الا أن يقرر أن اللغة ظاهرة اجتماعية انسانية في وضعها الذي نعرفه. أما أصلها الأول فتوقف فيه وتردد كما توقف ابن جني من قبل[3]. ومع ذلك فالباحث المتأمل لكلام ابن جني يشعر بميله حقاً للقول باصطلاحية اللغة، وبالتالي لفهمه لحقيقة انسانيتها، ويؤيد ذلك تعريفه لحد اللغة الذي ذكرناه في بداية هذا الفصل، والذي يقول فيه « اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[4] ففكرة التعبير وكلمتا القوم والأغراض تنتهي جميعاً الى المواضعة والاصطلاح، أو بمعنى آخر أن اللغة عنده ظاهرة اجتماعية.

ويؤكد تصور ابن جني للغة على أنها ظاهرة اجتماعية ما ذلك في موضع آخر من كتابه الخصائص تحت « باب في هذه اللغة: أفي وقت واحد وضعت، أم تلاحق تابع منها بفارط » حيث يقول عن النمو اللغوي « قد تقدم في أول الكتاب القول على اللغة أتواضع هي أم الهام، وحكينا وجوزنا فيها الأمرين جميعاً، وكيف تصرفت الحال، وعلى أي الأمرين كان ابتداؤها فانها لابد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها، ثم احتيج فيما بعد

---

(١) ابن جنى، الخصائص ١/٤٧.

(٢) G. Revesy, origine et prehistoire du langug.

أنظر هامش ص ٦٠ من كتاب اللسان والانسان لأستاذنا الدكتور حسن ظاظا.

(٣) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ٦٠.

(٤) الخصائص، ١/٣٣، وأنظر أيضاً ص ١٥ من هذا البحث.

الى الزيادة عليه لحضور الداعي اليه فزيد فيها شيئاً فشيئاً، الا أنه على قياس ما كان سبق منها في حروفه وتأليفه واعرابه المبين عن معانيه، لا يخالف الثاني الأول ولا الثالث الثاني كذلك متصلاً متتابعاً »[1] .

اللغة اذن عند ابن جنى تنمو وتتطور لحضور الداعي، فيزاد فيها شيئاً فشيئاً، ولكن وفقاً لطبيعتها ومنهجها الخاص في التعبير. والحقيقة أن الباحث المعاصر يستطيع أن يفهم الكثير من كلمة « الداعي » هذه التي ذكرها ابن جنى في النص السابق. ولأمر ما لم يفصل في شرحها، ولو فعل لذكر بلا شك العوامل الفكرية والاجتماعية في مقدمة الدواعي التي تدفع اللغة نحو النمو والتطور، وهو ما استقر عليه فهم المعاصرين اليوم لأسباب التطور اللغوي.

ومن العجيب حقاً أن نجد من بين علماء العربية الذين نادوا بفكرة التوقيف من أدرك أن اللغة لابد أن تنمو وتتطور على مر الزمن، ولكن كان هذا الادراك متمشياً مع فكرة التوقيف، وهذا العالم هو ابن فارس (ت **٣٩٥ هـ**) يقول « ولعل ظانا يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف انما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد. وليس الأمر كذلك بل وقف الله ـ جل وعز ـ آدم عليه السلام ـ على ما شاء أن يعلمه اياه مما احتاج الى علمه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم على بعد آدم، عليه السلام، من عرب الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ نبياً نبياً ما شاء الله أن يعلمه حتى انتهى الأمر الى نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتاه الله ـ جل وعز ـ من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة[2].

فهو كما رأينا لا يتصور أن اللغة بدأت كاملة، وانما تعلم آدم منها ما

---

(١) الخصائص ٢/٢٨ ـ ٢٩ .

(٢) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ص ٣٣.
وأنظر أيضاً السيوطي، المزهر ١/٩.

كان في حاجة اليه، أو كما قال فان الله سبحانه وتعالى. علمه ما هو في حاجة اليه في زمانه، ثم أخذت اللغة تنمو وتتطور على يد نبي بعد آخر حتى زمن الرسول عليه السلام فكملت. والحقيقة أن فكرة كمال اللغة في زمن الرسول فكرة نابعة من ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم[1] ولكن على الرغم من ايمان ابن فارس (ت **٣٩٥ هـ**) الواضح بفكرة التوقيف نراه هو نفسه يشير في كتابه الى الأسباب الاسلامية في تغير دلالة الألفاظ وتطورها. يقول « كانت العرب في جاهلتها على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقاربينهم. فلما جاء الله - جل ثناؤه - بالاسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع أخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفى الآخر الأول »[2]، ثم يقول « فكان مما جاء في الاسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب انما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمى المؤمن بالاطلاق مؤمناً. وكذلك الاسلام والمسلم »[3] وهو بهذا يكون قد فطن تماماً الى أثر التطور الاجتماعي والفكري في تطور اللغة ونموها كما نادى به المحدثون ن علماء اللغة في الشرقة والغرب على السواء.

ومن قبل ابن فارس بقرن كامل تقريباً نجد ابن قتيبه (ت **٢٧٦ هـ**) يشير الى ذلك أيضاً اشارة واضحة. فيقول في تفسيره لمدلول لفظة « النفاق في اللغة مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو حجر من حجرته يخرج منه اذا أخذ عليه الحجر الذي دخل فيه فيقال نفق ونافق شبه بفعل اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب آخر. كذلك المنافق يدخل الاسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد ». ثم يضيف بعد ذلك قائلاً « والنفاق لفظ اسلامي لم تكن

(١) راجع الشافعي، الرسالة ص ٤٦.
(٢) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ص ٧٨.
(٣) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ص ٧٩.

العرب تعرفه »[1]. وقد خصص أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ)، لهذا اللون من الألفاظ التي جاء بها الاسلام معجماً كاملاً أسماه « كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية »[2]. ولعل في التفات علماء العربية الى تلك العوامل الاجتماعية في تطور الألفاظ أبلغ رد على ما ذكره الدكتور ابراهيم أنيس في قوله « ان دراسة اللغويين للدلالة في باديء الأمر قد اقتصرت على الناحية الاشتقاقية للألفاظ كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى حتى يتسنى ارجاعها الى أصل معين تفرع الى عدة فروع في لغة واحدة أو أكثر من لغة، ولم تتجه عناية الدارسين حينئذ الى الجانب الاجتماعي وأثره في تطور الدلالات والصور ولا الى المظاهر الانسانية الأخرى ذات الأثر البين في تغيرها وانحرافها. أي أنهم عنوا بالعناصر الداخلية في الألفاظ. ولم يفطنوا الى العوامل الخارجة عنها »[3]. وفي الباب الثاني من هذا البحث سنقف أمام عوامل التطور اللغوي في المجتمع الاسلامي وأثرها في تطور ونمو العربية. أما في الباب الثالث فسنقف أمام عدد من الألفاظ الاسلامية والشرعية فندرس تطورها وما طرأ عليها من تطور[4].

وكما التفت علماء العربية الى البيئة الاجتماعية والفكرية وأثرهما في تطور اللغة ونموها، التفت البعض الآخر الى أثر البيئة المادية وتغيرها في تطور اللغة. فالآثار المادية من خصوبة أو ترف أو رقة وخشونة، أو قبح وجمال كل ذلك يحدث أثره وتعكسه اللغة في ألفاظها وتراكيبها. وفي ذلك يقول القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٦٦ هـ) « فلما ضرب الاسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي الى القرى

---

(١) ابن مطرف الكناني، كتاب القرطين ١/٢٦.
(٢) انظر الكتاب ١/٦ وأنظر أيضاً معالجته لبعض الألفاظ الاسلامية في مواضع متفرقة منه.
(٣) د. ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص ٧.
(٤) أنظر هذ االبحث ص ٢٢٤.

وفشا التأدب والتظرف، واختار الناس من الكلام ألينه وأسهله، عمدوا الى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً وألطفها من القلب موقعاً والى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أساسها وأشرفها، كما رأيتهم يختصرون ألفاظ الطويل فانهم وجدوا للعرب فيه نحواً من ستين لفظة أكثرها بشع شنع »[1]. ويضرب المثل بعدد من هذه الألفاظ ثم يقول: « فنبذوا جميع ذلك وتركوه وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل حتى تسمحوا ببعض اللحن، وحتى خالطتهم الركاكة والعجمة وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق، فانتقلت العادة وتغير الرسم وانتسخت هذه السنة، واحتذروا بشعرهم هذا المثال، وترققوا ما أمكن، وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ فصارت، اذا قيست بذلك الكلام الأول، يتبين فيها اللين »[2].

وما ذهب اليه الجرجاني (ت ٣٦٦ هـ) في هذا النص، معللاً به ذلك التطور الذي ألم بحياة العربية تؤيدة الدراسات اللغوية الحديثة الكاشفة عن أثر الحضارة ونمو اللغة وتطورها بشكل عام[3].

فإذا انتقلنا بعد هذا الى علاقة اللغة باللغات الأخرى وأثر هذا الصراع اللغوي في نمو اللغة، نجد لعلماء العربية ملاحظات مبكرة تدل على التفاتهم لهذه الظاهرة وان شاب نظرتهم نوع من المعيارية التي يرفضها الدرس اللغوي الحديث. وقد بدأ ذلك بسؤال حول وقوع المعرب في القرآن الكريم، وقد أفردوا لهذا النوع من الدراسة كتباً مستقلة عرفت باسم لغات القرآن.

---

(١) الجرجاني، الوساطة ص ١٨.
(٢) الجرجاني، الوساطة ص ١٨ ـ ١٩.
(٣) انظر Sapir, language p. p 213 - 25.
وانظر أيضاً Sturtevant, languistic change p.p 103 - 108.
ود. علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع ص ١٠ وما بعدها.

ويـذكـر لنـا ابنُ النـديم (ت ٣٨٥ هـ) عـدداً من هـذه الكتب التي تخصصت في هذا الفن مثل كتـاب « لغات القـرآن » للفراء (ت ٢٠٧ هـ) وكتاب « لغات القرآن » للأصمعي (ت ٢١٦ هـ) وكتاب « لغات القرآن » لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ويقول ابن النديم انه لم يتمه[١].

ويبدو أن أول من يعزى اليـه الكلام في هـذا النوع من الـدراسة هـو عبد الله ابن عباس (ت ٦٨ هـ) فقد ذكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) أنه قـد ورد عنه تفسير بعض ألفاظ من القرآن بأنها بالفارسية والحبشيـة والنبطيـة منهـا قـولـه: « طـه » و « اليم » و « الـطور » و « الـربـانيـون » فيقـال انها بـالسريـانية. و « الصـراط » و « القسـطاس » و « الفـردوس »، يقـال انها بالرومية. و « مشكاة » و « كفلين » يقال انها بالحبشية. و « هيت لك » أنها بالحورانية[٢].

وقـد اختلف الفقهاء وعلماء العـربيـة حـول وقـوع المعرب في القـرآن الكـريم، ولكن أبـا عبيـدة (ت ٢٠٩ هـ) يـوفق بـين المـذهبـين فيقـول: « والصـواب عندي مـذهب فيه تصـديق القولـين جميعـاً، وذلـك أن هـذه الحـروف أصولهـا عجمية كـما قـال الفقهـاء، الا أنها سقـطت الى العـرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفـاظها فصـارت عربيـة، ثم نزل القرآن وقـد اختلطت هذه الحـروف بكلام العـرب. فمن قال انها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق »[٣] ثم ما لبث هذا النـوع من الـدرس أن ابتعد عن القـرآن الكريم واتخـذ لنفسه من اللغـة العربيـة ميداناً فظهرت فيه كتب مستقلة من أشهرهـا كتاب « المعـرب للجواليقي »

---

(١) ابن النديم، الفهرست ص ٥٣.

(٢) السيوطي، الاتقان ١/١٣٧ وما بعدها.

وأنظر أيضاً، المزهر ١/٢٦٨.

(٣) المصـدر السابق ١/٢٦٩. وأنـظر أيضاً الآمـدي، الأحكام في أصـول الأحكـام ١/٦٩ - ٧١.

(ت ٥٤٠ هـ) و « شفاء الغليل » للشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) وفي الفصل الثاني من هذا الباب سنتعرض لظاهرة المعرب والدخيل باعتبارهما من وسائل النمو اللغوي وطرقه[١]. ولكن الذي يهمنا ابرازه هنا هو أن التفات الفقهاء واللغويين على السواء الى وجود ألفاظ غريبة عن العربية سواء في القرآن أم في متن اللغة نفسها يعد من قبيل الانتباه لأثر اللغات بعضها في بعض. والفريق الذي لم ير غضاضة في وقوع المعرب، سواء في القرآن أم اللغة، لاشك أنه قد وضع يده على امكان حدوث الاقتراض بين اللغات، كما أشار اليها المحدثون من اللغويين[٢].

كما يدل التماسهم لأصول بعض الألفاظ الدخيلة أو المعربة في اللغات السامية مثل الحبشية والسريانية والعبرية[٣] على انتباههم لفكرة العائلات اللغوية التي عرفها الفكر الأوروبي في القرن التاسع عشر. ويؤصل أستاذنا الدكتور حسن ظاظا انتباه علماء العربية وغيرهم من علماء الشرق العربي لفكرة القرابات اللغوية فيقول ان تاريخ اللغات وتقسيمها الى عائلات، اذا كان يرجع في أوروبا الى القرن التاسع عشر، فانه في الشرق العربي أقدم من ذلك بكثير. فاللغوي الفرنسي « جان بيرو » يذكر في كتابه « علم اللغة » أن الامام ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) قد ذكر أن اللغة العربية والعبرية والسريانية متفرعة من أصل واحد. كذلك قال الامام اللغوي ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) أن الكنعانيين كانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية[٤] ثم يشير بعد ذلك الى وضوح هذه الظاهرة في الدرس اللغوي عند علماء المسيحيين واليهود الذين نشأوا في ظل الحضارة العربية إذ أن

---

(١) انظر هذا البحث ص ١٠٩ وما بعدها.

(٢) انظر .Sturtevant, linguistic change p.p 121 - 124

وأنظر أيضاً، أولمان، دور الكلمة في اللغة ص ١٤٦ ـ ١٥١.

(٣) انظر السيوطي، الاتقان، ١/ ١٤٠ والمزهر ١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٤) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

أكثرهم كان مضـطراً بحكم دينه الى اتقـان لغة أخـرى، على الأقـل، غير العربية، قد تكون العبرية أو الآرامية أو السريـانية. بـل كان كثـير منهم يعرف لغات أخرى غير العـائلة السامية كالفـارسية والهنـدية واليـونانيـة. وكانوا يشتغلون بالترجمة حيث كانـوا يتبينون بـوضوح درجـة التقارب بـين لغات العائلة الواحدة، ودرجة التباعد بين اللغات المختلفة الأصل.

ففي بغداد كان اليهودي سعدياً بن يوسف الفيومي (ت ٩٤٥) يرأس الحركة العلمية واللغوية العبرية، وكان يتتلمذ على اللغويين العـرب ويحذو حذوهم. بل كان يفسر الألفـاظ العبريـة المشكلة في التوراة بما يقاربها في اللفظ العـربي. وقد تـرجم التوراة الى اللغـة العـربيـة فكـان يختـار أقـرب الألفـاظ العربيـة من نطق اللفـظة العبريـة كلما أمكنه ذلـك. وفي المغـرب والأنـدلس ظهر فـوج من علماء اليهود اقتبسـوا مناهـج اللغـويـين والنحـاة العرب وطبقوها أيضاً عـلى اللغة العبـرية. ثم يـأتي شيخ نحـاة اليهود بـلا منازع « مروان بن جناح القرطبي » المتـوفي في سرقسـطة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، فيكشف الصلة المتنية من حيث الأصل بين عدد لا بأس به من اللغات السامية، وفي مقدمتها العبرية والعربية وقد ألف باللغة العربية كتاباً في النحو العبري سماه كتاب اللمع[١].

وفي مقـدمة هـذا الكتاب يـذكـر مـروان بن جنـاح منهجـه في دراسـة القـواعد وتفسـير مشكلات اللغـة فيقول: « ومـا لم أجد عليـه شاهـداً من المقرا[٢] استشهدت عليه بما حضرني من المشنة والتلمود[٣] واللغة السريانية وجميع ذلك من استعمالات العبرانيين، مقتفياً في ذلـك أثر رأس المثيبـة[٤]

---

(١) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١٦٠.

(٢) الكتاب المقدس.

(٣) مرويات شفوية في الدين بالعبرية والآرامية.

(٤) هو سعديا الفيومي رئيس علماء يهود العراق.

الفيومي رحمه الله في استشهاده على السبعين لفظة المفردة(١) من المشنة والتلمود وأثر غيره من الجأونيم(٢). أيضاً كالسيد شريرا والسيد هاي، رضي الله عنهما وأثر غيرهما أيضاً. وما لم أجد عليه شاهداً مما ذكرته، وجدت الشاهد عليه من اللسان العربي، لم أنكل من الاستشهاد بواضحه، ولم أتحرج عن الاستدلال بلائحة كما يتحرج عن ذلك من ضعف علمه وقل تمييزه من أهل زماننا، لاسيما من استشهر منهم التقشف وارتدى بالتدين، مع قلة التحصيل لحقائق الأمور. وقد رأيت رأس المثيبة سعدياً ـ نضر الله وجهه ـ يتوكأ على مثل ذلك في كثير من تراجمه، أعني، أنه يترجم اللفظة العبرية بما يجانسها من اللغة العربية. وقد رأيت الأوائل ـ رضي الله عنهم، وهم القدوة في كل شيء، يستشهدون على شرح غريب لغتنا بما جانسه من غيرها من اللغات(٣).

ثم يعقد مروان بن جناح مقارنة لغوية بين اللسانين العربي والعبري فيقول:

« وأما اعتلاله وتصريفه ومجازاته واستعمالاته، فهو في جميع ذلك أقرب الى لساننا من غيره من الألسن. يعلم ذلك من العبرانيين الراسخون في علم لسان العرب، النافذون فيه. وما أقلهم »(٤). ثم يؤكد أنه يشق طريقه نحو ما أصبح يسمى في العصر الحديث بعلم اللغة المقارن، وفقه اللغة، والنحو المقارن أيضاً فيقول: « ولسنا نقنع نحن فيما نستشهده من ذلك بمثل ما قنع به الأوائل رضي الله عنهم مما ذكرناه من استشهادهم، بل بما هو أبين دليلاً وأقوى برهاناً لعلمي بتعسف أهل زماننا وكثرة شططهم،

---

(١) سبعون لفظة نادرة استعملت كل منها مرة واحدة في الكتاب المقدس، وهو في نفس الوقت عنوان كتاب سعديا الفيومي في شرح هذه الألفاظ.

(٢) أي الأحبار.

(٣) أنظر د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١٦١.

(٤) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١٦١.

وبما يبعثهم عليه الحسد من الانكار بما ليس بمنكر من الدفع فيها لا مدفع فيه »[1]. ثم يقارن بين منهجه ومنهج بعض علماء المدرسة اليهودية في الشرق العربي، الداعية الى المقارنة بين اللغة العبرية وسائر اللغات السامية لمعرفة معاني الألفاظ معرفة واضحة وادراك أسرار التركيب فيقول: « أفلا نراهم يفسرون كتاب الله[2] من اللسان اليوناني والفارسي والعربي والأفريقي وغيرهما من الألسن. فلما رأينا هذا منهم لم نتحرج عن الاستشهاد على ما شاهد عليه من العبراني بما وجدناه موافقاً ومجانساً من اللسان العربي، اذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهاً بلساننا »[3].

وهكذا يدل كل ذلك على أن علماء العربية وغيرهم من العلماء اليهود الذين عاشوا بين ظهرانيهم في القرنين الرابع والخامس الهجريين. انتبهوا تماماً، وفي حدود الامكانات العلمية المتاحة لهم آنذاك الى فكرة القرابة بين اللغات، وعلاقة اللغات بعضها ببعض وأثر ذلك في نمو اللغة وتطورها.

فإذا انتقلنا الى فريق آخر من علماء العربية، وهم أصحاب كتب لحن العامة[4] وجدنا لديهم تسجيلاً دقيقاً للتطور اللغوي في داخل اللغة الواحدة. وربط هذا التطور بعلاقة اللغة العربية باللغات الأخرى من ناحية، وبالمجتمع الاسلامي من ناحية أخرى. يقول أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) في مقدمة كتابه (لحن العوام): « ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر اسلامها تبرع في نطقها بالسجية وتتكلم على السليقة، حتى فتحت

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٢.

(٢) يعني التوراة.

(٣) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١٦٣.

(٤) راجع مجلة مجمع اللغة العربية بمصر ١/ ٣٥٠ - ٣٦٨، ٣/ ٤٩ - ٧١ حيث كتب الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف مقالين عن اللهجات العامية، ذكر فيهما قائمتين بكتب لحن العامة، وأنظر أيضاً د. رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي ص ٦٦ وما بعدها.

المدائن ومصرت الأمصار ودونت الدواوين، فاختلط العربي بالنبطي، والتقى الحجازي بالفارسي، ودخل الدين أخلاط الأمم وسواقط البلدان، فوقع الخلل في الكلام، وبدأ اللحن في ألسنة العوام »(١).

حقاً انه لم يكن من أهداف أولئك العلماء الذين ألفوا في لحن العامة وضع نظريات في المتطور اللغوي وقوانينه. بل كان همهم الأكبر الجانب المعياري من الموضوع، وهو اعادة هؤلاء الخارجين على الفصحى الى حظيرة اللغة القديمة، ولكن الذي لاشك فيه أنهم بهذا العمل سجلوا لنا الشيء الكثير من مظاهر تطور العربية آنذاك، والذي ما يزال بعضه متصلاً وشائعاً حتى اليوم. ونستطيع من خلال الألفاظ التي جمعوها في كتبهم أن نلحظ ملامح ذلك التطور اللغوي، ولاسيما في نواحي الأصوات والصيغ والدلالة.

ولعل في تسجيل هؤلاء العلماء العرب لمظاهر هذا التطور التفاتاً منهم جديراً بالتنويه لفكرة التغير والتطور التي تطرأ على اللغة، وهي من الأفكار التي لم تغز حقل البحث اللغوي، ولم يعرفها اللغويون المحدثون الا في القرن الماضي.

بهذا القدر من الوعي بحقيقة اللغة كظاهرة اجتماعية وانسانية، استطاع اللغويون العرب القدماء أن يعبروا أقوامهم في ميادين من البحث اللغوي يعتبرها المحدثون ملكاً خالصاً لهم. وهم في هذا لهم فضل الريادة والسبق. والفكر اللغوي لم يصل بعد الى ما وصل اليه اليوم، بل اننا لو وضعنا ملاحظات هؤلاء العلماء في الاطار العام للفكر الانساني في تلك الفترة التي زاول هؤلاء اللغويون فيها نشاطهم العلمي لتكشف لنا البعد الحقيقي لهذا السبق ولتلك الأصالة في البحث اللغوي العربي، وخاة بالنسبة لعوامل التطور اللغوي التي ظن المحدثون أنهم أصحابها والمكتشفون لها .

اللغة اذن، وبناء على دراستنا لها في هذا الفصل من البحث، ظاهرة

(١) أبو بكر الزبيدي، لحن العوام ص ٤.

اجتماعية، تنمو وتتطور، وهي في نموها وتطورها هذا تخضع لعوامل شتى حصرناها في ثلاث عوامل أساسية تمثل مجموعة من العلاقات هي: علاقة اللغة بالفكر وعلاقة اللغة بالمجتمع وعلاقة اللغة باللغات الأخرى.

فإذا كانت هذه هي عوامل التطور والنمو، فكيف تنمو اللغة؟ أو بمعنى آخر ما هي الطرق التي تلجأ اليها اللغة لتحقيق هذا النمو وذاك التطور؟ كيف تنمو الثروة اللغوية حتى تفي بمطالب التطور الفكري والاجتماعي والحضاري؟ يذكر لنا علماء اللغة المحدثون، اجابة عن هذه الأسئلة، طرقاً وأنواعاً عديدة من التوسع اللغوي، تلجأ اليه اللغة لتحقيق هذا النمو، منها: الاشتقاق، والاقتراض من اللغات الأخرى، والنحت، والتوليد والاستغناء عن بعض الاستعمالات القديمة سواء في الألفاظ أم التراكيب، وغيرها من الطرق والوسائل التي تلجأ اليها اللغة لمسايرة التطور والنمو[1]. ولكل لغة من اللغات طريقتها الخاصة في استخدام هذه الطرق، وان كانت تتشابه أحياناً في استعمال بعضها. فالدخيل، أو الاقتراض من اللغات الأخرى ظاهرة عامة في كل اللغات.

أما الاشتقاق ومنهجه وطريقته في اللغات السامية مثلاً، فتختلف عنها في اللغات الالحاقية أو الالصاقية التي تعتمد في تنوع الدلالة على السوابق

---

(١) راجع، د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٤١ وما بعدها.
ألومان، دور الكلمة في اللغة ص ١٣٥ - ١٩٧.
د. ابراهيم أنيس، طرق تنمية الألفاظ ص ٥ وما بعدها.
محمد المبارك، فقه اللغة ص ٢٢٧ وما بعدها.
د. عبد الواحد وافي، فقه اللغة ص ١٦٧ وما بعدها.
وانظر في اللغات الأجنبية:
Darmesteter, la vie des Mots, p. 31.
Stutevant, lingustic change p.p 109 - 127.
Sapir, language. p.p.193 - 197.
Mario, the story of language p.p 149 - 170.

(Prefixses) ، أو اللواحق (Suffixses) وهكذا .

واللغة العربية، كلغة من أقدم اللغات ميلاداً، فضلاً عن كونها لغة حضارة ودين، اعتورها ما يعتور اللغات الأخرى من تطور ونمو، وعملت فيها تلك العوامل التي تتأثر بها كل لغة حية. وخرجت من كل جولة من جولاتها مع الحياة منتصرة انتصاراً لاشك فيه حتى يومنا هذا. فما الوسائل والطرق التي ساعدت العربية في تاريخها الطويل على هذا النمو والتطور؟ انها عين الطرق التي حددها اللغويون لكل أنواع التوسع اللغوي الذي تعرفه كل لغة حية. ولكن للعربية في ذلك منهجاً وأسلوباً ينبع من خصائصها الذاتية. وفي الفصل الثاني من هذا الباب سوف ندرس أهم أنواع وطرق التوسع اللغوي الذي لجأت اليه العربية لتنمي ثروتها اللغوية، حتى تستطيع مسايرة ركب الحضارة والتقدم.

الفصل الثاني

طرق نمو الثروة اللغوية في العربية

البحث عن البدايات ضرب من الوهم العلمي نحاه العلماء في شتى فروع المعرفة من منهاج العلم الصحيح، فالتاريخ البشري لم يزل بعد يحتفظ في طياته بأسرار لم يكشف عنها، واللغة العربية لغة عريقة ذات تاريخ طويل من العسير على الباحث أن يعرف على وجه اليقين بدايتها الأولى، كيف نشأت؟ وكيف تطورت؟ وكل ما قيل في ذلك ضرب من الحدس والتخمين يتجاوزه البحث العلمي.

وقد التفت علماء العربية القدماء الى هذه الحقيقة فقال ابن السبكي (ت ٧٥٦ هـ) عن البحث في نشأة اللغة، « والصحيح عندي أنه لا فائدة لهذه المسألة ولذلك قيل ذكرها في الأصول فضول »(١). فالثابت اذن أننا لا نعرف على وجه اليقين تاريخ هذه اللغة في مراحلها الأولى، وليس من المعقول أن العربية بدأت بهذه النصوص الشعرية الجاهلية، اذ أن هذه النصوص تقدم للباحث نماذج لغوية ناضجة، وهذه النماذج لا يمكن أن تكون من البدايات في أي لغة، فلابد اذن أن تكون هذه اللغة قد قطعت قبل هذه النصوص مراحل من التطور لم تكن فيها على هذا المستوى الرفيع من حيث القدرة على الأداء ووفرة الثروة اللغوية للتعبير عن النواحي المادية والفكرية للمتكلمين بها.

---

(١) السيوطي، المزهر ١/٢٦.

ولغة القرآن الكريم وأسلوبه يضعان الباحث أمام مستوى رفيع من الأداء من حيث المبنى وغزارة المادة اللغوية وقدرة القوالب اللفظية على الاعراب عن دقائق المعنى، فكيف تحقق للعربية هذا المستوى من النماء والغنى في ثروتها اللغوية لفظاً وتركيباً؟

الحق أننا مدينون لعلماء العربية القدماء في الاجابة على شطر كبير من هذا السؤال، فقد عكفوا على تلك اللغة بهمة لا تعرف الكلل فأخذوا يجمعون مادتها من البوادي وبواطن الجزيرة حيث ينابيعها الصافية حتى إذا ما استوى العقل العلمي العربي على سوقه في منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً واملأت حقائب اللغويين بتلك المادة اللغوية الضخمة أخذوا يستقرئونها ويستنبطون منها القواعد والعلل ومسالك النمو المختلفة التي سلكتها العربية حتى وصلت اليهم على تلك الصورة الرائعة ممثلة في لغة القرآن الكريم أصدق تمثيل.

فالخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) وهو أحد هؤلاء العلماء الأفذاذ يقدم لنا نموذجاً ممتازاً لجهود اللغويين العرب في خدمة العربية، فهو الواضع الحقيقي لعلم العربية في صورته التي أداها عنه تلميذه سيبويه (ت ١٨٠ هـ) في مصنفه الذي وصل الينا ولقبه باسم الكتاب، فهو في كثير من صفحاته يحكي آراء أستاذه الخليل، يقول السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) « كل ما قال سيبويه سألته أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل »[١].

والحقيقة أن عمل الخليل بن أحمد لم يقتصر على النحو وحده، وانما تعداه الى مستويات من البحث اللغوي يعرفها اللغويون المحدثون فقد تكلم عن الأصوات اللغوية ودلالة الألفاظ والاشتقاق والنحت والعروض يضاف الى ذلك أنه أول واضع لمعجم لغوي في تاريخ العربية، وهو بهذا الجهد الضخم من الدرس اللغوي يعتبر المؤسس الحقيقي لعلم العربية،

---

(١) السيرافي، اخبار النحويين البصريين ص ٤٠.

وعن طريق دراساته تلك عرفنا لأول مرة كيف نمت وتطورت اللغة العربية وما هي الوسائل والطرق التت اتخذتها لتحقيق هذا الثراء العريض في الفاظها وتراكيبها(١).

ثم خلفه طبقة من العلماء لا تقل عنه حباً للعربية فأفاضوا في الحديث عن تلك الطرق حتى إذا ما جاء القرن الرابع الهجري وجدنا البحث اللغوي ينحو منحاً فلسفياً كما نلمس ذلك بشكل واضح عند ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) وغيره من علماء العربية في ذلك العصر، ومن خلال هذا التراث الضخم في دراسة العربية يلمح الباحث عدة طرق أساسية سلكتها العربية منذ نشأتها الأولى وحتى يومنا هذا لتحقيق النمو في ثروتها اللغوية وهذه الطرق هي:

١ ـ الاشتقاق.
٢ ـ النحت.
٣ ـ التوليد(٢).
٤ ـ المجاز.
٥ ـ الاقتراض اللغوي (المعرب والدخيل).
٦ ـ انقراض الكلمات. (الاستغناء عن بعض الاستعمالات).

واللغة العربية عندما تسلك تلك الطرق السابقة جميعاً تخضع لعوامل التطور والنمو كما أشرنا اليها في الفصل السابق لتحقق لنفسها التوازن المطلوب لمقتضيات الحياة الفكرية والمادية في الفترة التاريخية التي تمر بها. وفيما يلي سنقف أمام كل واحد من تلك الطرق لنحاول التعرف عليه وأبادر فأقول إن دراسة كل طريق من تلك الطرق السابقة قد يستغرق

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨.
وانظر أيضاً: مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد ـ أعماله ومنهجه.
(٢) سوف نرجيء الحديث عن التوليد الى الفصل الثالث من هذا الباب حيث خصصته له باعتباره الظاهرة الرئيسية التي يدور حولها هذا البحث.

صفحات هذا البحث، بل لعلي لا أكون مغالياً إذا قلت إن كلا منها خليق بدراسة مفردة تبحث أصوله وتطوره ومقارنته تجعله في اللغات الأخرى وخاصة داخل العائلة السامية باعتبار أن العربية الابنة البكر في هذه العائلة، ومن ثم سأكتفي هنا بالقدر الذي تتطلبه هذه الدراسة ومنهجها واضعاً في اعتباري ابراز أهم الخصائص اللغوية في كل طريق من تلك الطرق ومدى استفادة العربية منه في تنمية ثروتها اللغوية.

١ ـ الاشتقاق

يتولد في اللغات السامية من تغير حركات الحروف الثلاثة الصامتة وتبديلها معاني وألفاظاً جديدة فهذه الحروف تكوّن مادة الكلمة وهيكلها ولكن مدلول هذه الأصول الثلاثية لا يبقى على حاله متى تغيرت حركات هذه الحروف. فكلمة مثل (ضرب) المؤلفة من ثلاثة أحرف صامتة هي الضاد والراء والباء هي أصل، غير أن هذا الأصل غير ثابت بل هو عرضة للتغير ويكون تغيره بتغير حركات حروفه، فإذا تغيرت حركات هذه الحروف تغيرت معانيها، فكل تغير في حروف الأصل يعقبه تغير في المعنى كذلك. فلفظة مثل (ضَرَبَ) تختلف في المعنى عن لفظة (ضُرِبَ) وهما معاً تختلفان في المعنى عن لفظة (ضَرْبٌ) وقد تولد هذا الاختلاف من تغير حركات حروف الأصل فيها.

ومن الممكن احداث معان جديدة في اللغات السامية باضافة زوائد تتألف من حرف أو أكثر الى الأصول الثلاثية فيتبدل المعنى الأصلي، ! فالمعاني المشتقة من الكلمات ذات الأصل الثلاثي مهما تغيرت وتولدت نتيجة لتغير حركات تلك الحروف الثلاثة الصامتة فانها لا تنفصل عن هذه الحروف ولا تتركها بل تبقى في صلب كل كلمة مهما صار معناها. فكلمة مثل (سلم) العربية وهي مؤلفة من ثلاثة أحرف صامتة يمكن أن يولد منها مدلولات جديدة في شكل كلمات جديدة، وذلك بتغيير حركات هذه

الحروف الثلاثة أو ادخال زوائد عليها أو بتشديد بعض حروفها غير أننا لا نستطيع أن نترك حرفاً من هذه الحروف التي تشكل أصل الكلمة. فألفاظ مثل سلم ويسلم وسالم وسلمان وسملى والسلامة والسليم.... كلها صيغ مشتقة من الحروف الصامتة الثلاثة: السين واللام والميم، ولا يمكن الاستغناء عن حرف من هذه الحروف بل لابد أن يبقى فيها[1].

واللغة العربية في ذلك تسير على نهج اخواتها الساميات في ذلك، وهو ما يعرف عند اللغويين العرب باسم الاشتقاق وقد عرفوه بقولهم: الاشتقاق. «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة»[2]. وهنا نلاحظ أنه في جميع الصيغ المشتقة معنى مشترك هو المدلول الأصلي للمادة الذي تعود اليه كل المشتقات وبحمله في الوقت نفسه المشتق الجديد، وهذه الوسيلة في توليد الألفاظ وتجديد الدلالات ونموها نجدها في أنواع من الاشتقاق ذكرها القدماء والمحدثون وهي: الاشتقاق الأصغر والكبير والأكبر والكبار وهو النحت[3]. ولن نأخذ بهذه التقسيمات المتعددة للاشتقاق، وانما سندرسه تحت نوعين هما الاشتقاق الأكبر والاشتقاق الأصغر باعتبارهما الأصلين المعتمدين من قدماء اللغويين[4].

أ ـ **الاشتقاق الأصغر**: وهو الاشتقاق العام كما يسميه اللغويون

---

(١) د. جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام، ٧/ ٣٠.

(٢) السيوطي، المزهر ١/ ٣٤٦.

(٣) السيوطي، المزهر ١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٨،
وانظر أيضاً، محمد صديق خان، العلم الخفاق ص ٧،
وانظر أيضاً، عبد الله أمين، الاشتقاق ص ١، ص ٣٩٠،
د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص ١٧٣ وما بعدها.

(٤) ابن جني، الخصائص ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٩.
السيوطي، المزهر ١/ ٣٤٧.

المحدثون وهو أكثر أنواع الاشتقاق دوراناً في اللغة العربية[1] ويحتج به لدى أكثر علماء اللغة، وطريقة معرفته « تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها الى صيغة هي أصل الصيغ كلها دلالة واضطراداً أو حروفاً غالباً، كضرب فانه دال على مطلق الضرب فقط، أما ضارب ومضروب ويضرب وأضرب فكلها أكثر دلالة واكثر حروفاً وضرب الماضي مساو حروفاً وأكثر دلالة وكلها مشتركة في ضرب وفي هيئة تركيبها »[2].

فإذا كانت الصيغة المشتقة متفقة مع الصيغة المشتق منها في المادة الأصلية وهيئة التركيب كما رأينا في ضرب وتصاريفها كان من اللازم في كل كلمة بها حروف المادة الأصلية على نفس الترتيب أن تفيد المدلول العام الذي وضعت له تلك الصيغة، وان تخللها أو تبعها بعض الأصوات اللينة أو اساكنة، فالرابطة المعنوية العامة في مادة عرف مثلاً تدل على الانكشاف والظهور[3]. نجدها تتحقق في جميع الكلمات مثل: عَرَفَ، عَرَّف، تعرَّف، تَعَارف، تعريف، عرفان.... على أننا في الوقت الذي نجد فيه علماء العربية يكادون يجمعون على وقوع الاشتقاق الأصغر في العربية وكثرته فيها وقيامه بدور حيوي في انماء وتوليد قسم كبير من ألفاظها حتى أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المنقدين على رأسهم الضبي (ت ١٦٨ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) والزجاج (ت ٣١٦ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) وابن دريد (ت ٣٢١ هـ) وغيرهم[4]. بينما نجد طائفة من العلماء ينكرون وقوع الاشتقاق بأنواعه زاعمين « أن الكلام له أصل »[5] وطائفة أخرى

(١) د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص ١٧٣.
(٢) السيوطي، المزهر ١/٣٤٦ - ٣٤٧،
ابن جنى، الخصائص ٢/١٣٤.
(٣) الزبيدي، تاج العروس مادة ع ر ف.
(٤) السيوطي، المزهر ١/٣٥١، عبد الله أمين، الاشتقاق. المقدمة ص و - ز، عبد السلام هارون، مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٩.
(٥) السيوطي، المزهر ١/٣٤٨.

تتوسع قائلة أن « كل الكلم مشتق »[١] ولعل رأي الخليل بن أحمد هو أقرب هذه الآراء جميعاً الى طبيعة اللغة وهو أن « بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق »[٢].

وكما اختلفوا في وقوع الاشتقاق في اللغة اختلفوا أيضاً في الأصل الذي يشتق منه هل هو الفعل أم المصدر[٣] والحقيقة أنه ليس من اليسير معرفة أيهما أسبق من الآخر كي يشتق منه، إلا أننا نعرف دائماً أن الأمر الحسي أسبق وجوداً من المعنوي المجرد ولذلك نرجح أن الفعل هو أصل الاشتقاق باعتبار أن المصدر أكثر تجريداً ولكن بعض اللغويين المحدثين يرون أن الفعل قد تطور في اللغات السامية تطوراً كبيراً استغرق قروناً طويلة وأن ما نعرفه من تقسيم الأفعال الى ماض ومضارع وأمر لم يكن معروفاً على هذا النحو عند قدماء الساميين، ويرون أن الصيغة الأصلية للفعل انما كانت صيغة الأمر فهذه الصيغة هي أقدم صيغ الأفعال وقد كانت تستعمل للدلالة على جميع صيغ الفعل من الماضي والمضارع والأمر ثم خصصت فصارت تشير الى حدوث الفعل في صيغة الأمر وذلك بعد ظهور صيغتي المضارع والماضي، ومن صيغة الأمر اشتق المضارع بزيادة حرف على أول لفظة فعل لأمر لتدل على حالة الاسناد الى الفاعل أو الضمير مثلاً وقد سبقت هذه الزيادة الزيادة الأخرى التي لحقت آخر الفعل، فمن فعل الأمر (قم) تولد الفعل (أقوم) ويقوم وتقوم ونقوم ثم يقومون وتقومون[٤]. ويقول أستاذنا الدكتور حسن ظاظا « ان من أوائل

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) ابن الأنباري، الانصاف ١/١٢٩ ـ ١٣٧ لمعرفة مذهب الكوفيين والبصريين في مسألة أصل المشتقات.

(٤) د. جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/٣١، اسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية ص ١٤ ـ ١٥.

صيغ الأفعال ظهوراً فعل الأمر ومن أواخرهـا صيغة المصـدر اذ ليس هناك صيغـة فعلية أقـرب وأبسط الى حاجـة الرجـل البدائي من قـولـه اذهب، ارجع، احضر، خذ، كل، اشرب. . . ، فهو قبـل أن يشعر بـالحاجـة الى الأخبـار عن شيء كـان قـد حـدث أو احتمـال شيء سيحـدث أو تصـور الحدث المطلق المجرد عن الزمن والفاعل والمفعول كأن يطلب شيئاً أو يـأمر بعمـل شيء وبهذا نـرى السمات الصـرفية الأولى للمـادة الفعلية الأصليـة أكـثر وضوحـاً في صيغ الأمـر في أكثر اللغـات »[1]. ولاشك أن في ذلـك برهاناً على أن الكوفيين كانوا أقرب الى الصواب عندما قالوا إن الفعـل هو أصل الاشتقاق وليس المصـدر أو أسماء الأعيـان كما ذهب الى ذلـك بعض المحدثين من البـاحثين[2]. ومهمـا يكن من أمر فـان الاشتقاق هـو توالـد وتكـاثر يتم بـين الألفـاظ بعضهـا من بعض ولا يكـون ذلـك إلا من بـين الألفاظ ذات الأصل الواحد ولابد لصحة الاشتقاق لين لفظين أو أكثر من ثلاثة عناصر رئيسية تتوافر في هذه المشتقات وهي :

١ ـ الاشتراك في عدد الحروف وهو في الكلمات العربية ثلاثـة حروف غالباً.

٢ ـ أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيباً واحداً في هذه الألفاظ.

٣ ـ أن يكون بين هذه الألفاظ قدر مشترك من الدلالة ولو على تقـدير الأصل.

ومـا من شك في أن هـذه الطريقـة في تخليق الفاظ جـديدة وتـوليدهـا بعضها من بعض تجعل من اللغة جسماً حياً تتوالـد أجزاؤه ويتصـل بعضها ببعض بـأواصر قـوية واضحـة تغنى عن عدد ضخم من المفـردات المفككة المنعزلة لو لم يكن الاشتقاق على هذهـ الـطريقة وهـو ما نـلاحظه في بعض

---

(١) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص ١٨٢ وما بعدها.

اللغات غير السامية ولاسيما العائلة الهندية الأوروبية، فطريقة الاشتقاق في هذه اللغات آلية أكثر منها تخليقية أو توليدية تقوم على الصاق الكلمات بعضها ببعض أحياناً ثم نظام اللواحق Suffixes والسوابق Prefixes أحياناً أخرى[1].

ولهذا كان هذا النوع من الاشتقاق في العربية طريقة حية لتوليد الألفاظ للدلالة على المعاني الجديدة، وهو أمر لم ينقطع خلال تاريخ العربية الطويل وحتى اليوم كما سنرى ذلك خلال هذا البحث حيث يقوم الاشتقاق بدور كبير في التوليد اللغوي عن طريق اشتقاق كلمات جديدة سواء من أصول عربية قديمة أم من أصول غير عربية الأصل[2]. ومن ناحية أخرى كان لوجود الاشتقاق في العربية شأن كبير في تحديد أصل الألفاظ وسبيلاً لمعرفة الأصيل منها من الدخيل، فان الكلمة الدخيلة في العربية تبقى غالباً في معزل عن هذه المجموعات المشتقة والمتجانسة والمترابطة من الألفاظ حيث لا نجد لها أصلاً لفظياً ولا دلالياً بينها يمكن أن نلحقه بها إلا ما تعسف اللغويون فيه، فألفاظ مثل الصراط والفردوس وغيرها لا نجد لها في العربية أصلاً، اذ لا توجد مادة (ص ر ط) ولا مادة (ف ر د س)[3] وبذلك يكون عدم وجود الأصل الاشتقاقي لها دليلاً على غربتها عن العربية غير أن بعض الألفاظ غير العربية الأصل قد يشتق منها ألفاظ ولكن على طريقة العربية في الاشتقاق مثل دَوَّنَ تدونيا وهي مشتقة من الكلمة الفارسية (الديوان)[4] ومع ذلك فقلة عدد المشتقات في مثل هذه المواد يعلن عدم أصالتها في العربية. يقول السيوطي (ت ٩١١ هـ):

---

(١) Sturtevant, linguistic change p.p 110 - 114.

(٢) انظر ص ١٣١ وما بعدها من هذا البحث، وأنظر أيضاً الملحق المرفق للبحث.

(٣) حلمي خليل، لغة أبي العلاء في رسالة الغفران ـ رسالة ماجستير.

غير منشور. ص ٣٢٢، عبد الله العلايلي، تهذيب المقدمة اللغوية ص ٥٩ ـ ٦٦ .

(٤) انظر الجواليقي، المعرب ص ٥، ١٥٤.

« ان منفعة الاشتقاق لصاحبه أن يسمع الرجل اللفظة فيشك فيها فإذا رأى الاشتقـاق قابـلاً لها أنس بهـا وزال استبحاتـه منها وهـذا تثبيت للغة »[1] فـالاشتقاق بهـذه الصورة اليت رأينـاها والقـائم عـلى اشتـراك الألفـاظ في حروف أصلية ثلاثة هو الطريقة الأساسيـة التي لا تزال حيـة ومستمرة حتى اليوم في تخليق كلمات جديدة في اللغة العـربية منذ العصور التي اكتملت فيها تلك اللغة ونقلت الينا آثارها ونصوصهـا وهو المـراد حين نـطلق كلمة الاشتقاق تتمييزاً لـه عن أنواع أخـرى من الاشتقاق مثـل الاشتقاق الكبـير والأكبر وهذان النوعان يقومان أساساً على تقليب الحروف وابـدالها[2] وهمـا متداخلان الى حد كبير[3].

ب ـ **الاشتقاق الأكبر**: وهو نوع من الاشتقـاق أولع بـه ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) وعقد له فصلاً خاصاً في كتابه الخصائص[4] كما افتتح به الكتاب نفسه عندما أخذ يقلب حروب مادة (ق و ل) يقول « هذا باب القول عـلى الفصل بين الكلام والقول ولنقـدم أمام القـول على الفـرق بينهما طـرفاً من ذكر أحوال تصـاريفهما واشتقـاقهما مـع تقليب حروفهـا فان هـذا موضـوع يتجـاوز قدر الاشتقـاق ويعلوه الى ما فـوقه وستـراه فتجده طـريفـاً غـريبـاً ومسلكاً من هذه اللغة الشريفة عجيباً »[5] ثم يقـول: « ان معنى (ق و ل)

(١) السيوطي، الاقتراح ص ٤٤.

(٢) عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب ص ١٠ ـ ١٣.

(٣) عرف الدكتور صبحي الصالح في كتابه دراسات في فقـه اللغة ص ١٨٦ الاشتقـاق الكبير بأنه « عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية ترجع تقاليبهـا الستة وما يتصرف من كل منها الى مدلـول واحد مهـما يتغايـر ترتيبهـا الصوتي » ثم عـرف الاشتقاق الأكبر بأنه « ارتباط بعض المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاماً لا يتقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته » ص ٢١٠، قـارن الدكتور ابراهيم انيس، من أسرار اللغة ص ٧٤.

(٤) ابن جنى، الخصائص ٢ /١٣٣ ـ ١٣٩.

(٥) المصدر السابق ١ /٥.

أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه انما هو للخوف والحركة وجهات تراكيبها الست مستعملة كلها لم يهمل شيء منها وهي: (ق و ل)، (ق ل و)، (و ق ل)، (و ل ق)، (ل ق و)، (ل و ق) »[1]. ثم يأخذ في الحديث عن كل مادة من هذه المواد الست محاولاً ارجاعها جميعاً الى الأصل الذي تصوره تدور حوله وهو الخفوف والحركة كما قال[2].

وفي الباب الذي عقده لهذا النوع من الاشتقاق نراه يقول: « هذا موضوع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي[3] ـ رحمه الله ـ كان يستعين به ويخلد اليه مع اعواز الاشتقاق الأصغر لكنه مع هذا لم يسمه وانما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح اليه ويتعلل به وانما هذا التقليب لنا نحن » ثم يقول « وذلك ان الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير[4] فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغة ومبانيه وذلك كتركيب (س ل م) فانك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة وعلى ذلك بقية الباب اذا تأولته وبقية الأوصل غيره »[5] ثم يقول: « وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وان تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف

---

(١) المصدر السابق ١/٥.

(٢) المصدر السابق ١/٥ ـ ١١.

(٣) يقصد أبا علي الفارسي أستاذه (ت ٣٧٧ هـ).

(٤) ومع ذلك نرى بعض اللغويين المحدثين يمضون في تقسيمات لا طائل تحتها من اشتقاق كبير وأكبر وكبار، انظر. عبد الله أمين، الاشتقاق ص ٣٣١، ٣٧٣، ٣٩١، صبحي الصالح، دراسات في فقه الله ص ١٨٦، ٢١٠، ٢٤٣.

(٥) ابن جنى، الخصائص ٢/١٣٤.

الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد »[1] وفي تقليب ابن جنى لمادة (س ل م) تراه يصل الى (ل س م) فيقول: « فأما ل س م فمهمل على أنهم قد قالوا نسمت الريح إذا مرت مراً سهلاً خفيفاً والنون أخت اللام وسنرى نحو ذلك »[2] وهنا يتضح لنا من ابداله للتقليب الأخير (ل س م) المهمل بـ (ن س م) حيث أبدل اللام نوناً لتقارب صوتيهما فانه يرى أن الاشتقاق الأكبر يكون أحياناً بالابدال وأحياناً بالقلب أيضاً وقد أدرك اللغويون العرب امكان وقوع الابدال مثلما تصوروا أيضاً امكان وقوع القلب، قال ابن فارس (ت **٣٩٥ هـ**) « من سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة كقولهم (جذب)، (جبذ)، (بكل)، (لبك)، وهو كثير قد صنف فيه علماء اللغة »[3] وفي موضع آخر يقول « ومن سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض يقولون: مدحه ومدهه وفرس رفل ورفن وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء »[4].

والمتأمل لكلام ابن فارس عن القلب والابدال ثم صنيع ابن جنى عندما اصطدم بمادة (ل س م) المهملة فأعتبرها (ن س م) وقال ان اللام أخت الميم المتأمل لذلك يرى أن الاشتقاق الأكبر في أغلب أحواله ضرب من التطور الصوتي الذي قد يدخل أحياناً في اختلاف اللهجات[5] ولعل هذا ما دعا السيوطي الى القول بأن الاشتقاق الأكبر مما ابتدعه الامام أبو الفتح ابن جنى وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً « وليس معتمداً في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب »[6] ثم

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٢) المصدر السابق ٢/١٣٨.
(٣) الصاحبي، ص ٢٠٢.
(٤) المصدر السابق ص ٢٠٣ ، السيوطي ، المزهر ١/٢٦٠ . وما بعدها و٤٧٦ وما بعدها .
(٥) السيوطي، المزهر ١/٤٦٠ وما بعدها، د. ابراهيم أنيس من أسرار اللغة ص ٧٦ - ٧٧.
(٦) السيوطي، المزهر، ١/٣٤٧.

يعلل لـذلك قـائلاً: « وسبب اهمـال العرب وعـدم التفات المتقـدمـين الى معانيه أن الحروف قليلة وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى فخصوا كـل تركيب بنوع منها ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعاً كثيرة ولو اقتصروا عـلى تغاير المواد حتى لا يدلـوا على معنى الاكـرام والتعظيم الا بمـا ليس فيه من حروف الايلام والضرب لمنافاتها لهما لضاق الأمر جداً ولاحتاجوا الى ألوف حـروف لا يجدونها بـل فرقـوا بين مُعْتِقْ ومُعْتَقْ بحـركة واحـدة حصلّ بهـا التمييـز بـين ضـدين ومـا فعلوا أخصـر وأنسب وأخف »[1]. ومـا ذكـره السيـوطي في النص السابق يبـين حيويـة اللغة العـربية الـطبيعية في تـوليد المعاني والألفاظ واشتقاق الكلمات وهو أمر لا يحققه لها الاشتقاق الكبير.

عـلى أن لأستـاذنـا الـدكتـور السيـد خليـل رأيـاً في ابتـداع ابن جنى لـلاشتقاق الأكبـر جديـراً بالنـظر إذ قال: فـأما تقسيم الاشتقـاق الى هـذه الأقسام لاشتقاق صغير وكبير وأكبر فله دلالته على فكرة الكلية التي يمتاز بها الدارسون العرب من اللغويين »[2].

ومهما يكن من أمر فـان هذا النـوع من الاشتقاق الأكبـر لا يؤدي الى تـطور أو نمـو حقيقي في الألفـاظ أو بمعنى آخـر لا يؤدي الى زيـادة عـدد الألفاظ وهي الوظيفة الأولى للاشتقاق كي يعطي اللغة ما تجـدد بها نفسهـا ازاء التطورات الفكرية والحضارية التي تعيش فيها وهو في حقيقته لا يخرج عن كونه نوعاً من القسمة العقلية أولاً ثم الربط بين الأصوات والمدلـولات ثانياً وهو أمر أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة انه غير مطَّرد دائماً.

غـير أننا لا نستـطيع الحـديث عن الاشتقاق وخـاصة الاشتقـاق العام دون التعرض لعلاقته بالصيغ والأبنية وخاصة بالنسبة لنمـو اللغة وتـطورها

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) د. السيد خليل، دراسات في القرآن ص ٥٦.

ذلك لأن الاشتقاق لا يتم دون قوالب تصاغ فيها المادة اللغـوية، فـالكلمة العربية في الحقيقة تشتمل على ثلاثة عناصر أساسية وهي :

١ ـ المادة الأصلية أو الجذر اللغوي كما اصطلح على تسميته اللغويون وهو يتكون من ثلاثة حروف في العربية مثل (ع ق ل) بالنسبة لكلمـة عقل وهو يرمز في نفس الوقت للدلالة الأصلية للمادة.

٢ ـ الصيغة التي ركبت عليها تلك المـادة الأصلية وهي القـالب الذي تصب فيـه الكلمة والـذي يعطيهـا في النهايـة الشكل والـوزن أو الـدلالـة الوظيفية للكلمة.

٣ ـ ومن وجود العنصرين السابقين معاً تصل الى العنصر الأخير وهـو معنى الكلمة أو دلالتها المعجمية أو الاجتماعية.

فإذا كان الاشتقاق هو المادة الخام التي تصنـع منها الكلمـات فالصيـغ والأوزان هي القوالب التي تصب فيها هـذه المادة وهـذه الصيغ أو الأوزان منها ما هو معروف مثل اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهـة وافعل التفضيـل واسم الزمـان والمكـان واسم الآلـة وأوزان الأفعـال وتصـاريفهـا المختلفـة وأنواع الجمـوع القياسيـة السالم منهـا وغير السـالم وقد جمـع منهـا السيوطي في المزهر الكثير كما أورد معاني بعض هذه الصيغ[1]. ومنها ما هو نادر الاستعمال كالصيغ التي جاء على وزنها كلمـة واحدة أو بضـع كلمات وهو ما أسماه اللغويون القدماء نوادر الأبنيـة وقد خصص لهـا السيوطي في المزهر فصلاً مستقلاً[2].

وعلى ذلك فالاشتقاق لا يحق وجوده أو يقوم بـدوره في نمو العـربية الا في وجود هذه الصيـغ والأوزان ومن ثم فان لهـا علاقـة مباشـرة بالاشتقـاق

(١) السيوطي، المزهر، ٢/٤ وما بعدها، ٢/٣٦ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ٢/٤٢.

تعمل معه وتـدور في فلكه أو بمعنى أدق يـدور هو في فلكهـا، فهل تشكـل تلك الصيغ وهاتيك الأوزان قيداً على نمو الثروة اللفظية في اللغة العربية؟

هناك رأي يقول أن اللغة العربية « لا تكاد تظفر بجـديد من الألفـاظ يعتمـد في وجوده عـلى الاشتقاق لأن الصيـغ الاشتقاقيـة التي تصـاغ فيهـا الألفاظ لا تكاد تختلف على مر الأيام، فصيغ اسم الفـاعل والمفعـول واسم الزمان والمكـان والمصادر ومـا اليها لم تختلف منـذ أن وصلت إلينا نصـوص اللغة وقد تركزت فيها هذه الأصول والقوالب الاشتقاقية »[1].

والواقع أن هذا الرأي صحيح بشكل عـام ولكن ألا يدل تعـدد معاني هذه الصيغ والأبنية على نوع من الحيويـة والتجديـد يغفر لهـا هذا الجمـود الظاهري اذ أننا نجد أن الصيغـة الواحـدة أحيانـاً تدل عـلى معان متعـددة فوزن (فعيل) مثلاً يدل على الصفة الثابتة نحو (كريم وشـريف وخبير) وفي الوقت نفسه تدل على الصـوت نحو (صهيـل وعويـل وزئير) كـما يدل وزن (فعال) على مصدر (فَاعَـل يُفَاعِـل) مثل قتـال وسياق وعـلى آلات وأدوات مثل اناء وحِزام وعلى جمع فعيل احياناً مثل كرام ولئام وطوال. ويـدل وزن أفعل من الأفعال على متعدى فَعَل اللازم مثل أخرج وعـلى وجدان الشيء على صفة مثل أحمد أي وجده حميداً وعـلى بلوغ الشيء مثل أَحْصَـدَ الزرعُ أي بلغ أوان حصاده وغير ذلك من المعاني.

كذلك قد يدل على المعنى الواحد أوزان متعددة فمبالغة اسم الفـاعل تدل عليها صيغة فَعال ومِفعال وفعول وفعل وفعيل وعـلى الأصوات فِعـال وفُعْـل والألفـاظ الدالـة على الآلات والأدوات وردت عـلى أوزان متعددة منها فاعول وقد ورد على وزنها عدد من الكلمـات مثل السـاطور والقـارور والناقوس، ووردت كلمات أخرى عـلى وزن فِعال مثـل: الشعار والـدسار

(١) د. السيد خليل، دراسات في القرآن ص ٥٧.

والرداء والغطاء وأتت غيرها على وزن مفعل مثل مبرد وأخرى على وزن مفعال مثل: مفتاح(١).

كل هذا، يعطي هذه الصيغ التي قد تبدو للباحث ثابتة نوعاً من التجدد يعوضها عن هذا الجمود الظاهري وهو ما نلاحظه على الصيغ والأوزان التي استخرجها واستنبطها علماء العربية القدماء اذ نجد أنها ليست متساوية في الاستعمال، فبعضها ظاهر النشاط كثير الاستعمال يعمل عمله في نمو اللغة وتجديدها وبعضها راكد جامد. ومع ذلك فالباحث يلمح أحياناً نشوء صيغ جديدة في عصور العربية بعد الاسلام مثال ذلك الصيغة الناشئة من اضافة الألف والنون مع ياء النسب نحو روحاني وجسماني وهي صيغة مولدة نجدها في كتب الصوفية والمتكلمين وكذلك الصيغة الناشئة من إضافة ياء النسب مع التاء للدلالة على المذهب كالجبرية والقدرية والصوفية والمادية والاشتراكية وكلها كلمات مولدة ذات صيغ مولدة لم تعرفها العربية القديمة وقد أقر مجمع اللغة العربية في مصر قياسية هذه الصيغة فاستفاد منها في توليد كثير من الكلمات للدلالة على المذهب كما سنرى في هذا البحث(٢).

ولعلنا لو التفتنا قليلاً الى اللهجات العامية للائتناس وتتبع الظاهرة نجد ميل هذه اللهجات الى ابتداع نوع من الصيغ الجديدة مثال ذلك صيغة (تفعلن) في اللهجة الشامية ومنها جاء (تكسلن) و (تحمرن)(٣) حيث نجد مثل هذه الصيغ تزحف الى الكتابات العربية المعاصرة فنجد كاتباً مثل كمال يوسف الحاج يشتق على هذه الصيغ كلمات كثيرة مثل قوله (يتألهن)

---

(١) محمد المبارك، فقه اللغة ص ١٣٧.

(٢) راجع هذا البحث ص ٤٢٤.

(٣) محمد مبارك، فقه اللغة ص ١٩، جورجي زيدان، اللغة العربية كائن ص ٨٩ وما بعدها.

الانسـان أي يتشبه بـالاله (ويتـأنسن الالـه) (ويلفـظن الفكـر) (ويفكـرن اللفظ)(١) وعلى الرغم من أن هذا بعد من التوليد المـرضي(٢) إلا أنه يـدل في الوقت نفسه على نوع من الزحف البطيء لصيغ جديدة الى العربية.

أفـلا تـدل هـذه الـظواهـر جميعـاً من تعـدد الصيـغ وتعـدد معـانيهـا واجتماعها أحياناً على معنى واحد واختلافها أحيـاناً أخـرى وكذلـك ظهور صيغ جديـدة، ألا يدل كـل هذا عـلى نوع من التبـدل والتطور في صيـغ العربية قد يكون بطيئاً لا يكاد يلحظ إلا أننا لا نستطيع القول بأنها ستبقى هكـذا الى الأبد ذلـك لأنها لم تكن ثـابتـة أو جـامـدة في المـاضي. فبعض الباحثين يرى أن وزن فاعيل وفاعول وفاعـال من أقدم الأوزان وأن فـاعيل بتطورها ولدت فاعل وفعيل ومنها تولد وزن فَعِل وأن فاعول ولـدت فعول وأن فاعال ولدت فاعل وفعال ومنها تولد فعل(٣).

إذاً فتطور الصيغ والأوزان أمـر ممكن حدوثـه بل هـو حادث فعـلاً كما رأينا، فإذا أضفنا الى كل هذا تعدد صيـغ العربيـة وكثرة أوزانها وهي بـلا شك لم توجد دفعة واحدة، وانما حدث ذلك على مراحل من التطور طويلة ثم الحيـوية الخـاصة التي تتمتـع بها في الـدلالة عـلى المعاني، من كـل هذا سنجد أن الاشتقاق العام من أهم طرق نمو العربية وامدادها خلال تاريخها الـطويل بـالجديـد من الألفاظ التي تستعـين بها عـلى الاستجابـة لحاجـات المتكلمين. يضاف الى هذا أن الاشتقاق بطبيعته يتيح للمتكلمين بـالعربيـة صوغ المفردات حسب قـواعد قـد تكون محـدودة حقاً في النهـاية ولكنهـا في نفس الوقت مجردة من النـاحية الفكـرية، وللمتلكم الحـرية في التعبـير عن أغراضه بهـا حسب كل احتمـال وهو يجـد في متناول يـده من هذه الأوزان

---

(١) كمال يوسف الحاج، فلسفة اللغة ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) أنظر البحث ص ٤٣٤.

(٣) عبد الله العلايلي، تهذيب المقدمة اللغوية ص ٩٥ ـ ٩٦، ١٠١.

والصيغ كل ما يحتاج اليه فيبني منها ما يشاء لأنه في نهاية الأمر صاحب التصرف في المشتقات وفي اختيار ما يلائمه منها وفق أغراضه وطبيعة التفكير عنده وما اللغة هنا إلا مادة طبعة وأداة في يد المتكلم الذي يستثمر هذا الجانب في مساحات شاسعة من المعنى ودقائق التعبير واحتمال ابتكار صيغ جديدة لهذا السبب أمر قائم وفي كلا الحالتين يكون الاشتقاق بصورته الثابتة والمتجددة وسيلة رئيسية من وسائل نمو الثروة اللفظية في العربية.

ننتقل بعد هذا الى طريق آخر من طرق النمو اللغوي وهو يتصل بالاشتقاق بسبب من الأسباب بل لقد اعتبره بعض اللغويين القدماء والمحدثين جزءاً منه ولكني آثرت أن أفرده بتسميته الخاصة التي تدل على حقيقته أكثر من الحاقه بالاشتقاق كما صنع اللغويون القدماء وهذا الطريق هو:

٢ ـ النحت

النحت في اللغة العربية ظاهرة قديمة وهو عبارة عن تكوين كلمة جديدة مركبة من كلمتين أو أكثر للدلالة على معنى مركب من معاني الألفاظ المتكونة منها[١] وهو نوع من الاختصار لجأ اليه المتكلمون باللغة العربية القديمة والمولدة والحديثة والداعي اليه كما قال العلماء عدم جواز اشتقاق كلمة من كلمتين في أقيسة التصريف[٢]. وقد كتب في النحت كثير من علماء العربية امثال ابن فارس وأبي علي الظهير النعماني (ت ٥٩٨ هـ) وله كتاب في النحت اسماه تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب ولم يصل الينا هذا الكتاب كما كتب ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) في اصلاح

(١) ابن فارس، الصاحبي ص ٢٧١، السيوطي، المزهر ٤٨٢/١، عبد الله أمين، الاشتقاق ٣٩١.

(٢) المزهر، ٤٨٣/١.

المنطق، والتبريزي (ت ٥٠٢ هـ) في التهذيب وغيرهم[١].

ومن ذلك نرى أن النحت كان ظاهرة لغوية معروفة لدى علماء العربية القدماء واهتموا به، ولكن لاختلاف آرائهم حوله لم يكن معترفاً به تماماً حتى عند المحدثين فقد قال بعضهم أن النحت يولد الفاظاً غريبة على السمع معقدة وقال البعض الآخر ان النحت ضرب من ضروب الاشتقاق وقال فريق ثالث أن النحت قياسي وذهب فريق رابع الى أنه مع كثرته عند العرب فانه غير قياسي[٢] وهو في الواقع نتيجة من نتائج كثرة الاستعمال لبعض الألفاظ كما شأار الى ذلك الخليل بن أحمد في قوله « ان العرب تلجأ للنحت إذا كثر استعمالهم للكلمتين ضموا بعض حروف احداهما الى بعض حروف الأخرى »[٣].

ولذلك نجد أن عدد الألفاظ المنحوتة في العربية القديمة والمولدة محدود فهي حوالي مائة لفظة تقريباً وضعها الدكتور رمسيس جرجس في الجدول الآتي:

أ: أزلي، أزني.
ب: بأبأ، بختج، برقل، برنجانية، بسمل، بلحارث، بلشرح، بلخبيته، بلعنبر، بلهجيم، بعثر، بلكف، بلحرث، بلعنين، بهبه.
ج: جعفد، جلمد، جلمود، جلنبق، جمادله.
ح: حبقر، حتفل، حسبل، حضرمي، حمدل، حنفلني، حوقل، حولق، حيهل، حيعل.
خ: خيتور، ختلع.
د: دعدعه، دمعزه.

---

(١) المصدر السابق ٤٨٣ ـ ٤٨٤، مجلة مجمع اللغة العربية ١٣/٦٣ سنة ١٩٦١.
(٢) مجلة اللسان العربي المجلد التاسع ١٦٢/١ سنة ١٩٧٢.
(٣) لسان العرب ١٤/٢٣٠.

س: سبحل، سيطر، سعبر، سمعل.
ش: شصلب، شقنقي، شقحطب.
ص: صلخد، صلدم، صَيْحَلَ، صهصه، صهصلق.
ض: ضبطر.
ط: طلبق.
ع: عصلب، عبشم، عبدري، عبقسي، عبدلي، عبقري، عبشمس.
غ: غسلب.
ف: فذلك، فرجل، فرنب، فزردق.
ق: قصلب، قعيس، قهقه.
ك: كتبع، كلبز.
م: مشألة، مشكن، مرقس، مشلوز، معمعه، ملفخر
هـ: هلل، هيلله.
و: ولْول، ويلم(١).

ونلاحظ من هذا الجدول أنه ضم مجموعة من الألفاظ العربية القديمة المنحوتة وكذلك بعضاً من الألفاظ المولدة المنحوتة بالاضافة الى لفظ مثل خيتعور الذي يظن أنه معرب في العربية عن اسم الآلهة المصرية القديمة حتحور لتشابه اللفظ والدلالة(٢) وعلى الرغم من أن هذا الجدول قد ضم بعض الكلمات الرباعية الأصل التي قد تكون بعيدة عن النحت تماماً مثل (برفل) و (سيطر) إلا أننا يمكن أن نرجع طرق النحت في العربية الى الأنواع الأربعة الآتية:

١ ـ **النحت الفعلي**: ويتم من نحت فعل من جملة يدل على حكاية القول أو حدوث المضمون مثل قولهم بأبأ إذا قال بأبي أنت والهمزة الأخيرة

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، ٦٧/١٣ سنة ١٩٦١، عبد الله أمين، الاشتقاق ص ٣٩٣.
(٢) لغة أبي العلاء في رسالة الغفران ص ٣٤٤.

منحوتة من أنت، ومثل جعفل من جعلت فداك، وسبحل من سبحان الله، وحوقل من لا حول ولا قوة إلا بالله ودمعز من أدام الله عزك . وهكذا.

٢ ـ **النحت الوصفي**: ويتم من نحت كلمة من كلمتين تدل على صفة بمعناها أو أشد منها مثل ضبطر للرجل الشديد منحوت من ضبط وصبر، والصلدم منحوت من الصلد والصدم، وصهلصق للشديد من الأصوات منحوت من صهل وصلق وكلاهما يدل على الصوت.

٣ ـ **النحت الاسمي**: ان ننحت من كلمتين اسماً مثل جلمود من جلد وجمد وقد يأتي من هذا النوع ما تكون حروف المنحوت عين حروف المنحوت منه ويكون أثر النحت في الصيغة لا في المادة مثل: شقحطب على وزن سفرجل اسم للكبش منحوت من شق وحطب، ومثل حبقر للبرد وهو من حب وقر فيقال هذا الشيء أبرد من حبقر أي أبرد من البرد.

٤ ـ **النحت النسبي**: وغالباً ما يكون من اعلام قبائل كل منها مؤلف من اسمين متضايفين نحت من منهما عند النسب اسم رباعي ثم نسب اليه مثل عبشمي من عبد شمس وعبدري من عبد الدار وعبقس من عبد القيس(١).

أما من ناحية الوزن فنرى أن الألفاظ المنحوتة أما رباعية أو خماسية أو سداسية أو سباعية وفيها يلي أمثلة لكل نوع منها:

١ ـ **الرباعي**: وهو أكثرها شيوعاً:

أ ـ على وزن فَعْلَلْ مثل القصلب أي القوي الصلب.

ب ـ على وزن فِعْلِلْ مثل الصلدم أي الشديد.

---

(١) عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب ص ١٣، عبد الله أمين ص ٣٩٤.

٢ ـ **الخماسي**: مثل الصهصلق.
٣ ـ **السداسي**: مثل البلهجيم أي من بني الهيجم.
٤ ـ **السباعي**: مثل بلخبيته أي من بني خبيته.

ولقلة النحت في العربية اعتبره اللغويون العرب القدماء مركبات من نوع خاص ومن ثم لم يعنوا باستقراء قواعد عامة له ولكن باحثاً معاصراً قام بترتيب وايضاح هذه القواعد واستخلاصها في بحث قدمه لمجمع اللغة العربية وقال فيه « لم توضع للنحت قواعد حتى الآن لذلك استقرأت مناهج العرب في اللغة العربية قديماً وخرجت منها بهذه القواعد »[1] ثم يذكر هذه القواعد التي استخلصها وهي بايجاز على النحو التالي:

١ ـ أجازوا الأخذ من كل الكلمات أو بعضها.
٢ ـ يلاحظ اعتبار ترتيب الحروف الأصلية، وما عدا ذلك فهو شاذ:
أ ـ طبلق بتقديم الباء على اللام من أطال الله بقاءك والقياس طلبق.
ب ـ حوقل بتقديم القاف على اللام من لا حول ولا قوة إلا بالله والقياس حولق.
٣ ـ لا يشترط التزام الحركات الأصلية مثل بعثر من بعث ونار.
٤ ـ يصاغ من وزن فعلل بتكرير المقطع الأول مثل بأبأ بأبي أنت وأمي.

مما سبق يتضح لنا أن العربية عرفت النحت كوسيلة أو طريق من طرق النحو اللغوي منذ القدم، وتدل الشواهد المحفوظة والتي ذكرناها آنفا على وجود هذه الظاهرة في العربية القديمة اذ أن بعض الكلمات المنحوتة مثل عبقسي وعبدري وعبشمس وغيرها تدل على أن هذه الكلمات نحتت للدلالة على النسبة إلى أسماء بعض القبائل بينما تدل بعض المنحوتات الأخرى على أنها ظهرت في الاستعمال بعد الاسلام مثل بسمل وحوقل وحمدل وحيعل وغيرها ولا نعرف على وجه التحديد متى ظهرت ولكنها

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ١٣/٦٣ سنة ١٩٦١.

لاشـك تدخـل في نطاق الكلمـات المولـدة، ويبدو أن قلة عـدد الكلمـات المنحوتة يرجع الى أن هذا النمط من ابتداع الكلمـات وتوليـدها قـائم على كثرة الاستعمال ويدل على ذلك الروايـة التي أوردها ابن منـظور (ت ٧١١ هـ) في اللسان في حديث ابن مسعود، أن امرأته سألته أن يكسوهـا جلبابـاً فقال لها إنّي أخشى أن تدعى جلباب الله الذي جلببك، فقالت وما هـو، قال بيتك، فقالت أَجَنَّكَ من أصحاب محمد تقول هذا، تريد « أمن أجـل انك » فحذفت من ثم الهمـزة واللام من كلمـة (أجل) والهمـزة من انك، فقالت أجنك[١].

ومـع ذلك نـرى ابن فارس لا يكتفي بـالاستشهاد عـلى هذه الـظاهرة اللغوية بالأمثلة الشائعة التي ذكرنـاها من قبـل بل يبتـدع لنفسه مـذهباً في النحت جديراً بالنظر والمنـاقشة، فهـو يرى أن الألفـاظ الزائـدة على ثـلاثة أحرف أكثرها منحوت فيقول « هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجـل الشديـد ضبطر من ضبط وصبـر وفي قـولهم صهصلق أنـه من صهـل وصلق، وفي الصلدم أنــه من الصلد والصدم وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة »[٢].

فإذا ذهبنا الى معجم مقاييس اللغة وجـدناه يـرسم للباحث منهجـه في النحت بصورة أدق فيقول « اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوتاً « ثم يقول » ومعنى النحت، أن تأخذ كلمتين وتنحت منهما كلمة تكـون آخذة منهما جميعاً بحظ والأصل في ذلك مـا ذكره الخليـل من قولهم حيعـل الرجـل، اذا قال حيّ على »[٣] ولكنه يستشعر في قولهم حيعل لفظاً مولداً لم يـردْ عن الفصحاء،

---

(١) لسان العرب مادة ج ن ن.

(٢) ابن فارس، الصاحبي ص ٢٧١.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١/٣٢٨ - ٣٢٩.

فيعود للاستشهاد على النحت من الشعر الجاهلي قائلاً « ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم عبشمس » ويستشهد على ذلك بقول الشاعر: « وتضحك مني شخة عبشية »(١) ثم يعود بعد ذلك لينبه على أن الرباعي لا يفسر دائماً بظاهرة النحت لأن الرباعي عنده على ضربين « أحدهما المنحوت الذي ذكرناه والضرب الآخر الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس »(٢) وهنا نراه يلفت النظر الى أن كثيراً مما يسميه اللغويون رباعياً بالوضع انما هو في الحقيقة ضرب من ضروب النحت أو جنس من الاختصار، وهكذا وسع ابن فارس من دائرة النحت في العربية حتى بلغ عدد الألفاظ المنحوتة في معجمه أكثر من ثلاثمائة كلمة منحوتة(٣) ثم أخذ في التدليل على مذهبه هذا بالحديث عن لفظة البلعوم فقال « فمما جاء منحوتاً من كلام العرب في الرباعي وأوله باء البلعوم مجرى الطعام في الحلق وقد يحذف فيقال بلعم وغير مشكل أن هذا مأخوذ من بلع إلا أنه زيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه وهذا وما أشبه توطئة لما بعده »(٤) ثم يذكر أمثلة لذلك منها:

١ ـ البعثقة ويفسره بخروج الماء من الحوض، يقال تبعثق الماء من الحوض اذا انكسرت منه ناحية فخرج منها وذلك منحوت من كلمتين بعق وبثق.

٢ ـ بلطح الرجل اذا ضرب بنفسه الأرض فهي منحوته من بطح وبلط اذا التصق ببلاط الأرض.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٩ وتمام البيت: كأن لم تري قبلي أسيراً يمانياً وفيه التفات من الغائب الى المخاطب، وهو شاهد نحوي لعبد يغوث بن وقاص الحارثي انظر المفضليات ص ٣١٨ بعناية كارلوس يعقوب لابل ط بيروت ١٩٢٠ وشرح ابن الأنباري.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الدكتور صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص ٢٥٨.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١/٣٢٩.

٣ ـ البرقش اسم لطائر وهو من كلمتين رقشت الشيء وهو كالنقش ومن البرش وهو اختلاف اللونين[١].

على هذه الصورة يمضي ابن فارس في ذكر الكثير من الكلمات الرباعية أو الخماسية التي يظن أنها منحوتة والحقيقة أنها في أكثر الأحيان وخاصة بالنسبة للأفعال لا تخرج عن كونها صورة من صور تطور الفعل الثلاثي[٢]. والتي تدخل في باب زيادة المبنى لزيادة المعنى[٣]، وهو ما لاحظه ابن فارس نفسه في حديثه عن لفظة البلعوم كما رأينا من قبل، ولكن يبدو أنه لم يفطن الى ذلك ومن ثم راح يحاول اثبات مذهبه في النحت فرأى في كل حرف زائدة صورة رمزية لكلمة أخرى ربما تكون الكلمة المزيدة منحوتة منها معاً، وغالباً ما كان يقتنع بوقوع النحت ولو بحرف واحد وهو في هذا لا يفرق بين الألفاظ العربية وغير العربية.

فمن ذلك خلطه المنحوت بالمعرب كقوله « بالنحت في مادة جردب، يقال جردب الرجل طعامه اذا ستره بيده فقال ابن فارس انها منحوتة من كلمتين، جدب لأنه يمنع طعامه فهو كالجدب المانع خيره ومن الجيم والراء والباء كأنه جعل يديه جراباً يعي الشيء ويحتويه ثم يستشهد على ذلك بقول الشاعر:

إذا ما كنت في قوم شهاوى ولا تجعل شمالك جرد بانا[٤]

والحقيقة أن الكلمة من الفارسي المعرب[٥] وهي في الفارسية (كرده بان) وكرده بمعنى الشيء المتدير أو الرغيف من الخبز[٦] وبان عبارة عن

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.
(٢) هنري فليش، العربية الفصحى ص ١٥٥ ـ ١٦٠.
(٣) ابن الأنباري، الأنصاف ١/ ٤٢١ وما بعدها.
(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١/ ٥٠٦.
(٥) الجواليقي، المعرب ص ١١٠.
(٦) Haim, S., persian English Diot: Vol. 2 p. 702.

لاحقة SuffiX إذا دخلت على اللفظة الفارسية اعطت معنى الحفظ والحراسة. فمثلاً يقال في الفارسية « دربان » بمعنى الحارس أو البواب[1] ومن ثم تكون (كرده بان) التي دخلت العربية فأصبحت (جردبان) كما جاءت في الشاهد الذي ذكره ابن فارس معناها الحرفي حارس الخبز أو المحافظة عليه أي البخيل الذي يضن بالخبز وهو المدلول الذي استقرت عليه في العربية، فالكلمة إذاً ليست عربية الأصل وبالتالي ليست منحوتة كما توهم ابن فارس، ولعل ما ذهب اليه الكلمات في نحت الكلمات يقترب الى حد كبير من فكرة نمو الألفاظ عن طريق السوابق واللواحق Prefixes and Suffixes في اللغات الهندية الأوروبية والتي عدها اللغويون المحدثون من الطرق التي تلجأ اليها تلك اللغات لزيادة ثروتها اللفظية على طريقتها الخاصة في ذلك وعلى أساس من قوانينها اللغوة التي لا مجال للبحث فيها هنا[2] .

وإذا كان ابن فارس قد توسع الى حد أنه رأى في كل كلمة زائدة عن ثلاثة أحرف صوره من صور النحت فان بعض اللغويين القدماء قد التزم جانب الاعتدال ولم يقل في النحت الا بما سمع عن العرب لأن الحكم فيه لا يضطرد وانما يقال منه ما نقل عن العرب[3] وسواء رأينا رأي ابن فارس أم غيره فلا جدال في أن النحت من الطرق التي كان لابد لعلماء العربية أن يعطوها أهمية بحيث تمد اللغة بألفاظ جديدة. ولكن هذا الموقف المتباين حد من فعالية هذه الوسيلة من وسائل النمو اللغوي في تنيمة العربية ومع ذلك فقد ظل النحت ظاهرة مروية بأمثلتها الشائعة التي ذكرناها في الجدول السابق حتى كانت النهضة اللغوية والعلمية في العصر الحديث

---

(١) Ibid. Vol. 1. p. 219.

(٢) Startevant, linguistic change. pp. 110 - 114; of Daramesteter, la vie de Mots. p. 31.

وراجع أيضاً: هنري فليش، العربية الفصحى ص ١٨٤ ـ ١٨٧ .

(٣) السيوطي، المزهر ٤٨٥/١.

حيث واجهت العربية تطوراً عاصفاً في المعلوم وأدوات الحضارة فقامت أمام اللغويين والعلماء على السواء مشكلة وضع المصطلحات العلمية للتعبير عن المسميات والأدوات والمفاهيم الجديدة، فهناك مئات من الكلمات والمصطلحات العلمية في اللغات الأجنبية لا مقابل لها في العربية الى جانب ما يتولد منها في كل ساعة في هذه اللغات، ومن ثم شعر القائمون على العربية بعجزها عن اللحاق بكل هذا فلجأت المجامع اللغوية والهيئات العلمية والأفراد الى وسائل عديدة لوضع الكلمات واستنباط المصطلحات والتفتوا فيما التفتوا اليه الى ظاهرة النحت كطريق من طرق النمو اللغوي، ولكن اللغويين المحدثين انقسموا في الأخذ بالنحت الى ثلاثة طوائف:

١ ـ الطائفة الأولى ورفضت الأخذ به وقال قائلهم « كل ما يقال عن النحت ظنون لا يعول عليها وهو غير مضطرد مطلقاً »[١] وقال آخر « لا أرى حاجة الى النحت لأن علماء العصر العباسي مع كل احتياجاتهم الى الألفاظ الجديدة لم ينحتوا كلمة واحدة علمية فضلاً عن أن العرب لم تنحت إلا الألفاظ التي يكثر ترددها على ألسنتهم فكان ذلك سبباً في النحت أما التي لا يكثر ترددها فلم ينحتوها »[٢] وهذا الرأي هو رأي الأب أنستاس ماري الكرملي وعلق عليه الدكتور جواد قائلاً « ونحن نرى أن رأي الأب أنستاس على صواب » ويدلل الدكتور مصطفى جواد على صحة هذا الرأي فيقول أنه لا يصح النحت مثلاً في المصطلح: «أي الطب» النفسي الجسمي خشية التفريط في الاسم باضاعة شيء من أحرفه كأن يقال « النفسجي » أو « النفسجسمي » مما يبعد الاسم عن أصله فيختلط بغيره وتذهب الفائدة المرتجاة منه ثم يقول « وعلى ذكر النحت أود أن أشير

---

(١) محاضرات جلسات مجمع اللغة العربية ١/١١ سنة ١٩٣٤.

(٢) د. مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق ص ٨٨.

الى أني لا أركن اليه في المصطلحات الجديدة إلا نادراً لأنـه نادر في العـربية ويشوه كلماتها[1].

٢ ـ الطائفة الثانية وقـد توسـطت الأمر فلم تقـل بالـرفض المطلق ولا بالقبول التـام واتسمت آراؤ ها بـالحذر والتـردد فمثلاً لجـأ الأمير مصـطفى الشهـابي الى النحت وهو يعتبـر من رواد تطويـر اللغة العـربية ولكنـه كان حذراً في ذلك لدرجة أنه اضطر الى معارضة نفسه أو التردد في ابداء الرأي فيقول في كتابه: المصطلحات العلمية في اللغة العربية « ولم ألجأ الى النحت إلا نادراً »[2] ومن أمثلة ذلك عنده:

أ ـ لبأرز من لبنان وأرز[3]

ب ـ تحتربه من تحت وتربه[4].

ومـع ذلك نـراه يقول « ونحن في حـاجة الى النحت في تـرجمـة بعض الأسـماء العلمية ولكن النحت يحتـاج الى ذوق سليم »[5] وفي موضـع آخر يقول « ان البعض ممن لم يختصوا بعلم ولم يطلعوا كـما يجب على خصـائص اللغة العربية ينحتون الفـاظاً عجيبـة لا تقبلها النفس ولا السمـع وخاصـة وأن لها نظائر في اللغة معمولاً بها مثل:

أ ـ غشجينيات Hymenoteres والمستعمل غمديات الأجنحة .

ب ـ قبتاريخ Préhistoireوالمستعمل قبل التاريخ[6] .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ١٨.

(٣) مصطفى الشهابي، معجم الألفاظ الزراعية ص ٣٩٠.

(٤) المرجع السابق ص ٦٠٧، ٦١١.

(٥) مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية ص ١٨.

(٦) مصطفى الشهابي، مجلة مجمع دمشق ٥٥٣/٣٤ سنة ١٩٥٩.

٣ ـ الطائفة الثالثة ونادت بجواز النحت لأنه اذا ساغ للعرب نحت ألفاظ ساغ لنا أيضاً أن ننحت ما يلزمنا وتمس اليه حاجتنا[١].

والحقيقة أننا بحاجة الى النحت وهو أمر لاشك فيه تدفعنا الى ذلك حاجات علمية ومقتضيات حضارية وتطور ضخم في العلوم والترجمة، والدليل على ذلك أن كثيراً من العلماء العرب قد لجأو الى النحت ووضعوا مصطلحات منحوتة في المعاجم الحديثة[٢] وقلما نجد معجماً خالياً من تلك المصطلحات. على أن هناك شروطاً لابد من توافرها لوضع كلمات عن طريق النحت وهي:

١ ـ ألا يكون اللفظ المنحوت نابياً في الجرس عن سليفة العربية.

٢ ـ أن يكون المنحوت على وزن عربي نطق به العرب على قدر الامكان.

٣ ـ أن يؤدي المنحوت حاجات اللغة من أفراد وتثنيه ونسب واعراب.

ومن هنا كان موقف مجمع اللغة العربية الذي قال بجواز النحت عندما تلجىء اليه الضرورة مع مراعاة طبيعة العربية في ذلك[٣]. وبمراعاة تلك الشروط يصبح النحت وسيلة ايجابية في اثراء اللغة العربية وتجديد الفاظها لتلاحق التطور العلمي والحضاري الحديث في غير تنكر لطبيعتها أو عدوان على خصائصها.

---

(١) عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب ص ١٦، اسماعيل مظهر، تجديد اللغة العربية ص ١٦ ـ ١٧.

(٢) انظر على سبيل المثال منير البعلبكي ـ المورد ص ٧٣٦ مثال: طبينفسي، طبيعقلي Psychiatrie، تحليل يتفسى: psychoanalytie احيايتفسي psycobiologie

(٣) محمد خلف أحمد ومحمد شوقي أمين، مجموعة القرارات العلمية ٩/٣.

٣ ـ المجاز

التعبير الحقيقي المحض هو الذي يقف بألفاظ اللغة عند دلالاتها الأصلية الوضعية، واستخدام الألفاظ بأوضاعها الأصلية يضيق من قدرة اللغة على التعبير عن الفكر والمعاني المختلفة، اذ المعاني متغيرة ومتجددة دائماً، بينما الألفاظ في نهاية الأمر محدودة مهما بلغ عددها، لذلك يلجأ الناس والأدباء منهم بوجه خاص الى الخروج بالألفاظ عن أوضاعها الأصلية الحقيقية الى أوضاع أخرى ذات دلالات جديدة يحملونها لتلك الألفاظ وهذا ما اصطلح على تسميته بالمجاز.

ويلجأ الأديب الى التعبير المجازي يوحي من احساسه ومن طبيعة الموضوع الذي يتناوله فتأخذ الكلمات بين يديه دلالات جديدة تكتسبها من الأوضاع المجازية التي يضعها فيها، وعلى ذلك اعتبر القدماء التشبيه والاستعارة والكناية كلها صوراً من صور المجاز، ولكن أي صور المجاز تلك التي تسهم اكثر من غيرها في اثراء اللغة؟ الحقيقة أن كثيراً من علماء العربية القدماء أولوا موضوع المجاز اهتماماً كبيراً واليهم يرجع الفضل في تحديد أقسامه وتعريفه، وعلى الرغم من أن ما كتبوه حول هذا الموضوع يضع الباحث أمام تراث ضخم من الآراء ووجهات النظر المختلفة[١]، إلا أننا سنقصر الحديث هنا على ايضاح دور المجاز في النمو اللغوي.

اشتقت كلمة المجاز من مادة جوز التي تدل على الانتقال من جانب الى آخر ثم استعمل المجاز فيما يشبه الطريق التي تتخذ وسيلة الى بعض الأغراض واستعملت الكلمة في العلوم العربية لمعنى خاص هو استعمال اللفظ لغير ما وضع له[٢]. ويبدو أن أول من نحى بها هذا النحو أو قريباً

---

(١) انظر في ذلك : بدري عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، رسالة دكتوراه غير منشورة من آداب اسكندرية عام ١٩٧٥ .

(٢) انظر تاج العروس مادة جوز).

منه أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) اذ نجـده يبين بعض الصـور الفنية والأدبية التي جاء بها القرآن الكريم مما يتفق وطبيعة العربية في التعبير مثال ذلك قوله « ومن المجاز ما حذف وفيه مضمر قال » واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيهـا « فهذا محـذوف فيه ضمـير مجازه وسـل أهل القرية ومن في العير »[١].

ثم يمضي على هذا النهج فيبين مجاز ما اختصر وفيه مضمـر، ومجاز مـا كف خبره استغناء عنه وفيه ضمير، ومجاز ما جاء لفـظه لفظ الواحـد الذي له جمع منه ووقع معنى هذاالواحدعلى الجميع ، ومجاز مـا جاء في لفظ خبـر الجمع على لفظ الواحد الى آخر ما ذكره[٢].

أما الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) فقد استعمل المجاز بالمعنى المقابل للحقيقـة فهـو لا يريـد بكلمة المجـاز تلك الجوانب التي لفتت نـظر أبي عبيـده فقط ولكنه يريد أيضاً المعنى المقابل للحقيقة الذي به وبأشباهه تتسع اللغة يقول في كتاب الحيوان « باب آخر في المجـاز والتشبيه بـالأكل وهـو قول الله عـز وجل » ان الذين يـأكلون أموال اليتـامى ظلماً « وقولـه عز اسمـه « آكالـون للسحت » وقد يقال لهم ذلك وان شربوا بتلك الأموال أنبـذه ولبسوا الحلل وركحبوا الدواب ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل. وقد قال عـز وجل « وانما يأكلون في بطونهم ناراً » وهذا مجاز آخر[٣].

وفي موضع آخر يتكلم عن المجار في كلمة (الذوق) وهـو قول الـرجل إذا بالغ في عقوبة عبده (ذق)، وكيف ذقته؟ وكيف وجـدت طعمه؟ وقـال عز وجل « ذق انك أنت العزيز الكريم » وقال يزيد ابن الصعق :

وان الله ذاق حلوم قيس فلما ذاق خفتها قلاها

---

(١) أبو عبيدة، مجاز القرآن ١/٨، ابن جنى، خصائص ٢/٤٤٧.

(٢) أبو عبيدة، مجاز القرآن ١/٩ وما بعدها، ١/١٨ ـ ١٩.

(٣) الحيوان ٥/٢٥.

فزعم أن الله عز وجل يذوق. . . . وللعرب اقدام على الكلام ثقة بفهم أصحابهم عنهم[1].

وفي موضع ثالث يقول « وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا جاءت السماء اليوم بأمر عظيم. قال الشاعر[2]:

اذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضاباً

فزعموا أنهم يرعون السماء وأن السماء تسقط « ثم يعلق على ذلك قائلاً « ومن حمل اللغة على هذا المركب لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً وهذا الباب هو مفخر العرب ولغتهم وبه وبأشباهه اتسعت »[3].

فالمجاز إذاً عند الجاحظ هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له على سبيل التوسع من أهل اللغة.

ثم تطور مفهوم المجاز بعد ذلك حتى استقر في بيئة اللغويين والبلاغيين في القرن الرابع الهجري على تقسيمات محددة ودقيقة وخاصة فيما يتصل بالعلاقة بين الدلالة الأصلية أو الوضعية للفظ وبين الدلالة المجازية التي نقل اليها. فابن جنى يرى أن المجاز ضد الحقيقة، والحقيقة هو ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ويقع المجاز عنده ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة هي: الاتساع والتوكيد والتشبيه فان عدم المجاز هذه الأوصاف أو الأسباب كانت الحقيقة[4].

ثم يتناول الآية التي سبق أن تناولها أو عبيده وهي قوله تعالى « واسأل القرية التي كنا فيها » فيقول ابن جنى « أما الاتساع فلأنه استعمل لفظ السؤال مع مالا يصح في الحقيقة سؤاله ألا تراك تقول: وكم من قرية

---

(١) الحيوان، ٥/٣١ - ٣٢.

(٢) هو جرير (ت ١١٠ هـ) أنظر ابن رشيق، العمدة ١/١٧٩.

(٣) الحيوان ٥/٤٢٥.

(٤) ابن جنى، الخصائص، ٢/٤٤٢.

مسؤولة وتقول القرى وتساؤلك، وكقولك أنت وشأنك، فهذا ونحوه اتساع، واما التشبيه فلأنها شبهت بمن يصح سؤاله لما كان بها ومؤلفاً لها، وأما التوكيد فلأنه في ظاهر اللفظ احالة بالسؤال على من ليس من عادته الاجابة فكأنهم تضمنوا لأبيهم عليه السلام أنه ان سأل الجمادات والجبال انبأته بصحة قولهم وهذا تناه في تصحيح الخبر أي لو سألتها لانطقها الله بصدقنا فكيف لو سألت من من عادته الجواب »[1]. ثم يخلص ابن جنى من مناقشة العلاقة بين الحقيقة والمجاز الى أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة وهو ينحو في مناقشته تلك منحى فسلفياً ليس هنا مجال الافاضة في ذكره أو مناقشته[2].

والذي يهمنا فيما قاله ابن جنى فيما سبق هو قوله ان المجاز يقع بغرض الاتساع أي زيادة قدرة اللغة على التعبير عن الدقائق والظلال في الفكرة وبغض النظر عن العنصر الجمالي الذي قد يلعب دوراً في المجاز فإننا نجد أن الألفاظ المفردة تكتسب عن طريق كالمجاز دلالات جديدة تلتصق بها من كثرة الاستعمال لم تكن من قبل مرتبطة بها ولكن المجاز يخلعها عليها حتى تنسى الحقيقة أحياناً ويستعمل اللفظ على مجازه. فإذا انتقلنا الى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) وهو بحق علم من أعلام اللغة العربية نراه يعرف المجاز بقوله « إذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً »[3].

ونلاحظ هنا أن عبد القاهر يرى أن اللفظ من الممكن أن يعدل به عن أصله أو ينتقل هو من مدلوله الأصلي الى مدلول آخر جديد، أو بمعنى آخر

---

(١) المصدر السابق ٢/٤٤٧.

(٢) المصدر السابق ٢/٤٤٧ - ٤٥٧.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة ص ٣٢٣، السكاكي، مفتاح العلوم ص ١٩٢ - ١٩٤.

أن التطور اللغوي من الممكن أن يؤدي الى ضرب من المجاز يتم تلقائياً ونتيجة لظروف معينة وهي لفتة دقيقة في الواقع من العالم العربي لأثر التطور في دلالة اللفظ. فإذا استأنفنا السير مع تعريف عبد القاهر للمجاز نجده يقول: « ثم اعلم بعد أن في اطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن أصله شرطاً وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الأصل، ومعنى الملاحظة أن الاسم يقع لما تقول انه مجاز فيه بسبب بينه وبين الذي تجعله حقيقة فيه، نحو أن اليد تقع للنعمة وأصلها الجارحة لأجل الاعتبارات اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم وما يقتضيه ظاهرة البيئة وموضوع الجبله ومن شأن النعمة أن تصدر عن اليد ومنها تصل الى المقصود بها والموهبة هي منه »[1].

وهنا نراه مرة أخرى يربط بين اللغة وبين أحوال المخلوقين وعاداتهم، أي بين اللغة كظاهرة اجتماعية وطرق التعبير باعتبارها انعكاساً لهذه الأحوال الاجتماعية من حيث أن اليد وهي الجارحة التي تعطي وتمنح النعمة وبالتالي من الممكن اطلاق اليد على النعمة لما بينهما من علاقة ثم يمضي مدللاً على ذلك باليد تطلق على الحكم والقدرة والقوة[2].

ثم يفرق بين المجاز في اللفظة المفردة وبين المجاز في التركيب فيقول « واعلم ان المجاز على ضربين، مجاز عن طريق اللغة ومجاز عن طريق المعنى والمعقول فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا اليد مجاز في النعمة والأسد مجاز في الانسان وكل ما ليس بالسبع معروف، كان حكماً اجريناه على ما جرى عليه عن طريق اللغة لأنا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها التي وقعت له ابتداء في اللغة وأوقعها على غير ذلك أما تشبيهاً وأما لصلة وملابسة بين نقلها اليه وما نقلها عنه »[3].

(١) أسرار البلاغة ص ٣٢٣.
(٢) المصدر السابق ص ٣٢٤.
(٣) المصدر السابق ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

أما بالنسبة للمجاز في الجملة فهو عنده يختص بالادراك العقلي للدلالة النابعة أو المفهومة من طبيعة الاسناد يقول: « ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازاً عن طريق المعقول دون اللغة، وذلك أن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل لا يصح ردها الى اللغة ولا وجه لنسبتها الى واضعها لأن التأليف هو اسناد فعل الى اسم أو اسم الى اسم وذلك شيء يحصل بقصد المتكلم فلا يصير ضرب خبر عن زيد بوضع اللغة بل عن قصد اثبات الضرب فعلاً له »[1].

ومهما يكن من أمر فان ما ذكره ابن جنى أولاً ثم عبد القاهر الجرجاني ثانياً يضع بين أيدينا الحقائق التالية:

١ ـ انهم يطلقوان كلمة المجاز على اللفظ الذي ينقله المتكلم من دلالته الأصلية الوضعية الى دلالة أخرى بشرط توفر علاقة بين المدلولين يمكن ملاحظتها.

٢ ـ ان المجاز ضرب من ضروب التوسع تلجأ اليه اللغة أو المتكلم لتحقيق أكبر قدر من الدقة في التعبير.

٣ ـ من المجاز نوع مقصود يتم بطريق ارادي بنقل دلالات بعض الألفاظ الى دلالات أخرى، ونوع غير مقصود تصل اليه اللغة نتيجة لظروف البيئة وعوامل التطور المختلفة التي تعتريها.

هذا ولما كانت العلاقة أو المناسبة بين الألفقاظ في هذا الضرب من النمو اللغوي تقوم بدور حاسم في تحديد العلاقة بين المدلول الأصلي للفظ والمدلول الجديد له فقد توافر علماء العربية والبلاغيون منهم بوجه خاص على الكلام العربي فاستقرأوا أوجه العلاقات أو المناسبات المختلفة التي يقع في نطاقها المجاز فأحصوا من ذلك أكثر من عشرة وجوه:

---

(١) أسرار البلاغة ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

١ ـ التجوز بلفظ السبب عن المسبب كقولهم اليد للقدرة والنعمة، السحاب للمطر، العنب للخمر.

٢ ـ بلفظ المسبب عن السبب كقولهم للمرض الشديد الموت.

٣ ـ المشابهة كالأسد للشجاع.

٤ ـ المضادة كالسيئة للجزاء.

٥ ـ اسم الكل للجزء كالعام للخاص.

٦ ـ اسم الجزء للكل كالأسود للزنجي.

٧ ـ اسم الفعل على القوة كالقول للخمر في الدن مسكره.

٨ ـ المجاورة كالرواية للقربة .

٩ ـ المجاز العرفي وهو اطلاق الحقيقة على ما هجر عرفاً كالدابة للحمار.

١٠ ـ الزيادة والنقصان كقوله تعالى « ليس كمثله شيء »، « واسأل أهل القرية ».

١١ ـ اسم المتعلق على المتعلق به كالمخلوق بالخلق[1].

وهذا كله ضرب من المجاز قد يحدث بطريقة غير مقصودة وقد يتم عن طريق القصد وخاصة في بيئة العلماء بغرض الاصطلاح والتواطؤ على دلالة معينة يحمل عليها اللفظ، وعلى هذا الوجه حمل كثير من العلماء الألفاظ الاسلامية كالصلاة والزكاة والحج ومصطلحات العلوم العربية من نحو وصرف وعروض وغيرها وكلها تدخل تحت هذا المجاز المقصود[2].

على أننا نلاحظ أن القدماء في بحثهم لأوجه العلاقة في المجاز قد ألموا بكثير من الملاحظات التي تطرق اليها اللغويون المحدثون في حديثهم عن شروط تغير المعنى.

---

(١) السيوطي، المزهر ١/٣٥٩ ـ ٣٦٠، السكاكي، مفتاح العلوم ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) أنظر هذا البحث ص ١٧٩. وما بعدها.

فاللغوي الفرنسي « دارمستتر » Darmesteter يعتبر المجاز وسيلة أساسية من وسائل تغير الدلالة وتطورها ويتحدث عن العلاقات التي تحكم هذا التغير ويحددها في نفس الوجوه التي حددها اللغويون العرب تقريباً فيتلكم عن اطلاق الجمع على المفرد والمفرد للجمع والكل للجزء والجزء للكل والعام للخاص والخاص للعام والعلة للمعلول والمعلول للعلة والمتضمن للمضمون والمحل على الحال فيه، والاشارة للشيء المشار اليه والشيء المشار اليه للاشارة والمجرد على الحسي والحسي على المجرد وهكذا[1].

والى مثل هذا أيضاً يذهب اللغوي الانجليزي « أولمان» Ullmann حيث حصر طرق تغير المعنى في ثلاثة أقسام هي: توسيع المعنى وتضييق المعنى، وانتقال المعنى[2]. وبقليل من التأمل نجد أن هذه الطرق الثلاثة متضمنة في تقسيم العرب للعلاقة بين الألفاظ في المجاز، فلاشك أن اطلاق الجزء على الكل أو العكس أو اطلاق العام على الخاص أو العكس هو من قبيل توسيع المعنى أو تضييقه كما ذكرهما أولمان على أننا نجده بعد ذلك يعود للحديث عن القوى النفسية التي تكن خلف تغير المعنى فيصل الى أن هنك دائماً نوعاً من الارتباط أو العلاقة بين المعنى القديم والجديدة وهذه العلاقة هي التي تحكم عملية التغير الدلالي وهي الأساس الذي تنبنى عليه عملية التقسمي النفي التي أشار اليها، ثم يحصر هذه العلاقات في أربعة مظاهر وهي: المشابهة بين المدلولين، العلاقة بين المدلولين، المشابهة بين اللفظين العلاقة بني اللفظين[3] وكلها لا تخرج في الواقع عما اثبته علماء العربية القدماء لأوجه العلاقة في المجاز كما ذكرناها آنفاً.

Darmestetet, la vie Des Mots. pp. 45 - 51.

(٢) دور الكلمة في اللغة ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٧.

ولعل علماء العربية كانوا أكثر دقة عندما لم يكتفوا في صحة المجاز بمراعاة نوع العلاقة فقط ولكن اشترطوا لذلك اضافة عنصر جمالى الى المعنى الجديد، فهم لا يرون في اطلاق اسم الشيء على ضده لعلاقة التضاد حتى يفيد معنى لطيفاً، كالتهكم في تسمية قبيح المنظر قمراً، أو التفاؤل في تسمية الصحراء مفازه، أو اللسيع سليماً، ولا يجيزون تسمية شيء باسم ما كان له ثم انقطع حتى صار الشيء متلبساً بغيره، كمن صار الى الشيخوخة فليس لنا أن نطلق عليه اسم الطفل مراعين علاقة أنه كان طفلاً، فان سميناه طفلاً لصغر عقله مثلاً أو قلة تجاربه فقد خرجنا عن علاقة التضاد الى علاقة المشابهة. كذلك لا يكتفون في اطلاق الجزء على الكل لعلاقة الجزئية حتى يكون للجزء اختصاص بالمعنى الذي يقصد من الكل نحو العين تستعمل للجاسوس لأن للعين مزيد اختصاص بالتجسس(١).

على أننا لابد أن نلاحظ أن اللغة تنمو غالباً بالمجاز في التراكيب أكثر منها في المفردات وذلك لأن التركيب المجازي غالباً ما يراعي فيه العنصر الجمالي وهو أمر قد لا يظهر بوضوح في المفردات كما لا تلتفت اليه الحياة العملية وما تتطلبه من اللغة، وسنجد أن هناك أوجه شبه بين المجاز وبين التوليد من حيث أن كلا منهما يتصل بالتغير الدلالي ويفترق المجاز عن التوليد في أن المجاز غالباً ما يحرص على وضوح العلاقة بالاضافة الى العنصر الجمالي، أما التوليد فقد لا يراعي ذلك(٢).

ولذلك اضطر اللغويون المحدثون الى التطرق الى موضوع المجاز عند مناقشتهم للتوليد كما يتضح لنا ذلك من المناقشة التي جرت في مجمع اللغة العربية في مصر ولكي يتضح أمر هذه العلاقة كتب الشيخ أحمد

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ١/٢٩٥ سنة ١٩٣٤.

(٢) أنظر ص ١٣٤ من هذا البحث.

الاسكنـدري مقالاً في مجلة المجمـع عن المجـاز والنقـل وأثـرهمـا في النمـو اللغوي وفيها يكاد يسوي بين التوليد والمجاز والنقل[1] ومهما يكن من أمـر فلاشك أن المجاز طريق من الطرق الهامة في اثراء اللغة وسد أوجه النقص في ألفاظها وتراكيبها، والبـاحث في كتب اللغة والأدب والتـاريخ ومعـاجم المصطلحات العربية القديمة يقف على عدد كبير من الألفاظ التي دخلت الى العربية بمدلولات جديدة عن هـذا الطريق، فـاتسع بهـا نطاق التعبيـر في اللغة مما يسر على العلماء والكتاب والمؤلفين الخوض في موضـوعات علميـة ودينية لم تكن العربية القديمة تعرفهـا من قبل كـما سنرى ذلـك خلال هـذا البحث. وعلى هذا الوجه من نقـل الألفاظ الى معـان جديـدة جرى أيضـاً نقل جانب كثير من الأسماء المستحدثة في العلوم والفنون في العصر الحديث وخاصة فيـما يتصل بـأسماء المختـرعات الحـديثة مثـل: القطار، القـاطرة، السيارة، الهاتف، . . . الخ.

وصفوه القول أن بابُ المجاز واسع وان فيه مجالاً لتنمية العربية ولاسيما بالمصطلحات العلمية وأسماء المخترعات الحديثة ولعل فيما أثبته الـزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في معجمه أساس البلاغة من ضـروب المجاز يعـطي صورة دقيقة لأثر المجاز في نمو العربية عن هذا الطريق وفي عمله هذا تنبيه لجانب من جوانب النمو والتطور في العربية.

٤ ـ الاقتراض اللغوي

لاشك أن أية لغة متقدمة متطورة عاشت فترة من عمـرها في حضـارة زاهرة وأدب رفيع لا يمكن أن تكتفي بثـروتها الخاصة من الألفاظ، كـما لا يمكن في الـوقت نفسه أن تنجـو من تأثـير اللغات الأخـرى أو تـأثيـرهـا في اللغـات الأخرى، واللغـة العربيـة تمتاز بـأنها من أقدم اللغـات الانسانيـة تاريخاً، فهي كما نعلم شعبة من شعب اللغة الساميـة الأم، بل هي أقـرب

---

(١) مجل مجمع اللغة العربية ـ المجاز والنقل ١/٢٩١ سنة ١٩٣٤.

هذه الشعب شبهاً باللغة الأم كما ذهب الى ذلك أكثر الباحثين[1].

وخلال تاريخ العربية الطويل منذ أن انفصلت عن السامية الأم واستوت لغة مستقلة ناضجة عرفناها فيما وصل الينا من نصوص الشعر الجاهلي خلال هذا التاريخ وبعده أيضاً حتى اليوم تقلبت بين عوامل لا تحصى تطورت فيها ونمت واتصلت بلغات أخرى من شعبتها ولغات من شعب غريبة عنها أيضاً فأثرت وتأثرت فأخذت ألفاظاً وتراكيب كما أعطت بدورها الفاظاً وتراكيب، وهي سواء آخذة أم معطية مقترضة أم مقرضة تنمو وتتغير وتتطور حسب الظروف التاريخية والحضارية التي تمر بها.

ومن ناحية أخرى فنحن نعلم أن الجزيرة العربية التي عاشت فيها اللغة العربية ردحاً طويلاً من الزمن لم تكن بمعزل عن العالم سواء قبل الاسلام أم بعده، فالحقيقة أن الجزيرة العربية وبخاصة أطرافها كانت على صلة بما حاولها وما جاورها من البلاد، كانت على صلة وثيقة ببلاد فارس وكانت الحيرة مملكة المناذرة حركة اتصال بين العرب والعجم، وكانت على صلة ببلاد الروم وكانت مملكة الغساسنة حلقة اتصال بين العرب والروم، وكان العرب على اتصال بالأنباط كما كانت في الجزء الجنوبي من بلادهم دول يمنية قوية كان لكل منها شأن عظيم في مجرى الحوادث التاريخية منهم المعينيون والسبئيون والحيريون والحضرميون، كما كانت اليمن حلقة اتصال بين الجزيرة والحبشة، وكان اليهود يجاورون العرب في فلسطين وكانت لهم جاليات بالعراق والحجاز وكانت قوافل التجارة تسير في قلب الجزيرة العربية مخترقة طرقاً خاصة ذات مراحل ومرافق، وكان من أهم هذه الطرق طريق عمان وحضرموت وكان يمر بالدهناء فنجد ويصل الى

---

(١) دكتور جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٠ ـ ٢١، دكتور حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ص ١٧، اسرائيل ولفنستون، تاريخ اللغات السامية ص ٧.

الحجاز فيمر بمكة فالمدينة فبترا ثم يمتد شمالاً الى فينيقيا وفلسطين وتدمر أو غرباً الى مصر(١).

ويشير القرآن الكريم الى ذلك فيقول «أو لم نمكّن لهم حرماً آمنا يُجْبى اليه ثمرات كل شيء »(٢) ويقول تعالى « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف »(٣). وما رحلة الشتاء والصيف الا تلك الرحلة التي كانت تقطعها القوافل من قلب الجزيرة العربية الى الشام وبالعكس.

كل هذا وغيره مما لا قبل لنا باستقصائه هنا يدل دلالة قاطعة على حقيقتين أساسيتين:

أما الأولى فهي أن العرب اتصلوا في عور حياتهم المختلفة قبل الاسلام بمعظم الدول التي شاع أمرها في العصور القديمة وأن هذه الصلة كانت متعددة المظاهر شملت النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية أيضاً.

أما الثانية فهي أن اللغة العربية احتكت بمعظم اللغات القديمة سواء من العائلة السامية أم من العائلات الأخرى.

وكما صور القرآن الكريم حياة العرب الاجتماعية والدينية قبل الاسلام جاءت لغته صورة للتطور والنمو الذي وصلت اليه العربية ولكن بأسلوب تميز تميزاً واضحاً عن جميع الأساليب الأخرى التي عرفتها العربية شعراً أم نثراً. وفي الحق أن كلام القرآن الكريم ليبدو فوق طاقة البشر في توازنه وتجانسه وانسجامه ومع ذلك لم يمنع أن ترد في هذا الكتاب الكريم ألفاظ مما اقترضتها العربية من اللغات الأخرى أثناء احتكاكها بهذه اللغات

---

(١) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية ص ١٤٣، ومجلة مجمع دمشق ٣٦٥/٣٥ سنة ١٩٦٠.

(٢) سورة القصص آية ٥٧.

(٣) سورة قريش آية ١.

أو المتكلمين بها وذلك باعتبار أن هذه الألفاظ أصبحت ملكاً خالصاً للعرب والعربية ولها من الدلالات ودقة الاستعمال ما لا تغنى معه ألفاظ أخرى، ومن ثم فان الدارسين الأول للنص القرآني لاحظوا وجود مثل هذه الألفاظ فأفردوا لها من درسهم للقرآن جانباً خاصاً عرف عندهم باسم « لغات القرآن »[١]، ويذكر لنا ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) عدداً من الكتب التي تخصصت في هذا الفن مثل كتاب لغات القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ) وكتاب لغات القرآن للأصمعي (ت ٢١٦ هـ) وغيرهما[٢].

ويبدو أن أول من يعزى اليه الكلام في هذا النوع من الألفاظ الأجنبية في القرآن هو ابن عباس (ت ٦٨ هـ) فقد روى عنه أنه قال في أحرف كثيرة من القرآن انها بلغات العجم منها: طه واليم والطور والربانيون فيقال أنها بالسريانية. والصراط، والقسطاس والفردوس يقال أنها بالرومية. والمشكاة وكفلين ويقال أنها بالحبشية، وهيت لك ويقال أنها بالجورانية[٣]. ويقول السيوطي أنه أفرد لهذا النوع من الألفاظ كتاباً أسماه « المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب»[٤] وقد أحصى فيه الألفاظ المعربة التي وقعت في القرآن الكريم مرتبة على حروف المعجم ثم أخذ يسرد في الاتقان هذه الألفاظ، ويمكن تقسيم هذه الألفاظ حسب فكرة العائلات اللغوية الحديثة على النحو التالي[٥]:

---

(١) ابن النديم، الفهرست ص ٥٣.
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٣) ابن فارس، الصاحبي ص ٦٠ - ٦١، الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام ص ٦٩، السيوطي، المزهر ٢٦٨/١.
(٤) السيوطي، الأتقان ١٣٦/١.
(٥) د. حسن ظاظا، اللسان والإنسان ص ١٧٧ وما بعدها، وقد اقتبست فكرة تقسيمي الألفاظ عن العائلات اللغوية عند. عبد الصبور شاهين من كتابه القرءات القرآنية ص ٣١٣ وما بعدها.

١ ـ **العائلة السامية**: ويمكن أن نميز مجموعة من الألفاظ نسبت الى لغات هذه العائلة مثل العبرية والسريانية والحبشية والنبطية.

أ ـ **اللغة العبرية**: ونسبوا اليها ألفاظاً مثل. أخلد أي ركن، الأواه أي الدعاء، عير أي حمار، جهنم وأصلها كهنام، درست أي قرأت، الربانيون رمزاً، صلوات أي كنائس اليهود، طوى أي ليلاً وقيل اسم رجل، كفر أي محا عنهم اليهم أي البحر وغير ذلك[١].

ب ـ **اللغة السريانية**: ونسبوا اليها ألفاظاً مثل: أسفار أي كتب، ربانيون رهوا أي ساكناً سرياً أي نهراً، الطور الجبل، عدن جنات الكروم، القيوم الذي لا ينام، هونا الحكماء، هيت لك، اليم[٢].

حـ **اللغة الحبشية**: ونسبوا ليها ألفاظاً مثل ابلعي أي ازدرديه، الافنان السرر، الأواه، الموقن، الرحيم، الأواب أي المسبح، الجبت أي الشيطان والساحر، درى مضيء، السكر الخل، شطر تلقاء، طه يا محمد، طوبى الجنة، مشكاة الكوة، منسأة العصا، الارائك أي السرر وغير ذلك[٣].

د ـ **اللغة النبطية**: ونسبوا اليها ألفاظاً مثل: الأسفار الكتب، أكواب الأكواز أو الجرار، تتبيراً التبر، الحواريون، حوب اثم، رهوا سهلاً دمثاً، سفره أي القراء، طه يا رجل، فردوس الكرم، كفر امحوا عنا، ملكوت الملك، وزر الجبل والملجأ[٤].

هذا هو ما نسبه علماء العربية وجمعه السيوطي الى العائلة السامية من ألفاظ القرآن ونلاحظ أن بعض هذه الألفاظ قد نسبت الى أكثر من لغة وكثيراً ما تكون نسبة بعض الألفاظ الى بعض اللغات السامية التي عرفها

---

(١) السيوطي، الأتقان ١/١٣٨ ـ ١٤١.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

بعض القدماء نسبة خاطئة كما سنرى فيما بعد.

٢ ـ العائلة الهندية الأوروبية: وقد أورد السيوطي مجموعة من الألفاظ نسبها الى اللغة اليونانية والفارسية وبعضها نسب الى الهندية ولكنها قليلة بالنسبة الى اليونانية والفارسية وسنلاحظ أيضاً ما لاحظناه بالنسبة للعائلة السامية من أنهم ينسبون اللفظ الى أكثر من لغة واحياناً تكون هذه النسبة خاطئة أيضاً:

أ ـ اللغة الفارسية: أباريق طريق الماء، استبرق الديباج الغليظ، تنور، جهنم، دينار، زنجبيل، سجيل، السرادق أي الدهيز، سقر، سلسبيل، سندس، كافور، كورت، مرجان، مسك، مقاليد وغير ذلك[١].

ب ـ اللغة اليونانية: الرقيم أي اللوح أو الدواه، سرياً أي نهراً، الصراط، سرهن، عدن، البستان، القسط، القسطاس، قنطار[٢].

حـ ـ اللغة الهندية: ابلعي أي اشربي، طوبي الجنة[٣].

٣ ـ العائلة الحامية: وقد وردت بضع ألفاظ منسوبة الى اللغتين البربرية والقبطية:

أ ـ اللغة البربرية: (أناة) أي نضخه، يصر أي ينضج، المهل عكر الزيت[٤].

ب ـ اللغة القبطية: سيدها أي زوجها، الأولى والآخرة بعكس معناهما في العربية، بطائنها ظواهرها، فرجاه قليلة[٥].

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق ١/١٣٩ ـ ١٤٠.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) السيوطي، الأتقان ١/١٣٨، ١٤٠.

(٥) المصدر السابق ١/١٣٧ ـ ١٤٠.

ويلحق بهذا كلمة وردت من الزنجية وهي حصب أي حطب[1].

٤ ـ **العائلة الطورانية**: ونسبت اليها كلمة واحدة قالوا أنها من التركيبة وهي غساق أي بارد منتن[2].

وهناك مجموعة أخرى من الكلمات التي أوردها السيوطي ووصفت بأنها غير عربية الأصل دون نسبتها الى لغة معينة ومجموعة أخرى وصفت بأنها أعجمية والوصف بالأعجمية كما نعلم يعني في لغة القدماء كل ما سوى العربي. ولعل أهم ما يمكن ملاحظته على هذه المجموعات من الألفاظ المعربة والتي استعملها القرآن الكريم والتي حاول السيوطي احصاءها، عدم الدقة االتي اتسمت بها أحكام بعض علماء العربية في نسبتهم بعض هذه الألفاظ الى لغات بعينها وهو ما لاحظه الدكتور عبد المجيد عابدين فقال « اورد السيوطي في الاتقان باباً ذكر فيه ما ورد في القرآن الكريم من الألفاظ بغير لغة العرب ذكر منها قرابة ستة وعشرين لفظاً أرجعها الى اللغة الحبشية ولكن اكثرها لم يثبت اشتقاقه منها »[3].

ولاشك أن القدماء معذورون في هذا لأن المحدثين ممن لهم دراية بفقه اللغة الحديث وقعوا في مثل هذه الأخطاء كما سنبين ذلك فيما بعد، كذلك كان لعدم المام القدماء بفكرة العائلات اللغوية الماماً دقيقاً وفصائلها وحركاتها التاريخية أثره في وقوعهم في مثل هذه الأخطاء. وعلى الرغم من هذا العدد الكبير من الألفاظ التي أحصاها لنا السيوطي مما وقع في القرآن الكريم منن الألفاظ الأجنبية التي اقترضتها العربية من اللغات الأخرى، فان بعض علماء العربية القدماء وبعض الفقهاء اختلفوا حول وقوع مثل

---

(١) المصدر السابق ١/١٣٧.

(٢) المصدر السابق ١/١٣٩.

(٣) د. عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب ص ٦٦ نقلاً عن د. عبد الصبور شاهين - القراءات القرآنية ص ٣٢٤.

هـذه الألفاظ في القـرآن الكـريم ونشبت بينهم منـاقشـة حـادة حـول تلك القضية انقسموا بشأنها الى طائفتين. فالشـافعي (ت ٢٠٤ هـ) وأبو عبيـده (ت ٢١٠ هـ) والطبري (ت ٣١٠ هـ) وغيـرهم مجمعون عـلى عدم وقـوع المعرب في القرآن الكريم لقوله تعالى « قرآناً عربياً »(١).

فقال الشافعي « فقال منهم قائل ان في القرآن عربياً وأعجميـاً والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب »(٢). ثم يقول أن لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأثرها ألفاظاً وأن مـا وقع في القـرآن من من الكلمات الأجنبية ما هو إلا من قبيل اتفاق اللغات فقد « يـوافق لسان العجم أو بعضها قليلاً من لسان العرب كما يتفق القليل من ألسنـة العجم المتباينة في أكثر كلامها مع تنائي ديارها واختلاف لسانها »(٣).

أما أبو عبيدة فقد شدد النكير عـلى القائلين بـوقوع المعـرب في القرآن قائلاً « انما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول « ثم يقول بتوافق اللغات » فقد يوافق اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية فمن ذلك الاستبرق بالعربيـة وهو الغليظ من الديباج وهو استبره بالفارسية »(٤).

وتبـع الطبـري الشافعي وأبـا عبيدة في قـولهما بتـوافق اللغـات قـائـلاً « والصواب في ذلك عندنا أن يسمي عـربياً أعجميـاً أو حبشياً أعجميـاً اذا كـانت الأمتان لـه مستعملتين في بيـانها ومنطقهـا استعمال سـائـر منـطقهـا وبيانها، فليس غير ذلك من كلام كل أمة منها بأولى أن يكون اليها منسـوباً منه، فكذلك سبيل كل كلمة واسم اتفقت ألفـاظ أجناس أمم فيهـا، وفي

---

(١) السيوطي، الأتقان ١/١٣٦.
(٢) الشافعي، الرسالة ص ٤١ ـ ٤٢.
(٣) المصدر السابق ص ٤٢ ـ ٤٥.
(٤) ابن فارس، الصاحبي ص ٥٩.

معناها ووجد ذلك مستعملاً في كل جنس منها استعمال سائر منطقهم، فسبيل اضافة كل جنس منها سبيل ما وضعنا من الدرهم والدينار والدواة والقلم التي اتفقت ألسن الفرس والعرب فيها بالألفاظ الواحدة والمعنى الواحد »[1].

ومن العجيب حقاً أن يطرح الطبري قبيل ذلك قوله « ان الذي قالوه من ذلك - يعني وقوع المعرب في القرآن - غير خارج عن معنى ما قلنا من أجل انهم لم يقولوا هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً ولا كان ذلك لها منطقاً قبل نزول القرآن؛ ، ولا كانت بها العرب عارفة قبل مجيء الفرقان »[2].

وينسى الطبري بقوله هذا حقيقتين هامتين، الحقيقة الأولى أنه لم يكن من الممكن للقرآن الكريم أن يخاطب العرب الا بما تعرف من الألفاظ وتفهم من الدلالات، والا استغلق عليهم الكلام وبالتالي لم تلزمهم الحجة برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام. أما الثانية فهي أن الشعر الجاهلي قد حوى الكثير من الألفاظ المعربة وبيت الأعشى الذي ذكر فيه أربعة ألفاظ معربة ليس عنا ببعيد، قال:

لنا جلسان عندها وبنفسج وسيسنبر والمزرجوش منمنماً[3]

---

(١) الطبري، مقدمة التفسير ص ١٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٥ - ١٦.

(٣) الجواليقي، المعرب ص ٧٩ - ٨٠، وكان الأعشى يفد على ملوك فارس لذلك كثرت الفارسية في شعره، انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٢٥٨، كذلك جمع أوس بن حجر ثلاثة ألفاظ فارسية في بيت واحد فقال:

وفارقت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمى سفسير

الفصافص: الرطبة وهي بالفارسية اسبست.

النمى: الفلوس بالرومية.

السفسير: السمسار.

انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١/٢٠٧.

وعلى الرغم من أن فكرة توافق اللغات احتمال استبعده فقه اللغة الحديث، الا أننا نجد من بين المحدثين من اعتنق هذا المذهب القديم واحتج له، الأستاذ المرحوم أحمد محدم شاكر في مقدمة نشره لكتاب المعرب للجواليقي يذهب هذا المذهب ويقول « فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ولا يعرف مصدر اشتقاقها، لعله من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده ثم تزيد بعض العلماء المتأخرين وتكاثروا في ادعاء العجمة لألفاظ من حروف القرآن »(١).

ولكن بجانب هذه الطائفة المتشددة قديماً ومن تبعها في العصر الحديث لم تعدم العربية طائفة أخرى من العلماء أدركوا حقيقة الصلة بين اللغات وفسروا ظاهرة الاقتراض اللغوي تفسيراً لغوياً صحيحاً ومن هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) الذي قال « والصواب من ذلك عندي - والله أعلم - مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال اعجمية فهو صادق »(٢) وقد وافق ابن فارس والجواليقي على هذا الرأي ونقلاه في كتبها(٣).

ثم مالبث هذا النوع من الدراسة اللغوية وأعني به تتبع الألفاظ المعربة في القرآن الكريم أن اتسعت دائرته حتى شمل اللغة العربية كلها فوضع اللغويون القدماء القواعد التي يمكن بها التعرف على أصول الألفاظ التي اقترضتها العربية من اللغات الأخرى فألفوا في ذلك معاجم خاصة لهذا النوع من الألفاظ من أشهرها كتاب المعرب من الكلام الأعجمي

(١) مقدمة كتاب المعرب للجواليقي ص ١٣ - ١٤.
(٢) ابن فارس، الصاحبي ص ٦١.
(٣) المصدر السابق ص ٦١ - ٦٢، الجواليقي، المعرب ص ٥.

للجواليقي وشفاء الغليل لشهاب الدين الخفاجي وقد لخص لنا الجواليقي في المعرب القواعد التي تعرف بها عجمة اللفظ فقال « تعرف عجمة الاسم بوجوه:

أحدها: النقل بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية.

الثاني: خروجها عن أوزان الأسماء العربية نحو ابريسيم.

الثالث: أن يكون أوله نون ثم راء نحو نرجس.

الرابع: أن يكون آخره زاي بعد دال نحو مهندز.

الخامس: أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو الصولجان والجص.

السادس: أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق.

السابع: أن يكون خماسياً أو رباعياً عارياً من حروف الزلاقة وهي الباء والراء والتاء واللام والميم والنون[١].

أما طريقة العرب في تعريب الألفاظ فهي كما وصفها لنا الجواليقي بقوله أنهم كثيراً ما يغيرون الأسماء الأعجمية اذا استعملوها عن طريق ابدال بعض الحروف التي لا يوجد نظير لها في العربية الى أقربها مخرجاً وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضاً والابدال لازم حرصاً على ألا يدخلوا على العربية ما ليس من كلامهم، وقد يغيرون بناء الكلمة نفسها الى أبنية العرب عن طريق ابدال حرف أو زيادته أو نقصانه أو تحريك ساكن أو تسكين متحرك[٢]. فمثلاً نجدهم يغيرون الحروف ما كان بين الجيم والكاف فيجعلوه جيماً أو كافاً أو قافاً فقالوا: (كربج) وبعضهم يقول (قربق) وهو اسم لموضع يقال له كربك، وجورب وأصله كورب.

كما يبدلون الحرف الذي بين الباء والفاء وهو حرف (V) في اللغات الأجنبية الى فاء فقالوا فالوز وفرند وقال بعضهم برند.

---

(١) الجواليقي، المعرب ص ١١، ١٢، السيوطي، المزهر ١/ ٢٧٠.

(٢) الجواليقي، المعرب ص ٦ وما بعدها.

وأبـدلوا السـين من الشين فقـالوا للصحـراء دست وهي بـالفـارسيـة دشت، كما قالوا سراويل واسماعيل وأصلهما شروال وشمويل وذلك لقرب السين من الشين.

وأبـدلوا الـلام من الزاي فقـالوا قفشليـل وأصلها (كفجـلاز) وجعلوا الكاف منها قافاً والجيم شيناً والفتحة كسرة والألف باء.

ومما الحقوه بـأبنيتهم بهجرع وبهـرج الحقوه سهلب، ومـما زادوا فيه من الأعجمية ونقصوا ابريسم واسرافيل وفيروز.

ومما تركوه على حاله فلم يغيروه خراسان وخرم وكركم[١].

غوعلى الرغم من هذا التتبـع لمذاهب العـرب في تعريب الألفـاظ فان الباحث يلاحظ دائماً أنه بالاضافة الى ما ذكره اللغويون القدماء أن الألفاظ المقتـرضـة من اللغـات الأخـرى لا تـوجـد لهـا دائـماً سلسلة واضحـة من المشتقات فمثلاً لفظ الصراط وهي من الألفاظ التي نطق بها القرآن الكريم والتي لاشـك أنها عربت قبـل الاسـلام لا نجـد لهـا مشتقـات واضحـة في المعاجم العربية[٢]، وذلك على الرغم من أننا نجدها في مادة فعال العربيـة وعلى العكس من ذلك نجد أن مادة (سرط) التي أقحمت فيها هذه اللفظة باعتبار أن الصاد هي السين المطبقة نجد لمادة (سـرط) اشتقاقـات كثيرة[٣] مما يؤكد أصالتها في العربية، وتبقى بعد ذلك كلمة (الصراط) المعـربة عن اللاتينية لتعلن عن أصلها الغريب عن اللغـة العربيـة، أو كما يقـول الأب هنري فليش أنها ليست سوى الصورة النهائيـة الاغريقيـة الآرامية للكلمـة اللاتينية Strata[٤].

---

(١) المصدر السابق ص ٦ ـ ٨، الشهاب الخفاجي، شفاء الغليل ص ٤ ـ ٦.

(٢) انظر تاج العروس مادة (صرط).

(٣) تاج العروس مادة (سرط).

(٤) هنري فليش، العربية الفصحى ص ٧٨.

كما لا يمنعنا تقديرنا لاجتهاد علماء العربية القدماء في هذا الميدان من أن نسجل عدم دقتهم أحياناً في اصدار احكام بنسبة بعض الألفاظ الى لغات معينة وخاصة الألفاظ المشتركة بين العربية واللغات السامية، فقد عدوا مثلاً كل لفظ معروف في السريانية دخيلاً في العربية لأنهم لم يعرفوا على وجه الدقة أنه ربما تكون اللفظتين من أصل سامي واحد كما في ألفاظ مثل: الرحمن، الرحيم، كفر، وقد نسبوها الى العبرية أو الحبشية أو النبطية وهي في الحقيقة من المشترك في اللغات السامية(١) .

كما أنهم سارعوا الى التماس أصول الكلمات المعربة في اللغة الفارسية وحدها، ولعل ذلك يرجع الى أن الفارسية كانت أقرب اليهم من غيرها من اللغات فكانت دعوى الفارسية فيما يظنونه أعجمياً أقرب اليهم من أي لغة أخرى مثال ذلك لفظ (الأبيل) وهي من الألفاظ التي وقعت في العربية ولم ترد في القرآن الكريم فنجد الجواليقي يقول « الأبيل الراهب فارسي معرب »(٢) .

والكلمة ليست من الفارسية ولكنها من السريانية ومعناها الراهب، وأصل الفعل (أبل تأبل) Ebal—Ethebel في السريانية معناه زهد ، تنسك ، حزن ، اغتم ومنه الأبيل : Abilo أي الحزين وأرادوا به المغموم على ما سلف من ذنوبه والناسك ، والزاهد ومنه قيل لراهب الأبيل(٣) .

وليس معنى هذا أن مادة أبل والتي وضع فيها اللفظ في المعاجم العربية دخيله في العربية من السريانية إذ الحقيقة أن المادة أصيلة في العربية وفي اللغات السامية أيضاً(٤). ولكن لفظة الأبيل وحدها هي التي دخلت

---

(١) Gesenius., Ahebrew and English lexieon of the. O. T.P. p. 933, 497.

(٢) الجواليقي، المعرب ص ٣٠.

(٣) انظر الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، مجلة مجمع دمشق ٢٣/ ١٧١ سنة ١٩٤٨ .

(٤) Gesenius, op. cit. pp. 5 - 6.

الى العربية من السريانية ومن ثم ألحقها اصحاب المعاجم العربية في مادة أبل ظناً منهم أنها مشتقة من هذه المادة(١).

ومن ذلك أيضاً لفظة الدينار وهي مما نسبوها الى الفارسية، قال الجواليقي الدينار فارسي معرب وأصله (دنار)(٢). والحقيقة أن كلمة دينار يونانية الأصل من Denorlus كما حققها الأب استناس الكرملي(٣).

والحقيقة أن الباحث في فقه اللغة العربية لا يستطيع أن يقلل رغم هذه الملاحظات من جهود علماء العربية القدماء في هذا الميدان وذلك لأن حصر الكلمات التي اقترضها العربية من اللغات الأخرى أو بالنسبة لأي لغة أخرى مع معرفة أصولها البعيدة والطريق التي سلكتها عند دخولها الى العربية أمر يحفه الغموض أحياناً لأن واقع التاريخ ومنطق المجتمع وشواهد التطور الحضاري قديماً وحديثاً تثبت أن معظم اللغات الانسانية كانت في أغلب ظروفها وتطورها ونموها دائمة التقلب في ملتقى تيارات بشرية ولغوية تتشابك وتتقاطع وتتكون في ثنايها جيوب وعقد تحمل آثاراً عميقة من تفاعل هذه التيارات جميعاً.

مثال ذلك كلمة مثل (الكميت) العربية وهي كما نعلم وقد وردت في الشعر الجاهلي كثيراً قال الأسود بن يعفر:

وكنت اذا ما قرب الزاد مولعاً   بكل كميت جلدة لم تسوف(٤)

فالباحث لا يستطيع أن يشك للوهلة الأولى في أصالة مثل هذه الكلمة في العربية، فهي عربية الوزن والصيغة فوزن فعيل من أوزان

---

(١) تاج العروس مادة (أبل)، وانظر أيضاً لغة أبي العلاء في رسالة الغفران ٣٣٠ ـ ٣٣٢.

(٢) الجواليقي، المعرب ص ١٣٩، السيوطي، الاتقان ١/١٣٩.

(٣) المصدر السابق هامش ص ١٣٩ ـ ١٤٠، وقد علق المرحوم أحمد شاكر على رأي الأب انستاس مؤكداً مرة أخرى ايمانه بعدم وقوع المعرب في القرآن.

(٤) أبو العلاء المعري، رسالة الغفران ص ١٥٧.

التصغير العريقة في اللغة العربية، ومدلولها واضح من استعمالها القديم، ومع ذلك فلو أننا دققنا النظر لوجدنا هذه اللفظة تأتي دائماً في هذه الصيغة المصغرة ولا نرى لها مطلقاً صيغة أخرى، وهو ما التفت اليه اللغوي العربي ابن الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) فحاول ايجاد تفسير لذلك ولكنه لم يجد فاكتفى بقوله انها جاءت عن العرب هكذا مصغرة(١).

ولكن ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ينقل لنا تفسيراً أو بمعنى أدق تخريجاً يرويه سيبويه عن الخليل بن أحمد فيقول ابن منظور « قال سيبويه سألت الخليل عن كميت فقال هي بمنزلة جميل الذي هو البلبل وقال ان هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص وانما صغرها لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منها فيقال له أسود أو أحمر فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب وانما هذا كقولك هو دون ذلك »(٢).

والملاحظ على كلام الخليل كما نقله لنا ابن منظور أنه لم يذكر مطلقاً الصيغة المكبرة لهذه اللفظة وهو الدليل الذي ربما قد يثبت صحة هذا الكلم اللهم إلا إذا كانت هناك ألفاظ مصغرة ليست لها أصل صغرت عنه. هذا من ناحية الصيغة أما من ناحية الدلالة فيقول ابن منظور « الكميت لون ليس بأشقر ولا أدهم » ويقول ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) الكمت لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والابل وغيرها »، ويقول ابن الاعرابي « الكمتة كمتتان كمتة صفرة وكمتة حمرة والكميت من الخيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، والكميت اسم من أسماء الخمر لما فيها من سواد وحمرة »(٣).

وهكذا نجد أيضاً أن مدلول اللفظة لا يدل إلا على اللون فقط بل

---

(١) انظر لسان العرب مادة (كمت).

(٢) المصدر السابق نفس المادة.

(٣) المصدر السابق نفس المادة.

على لونين بالتحديد هما الأسود والأحمر أو خليط منهما وفيما عدا ذلك لا نجد لمادة هذه الكلمة أي دلالة أخرى في المعاجم العربية، كما لا نجد لها أيضاً سلسلة من المشتقات الأخرى وكل هذا يدعونا الى الشك في أصالتها في العربية.

يقول أستاذنا الدكتور حسن ظاظا « ان كلمة كميت التي معناها في لغتنا الأسود اللون أو الداكن لا يداخلنا شك في أصالتها في العربية ولكننا اذا أمعنا النظر وجدناها لا تستعمل إلا في صيغة التصغير هذه والمشتقات منها قليلة جداً كل ذلك يدعو الباحث في اللغة الى الشك في أصلها ولاشك أننا سندهش عندما نعلم أن لفظة كميت في اللغة المصرية القديمة معناها الأرض السوداء »[(١)].

فإذا بحثنا عن هذه اللفظة على ضو هذه الملاحظة السابقة في معاجم اللغة المصرية القديمة وجدنا أن:

أسود K: Schwarz (Sein) Kopt.

الأسود Km: der Schwarz

فإذا أضيفت لها تاء التأنيث أصبحت علماً على مصر : Km. t: Agypten[(٢)] والواقع أن المدلول الأصلي للكلمة في اللغة المصرية القديمة هو السواد أصلاً ، فيقال مثلاً :

كم جرج . Kmgrh أي سواد الليل ، كم إير Km ir.t أي سواد العين [(٣)] .

ويقول الدكتور عبد العزيز صالح « أن الصفة كم أو كمت أقرب في بعض أحوالها الى أن تعني اللون الأسمر عادة أو اللون الخمري دون اللون

---

(١) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) د. أحمد بدوي، هرمان كيس، المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة ص ٢٦٢.

(٣) grh يعني الليل، irt العين، انظر المرجع السابق ص ٢٦٨.

الأسمـر الصريـح الذي لم يكن مستحبـاً كثيراً من نـاحيتـه الجماليـة لـدى المصـريين »[١] وهـذا هو نفس المـدلول الـذي انتقلت به اللفـظة الى اللغة العربية تقريباً فهي كما رأينا لا تدل في العربية على السـواد مطلقـاً وانما كـما فسرها اللغويون القدماء في المعاجم العربية تدل على سواد تخالطه حمـرة أي السمرة تماماً كما كـانت تدل في الاستعمـال المصـري القـديم حيث كانـوا يصفـون بهـا مبعـود تهم الأثيـرة ايـزيس فيقـولـون أنها « ست كمت » أي السيدة السمراء أو الخمـرية اللون وليست السـوداء بطبيعـة الحال[٢]. بـل انهم أطلقـوا لفظ كمت على مصـر فـأصبحت علماً عليهـا وعـلى أرضهـا، فمصر هي: كيمت، تاكيمت أي السمراء والخمرية والسوداء رمزاً الى لون تـربتها وقـد جعلوا لاسمها مشتقـات عديـدة تؤدي نفس المدلـول فقـالـوا تانكمت أي أرض السواد وأرض السمـره واعتبروا طـابع السمـرة والسواد فيها ميزة تفرق بينها وبين الصحراء المحيطة بها[٣].

إذا فلفظة الكميت لاشك أنها دخلت الى العربية وليست أصيلة فيها، ولكن كيف دخلت وأي طريق سلكت، الحقيقة أن هنـاك تأثيـرات لغويـة بين اللغة المصرية القديمة واللغـات الساميـة في فلسطين والشـام والعراق، فالمصريون القدماء كانت لهم صلات سابقة بالمجموعة السـامية في الشمـال الشـرقي والمجموعـة الحاميـة في الجنوب والجنـوب الشرقي وقـد ظلت هذه الصلات وخاصة ما نتج عنها من تـأثيرات لغـوية مـوضوع أبحـاث علمية مسهبة حيث أكد الكثير من علماء اللغات والآثـار والتاريـخ التأثـير اللغوي بين اللغات السامية واللغـة المصريـة القديمـة حتى أننا نجـد ألفاظـاً عربيـة عادية في اللغة المصرية القديمة مثل: حب، حنب، ختم، خر، شد، تم، كما نجد أيضاً ألفاظاً مثل: بصبح بمعنى: بصق، بتر بمعنى بثر، ضع بمعنى

(١) د . عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها ١/١ .
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

شع، حتم بمعنى حطم[1].

بل أن هذا التأثير اللغوي تعدى المفردات الى التراكيب فقد اشتركت اللغة المصرية القديمة مع اللغات السامية في خصائص متعددة أوضحها شيوع المصدر الثلاثي بين أفعالها واضافة تاء التأنيث في نهاية بعض الأسماء المؤنثة كما نجد أيضاً بعض أساليب التركيب كالاضافة بطريقتها العربية والحاق الصفة بالموصوف واستخدام الجملة الفعلية الى جانب الجملة الاسمية[2].

من هذا كله يمكن أن نعرف الى أي مدى يتم تبادل الكلمات واقتراضها بصورة معقدة قد تختفي عن عين الباحث احياناً فلفظة مثل كميت دخلت العربية في عصور موغلة في القدم ولعل قدمها هذا واستعمالها منذ العصر الجاهلي في شواهد ثابتة وصحيحة هو الذي اعطاها تلك الثياب العربية التي استطاعت أن تختفي بها حتى عن عقل الخليل ابن أحمد فلم يشك في عربيتها وراح يتلمس لها أصلاً في العربية، وهذا مثال واحد لنوع من الألفاظ اقترضه العربية من اللغات الأخرى التي اشتركت معها في بعض خصائصها ـ فما القول اذا كان تبادل التأثير والتأثر يتم داخل عائلة لغوية واحدة أي بين العربية واخواتها الساميات، وهن كما نعلم من أصل واحد، أظن أن هذا يعطي علماءنا القدماء أكثر من عذر في خطأ نسبتهم بعض الألفاظ من العائلة السامية الى لغة أخرى أو عدة لغات من نفس هذه العائلة، وكل هذا يدعو الباحث الى التردد كثيراً قبل أن يقطع بأن هذه الفظة أو تلك دخلت من احدى اللغات السامية الى العربية ذلك لأن هناك الكثير من الألفاظ المشتركة ين هذه اللغات وبعضها البعض.

---

(١) د. عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها ١/١٣، ١٧.

(٢) المرجع السابق ص ١/١٧، ٢٢، ٢٧، ٢٧.

فمن الكلمات التي تشترك فيها كل اللغات السامية ومنها العربية والتي تعتبر من أقدم العناصر اللغوية في هذه اللغات نجد بعض أسماء الانسان وأحواله مثل: ذكر، انثى، أب، أم، ابن، بنت، بكر، أخ، بعل، أمه.

ومن الأفعال المتعلقة بمعنى هذه الأسماء نجد: ولد، ود، ثم ملك ونكر.

ومن أسماء الحيوانات: نمر، ذئب، كلب، خنزير، آيل، ثور، حمار، نسر، عقرب، ذباب، ومعها الفعل نبح.

ومن أسماء النبات وأجزائه: عنب، ثوم، قثاء، كمون، زرع، سنبله.

ومن أعضاء البدن نجد: رأس، عين، أذن، أنف، جسم، لسان، شعر، يد، حفنه، ركبه، كتف، ذنب، قرن، عظم، لب، كرش، كليه، دم.

ومن الأفعال والأوصاف الراجعة اليها نجد: سمع، طعم، شيب، يمين، موت، خنق، قبر.

ومن أجزاء العالم نجد: سماء، كوكب، شمس، أرض، حقل، ماء، منبع، بئر، أثر.

ومن الأفعال والحوادث التابعة لها نجد: ظل، يوم، ليلة، برق، لهب.

ومن أسماء أجزاء البيت وآلاته نجد: بيت، عمود، عرش، قوس، حبل، اناء ويتبعها الفعل رمى.

ومن أنواع المأكولات والمشروبات نجد: قمح، دبس، سكر. وتعود اليها أفعال مثل: طحن، طبخ، بسل، قلي، ثم عدد كبير من الأفعال التي تخص واحداً من الأشياء المذكورة وبعض الأسماء التابعة لها نحو: كان، شام، نشأ، علا، قدم، قرب، صرخ، نفخ، أخذ، ذكر، سأل، بشر،

رحم، لبس، رحض، دبل، حجر، نقل، نقب، رعى، سقى، ركب، نذر، دق، خطيء، ذبح.

ومن الأسماء نحو: اسم، كل. ثم اسماء الأعداد الى العشرة وبعدها المائة وبعض الأدوات(١).

وعلى الرغم من اشتراك اللغات السامية في هذه الألفاظ فليس معنى ذلك اطلاق القول بأن العربية لم تقترض من اللغات السامية كلها أو بعضها، اذ لاشك أن هناك بعض الألفاظ التي أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة أنها دخلت الى العربية من بعض اللغات السامية.

فمثلاً الفعل: (ثاب) بالثناء المثلثة عربي الأصل ومعناه رجع، بينما الفعل (تاب) بالتاء المثناة معرب عن الآرامية ويرجع الى نفس الأصل، ومعناه رجع عن الشر أو رجع الى الله وهو معنى ديني خاص، ولاشك أن كلمة (حاخام) أي الكاهن اليهودي معربة عن العبرية لأن العربي الفصيح المماثل لها من نفس الأصل والاشتقاق هو (حكيم) وكذلك كلمة (السبط) أي القبيلة اليهودية وأيضاً لفظ (كرزن) أو (كرزين) بمعنى الفأس الكبيرة، هي من الفعل العبري (جرز) أي قطع ومنه في العبرية جرزن أي الفأس. كذلك لاشك أن كلمة الناطور بمعنى الخيال أو التمثال الذي ينصب في الحقول على شكل انسان لاخافة الطيور آرامي الأصل لأن الفعل نطر بالطاء المهملة في الآرامية يقابل في العربية الفعل نظر بالظاء المعجمة، كما أن وزن فاعول الذي جاءت عليه لفظة ناطور من الأوزان الآرامية الشائعة، وكذلك لفظ (البيعة) بمعنى الكنيسة الصغيرة آرامية أيضاً لأن ما

(١) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية ص ١٤٠ ـ ١٤٢، د. جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام، ٢٢/٧ ـ ٢٣، اسرائيل ولنستون، تاريخ اللغات السامية ص ١٨٢ ـ ٢٩٤ حيث ذكر أكثر من مائة لفظة مشتركة بين اللغات السامية: العربية، الآشورية، البابلية، العبرية، الآرامية، لغات جنوب الجزيرة العربية، الحبشية.

يقابل العين عندنا في العربية هو الضاد وكأن الكلمة لو كانت أصيلة في العربية لأصبحت البيضة لأن ما يبدو منها من بعيد هو القبة الشبيهة بالبيضة[1].

كل هذا له مبررات علمية في المقارنة ترجح أنه دخل الى العربية الفصحى من لغة سامية أخرى، أما الذهاب الى أن كلمة القدس مثلاً معربة فباطل اذ أن السلسلة الاشتقاقية كلها موجودة في العربية مثل الفعل قدس ومما يتصرف منه ثم الصفات والأسماء كمقدس وقديس ونحوها وهذه المادة يمكن اعتبارها من التراث العام للغات السامية، كذلك من الخطأ القول بأن القبعة والقمح والكابوس والكمين والكاهن والسلسلة معربة عن السريانية وأن الاجاحي ولاران أي الصندوق والتسبيح معرب عن العبرية[2].

وصفوة القول أنه قد يكون من السهل الى حد ما رد كلمة معربة الى مصدرها الأول اذا كان هذا المصدر من عائلة لغوية اجنبية عن العربية، أما إذا كانت اللفظة من عائلة لغوية واحدة فان الأمر عسير اذ لابد على الأقل من أن تكون الكلمة في هذه الحالة منتمية فكري وحضارياً بشكل واضح الى غير المجتمع الذي انتقلت الى لغته أو أن تكون بلا سلسلة من المشتقات كما أشرنا الى ذلك من قبل، ولا يسعنا في هذا الميدان من البحث الا أن نشير الى ما حدث في كتابات بعض الباحثين المحدثين من مبالغات في الحاق الفاظ عربية أصلية أصيلة العروبة بمصادر سامية أخرى مثل الأب روفائيل نخله اليسوعي في كتابه « غرائب اللغة العربية » وكذلك البطريرك افرام برهوم في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي

---

(١) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٦٩ ـ ٧٠، برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية ص ١٤٦ ـ ١٥٠ حيث يذكر العديد من الألفاظ التي دخلت العربية عن طريق بعض اللغات السامية الأخرى.

(٢) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٧٠.

بدمشق تحت عنوان « الألفاظ السريانية في المعاجم العربيـة »[1]. فكلاهمـا أسرع بالحاق الفاظ أصيلة في العربية باللغة السريانيـة[2]. وفي ذلك يقـول الدكتور ابراهيم السامرائي « وما زال بعض نصارى المشرق ممن يمت بصلة الى أصول آرامية يعتقدون بفضل هذه اللغة وآية ذلك عندهم أن السريانية ـ الآرامية أمدت العربية بثروة ضخمة من الألفاظ والنظر المـدقق العمي لا يثبت هذا الادعاء »[3].

ولعل الطريقة المثلىى في حالة هذا المشترك يكون بيانها بذكـر الألفاظ المشتركة بـين اللغات السـامية دون القـول بأن العـربية أو غيـرها هي التي أخذت الا عندما يثبت الانتقال بما لاشك فيه من الظواهر الصوتية والصرفية بالاضافة الى الأدلة التاريخية والحضارية وهو ما فعله العـالم اللغوي الألمـاني جزينيوس Gesenius في معجمه للغة العبرية في الكتاب المقدس[4]. فهو يذكر غالباً الألفاظ المتشابهة في اللغات السـامية جنبـاً الى جنب دون القطع بأن احداهما قد أخذت عن الأخرى إلا قليلاً، وفي هذه الحالة يميـل بوجـه عام الى القول بأن العبرية والسريانية والآرامية هي التي أخذت عن العربية لاحتفاظها بأكثر وأعرق خصائص السامية الأم[5].

هـذا عن علاقـة العربيـة باللغـات الساميـة واقتراضها منها أمـا عن علاقتها بالمجموعات اللغوية الأخرى كالهندية الأوروبية والمتمثلة في الألفاظ

---

(١) أنـظر اعـداد المجلة من المجلد ٢٣ ص ١٦١ الى المجلد ٢٥ ص ١٧٨ اعـوام ١٩٤٨ - ١٩٥٠.

(٢) انظر على سبيل المثال الأب رافائيل نخلة في غرائب اللغة العـربية الألفـاظ: رب، قدس، مجن وكذلك الألفاظ: وثب، الكعبة، بدوي، لبيك بالنسبة للبطريرك افرام برصوم.

(٣) د. ابراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي ص ٨.

(٤) Gesenius, op. cit. p. 343.

وانظر على سبيل المثال المواد: برق، دبس، حفر، حق:

Ibid. p.p 140, 185, 343, 349.

(٥) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٦٧.

المنسوبة الى الفارسية أو اليونانية فان المرجح الأول فيه هو تحقيق وجود اللفظة العربية بمعناها في أصل كامل التصرف له سلسلة واضحة من الاشتقاقات قبل أن نقول برأي في أصالة مثل هذه الألفاظ أو عدم أصالتها في العربية وذلك بعد استشارة بعض المعاجم العربية القديمة التي اختصت بمثل هذه الألفاظ مثل المعرب للجواليقي وما وقع من المعرب في القرآن في كتاب الأتقان للسيوطي، وشفاء الغليل لشهاب الخفاجي وغيرها والتي من شأن استشارتها وإن لم تقطع أحياناً بعجمة اللفظ أن نلفت النظر اليه.

ولعل ما دخل الى العربية من اللغتين الفارسية واليونانية أسهل كثيراً في تحديد أصله من ذلك الذي دخلها من لغات العائلة السامية، مع ملاحظة أن للغة الفارسية بالنسبة للعربية وضع دقيق ذلك لأن الفرس اتصلوا بعالم الساميين في عصور سحيقة موغلة في القدم[1]. وقد أوجد هذا الاتصال اقتراضاً لغوياً بين الساميين والفرس في عصور سابقة على الاسلام وخاصة بين الفارسية من ناحية والآرامية والعربية من جهة أخرى، ولابد أن نلاحظ أن الآرامية ربما تكون قد توسطت بين الفارسية والعربية فدخلت الكلمة الفارسية اللغة الآرامية أولاً ثم عربت مع سائر الألفاظ الآرامية المعربة، أو أن الكلمة قد دخلت كلتا اللغتين مباشرة مستقلة احداهما عن الأخرى[2].

وبعد الاسلام انطلق العرب فاتحين وناشرين الدين الجديد فازدادا التبادل اللغوي بين الفارسية والعربية فافترضت العربية من الفارسية ألفاظاً كثيرة وخاصة تكل التي تتصل باصطلاحات الادارة وألوان الحضارة المادية التي لم يعرفها العرب قبل الاسلام[3]. ومن أقدم الألفاظ الفارسية التي

(١) د. حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ص ١٥٠، برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية ص ١٤٢.

(٢) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية ص ١٤٦.

(٣) أنظر ص ١٨٩ من هذا البحث.

دخلت الى العربية نجد ألفاظاً مثل:

١ - (ابريق) وهي معرب ابريز الفارسية والكلمة مكونة من آب بمعنى الماء + ريز من الفعل الفارسي ريختن أي الصب أو السكب، وأضيفت المادة الأصلية وهي ريز الى آب[١]. وقد أشار الجواليقي الى هذه اللفظة (ابريق) محدداً مصدرها[٢]. وقد وردت هذه اللفظة أيضاً في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم[٣]. وقد عادت الكلمة الى الفارسية الحديثة بصورتها المعربة ومدلولها أيضاً[٤].

٢ - (استبرق) وهي من الفارسية استبركك[٥] وهو نسيج من حرير تتخلله سلوك من ذهب ويقول الجواليقي أن أصله استفره[٦].

وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم[٧]، ولولا غرابة وزن الكلمة بالنسبة لمعناها ونص القدماء على أنها معربة عن الفارسية لاعتبرها أستاذنا الدكتور حسن ظاظا عربية الأصل مشتقة من مادة «برق»[٨].

٣ - (سجيل) وهي حصى كالحجارة من الطين اليابس، قال السيوطي سجيل بالفارسية أولها حجارة وآخرها طين[٩] والكلمة مكونة من

---

(١) أبو حاتم الرازي، الزينة هامش ١/١٣٦، د. حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ص ١٥١.

(٢) الجواليقي، المعرب ص ٢٣، السيوطي، الاتقان ١/١٣٨.

(٣) الجواليقي، المعرب ص ١٢٣، سورة الواقعة الآيات ١٦، ١٧.

(٤) Hain, s. persian English Dictionary. Vol. I.P. 30.

(٥) Ibid. p. 76.

(٦) الجواليقي، المعرب ص ١٥، السيوطي الاتقان ص ١/١٣٨.

(٧) سورة الكهف آية ٣١، سورة الدخان آية ٥٣، وسورة الرحمن آية ٥٤ وسورة الانسان آية ٢١.

(٨) د. حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ص ١٥٢.

(٩) السيوطي، الاتقان ١/١٣٩.

مقطعين سنك + كل، ومعنى سنك بالفارسية الحجر وكل الطين اليابس[١]. وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم أيضاً[٢].

٤ - (بستان) وقال الجواليقي فارسي معرب ولم يذكر أصله[٣] وهو من الفارسية بوستان أي الحديقة[٤]. والكلمة الفارسية من مقطعين (بو) ومعناها رائحة، واللاحقة (Suffix) ستان ومعناها المكان[٥]. وقد وردت اللفظة في شعر الأعشى[٦].

٥ - (البم والزير) ونجد اللفظ الأول في المعاجم العربية في مادة ب م م والثاني في مادة زور وتشير المعاجم الى أنهما يدلان على بعض أوتار العود وأنهما ليسا بعربيين ولا تحدد مصدرهما[٧].

وذكر الجواليقي البم وقال أعجمي معرب[٨]. وهكذا أيضاً ذكره شهاب الخفاجي ولكنه أضاف الزير الى البم[٩]. ويقول الخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ) أن أوتار العود أربعة أغلظها البم وأدقها الزير[١٠] ومنه يتضح لنا أن البم والزير اسمان للصوت الذي يصدره الوتر الأول في العود والرابع منه، ويقابل البم الصوت المعروف في الاصطلاح الموسيقي باسم Bass أو الصوت الغليظ (القرار)، وهي لفظة فارسية الأصل دلالة ولفظاً اذ نجد في

---

(١) Haim. s., op. cit. Vol. 2. pp. 116 - 7.
(٢) سورة هود آية ٨٢، سورة الحجر آية ٧٤ وسورة الفيل آية ٤.
(٣) الجواليقي، المعرب ص ٥٣.
(٤) Haim, op. cit. Vol. I.p. 289.
(٥) Ibid. Vol. I.p. 285; Vol II.p. 30.
(٦) الجواليقي، المعرب ص ٥٣.
(٧) لسان العرب مادة ب مم، زور، تاج العروس نفس المادة.
(٨) الجواليقي، المعرب ص ٧٣.
(٩) شفاء الغليل ص ٤٤.
(١٠) مفاتيح العلوم ص ٢٣٨.

الفارسية (صداي بم) بمعنى : bass tone or voioe أي صوت غليظ أو نغمة غليظة [١] .

أما الزير فيقابل الصوت المعروف في الاصطلاح الموسيقي باسم: أي الصوت الحاد (الجواب) وهو يقابل الكسرة في العربية، واللفظة أيضاً فارسية لفظاً ودلالة اذ نجد كذلك (صداي زير) an aoute or triple vokoe أي صوت حاد ذو ثلاث طبقات [٢] .

ونلاحظ أن هناك تطوراً في الدلالة قد طرأ على الكلمتين، فهما في الفارسية اسماء لأصوات موسيقية بينما هما في العربية تدلان على الوتر دون الصوت.

ويطول بنا المقام لو تتبعنا الألفاظ التي اقترضتها العربية من الفارسية قديماً ثم بعد الاسلام فهناك الكثير من الألفاظ والكلمات مثل: الديوان، (برهان) بمعنى الدليل والحجة، خندق، زركش أي زين بالذهب، زنبق اسم لزهرة، وساذج بمعنى بسيط، وسراب وطراز وغيرها كثير.

أما فيما يتصل بالألفاظ التي اقترضتها العربية من اليونانية فنجد عدداً منها دخل العربية منذ القدم مثال ذلك:

١ - (الفردوس) وقد اختلف اللغويون العرب حول مصدر هذه اللفظة فاعتبرها أبو عبيدة عربية الأصل لوقوعها في القرآن الكريم، بينما ذهب ابن سيدة الى أنها بلسان الروم وقال الفراء أنها عبرية الأصل واعتبرها الزجاج من الرومية[٣] أو السريانية أو النبطية[٤]، أما السيوطي

---

(١) Haim, op. cit. Vol. I.p. 279.

(٢) Ibid. Vol. O.p. 137.

(٣) لسان العب مادة (ف ر د س).

(٤) المعرب ص ٢٤١ .

فقال أنها بالرومية[١]. وقد اجمعوا على أن معناها البستان أو الوادي الخصيب أو الحديقة.

فإذا بحثنا عن لفظة الفردوس وجدنا أن أصلها في لغات ايران وهي في افيستا (بايريديسا) ثم دخلت الى اليونانية Paradeisos [٢] . والظاهر أنها انتقلت في الوقت نفسه الى بعض اللغات السامية كالعبرية والسريانية . ففي العبرية نجد Pardiseبمعنى الجنة أو جنة عدن [٣] . وفي السريانية Pardoiçs ويرى البطريرك افرام أنها دخلت العربية عن طريق السريانية [٤] . ولكن من المحتمل أن تكون قد دخلت الى العربية عن طريق اليونانية مباشرة وقد استعملها عدى بن زيد منذ العصر الجاهلي [٥] ، ونطق بها القرآن الكريم [٦] .

٢ ـ (اسفنط) وقال الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ضرب من الأشربة فارسي معرب، بينما ذهب الأصمعي الى أنه من الرومية[٧]. وروى الجواليقي عن ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) أنه بالرومية وليس اسماً من أسماء الخمر ولكنه عصير العنب[٨]. والى مثل هذا ذهب أيضاً ابن دريد (ت ٣٢١ هـ)[٩]. والكلمة يونانية أو رومية كما قال الأصمعي وابن السكيت ومعناها « لاذع » وهي في اليونانية افسنتين : Apseinthion وهو اسم

---

(١) السيوطي، الاتقان ١/١٤٠.
(٢) انظر كتاب الزينة هامش ٢/٢٠٠.
(٣) Ben - Yehuda, English - Hebrew Diot p. 196.
(٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٤/ ٣٣٦ سنة ١٩٤٩.
(٥) الزينة ٢/١٩٩.
(٦) سورة الكهف آية ١٠٨ وسورة المؤمنين آية ١١.
(٧) لسان العرب مادة (سفط).
(٨) الجواليقي، المعرب ص ١٨.
(٩) السيوطي، المزهر ١/٢٨٢.

لنبات ورقة كورق السعتر مر الطعم [١] .

ويبدو أن اللفظة انتقلت الى العربية مع نوع معين من الخمر فأصبحت تدل عليه، ثم أصبحت تدل على الخمر مطلقاً وقد وردت في شعر الأعشى [٢] .

٣ - (سيسنبر) وهي كلمة لا نجدها عند الجواليقي ولا عند شهاب الخفاجي على الرغم من أنها وردت في شعر الأعشى وقال:

لنا جلسان عندها وبنفسج وسيسنبر والمزرجوشي منمنماً

وقد أورد الجواليقي الشاهد السابق، فتلكم عن لفظة البنفسج ولم يلتفت الى لفظة السيسنبر[٣] واعتبرتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن من الفارسية[٤] .

أما ابن منظور فقال ان السيسنبر نوع من الريحان وليس بعربي صحيح[٥] .

والكلمة في الحقيقة يونانية الأصل دخلت العربية عن طريق الفارسية، فهي في اليونانية تدل على نوع من النعناع البري يشبه الزنجبيل وهي Sisimvrion[٦] . ونجدها في الفارسية تدل على نوع من الريحان أو نبات السعتر البري اذ نجد معناها : Mother of thyme or Wild thyme[٧] ولكنها عندما تحولت الى الفارسية انقلبت النون الى ميم وهكذا دخلت العربية ،

---

(١) طوبيا العنيسي، الألفاظ الدخيلة ص ٤ .
(٢) لسان العرب مادة (ص ف ط) .
(٣) الجواليقي، المعرب ص ٧٩ - ٨٠ .
(٤) انظر رسالة الغفران هامش ص ٣٤٧ .
(٥) لسان العرب مادة سيستير.
(٦) Dozy, suppl. Dict. Arab. T.I.P. 713.
(٧) Haim, op. cit. Vol. I.P. 129.

ويقول صاحب اللسان إن الأعشى أول من استعمل هذه اللفظة في العربية نقلاً عن الفرس [١] .

وهكذا دخل الى العربية كثير من الألفاظ اليونانية الأصل مثـل: اقليد بمعنى مفتاح وأسطورة واقليم وانجيل وبرج وبلسم وبيـطار وتريـاق واكسير وبطريق وسندس وكافور وغيرها، ثم اشتدت حركة الاقتراض بين العربية واليـونانيـة بعد الاسـلام وخاصـة في العصر العبـاسي عند تـرجمتـه العلوم اليونانية[٢] .

أما ما دخل العربيـة عن طريق اللغـة اللاتينيـة فهو كثـير أيضاً، ومن أمثلته القديمة ما يثبت مـا نريـد اثباتـه من أن اللغة العـربية افتـرضت من اللغـات المحيطة بهـا شأنها في ذلـك شأن اللغـات الأخرى، فمن الألفـاظ اللاتينية التي دخلت العربية نجد:

١ ـ (بـرجد) وهـو عند العـرب كساء من الصـوف أحمر وقيـل كسـاء مخطط ضخم يصلح للخباء، وقال صاحب اللسان هو دخيل دون أن يحدد مصـدر الكلمة. ونجـده في اللاتينيـة (بـارجـودا: Paraguda) أي الثـوب المـزدان بالـذهب[٣] وقـد وردت الكلمـة في الشعـر الجـاهـلي في معلققـة طرفه[٤].

٢ ـ (سجنجـل) وتدل في العـربية عـلى المرآة وعـلى قـطع الفضـة أو سبائكها أو الذهب[٥].

---

(١) لسان العرب مادة (سيسنبر).

(٢) انظر ص ٢٩١ من البحث وما بعدها.

(٣) روفائيل نخلة اليسوعي، غرائب اللغـة العربيـة ص ٢٨٨، د. حسن ظاظـا، الساميـون ولغاتهم ص ١٦١.

(٤) لسان العرب مادة (برجد).

(٥) لسان العرب مادة (سجل).

وقال الأزهري هو رومي معرب[1] . والكلمة من اللاتينية وهي سكس انجلوس : Sexangulus أي مسدس الزوايا [2] ، ويبدو أنها كانت تدل على نوع من المرايا المصنوعة من الصفيح المصقول قبل اختراع الزجاج ، وشاع منها هذا النوع المسدس الزوايا ومنه انتقلت الكلمة لتدل على كل ذي بريق ولمعان كالذهب والسبائك . وينقل الأب رفائيل نخله عن الأب انستاس الكرملي أن بعض الاعراب يسمون المرآة المسدسة الزوايا دون غيرها سجنجلا [3] وقد وردت الكلمة في شعر امىء القيس [4] .

٣ - (بوق) وهو مزمار من النحاس وأصله بوكينا Buceina وهو عند الرومان البوق العسكري من : Buoga ومعناها الفم [5] . ومن هذه الكلمة الأخيرة جاء في عاميتنا المصرية كلمة (بق) أي الفم [6] . وهناك العديد من الألفاظ الأخرى التي دخلت من اللاتينية الى العربية مثل : قميص ، وكوب وقنديل وقنديد وقنطار ومنديل وقرط وقسط وصراط وغيرها .

ولو أننا ركزنا اهتمامنا على بحث مثل هذه الألفاظ التي اقترضتها العربية من اللغات المختلفة لطال بنا البحث ولكننا آثرنا ذكر هذه النماذج القليلة لتدل على حركة الآقتراض الدائبة بين اللغة العربية واللغات الأخرى التي درسها اللغويون العرب تحت اسم المعرب والدخيل، ومن ذلك يتضح لنا أن اللغات تلجأ الى الاقتراض لأنه الوسيلة السريعة والمباشرة التي تثري اللغة وتنميها بحيث تلبي الاحتياجات الفكرية

---

(١) المصدر السابق نفس المادة .

(٢) غرائب اللغة العربية ص ٢٧٨ وانظر أيضاً د. حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ص ١٦١ .

(٣) غرائب اللغة العربية ص ٢٧٨ .

(٤) لسان العرب مادة (سجل) .

(٥) غرائب اللغة العربية ص ٢٧٨ .

(٦) د. حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ص ١٦١ .

والحضارية للمتكلمين بها، وهي وسيلة كما رأينا لجأت اليها العربية منذ أقدم العصور، وهو تبادل لغوي أساسه التبادل الحضاري والفكري الذي كان يتم بين شعوب المنطقة، ولابد أن نلاحظ أن العربية عندما تقترض مثل هذه الألفاظ وتصوغها في قوالبها كانت تعاملها أحياناً معاملة الألفاظ العربية الأصيلة فتشتق منها كأنها ألفاظ عربية الأصل تماماً وقد أمد هذا اللون من الاشتقاق العربية بألفاظ مولدة كثيرة مثل:

١ ـ الديوان واشتقوا منها دون تدونياً وهي فارسية الأصل.

٢ ـ زركش زركشة ومزركش وهي فارسية الأصل أيضاً.

٣ ـ أقلم وتأقلم ومتأقلم وهي يونانية الأصل من كلمة اقليم.

٤ ـ بوق واشتقوا منها كلمة البواق أي النافخ في البوق.

٥ ـ برهن يبرهن برهاناً وهي فارسية الأصل بمعنى الدليل. وغير ذلك كثير[١].

وهذا اللون من البحث اللغوي القائم على تتبع مثل هذه الألفاظ وردها الى أصولها في اللغات الأخرى لم يتم على وجه الاستقصاء في العربية حتى الآن، ولاشك أن التوصل في العصر الحديث الى كشف لغات وكتابات جديدة ثم تطور وسائل البحث اللغوي التاريخي والمقارن وعلم الأصوات، واتساع المعلومات التيت يقدمها لنا علم اللغة العام، كل ذلك يضع في يد الباحث الذي يتصدى لمثل هذا الموضوع أدوات تمكنه من دراسة هذه الألفاظ وحصرها وبالتالي معرفة مدى استفادة العربية من اللغات الأجنبية وخاصة في العصر الحديث الذي اتسع فيه نطاق الاقتراض اللغوي من اللغات الأوروبية نتيجة للتخلف الفكري والحضاري الذي عاشت فيه المنطية العربية فترة طويلة[٢].

---

(١) أنظر هذا البحث ص ١٣٦ وما بعدها.

(٢) راجع هذا البحث ص ٣٣١.

من هـذا كله ومما سنـراه من دخول الألفـاظ الأجنبيـة الى العـربيـة في العصـر الحديث في البـاب الرابـع من هـذا البحث يتضـح لنـا أن دخـول الألفـاظ الأجنبية الى العـربية أو بمعنى آخـر أن حركـة الاقتـراض اللغـوي حركة طبيعية ولا خطر منهـا كما تـوهم بعض القدمـاء والمحدثـين وانما هي وسيلة من وسائل النمو اللغوي وفي ذلك يقول استاذنا الدكتور حسن ظاظا أن الدخيل ليس هو الخطر كالمحدث بـاللغة وانمـا يكمن الخطر في زعـزعة النظام النحوي والصرفي وتشويهه، واحلال غيـره محله لأن النظام النحـوي مرتبط بالفكر والذوق ارتباطاً مباشراً وهو الذي يكون كالسمط الذي تنتظم فيه مراحل تاريخ الأدب والحضارة للأمة، أما الألفاظ فـان دورها في حيـاة اللغة أقل أهمية من النحو الصرف[1]. ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن العـرب القدمـاء أبدوا ذكـاء وغيره عـلى لسانهم اذ أغنـوه بـآلاف الألفـاظ الأعجميـة التي لم تكن فيه غـير أنهم جعلوها عـلى صيغ عـربيـة أو شبيهـة بـالعربيـة ولهم من المهارة في ذلـك التحويـل مـالا ينقضي منـه العجب ثم يقول فهل خطر ببال غـير الخبراء أن كلمـة ترعـة من الآرامية وبستـان من الفارسية وبرج من اليونانية وفصح من العبرية وقنبلة من التركية ودينار من اللاتينية[2].

وليس معنى هذا اطلاق القـول بالاقتـراض اللغوي وفتـح الباب عـلى مصراعيه لتدخل منه الألفاظ الأجنبية ان شاءت وكيف شـاءت ولكن لابد أن يراعي في ذلك شرط العوز والاحتياج بالاضافة الى وضـع هذه الألفـاظ بقدر الامكان في قوالب عربية، ومن هنا نفهم تشـدد مجمع اللغـة العربيـة بالنسبة للتعريب فأصدر قراره بأن ذلك يكون عند الضرورة[3].

فالعوز إذا هو الشرط الأساسي للاقتـراض من اللغات الأخـرى، أما

---

(١) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٨٩.

(٢) غرائب اللغة العربية ص ٢٨٦.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ١/ ٣٣ سنة ١٩٣٤.

ادخال الفاظ اجنبية للتشدق والتفرنج احياناً فذلك لاشك اسهام في إضعاف اللغة يؤدي الى نوع من النمو المرضي الذي يؤدي شيئاً فشيئاً الى اضعاف اللغة وقد يؤدي بها .

وكما تقترض اللغة من اللغات الأخرى فانها وربما في الوقت نفسه تستغني عن بعض الاستعمالات فتموت بعض الألفاظ وتسقط من الاستعمال وهذا في الحقيقة طريق آخر من طرق نمو الثروة اللغوية على الرغم من أن اللغة هنا لا تكسب جديداً يضاف الى ثروتها، ولكن اسقاط مثل هذه الألفاظ يزيد من حيوية اللغة وقدرتها على التعبير وهو ما نسميه باسم انقراض الكلمات .

٥ - « انقراض الكلمات »

لا يوجد في اللغة كسب دائم من النمو والتجديد يوفر لها ثراء نهائياً فكل تجديد أو نمو في جانب يقابل بنوع من الخسائر في الجانب الآخر، واللغة في هذا تشبه الكائن الحي فهو مؤلف من خلايا لكل منها حياة مستقلة إذا انقضت ماتت الخلية وانحلت أجزاؤها واندثرت وتولدت مكانها خلية جديدة حتى قيل أن جسم الانسان يتجدد كله تماماً في بضع سنين، واللغة قد تختلف قليلاً عن الكائن الحي في هذا اذ يبقى فيها الكثير من أصولها القديمة مهما طال بها الزمن متمثلة في بعض الألفاظ التي تظل حية متجددة دائماً وكذلك في طريقة بنائها النحوي وتأتي الحياة للألفاظ عن طريق الاستعمال فإذا اختفت بعض القيم والعادات والأفكار من مجتمع ما اختفت بالتالي الكلمات التي تدل عليها من الاستعمال(١).

فالاستعمال هو الدليل على حيوية اللفظة يعطيها البقاء والاستمرار بل الفصاحة أيضاً وهو ما أشار اليه اللغويون العرب القدماء عندما قرنوا بين

---

(١) Sturtevant, linguistic change. p. 99; of Darmestetr, la vie Des Mots P. 152.

الاستعمال من ناحية وفصاحة اللفظ من ناحية أخرى قال ثعلب (ت ٢٩١ هـ) في أول كتاب الفصيح « هذا كتاب اختيار الفصيح مما يجري في كلام الناس وكتبهم »[١] ويعلق السيوطي على هذا بقوله « والمفهوم من كلا ثعلب أن مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها »[٢] لذلك وضعوا للفصاحة بناء على هذا المفهوم ضوابط دقيقة يعرف بها فصاحة اللفظ أي استعماله بكثرة فقالوا أن اللفظة المفردة تكون فصيحة اذا توفرت لها شروط أربعة وهي :

١ ـ خلوص اللفظ من تنافر الحروف.
٢ ـ بعد اللفظ عن الغارابة.
٣ ـ عدم مخالفة اللفظ للقياس اللغوي.
٤ ـ خلوص اللفظ من الكراهية في السمع[٣].

أما تنافر الحروف فيجعل اللفظة متناهية في الثقل على اللسان عسير النطق بها فقد روى أن أعرابياً سُئل عن ناقة له فقال « تركتها ترعى الهعخع »[٤] وكذلك قول امريء القيس « غدائره مستشزرات الى العلا »[٥]. فنجد أن هاتين اللفظتين لا تستعملان كثيراً بسبب تنافر حروفها وفي ذلك يقول ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) « اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم وحروف الذلاقة[٦] كلفته جرساً واحداً وحركات مختلفة ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء

(١) الهروي، التلويح في شرح الفصيح ص ٤.
(٢) السيوطي، المزهر ١/١٨٥.
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة. الهعخع كقنفد شجر يتداوى بورقة.
(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٦) حروف الذلاقة هي اللام والراء والنون والباء والفاء والميم.

والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول الى هاءفي بعض اللغات لقربها منهاكما قالوا في أراق هراق أما إذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف»[1]. وبالتالي شاع استعمال الكلمة واندرجت عندهم في الفصيح.

أما بعد اللفظة عن الغرابة وهو الشرط الثاني من شروط فصاحة اللفظ عندهم فقد قالوا أن الغرابة تبدو في كون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفتها الى البحث عنها في كتب اللغة على أننا لابد أن نلاحظ أن للغرابة هنا مدلولاً خاصاً بمعنى أن تكون اللفظة غريبة على العرب الفصحاء لا بالنسبة لاستعمال الناس عامة وإلا كان جميع ما في كتب الغريب غير فصيح[2]. وهنا نلاحظ أنهم قسموا الغرابة بناء على هذا المفهوم الى رتب ودرجات منها الضعيف والمنكر والمتروك والمذموم والحوشى، وهم يعنون بكل ذلك الألفاظ التي استغنت عنها اللغة أما لأسباب لغوية أو اجتماعية.

أما الشرط الثالث وهو مخالفة القياس فقد اختلفوا فيه فاعتبر بعضهم مخالفة اللفظ للقياس اللغوي يقلل من فصاحته كما في قول الشاعر: الحمد لله العلي الأجلل، فان القياس هنا الأجل بالادغام[3] وقال بعضهم أن مخالفة القياس مع كثرة الاستعمال وورود اللفظ في القرآن الكريم بعد من الفصيح كما في سرر فان قياسه سرير ويجمع على أفعلة وفعلان مثل أرغفة ورغفان[4].

وأخيراً تأتي الى الشرط الرابع والأخير من تلك الشروط التي وضعها القدماء لمعرفة فصاحة اللفظ وهو خلوصه من كراهية السمع وهذا الشرط

---

(١) السيوطي، المزهر ١/١٩١ - ١٩٢.
(٢) المصدر السابق ١/١٨٦ - ١٨٧.
(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٤) المصدر السابق ١/١٨٨.

في الواقع متصل بالشرط الأول وهو خلوص اللفظ من تنافر الحروف لأن الكراهية في السمع مرتبطة بهذا التنافر.

مما سبق نخلص الى أن القدماء قد ربطوا في معرفتهم لفصاحة اللفظ وشيوع استعماله بين عنصرين هامين هما:

١ ـ العنصر الصوتي في اللفظ.

٢ ـ القيمة الدلالية للفظ.

وهذان العنصران في الحقيقة هما ما يعطيان الحياة للفظ أو يسلبانها منه فتنقرض اللفظة ويستغنى عنها ثم تموت أو حسب المفهوم القديم لا تعد فصيحة. وعلى الرغم من أن القدماء قد غلبوا في أبحاثهم الجانب الصوتي على الجانب الدلالي فلاشك أنهم اعتبروا مبدأ الاستعمال هو الأساس الذي يقاس به فصاحة اللفظ. يقول السيوطي « والتحقيق أن المخل هو قلة الاستعمال وحدها فرجعت الغرابة ومخالفة القياس الى اعتبار قلة الاستعمال والتنافر كذلاك وهذا كله تقرير بِكون مدار الفصاحة على كثرة الاستعمال وعدمها على قلته »(١).

أما اللغويون المحدثون فلم يخوضوا في فصاحة الألفاظ، بل استبعدوا من أبحاثهم كل المشكلات التي تتعلق بتقويم اللفظ ويرفضون البحث في تفضيل صيغة على أخرى أو لفظ على لفظ أو حتى البحث في صحة الكلام ويرون أن تلك المشكلات لا تتفق والصفة العلمية التي اتصفت بها الدراسات اللغوية عندهم(٢).

ولكنهم خلال بحثهم عن دلالة الألفاظ وجدوا أن هناك بعض الألفاظ تموت أو تختفي من الاستعمال وبعضها يبقى حياً يؤدي دوره في التعبير وذكروا لذلك أسباباً متعددة، فأحياناً يكون الجانب الصوتي هو

(١) السيوطي، المزهر ١/١٨٨.

(٢) د. محمود السعران، علم اللغة ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

المسؤول عن انقـراض الكلمـة ومـوتهـا[١]. وقـد تسقط الألفـاظ من الاستعمال لأن مدلولها قد اختفى واندثر باندثار ما تدل عليه وهو مـا أشار اليه اللغوي الفرنسي « درمسـتر » تحت اسم الكلمـات التـاريخيـة : Mots historiques يقول ان الكلمات التي تخرج من الاستعمال مع الأشياء التي نعبر عنها تندثر لأسباب تاريخية ويمكن أن نسميها بالكلمات التاريخية فهناك مجموعة من الألفاظ الخاصة بالعصر الوسيط مثلا قد اختفت لأنها كانت تعبر عن أشياء مثل الأسلحة والمعدات والعملات والملابس والقوانين والأحداث الاجتماعية كلها اختفت بانقضاء ذلك العصر [٢] .

ويرى أولمان أنه بالاضـافة الى الجـانب الصوتي للكلمـة فإن التـرادف والاشتـراك اللفظي يمثـلان سببـاً قـويـاً من أسبـاب اختفـاء الكلمـات من الاستعمال[٣].

والحقيقـة أن المعنى يقوم بـدور هام في بقـاء كلمة مـا واستمـرارهـا في الاستعمـال أو اختفاء كلمـة اخرى وانقـراضها ذلـك لأن القيمة الحقيقيـة للفظ تكون ـ كما يقول استاذنا الدكتور حسن ظاظا ـ بمقدار ما لدلالتها من عموم وشيوع في المجتمـع ومن مرونـة في الاحاطـة بأكبـر عدد من الصـور الجزئية والتفاصيل المختلفة التي تدخل في نطاق هـذه الدلالـة وهي في هذا تشبه ورقة النقد من حيث أن القيمة الحقيقية لها تكمن في مقدار ما يسندها من ذهب والا لما خرجت عن أن تكون مجرد قصـاصة من الـورق، وهكذا اللفظة في اللغة[٤]. ثم يقول « ولكي تصل اللفظة الى أن تكون رمزاً ثابتـاً لمقـدار معين من المعـرفة الانسـانية وأن تكـون كورقـة النقد نـافذة واسعـة التداول في المجتمع ينبغي أن تكـون قيمتها الـدلالية عـامة وشـاملة بحيث

---

(١) أولمان، دور الكلمة في اللغة ص ١٩٤ .

(٢) Darmesteter, la vie des Mots. p. 152., of startevant, linguistic change pp. 99 - 103.

(٣) ألومان، دور الكلمة في اللغة ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٤) د. حسن ظاظا، محاضرات في فقه اللغة ص ١٣ .

تسعف المتحدث في المناسبات التي يحتاج اليها فيها لأداء تلك الدلالة التي وسمت بها وبحيث لا يعتري دلالتها هذه تغير أو التواء أثناء تداولها على الألسنة وتجاوبها في الآذان، يعني ألا تكون دلالتها عينية بل فكرة مجردة وبعبارة أخرى أن تدل على مقعول أو متصور Concept يدخل فيها مالا ينتهي من المحسوسات أوالأعيان » [1] .

وهذا النوع من الألفاظ الذي أشار اليه استاذنا الدكتور حسن ظاظا هو الذي يبقى في الاستعمال دائماً وهو ما قصده اللغويون العرب بمعنى الفصاحة، أما الألفاظ الأخرى ذات الدلالات العينية أي التي تدل على أشياء مادية فهي غالباً ما تختفي من الاستعمال باختفاء تلك الأشياء، واللغة في هذا تصنع نوعاً من التوازن الدقيق بين ما يضاف اليها وما ينقرض منها.

وكما حدد مبدأ الاستعمال والشيوع شروط الفصاحة في اللفظ عند القدماء، نجدهم قد درسوا ظاهرة انقراض الكلمات تحت ما أسموه بالغريب وهم يقصدون به الألفاظ القليلة الاستعمال بحيث تكون الكلمة وحشية كما أشرنا الى ذلك من قبل، والغرابة عندهم تنسحب على عدد كبير من الصفات أو الرتب اللغوية التي أطلقها القدماء على هذا النوع من الألفاظ وهم في كل هذا يشيرون الى الألفاظ التي اختفت من الاستعمال أو التي استغنت عنها اللغة أما بسبب قد طرأ على دلالتها أو جرسها أو نتيجة لتغير حضاري أو فكري وفي ذلك يقول الأصمعي: « قد كان للعرب كلام على معان فإذا تبدلت تلك المعاني لم يتكلم بذلك الكلام، فمن ذلك قول الناس اليوم ساق اليها صداقها، وانما كان هذا يقال حين كان الصداق ابلاً أو غنماً »[2].

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) الجاحظ، البخلاء ص ١٩٦، ٣٧١.

وبناء على ذلك قسم اللغويون العرب الألفاظ التي انقرضت من الاستعمال أو التي في طريقها الى الانقراض الى رتب ودرجات هي: الضعيف، المنكر، الرديء، المذموم، الحوشيّ، النوادر، الشوارد وأخيراً المتروك أو الذي استغنت عنه اللغة تماماً واختفى من الاستعمال[1].

وفيما يلي أمثلة لكل نوع من هذه الألفاظ:

١ ـ الضعيف: وهو ما انحط عن درجة الفصيح عندهم مثال ذلك: الخندع للضفدع والبرصوم لغلاف القارورة أو غطاء الرأس، البعقوط والبلقوط بمعنى القصير، العرنية طرف الأنف، الطيثار البعوض، الزلقوم الحلقوم، الكشه الناصية، المصين المتكبر[٢].

٢ ـ **المنكر**: وهو أدنى درجة من الضعيف وأقل استعمالاً بحيث انكره بعض أئمة اللغة ولم يعرفه. فمن ذلك مثلاً: يلق الدابة وهو لا يعرف في أصل اللغة، ونبله واحدة النيل، وجرعت الماء بالفتح لغة أنكرها الأصمعي[٣].

٣ ـ **الرديء والمذموم**: ويقصدون بها اللهجات العربية المختلفة التي تخالف لهجة قريش مثل: كشكشة ربيعة وعنعنة، قيس وفخفخة هذيل[٤]. ومن الألفاظ المفردة التي تندرج تحت هذا النوع وتمت بصلة قوية لهذه اللهجات نجد الفاظاًمثل: الطعسعة وهو ضبط الأرض بالرجل اثناء المشي، تدخدخ الرجل اذا انقبض، بغداذ في بغداد، أفلطني في افلتني، الرنز في الأرز[٥].

---

(١) السيوطي، المزهر ١/٢١٤، ٢٢١، ٢٣٣.
(٢) المصدر السابق ١/٢١٦ ـ ٢١٧.
(٣) المصدر السابق ١/٢١٤.
(٤) المصدر السابق ١/٢٢٣.
(٥) المصدر السابق ١/٢٢٣ ـ ٢٢٥.

وفي هذا كله نلاحظ أن العنصر الصوتي وخصوصية الدلالة في لهجة معينة يحول دون شيوع استعمال مثل هذه الألفاظ وبالتالي يؤدي الى الاستغناء عنها إلا في نطاق البيئة التي تتكلم بهذه اللهجة.

٤ ـ الحوشى والنوادر والشوارد: وكل هذا أيضاً خلاف الفصيح المستعمل ويندرج عندهم تحت الغريب قال ابن رشيق (ت **٤٦٣ هـ**) « الحوشى من الكلام ما نفر عنه السمع » ثم يقول « وإذا كانت اللفظة حسنة مستغربة لا يعلمها الا العالم المبرز والاعرابي القح فتلك وحشية »[١].

أما النوادر والشوارد فهي تحمل أيضاً على نفس معنى الغرابة والحوشى من الألفاظ والمقصود بها جميعاً قلة الاستعمال وعدم الشيوع[٢].

مثال ذلك في الأسماء: البرت بمعنى الدليل الماهر، الحرش الأثر، العيقة ساحل البحر الوثبج الكفيف، الربيل الحزمة[٣].

ومن الأفعال: متعت بالشيء أي ذهبت، وخرج يستمي الوحش أي يطلبه، وهلهلت أدركه أي كدت أدركه، ووردت على القوم التقاطاً اذا لم تشعر بهم حتى ترد عليهم ومثله وردت الماء نقاباً وهو مثل الالتقاط[٤].

٥ ـ المتروك: وهو ما استغنت عنه اللغة تماماً وانقرض وحلت محله الفاظ أخرى جديدة، قال السيوطي: هو « ما كان قديماً من اللغات ثم ترك واستعمل غيره »[٥] ولعل أشهر ما يذكر من الألفاظ المنقرضة في هذا المقام أسماء الشهور والأيام في الجاهلية فأما أسماء الأيام فكانت: السبت

---

(١) المصدر السابق ١/٢٣٣.
(٢) المصدر السابق ١/٢٣٤.
(٣) المصدر السابق ١/٢٣٦ ـ ٢٣٧.
(٤) المصدر السابق ١/١٣٧.
(٥) المصدر السابق ١/٢١٤.

شيار، الأحد أول، الاثنين أهون، الثلاثاء جبار، الأربعاء دبـار، الخميس مؤنس، الجمعة عروبة[١].

وأمـا أسماء الشهـور فكانت: المؤتمـر، المحرم، صفـر ناجـر، ربيـع الأول خـوان، ربيع الآخـر وبصان، جماد الأول الحنين، جمـادي الآخرة، ربي، رجب الأصم، شعبـان عادل، رمضـان نـافق، شـوال وعـل، ذو القعـدة ورنة، ذو الحجة برك[٢].

وما أن يأتي القرن الرابع الهجري حتى يصبح استعمال بعض الألفـاظ المتروكة لمجرد التشادق والحفظ مناط سخرية شديدة فأبـو حيان التـوحيدي (ت ٤١٤ هـ) يعرف ولوع الصـاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) بـالمتروك من الألفاظ فيسخر منه قائلاً: قال لي الخليلي الرجـل مجنون - يعني ابن عبـاد - وفي طباع المعلمين وهو يقول للتميمي الشاعر كيف تقـول الشعر وان قلتـه كيف تجيده وان أجدته كيف تغزر فيه وان غزرت فكيف تـروم غايـة وأنت لا تعـرف ما الـزهلق[٣] وما الهبلغ وما العثـاط[٥] ومـا الجلعلع[٦] ومـا القهقب[٧] ومـا الـطرطب[٨] ومـا القهبلس[٩] ومـا الخيسفـوج[١٠]ومـا الخزعبلة[١١]وما القزعملة[١٢] وما العمروط[١٣] »[١٤].

---

(١) المصدر السابق ١/٢١٩.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الزهلق: الأملس والسريع الخفيف من الناس.

(٤) الهبلغ: كعملي الأكول العظيم اللقم الواسع الفم.

(٥) العثلط: اللين الخاسر.

(٦) الجلعلع: كسفرجل من الابل الحديد النفس والقنقد والخنفساء.

(٧) القهقب: كجعفر الضخم المسن والطويل الرغيب والباذنجان.

(٨) الطرطب: كقنفد الثدي الضخم المسترخى.

(٩) القهبلس: المرأة الضخمة أو العظيم الغليظ والقملة والأبيض تعلوه كدرة.

(١٠) الخيسفوج: حب القطن والخشب البالي.

(١١) الخزعبلة: الأحاديث المستطرفة والباكل والعجب. (١٢) القزعملة: المرأة الخسيسة القصيرة.

(١٣) العمروط: اللص. (١٤) أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين ص ٣١٨.

ثم يمضي في ذكر الفاظ من هذا القبيل حتى يبلغ بها أكثر من خمسين لفظة كلها من المتروك غير المستعمل(١) . ثم يقول: « قال الخليلي أفهذا الضرب من الكلام مما يجب أن يفتخر به ويتدفق به انك يا أبا حيان لو رأيته يميس وهو يهذي بهذا وشبهه وينقيهق فيه ويلوي شدقه عليه ويقذف بالبزاق على أهل المجلس لحمدت الله تعالى على العافية مما بلى به هذا الرجل »(٢) .

ومهما يكن من شيء فإن الباحث لابد له من التريث كثيراً قبل أن يقطع بموت كلمة أو انقراض لفظة من الاستعمال ذلك لأن كثيراً من الألفاظ قد يبقى في حالة سكون أو خمود حتى تأتي يد أديب أو فكرة جديدة فتحرك اللفظة من ثباتها ولو بعد عدة قرون.

فمثلاً لفظة الطرطب التي اعتبرها القدماء من الغريب أو المتروك نجد المتنبي (ت **٣٥٤ هـ**) يعود لاستعمالها في القرن الرابع الهجري في قوله:

ما انصف القوم ضبه وأمه الطرطبه(٣)

وكذلك لفظه مثل الطيثار أي البعوض والتي عدها بعض اللغويين القدماء من الألفاظ المنقرضة نجد أديباً كأبي العلاء المعري (ت **٤٤٩ هـ**) يعيد اليها الحياة باستعمالها في رسالة الغفران يقول: « وكم من أغلب مثار يسهد لغناء الطيثار »(٤) وكذلك يستعمل لفظة هلهلت بمعنى قاربت وهي من الألفاظ التي ذكرها أبو حيان التوحيدي في النص السابق، كذلك ما زلنا حتى اليوم نستعمل لفظة الخزعبلة في صورة الجمع خزعبلات بنفس المعنى والدلالة بينما اعتبرها أبو حيان من المتروك المنقرض.

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٩ ـ ٣٢١.
(٢) المصدر السابق ص ٣٢٢.
(٣) الديوان ص ٥١٤.
(٤) رسالة الغفران ص ٤١٣.

وفي العصر الحديث نجد أن كثيراً من الألفاظ القديمة قد أعيدت اليها الحياة في صورة الفاظ مولدة للدلالة على أشياء ومعان جديدة مثل القطار والقاطرة والهاتف والجريدة وغيرها كثير كما سنرى خلال هذا البحث.

وهكذا نجد أن اللغة تحاول دائماً أن تصل الى نوع من التوازن فهي كما تقترض ألفاظاً من اللغات الأخرى لتسعف حاجات المتكلمين بها نراها تستغني عن الفاظ أخرى تختفي من الاستعمال أو على الأقل تظل فترة طويلة ساكنة هامدة في بطون المعاجم وكتب اللغة. وهذه الحركية في نمو الثروة اللغوية لا تكاد تلحظ الا للباحث وحده فهي تتم بصورة تلقائية أكثر الأحيان ولكن اعادة الحياة لمثل هذه الألفاظ تستدعي تحركاً من خارج نطاق اللغة فقد تظهر أحياناً دعوات إلى إحياء الألفاظ القديمة المهجورة بطريقة منظمة تتمشى مع خطة سياسية أو قومية أو عنصرية أو علمية تهدف الى التخلص من الكلمات الأجنبية الدخيلة أو إلى سد النقص الملحوظ في بعض الاستعمالات وغالباً ما يتم ذلك عن طريق الأفراد أحياناً أو المجامع اللغوية أو الهيئات العلمية كما سنرى خلال هذا البحث.

من هذا كله يتبين لنا أن العربية كانت تلجأ الى وسائل وطرق متعددة لانماء ثروتها اللغوية سواء عن طريق الاشتقاق أم النحت أم المجاز أم الاقتراض أم الانقراض وكلها تؤدي الى اضافات جديدة كما رأينا إلا في الانقراض الذي يؤدي الى طرح بعض الألفاظ التي زالت من الاستعمال وهي في هذا أيضاً تنمو بالاستغناء عن تلك الاستعمالات التي قد تثقل كاهلها بما لا حاجة اليه.

يبقى بعد هذا كله طريق آخر وهو موضوع هذا البحث الرئيسي ألا وهو التوليد والمولد فما هو؟ وكيف تنمو اللغة عن طريقه؟ وما علاقته بطرق النمو الأخرى؟ وما موقف اللغة واللغويين القدماء والمحدثين منه؟

كل هذه الأسئلة وغيرها هي ما سنحاول الاجابة عليها في الفصل التالي والأخير من هذا الباب.

الفصل الثالث

المولد وطرق التوليد

ما من شك في أن تسمية الأشياء ووضع الألفاظ عمل مستمر في جميع اللغات الحية، فالانسان لا يزال يكتشف ويصنع أشياء جديدة كما يتفتق ذهنه عن معان وافكار مبتكرة، وبالتالي فهو في حاجة دائمة الى صوغ هذه الأشياء الجديدة في ألفاظ لغوية تدل على هذه الأشياء وتلك المعاني.

ويتم تسمية الأشياء ووضع الألفاظ الجديدة بعد أن تكون اللغة قد اجتازت مرحلة النشأة الأولى وأصبح بين يديها رصيد من المفردات ممكن تنميته ويتم ذلك بطرق النمو السابقة[1] كما يتم في الوقت نفسه بانتزاع صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته أو اختيار جزء من أجزائه أو ناحية من نواحيه أو تحديد وظيفته الأصلية وتسميته بلفظ مشتق من اللفظ الدال على تلك الصفة أو الناحية أو الوظيفة، فالعرب قديماً سموا السماء لصفة العلو والسمو والسهل من الأرض لسهولة السير فيه والبادية لصفة الظهور والوضوح والمسكن لشعور المرء بالسكينة، والسفر لكشفه عن صفة الانسان أو لانكشاف آفاق الكون أمام المسافر. وعلى هذه السنة تسير اللغات الحية مع اختلاف في أسلوب صياغة الألفاظ فلكل لغة أساليبها وطرقها الخاصة بها.

وفي الفصل السابق رأينا العربية تنمو بالاشتقاق والنحت والمجاز

---

(١) راجع هذا البحث ص ٧١ وما بعدها.

والاقتراض لمواجهة الجديد في الأشياء والأفكار ومسايرة حاجـات المتكلمين بها، وفي هذا الفصل سنتكلم عن المولّد باعتبـاره طريقـاً من تلك الطرق التي سلكتها العربية وما تـزال للاستجـابة لمقتضيـات التطور والتجـديد في بيئتها الاجتماعية والفكرية.

وقد اختلف اللغويون القدماء والمحدثون حول هذه الظاهـرة اللغويـة وتشعبت الآراء في حدها ومفهومها من نـاحية ومـظاهر التـوليد وآثـاره على اللغة من ناحية أخرى بـل لعلي لا أكـون مغاليـاً اذا قلت أنه لم يسبق هـذا البحث دراسة متكاملة عن التوليد تتبع آثاره وترصد مـظاهره، لـذلك كله خصصنا هذا الفصل لدراسة ماهية المولّـد وطرق التـوليد ومـوقف القدمـاء والمحدثين منه. ولكي نصل الى هذا قسمت هذا الفصـل الى أربعة أقسـام هي:

١ ـ لفظة المولّد وسنتكلم عن معناهـا الأصلي وتـطورها حتى أصبحت تدل على نوع معين من الألفاظ والتراكيب.

٢ ـ المولّد عند القدماء.

٣ ـ المولّد عند المحدثين.

٤ ـ طرق التوليد.

وفي خلال تناولنا لكل قسم من هذه الأقسام سنستعين بالأمثلة وبـآراء اللغويين القدماء والمحدثين على السواء.

١ ـ لفظة المولّد

لعل نظرة نلقيها على مـادة (ولد) في المعـاجم العربيـة قد تضعنـا على بـداية الـطريق الصحيح لتحـديد مـاهية التـوليد اللغـوي وحقيقتـه وكيف تطورت دلالة الكلمـة حتى أصبحت ذات مفهوم محـدد في أذهان اللغـويين قديماً وحديثاً. وأول ما يلفت نظر الباحث في هذه المادة أن الفعل ولـد من الأفعال السامية القديمة فهو موجود في العبرية والعربية والسريانيـة والآرامية

ومعناه ولد أو حمل[1].

ولا سبيل لمعرفة الأصل الحسي لهذه المادة على وجه الدقة في اللغات السامية، ولكن جزينيوس ذكر ضمن معاني المادة الفعل لوث[2]. ولعل ذلك هو المدلول الحسي للمادة لما يصاحب عملية الولادة من تلوث غير أننا لا نجد بين مشتقات المادة ما يؤ يد ذلك الظن.

ومن ثم اتخذت العربية وبعض اللغات السامية من الأصل ولد بمعنى وضعت الوالدة ولدها أصلاً حسياً اشتقت منه بقية المشتقات، ففي لسان العرب نجد ولدت المرأة ولاداً وولادة وأولدت حان ولادها ولذلك أطلقوا على الطفل حديثي الولادة (الوليد) ذكراً كان أم أنثى والجمع ولدان، ومنه أيضاً اشتق الوالد والوالدة للأب والأم والمولد والميلاد لمكان الولادة وزمانها[3]. هذا بالنسبة للانسان.

أما بالنسبة للحيوان فنجد أيضاً أن الفعل ولد يدل على نفس المعنى الذي يدل عليه بالنسبة للانسان، فالشاه والده وولود ووالد أي ظاهرة الحمل وقد ولدتها وأولدت هي وهي مولد من غنم مواليد[4].

وهنا نلاحظ أن المدلول يحمل في طياته ما يدل على الشيء الحديث الجديد الطاريء ونستشعر ذلك في كلمة الوليد أي الطفل حديث الولادة، وسنرى كيف استثمرت العربية هذا الجزء من الدلالة فتوسعت فيه. ثم تطور المدلول وأصبح يدل على التربية دون عملية الولادة نفسها ومنه قول الله عز وجل لعيسى عليه السلام « أنت نبي وأنا ولدتك » أي ربيتك[5].

---

(١) Gesenius, op. cit. p. 408;
وانظر أيضاً: برجشتسراسر، التطور النحوي للغة العربية ص ١٤٠.

(٢) Gesenius, op. cit. p. 408.

(٣) أنظر لسان العرب مادة ولد، وانظر تاج العروس نفس المادة.

(٤) لسان العرب وتاج العروس مادة و ل د.

(٥) لسان العرب وتاج العروس مادة ولد.

ومنه جاء المولدة التي ولدت بأرض ليس بها أبوها ولا أمها فالمولدة الجارية التي ترتب بين العرب، قال ثعلب وجارية مولدة تولد بين العرب وتنشأ مع أولادهم ويغذونها غذاء الولد ويعلمونها من الأدب مثل ما يعلمون أولادهم وكذلك المولد من العبيد[1]. ولأن المولدة أو المولد ليس أصلاً من جنس العرب على الرغم من النشأة والتربية وانما هو طاريء حديث عليهم بحكمأصله غير العربي فهو عندهم عربي غير محض أي حدث بحكم التربية وحدها ومن ثم عمموا الدلالة فقالوا « المولّد المحدث من كل شيء والبنية المولدة الت ليست بحقيقة وكذلك كتاب مولد أي مفتعل[2].

وكل تلك الدلالات يمكن ردها الى المولد بمعنى عدم الأصالة في جنس العرب، وعندما تطورت العربية بعد الفتح الاسلامي وظهرت فيها ألفاظ وتراكيب لم يكن للعرب عهد بها من قبل أطلق اللغويون القدماء على هذا النمط من الكلام اسم المولد أي الكلام غير الأصيل في العربية، قال الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) « ومن المجاز كلام مولد ليس من أصل لغتهم »[3]. أي الكلام الطاريء الذي يشبه ذلك الصنف من الناس ذوي الأصل غير العربي ومن ثم أطلقوا على طبقة من الشعراء حملاً على هذا المدلول لفظ المولدين، وانما سموهم بذلك لحدوثهم وقرب زمانهم[4]، ويستوي في ذلك منهم ذوي الأصل العربي الصريح مثل جرير (ت ١١٠ هـ) والفرزدق (ت ١١٠ هـ) أو الممزوجة دماؤهم بدماء غير عربية كبشار بن برد (ت ١٦٧ هـ).

من هذا يتضح لنا أن لفظ المولد أطلق أولاً على الأشخاص الذين وجدوا بين العرب الخلص ثم اتسع استعماله فأطلق على الكلام المحدث

---

(١) لسان العرب وتاج العروس مادة ولد.

(٢) المصدر السابق نفس المادة وانظر أيضاً دائرة المعارف الاسلامية مادة.

(٣) الزخشري، أساس البلاغة ٥٢٧/٢.

(٤) لسان العرب وتاج العروس مادة ولد Muwallad

الذي اعتبره اللغويون القدماء غير أصيل في العربية ومنه نرى أن الكلمة أصبحت ترتبط بطبقة من الناس من ناحية ومن ناحية أخرى بنوع من الكلام .

ومن الصعب على الباحث أن يحدد بطريقة قاطعة متى بدأ استعمال لفظة المولد بهذا المدلول وكمصطلح لغوي للدلالة على نوع من الكلام وغاية ما نستطيعه هو التقاط بعض النصوص القديمة التي قد تلقى الضوء على بداية استعمال هذا المصطلح بهذه الدلالة المزدوجة .

ولعل من أقدم اللغويين الذين استعملوا لفظ المولد أبا عمر بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) قال ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله وكان أبو عمرو بن العلاء يقول « لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق فجعله مولداً بالاضافة الى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين، قال الأصمعي جلست اليه ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي، وسئل عن المولدين فقال ما كان من حسن فقد سبقوا ليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم ليس النمط واحداً ترى قطعة من ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع »[١] .

ثم يعلق ابن رشيق على هذا الخبر قائلاً « هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه كالأصمعي وابن الاعرابي أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون، ثم صارت لحاجه »[٢] .

---

(١) ابن رشيق، العمدة ١/٥٦ ـ ٥٧ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

ولكن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) يروي لنا هذا الخبر بصورة أخرى يقول: « أبو عمرو أعلم الناس بأمور العرب مع صحة سماع وصدق لسان حدثني الأصمعي قال وقال مرة: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته يعني شعر جرير والفرزدق وأشباههما [١] .

ثم يروي لنا ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وهو تلميذ الجاحظ، الخبر بصورة ثالثة تقترب من رواية أستاذه الى حد كبير فيقول « كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين وكان أبو عمرو بن العلاء يقول لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته » [٢] .

أما الاستعمال الثاني لكلمة المولد فقد جاء على لسان يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) في معرض حديثه عن الفرزدق أيضاً، قال ابن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) « سمعت يونس يقول ما كان بالبصرة مولد مثله »[٣] أي الفرزدق.

ومعنى هذه الروايات جميعاً على اختلاف الفاظها واستعمال لفظتي مولد ومحدث أن البحث في كلام المولدين بشكل عام قد بدأ قبل وفاة الفرزدق عام ١١٠ هـ وأبو عمرو بن العلاء معاصر له [٤] ، يكاد يقدم على رواية شعره اعجاباً به وذلك حسب رواية الجاحظ وابن قتيبة من ناحية أخرى وان اختلف استعمال لفظ المحدث بدلاً من المولد .

ومن ثم فغاية ما يستطيع الباحث أن يقوله باطمئنان أن لفظة المولد

---

(١) الجاحظ، البيان والتبين ٣٢١/١.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٣٢١/١.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٦٣/١.

(٤) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ص ٢٩٨، وقد ولد بن سلام عام ١٣٩ هـ أي كان عمره عند وفاه يونس بن حبيب حوالي ٤٣ عاماً.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ٢٩٨/١٩، السيوطي، نزهة الألبا ص ٣٠.

كانت تستعمل مرادفة للفظة محدث كمصطلح للدلالة على نوع من الكلام حتى نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني، ويؤكد ذلك ما ذكره المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) في الموشح عن ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) عن أبي حاتم السجستاني (ت ٢٤٨ هـ) عن الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) قال « أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال رأيت الأصمعي طعن في الأقيشر وقال ذاك مولد ولم يلتفت الى شعره قال ولا يقال الارجل شرطي فقلت قال الأقيشر:

انما نشرب من أموالنا فسلوا الشرطي ما هذا الغضب

فقال ذلك مولد »[1].

وهنا نجد الأصمعي يستعمل لفظة المولد بمعنى الناس أولاً ثم بمعنى الكلام، والأصمعي ولد عام ١٢٢ هـ وتوفي عام ٢١٦ هـ، ثم تذكر لنا الروايات رواية أخرى عن الأصمعي أيضاً ينقد فيها بعض الألفاظ ويصفها بأنها مولدة، قال الجواليقي « النحرير ضد البليد وكان الأصمعي يقول النحرير ليس من كلام العرب وانما هي كلمة مولّدة »[2].

وهنا نجد أن الكلمة أصبحت أكثر وضوحاً في الدلالة على نوع من الكلام بأنه ليس من كلام العرب وانما هو مولّد وذلك في الفترة من عام ١٢٢ هـ الى عام ٢١٦ هـ وهي الفترة التي عاش فيها أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والأصمعي. أي بمعنى آخر أن كلمة مولّد أصبحت تدل على نوع من الكلام بأنه ليس من كلام العرب في منتصف القرن الثاني الهجري على أكثر تقدير، وهنا لابد أن نلاحظ أن مدلول اللفظ كان في نطاق الحكم المعياري دون الوصف النظري أو التحديد النظري لكلمة المولّد كمصطلح لغوي له مفهوم واضح ويظهر هذا بجلاء من الأحكام

---

(١) المرزباني، المشوح ص ٢٢١.

(٢) انظر الجواليقي، المعرب ص ٣٣١، السيوطي، المزهر ١/٣٠٤.

التي تنسب الى الأصمعي في حكمه على عدد من الألفاظ بأنه مولّد مثال ذلك قوله:

١ ـ التحرير ليس من كلام العرب وهي مولّده.
٢ ـ الخم القوصره يجعل فيها التبن لتبيض فيها الدجاجة وهي مولّد.
٣ ـ أيام العجوز ليس من كلام العرب في الجاهلية وانما ولّد في الاسلام.
٤ ـ الهبوت طائر يرسل على غير هداية وأحسبها مولّدة.
٥ ـ أخّ كلمة تقال عند التأوه وأحسبها محدثة(١).

وهنا نرى مرة أخرى أن لفظ محدث ما زال يستعمل بجانب لفظ مولّد للدلالة على هذا النوع من الكلام، ولو أننا حاولنا الخروج بمفهوم واضح لمعنى كلمة مولّد في الأمثلة السابقة لما خرجنا إلا بأحكام معيارية تسم اللفظ بأنه ليس من كلام العرب في الجاهلية أو أنه محدث أو مولّد، وأكبر الظن أن الأصمعي وطبقته من العلماء لم يهتموا بالجانب النظري من المصطلح لقرب عهدهم بكلام العرب وهو المعيار الذي كان يوزن به الكلام عندهم ومن ثم وقع عبء تحديد المصطلح نظرياً على عاتق من جاء بعدهم من العلماء واللغويين.

من هذه الكلمة تتضح لنا الحقائق التالية:

١ ـ ان كلمة مولّد للدلالة على العربي غير المحض أقدم ظهوراً من تلك التي تدل على نوع من الكلام.

٢ ـ أنشأت كلمة مولّد تدل على نوع من الكلام بأنه ليس من كلام العرب في الجاهلية أو أنه محدث حوالي منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً.

---

(١) السيوطي، المزهر ١/٢٠٤ ـ ٣٠٥.

٣ ـ لم يحتو اللفظ حتى ذلك الحين على مفهوم واضح وانما هي أحكام عامة على بعض الألفاظ تتسم بالمعيارية دون الوصف الدقيق لمعنى المولّد.

فكيف تم التحديد الاصطلاحي لكلمة المولّد؟

٢ ـ المولّد عند القدماء

الحقيقة أن الباحث لا يكاد يظفر برأي واضح أو قاعدة عامة اتفق عليها القدماء في تعريف المولّد أو تحديد مفهوم دقيق لها، وانما كان جل اعتمادهم في تحديد الكلمات المولّدة على علمهم التام بكلام العرب الفصحاء كما رأينا ذلك في أحكام أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والأصمعي، وقد سار اللغويون من بعدهم في نفس الاتجاه تقريباً وذلك فيما عدا بعض الآراء النظرية القليلة والتي سنعرض لها فيما بعد. ومن ثم فليس أمامنا لتحديد مفهوم القوم عن التوليد الا طريقان:

١ ـ الأول النظر في نماذج مختلفة من الألفاظ المولّدة وتعليقات اللغويين عليها.

٢ ـ الثاني هو مناقشة الآراء النظرية القليلة التي ذكرتها المصادر القديمة لتحديد معنى التوليد على ضوء ما تسفر عنه ملاحظة الألفاظ المولّدة.

وفيما يلي نماذج لمجموعة من الألفاظ المولّدة مع تعليقات اللغويين عليها مرتبة ترتيباً تاريخياً حسب وفاة هؤلاء اللغويين:

١ ـ أبو عبيدة: (ت ٢٢٣ هـ):

١ ـ الجبرية خلاف القدرية كلام مولّد[1].

٢ ـ المبرد: (ت ٢٣٥ هـ):

١ ـ جمع الحاجة حاج وتقديره فعله وفعل كما نقول هامة وهام وساعة وساع

---

(١) الجوهري، الصحاح مادة ج ب ر، السيوطي، المزهر ٣٠٧/١.

أما قولهم في جمع حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولّدين ولا قياس له[1].

٣ ـ ابن دريد: (ت ٣٢١ هـ):

١ ـ تسميتهم الأنثى من القرود منه مولّد.

٢ ـ الحسبان الذي يرمي به هذه السهام الصغار مولّد.

٣ ـ الكابوس الذي يقع على النائم احسبه مولّداً[2].

٤ ـ الزجاجي: (ت ٣٣٧ هـ):

١ ـ الفالوذق مولّده[3].

٥ ـ ابن خالويه: (ت ٣٧٠ هـ):

١ ـ الحواميم، ليس من كلام العرب وانما هو من كلام الصبيان تقول تعلمنا الحواميم وانما يقال آل حاميم كما قال الكميت: وجدنا لكم في آل حاميم إية[4].

٦ ـ الجوهري: (ت ٣٩٣ هـ):

١ ـ القحبة كلمة مولّدة[5].

٢ ـ العجه بالضم طعام يتخذ من البيض واظنه مولّدة[6].

٣ ـ يسمي الأطباء التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة بحراناً، ويقولون هذا يوم بحران بالاضافة ويوم باحوري على غير قياس فكأنه منسوب الى باحور، وباحوراء مثل عاشور وعاشوراء

---

(١) الجوهري، الصحاح مادة ح و ج، المزهر ١/٣٠٧.

(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة ١/١٢٢، ١/٢٢١، ١/٢٨٧.

(٣) الزجاجي، الأمالي ص ١٥.

(٤) السيوطي، المزهر ١/٣٠٨، والنص غير موجود في كتاب ليس.

(٥) الصحاح مادة ق ح ب.

(٦) المصدر السابق مادة ع ج ج.

وهوشدة الحر في تموز وجميع ذلك مولّد[1]

٤ ـ الفسر نظر الطبيب الى الماء وكذلك التفسره وأظنه مولّد[2]

٥ ـ الطنز السخرية أظنه مولّداً أو معّرباً[3].

٦ ـ البرجاس غرض يرمي به في الهواء أظنه مولداً[4].

٧ ـ الجعس الرجعي وهو مولد [5] .

٨ ـ الطرش أهون الصمم يقال هو مولّد [6] .

٩ ـ العفص الذي يتخذ منه الحبر مولّد[7] .

١٠ ـ المخرقة كلمة مولّدة[8].

٧ ـ الثعالبي: (ت ٤٢٩ هـ):

١ ـ الغضارة: مولّد لأنها من خزف وقصاع العرب كلها من خشب[9] .

٨ ـ الخطيب التبريزي: (ت ٥٠٢ هـ):

١ ـ القاقوز مولّد وانما هي القاقوزة والقازوزة وهي انـاء من أواني الشرب[10].

٩ ـ الموفق البغدادي: (ت ٦٢٩ هـ):

١ ـ يستأهل فهو مستأهل مولد.

٢ ـ الفطرة مولّد أما كلام العرب فصدقة الفطر.

---

(١) المصدر السابق مادة ب ح ر.

(٢) المصدر السابق مادة ف س ر.

(٣) المصدر السابق مادة ط ن ز.

(٤) المصدر السابق مادة ب ر ج س.

(٥) المصدر السابق مادة ج ع س.

(٦) المصدر السابق مادة ط ر ش.

(٧) المصدر السابق مادة ع ف ص.

(٨) المصدر السابق مادة خ ر ق.

(٩) الثعالبي، فقه اللغة ص ٢٠٨.

(١٠) السيوطي، المزهر ١/٣٠٥.

٣ ـ التشويش أجمع أهل اللغة أنه لا أصل له في العربية وأنه مولّد.
٤ ـ المجانسة والتجنيس مولّد وليس من كلام العرب.
٥ ـ هم فعلت مكان أيضاً مولّد.
٦ ـ بس مكان حسب مولّد وليس من كلام العرب.
٧ ـ بخت مكان حظ مولّد وليس من كلام العرب.
٨ ـ السرم بالسين مولّد وليس من كلام العرب.
٩ ـ بهلول واطروش مولّد[١].

١٠ ـ الفيروزبادي: (ت ٨١٧ هـ):
١ ـ كندجة المباني في الجدران مولّد[٢].
٢ ـ الفشار الذي تستعمله العامة بمعنى الهذيان ليس من كلام العرب[٣].
٣ ـ الزبون الغبي والحريف مولّد[٤].

١١ ـ السيوطي: (ت ٩١١ هـ):
١ ـ الكيمياء يراد بها الحذق مولّدة.
٢ ـ الرفيع من الرجال الواهن المغفل كلمة مولّدة.
٣ ـ الشمع والشمعة بالسكون مولّد.
٤ ـ الصلاة الأولى بدلاً من صلاة الظهر مولّد.
٥ ـ لا يكفشهن الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه كلام مولّد[٥].

١٢ ـ الشهاب الخافجي: (ت ١٠٦٩ هـ):
١ ـ أطراف جمع طرف بالسكون مولّد.
٢ ـ أدب اصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على تسمية العالم بالشعر

(١) الموفق البغدادي، ذيل الفصيح صفحات ٨، ١٠، ١٦، ١٨، ٢٦، ٢٧.
(٢) القاموس المحيط ٢٠٥/١.
(٣) المصدر السابق مادة فشر.
(٤) المصدر السابق مادة ذ ب ن.
(٥) السيوطي، المزهر ٣١٠/١ ـ ٣١١.

أديباً وعلوم العربية أدباً وذلك مولّد.
٣ ـ بطاقة مولّدة بمعنى رقعة صغيرة.
٤ ـ باس بمعنى قبل مولّده عامية.
٥ ـ الجريدة دفتر أرزاق الجند في الديوان وهو اسم مولّد.
٦ ـ (جرّ النار الى قرصه) يقال لمن يؤثر نفسه على غيره وهو مولّد.
٧ ـ حرار بائع الحرير لغة مولّدة.
٨ ـ التشريق عند أهل مصر ألا تسقي الأرض بماء النيل والأرض يقال لها شراقي وهي مولّدة مأخوذة من التشريق بمعنى التقديد لأنها متقددة.
٩ ـ فوارة الماء معروفة وهي مولّدة.
١٠ ـ فذلكة لفظة مولّدة.
١١ ـ قصف بمعنى اللهو استعمله المولدون.
١٢ ـ ماهية بمعنى الحقيقة نسبة الى ما هو مولّدة لم تسمع[١].

تلك هي مجموعة من الألفاظ المولدة تمثل نماذج مختلفة لهذه الظاهرة وعن طريق ملاحظة تلك المجموعة تتضح لنا الحقائق الآتية:

١ ـ انصب اهتمام القدماء بشكل عام على ملاحظة التوليد في الألفاظ أكثر منه في التراكيب وذلك فيما عدا الشهاب الخفاجي الذي أعطى للتراكيب المولّدة اهتماماً خاصاً كما سنرى ذلك فيما بعد.

٢ ـ هناك نوعان من الألفاظ المولّدة:
أ ـ المولّد المقصود وتمثله المصطلحات: الجبرية ـ القدرية ـ أدب ـ الجريدة ـ الماهية.
ب ـ التوليد غير المقصود وتمثله معظم الفاظ هذه المجموعة.

٣ ـ معظم الألفاظ الواردة في هذه المجموعة تم تحويل معناها عن

---

(١) انظر شفاء الغليل صفحات ١٦، ٢٧، ٤١، ٤٦، ٧١، ٧٤، ٨٠، ١٣١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٢١١.

المعنى الأصلي الى معنى جديد أما بتغيير في بنية الكلمة اشتقاقاً أو ببقائها كما هي .

٤ ـ ان الحكم على اللفظ بأنه مولد تم بناء على حدوث تغير في الصيغة أو الدلالة .

٥ ـ هناك ارتباط بين المولّد كظاهرة لغوية وبين المولّدين ويظهر هذا من قولهم أمام بعض الألفاظ استعمله المولّدون أو عربه المولّدون .

٦ ـ اختلف حكمهم على ألفاظ هذه المجموعة فهي عندهم بين :

أ ـ ليست من كلام العرب أولاً أصل لها في العربية أو مولّدة .

ب ـ استعمله المولّدون ، عرّبه المولّدون .

حـ ـ استعملته العامة أو مولّدة عامية .

٧ ـ التوليد في ألفاظ هذه المجموعة كان أحياناً بالاشتقاق مثل : المخرقة ، الرقيع ، التشويش ، التفسرة ، وكان أحياناً عن طريق نقل الدلالة كما في قصف ، أدب ، الجريدة ثم كان عن طريق التعريب في رأيهم كما في : كندجه ، كمياء ، طنز ، بطاقة ثم كان أخيراً التوليد عندهم عن طريق مخالفة القياس مثل : حوائج ، أطراف ، باحوري .

٨ ـ انصب اهتمام القدماء على النوع غير المقصود من التوليد دون المقصود منه وذلك أيضا فيما عدا الشهاب الخفاجي في حديثه عن لفظة أدب .

٩ ـ انفرد الثعالبي بذكر العلاقة بين التوليد والتغير الحضاري عندما قال : « الغضارة مولّد لأنها من خزف وقصاع العرب كلها من خشب »(١) .

من هذا كله يتضح أن القدماء اعتبروا كل لفظ أو تركيب جاء عن طريق الاشتقاق أو تحويل الدلالة أو التعريب أو حدوث تعديل أو تحريف أو لحن في الصيغة وتكلم به المولّدون أو العامة بعد عصر الاحتجاج من المولّد .

---

(١) الثعالبي ، فقه اللغة ص ٢٠٨ .

وهنا نلاحظ أنهم كما اتضح من - خلال مجموعة الألفاظ السابقة - أنهم أدرجوا ضمن المولّد والتوليد مظاهر التغير اللغوي جميعاً ومن هنا جاء التحديد النظري لثعلب للمولّد بناء على هذا الفهم واسعاً فضفاضاً الى حد كبير. قال السيوطي: « في أمالي ثعلب سئل عن التغير فقال هو كل شيء مولّد »[١].

ثم علق السيوطي على ذلك قائلاً « وهذا ضابط حسن يقتضي أن كل لفظ كان عربي الأصل ثم غيرته العامة بهمز أو تركه أو تحريك أو نحو ذلك مولّد، وهذا يجتمع منه شيء كثير »[٢].

والواقع أن تعريف ثعلب كما أورده السيوطي ليس ضابطاً حسناً كما رأى السيوطي أيضاً وانما هو تعريف غير محدد على الاطلاق تندرج تحته مظاهر التغير اللغوي جميعاً وهو ما شعر به السيوطي نفسه فقال « وهذا يجتمع منه شيء كثير » وقول السيوطي هذا حق، فلو أننا أخذنا بهذا التحديد للمولّد لدخلت كتب لحن العامة جميعاً ضمن مظاهر التوليد لأن اللحن في نهاية الأمر هو تغير، وقد أخذ بهذا التحديد للمولد المستشرق الألماني يوهان فك Johann Fuok فاعتبر كل تغير لغوي من التوليد وعلى هذا الأساس سار في كتابه « العربية » فأدرج في المولد ظواهر لغوية عديدة ليست من التوليد كما سنرى فيما بعد.

ولكن من ملاحظتنا لمجموعة الألفاظ السابقة ثبت أن بعض اللغويين القدماء اعتبر التغير في الصيغة أو مخالفة القياس أو الملحون من الألفاظ يدخل في اطار المولّد وكذلك العامي، والحق أن ذلك يتصل بالتغير

---

(١) السيوطي، المزهر ١/٣١٠. وهذا القول غير مثبت في مجالس ثعلب وأثبت الأستاذ عبد السلام هارون قول ثعلب هذا ضمن الأقوال التي لم ترد في مجالسه نقلاً عن السيوطي أنظر، مجالس ثعلب ٢/٨٠٣ بتحقيق عبد السلام هارون.

(٢) السيوطي، المزهر ١/٣١١.

اللغوي عامة ويختلف عن التوليد باعتباره ظاهرة لغوية لها سمات محددة.

فالتوليد هو تغير لغوي لاشك في ذلك ولكن ليس كل تغير لغوي توليداً ذلك لأن التغير اللغوي يشمل البنية اللغوية في جوانبها الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو الدلالية أو فيها جميعاً، بينما التوليد يتجه أساساً الى التغير الدلالى وحده كما سيتضح لنا ذلك عند معالجتنا لمفهوم التوليد عند المحدثين(١) ولكنه مع ذلك يأخذ في اعتباره التغيرات الاشتقاقية والتركيبية بما لها من اتصال مباشر في اعطاء اللفظ أو التركيب دلالة جديدة لم تعرفهاالعربية القديمة، وعلى ذلك فالمولّد هو جزء من التغير اللغوي وليس العكس. ولكن لماذا قام ثعلب وبعض اللغويين القدماء بهذا الربط بين المولّد والتغير اللغوي واعتبروهما شيئاً واحداً؟ للاجابة على هذا السؤال لابد لنا من أن نضع آراء القدماء في التوليد في اطارها التاريخي الصحيح.

المولد والاحتجاج:

رأينا فيما سبق أن كلمة مولد كمصطلح لغوي للدلالة على نوع من الكلام وطبقة من الناس ظهرت في منتصف القرن الثاني للهجرة تقريباً، وكيف كان أبو عمرو بن العلاء وطبقة من العلماء كالأصمعي وغيره وجهوا اهتمامهم لرصد الألفاظ المولدة وبيان أنها ليست من كلام العرب وهو ما لاحظنا أيضاً استمراره حتى القرن الحادي عشر تقريباً عند الشهاب الخفاجي كما تبين لنا ذلك من مجموعة الألفاظ المولّدة السابقة(٢).

كما كان الاهتمام موجهاً في الوقت نفسه أي في هذه الفترة الى بعض مظاهر التغير اللغوي الأخرى كاللحن والتحريف والتصحيف والعامي

(١) انظر ص ١٨٠ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) من المهم أن نلاحظ أن عدد ألفاظ هذه المجموعة حوالي ٥٠ لفظة منها حوالي ٣٧ لفظة تتصل بالتغير الدلالي أي أن نصيب التغير الدلالي حوالي ٧٤٪ من مجموع هذه الألفاظ وكان نصيب التغيرات اللغوية الأخرى حوالي ٢٦٪.

وغيرها ومن ثم سيطر مبدأ تنقية اللغة من هـذه الانحرافـات اللغويـة[1]. على أذهان العلماء واللغويين كنتيجة مباشرة لتفشي اللحن في بيئة العناصر البشرية المولّدة والعربية أيضاً[2].

ومن هنـا رأينا معـظم تعليقات اللغـويين عـلى الكلمات المـولّدة بـأنها ليست من كلام العرب أو أنها من كلام المولّدين أو عربـه المولّـدون، وكان المعيـار في ذلك هـو كلام العـرب الفصحاء والـذي انصب اهتمـام الـرواة واللغويين عـلى جمعه لمـواجهة هـذا التغير اللغـوي الذي أخـذ يتفشى على ألسنة العامة والخاصـة وأصبح يهـدد لغة القـرآن الكريم نفسهـا[3]. وعلى ذلك كانت معرفة كلام العرب وخصـائصه هي المقيـاس والمعيار في الحكم عـلى المولّـد وغير المـولّد من الكـلام، فكيف ربط اللغويـون القدمـاء بـين التوليد من ناحية والمولّدين من نـاحية أخـرى، ولماذا اتخـذوا هذا المستـوى اللغوي معياراً ومقياساً؟.

الواقع أن الاجابة علىٰ هذه الأسئلة تضع الباحث في فقه اللغة العربية أمـام قضية من أضخم القضـايا اللغـوية التي أثـارها القـدماء وهي قضيـة الاحتجـاج أو الاستشهاد اللغـوي والتي أثـرت بشكـل حـاسم في التفكـير اللغـوي عند العـرب حتى بـداية العصـر الحـديث، بـل مـا زالت بعض أصدائها تتردد حتى اليوم في المجامع اللغـوية المعـاصرة أحيـاناً[4]، وأبـادر فأقول أن مـوضوع الاحتجـاج اللغوي قـد يحتاج الى بحث مفـرد وبالتـالي سيكون مجال الحديث هنا محـدوداً في اطار نـظرة القدمـاء للتوليـد وعلاقتـه بالاحتجاج.

تنحصر قضية الاحتجاج أو الاستشهاد في اللغة في أن القدمـاء عندمـا

---

(١) يوهان فك، العربية ص ٢٦.

(٢) انظر ص ١٥٥ من هذا البحث.

(٣) انظر ص ١٤٤ وما بعدها من هذا للبحث.

(٤) انظر محاضر جلسات مجمع اللغة العربية ١/٢٩٤ سنة ١٩٣٤.

أخـذوا يقعدون قـواعد العـربية ويجمعـون مادتهـا قسموا الشعـر والشعراء باعتبار أن الشعـر هو المصـدر الأساسي للمـادة اللغويـة حتى ذلك الـوقت قسموه الى طبقات أربعة :

١ ـ الطبقة الأولى الشعر والشعراء الجـاهليون قبـل الاسلام كـامريء القيس والأعشى وغيرهما.

٢ ـ الطبقة الثانية المخضرمون وهم الـذين أدركوا الجـاهلية والاسـلام كلبيد وحسان.

٣ ـ الطبقة الثالثة المتقدمون ويقال لهم الاسلاميـون وهم الذين كـانوا في صدر الاسلام كجرير والفرزدق.

٤ ـ المولدون ويقال لهم المحدثـون وهم من بعدهم الى زمـاننا كبشـار وأبي نـواس[١]. وأجمعوا كـما يقول البغـدادي (ت ١٠٩٣ هـ) على صحـة الاحتجاج على اللغة والنحو والصرف بشعراء الـطبقتين الأولى والثانية[٢]، ومـع ذلك فـالبـاحث يجـد داخـل هـذا الاجمـاع بعض الاستثنـاءات مثـل اعتراضهم على عدى بن زيد العبادي قال أبـو عمرو بن العـلاء (ت ٤٤٩ هـ) ان العـرب لا تروي شعـر عـدي لأن الفـاظـه ليست بنجـديـة وكـان نصرانياً من عباد الحيرة قد قرأ الكتب[٣].

وقال الأصمعي كان عدى لا يحسن أن ينعت الخيل وأخـذ عليه قـوله في صفة الفرس فارهاً متتابعاً ولا يقال للفرس (فاره) وانما يقـال له جـواد وعتيق ويقال للبغل والحمار (فاره) كما وصف الخمر بالخضرة ولم يعلم أحد وصفها بذلك[٤]. وقال ابن قتيبة أنه كـان يسكن الحيرة ويـدخل الأريـاف

(١) البغدادي، خزانة الأدب ٣/١.
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٣) الشعر والشعراء ٢٢٨/١.
(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

فثقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جداً وعلماؤنا لا يرون شعره حجة[1]. ومع ذلك نرى شاعراً ولغوياً كأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) يختص عدياً في جنة الغفران باهتمامه وينشد له ثلاث قصائد من روائع شعره[2].

وكما اتهم عدى بقراءة الكتب استبعد أيضاً أمية بن أبي الصلت من الاحتجاج بشعره لنفس الأسباب تقريباً، اذ كان يحكى في شعره قصص الأنبياء كما قرأ الكتب المتقدمة وأتى بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب مثل تسميته السماء صاقورة وحاقورة وقوله قمر وساهور والساهور فيما يذكر أهل الكتاب غلاف القمر[3].

أما الطبقة الثالثة فقد اختلفوا في صحة الاستشهاد بها فبعض العلماء كان يعد جريراً والفرزدق والأخطل من المحدثين الذين لا يستشهد بشعرهم حتى قال أبو عمر بن العلاء قولته التي أشرنا اليها من قبل لقد كثر هذا المحدث حتى هممت بروايته[4] وقد أبدى عدد من الشعراء تذمرهم الشديد من هذا الموقف. فقد كان عبد الله بن أبي اسحق النحوي (ت ١١٧ هـ) يكثر الرد على الفرزدق ويتتبع شعره مما اضطره الى هجائه قائلاً على أن أقول وعليكم أن تحتجوا[5].

وأما الطبقة الرابعة فالصحيح عندهم أنه لا يستشهد بكلامها اطلاقاً وهي طبقة المولّدين والمحدثين كبشار بن برد (ت ١٦٧ هـ) وأبي نواس (ت ١٩٨هـ) ومع ذلك فقد قال الرواة أن سيبويه والأخفش كانا يحتاجن بشعر بشار خوفاً من لسانه وكانا من قبل يطعنان في شعره ويرفضان الاستشهاد

---

(١) الشعر والشعراء ١/٢٢٥.

(٢) أنظر رسالة الغفران صفحات ١٨٦، ١٩١، ١٩٣.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١/٤٥٩.

(٤) المصدر السابق ١/٦٣.

(٥) المزرباني، الموشح ص ٩٩، ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١/٨٩.

به[1]. وهكذا لم يسلم هذا التقسيم من نقد الشعراء أنفسهم وكذلك من نقد بعض العلماء، ولعل ابن قتيبة من أوائل العلماء الذين حاولوا خرق هذا الحصار المقام على كلام العرب فقال: « ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عبادة في كل دهر وجعل كل قديم حديثاً في عصره وكل شرف خارجية في أوله فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين. . . ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا »[2] .

ويبدي ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) استياءه أيضاً قائلاً « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله » ثم يقول بعد أن يستعرض موقف أبي عمرو بن العلاء وطبقته من العلماء من شعر معاصريهم « هذا مذهب أبي عمرو واصحابه كالأصمعي وابن الاعرابي، أعني كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء إلار لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لجاجة »[3].

أما الزمخشري فقد كان أكثر صراحة واتخذ خطوة عملية في هذا السبيل فاستشهد بشعر أبي تمام (ت ٢٨٣ هـ) في تفسير أوائل سورة البقرة قائلاً « وهو وان كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقنعون بذلك لوقوفهم بروايته واتقانه »[4].

---

(١) المرزباني، الموشح ص ٢٤٦ - ٢٤٧، السيوطي، الاقتراح ص ٢٦.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١/٦٣.

(٣) ابن رشيق، العمدة ١/٥٦.

(٤) الزمخشري، الكشاف ١/٣٠، البغدادي، خزانة الأدب ١/٤، السيوطي، الاقتراح ص ٢٦.

وقبل هؤلاء جميعاً كان الخليل بن أحمد قد خطى الخطوة الأولى في الاستشهاد بشعراء الطبقة الثالثة مثل الفرزدق والكميت والطرماح ثم بشعراء من طبقة المولدين مثل حفص الأموي وبشار بن برد وذلك في معجمه العين، يقول الدكتور حسين نصار، والحق أن هذا الاستشهاد لا يرضى عنه اكثر اللغويين حتى أن المعاجم الأخرى كالتاج مثلاً أوردت التفاسير التي أوردها الخليل ولكنها حذفت الأبيات الشواهد عليها » ثم يقول « وقد ثارت ضجة حول شواهد العين ورماه أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) بالاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين »[١].

كل هذا يشعر الباحث بأن فكرة تقسيم الشعراء الى طبقات لم تكن تلقى القبول التام سواء في بيئة الشعراء أم في بيئة العلماء، ولكن هذا لا ينفي أن هناك قطاعاً كبيراً من علماء العربية سلم بهذا التقسيم واتخذه أساساً أقام عليه احكاماً لغوية.

وكما اختلفوا حول تقسيم الشعراء الى طبقات اختلفوا أيضاً حول صحة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، فجوزه بعضهم ومنعه البعض، وأدلى كل فريق بحججه فاستند المعارضون الى صنيع الرعيل الأول من اللغويين كسيبويه الذي لم يستشهد بالأحاديث وقال آخرون أن ذلك يرجع الى أن الأحاديث لم تنقل كلها كما سمعت من النبي عليه الصلاة والسلام وانما كانت تروى بالمعنى أحياناً. بينما ذهب المؤيدون بأن ذلك لا يقلل من القيمة اللغوية للأحاديث النبوية اذا أن الرواة كانوا يعيشون في عصر الاحتجاج ولم تكن اللغة قد فسدت بعد فيعتبر كلامهم حجة: واستعت بينهم هوة الخلاف بتفصيل أغنانا عن ذكره هنا البغدادي في مقدمة خزانة الأدب بصورة دقيقة وشاملة[٢].

---

(١) د. حسين نصار، المعجم العربي ١/ ٢٤١ - ٢٤٣.

(٢) خزانة الأدب ١/ ٤ - ٧.

كذلك لم يكتف القدماء بهذا التقسيم للنصوص اللغوية والـذي ترتب عليه اعتبار منتصف القرن الثاني للهجرة حداً زمنياً للاحتجاج في الحواضـر وانمـا اضافـوا الى ذلك معيـارين آخـرين أحـدهمـا خـاص بـالبيئـة والثـاني بالجنس، فاللغة لا تؤخذ الا من الأعراب الاقحاح الذين يسكنون البـادية ذلك « لأن تلك اللغة انما انقادت واستوت واضطردت وتكاملت بالخصـال التي اجتمعت لهـا في تلك الجزيـرة »[1] وبـالتـالي لم تحـو لغتهم كـما يقـول الحاجظ الفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعاً ردينا ولا قولا مستكرها ولكن كما يقول ايضا واكثر وأكثر ما تجد ذلك في خطب المولدين وفي خطب البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعةالمتأدبين سواء كان ذلك منهم على جهة الارتجالوالاقتضاب أم كان من نتاج التحبيروالتفكير[2] .

وقد ترتب على ذلك وضع القبائـل العربيـة القديمـة في درجات ورتب من حيث الفصاحة وذلك على مقدار توغلها في البداوة والبعد عن الحاضرة فكـانت قيس وتميم وأسـد أفصـح القبـائـل وعليهم اتكـل في الغـريب والاعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنـانه وبعض الـطائيين ولم يؤخـذ عن غيرهم من سائر القبائـل، وبالجملة لم يؤخـذ عن حضري قط ولا عن سـاكن البـراري ممن كـان يسكن أطـراف البـلاد التي تجـاور سـائـر الأمم الأخرى التي تحيط بالجزيرة العربية[3].

وهكذا حكم القدمـاء الحصار حـول اللغة العـربية بسيـاج من الزمن والبيئـة والجنس ونسوا في خـلال ذلـك كله أن التـطور اللغـوي لا يعـرف التوقف ولا تحده تلك الحدود وانما هو أمر يحـدث بصورة مستمـرة وتلقائيـة نتيجة للطبيعة الاجتماعية للغة ومن هنا وجه كثير من الـدارسين المحـدثين النقد لموقف القدماء هذا ورأوا فيه جموداً باللغـة عند فتـرة أو فترات معينـة

(١) الجاحظ، البيان والتبين ١/١٦٣ .

(٢) الجاحظ، البيان والتبين ٢/٨ ـ ٩ .

(٣) السيوطي، الاقتراح ص ١٩ .

قد تكفي لأفهامنا لغة القوم في تلك الفترة ولكنها ليست بكافية مطلقاً في فهم تطور اللغة [1].

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو الى أي مدى أثرت تلك الحدود والقيود التي وضعها القدماء للاحتجاج على موقفهم من المولد وفهمهم لطبيعة هذه الظاهرة اللغوية؟.

الحقيقة أن القدماء وقعوا من جراء ذلك في خطأين منهجيين أثرا على نظرتهم الى المولّد باعتباره استجابة لغوية للتغيرات الفكرية والاجتماعية التي حدثت في البيئة الاسلامية بعد عصر الاحتجاج. أما الأول فانهم اعتبروا كل تغير أو مخالفة للغة النموذجية المتمثلة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم لحناً مهما كانت طبيعة ذلك التغير أو تلك المخالفة وبذلك وسعوا من دائرة اللحن بحيث انضوى المولّد تحته عندهم وليس هو كذلك لأن التوليد يتصل بالتطور الدلالي واللحن يتصل بمخالفة القواعد.

وأما الثاني فلأنهم ربطوا الفصاحة بالبداوة والجنس ونسوا أن اللغة بنت الحاجة والاستعمال وأنها لا توجد الا لتعبر عن تجارب واحتياجات وثقافات معينة، ولاشك أن تجارب البدوي واحتياجاته وثقافته تختلف عن تجارب الحضري واحتياجاته وثقافته أيضاً، وفي الوقت نفسه انكروا على الأجناس الأخرى من غير العرب امكان اتقان اللغة العربية كما يتقنها أهلوها الذين عاشوا في الجزيرة العربية قبل الاسلام، وفي ذلك يقول الدكتور ابراهيم أنيس « أما الأقدمون من علماء العربية فقد سيطرت عليهم فكرة أخرى ورأوا أمر الكلام بالعربية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجنس العربي ولذا ينكرون على الفارسي أو اليوناني امكان اتقان هذه اللغة كما يتقنها أهلوها من العرب مهما بذلوا في تعلمها وثابروا في المران عليها بل

---

(١) د. عبد المجيد عابدين، النحو العربي على ضوء اللغات السامية ص ٩٣ وما بعدها، د. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٧٧ وما بعدها.

يظلون في رأيهم اجانب عن اللغة كما هم أجانب عن الجنس العربي، فكأنما تصور هؤلاء الرواة أن هناك أمراً سحرياً يمتزج بدماء العرب ويختلط برمالهم وخيامهم وهو سر السليقة العربية يورثه العرب لأطفالهم وترضعه الأمهات في الألبان ولذا لم يتورع الرواة عن الأخذ من صبيان العرب والرواية عنهم، ولم يروا في شعر أبي تمام والمتنبي ما يؤهلها لتلك السليقة اللغوية التي قصروها على قوم معينين وعلى زمان معين وعلى بيئة معينة فنشأ في مخيلاتهم ما يمكن أن يعبر عنه بدكتاتورية الزمان والمكان »[1].

وقد ترتب على هذه النظرة نتائج حددت موقف القدماء من المولّد وفهمه له نجملها فيما يلي:

١ - أنهم ربطوا بين التوليد اللغوي والمولّدين، وهو ربط لا أساس له اذ أن التوليد يحدث في كل اللغات وفي أي مرحلة من مراحل حياتها بغض النظر عن عنصر بشري معين يقوم به أو زمن محدد يحدث فيه، حقاً قد يكثر التوليد في فترات التغير الحضاري بشكل خاص ولكنه في النهاية يحدث بصورة مستمرة.

٢ - أنهم أخرجوا من المولّد كل الألفاظ والمصطلحات التي تغيرت دلالتها بالاسلام، كمصطلحات الفقه وعلوم العربية وغيرها لأنها انما حدثت في نطاق عصر الاحتجاج ولو أنهم تأملوا قليلاً ما طرأ على هذه الألفاظ لاهتدوا لفهم ناضج لمعنى التوليد.

٣ - انهم فصلوا بين ظاهرتين هما في الحقيقة شيء واحد، فقالوا أمام بعض الألفاظ المولده عربة المولّدون، واعتبروا ذلك من المولد لأن هذا التعريب تم بعد عصر الاحتجاج وكان الأولى ذكر هذه الألفاظ على أنها

---

(١) د. ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة ص ٢٧.

من المعرب وليست من المولد وقد رأينا فيما سبق أن الاقتراض اللغوي لا يرتبط بزمان أو مكان أو لغة بعينها وانما هو قانون عام يحكم كل اللغات.

٤ ـ انهم اعتبروا المولد خارج حرم الفصاحة واغلقوا دونه أبواب الاستعمال على الرغم من أنه يجري على النهج الفصيح باعتباره الفاظاً عربية الأصل اعطيت دلالة جديدة أما عن طريق نقل الدلالة أو الاشتقاق أو النحت أو المجاز وذلك بسبب انهم لم يجدوا لهذه الاستعمالات الجديدة شواهد فيما جمعوه من أفواه الاعراب في البادية.

٥ ـ انهم خلطوا بذلك بين المستوى الصوابي في البادية، والمستوى الصوابي في مجتمع ما بعد الفتح الاسلامي(١). ونسوا أن الاستعمال المعتمد على عرف المتكلمين في البيئة هو الأساس في فصاحة اللفظ كما قرروا هم أنفسهم(٢).

٦ ـ شعر القدماء رغم ذلك أن هناك فرقاً بين اللحن والتوليد، وأن موقفهم منه غير دقيق فأباحوا الاستشهاد بشعر المولدين في المعاني، كما يستشهد في شعر العرب في الألفاظ كأنما من الممكن فصل المعنى عن اللفظ، ولو تعمقوا ذلك قليلاً لوصلوا لفهم واضح للتوليد.

وأخيراً كان من نتيجة ذلك النظر للمولد على أنه من قبيل اللحن يجب تنقية اللغة منه مع أنه لا يقل أهمية عن الاشتقاق في امداد اللغة بالجديد من الألفاظ حتى تبقى دائماً حية مستجيبة لحاجات المتكلمين بها.

وقد استمرت هذه النتائج التي ترتبت على نظرة اللغويين القدماء للمولد تعمل عملها الى بداية العصر الحديث فألقت ظلالاً كثيفة على من جاء بعدهم من العلماء فلم يستطع واحد منهم أن يفلت منها صراحة

---

(١) د. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٧٧.

(٢) السيوطي، المزهر ١/١٨٥.

وبالتالي أثر ذلك في موقف أصحاب المعاجم العربية القديمة الذين اثبتوا بعض الألفاظ المولدة في معاجمهم مثل الجوهري والأزهري وغيرهم فكانوا يحرصون على اثبات كلمة مولد كأنها وصمة أمام هذه الألفاظ حرصاً منهم على تلك الحدود والقيود.

ولكن معجمياً كالفيروز بادي (ت ٨١٧ هـ) حاول في القرن التاسع الهجري كسر تلك القيود بصورة لافتة للنظر عندما اثبت في معجمه الكثير من الألفاظ المولدة وكذلك بعض اصطلاحات العلوم وخاصة الفقه والعروض[١] حتى أخذ عليه النقاد ذلك، يقول الشدياق (ت ١٨٨٧ م) « وأما ايراده للألفاظ الفقهية والاصطلاحية والعروضية خاصة فقد أوغر عليه صدر المحشى غير مرة فقال. . . هذا ليس من اللغة في شيء بل هو من الاصطلاحات الفقهية ككثير من الألفاظ المستعملة في الفتوى يدونها على أنها من لغة العرب »[٢].

ولاشك أن اثبات الفيروزبادي لمثل هذه الألفاظ وخاصة مصطلحات العلوم واعتبارها جديرة بالانتماء الى الثروة اللغوية هو خروج بالمعجم العربي عن الحدود الضيقة التي رسمها القدماء للمعاجم باعتبارها لا يجب أن تحتوي إلا على كلام العرب الفصحاء دون المولّد. ثم حاول السيوطي بعد ذلك أن يضع تعريفاً للمولد فلم يزد عن أن ردد قول القدماء فقال إن المولّد هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم[٣].

أما الشهاب الخفاجي فقد كان أكثر اللغويين القدماء اهتماماً بالمولد سواء في الألفاظ أم التراكيب[٤] وهو وان لم يضع تعريفاً نظرياً للمولد إلا

(١) أنظر على سبيل المثال بعض هذه الألفاظ في ملحق هذا البحث.
(٢) الشدياق، الجاسوس على القاموس ص ١٣٤.
(٣) السيوطي، المزهر ١/٣٠٤.
(٤) شفاء الغليل ص ٣.

أن الباحث يستشفي من خلال تعامله مع الألفاظ والتراكيب المولّدة انه كانت لديه فكرة عن دور التوليد في النمو اللغوي ويدل على ذلك موقفه غير المتزمت في رده على الحرير (ت ٥١٦ هـ) في درة الغواص ثم في قولته التي وضعناها على صدر هذا البحث « لو اقتصرنا في الألفاظ على ما استعمله العرب العاربة والمستعربة حجرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم »(١) ومع ذلك فلم يستطع الخفاجي أن يخرج تماماً من تأثير آراء القدماء حول المولد والاحتجاج فأثبت في كتابه شفاء الغليل بعض الألفاظ التي تنتمي الى الملحون أو العامي أو المعرب والدخيل بعد عصر الاحتجاج واعتبرها من المولد، ولكن اثباته لكثير من الألفاظ المولدة والاصطلاحية وحديثه عنها(٢) يشعر الباحث بأنه كان يرى في ذلك المولّد تطوراً لغوياً لا مانع من قبوله وضمه الى الثروة اللفظية للعربية وكأنه بذلك لا يعترف بنظرية الاحتجاج التي أقامها القدماء سداً أمام تطور العربية ونموها.

ومهما يكن من أمر تلك الحدود والقيود التي فرضها القدماء تحت اسم الاحتجاج أو الاستشهاد فان العربية قد خلفت كل ذلك وراءها وأنشأت تتطور في كل مرحلة من مراحل حياتها ولكن من المؤسف حقاً أن هذه المراحل على أهميتها للباحث اللغوي لم تلق عناية القدماء الا بطريق غير مباشر فيما نعرفه من وصف لبعض مظاهر هذا التطور في كتب لحن العامة. ومع ذلك فالباحث لابد أن يسجل للقدماء جهدهم المخلص في مرحلة الاحتجاج للحفاظ على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ولعل هذا هو المسوغ الوحيد لقبول فكرة الاحتجاج منهم(٣). وذلك لو أنهم تابعوا

---

(١) شرح درة الغواص ص ٧٠.

(٢) انظر على سبيل المثال لفظة أدب في شفاء الغليل ص ٢٧، وانظر ص   من هذا البحث.

(٣) Dozy, Supple. Dict. Arab. p. VI

بالدراسة كل مرحلة من مراحل تطور العربية بعد ذلك ولم يقصروها على مرحلة معينة كمقياس لكل العصور.

وهكذا نرى كيف تحكمت فكرة الاحتجاج في حياة اللغة العربية بشكل عام وفي فهم القدماء للتوليد بشكل خاص بحيث لم يتركوا لنا - رغم جهدهم الكبير في درس العربية - تعريفاً واضحاً للتوليد يستطيع الباحث أن يستند عليه في دراسته لتلك الظاهرة وذلك فيما خلا تلك التعليقات والأحكام المعيارية التي كان همها الأول وصم المولّد بأنه ليس من كلام العرب وبالتالي طرده من حظيرة الاستعمال.

هذا عن القدماء وموقفهم من المولّد وفهمهم له، فماذا عن المحدثين؟

٣ - المولّد عند المحدثين:

الحقيقة أن موقف المحدثين اختلف تماماً عن موقف القدماء بالنسبة لقضية المولّد فقد كان المحدثون أكثر تسامحاً في قبول المولّد واكثر دقة في فهمه، والسبب في ذلك هو التزامهم بالمنهج الوصفي في دراسة اللغة دون المنهج المعياري الذي سيطر على فكر القدماء فأهدر كثيراً من جهدهم في درس العربية الا من بعض الآراء الناضجة التي يصادفها الباحث وتشي بما كان للقدماء من فكر ثاقب في النظر لبعض جوانب الدرس اللغوي لا يقلل من أهميته هذا الموقف. وفي ذلك يقول المستشرق الألماني برجشتراسر « الذي منع علماء الشرق من بذل الجهد العجيب في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو من جهة المفردات عن الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الاسلام سببان مرتبطان أحدهما بالآخر:

أولهما مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده، وعلى المنع عن كثير من العبارات وهذا وان كان واجباً نافعاً فهو عمل المعلم لا العالم، فالعالم يفحص عما يكون في الحقيقة لا عما ينبغي أن يكون والمعلم

لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة، فان نسي هذه النصيحة واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويعوقها جازته وغفلت عن تعليمه فيتسع اذا الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية وبين ما يعلمه النحويون كما نشاهد ذلك في تاريخ اللغة العربية.

والسبب الثاني اعتقاد علماء الشرق ان اكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقفه وأحسنه ما يوجد في الشعر القديم، وهذا حكم غير علمي[1].

وقد تجاوز المحدثون هذين السببين في دراسة العربية ولذلك كان موقفهم من المولد وفهمهم له وتحديدهم لمعناه أقرب الى الرأي العلمي الصحيح ومن ثم كانت نتائجهم في درس هذه الظاهرة اللغوية أكثر دقة واشد ارتباطاً بطبيعة اللغة كما سنرى.

يدرس اللغويون المحدثون في الشرق والغرب على السواء ظاهرة التوليد اللغوي ضمن دراستهم لدلالة الألفاظ Semanties (ويتعرضون لها بوجه خاص عندما يدرسون تطور الدلالة ونموها Semanties change[2] ولهم في ذلك الدرس مناهج وآراء اشترك فيها اللغويون وغير اللغويين، كما اختلف اللغويون فيما بينهم في النظر الى ماهية الدلالة والمعنى وتطورهما حسب اختلاف المدارس التي ينتمي اليها كل منهم[3].

---

(١) برجشتراسر، التطور النحوي ص ١٢٧.

(٢) Mario, pei, The Story of language. pp. 138 -148; OF. Darmsteter, op. cit. pp. 31 - 36.

وراجع أيضاً: فندريس، اللغة ص ٢٤٦ وما بعدها، أولمان، دور الكلمة في اللغة ص ١٦٤، د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ص ٢٨٦ ـ ٢٩٩، د. ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ١٤٥ ـ ١٥١.

(٣) Lyons, Introduction to theoritical linguistic. p. 400.

وأنظر أستاذنا المرحوم د. محمود السعران، علم اللغة ص ٢٨٣ ـ ٣٤١.

ويرى اللغوي الفرنسي دارمستتر أن الألفاظ الجديدة تولد عن طريقين أساسيين هما:

١ - عن طريق خلق أو وضع كلمات جديدة: Meologismes deMots وذلك عن طريق الاشتقاق أو النحت أو الاقتراض من اللغات الأخرى، وقد رأينا في الفصل السابق كيف سلكت العربية هذه الطرق جميعاً لانماء ثروتها اللفظية.

٢ - وأما عن طريق خلق معان جديدة لكلمات موجودة فعلاً Neologisme de Signifioation ويحدث ذلك عندما نعطي كلمات لها معنى ولكن هذا المعنى أهمل أو لم يستعمل بسبب يرجع الى واحد أو أكثر من عوامل التطور اللغوي ووفقاً لقوانين تغير الدلالة فيعطي حينئذ اللفظ القديم معنى جديداً، وغالباً ما يتم ذلك دون زيادة حقيقية في عدد المفردات على الرغم من أن اللغة تخلق من هذه الكلمات القديمة مفردات جديدة تماماً(١).

ويعرف معجم اكسفورد OXFORD كلمة التوليد Neologism فيقول: بأنها تعني ممارسة أو استعمال أو استخدام كلمات جديدة أو ابتكار كلمات وتعبيرات لغوية جديدة:

The use of; or the practice of using words; innovation language or a new words of expression (٢)

ويشرح الدكتور ابراهيم أنيس العلاقة بين المولّد وتغير الدلالة فيقول ان الانسان يعمد الى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيي بعضها ويطلقه على مستحدثاته متلمساً في ذلك أدنى ملابسة ثم يقول « وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الفوج الزاخر من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة

(١) Darmsteter, op. cit. pp. 31 - 32.

(٢) Oxford Dictionary, Vol VII, p. 89.

الدلالة » مثل: المدفع والدبابة والطيارة والسيارة والباخرة والقطار والقاطرة والمذياع، ثم يشير الى أن الدعاية السياسية والاقتصادية قد تكون حافزاً كبيراً في توليد تلك الألفاظ الجديدة الدلالة(١).

من هذا كله يتضح لنا أن ثمة علاقة وثيقة بين التوليد وبين تغير الدلالة وتطورها وهو ما استقرت عليه تقريباً وجهة نظر المحدثين في درس المولّد.

وفيما يلي نعرض لبعض جهود المحدثين في تحديد المولد لكي نلقي مزيداً من الضوء على مفهومه عندهم مع العلم بأن اهتمام اللغويين المحدثين بالتوليد قد بدأ مع فجر النهضة الحديثة في مصر والعالم العربي ولكن اهتمامهم آنذاك كان قاصراً في الأغلب الأعم على توليد الكلمات دون البحث النظري في مفهوم التوليد وحدوده الى أن انعقدت اولى جلسات مجمع اللغة العربية في مصر عام **١٩٣٤** فبحث المولد بشكل واسع في جلسات المجمع كما سنرى في الباب الرابع من هذا البحث.

ولعل جورجي زيدان من أوائل الذين اهتموا بالبحث اللغوي الحديث وبفكرة التطور اللغوي كما عرفها المنهج الأوروبي، وقد حاول عندما اصدر كتابه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية (١٨٨٦) أن يقدم للقاريء العربي شيئاً من مناهج علم اللغة الحديث وبالتالي كان اهتمامه بالمولّد ينبع من اقتناع بفكرة التطور اللغوي لذلك نجده يعرف المولّد بقوله « نريد بالمولد الفاظاً عربية تنوعت دلالتها للتعبير عما حدث من المعاني التي اقتضاها التمدين الحديث في الادارة أو السياسة أو العلم أو غير ذلك »(٢).

ثم يقسم الألفاظ المولدة الى ألفاظ ادارية وعسكرية وقضائية وسياسية

---

(١) د. ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص ١٤٦ - ١٤٨.

(٢) جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي ص ١١٦.

وعلمية وصناعية(١)، ويذكر من الألفاظ المولّدة: المأمور، المدير، المشير، المحضر، السفارة، الجريدة، المجلة، الحامض، القلوي، القطار، القاطرة، المطبعة(٢). ثم يقول « هذه امثلة من الألفاظ المولدة في النهضة الأخيرة في الادارة والسياسة والتجارة والعلم والصناعة، وهي كما ترى عربية الأصل والاشتقاق واكثرها كان معروفاً في اللغة ومدوناً في المعاجم من قبل لمعان قريبة مما استعملها له المولدون أو شبيهه بها(٣).

ومن الذين اهتموا بالتوليد وأولوه عناية كبيرة الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه: « الاشتقاق والتعريب » حيث يعرّف المولد بقوله: « يعنون بالمولّد ما لم يعرفه اهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام وانما استعمله المولّدون وجروا عليه في منظومهم ومنثورهم والمولدون ليسوا من أهل اللغة الذين يحتج بهم في اثبات كلمها وصحة صياغها ولا يحتج بذلك إلا بكلام الجاهلي أو المخضرم »(٤).

وهذا التعريف لم يخرج في الحقيقة عما ذكره القدماء، غير أن الشيخ المغربي يفصل القول بعد ذلك في التوليد وطرقه ويحصرها في ثلاثة طرق:

الأول - طريق الاشتقاق وهو أن يشتق المولّدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ولم يشتقوها مثال ذلك كلمة (الفسقية) للحوض الصغيرة له انبوبة في وسطه ينبثق منها الماء وقد اشتق لها هذا الاسم من مادة فسق وهو باللغة بمعنى الخروج(٥).

الثاني - طريق التعريب، وهو أن ينقل المولدون الى لغتهم العربية

(١) المرجع السابق ص ١١٦ ـ ١٢٩.
(٢) المرجع السابق ص ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧.
(٣) المرجع السابق ص ١٣٠.
(٤) عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب ص ٦٢.
(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.

كلمـة من لغة أعجميـة لم يكن يعرفهـا العرب من قبـل، مثال ذلـك كلمة ماهية التي يراد بها المرتب يتناولـه الموظف في آخـر الشهر، فيقـول ان هذه الكلمة مولّدة من أصل فارسي، فان (ما) بمعنى شهر في الفـارسية والمـاهية نسبة اليه أي شهرته[1]

والطريق الثاث والأخير ـ هو ما اطلق عليه الاستعمـال التشبيهي وهو مـا استعمله المولّـدون على طـريقة الشتبيـه والكنايـة لأنه لم يشتق من مـادة لغوية اشتقاقاً ولم ينقل عن أصل أعجمي، وانمـا هو كلمـة أو تركيب كـان أهـل اللغـة يستعملونـه في معنى ثم جـاء المـولّـدون ونقلوه الى معنى آخـــر واستعملوه فيه، مثال ذلك القطر، وكان العرب يستعملونه في معنى المطر، أمـا المـولّـدون فـانهم استعملوه في هـذا المعنى وفي السكـر المــذاب وهـذا الاستعمال لم يعرفه العرب[2]

أما الدكتـور علي عبـد الواحـد وافي فيعتمد فيـها كتبه عن المـولد عـلى قرارات مجمع اللغة العربيـة في مصر فيقـول: « يريـدون باللفظ المـولّد مـا استعمله المولّدون على غير استعمال الفصحاء من العرب »[3].

ثم يقسم المولّد الى أربعة أنواع:

النـوع الأول ما استعمله المـولـدون من مفـردات أعجميـة لم يعـرفها فصحاء العرب.

النـوع الثاني مـا نقله المولـدون بطريق التجـوز أو الاشتقاق من معنـاه الوضعي الذي عرف به في الجاهلية وصدر الاسلام الى معنى آخـر تعورف أما بين عامة الناس أو بين خاصة منهم كـالنحويـين والعروضيـين والفقهاء والمحاسبين وغيرهم.

---

(١) المرجع السابق ص ٦٤.

(٢) الاشتقاق والتعريب ص ٦٥.

(٣) د. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة ص ٢٠٣.

النوع الثالث ما حرف على ألسنة المولّدين من مفـردات اللغة العـربية تحريفاً يتعلق بالأصوات أو بالدلالة أو بهما معاً.

النوع الرابع ما جرى على ألسنـة المولّـدين من المفردات التي ليس لهـا أصـل معـروف في اللغـة العـربيـة ولا في اللغـات الأجنبيـة، كـالحنشصـة والحفلطة والشبرقة[1].

وقـد أجاز استعمـال النوعـين الأول والثاني كـما أجازهمـا مجمع اللغـة العربية في مصر، أما النوعين الثالث والرابع فمحظوراً استخـدامهما بقـرار المجمع أيضاً[2].

وينحو الأمير مصـطفى الشهابي منحى الـدكتور وافي تمـاماً في اعتمـاده على قرارات مجمع اللغة العـربية في تعـريف المولـد غير أنـه يتوسـع في ذكر الأمثلة وينقل عن لسان العرب تعريف المولد ثم يقول: « والمولّد أنواع منها ما اشتقه المولّدون على أساليب القياس العربي كاشتقاقنا مثلا من الأعيان افعـال مثل كهـرب من الكهربـاء ونشى من النشا وبلر أو بلور من البلور، وكالاشتقاق أيضاً من أسماء المعاني ومنها المصادر. . . وقد اشتققنا في زماننـا هذا فقلنا مثلاً المستشفى من الاستشفاء، والمتحف من الأتحـاد والجامعة من الجمع، والمبذر من البذر.

ومن أنواع المولّد أيضاً ألفاظ نقلت من معناها الأصلي الى معنى علمي وهي كثيرة رجعوا فيها الى المجاز وضمنوها معاني علمية جديدة، فـاعتدت العربية بها وكلنا يعرف في أيامنا هذه بعض الفـاظ مجازيـة ضمنت جديـداً من المعـاني، كالقـطار والسيارة والمـدرعة والغـواصة والمـطبعة « ثم يقـول: « ومن أنواع المولّد أيضاً معربات كثيرة نقلت الى لساننا بعد صـدر الاسلام

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٤.
وقارن بمجلة مجمع اللغة العربية في مصر ٢٠٢/١ - ٢٠٤ سنة ١٩٣٤.
(٢) فقه اللغة ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

وهي مئات بل ألوف وأخيراً من أنـواع المولـد الفاظ ارتجلهـا المولـدون ولا أصل لها في اللغة والفاظ حرفت من اللغة الصحيحة ولا يمكن تخريجها على أحد أصول اللغة وكلا القسمـين يسمى العامي والـدارج مثل القنعـرة أي التعاظم والكرفتة أي الاسقاط ومن الواضح أن هذا النوع الأخير من المولّد لا يمكن عـده صحيحاً، أمـا الأنواع الأخـرى المقيسة عـلى قواعـد العربيـة فيمكن النظر في عد الكثير منها ألفاظاً صحيحة يجب أن ندخلها في معاجمنا الحديثة »(١).

أما الأستاذ أنيس المقـدسي فينظر الى المـولد في ضـوء التطور اللغـوي ويـرى أن اللغة تنمـو وتتجدد بتـأثير عـاملين همـا: الكسب الخـارجي أي الأقتـراض من اللغات الأخـرى والثـاني التـوليـد، وهـو يقسم المـولـد الى قسمين:

أ ـ التوليد غير المقصود أي مـا ينشأ عفـواً وتسوق اليـه الحاجـة سوقـاً طبيعياً دون تكلف الدرس أو البحث ويجـري على ألسنـة الناس وأقـلامهم منبعثـاً عن سليقة لغـوية يستجيب لهـا الجمهور، وهـو يرى أن هـذا النوع قـديم في العربيـة ويدلـل على ذلـك بكلمة (تبـدي) في قـول عمـر بن أبي ربيعة:

وتبدت لي فأبدت واضحاً منها تحيصا

ومن أمثلة اليوم في لغتنا اطلاق كلمة فنان على الماهر في الفنون(٢).

ب ـ القسم الثاني وهو المولد قصـداً ويعني به مـا يضعه المتخصصـون افراداً وجماعات بعد الـدرس وإعمال الفكـر كأكـثر الأوضاع الجـديدة التي افترضتها المجامع اللغوية وبعض رجـال اللغة في شتى الأمصـار ومن أمثلة

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤٠/٧١٤ ـ ٧١٥ سنة ١٩٦٥.

(٢) مجمع اللغة العربية، البحوث والمحاضرات ص ٧٨ ـ ٧٩ سنة ١٩٦٤/١٩٦٥.

ذلك: التوقيع، المقامة، الدولة، القطار، النحو، المضيفة، الحضارة(١).

ويعرف أستاذنا الدكتور حسن ظاظا المولّد بقولـه: « المولّـد لفظ عربي البناء أعطى في اللغة الحديثة معنى يختلف عما كـان العرب يعـرفونـه مثل: الجريدة، المجلة، السيارة، الطيارة »(٢).

تلك هي أهم آراء المحدثين حول المولّد وامثلة لألفاظه عندهم، ومنها يمكن أن نستنتج الحقائق التالية:

١ ـ وضـع المحدثـون المولّـد في اطاره الصحيـح من التـطور اللغـوي واعتبروا أن التوليـد يتجه أسـاساً الى الـدلالة وتخضـع الألفاظ المولدة الى قوانين الدلالة التي استنبطوها من حيث توسيع المعنى أو تضييقه أو ابتذالـه أو تغير مجال الاستعمال(٣).

٢ ـ قسم المحدثون المولّد الى قسمين:
أ ـ المولّد المقصود ويضعه الأفراد والمجامع اللغوية.
ب ـ المولّد غير المقصود ويتم عفواً وتسوق اليه الحاجة سوقاً طبيعياً.

٣ ـ حصروا طرق التوليد في ثلاثة طرق هي:
أ ـ المولّد بالاشتقاق.
ب ـ التعريب.
حـ ـ نقل الدلالة الجديدة الى لفظ قديم.

٤ ـ أخـرجوا العـامي والمحرف والـدارج من الألفاظ المـولـدة ومنعـوا استعمالها.

اجمعوا على أن المولد لفظ عربي الأصل والبناء، أعطى مدلولاً جـديداً

---

(١) المرجع السابق ص ٨٠.
(٢) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٧٩.
(٣) د. ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص ١٥٢ وما بعدها.

لم يعرفه العرب الفصحاء.

٦ ـ المولّد عندهم تمثله مجموعة الألفاظ الآتية: المدفع، الدبابة، الطيارة، السيارة، الباخرة، القاطرة، القطار، المذياع، المأمور، المدير، المشير، المحضر، السفارة، الجريدة، المجلة، المطبعة، الفسقية، ماهية (بمعنى الأجر الشهري)، القطر (ماء السكر)، النحو، الكفر (الالحاد)، التوقيع، المقامة، الدولة، الحضارة[1].

٧ ـ فرق بعضهم بين الألفاظ المولّدة والمعربة واعتبر بعضهم المعرب بعد عصر الاحتجاج من المولد.

وعلى ذلك يمكن أن نعرف المولد عند المحدثين بأنه كما يلي:

لفظ عربي الأصل أعطى مدلولاً جديداً عن طريق الاشتقاق أو المجاز أو نقل الدلالة ولم يعرفه العرب الفصحاء بهذا المعنى وقد أضاف بعضهم ماعرب بعد عصر الاحتجاج الى المولد.

وهنا نلاحظ أن بعض المحدثين اتفقت وجهة نظرهم مع القدماء في اعتبار ما عرب بعد عصر الاحتجاج من المولّد مثل الشيخ عبد القادر المغربي والأمير مصطفى الشهابي، وقد اختلف نظر اللغويين المحدثين عن نظر القدماء الى المولّد من حيث القبول والرفض، فبينما رفض القدماء استعمال المولّد واعتبروه خارج حرم الفصاحة حتى ولو ورد في كلام كبار الكتاب والشعراء بعد عصر الاحتجاج، بينما فعل القدماء ذلك اتجه المحدثون وجهة أخرى بالنسبة للمولّد اذ نظروا اليه في ضوء التطور اللغوي ومن ثم كان موقفهم أهدى وأدق من موقف القدماء وبالتالي دعوا الى ادخال المولّدة في الاستعمال وفتحوا لها أبواب الشرعية اللغوية الذي كان مغلقاً حتى بدء النهضة العربية في القرن الماضي، كذلك دعوا الى

(١) راجع ص ١٨٥ من هذا البحث.

استقراء نصوص كبار الكتاب والشعراء والعلماء من المولّدين ونخل الألفاظ المولّدة للاستفادة بها في مواجهة التطور العلمي والفكري في العصر الحديث، وخاصة في مجال المصطلحات العلمية التي اعتبرها المحدثون من المولّد يستوي في ذلك القديم منها والحديث وفي ذلك يقول الدكتور ابراهيم السامرائي: « من الواجب أن نسجل هذا التجاوز أو قل هذا الجديد لنربط بينه وبين عربيتنا الفصيحة القديمة عملاً بالمنهج اللغوي التاريخي، وسنجد أن علم اللغة في العربية لا يتنكر للجديد المولّد أو قل لا يريد أن ينسب الى الخطأ مواد كثيرة »(١).

ويدعو الأمير مصطفى الشهابي الى انتخال الألفاظ المولّدة واقرار الصالح منها عن طريق المجامع اللغوية(٢). ويرى الدكتور حسين نصار أن من الواجب أن تعني المعاجم باللغة العربية في كمالها وشمولها لا في جاهليتها الضيقة فحسب ويعيب اهمال التطور اللغوي الذي أثمر كثيراً من الألفاظ الاسلامية وطرق الأداء الجديدة التي أدخلها الاسلام على الحياة العربية فغيرت من معاني الألفاظ ومن الواجب ايراد هذه المعاني مع التنبيه عليها في المعاجم بأنها اسلامية أو أموية أو مولّدة(٣).

كما أصدر مجمع اللغة العربية في مصر مع شدة حرصه على العربية وتراثها القديم قراراً باستعمال الألفاظ المولدة التي تجري على أسلوب القياس العربي وخاصة مصطلحات العلوم العربية القديمة كالنحو والفقه والعروض والهندسة والطب(٤).

أما أصحاب المعاجم الحديثة فقد أبدوا اهتماماً خاصاً بالألفاظ المولّدة

---

(١) د. ابراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخ ص ١١٩.
(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٣٦.
(٣) د. حسين نصار، المعجم العربي ٢/ ٥٦٠.
(٤) مجمع اللغة العربية، المحاضر والجلسات ١/ ٣٤٦ سنة ١٩٣٤، وانظر: مجلة مجمع اللغة العربية ١/ ٢٠٢ - ٢٠٣ سنة ١٩٣٤.

وأثبتوها في معاجمهم[1]. فعندما قام بطرس البستاني بوضع أول معجم عربي حديث وهو محيط المحيط اعتمد على القاموس المحيط للفيروزبادي فاتبع خطته في الاعتراف بالمصطلحات العلمية المولّدة ومن ثم أضاف الى معجمه كثيراً من الألفاظ المولّدة والعامية أيضاً غير انه لم يجرؤ حينئذ على اعتبارها مساوية من حيث الفصاحة للألفاظ العربية القديمة فقال « وقد أضفت الى أصول الأركان فروعاً كثيرة وتفاصيل شتى والحقت بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد مما لا يتعلق بمتن اللغة، وذلك لكي يكون هذا الكتاب شاملاً يجد فيه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل، وبهذا الاعتبار تنازلت الى ذكر كثير من كلام المولّدين والفاظ العامة منبهاً في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة، وعسى بذلك يتمهد لي العذر في هذا التساهل الذي ارتكبته »[2].

والواقع أن تحرجه هذا لم يضع سدى فقد فتح بهذا العمل باب المعاجم العربية لما روى بعد عصور الاحتجاج[3].

وتبعه في ذلك أيضاً ولكن بخطوات أكثر حذراً سعيد الشرتوني في معجمه أقرب الموارد[4]. وكذلك الشيخ عبد الله البستاني في معجمه البستان، وقد كتب مقدمة البستان الخوري بطرس البستاني مصرحاً بأن ما خطته يده فيها انما هو من بحر استاذه مؤلِّف المعجم، ثم ينقد فكرة قصر الاحتجاج في اللغة على عصر معين ويرجع اليه السبب في عجز وقصور العربية عم ملاحقة التطور العلمى الحديث، ويأخذ على القدماء إعراضهم عن أغلب الألفاظ التي جدت في العربية ولاسيما في عهد العباسيين بحجة

---

(١) مجمع اللغة العربية، البحوث والمحاضرات ص ٧٧ ـ ٨٥ (١٩٦٤/١٩٦٥).

(٢) محيط المحيط ١/٨٤٧ ـ ٨٤٨.

(٣) انظر ملحق البحث.

(٤) راجع د. حسين نصار، المعجم العربي ٢/٦٨١.

أنها من استنباط المولّدين[١]. كذلك أثبت الأب لويس المعلوف في معجمه المنجد عدداً غير قليل من الألفاظ المولّدة دون أن ينبه عليها[٢].

وأخيراً جاء المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في مصر فإذا به يفتح صدره للمولّد. يقول الدكتور ابراهيم مدكور في تقديمه لهذا المعجم « وهو فوق كل هذا مجدد معاصر يضع الفاظ القرن العشرين الى جانب الفاظ الجاهلية وصدر الاسلام ويهدم الحدودو الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة ويثبت أن في العربية وحدة تضم أطرافها وتستوعب كل ما اتصل بها وتصوغه في قوالبها »[٣].

ثم تصرح اللجنة التي قامت على اخراج هذا المعجم بحق المولّد في الحياة جنباً الى جنب مع ما روى عن العرب الفصحاء وتقول أن من خطتها الاعتداد بالألفاظ المولّدة وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء[٤] وعلى ذلك دخل هذا المعجم أكثر من خمسمائة لفظة مولّدة[٥].

ومهما يكن من أمر فالذي لا جدال فيه أن اللغويين المحدثين كانوا أرحب صدراً من القدماء في قبول المولّد والاعتراف به ذلك لأنهم كما رأينا قد تحللوا من فكرة الاحتجاج، كما أخذوا في درسهم للمولّد بفكرة التطور اللغوي فجاءت أحكامهم أقرب الى السداد والواقع، وهم باثباتهم للألفاظ المولّدة في المعاجم الحديثة يمدون العربية بدماء جديدة.

هذا وقد شارك المستشرقون أيضاً علماء العربية المحدثين في اهتمامهم بالألفاظ المولّدة، ويأتي في مقدمة هؤلاء المستشرقين المستشرق الهولندي

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٢) راجع ملحق البحث.
(٣) المعجم الوسيط ١/٨ (ط. أولى).
(٤) المرجع السابق ١/٨ (ط. أولى).
(٥) راجع ملحق هذا البحث.

دوزي Dozy الذي ألف معجماً ضخماً في مجلدين اسماه ملحق للمعاجم العربية : Supplement aux Dictionnaire Arabes . وقد نشره عام ١٩٢٧ وفيه أثبت ما لم تعترف بهالمعاجم العربية من الكلمات والتراكيب أو على حد قوله اللغة غير التقليدية وخاصة تلك التي جاء بها الكتاب العرب في العصر الوسيط » (١) .

ومن ثم كان للألفاظ المولّدة في هذا المعجم نصيب كبير، وترجع أهمية هذا المعجم في المقام الأول الى أن دوزي لم يغفل اثبات المصادر التي استقى منها مادته، بل كان حريصاً على اثبات تلك المصادر مع كل كلمة والحقيقة أنه بعد استبعاد الكلمات المعربة والدخيلة التي أثبتها في هذا المعجم يبقى أمام الباحث عدداً هائلاً من الألفاظ المولّدة التي تصور مدى التغير الذي طرأ على العربية خلال العصر الوسيط.

أما المستشرق الألماني هانز فيهر Hans Weher فقد اهتم بتطور العربية في العصر الحديث فألف في أعقاب الحرب العالمية الثانية معجماً بالمفردات العربية المستعملة في الكتابات الحديثة، وبعد سنوات قليلة اشترك هو والمستشرق الأمريكي « ج. ميلتون كون » G. Milton Cowon فنقله الأخير الى اللغة الانجليزية بعد أن نقحاه وتوسعا في فيه ونشر عام ١٩٦١ واعيد طبعه عام ١٩٦٦ تحت اسم « معجم للغة الكتابة العربية الحديثة » A.Diotionary of Modernwritten Arabio وقد أعطى هذا المعجم اهتماماً خاصاً للمصطلحات العلمية الحديثة في اللغة العربية(٢) وقد جمعت مادة هذا المعجم على مراحل متعددة من الصحف والدوريات والاذاعة والخطابات المتداولة في مصر والعالم العربي في الفترة من ١٩٤٠ - ١٩٤٨ . كما اعتمد أيضاً على كتابات بعض الكتاب أمثال طه حسين، **محمد** حسنين **هيكل**

(١) Dozy, Supple. Dict. Arab. P. VII.

(٢) Weher, A Dictionary of Modern Written Arabic. P. VIII.

وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور[1].

وهكذا أفسح أصحاب المعاجم العربية الحديثة من عرب ومستشرقين صدرهم ومعاجمهم للمولّد ورأوا في تسجيل هذا النمط من الألفاظ استكمالاً لتطور اللغة العربية ونموها وبدونه تبقى الشقة واسعة بين القديم العريق والمولّد الجديد. ولكن كيف تم توليد هذه الألفاظ وما هي الطرق التي سارت فيها حركة التوليد وما علاقة التوليد بطرق النمو الأخرى؟.

٤ ـ طرق التوليد

لاحظنا في مجموعة الألفاظ التي اعتبرها القدماء من المولّد[2]، وكذلك مجموعة الألفاظ التي ولدها المحدثون[3] أن توليد هذه الألفاظ تم عن طريق الاشتقاق أحياناً أو النحت أو المجاز أو نقل الدلالة، وعلى ذلك يمكن أن نحصر الطرق التي سلكتها حركة التوليد قديماً وحديثاً فيما يأتي:

١ ـ **طريق تحويل المعنى أو نقل الدلالة**: ويتم ذلك عن طريق اعطاء لفظة عربية قديمة معنى مختلفاً عما كان العرب يعرفونه بها والأمثلة على ذلك كثيرة منها على سبيل المثال:

أ ـ في القديم:

١ ـ **أدب** ومعناها الأصلي حسن الأخلاق وفعل المكارم، ثم أطلق على علوم العربية.

٢ ـ **بهلول** ومعناها الأصلي السيد الجامع لكل خير والضاحك، ثم أصبحت تدل على المهرج والمأفون.

٣ ـ **التوقيع** ومعناها الأصلي التأثير ثم اطلقت على عبارة توضع في آخر الكتاب بالرفض أو القبول.

---

(١) Ibid. P. X.

(٢) انظر ص ١٠٧ ـ ١١٢ من هذا البحث.

(٣) انظر ص ١٢٦ من هذا البحث وما بعدها.

٤ ـ **الرقيع** ومعناها الأصلي الشيء يرقع بالخرق ومولده تدل على الأحمق الواهي الخلق.

٥ ـ **العفص** ومعناها الأصلي الهصر ثم أطلق على ثمر يؤخذ منه الحبر.

٦ ـ **القصف** ومعناها الأصلي كسر العود ومولدة تدل على اللهو والرقص واللعب.

٧ ـ **القطر** ومعناها الأصلي المطر، ثم أطلق على شراب السكر المذاب.

٨ ـ **الكفر** ومعناه الأصلي الستر والتغطية ثم أصبح يدل على الالحاد والمروق على الدين.

٩ ـ **المقامة** ومعناها الأصلي مكان الاقامة أو الجلوس، ومولدة تدل على نمط من القصص المسجوع.

١٠ ـ **النظم** ومعناه الأصلي جمع اللؤلؤ في سلك، ثم أطلق على نظم الكلام نثراً وشعراً.

ب ـ في الحديث:

١ ـ **الجدول** ومعناها الأصلي النهر الصغير، ومولدة تدل على خطوط مستقيمة متقاطعة تحوي بعض البيانات.

٢ ـ **الجريدة** ومعناها الأصلي سعفه طويلة أو يابسة، ومولّدة تدل على الصحيفة اليومية.

٣ ـ **الحضارة** ومعناها الأصلي ضد البداوة، ثم أصبحت تدل عى مظاهر الرقي الفكري والعمراني.

٤ ـ **الدولة** ومعناها الأصلي انقلاب الحال والزمان، ومولّدة تدل على الحكومة والسلطة السياسية.

٥ ـ **السجادة** والمعنى الأصلي ما يسجد عليه وقت الصلاة، ومولّدة البساط.

٦ ـ **السفارة** ومعناها الأصلي القيام بالصلح بين القوم، ومولّدة وظيفة ومقام ممثل دولة لدى دولة أخرى.

٧ ـ **القطار** ومعناها الأصلي الابل يسير الواحد منها وراء الآخر، ومولّدة مركبات السكة الحديد.

٨ ـ **القاطرة** ومعناها الأصلي الناقة الأولى في طار الابل، ومولّدة الآلة التي تجر مركبات القطار.

٩ ـ **المشير** ومعناها الأصلي صاحب المشورة والرأي، ومولّدة أعلى رتبة عسكرية في الجيش.

١٠ ـ **المضيفة** ومعناها الأصلي التي تستقبل الضيف في المنزل، ومولّدة وظيفة في الطائرات.

٢ ـ الوضع عن طريق الاشتقاق:

وهو أن تشتق كلمة من مادة عربية يعرفها العرب القدماء ولكنهم لم يعرفوا الكلمة المشتق ولا مدلولها، مثال ذلك:

أ ـ في القديم:

١ ـ **التفسرة** من فسر بمعنى الابانة والكشف ومولّدة البول يستدل به على مرض المريض.

٢ ـ **الجبرية** من جبر بمعنى قوي واستطال ومولّدة مذهب فلسفي.

٣ ـ **الدبابة** من دبّ على الأرض ومولّدة آلة من آلات الحرب.

٤ ـ **السبحة** من سبح بمعنى الفراغ والجيئة والذهاب ومولّدة خرزات على شكل عقد.

٥ ـ **شباك** من شبك ومولدة كوه عليها حديد متقاطع.

٦ ـ **شراقي** من التشريق بمعنى التقديد ومولدة عند المصريين أرض لا تسقى بماء النيل..

٧ ـ **العجة** من عجّ بمعنى الضجيج ورفع الصوت، ومولدة طعام يتخذ من البيض.

٨ ـ **الفسقية** من فسق أي خرج ومولدة أنبوب يتدفع منه الماء وسط حوض.

٩ ـ **القحبة** من قحب أي سعل ومولّدة المرأة البغي.

١٠ ـ **المخرقة** من خرق أي فرق ووسع ومولّدة الحمق والطيش والأفن.

ب ـ في الحديث:

١ ـ **الاذاعة** من ذاع أي نشر الأخبار ومولّدة جهاز خاص ودار تقوم بذلك.

٢ ـ **البرقية** مشتقة من برق بمعنى لمع ومولّدة رسالة قصيرة عن طريق التلغراف.

٣ ـ **التأشيرة** من أشر أي علم، ومولّدة علامة توضع على الورق أو توقيع.

٤ ـ **الجامعة** من مادة جمع ومولدة مؤسسة علمية تضم عدداً من المعاهد لتدريس العلوم والفنون.

٥ ـ **الدعاية** من دعو ومولّدة الدعوة الى مذهب أو رأي بالكتابة أو الخطابة.

٦ ـ **الصاروخ** من صرخ ومولدة قذيفة نارية تستعمل في السلم والحرب.

٧ ـ **المأذون** من أذن ومولّدة رجل يقوم باجراءات الزواج.

٨ ـ **المأمور** من أمر ومولّدة وظيفة من وظائف الشرطة.

٩ ـ **المختبر** من خبر ومولّدة معمل لاجراء التجارب العلمية.

١٠ ـ **المدفع** من دفع ومولّدة آلة من آلات الحرب ترمي القذائف.

ويدخل في الوضع عن طريق الاشتقاق، الاشتقاق من بعض الصيغ الخاصة كالأسماء، وقد شاع ذلك في العربية الحديثة، مثال ذلك:

١ ـ **قنن** من القانون بمعنى حدد أو وضع القانون.

٢ ـ **مولّ** من المال أي قدم المال اللازم لمشروع ما.

٣ ـ **طور** من الطور أي الانتقال من مرحلة الى أخرى.

٤ ـ **عيد** من العيد أي احتفل وهنأ بالعيد.

٥ ـ **قوّم** من القيمة أي تقدير الأشياء أو الناس مادياً أو معنوياً.

وقد شاع وزن تفعل اشتقاقاً من اسماء المدن والبلدان والأمم حتى كاد يصبح قياسياً مثلا ذلك:

١ ـ **تمصر** أي أخذ الجنسية المصرية.

٢ ـ **تفرنس** أي أتخذ الجنسية الفرنسية أو تشبه بالفرنسيين.

٣ **تأمرك** أي أصبح أمريكياً في سلوكه.

٤ ـ **تبلشف** أي تشبه بالبلشفيك.

٥ ـ **تبلور** أي ظهرو نتائجه[١]

وقد قام هذا النمط من التوليد بالاشتقاق قديماً بدور هام في توليد أسماء الفرق الدينية الاسلامية التي نشأت في الاسلام، مثل: الخوارج، المعطلة، الرافضة، الباطنية، المرجئة، الشيعة. . الخ[٢].

٣ ـ **التوليد بالنحت والتركيب:**

ويتم ذلك عن طريق توليد كلمة منحوتة أو مركبة من حروف كلمتين أو أكثر على طريقة العرب في النحت ولكن لم تسمع هذه الكلمة عنهم، وبالتالي فلا يعرفون دلالتها مثال ذلك:

أ ـ في القديم:

١ ـ **بسمل** من قولهم بسم الله الرحمن الرحيم.

٢ ـ **تلاشى** من لا شيء للدلالة على الاندثار والانعدام.

٣ ـ **الطواسين** من حرفي الطاء والسين وبهما تبدأ سورة النحل واسم كتاب للحلاج.

---

(١) راجع مجمع اللغة العربية، البحوث والمحاضرات ص ٨٢ لسنة ١٩٦٥/٦٤.

(٢) راجع ص ٢٤١ من هذا البحث.

٤ ـ **فذلكة** من فذلك للدلالة على الخلاصة والملخص.

٥ ـ **الماهية** من ما هو أي حقيقة الأمر وكنهه.

ب ـ **في الحديث**: وغالباً ما يكون ذلك في المصطلحات العلمية مثال ذلك:

١ ـ **لبأرز** من لبنان وأرز ومولّدة اسم شجرة من فصيلة الصنوبر.

٢ ـ **تحتربه** من تحت والتربة مصطلح في العلوم الزراعية.

٣ ـ **برمائي** من بر وماء ومولّدة نوع من الحيوان يعيش في الماء والبر.

٤ ـ **لا مائي** من لا وماء أي الخالي من الماء.

٥ ـ **قبتاريخ** من قبل وتاريخ أي ما قبل التاريخ Prehistory [(١)] .

كما انتشر في العصر الحديث نوع من التوليد عن طريق تركيب كلمتين عربيتين بحيث تدلان على معنى لم يعرفه العرب قديماً مثال ذلك:

١ ـ **مجلس الشيوخ** للدلالة على أحد مجالس البرلمان.

٢ ـ **السكة الحديد** وسيلة من وسائل المواصلات الحديثة.

٣ ـ **التصوير الشمسي** طريقة لنقل صور الأشياء حديثاً.

٤ ـ **ناظر المدرسة** المشرف على ادارة المدرسة.

٥ ـ **كاتم الأسرار** وظيفة ادارية في الجهات العسكرية[(٢)].

٤ ـ التوليد المجازي:

ويكون ذلك بتوليد اصطلاحات مركبة من مجموعة من الكلمات التي تدل مجازاً عن بعض المعاني الخاصة وهنا تجدر الاشارة الى أن التوليد بالمجاز يظهر في هذا النوع من التراكيب اكثر منه في المفردات، ذلك لأن هذا الضرب من التوليد المركب يتوفر فيه أحياناً عنصر جمال التعبير، وهو

---

(١) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ١٨، مجلة اللسان العربي المجلد التاسع ١٦٨/١ لسنة ١٩٧٢.

(٢) السيد سليمان، الدليل على المولّد والدخيل ص ٦.

مالا نجده متحققاً في المفردات. مثال ذلك:

أ ـ **في القديم**:

١ ـ **استنعجت الذئاب** للعدو يبدي الصداقة.

٢ ـ **أخذ يد القميص** للص والسارق.

٣ ـ **جاز القنطرة** للشخص الكامل الذي لا يلتفت الى القدح فيه.

٤ ـ **جاسوس القلوب** الحاذق الفراسة.

٥ ـ **وقع في الطويل العريض** أي في الأمر الشاق الصعب(١).

ب ـ **في الحديث**: وغالباً ما يكون ذلك ترجمة لبعض العبارات الأجنبية.

١ ـ **القوة الضاربة** السلاح الكافي لقهر العدو.

٢ ـ **ضرب الرقم القياسي** ذهب بعيداً في النجاح أو الفشل.

٣ ـ **السوق السوداء** اخفاء البضائع والتعامل بها في الخفاء بعيداً عن رقابة القانون.

٤ ـ **صوت في الانتخابات** أدلى برأيه فيها.

٥ ـ **الشارع يقول** أي الرأي العام(٢).

ثم تأتي أخيراً الى التعريب أي الاقتراض من اللغات الأجنبية، وقد رأينا أنه واحد من الطرق الرئيسية التي تنمو بها اللغة، وكان من رأي القدماء أن ما دخل العربية من الألفاظ الأجنبية قبل عصر الاحتجاج يعد من المعرب الفصيح أما ما دخلها بعد عصر الاحتجاج فاعتبروه من المولّد(٣). وقد شارك بعض المحدثين اللغويين القدماء في هذا الرأي(٤).

وهنا نجد أن هناك خلطاً واضحاً بين المصطلحات اللغوية الثلاثة

---

(١) الشهاب الخفاجي، شفاء الغليل ص: ٣٠، ٧٠، ٧٤، ٢٣٧.

(٢) راجع ص ٤٤٧ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) راجع ص ١١١ من هذا البحث.

(٤) راجع ص ١٢٠ من هذا البحث وما بعدها.

وهي المولّد والمعرب والدخيل ذلك لأنهم اعتبروا المولّد من الدخيل كما فعل الشهاب الخفاجي.

والحقيقة أن كلا من المصطلحات الثلاثة السابقة له مفهوم محدد أو ينبغي أن يكون له ذلك حتى لا نقع فيما وقع فيه القدماء وبعض المحدثين من الخلط بين هذه المصطلحات الثلاثة، ونلاحظ أن سبب ذلك يرجع أولاً وأخيراً الى فكرة الاحتجاج اللغوي فهم يفرقون بين مجاميع الألفاظ في الثروة اللغوية بناء على ذلك.

وقد رأينا فيما سبق أن المولّد هو لفظ عربي الأصل تحولت دلالته الى معنى لم يعرفه العرب القدماء، اذا هو ينتمي الى العربية بحكم أصله أو مصدره اشتقاقاً أو نحتاً، فما من لفظة مولدة ذكرها القدماء إلا ولها مادة في العربية.

أما المعرب سواء ما عرب في عصر الاحتجاج أو بعده فهو لفظ غريب عن العربية أصلاً ودلالة وذلك على الرغم من وضعه في القوالب والصيغ العربية ولكنه في النهاية غريب عنها بحكم أصله الذي ينتمي إليه، وهنا نجد فرقاً واضحاً بين المولّد والمعرب اذ أن كلا منهما ينتمي إلى أصل مختلف، فالمولّد عربي الأصل والمعرب مقترض من اللغات الأجنبية، ومن ثم فان اطلاق لفظ المولد على ما عرّبه المولّدون بعد عصر الاحتجاج هو في الحقيقة فصل بين ظاهرتين هما شيء واحد وخلط بين أمرين مختلفين، فالباحث الذي يدرس الاقتراض اللغوي في العربية مثلاً لا يمكن أن يطلق على ما دخل العربية في عصور الاحتجاج معرب حتى إذا ما تجاوز هذه الفترة استعمل مصطلحاً آخر هو المولّد وذلك تمشياً مع رأي القدماء رغم أن الظاهرة واحدة وتجري على نفس السنن والطرق التي جرت عليها قديماً، ومن ثم فاننا نعتبر المعرب يدل على ما اقترضته العربية من اللغات الأجنبية سواء قبل عصر الاحتجاج أم بعده ، وبذلك يصبح مصطلح المعرب مصطلحاً

محدداً لا يختلط بالمولد أو الدخيل .

أما الدخيل فهو كما يقول أستاذنا الدكتور حسن ظاظا لفظ أخذته العربية من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور العرب الخلص[1] . وهنا نجد أيضاً أن فكرة الاحتجاج تطل برأسها أيضاً والذي يهمنا هنا الناحية اللغوية في التفرقة بين مجاميع الألفاظ التي اقترضتها العربية وعلى ذلك يمكن أن نحدد الدخيل بأنه الكلمة التي دخلت العربية أما بلفظها ودلالتها تماماً أو بتحريف طفيف في النطق مثال ذلك كلمة كوفية فهي من اللاتينية Cophia وكلمة جمرك وهي أيضاً اللاتينية : Commercium أي التجارة وقد دخلت العربية عن طريق التركية [2] .

وعلى ذلك يمكن تحديد المصطلحات، المولّد والمعرب والدخيل على النحو التالي :

١ ـ **المولّد** لفظ عربي الأصل نقلت دلالته الى معنى لم يعرفه العرب القدماء .

٢ ـ **المعرب** لفظ مقترض من اللغات الأجنبية وضع في الصيغ والقوالب العربية .

٣ ـ **الدخيل** لفظ دخل العربية من اللغات الأجنبية بلفظه أو بتحريف طفيف في نطقه . وسوف نستعمل هذه المصطلحات الثلاثة في البحث بهذا المعنى .

يبقى بعد هذا ظاهرة أخرى وهي الأشتقاق من الألفاظ المعربة أو

---

(١) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٧٩ .
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

الدخيلة، وقد وجدت منها أمثلة كثيرة في العربية قديماً وحديثاً، مثال ذلك:

أ ـ في القديم:

١ ـ **دوّن** من الديوان وهي فارسية الأصل.

٢ ـ **هرطق** بمعنى كفر أو ألحد، وهي من هرطوقس يونانية الأصل.

٣ ـ **تزندق** من زنديق فارسية.

٤ ـ **تفلسف** من فيلسوف يونانية.

٥ ـ **زركش** من زر + كش أي طلي بالذهب فارسية.

ب ـ في الحديث:

١ ـ **تأقلم** من اقليم يونانية.

٢ ـ **كهرب** من كهرباء الفارسية.

٣ ـ **قرصنة** من القرصان يونانية .

٤ ـ **بلط** من البلاد لاتينية.

٥ ـ **تلفز** من تلفزيون المعربة عن اللغات الأوروبية.

فهل نعتبر مثل هذه المشتقات من المولد أم من المعرب والدخيل؟

الحقيقة أننا يمكن أن ننظر الى مثل هذه المشتقات من زاويتين، الأولى باعتبار الأصل فحينئذ نعتبرها من المعرب أو الدخيل أي من الألفاظ التي اقترضتها العربية من اللغات الأجنبية. أما النظرة الثانية فهي من أن نعتبرها من المولّد[1] على أساس أنها عوملت معاملة الألفاظ العربية الأصل فاشتقت منها الفاظ عربية جديدة لم تكن في لغة العرب قديماً وعلى ذلك من الممكن تحليل مثل هذه الألفاظ على النحو التالي:

الديوان نقول أنها كلمة غير عربية الأصل من اللغة الفارسية ولكن الفعل دوّن مولّد مشتق من هذه الكلمة ومثل ذلك تفلسف وتزندق وأقلم

---

(١) أنظر تاج العروس مادة (برهن) حيث اعتبر الزبيدي الفعل برهن المشتق من اللفظة الفارسية (برهان) من المولّد.

وتأقلم وكهرب ومكهرب وغير ذلك كل هـذه المشتقات يمكن اعتبـارها من المـولد، وعـلى ذلك يمكن أن نضيف الاشتقـاق من المعرب أو الـدخيل الى طرق التوليد التي ذكرناها آنفاً.

من هذا كله يتبين لنا أن المولد يتصل أسـاساً بتغـير الدلالـة وتطورهـا وأن هناك عدة طرق سلكتها حركة التوليد على مر العصـور تتمثل في نقـل الدلالة والاشتقاق والنحت والمجاز وأن القدماء نـظروا الى التوليـد اللغوي نظرة معيارية أملتها عليهم فكرة الاحتجاج وبالتالي لم يستطيعوا الـوصول إلى تحديد نظري للتوليد باعتباره ظاهرة من ظواهـر التطور اللغـوي بعكس المحدثين الذين نظروا إلى التوليد في ضـوء التطور اللغـوي وبالتـالي وصلوا إلى مفهوم واضح له ووضعوا هذه الظاهرة اللغوية في اطارهـا الصحيح من تطور اللغة العربية.

ولكن ما هي الظروف والمـلابسات التي دعت المتكلمـين بالعـربية إلى تـوليد ألفـاظ ذات دلالات جديـدة. للاجـابة عـلى هـذا السؤال لابـد أن نـنطلق من أن اللغة ظـاهـرة اجتماعيـة فكريـة وحضاريـة تسير في ركـاب المتكلمين بها وتنمو وتتطور طبقاً للظروف والملابسات التي يمر بهـا أصحاب تلك اللغـة. وهذا مـا حدث للغـة العربيـة على مـر العصور، ولعـل هذا المنـطلق يعيد إلى الـذهن تلك العوامـل التي ذكرنـاها في هـذا الباب والتي تدفع اللغة إلى التطور والنمو والتي حصرناها في مجموعة من العلاقات تتأثر بها اللغة وتؤثر اللغة فيها في الوقت نفسه.

والآن كيف استجـابت العـربيـة لهـذه العـوامـل؟ ومـا هي الـظروف والمـلابسات المختلفـة التي مرت بهـا وبـالتـالي أدت الى حـدوث التـوليـد؟ لـلاجابـة على هـذه الأسئلة لابد أن نتتبـع مسار العـربيـة خـلال العصـور المختلفة لنضع أيدينا على تلك الظروف والملابسات وهـو ما سنخصص لـه الباب الثاني من هذا البحث.

الباب الثاني

العربية وعوامل التوليد والنمو اللغوي

مقدمة تاريخية

غزت جيوش الخلفاء الراشدين الشام والعراق وفارس ومصر وشمال إفريقيا، وتم فتحها جميعاً حتى عام ٣١ هـ. وقد وجد العرب في بلاد الشام والعراق شعوباً سامية الأصل هاجرت في عصور سابقة الى شمال الجزيرة العربية، وكانت بعض هذه الشعوب تدين بالمسيحية وبعضها الآخر تدين باليهودية كما بقي فريق ثالث على وثنيته، ولم يكن فتح فارس من الأمور السهلة على العرب إذ كان الفرس أصحاب حضارة متميزة.

وانتقلت عاصمة الدولة الاسلامية إلى الكوفة في خلافة علي بن أبي طالب (ت ٤١ هـ) وبذلك لم تعد الجزيرة العربية مركزاً للدولة الإسلامية، ثم ما لبثت الكوفة والبصرة أن أصبحتا مركزين هامين للحياة العقلية والدينية في الاسلام.

وفي عام ٤١ هـ انتقلت الخلافة إلى الأمويين وبذلك تحول مركز الخلافة الإسلامية للمرة الثانية من الكوفة إلى دمشق في بلاد الشام حيث وجد الأمويون أقوى تعضيد لدولتهم هناك. واتسعت رقعة الدولة العربية وامتدت الفتوح الاسلامية من إسبانيا وشاطيء المحيط الأطلسي غرباً الى حدود الصين شرقاً وتمتعت هذه البلاد جميعاً برخاء فعم الترف وبدأت أولى الحركات العلمية في قصر الخلافة الأموية.

وفي عام ١٣٣ هـ زال الحكم الأموي عقب الثورة التي قامت في

خراسان بزعامة أبي مسلم الخراساني والتي انتهت باستيلاء العباسيين على الحكم، ولكن أحد أفراد بني أمية وهو عبد الرحمن الداخل (ت ١٧٢ هـ) استطاع الفرار الى إسبانيا وتمكن من تأسيس خلافة أموية هناك.

وقد كان لما قدمه الفرس من مساعدة في إقامة الدولة العباسية أكبر الأثر في ظهور الثقافة الفارسية بجانب الثقافة العربية في البلاد الإسلامية، وأخذت الأفكار والآراء الفارسية منذ ذلك الحين تغزو العالم الاسلامي. وفي عام ١٤٥ هـ أنشأ العباسيون مدينة بغداد كعاصمة جديدة لهم وما لبثت أن أصبحت مركزاً هاماً من مراكز الحياة العقلية الإسلامية وخاصة في عهد هارون الرشيد (ت ١٩٣ هـ) ثم ظهر الأتراك السلاجقة إبان الخلافة العباسية وسرعان ما قويت شوكتهم فأصبحوا الحكام الفعليين، وحين آذنت الخلافة العباسية بالانهيار كانت الامبراطورية الإسلامية قد انقسمت إلى عدة دويلات، وانتهى النفوذ السياسي للعباسيين عام ٤٤٧ هـ.

وعلى أثر هجوم المغول من أواسط آسيا وسقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ سقطت الدولة العباسية نهائياً وراح المغول يفتحون الدول الاسلامية الواحدة تلو الأخرى، وعلى الرغم من اكتساحهم لشرقي العالم الإسلامي تقريباً، إلا أنهم سرعان ما استجابوا للحضارة الاسلامية التي كانت مزدهرة فاعتنقوا الإسلام واختصوا الدين والأدب والفن برعاية سامية، فكان بلاطهم في بغداد وتبريز مقصد العلماء ورجال الفن من الأجناس المختلفة.

ثم ظهر الأتراك العثمانيون على مسرح الحياة الاسلامية بعد ذلك وتم لهم السيطرة على العالم الإسلامي باستيلاء السلطان سليم الأول على مصر والشام عام ٩٢٣ هـ واتخذ لنفسه لقب خليفة المسلمين وهكذا نجحت الدولة العثمانية في الظفر بالسلطتين الدينية والسياسية على العالم الإسلامي حتى بداية العصر الحديث.

في هـذا الاطار التـاريخي عاشت العـربيـة في بيئـات مختلفـة واتصلت بشعوب وثقافات متعددة، كما دخلت في صراع مـع لغات أخـرى منها مـا يمت للعربية بأواصر القربى والنسب كاللغـات الساميـة ومنها مـا يبعد عنهـا كاللغتين الفارسية والتركيبة، وفي أثنـاء ذلك دخلت العـربية معـارك طويلة عـلى ألسنة المتكلمـين بها من الشعـوب غير العـربية الأصـل، ولم يكن من الممكن أن تنتصر العربية في تلك المعارك انتصـاراً حاسـماً بحيث تمحو تلك اللغات وتخرج دون أن تتأثر أو تؤثر اذ أن سنة الحياة واللغات بوجه خاص تأبى ذلك، لذلك عاشت بقية تلك اللغات عالقة بأهـداب العربيـة تقل أو تكثر آثارها فيها هنا أو هناك وفقاً لقوانين الصراع اللغوي[1].

وليس من السهـل على البـاحث اللغـوي أن يتتبـع آثـار هـذا التـأثـير والتأثر، أو هذا التطور اللغوي الذي أصاب العربيـة نتيجة لهـذا في داخل ذلك الاطار التاريخي، فالحياة اللغوية في الحقيقة نسيج معقد تتشـابك فيـه شتى المؤثرات القديمة والطارئة الفكرية والثقافية والدينيـة والاجتماعيـة بل المزاجية والمناخية والفسيولوجية أيضاً، ومع ذلك يمكن أن نجمـل القول في سيرة حياة اللغة العربية في هذا الاطـار التاريخي فنـرى أنها كانت محكـومة بعاملين أو تيارين متقابلين:

١ ـ الأول يشـدها الى الأصيـل القديم، ويـرى أن أي خـروج عليـه سواء في الصوت أم اللفظ أم التركيب أم الدلالة ظاهرة فساد ونـذير خـطر بل وأكثر من هذا يرى الوقوف بها عند زمن معين لا تتعداه.

٢ ـ أمـا الثاني فتيـار يختلف عن الأول تماماً هـو تيـار الحيـاة الـدائب المتطور والذي يريد أن ينطلق بها عبر الزمان والمكان دون حدود أو قيود.

والتياران على بعد ما بينهما يحدثان نوعـاً من التوازن اللغـوي المطلوب

---

(١) انظر ص ٢٣ من هذا البحث.

بين قديم يحمي الأصالة وجديد يمدها بالحياة والنمو ويساير بها الزمن ويقاوم التخلف والجمود.

وفي فصول هذا الباب سنحاول أن نتتبع العوامل الفكرية والحضارية التي قضت بالنمو اللغوي بشكل عام والتوليد بشكل خاص، وفي هذا التتبع والوصف سنسير قدر الامكان وراء التيار الثاني محاولين إبراز معالمه الكبرى، إذ أن أمر هذا التيار ما زال يحوطه الغموض في تاريخ العربية، أما التيار الأول فأمره سهل ميسور نجده فيما بين أيدينا من معاجم لغوية قديمة وكتب في النحو والصرف وغيرها من كتب اللغة.

وأبادر فأقول أن وصف هذا التطور اللغوي ومظاهره على كافة مستويات الدرس اللغوي الحديث أمر لم يدر بخلدي وانما سأكتفي هنا بابراز أسباب ومظاهر النمو اللغوي والتوليد دون التعرض لمظاهر التطور الأخرى وأسبابها إلا ما قد تقتضيه المقارنة من إبراز لظاهرة أو توضيح لأخرى.

وغني عن البيان أن تتبع المراحل التاريخية لا يصور حقيقة التطور اللغوي، ومراحله إذ أن التقسيم التاريخي لعصور العربية تقسيم اصطلاحي خالص لا يصور حقيقة التطور ومراحله، ذلك لأن التطور اللغوي بطبيعته تطور بطيء يمضي على مهل ولا تظهر آثاره بتغير النظام السياسي أو بمجيء دولة أو ذهاب أخرى، فمن غير المعقول مثلاً أن نقرر أن العربية في عام ١٣٢ هـ - وهي السنة التي استولى فيها العباسيون على الحكم - قد بدأت تتخذ شكلاً جديداً ومنحى من التطور لم يظهر فيها من قبل، حقاً قد يظهر تأثير ذلك على أدب اللغة وبعض المفردات ولكن الأمر بالنسبة للغة نفسها يختلف تماماً، فصدر الإسلام ومطلع العصر الأموي يعتبران امتداداً للعصر الجاهلي من وجهة نظر الاستعمال اللغوي بشكل عام ومع ذلك فقد بدأت تظهر بعد ذلك آثار التطور شيئاً فشيئاً حتى

اتضحت معالمها مع أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة حيث سمعنا تذمر أبي عمرو بن العلاء وطبقته من علماء العربية القدماء من ظهور اللحن والتوليد الذي أخذ يلحق بالعربية ومن ثم شمروا عن سواعدهم للدفاع عن لغة القرآن الكريم من هذا التيار الجديد واتخذوا من كلام العرب القدماء ميزاناً يزنون به الكلام والاستعمال، وهكذا بدأ في العربية ما يعرف بين الباحثين باسم حركة تنقية اللغة.

ولعلنا بعد أن ننتهي من هذا الباب نستطيع أن نرى كيف استطاعت العربية بمرونة فائقة أن تتحاشى أزمة موقفها بين القديم الأصيل والمحدث الطاريء وكان التوليد اللغوي أحد المخارج الواضحة من تلك الأزمة.

الفصل الأول

العربية والاسلام

مرت العربية قبل أن تصل الينا في صورتها الناضجة والتي يعكسها الشعر الجاهلي بمراحل من التهذيب والصقل والتصفية والانتقاء حتى بلغت مستوى عالياً من الدقة والضبط وأحكام الصياغة والتعبير. فاستقرت على ضوابط ثابتة في التأنيث والتذكير والافراد والتثنية والجمع، كما ميزت بين المعلوم والمجهول والمعرفة والنكرة وتصرفت في المادة اللغوية بصيغ محددة لكل منها دلالتها، وتقدمت أيضاً في ضبط الزمن وتحديده الى ماض وحاضر ومستقبل، واستخدمت الضمائر واسماء الاشارة والأسماء الموصولة بدقة وأحكام للمتكلم والمخاطب والغائب مفرداً ومثنى وجمعاً، كما أحكمت المعاني بصيغ الاشتقاق ونسق الألفاظ وترتيبها في الجملة وسياق العبارة وعلامات الاعراب.

كما توسعت في الدلالات المجازية لكي تنمو وتلبي حاجات الحياة فنقلت بعض الألفاظ من الأصل الحسي لها إلى الاستعمال المجرد[1] كذلك تطورت أساليب العربية فخرجت عن أصل الوضع اللغوي الى معان مجازية وأساليب بلاغية لغرض فني أو جمالي، كما حددت منذ القدم موقفها من المعرب والدخيل فلم ترفضه رفضاً باتاً ولم تتوسع في قبوله يغزوها دون قيد أو شرط بل أجرت عليه في الغالب تعديلات اكتسبت به الألفاظ المعربة روحاً عربية تسمح لها بالعيش بين الألفاظ العربية الخالصة

(١) انظر هذا البحث ص ١٠.

دون تنافر أو نبو.

ثم كان نزول القرآن الكريم تتويجاً لما وصلت اليه العربية من نضج ونمو، فعكس في ألفاظه وتراكيبه كل الخصائص اللغوية الدقيقة التي وصلت اليها العربية عبر حياتها الطويلة، بل لقد أضاف اليها القرآن الكريم زاداً جديداً وأظهر كل قدراتها اللغوية في التعبير والتصوير، ومن ثم اعتبر الباحثون قديماً وحديثاً أن أهم حدث في تاريخ هذه اللغة هو نزول القرآن الكريم وظهور الاسلام(١).

ولم تكن العربية حتى نزول القرآن الكريم وقبل الفتح الاسلامي إلا لغة الاعراب المقيمين في شمال جزيرة العرب والمتناثرين في بعض مناطق بادية الشام والعراق، كما كانت لغة سكان مدن شمال شبه الجزيرة العربية، ولم يكن هؤلاء البدو والحضر أصحاب حضارة راقية اذا ما قورنوا بالمناطق المجاورة لهم في الشام والعراق ومصر، اذ لم تكن العربية من الناحية الحضارية والفكرية ذات قيمة ظاهرة أو معروفة حينئذ. ولكن بالإسلام والقرآن بدأت مرحلة جديدة في تاريخ هذه اللغة وهي ما زالت بعد لم تغادر موطنها الأصلي، بدأت تلك المرحلة في الفكر والعقل أولاً ثم انعكس ذلك كله في اللغة اذ هي وعاء الفكر ودليله.

وقد جسد القرآن الكريم بحق هذين الجانبين من طبيعة اللغة بشكل معجز، فقد حوى هذا الكتاب الكريم كل الأفكار والمباديء والتعاليم السامية التي أتى بها الإسلام بطريقة عكست الخصائص الأصيلة للعربية كما وصلت اليها في تلك المرحلة ولكن في أسلوب فاق طاقة البشر، ومن هنا تأكدت رابطة وثيقة بين العربية والإسلام، يقول يوهان فك « لم يحدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام ففي ذلك العهد عندما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بني وطنه

---

(١) الباقلاني، اعجاز القرآن ص ١٩، ٣٥. وانظر أيضاً يوهان فك، العربية ص ١ وما بعدها.

بلسان عربي مبين تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة[1].

وقد تحقق هذا الأثر في الفكر العربي أولاً ثم ظهر في العربية بعد ذلك إذ قضى الإسلام فكرياً على الوثنية الجاهلية بكل ما طوى فيها من كهانة وشعوذة وسحر وخرافة فحرر العقل العربي من تلك الحماقات والأوهام ثم أكد الاسلام ذلك بدعوته إلى تحكيم العقل في معرفة الله سبحانه وتعالى الذي أنشأ الكون ودبر نظامه وذلك بدعوة الإنسان العاقل بالتأمل في ملكوت السموات والأرض.

وكان لابد للعربية أن تستجيب لهذه الدعوة أو الثورة الفكرية وتستعد لمواجهة ما ترتب عليها من احتياجات لغوية فأخذت تطرح عن نفسها ما شابها من الفكر الجاهلي ممثلاً في بعض الألفاظ والتراكيب التي لم تعد تستعمل نتيجة للتغير الفكري الذي أحدثه الإسلام، يقول ابن فارس « كانت العرب في جاهليتها على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشراط شرطت فعفى الآخر على الأول وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات وطلب الأرباح والكدح للمعايش في رحلة الشتاء والصيف وبعد الاغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وبالتفقه في دين الله ـ عز وجل ـ وحفظ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اجتهادهم في مجاهدة اعداء الاسلام »[2].

---

(١) العربية ص ١.

(٢) ابن فارس، الصاحبي ص ١٧٨.

ويحدد لنا الجاحظ بعض سمات هذا التغير اللغوي الذي طرأ على العربية بسبب الإسلام ممثلاً في سقوط بعض الألفاظ والتراكيب من الاستعمال فيقول « ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كثيرة، فمن ذلك تسميتهم للخراج اتاوة وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان الحلوان والمكس ، كما تركوا انعم صباحاً وانعم ظلاماً، وصاروا يقولون كيف أصبحتم وكيف أمسيتم، كما تركوا أن يقولوا للملك أو السيد المطاع أبيت اللعن، وقد ترك العبد أن يقول لسيدة ربي، وكذلك حاشية السيد والملك تركوا أن يقولوا ربنا(١).

ويقول أيضاً « ومن الكلام المتروك والتي زالت أسماؤه مع زوال معانيها المرباع والنشيطة وبقي الصفايا، فالمرباع ربع جميع الغنيمة الذي كان خالصاً للرئيس وصار في الإسلام الخمس على سنة الله تعالى وأما النشيطة فانه كان للرئيس إن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلاه وبقي الصفي، وكان لرسول الله ﷺ من كل مغنم »(٢). ويقول ابن فارس ان الصفي أيضاً زال بعد وفاة الرسول عليه السلام(٣).

ومما ترك أيضاً من الألفاظ تسمية من لم يحج صرورة لقوله عليه الصلاة والسلام لا صرورة في الإسلام قال أبو عبيد الصرورو التبتل وترك النكاح أي ليس ينبغي لأحد أن يقول لا أتزوج لأنه ليس من إخلاق المؤمنين وهو فعل الرهبان، والصرورة أيضاً الذي لم يحج قط وأصله من الصر أي الحبس والمنع(٤).

---

(١) الجاحظ، الحيوان ١/٣٢٧ ـ ٣٢٨
وانظر أيضاً ابن فارس، الصاحبي ص ٩٠ ـ ٩١.
والسيوطي، المزهر ١/٢٩٧.
(٢) الحيوان، ١/٣٣٠.
(٣) الصاحبي ص ٩٠، المزهر ١/٢٩٧.
(٤) ابن الأثير، النهاية ٢/٢٥٨.

ويقول الجاحظ « ومن الأسماء المحدثة التي قامت مقام الأسماء الجاهلية قولهم في الإسلام لمن لم يحج صرورة وأنت إذا قرأت أشعار الجاهليين وجدتهم قد وضعوا هذا الاسم على خلاف هذا الموضع، قال ابن مقروم الصبي:

لو أنها عرضت لأشمط راهب   عبد الإله صرورة متبتل
لدنا لبهجتها وحسن حديثها   ولهمّ من تامورة يتنزل[1]

فالصرورة في الجاهلية يختلف مدلولها عنها في الإسلام فهي في الجاهلية التبتل والتعبة وترك النكاح أو اللواذ بالكعبة خوفاً من انتقام أو عقاب لجرم[2] فلما جاء الإسلام تبدلت الدلالة فأصبحت تدل على من لم يحج إما لعجز أو تضييع كما قال الجاحظ[3].

ومما كره استعماله أيضاً من التراكيب بعد الإسلام قول القائل « خبثت نفسي » لأن المؤمن لا يصح أن ينسب الخبث الى نفسه، كما كره أيضاً أن يقال « استأثر الله بفلان »[4] ومن التراكيب أيضاً التي كانت تستعملها العرب ثم سقطت من الاستعمال بمجيء الإسلام قولهم « حجراً محجوراً » وكان هذا التعبير يستعمل عندهم للدلالة على معنيين:

١ ـ عند الحرمان والمنع فكان إذا سئل أحدهم شيئاً قال « حجراً محجوراً »، فيعلم السامع أنه لن يعطيه شيئاً أي سيحرمه.

٢ ـ الاستعاذة وكان الإنسان منهم إذا سافر فرأى ما يخافه قال « حجراً

---

(١) الجاحظ، الحيوان ١/٣٤٧.
وانظر أيضاً ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١/١٦٢. حيث ينسب ابن قتيبة هذه الأبيات للنابغة الذبياني ويقول إن ابن مقروم أخذها من النابغة.
(٢) ابن الأثير، النهاية ٢/٢٥٨.
(٣) الحيوان ١/٣٤٧.
(٤) المصدر السابق ١/٣٣٥، والصاحبي ص ٩٢ ـ ٩٣.

محجوراً » أي حرام عليك التعرض لي(١).

وقد استعمل القرآن الكريم هذا التعبير في حكاية قول الكذابين يوم القيامة قال تعالى « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً »(٢).

على هذه الصورة أسقط الإسلام أو بمعنى آخر الفكر الجديد كلمات وتراكيب من العربية لم تعد تصلح للتعبير عن هذا الفكر، فالكلمة كما يقول درمستيتر Darmesteter « لا مبرر لوجودها إلا بما تقوله للعقل وعندما لا تقول الكلمة شيئاً فإن اللغة تهملها »(٣) وعلى ذلك لم تعد كلمات مثل: اتاوة، حلوان، مكس، المرباع، النشيطة تعني شيئاً لأن الإسلام غير من القيم الفكرية والاجتماعية للمجتمع الجاهلي وبالتالي توقفت تلك الكلمات عن الحياة بل إن الدعاء « أبيت اللعن » وهو دعاء يتردد كثيراً في الشعر الجاهلي أصبح مهملاً لأن الإسلام نهى عن التشاتم والتلاعن.

وكما سقطت ألفاظ من الاستعمال نجد أيضاً أن الاسلام عدل من دلالة بعض الألفاظ وأضاف إليها دلالات جديدة لم تكن شائعة الاستعمال، فترك العبد أن يقول لسيده ربي وكذلك حاشية الملك أن يقولوا ربنا لأن دلالة كلمة الرب اختلفت بعد الإسلام حقاً ما زلنا نقول حتى الآن: رب الدار وربه البيت ولكننا نعرف ونحدد بالإضافة الدلالة التي نقصدها، حتى إذا ما قلنا الرب أو ربي أو ربنا انصرف الذهن مباشرة إلى الخالق سبحانه وتعالى دون سواه، ولم يكن الأمر كذلك في الجاهلية، وقد لاحظ أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ) الفرق بين دلالة كلمة الرب في الإسلام والجاهلية فقال عند تحليله للفظة الرب: « الرب المالك والسيد

---

(١) الصاحبي ص ٩٣.
وأنظر أيضاً المزهر ١/٢٩٨.

(٢) سورة الفرقان آية ٢٢ ـ ٢٥.

(٣) La Vie des mots p. 154.

والرب في كلام العرب هو المالك يقال هذا رب الدار ورب الضيعة ورب المملوك ويقال ذلك في كل مالك لشيء. . . ولا يقال للمخلوق هو الرب معرفاً بالألف واللام كما يقال لله عز وجل بل يعرف بالإضافة فيقال رب الدار ورب البيت وغير ذلك، لأنه لا يملك غير ذلك الشيء، فإذا قيل الرب معرفاً بالألف واللام دلت الألف واللام على العموم واستغنى بذلك عن الإضافة لأنه عز وجل رب كل شيء ومالكه فلا يضاف إلى شيء فيختص به دون غيره لأنه لا يملك غيره »[1].

ودلالة الرب بمعنى مالك كل شيء ومدبره والقائم عليه فكرة تجريدية إسلامية للدلالة لم تكن للفظ قبل الإسلام، واللفظة في الحقيقة سامية قديمة شاعت في اللغات العبرية والآرامية والسريانية والحبشية، ولم تكن هذه الدلالة المجردة لها من قبل وإنما كانت تدل على السيد والمالك والرئيس والشيء يكثر ويزيد ويعظم[2] حتى جاء الإسلام فأضاف إليها تلك الدلالة الجديدة التي عرفت بها في الإسلام.

ومثل هذا أيضاً نلحظه في بقية أسماء الله الحسنى التي نطق بها القرآن الكريم فمعظمها نقل من الدلالة الحسية المادية إلى دلالة مجردة تتناسب مع ما وصف به القرآن الكريم الله عز وجل قال « ليس كمثله شيء » وهو منحى من التجريد الفكري لم يكن مألوفاً لدى العرب. وبالتالي لم يكن في العربية ما يدل عليه سوى تلك الألفاظ التي اتسمت بالحسية والمادية شأنها في ذلك شأن اللغة عندما تتعامل مع الواقع المادي دون الفكر وكذلك كان كثير من مفردات العربية قبل الإسلام ولكن القرآن الكريم رفع هذه الألفاظ من طينه الحس إلى آفاق التجريد عندما وصف بها الله سبحانه

---

(١) أبو حاتم الرازي، الزينة ٢ /٢٧.

(٢) Gesenius, op. cit. pp. 912 - 913.

وأنظر أيضاً تاج العروس مادة ربب.

وتعالى ونـأخذ على ذلك مثالاً آخر ممثلاً في لفظة الصمد في قوله تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد »[١].

قال عكرمه ومجاهد في تفسير لفـظة الصمد « الصمـد الذي لا جـوف له »[٢] والمصمد في كلام العرب هو الذي ليس بأجوف قال طرفه:

وأروع نباض أحذ ململم كمرداه صخر في صفيح مصمد[٣]

وقال الجوهري المصمد لغـة في المصمت وهو الـذي لا جوف لـه[٤]. وقال أبو حاتم الرازي إن هذا ليس من صفاته عز وجل بـل الأصل في المصمـد انـه السيد المتنـاهي في السؤدد حتى لا سيد فـوقه وهـو الـذي يصمـد اليـه الخلائق في حوائجهم وينتهون إليه في أمـورهم، يقال صمـد نحوه صمـداً والصمد الاسم[٥] قال الأسدي:

لقـد بكـر النـاعي بخيـري بني أسـد
بعمـرو بن مسعـود وبـالسيـد الصمد[٦]

ولاشـك أن الأصل الحسي لمـادة صمد هـو ما ذكره عكرمـة ومجاهـد أمـا الصمد بمعنى السيد فهو من الدلالات المجـردة، ولكن الراغب الأصفهـاني (ت ٥٠٢ هـ) ينطلق من الأصل الحسي للمادة ليقسم الصمد بمعنى الذي ليس بأجوف الى شيئين:

١ ـ أحدهما لكونه أدون من الإنسان كالجمادات.

٢ ـ والثاني أعلى منه وهو الباريء والملائكة[٧].

---

(١) سورة الاخلاص آية ٢.
(٢) كتاب الزينة ٤٣/١. وانظر تاج العروس مادة حمد.
(٣) كتاب الزنية ٤٣/١، وانظر أيضاً الزوزني، شرح المعلقات ص ٤٩.
(٤) الصحاح مادة حمد.
(٥) الزينة ٤٣/١، وانظر أيضاً تاج العروس مادة صمد.
(٦) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٧) المفردات في غريب القرآن ص ٢٨٨.

ومن ثم أطلق القـرآن الكريم عـلى الذات الالهيـة الصمد تنبيهـاً أنـه بخـلاف من أثبتوا لـه الألوهيـة لأن آلهة العـرب كانت مـادية جـامـدة أي مصمتـة ذات جرم وجسم وتعـالى الله أن يكون كـذلك وعـلى ذلـك أيضـاً أضاف القرآن إلى اللفظ تلك الدلالة المجـردة بعداً عن تصـور العرب ومـا قـد تثيره اللفـظة في عقولهم من معـان قديمـة[1] ويدل عـلى ذلك مـا ذكره القرطبي (ت ٦٧١ هـ) عند تفسير الآية حيث قال إنها نزلت جـواباً لأهـل الشرك عندما سألوا الرسول عليه السلام أن يصف لهم ربه أهـو من ذهب أم نحاس أم صفر فأنزل الله تعالى رده عليهم بقول « قل هو الله أحـد الله الصمد »[2].

على هذا النسق سـار القرآن الكـريم في بقية أسماء الله الحسنى حيث نلمس كيف جرد الإسلام هذه الألفاظ التي وصف بها القرآن الله سبحـانه وتعالى من الدلالة الحسية المتداولة في بيئة العرب إلى دلالات أخـرى مجردة لم يكن للعرب ولا للعربية عهد بها من قبل[3].

ولم يقف تأثير الاسلام كفكر جديد في البيئة العربية الجاهلية عند حـد إسقاط بعض الألفاظ والتراكيب من الاستعمال أو اضـافة دلالات جـديدة الى ألفاظ عرفها العرب بل لقد استحدث نوعاً آخر من الدلالات أضافهـا أيضـاً إلى ألفاظ اعتـاد العرب استعمـالهـا عـلى غـير المعنى الـذي جـاء بـه الإسـلام ومن ثم نسخ معـانيها القـديمة ولـم تعد تستعمـل إلا في المعـانى الإسلامية و أهم تلك الألفاظ مما اتصل بشعائر الاسلام وعبـاداته وهـو ما اصطلح عند القدماء عـلى تسميته بـاسم « الألفاظ الإسـلامية » نـظراً لأن الإسلام جدد من دلالتها. قال الجاحظ « ومن المحدث المشتق اسم المنـافق

---

(١) راجع كتاب الزينة ٤٤/١.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٢٠.

(٣) أنظر على سبيل المثال الفاظ مثل: الواحد، الأحد، الظاهر، الباطن، الباريء، المصور، السلام، المؤمن في الجزء الثاني من كتاب الزينة صفحات ٣٢، ٤٩، ٥٩، ٦٣، ٧٠.

لمن تراءى بالإسلام واستسر بالكفر، أخذ ذلك من النافقاء، ومثل ذلك الشرك والكفر ومثل التيمم قال تعالى « وتيمموا صعيداً طيباً » أي تحروا ذلك وتوخوه. . . فكثر هذا في الكلام حتى صار التيمم هو المسح نفسه »[1].

وقال أبو حاتم الرازي « وكذلك أسماء كثيرة مثل الأذان والصلاة والركوع والسجود لم تعرفها العرب إلا على غير هذه الأصول لأن الأفعال التي كانت هذه الأسماء لها لم تكن فيهم وإنما سنها النبي ﷺ وعلمها الله إياه فكانوا يعرفون الصلاة أنها الدعاء قال الأعشى في صفه الخمر « فإن ذبحت صلى عليها وزمزم » أي دعا لها وعلى هذا كانت سائر الأسامي »[2].

وقال ابن فارس ومما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق وإنما عرفت العرب المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمى المؤمن بالاطلاق مؤمناً كذلك الإسلام والمسلم وإنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والسترة فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه وكان الأصل من نافقاء اليربوع ولم يعرفوا من الفسق إلا قولهم فسقت الرطب إذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بأن الفسق الأفحاش في الخروج عن طاعة الله عز وجل ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود وإن لم يكن على هذه الهيئة ومثل ذلك في ألفاظ الصيام والحج والزكاة[3].

---

(١) الحيوان ١/٣٣٢.
(٢) كتاب الزينة ١/١٤٦ ـ ١٤٧.
(٣) انظر الصاحبي ص ٧٩ ـ ٨١، وانظر أيضاً السيوطي المزهر ١/٢٩٤ ـ ٢٩٦.

من هذه المجموعة من الألفاظ التي ذكرها الجاحظ وأبو حاتم الرازي وابن فارس نلاحظ ما يأتي :

١ ـ أولاً من الناحية اللغوية الخالصة نلاحظ **أن** معظم هذه الألفاظ قد تم تحويل دلالتها من معانيها القديمة **إلى** معان جديدة دون تغير في صيغتها .

٢ ـ **أن** بعضها اشتق ولم يكن من قبل معروفاً بهذه الصيغة أو الدلالة مثل المنافق .

٣ ـ من الناحية الفكرية نجد أن هذا التغير الدلالي قد ترتب عليه نوع من السلوك يتصل بالعقيدة فكراً وعملاً .

وعلى ذلك أخذت العربية تتحول من لغة كانت تعيش في حدود الحياة الصحراوية للعرب قبل الإسلام إلى لغة تخطط لمستقبل حياة من نوع جديد كما بدأت بهذا التغير الدلالي الخطوة الأولى لوضع الأسس الكفيلة ببناء تشريع منظم ، فبهذا النوع من الألفاظ التي استخدمها القرآن وجاء بها الإسلام أخذت اللغة العربية تتجه في عقول المسلمين وفكرهم إلى أن تكون لغة علمية تحدد بها الفكرة تحديداً واضحاً وذلك لاستنباط الأحكام التي يراد فهمها وتطبيقها ، والحكم كما نعلم لا يخاطب الوجدان عادة وإنما يخاطب العقل الذي هو مناط التفكير ودعامة الاقناع ووسيلة الفهم وفي سبيل استنباط الحكم وتحديد طريقة تطبيقه بدأت العربية بهذه الكلمات الإسلامية خطواتها الأولى نحو تخليق مصطلح علمي إسلامي لا يتصل بأحكام الدين ومفاهيمه فقط بل ليشمل بعد ذلك كل نواحي النشاط العلمي والحضاري الذي نبت وازدهرت تحت راية الإسلام .

ولم يقف تأثير الإسلام على العربية عند هذا الحد من توليد هذه الألفاظ الجديدة أو التوسع في دلالتها والتي اشتهرت بين العلماء قديماً ، وإنما

كانت له آثار لغوية أخرى ظهرت في العديد من التراكيب الجديدة التي التفت إليها الثعالبي (ت ٤٣٩ هـ) وأثبتها في كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب.

وتتكون هذه التراكيب غالباً من إضافة لفظ الإسلام إلى مجموعة من الألفاظ الأخرى لتعطي دلالات جديدة لم تكن تعرفها العربية من قبل، فلفظ الإسلام نفسه من الألفاظ المستحدثة في العربية للدلالة على هذا الدين الجديد قال أبو حاتم الرازي « الإسلام هو اسم لم يكن قبل مبعث النبي وانما عرفت العرب من الإسلام معنى إسلام الشيء ولم تعرف من اللفظ هذه الدلالة على هذا الدين[١].

ولعل هذا ما لفت نظر الثعالبى فأخذ يتتبع التراكيب التي دخل فيها هذا اللفظ بهذه الدلالة المستحدثة في العربية فذكر من ذلك التراكيب الآتية:

١ ـ سهم الإسلام يقولون إذا مررت بقوم فابدأهم بسهم الاسلام وهو السلام عليكم ورحمة الله.

٢ ـ قبة الإسلام وأطلق على مدينة البصرة زمن عمر بن الخطاب ثم على مدينة بغداد.

٣ ـ بيضة الإسلام أي مجتمعة وحوزته.

٤ ـ خضاب الإسلام ويطلق على الحناء[٢].

ومما يتصل بلفظ الإسلام لفظ المسلمين ويذكر الثعالبى أيضاً من التراكيب التي استعمل فيها هذا اللفظ ما يلي:

---

(١) كتاب الزينة ١٤٦/١.
وأظر أيضاً ابن فارس، الصاحبي ص ٧٩.
(٢) الثعالبي، ثمار القلوب ص ١٦٣ ـ ١٦٥.

١ ـ عصا المسلمين قال أبو عمرو بن العلاء شق فلان عصا المسلمين إذا فرق جمعهم.

٢ ـ حلوبة المسلمين أي فيئهم وخراجهم.

٣ ـ جناح المسلمين ويقال لبريد المسلمين لما كان يتطاير به من الأخبار(١).

كذلك نجد تراكيب جديدة أضيفت إلى لفظ الجلالة منها ما نطق به القرآن ولم تكن العرب تعرفها ومنها ما وضع على غرارها، فمن النوع الأول نجد:

١ ـ رسول الله للنبي عليه الصلاة والسلام «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة».

٢ ـ نار الله قال الجاحظ كل شيء إضافه الله تعالى الى نفسه فقد عظم شأنه وشدد أمره.

٣ ـ ناقة الله قال تعالى «ناقة الله وسقياها».

٤ ـ يد الله قال تعالى «يد الله فوق أيديهم»(٢).

ومن النوع الثاني تراكيب كثيرة وضعت قياساً على هذه التراكيب التي نطق بها القرآن الكريم مثل: كتاب الله ـ خليل الله ـ روح الله ـ أرض الله ـ أسد الله ـ سيف الله ـ ظل الله ـ شمس الله ـ ستر الله ـ باب الله. وغير ذلك مما أحصاه الثعالبي في كتابه ثمار القلوب(٣).

على أن أثر الإسلام لم يقف عند هذه الحدود اللغوية التي تمثلت في خلق ألفاظ وتراكيب جديدة وإنما كان لهذا الدين وكتابه الكريم آثار لغوية أبعد غوراً وأكثر عمقاً في حياة العربية، ولعل أول أثر من آثار الإسلام في

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٨، ٢٦، ٢٩، ٣٣.

(٣) المصدر السابق ص ١٠ وما بعدها.

هذا الشأن أنه جمع العرب على لهجة قريش التي نزل بها القرآن الكريم، حقاً كانت هذه اللهجة تسود القبائل الشمالية في الجاهلية غير أن هذه السيادة لم تكن تامة إذ كان الشعراء هم الذين يستخدمونها غالباً أما قبائلهم فكانت تلوك لهجات تختلف عن اللهجة القرشية قليلاً أو كثيراً حسب قربها أو بعدها عن مكة[1] وظل الأمر على هذا الحال حتى جاء الإسلام ونزل القرآن بلهجة قريش، والحق أن القرآن لم يؤثر هذه اللهجة على غيرها من لهجات العرب عبثاً وإنما لأن هناك أسباباً موضوعية لهذا التفضيل منها ما ذكره القدماء.

قال ابن فارس «**إن قريشاً أفصح العرب السنة وأصفاهم لغة وذلك** أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمد ﷺ فجعل قريشاً قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته فكانت وفود القبائل من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ويتحاكمون **إلى قريش في أمورهم** »ثم يقول « **فكانت قريش مع فصاحتها** وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك **أفصح العرب**»[2].

وفي قول ابن فارس كثير من الأسباب الموضوعية التي من أجلها اختار القرآن لهجة قريش أو كما يقول اللغويون المحدثون اللغة المشتركة ثم لا يبعدون كثيراً عما قاله ابن فارس في أسباب نشأة هذه اللغة المشتركة بل يضيفون إليها أسباباً أخرى، كاجتماع العرب في الأسواق للتجارة وانشاد الشعر وينتهي هؤلاء الباحثون إلى أن القرآن الكريم لا يمثل لهجة قريش

---

(١) السيوطي، الاقتراح ص ١٩.
(٢) الصاحبي ص ٥٢.

وحدها وإنما يمثل اللغـة المشتركـة بين العـرب جيمعاً كـما جاءت في الأدب القديم من شعر وخطابة(١).

ومهـما يكن من أمر فقـد نزل القـرآن الكريم بلهجـة قـريش أو بتلك اللغـة المشتركـة فزاد من الـوحدة اللغـوية في الجـزيرة العـربية وعمـل على تقريب ما بين هذه اللهجات من فروق واستكمال السيادة لهـذه اللغة، إذ أخـذ العرب يتلونـه أناء الليـل وأطراف النهـار حتى أخـذت هـذه اللغـة المشتكرة تعم وتسود حتى بين القبائل الجنوبية المتغلغلة في الانحاء الداخلية للجزيرة العربية.

أما الأثر الثاني للإسلام بعد هـذه الوحـدة اللغويـة فيتمثل في حفـاظه عـلى اللغة العـربية حتى اليـوم وهو أثـر سنلمسه بـوضوح خـاصة في تلك العصور التي أحاط فيها الجمود بالعربية ابان العصر العثماني حيث سنـرى كيف حمى الإسلام العربية من الضياع والاندثار(٢) فالتاريخ اللغوي يحدثنا عن كثير من اللغات اندثر أصحـابها بـاندثـار حضارتهم، فـاللغة الفينيقيـة واللغـة الآشوريـة واللغة المصـرية القـديمة وغيـرها من لغـات الحضـارات القــديمـة لا تكــاد تعـثر عليهــا إلا في أروقـة المتــاحف وبــطون الكتب والمخـطوطات ذلـك لأن اللغة كـما رأينا في الفصـل الأول من هذا البحث تخضع لعوامل كثيرة تؤدي إلى حياتها أو موتها ولكننا إذا نظرنـا إلى العربيـة وجـدناهـا تطوي هـذه القرون الـطويلة وتقطع هـذا الزمن الممتـد وتمتـزج بغيرها من اللغـات والثاقـافات القـديمة والحـديثة، بـل لقد جـاءت عليها فترات كانت بـلا سلطان سياسي أو قـوة حضاريـة تحميها ومـع ذلك فقـد بقيت حتى اليـوم، ولابد أنها ستبقى مـالم تتبدل سنن الحيـاة واللغـات أمـا السـر في ذلـك فهـو أنها لغـة القـرآن، وليس من العسـير تصـور ذلـك إذا

---

(١) راجع د. إبراهيم أنيس، مستقبل اللغة المشتركة ص ٩ ـ ١٠.

(٢) انظر البـاب الثالث من هـذا البحث.

تصورنا ما للقرآن من منزلة سامية في نفوس المسلمين وإيمانهم بإعجازه ذلك لأن الإعجاز القرآني جزء من مقتضيات الإسلام يستلزم بالضرورة المحافظة على لغة القرآن لأنها المرجع في حفظه والسبيل إلى فهم أسرار هذا الإعجاز ودقائقه.

وعلى ذلك ارتبطت العربية بالقرآن وبالإسلام حتى أصبح الهجوم عليها كلغة يعني الهجوم على القرآن والإسلام والدفاع عنها يعني أيضاً الدفاع عن القرآن والإسلام يضاف إلى هذا كله ارتباط القرآن بالتشريع الذي كان قوام حياة الإسلام، يقول كارل نللينو «لقد كان للقرآن من التأثير العظيم الذي لا يقدر مقداره في حياة الأمم الإسلامية وآدابهم وعلومهم وهو أكبر من تأثير الإنجيل في النصارى ربما لأن مدار الإنجيل ليس إلا على العقائد والأخلاق خلافاً للقرآن الذي يتضمن أيضاً أحكاماً فقهية أساسية لا يجوز للمسلم الانصراف عنها في التشريع[1].

كل هذا أعطى العربية أسباب البقاء والقوة وأتاح لها لا أن تنتشر في العالم الإسلامي فحسب بل أن تحفظ وتظل على مر العصور، كما جعلها ذلك تكتسح ما لقيت من اللغات فاتخذتها شعوب كثيرة لساناً لها فأصبحت بعد فترة وجيزة اللسان الأدبي من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسي وأصبحت تلك الشعوب تعبر بها عن مشاعرها وأفكارها وكل ذلك يعود في الحقيقة إلى القرآن والإسلام.

بل لعله يمكن القول أيضاً أن الإسلام حافظ على اللغة العربية داخل الجزيرة العربية نفسها، فنحن نعلم أن هذه اللغة قبل الإسلام كانت محصورة في شبه الجزيرة العربية وما يليها من بعض المناطق على مشارف الشام والعراق وهي المنطقة التي كانت تحت سيطرة المناذرة الذين يدينون بالولاء للفرس ثم للغساسنة الذين يخضعون للبيزنطيين يضاف إلى تغلغل

---

(١) انظر نالينو تاريخ الآداب العربية ص ٨٢.

هذا النفوذ الأجنبي انعدام الوحدة السياسية داخل الجزيرة العربية وكذلك الوحدة اللغوية إلا من هذه اللغة المشتركة لغة الأدب والشعر.

وكان نفوذ الحبشة في اليمن وجنوب الجزيرة العربية آخذاً في الازدياد وكان من المحتمل أن يؤدي ذلك إلى انتشار الحبشية في تلك المناطق لو استمر النفوذ الحبشي السياسي فيها، وفي الشمال كان نفوذ الفرس والروم قوياً ممثلاً في إمارتي الحيرة والغساسنة وكان هذا النفوذ السياسي وما يتبعه من نفوذ حضاري يدفع بالثقافتين الفارسية واللاتينية إلى السيطرة على العربية، فما الذي حال دون أن يحدث ذلك كله من تهديد للعربية بهذا السلطان السياسي المتعدد الألوان وهذا الصراع اللغوي الذي ترك آثاره في لغه الشعر الجاهلي ؟ .

لاشك أن العرب قبل الإسلام لم يفعلوا كثيراً لدفع هذا الخطر عنهم وإنما حدث هذا البقاء للعربية بفضل الإسلام الذي ظهر فقوى من هذه اللغة المشتركة بنزول القرآن الكريم وبالتالي أزال الخطر الذي كان يهدد العربية من اللغات الأخرى كالحبشية والفارسية بقيام الاسلام بل تحولت كفة الميزان لصالح العربية فاستولت على ما كان بين أيدي الفرس والروم من ممالك وأقطار.

أمر ثالث يتصل أيضاً بالعربية وهو في الوقت نفسه وثيق الصلة بالإسلام والقرآن وهو ظهور تراث لغوي وديني جديد في حياة العربية بجانب القرآن وهو الحديث النبوي الشريف وترجع أهمية الحديث إلى أن القرآن كان يذكر أصول الدين الاسلامي وأحكامه مجمله دون تفصيل وكان الحديث النبوي الذي فصل ذلك، فالقرآن مثلاً لم يذكر التكاليف العملية والأحكام المترتبة على دلالات بعض الألفاظ الجديدة التي أتى بها القرآن مثل الصلاة والزكاة والحج وهي من أهم أركان الاسلام بل اكتفى بقوله أي القرآن « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وجاء الحديث ليفصل

أوقات الصلاة وكيفياتها كما فصل القواعد والأسس التي يجب اتباعها في جمع الزكاة[١].

والصلاة والزكاة أمران فقط من أمور كثيرة تناولتها السنة النبوية بالبيان والشرح حتى ليصح القول بأن السنة تبين أحكام القرآن الكريم بياناً لغوياً كما تدل عليه ألفاظه وتراكيبه وخاصة تلك الألفاظ التي بدل الإسلام من دلالتها وفي نفس الوقت توضح المباديء الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية والسلوك العملي المترتب على هذه الدلالات الجديدة التي أتى بها القرآن الكريم.

لذلك لم يكن عبثاً ذلك الاهتمام الشديد الذي وجهه القدماء لدراسة ألفاظ الحديث فيما عرف عندهم باسم غريب الحديث[٢]. ومثل ذلك أيضاً ما قاموا به بالنسبة لألفاظ القرآن فيما عرف عندهم باسم غريب القرآن[٣]. وهو نوع من البحث الدلالي في ألفاظ القرآن والحديث وتطور استعمالها.

وهكذا أوجد الإسلام في البيئة الإسلامية المادة العلمية والأسس المنهجية لقيام علوم إسلامية وقد خاض علماء العربية وائمة اللغة هذا الميدان لأنهم اعتقدوا أن اللغة ليست إلا أداة للتعبير عن ظاهر اللفظ من كلام الله وتفسير معاني الألفاظ التي نطق بها القرآن والكلمات التي سنها النبي وقد أوجد هذا الاعتقاد في وظيفة الكلمة أثراً بالغاً في تطور الآراء والأفكار الإسلامية حتى أصبح من المتعذر على المسلمين أن يفكروا في

---

(١) راجع صحيح البخاي، كتاب الصلاة ١/٤٧ ـ ٧٢.
وانظر أيضاً باب وجوب الزكاة ١/١٥٥ وما بعدها.

(٢) ابن الأثير، النهاية المقدمة ١/٤ وما بعدها.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص ٣ ـ ٤.
وانظر أيضاً حلمي خليل، لغة أبي العلاء في رسالة الغفران ص ٢ ـ ١٨.

فصل العربية عن علوم الإسلام أو أن يفكروا في علوم إسلامية وعلوم شرعية دون استخدام اللغة العربية(١).

ومن هنا نشأت علاقة شبه عضوية بين العربية من ناحية والقرآن الكريم والسنة النبوية من ناحية أخرى وتمثل ذلك كله فيما يأتي :

١ ـ اللغة العربية باعتبارها اللغة التي نزل بها النص الديني.

٢ ـ القرآن الكريم باعتباره النص الذي استعمل هذه اللغة كما حوى أحكام ومباديء التشريع الاسلامي.

٣ ـ السنة النبوية من حيث هي المفسر والمبين للدلالات الجديدة الي جاء بها القرآن الكريم. ولكن بعض اللغويين القدماء قطعوا ما بين السنة والعربية عندما رفضوا الاستشهاد بالحديث النبوي بحجة أنه يروي أحياناً بالمعنى دون اللفظ(٢). والحق أن الحديث النبوي رغم موقف القدماء هذا يشكل مادة غنية وثروة قيمة لعالم اللغة حتى ولو لم يمثل حرفية النصوص التي نطق بها النبي عليه السلام لأنه في النهاية يتألف من ألفاظ وتراكيب عربية تفيد اللغوي فائدة كبيرة إذ هي على الأقل نصوص دونت منذ أكثر من عشرة قرون وفي درسها ما يلقي الضوء على نواح من تطور العربية تعين على فهم هذا التطور ورسم صورة واضحة له(٣).

وهكذا هيأ الإسلام للعربية هذا التراث الضخم من أحاديث الرسول كما هيأل لها من قبل أعظم أثر لغوي في حياتها وهو القرآن وقد استمدت العربية منهما أسباب القوة والنماء والانتشار إذ عاون الحديث القرآن في توسيع المادة اللغوية للعربية بما أشاعه من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن

---

(١) أبو حاتم الرازي الزينة المقدمة ص ١٧.

(٢) راجع البغدادي، خزانة الأدب ١/٤ ـ ٧.

(٣) راجع د. عبد المجيد عابدين النحو العربي ص ١٠٠.

تستخدم من قبل هذا الاتستخدام يضاف الى هذا أن الحديث شارك في إنشاء التراث الثقافي والعلمي في الإسلام فهو الدافع الحقيقي لنشأة الكتابة التاريخية لا في السيرة النبوية فحسب بل أيضاً في تراجم المحدثين للحكم لهم أو عليهم وقد كان المسلمون من أشد الأمم عناية بتواريخ رجالهم على نحو ما نعرف في مثل طبقات ابن سعد وغيره من أصحاب كتب التراجم والسير[1]. وقد هيأ لظهور علوم الحديث التي أمدت العربية بكثير من المصطلحات العلمية التي أضافت إليها زاداً جديداً من الألفاظ والمصطلحات حولتها من لغة بسيطة تنحصر مفرداتها فيما يتصل بحياة البادية الى لغة علمية وحضارية كما سنرى.

على هذه الصورة أثر الإسلام في حياة العربية ووجودها وتطورها بل واستمرارها وبقائها، ولعل هذه العلاقة بين اللغة والدين قد بدأت كما رأينا منذ رتل الرسول آيات القرآن الكريم وهو بعد في الجزيرة العربية وقد قدر لهذه العلاقة التي نشأت بين الإسلام والعربية أن تدخل في اختبارات طويلة بعد ذلك إبان الفتح الإسلامي وبعده ثم بعد انحسار الحضارة الإسلامية، كما قدر لهذه العلاقة أيضاً أن تمتحن على ألسنة الأعاجم والمولدين ممن أسلموا أو عاشوا في ظل الإسلام وعلى طول هذه المراحل التاريخية توثقت العلاقة بين العربية والإسلام وتوطدت وكانت في أكثر الأحيان وإبان الخطر هي الحصن الحصين الذي احتمت به العربية.

وفي الفصول التالية من هذا الباب سنرى أن العربية ظلت دائماً مدينة للإسلام ليس بالمعنى الديني فقط وإنما أيضاً بالمعنى الحضاري الشامل الذي انتهت إليه الحضارة الإسلامية ولكن كان على العربية قبل أن تستكمل هذا التراث الحضاري أن تمر بمرحلة الانتشار مع الفتوح الإسلامية والتي كان من نتائجها انضواء كثير من البشر من غير العرب تحت لواء الإسلام

---

(١) د. شوقي ضيف العصر الإسلامي ص ٤١.

وبالتالي أخذت العربية على ألسنة هؤلاء القوم ونيتجة للصراع مع لغاتهم الأصلية تدخل مرحلة جديدة من التطور وهو ما سنفرد له الفصل التالي من هذا الباب.

الفصل الثاني

العربية بين الأعاجم والمولدين

إذا نظرنا الى المجتمع العربي قبل الإسلام نجده مجتمعاً قبلياً انقسم فيه العرب إلى وحدات أساس تكوينها الأسرة الواحدة أو العديد من الأسر التي ترتبط فيما بينها برباط الدم أو الانحدار من أصل عرقي واحد. وقد ترتب على هذا الاعتقاد طائفة من التقاليد الاجتماعية كانت هي الدستور الذي ينظم حياة القبيلة الداخلية والخارجية، وكان حجر الزاوية في هذا الدستور هو العصبية القبلية التي تقوم على نصرة ذوي الأرحام والقربى أن ينالهم مكروه أو تصيبهم هلكة[1].

وكان من نتائج هذا الايمان بوحدة الدم والعرق أن وجدت طائفة من التقاليد نظمت العلاقة بين الطبقات الاجتماعية داخل القبيلة الواحدة والتي كانت تتكون في الحقيقة من ثلاث طبقات هي:

١ ـ **الصرحاء**: وهم أبناء القبيلة ذوي الدم النقي والذين ينتمون الى أب واحد ومنهم تتكون الطبقة الارستقراطية في القبيلة ولهم الشرف والرياسة.

٢ ـ **العبيد**: وكانوا يتألفون من عنصر عربي يمثله أسرى القبائل الأخرى ثم عنصر غير عربي من الرقيق والإماء الذين كانوا يجلبون من البلاد المجاورة للجزيرة العربية كالحبشة وما حولها.

---

(١) راجع ابن خلدون المقدمة ص ١٠٨.

٣ ـ **الموالي**: وكانت تتكون هي الأخرى من عنصرين أحرار وعبيد، فأما الأحرار فهم هؤلاء اللاجئون إلى القبيلة طالبين الحماية والنصرة وكانوا يسمون بالحلفاء وأما العبيد من هذه الطبقة فهم أولئك الذين اعتقهم سادتهم من نير الرق ولكنهم ظلوا مرتبطين بهم برباط الولاء، ويشير المعنى اللغوي لكلمة المولى لكل من هذين العنصرين المكونين لهذه الطبقة(١).

ولسنا في حاجة إلى القول بأن طبقة العبيد هذه كانت تعيش في حالة اجتماعية سيئة داخل هذا المجتمع الذي يؤمن بوحدته وجنسه إيماناً عميقاً إذ كانوا يستخدمون هذه الطبقة في أحط الأعمال وأدناها كالرعي وحراسة القوافل وغير ذلك من الأعمال التي يأنف السادة من القيام بها(٢).

ومع ذلك الحرص على الشرف ونقاء الدم فقد كان يحدث أحياناً أن يتزوج العربي من أمته ولكن المجتمع الجاهلي كان يرى في هذا الزواج زواجاً غير متكافىء ولذا أطلقوا على ثمرته اسماً خاصاً فسمى ابن العربي من الأمة هجيناً أو مولداً(٣).

وكان على الفرد من هذه الطبقة أن يبذل جهداً خارقاً لكي يعترف به داخل القبيلة وأمر عنترة بن شداد ليس ببعيد عنا إذ تمثل حياته نموذجاً لهذه الطبقة من الناس داخل المجتمع الجاهلي، ولعل هذا يفسر لنا لماذا كانت هذه الطبقات أسرع الطبقات الاجتماعية استجابة للإسلام إذ وجدوا لدعوته للمساواة بين السادة والعبيد رداً لكرامتهم وإنسانيتهم، كما كان في دعوته لتحرير العبيد وحض القرآن الكريم على ذلك أثر في تحرير كثير من الرقاب فانبرى كثير من الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر الصديق يفكون

---

(١) راجع تاج العروس مادة ولي.

(٢) راجع بندلي جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ص ١٧.

(٣) راجع تاج العروس مادة هجن ومادة ولد.

الرقاب بشرائهم وعتقهم كما فعل مع بلال الذي تبوأ مكانه سامية بين صحابة رسول الله وكان أول من ارتفع صوته بأذان في الإسلام[1].

وقد كان للهوة الواسعة التي تفصل بين هؤلاء العبيد وسادتهم أثرها في التقليل من الأثر اللغوي لهذه العناصر البشرية التي ضمت أصولاً أجنبية عن العرب، فكما كانوا يقلدون سادتهم في حياتهم الاجتماعية كانوا أيضاً يقلدونهم في لغتهم وخاصة من تربى منهم صغيراً بين القبائل العربية كعنترة وبلال، إذ لم تذكر المصادر القديمة أن أياً منهما كان يتكلم بلهجة تخالف العربية بل لقد وضع الرواة والنقاد العرب عنترة في طبقة واحدة مع كبار الشعراء من ذوي الدم الخالص كعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة[2].

ومع ذلك فالباحث لا يستطيع أن ينفي تماماً وجود بعض التأثيرات اللغوية التي ظهرت نتيجة لوجود بعض العناصر البشرية الأجنبية قبل الإسلام، يقول الجاحظ إن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميط الرزدق ويسمون المصوص الزور ويسمون الشطرنج الاشترنج وغير ذلك من الأسماء[3].

وكان صهيب بن سنان الرومي (ت ٣٨ هـ) صاحب رسول الله عربي الأصل ولكنه سبى صغيراً وعاش بين الروم ونشأ فيهم فكان ينطق العربية بلكنة رومية فيقول « إنك لهائن يريد إنك لحائن أي هالك »[4] ويدعو غلامه نخيس فيقول له يا ناس[5].

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ١/٣٣٦.
(٢) ابن سلام طبقات فحول الشعراء ص ١٢٨.
(٣) الجاحظ البيان والتبين ١/١٩.
(٤) البيان والتبين ١/٧٢.
(٥) ابن حجر الإصابة ١/٥١٥.

كما يروى عن سحيم عبد بنى الحسحاس وكان معاصراً للرسول عليه السلام وقتل حوالي ٣٣ هـ أنه كان يرتضخ لكنه حبشية[١] ومع ذلك فقد قال عنه ابن قتيبة « كان شاعراً محسناً »[٢] وقال ابن سلام (ت ٢٣١ هـ) « وهو حلو الشعر رقيق حواشي الكلام »[٣] ومع ذلك فلم يكن يحسن نطق بعض الأصوات العربية نطقاً صحيحاً، فقد أنشد عمر بن الخطاب قصيدته التي يقول فى مطلعها:

عميره ودع أن تجهزت غازياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

فقال له عمر: لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك فقال له ما سعرت يريد ما شعرت جعل الشين المعجمة سيناً غير معجمة[٤].

كما ينطق الكاف بدل تاء المخاطب فكان اذا أنشد الشعر قال « أحسنك والله » يريد أحسنت والله[٥]. وهذه هي طريقة صوغ الضمير المتصل للمفرد المتكلم في اللغة الحبشية[٦] وعلى الرغم من ذلك فقد كانت مثل هذه التأثيرات اللغوية من الضعف بحيث لم تؤثر في العربية تأثيراً واضحاً كما حدث بعد الفتح الإسلامي نظراً للقلة العددية لهؤلاء الأجانب في الجزيرة العربية قبل الفتح.

أما في عهد الفتوحات الاسلامية فقد كان الأمر جد مختلف اذ أخذ عدد هؤلاء الأجانب في الأزدياد مع انتشار الفتوح واتساعها وبالتالي بدأت العربية تدخل في صراع على ألسنة هؤلاء القوم، صراع مع لغات وعادات لغوية جديدة وصراع آخر تمثله الثقافات وألوان الحضارة التي عاش فيها

(١) البيان والتبين ١/٧١.
(٢) الشعر والشعراء ١/٤٠٨.
(٣) طبقات فحول الشعراء ص ١٥٦.
(٤) البيان والتبين ١/٧١ ـ ٧٢.
(٥) الشعر والشعراء ١/٧١ ـ ٧٢.
(٦) يوهان فك، العربية ص ١٣.

هؤلاء الأجانب قبل الفتح.

ففي النصف الأول من القرن الأول الهجري تمت معظم الفتوح الإسلامية ففتح العراق وكانت تسكنه بعض القبائل العربية من ربيعة ومضر وبعض الفرس بالاضافة إلى السكان الأصليين الذين كان فيهم نصارى يتكلمون الآرامية بلهجات مختلفة كما كان جمهور السكان من الزراع في تلك المنطقة يتكلمون النبطية(١). ثم أنشأ العرب مدينتي الكوفة والبصرة فأخذت تفد إليها عناصر لغوية متعددة من عربية وآرامية ونبطية ثم انضمت إليهم الفارسية بعد فتح فارس التي كان يسكنها بالإضافة إلى الفرس قليل من اليهود وبعض الروم الذين أسروا في الحروب الفارسية الرومانية(٢).

وقد كانت مقاومة الفرس للعرب والعربية مقاومة أمة لأمة أخرى إذ كان الفرس أصحاب حضارة متكاملة لها لغتها ودينها كما فتحت أيضاً الشام وكانت قد تداول عليها أمم ولغات مختلفة وحضارات متعددة من فينقيين وآموريين وكنعانيين كما غزاها الفراعنة واليونان والرومان وعند الفتح الإسلامي كان الشام إقليماً رومانياً يتكلم بلهجات آرامية ويدين بالنصرانية(٣) كما كانت تسكنه عناصر بشرية متعددة منها السوريون وهم أهل البلاد ثم الأرمن واليهود وبعض الرومان كما كانت تسكنه بعض القبائل العربية من غسان ولخم وجذام وكلب وقضاعة وطائفة من تغلب(٤). وكان هؤلاء العرب يتكلمون لغة هي مزيج من العربية والآرامية وكانوا يعدّون أنفسهم شاميين لا تربطهم بعرب الحجاز إلا العلاقات التجارية.

---

(١) المرجع السابق ص ١٤.

(٢) راجع أحمد أمين فجر الاسلام ص ٨٤.

(٣) د. حسن ظاظا الساميون ولغاتهم ص ٥٣ وما بعدها، وص ١١٠ وما بعدها.

(٤) السيوطي الاقتراح ص ١٩.

كما فتحت مصر ذات المدينة القديمة والوارثة لحضارة اليونان والرومان وبها الإسكندرية مجمع المذاهب الفلسفية والطوائف الدينية وملتقى الآراء الشرقية والغربية وكان يسكنها المصريون ومزيج من الأمم الأخرى كاليهود والرومان والدين السائد فيها المسيحية وفيها اصطدمت العربية باللغتين اليونانية والقبطية(١). كما فتحت بلاد المغرب وكانت ولايات رومانية تتكلم اللهجات البربرية ونظراً لوجود مستعمرات فينيقية للتجارة والنقل البحري على سواحل تلك البلاد كانت تستعمل لغة سامية وذلك قبل افتح الإسلامي بألفي سنة ومن ثم كان الامتزاج السامي الحامي من الناحية الجنسية واللغوية واضحاً في تلك البلاد(٢)، ثم فتحت أيضاً السند وبخارى وخوارزم وسمرقند ووصل المسلمون إلى حدود الصين وفي تلك المناطق كانت تعيش مجموعات بشرية من جنس واحد من حيث السلالة ومع ذلك فقد كانوا يتكلمون لغات مختلفة تنتمي في مجموعها الى العائلة الطورانية(٣). وفي الأندلس كان السكان يتكلمون قديماً لغة مجهولة الانتماء هي الإيبرية ثم تعرضوا للغزو الروماني فحلت الحضارة اللاتينية في أسبانيا ثم اجتاحها الغوط الغربيين والوندال والرومان ثم فتحها العرب(٤).

وقد سبب فتح العرب لهذه الممالك جميعاً عملية مزج قوية بين الأمة الغالبة والأمم المغلوبة وكانت اللغة العربية هي البوتقة التي انصهرت فيها الدماء والحضارات والثقافات المختلفة لهذه الأمم جميعاً، وكان الإسلام من ورائها يغذيها ويمدها بعناصر القوة فتصدت لهذه اللغات والأجناس جميعاً، وبذلك لم تعد الأمة الاسلامية أمة عربية، كما كانت في عهد الرسول عليه

(١) د. حسن ظاظا اللسان والإنسان ص ١٨٧.
وانظر أيضاً يوهان فك العربية ص ٢١.
(٢) د. حسن ظاظا اللسان والإنسان ص ١٨٥.
(٣) المرجع السابق ص ١٧٣، ص ١٧٧.
(٤) المرجع السابق ص ٢٩.

الصلاة والسلام بل كانت الأمة الإسلامية محصلة هذا الصراع الحضاري واللغوي الذي انتصر فيه الروم في بعض المواقع والفرس في مواطن أخرى فتركوا على الحياة الإسلامية ألواناً من حضارتهم وفكرهم ولكن العرب في النهاية انتصروا في شيئين هما: اللغة والدين فأما اللغة فقد سادت العربية معظم هذه الأمم جميعاً وانهزمت أمامها اللغات الأصلية لهذه البلاد وصارت هي لغة السياسة والعلم والمجتمع وظل هذا الانتصار حليف العرب في أكثر هذه الممالك حتى اليوم.

وأما الدين فقد ساد بعض هذه الأقطار تماماً وكل من بقي من سكان هذه البلاد على دينه الأصلي فقد اضطر الى تعلم العربية ليتعامل بها مع المجتمع الجديد، ولعل أهم ما يعنينا هنا هو ما أصاب العربية خلال تلك المعارك من تطور وأثر ذلك في حركة التوليد اللغوي.

والحقيقة الأساسية التي يمكن للباحث أن يخرج بها من استعراض ألوان هذا الصراع بشكل عام أن العربية لم تعد سليقة كما كانت في مهدها الأول في الجزيرة العربية إذ بدأت تلقن عن طريق التعليم فألفت بعض الكتب لتعليم هؤلاء الأجانب أصول العربية السليمة كما نرى بعض مظاهر التطور الذي اعتورها سواء في أصواتها أم مفرداتها أم صيغها وخاصة في اللهجات العامية التي انبثقت عن هذا التطور وطبعها كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية بطابعه الخاص، كما تغيرت دلالة ألفاظها بتغير الحياة الفكرية والاجتماعية سواء في بيئتها القديمة أم في البيئات الجديدة التي دخلتها، وقد كان لهذه العناصر البشرية المتعددة التي انتظمت في المجتمع الإسلامي بعد الفتح دور بارز في دفع عجلة التطور.

ففي القرن الأول الهجري كانت الطبقة الحاكمة عربية الأصل عاشت في البيئة الأصلية للعربية في الحجاز أو انتقلت مع انتقال الخلافة إلى الكوفة أو الشام حيث تمتعت بالثروة والجاه وكانت العربية الفصحى هي السائدة

في أواسط هذه الطبقة، بل لقد حرص بنو أمية على التمسك بها تمسكاً شديداً خاصة في مواجهة اللحن الذي بدأ يتسرب إلى طبقات أخرى.

وكانت الطبقة الوسطى غالباً تتكون من القبائل والجند المسلمين الذين اشتركوا في الفتح واستقر بهم المقام في البلاد المفتوحة وكانوا يأنفون من الاختلاط بأهل البلاد الأصليين ولكنهم ما لبثوا مع بداية القرن الثاني أن اختلطوا بالسكان الأصليين وكانوا يتكلمون العربية بشكل عام أما طبقة الموالي وكانت تمثل عامة الشعب في البلاد التي فتحها العرب فكانت تتكلم لغتها الأصلية وتتطلع إلى العربية باعتبارها لغة الحكم والسيادة والدين فحاولوا تعلمها والتكلم بها ومن ثم كان التأثير اللغوي لهذه الطبقة ضعيفاً خلال حكم بني أمية ومن هنا جاء حكم الجاحظ على دولة بني أمية بأنها كانت عربية إعرابية[1].

ولكن المصالح الاقتصادية والاجتماعية أخذت تتعقد وتتشابك بين الطبقة العربية الحاكمة ممثلة في حكام الأقاليم وبين رعاياهم من الفلاحين والعمال، ومن ثم أخذ هذا الحاجز اللغوي القائم على التعصب للعرب والعربية يسقط شيئاً فشيئاً وبالتالي بدأت تظهر لغة عملية للتحدث اليومي بين أفراد الجيش العربي الفاتح وبين المتعاونين معه من سكان الأمصار المفتوحة[2]. ولعل قصة تاجر الدواب الخراساني تعكس جانباً من هذه اللغة إذ أحضر هذا التاجر بضاعته من الدواب لبيعها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل بني أمية فقال له الحجاج: أتبيع الدواب المعيبة من[3] جند السلطان؟ فقال التاجر « شريكاننا في هوازها وشريكاننا في مدانيها وكما تجيء تكون » فقال الحجاج: ما تقول ويلك، فقال بعض من

---

(١) البيان والتبين ٣/٣٦٦.

(٢) يوهان فك العربية ص ٩.

(٣) هكذا في النص الذي حققه الأستاذ عبد السلام هارون والسياق يحتمل « إلى » أكثر.

كان قد اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك إنه يقول: شركاؤ نـا بالأهـواز وبالمدائن يبعثون الينـا بهذه الـدواب فنحن نبيعها على وجوهها(١). والملاحظ في هذه القصة أن الحجاج لم يستطع فهم ما قاله التاجر الخراساني دون ترجمة ممن يفهم هذه اللهجة ويتعامـل مع تلك العناصر البشرية الجديدة على العربية وهو أمر ليس بالغـريب على الحجـاج المعـروف بفصاحتـه ولسنه(٢). فـالذي درج عـلى استخدام اللغـة متحدثـاً ومستمعاً وفق نسق معين لا يفهم نفس اللغة إذا استخدمت بطريقة تختلف عما درج عليه. فإذا نظرنا الى الجملة التي قالها التاجـر نلاحظ أنـه استعمل العربية في أوضاع جديدة متأثراً بلغته الأصلية فاستخدم كلمة « شريكاننا » بدلاً من شركاؤ نا لأنه لم يكن يعرف صيغة الجمع الصحيحـة شركـاء وهي صيغة جمع تكسير وجمع التكسير في العربيـة له صيـغ متعددة ولـذا كان من الصعب عليه أن يجمع هذه الكلمة على نحو عربي بل أضاف علامة الجمع في الفارسية (آن) وبذلك نشأ هذا التركيب الهجين كلمة عربية ونهاية جمـع فـارسية. كـما نلاحظ أيضـاً في هذه الجملة أن التـاجر استخـدم النسبة إلى الأهواز بأن قال « هوازها » على نحو لم تعرفـه العربيـة والجملة بشكل عـام مختصرة اختصاراً شـديداً لا تكـاد تمضي على النسق الـذي عرفتـه العربيـة الفصحى(٣).

ويقول يوهان فك إن هذه اللهجة نشـأت بالضـرورة لتسهيل التفـاهم بين الوطنيين في البلاد المفتوحة وبين العرب وخاصة هؤلاء الذين يلتحقون بالجيش العربي لخدمته كالعبيد والخدم والطهاة والتجار وهو يشبه هذه اللغة باللغات المصـطنعة التي نشـأت في العصر الحـديث من الإنجليزيـة ولغات

(١) البيان والتبين ١/١٦١ - ١٦٢.
(٢) انظر السيرافي، أخبار النحويين البصريين ص ٢٣.
(٣) د. محمود حجازي علم اللغة العربية ص ٢٤٧.

الشرق الأقصى والتي سميت Pidgin English[١] ثم يصف لنا تلك اللغة التي نشأت في أواسط التجار والمتعاملين مع العنصر العربي الفاتح بأنها استعانت بأبسط وسائل التعبير اللغوي فبسطت المحصول الصوتي وصوغ القوالب اللغوية ونظام تركيب الجملة ومحيط المفردات وتنازلت عن التصرف الاعرابي واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها كما ضحت بالفرق بين الأجناس النحوية واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة في مواقع الكلام للتعبير عن علاقات التركيب[٢].

كما أخذت العربية مع استقرار هذه العناصر البشرية في المدن الجديدة التي أنشأها المسلمون مثل البصرة والكوفة أخذت تتعرض لغزو من الألفاظ الدخيلة وخاصة مما يتصل بأسباب الحضارة المادية كالأطعمة والأدوات وغيرها، فكان أهل الكوفة لكثرة مخالطتهم للفرس يسمون المسحاة « بال » والحوك أو البقلة الحمقاء (البازورج) وملتقى أربع طرق « جهارسوك » وكانوا يسمون السوق « وازار » والقثاء « خيار » والمجزوم « وندى »[٣]. كما يدل أيضاً على شيوع اللغة الفارسية في البصرة ما رواه الجاحظ عن حادثة يزيد بن مفرغ حين هجا أسرة عبيد الله بن زياد والى البصرة فسقاه نبيذاً وحمله على دابة في ثياب مهلهلة وربط بجواره هرة وخنزيراً وأمر أن يطاف به في أزقة البصرة وأسواقها فتجمع حوله الناس يسألونه بالفارسية: أين جيست، أي ما هذا؟ فكان يجيبهم بالفارسية أيضاً:

---

(١) اصطلاح على لهجة انجليزية مبسطة محررة من القيود اللغوية يجري بها التفاهم بين الانجليز وسكان المستعمرات وكلمة Pidgin محرفة عن busness الانجليزية وما زالت هذه اللغة مستعملة حتى الآن في بعض مناطق آسيا وأفريقيا.

(٢) يوهان فك العربية ص ٩.

(٣) البيان والتبين ١/ ٢٠.

آب است نبيذ است   عصارات زبيب است
سميه روسبيد است[١]

واست من أفعال الكينونة في الفارسية، وآب الماء وسمية أم زياد، وروسبيد الخنزيرة. وربما كان أهم من ذلك ما أصاب العربية من لكنات هؤلاء الموالي فإن كثيراً منهم كانوا يجدون عسراً في نطق بعض حروف العربية التي لا توجد في لغاتهم، فمن ذلك أن أم ولد لجرير بن الخطفي قالت لبعض ولدها « وقع الجردان في عجان أمكم » فأبدت الذال من الجرذان دالاً وضمت الجيم وجعلت العجين عجاناً[٢] وقال بعض الشعراء في أم ولد له يذكر لكنتها:

أو ما أسمع منها في السحر   تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر
والسوءة السوآء في ذكر القمر

لأنها كانت اذا أرادت أن تقول القمر قالت الكمر[٣].

ولم تقتصر آثار تلك اللكنات على ألسنة العامة وحدهم بل تسربت أيضاً إلى ألسنة طبقة من الشعراء الموالي الذين انتجهم هذا الاختلاط بين الأجناس ومنهم زياد الأعجمي (ت ١٠٠ هـ) وكان يرتضخ لكنه فارسية يذهب إلى إبدال العين همزة والطاء تاء والسين شيناً فكان ينشد قوله:

فتى زادة السلطان في الود رفعه   إذا غير السلطان كل خليل

فيقول « فتى زادة الشلتان »[٤].

أما أبو عطاء السندي وهو شاعر آخر من شعراء الموالي ممن عاشوا في العصرين الأموي والعباسي فقد كان جيد الشعر وإن كانت فيه عجمه،

---

(١) المصدر السابق ١/١٤٣، وانظر أيضاً ابن قتيبة الشاعر والشعراء ١/٣٦٠ - ٣٦١.
(٢) البيان والتبين ١/٧٣.
(٣) المصدر السابق ١/٧٣ - ٧٤.
(٤) المصدر السابق ١/٧١.
وانظر أيضاً الشعر والشعراء ١/٤٣٠.

ويـروي ابن قتيبة أن حمـاد عجرد احتـال على أبي عـطاء حتى يقول ثـلاثـة ألفـاظ هي: جرادة ـ زج ـ شيـطان. فـأرسلوا في طلبـه ولم يلبث أن جـاء قائلاً: مرهبا مرهبا هياكم الله، فقال له حماد ألا تتعشى فقال قد تـأسيت، ثم أخذ حماد يستدرجه لكي ينطق بالكلمات الثلاث فقال له كيف بصـرك باللغز يا أبا عطاء فقال «هشن» فأخذ حمـاد ينشده أبيـاتاً في اللغـز تتضمن معـاني الكلمات الثـلاثة فنـطق أبو عـطاء كلمـة الجـرادة «زرادة» والـزج «زر» والشيطان «سيطان»[1] وقد دفعه إحسـاسه هـذا بالعجـز عن نطق العربية نـطقاً صحيحـاً أن يستوهب ممـدوحاً لـه غلامـاً ينشده شعـره فقال يشكو من عجمته:

أعوزتني الرواة يا ابن سليم وأبي أن يقيم شعري لساني
وغـلا بالذي أجمجم صدري وجفاني بـعجمتي سلطاني
وازدرتني العيون إذ كان لوني حالكاً مجتوى من الألوان
فضربت الأمور ظهراً لبطـن كيف احتال حيلة للسانـي
وتمنيت أنني كنت بالشعـ ـر فصيحاً وبان بعض بنانـي
ثم أصبحت قد أنخت ركابـي عند رحب الفناء والأعطـان
فاكفني ما يضيق عنه رواتـي بفصيح من صالحي الغلمـان
يفهم الناس ما أقول من الشعـ ـر فإن البيان قد أعيانـي[2]

ويفهم من شكوى أبي عطاء السندي أن العربية رغم كل ما اعتورهـا من تغير على ألسنة العامة ما زالت هي اللغة السائـدة بين السـادة والحكام من بني أمية، ومع ذلك يروي لنـا الجاحظ أن آثـار هذا التغـير وصلت الى الأمراء من بيت الأمويين الذين تـربوا في أحضـان أمهاتهم من المـوالي مثل

---

(١) الشعر والشعراء ٢/٧٦٦ ـ ٧٦٧.
(٢) المصدر السابق ٢/٧٦٦.

عبيد الله بن زياد والى العراق الذي استبقاه أبوه مع أمه مرجانة[1] التي تزوجت من الفارس شيرويه أي الأسد بالفارسية فكان عبيد الله يبدل الحاء هاء فقال يوماً لأحد جلسائه « أهروري سائر اليوم يريد أحروري »[2]. وطلب مرة من أحدهم الجلوس فقال له أجلس على است الأرض وقال: افتحوا سيوفكم بدلاً من سلوا سيوفكم مما جعل يزيد بن مفرغ يهجوه بقوله:

ويوم فتحت سيفك من بعيد ، أضعت وكل أمرك للضياع[3]

والظاهر أن آثار هذا التغير اللغوي لم تكن وقفاً على ألسنة الموالي والمولدين من العامة والشعراء وحدهم أو على الأمراء الذين تربوا في أحضان أمهات من الأجانب، بل شاع هذا التغير اللغوي أيضاً على ألسنة بعض العرب الخلص في صورة لحن أخذ يظهر في الكلام أحياناً وفي شعر الشعراء ذوي الأصل العربي أحياناً أخرى.

فيقال أن عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) أهمل تأديب ابنه الوليد فجرى اللحن على لسانه. ومما يروي من لحنه أنه نطق يوماً كلمة « لص » بضم اللام فاستنكر ذلك منه أحد الأعراب، كما قال يوماً لأبيه حين قتل أبو فديك الخارجي: لو يا أمير المؤمنين قتل أبي فديك، وقال يوماً يا غلام رد الفرسان الصادان عن الميدان. قال الجاحظ وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين[4].

وفي شعر الشعراء العرب نجد أيضاً بعضاً من مظاهر هذا التغير

---

(١) دخل لفظ مرجان بواسطة اللغة الآرامية (مرجانيتا) من اليونانية الى العربية ويدل الاسم على أن أصل هذه الجارية غير عربية. أنظر يوهان فك العربية هامش ص ١٥.

(٢) البيان والتبين ١/٧٢ - ٧٣.

(٣) المصدر السابق ٢/٢١٠ - ٢١١.

(٤) البيان والتبين ٢/٢٠٤ - ٢٠٥.

اللغوي فمن ذلك ما أخذه اللغوي عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) على الفرزدق في مدحه يزيد بن عبد الملك وذلك في قول الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام تضربهم بحاصب كنديف القطن منثور
على عمائمنا تلقى وأرحلنا على زواحف تزجي مخها رير

فقال له ابن أبي اسحق أسأت انما هو رير « بالضم » مما جعل الفرزدق يغير شطهر البيت إلى: « على زواحف تزجيها محاسير »[١].

كما أخذ عليه أيضاً قوله:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف

بالرفع وقال له على أي شيء رفعت مجلفاً فقال الفرزدق غاضباً من تتبعه له: على ما يسؤك[٢] وما زال ابن أبي اسحق يراجعه حتى هجاه الفرزدق ببيته:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

ولكن هذا الهجاء لم يمنع الحضرمي من أن يرى في قوله « مولى مواليا » مخالفة للعربية أيضاً[٣]، وعلى الرغم من أن معظم مآخذ ابن أبي اسحق على الفرزدق تدخل في باب الضرورات الشعرية[٤] إلا أن الباحث يلمح في شعر الفرزدق بعض مظاهر التعقيد والإحالة أحياناً في أسلوب يتبرأ منه التركيب العربي القديم مثل قوله:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

---

(١) المرزباني، الموشح ص ٩٩.
وانظر أيضاً السيرافي، اخبار النحويين البصريين ص ٢٧.
(٢) الموشح ص ١٠٢.
(٣) الموشح ص ١٠٠.
وانظر أيضاً طبقات فحول الشعراء ص ١٧.
(٤) راجع الشعر والشعراء ١/٨٩.

قال المزرباني، « فأتعب أهل اللغة والنحو بشرحه ومنهم سيبويه فمن بعده ولم يبلغوا منه ما يقنع ويرضى »[1]. ومع ذلك فالفرزدق رغم كل هذا لم يعرف بضعف في حسه اللغوي لأنه نشأ في البادية[2] وإنما الذي عرف بشيء من هذا بعض الشعراء الذين نبتوا في المدن مثل الطرماح (ت ١٠٥ هـ) والكميت (ت ١٢٦ هـ)[3] حين نلمح عندهما بعض مظاهر التوليد المبكرة ممثلة في بعض الاستعمالات والاشتقاقات التي خرجا فيها عن استعمال العرب الفصحاء مما جعل الأصمعي يعدهما من المولدين الذين لا يحتج بكلامهم، قال « الكميت بن زيد ليس بحجة لأنه مولّد وكذلك الطرماح »[4].

وفي شعر الطرماح نجد مصداقاً لقول الأصمعي وذلك عند وصفه ثوراً وحشياً في ليلة ممطرة تلفه سحابة مثقلة بالماء فيقول:

كمنخفق الحشتين بات تلفه ... وطفاء سارية وهفّ مبرد[5]

فنراه يستعمل لفظ « هفّ » بمعنى الريح الباردة وهو استعمال يخالف استعمال العرب للفظ اذ أن لفظ هف يدل عندهم على ريح الجنوب اللافحة الحرارة[6] في حين استعمله الطرماح كما يفهم من البيت بمعنى الريح الباردة. وكذلك استعماله لفظ « الكراض » في قوله:

سوف تدنيك من لميس سبنبتا ... ة أمارت بالبول ماء الكراض[7]

---

(١) الموشح ص ١٠٤.

(٢) راجع الشرع والشعراء ١/٤٧١.
وانظر أيضاً الموشح ص ٩٩ وما بعدها.

(٣) راجع الشعر والشعراء ٢/٥٨٥، ٢/٥٨١،
وانظر أيضاً الموشح ص ٢٠٨، ص ١٩١.

(٤) الموشح ص ١٩١، ص ٢٠٨.

(٥) انظر الديوان ص ٩٠.

(٦) انظر تاج العروس مادة هف. وانظر أيضاً يوهان فك العربية ص ٣٨.

(٧) انظر الديوان ص ٨١.

قال ابن الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) الكراض ماء الفحل في رحم الناقة وقال الأصمعي الكراض حلق الرحم[١] أما الطرماح فنراه يستعمل اللفظة بمعنى الفحل نفسه وهو استعمال جديد لم يقره عليه اللغويون القدماء[٢].

وبينما يستعمل الطرماح هذه الألفاظ بدلالات جديدة نجد الكميت يشتق اشتقاقات جديدة لا يرضى عنها اللغويين أيضاً فمن ذلك قوله:

أرعد وأبرق يا يزيد   فما وعيدك لي بضائر

فاشتق من برق ورعد وهما من الثلاثي الصحيح في معنى التهديد والوعيد صيغة رباعية مهموزة فقال أبرق وأرعد، مع أن الاستعمال القديم لا يعرف إلا صيغة الثلاثي في هذا المعنى أما أبرق وأرعد فمعناهم دخل في الرعد أو البرق كما قال الأصمعي[٣] ويبدو أن الكميت وجد في صنيع المهلهل قبله أسوة فاتبعه في ذلك قال المهلهل:

أنتضوا معجس القسى   وأبرقنا كما توعد الفحول الفحولا

وهي مخالفة قديمة رفض الأصمعي الاعتراف بها ورد البيت قائلاً إنه من المصنوع بينما قال بعض اللغويين إن هذا من المولد القديم[٤].

على هذا النحو أخذت العربية خلال القرن الأول الهجري تتطور على ألسنة الأعاجم والمولّدين الذين دخلوا الإسلام والذين بدأ نفوذهم في الازدياد مع بداية القرن الثاني وتسرب الضعف إلى دولة بني أمية وما كاد القرن الثاني يقترب من منتصفه حتى بدأ نفوذ هذه العناصر وخاصة الفرس في الازدياد وكان قيام الدولة العباسية عام ١٣٢ هـ تتويجاً لنفوذ الفرس الذين أصبح لهم في الدولة الجديدة نفوذ واسع من ثم أصبحت دولة

---

(١) تاج العروس مادة كرض.
(٢) المصدر السابق نفس المادة.
(٣) الموشح ص ١٩١.
(٤) الموشح ص ١٩٦.

العباسيين أعجمية خراسانية بينما كانت دولة بني أمية عربية اعرابية[٧] إذ كان الأمويون مرتبطين بالبادية مؤمنين بتنشأة أبنائهم في بيئة لغوية بدوية بينما كان العباسيون يؤمنون بضرورة إجادة العربية غير أنهم لم يكونوا مرتبطين فكرياً أو عاطفياً بالمجتمع البدوي، فقد أرادوا لأبنائهم حياة رغدة في قصور الخلافة لهذا ظهر الأعراب في قصور العباسيين يعلمون اللغة، وهكذا اختلفت الصورة فبعد أن كان الأبناء يرسلون إلى البادية في القرن الأول نجد الأعراب يأتون إليهم في قصورهم في القرن الثاني ليعلموهم اللغة.

يضاف إلى هذا تسرب عناصر مولّدة وأعجمية إلى قصور الخلفاء نتيجة لكثرة الغلمان والجواري ومثل ذلك في بيوت الأمراء والوزراء، بل لقد أصبح بعض الخلفاء أنفسهم من هذه العناصر المولّدة فالمنصور (ت ١٥٨هـ) كانت أمه جارية تسمى سلامة، والمأمون (ت ٢١٨هـ) كانت أمه أيضاً جارية تسمى مراجل وكذلك المعتصم (ت ٢٢٧ هـ) والواثق (ت ٢٣٢ هـ) وغيرهم من الخلفاء العباسيين[٢].

كل هذا أعطى لهذه العناصر الأعجمية والمولّدة وخاصة العناصر الفارسية والتركية منها خلال الحكم العباسي سلطاناً سياسياً ولغوياً مما جعل اللغة الفارسية تظل حية بين سكان الأمصار في العراق التي زحفت إليها منذ العصر الأموي جموع كبيرة منهم وازداد زحفهم في القرن الثاني ويدل على ذلك ما يرويه الجاحظ عن قاص من قصاص البصرة ووعاظها وهو موسى الأسواري قال « كان من أعاجيب الدنيا وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها

---

(١) البيان والتبين ٣/٣٦٦.

(٢) مجلة مجمع دمشق ٤٧/٦٢٠ سنة ١٩٧٢.

للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدري بأي لسان هو أبين »[1] وليس معنى هذا أن اللغة العربية قد فقدت مكانتها التي كانت عليها في القرن الأول بل على العكس فإن لغة القرآن صارت في شعور كل مسلم مهما كان أصله أو لغته بل حتى الشعوبيون الذين ادعوا تفوق العناصر غير العربية لم يستطيعوا أن ينقصوا شيئاً من مكانة العربية التي أصبحت مثلاً أعلى يسعى كل مولد أو أعجمي لتعلمها لأن اجادة العربية هي الطريق إلى المناصب العليا في الدولة. ومن هنا برز شعراء وكتاب مولّدون في هذا العصر كتبوا بالعربية مثل بشار بن برد (ت ١٦٧ هـ) وأبي نواس (ت ١٩٨ هـ) وابن المقفع (ت ١٤٢ هـ) وغيرهم[2]. ومع ذلك فقد أمدت الفارسية اللغة العربية بألفاظ كثيرة لا نبالغ كثيراً إذا قلنا إنها كانت تشيع على ألسنة الناس في الحياة اليومية في بغداد والكوفة والبصرة، لأن الفارسية كانت لغة حضارة فدخل منها إلى العربية ألفاظ كثيرة يتصل معظمها بأسماء الأطعمة والأشربة والأدوات والملابس[3]. ولم تفسد هذه الكلمات المعربة أو الدخيلة العربية ومع ذلك فقد ألف اللغويون في تتبعها الكتب والمعاجم التي تحدد أصلها ومصدرها مثل المعرب للجواليقي وقد امتد هذا الأثر اللغوي الفارسي حتى إلى لغة الأعراب الذين كانوا يتملحون أحياناً بذكر بعض الكلمات الفارسية في شعرهم كما يقول الجاحظ[4].

ومهما يكن الأمر فقد بقيت للفصحى مكانتها كلغة للعلم والأدب ولم يحل ذلك دون نشأة لهجة عامية عربية نتيجة لهذاالاحتكاك اللغوي فصارت لغة للتخاطب والتفاهم اليومي ولكنها كانت تتميز تميزاً واضحاً

---

(١) البيان والتبين ١/٣٩٨.

(٢) راجع الفصل الثالث من هذا الباب

(٣) راجع لغة أبي العلاء في رسالة الغفران ص ٣٠٨ ـ ٣١٠.

(٤) البيان والتبين ١/١٤١ ـ ١٤٢.

عن العربية الفصحى بطائفة من السمات والخصائص المشتركة سواء في المادة الصوتية وصوغ القوالب وتراكيب الجمل والقواعد النحوية والمادة اللغوية وطرق التعبير(١). ولعل فيما كتبه الجاحظ عن هذه اللهجات العامية ما يعطي الباحث مادة علمية لمعرفة خصائص هذه اللهجات إذ سجل لنا منها نماذج وخاصة ما يتصل بمصطلحات العامة وأصحاب الحرف والصناعات ولهجات الطبقات الدنيا في المجتمع وكل ذلك نلمح فيه أثر التوليد اللغوي بشكل واضح.

فهو يعرض للغة المتسولين والمحتالين واللصوص وخاصة ما جاء منها في كتاب البخلاء حتى يكاد المرء يشعر بالحياة اليومية لهذه الطبقة من الناس، فمن ذلك ما جاء على لسان صاحب دار بخيل يشكو من أحد المستأجرين يستغل الدار استغلالاً سيئاً فيقول إنه « يدق على الأجزاع والحواضن والرواشن.. وإذا كثر الدخول والخروج والفتح والإغلاق والإقفال وجذب الأقفال تهشمت الأبواب وتغلقت الرزات وإذا كثر الصبيان تضاعف البوش ونزعت مسامير الأبواب »(٢) فإذا بحثنا عن بعض ألفاظ هذا النص في المعاجم وجدنا الرزة في المعجم(٣) في حين لا نجد كلمة البوش في المعاجم العربية وإنما نجدها في معجم دوزي Dozy (٤).

وهو لا يكتفي بهذا الجو العامي للعبارة بل يتعداه إلى القول العامي ينقله كما هو أحياناً وكما جاء على ألسنة العامة سواء المولّد منه أو الدخيل الأعجمي المستعمل في لهجاتهم فهو يذكر: التشريب والجله والبوش والهريسة والكرنبية والفجلية والبالوعة والغموس والدوثاب(٥).

---

(١) يوهان فك العربية ص ١٠٢.

(٢) الجاحظ، البخلاء ص ٧١.

(٣) تاج العروس مادة رزز.

(٤) Dozy, suppl. Dict. Arab. Tome I.P. 127.

(٥) الجاحظ، البخلاء صفحات ٦٠، ٦٦، ٧١، ١٠١ على سبيل المثال.

ولا يقف اهتمام الجاحظ عند هذه الألفاظ وحدها بل يتعدى ذلك أحياناً الى ذكر عبارات مولّدة عن طريق الترجمة مثل قوله « لـو خرجت من جلدك لم أعرفك » ثم يورد أصل العبارة بالفارسية » اكراز بوست بارون بيائي نشنا سنم[١].

ويتجلى أثر التوليد في مجموعة من الألفاظ التي وردت على لسان أحد المكدين عندما سأله خالد بن يزيد عن بعضهم فقال له « وكيف لا أعرفهم وأنا كنت كاجاز في حداثة سني ثم لم يبق في الأرض مخطراني ولا مستعرض[٢] إلاقفتة ولا شحاذ ولا كاغاني ولا بانوان ولا قرس ولا عواء ولا مشعب ولا فلور ولا مزيدي ولا اسطيل إلا وقد كان تحت يدي ولقد أكلت الزكوري ثلاثين سنة ولم يبق في الأرض كعب ولا مكد إلا وقد أخذت العرافة عليه »[٣].

ومثل ذلك مجموعة الألفاظ التي أوردها الجاحظ أيضاً على لسان أبي فاتك يصف فيها الطفيلين قال أبو فاتك « الفتي لا يكون نشالاً ولا نشافاً ولا مرسلاً ولا لكاماً ولا مصبحاً ولا نفاضاً ولا دلاكاً ولا مقوراً ولا مغربلاً ولا مسوغاً ولا ملطماً ولا مخضراً فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاش والمداد والدفاع والمحول[٤] » وهذه الألفاظ كلها ألفاظ مولدة مما حملها العامة دلالات لا تشير إليها المعاجم اللغوية أو كتب اللغة.

بل اننا نجد هذا الاتجاه في توليد ألفاظ من هذا النوع يصل إلى ذروته في القرن الرابع الهجري حتى يكد يصبح لغة خاصة يتفاهم بها الشحاذون والمشعوذون أطلق عليها اسم «اللغةالساسانية»وهي تقوم على مجموعة كبيرة

---

(١) البخلاء ص ١٨.
(٢) انظر البحث ص ٢٦٠
(٣) البخلاء ص ٣٩.
(٤) البخلاء ص ٥٩.

من الألفاظ المولّدة التي اخترعها بنو ساسان وهم قوم من العيارين والشطار ولا يكاد يعرف هذه اللغة سواهم، وهم ينسبون أنفسهم إلى ساسان رأس الشحاذين وجدهم الأعلى ويدعون أنه كان أحد ملوك الفرس عهد أبوه بالملك لأخيه فأنف من ذلك ومن ثم اشترى لنفسه غنماً وراح يرعاها في الجبال يعاشر الرعيان واللصوص فعير بذلك أخوه ثم نسب إليه كل من تكدي أو باشر عملاً حقيراً من العمى والعور والمشعوذين والقرادين والكلابين[1] ومن هذه البيئة خرجت شخصية أبي زيد السروجي بطل مقامات الحريري.

ولعل من أوضح الأمثلة التي حوت قدراً كبيراً من متن هذه اللغة الخاصة القصيدة الطويلة التي كتبها في القرن الرابع الهجري الشاعر الماجن المتسول أبو دلف الخزرجي واشتهرت باسم القصيدة الساسانية ومطلعها:

جفون دمعها يجري ... لطول الصد والهجر

وقد حوت هذه القصيدة مبادىء وأفكار هذه الطبقة من الناس بالاضافة إلى الألفاظ التي يستعملونها وقد رواها كاملة أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) في كتاب يتيمة الدهر وشرح ألفاظها[2].

وإذا كان الجاحظ في القرن الثاني ومن بعده الثعالبي في القرن الرابع قد سجلا هذه اللغة المولّدة كما ظهرت على ألسنة العامة فان ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في القرن الثالث قد رصد لنا جانباً آخر من هذه اللغة المولّدة كما ظهرت على ألسنة المثقفين في عصره، فهو لا يفتأ يشكو من انحطاط مستوى الثقافة اللغوية بين الكتاب وكثرة أخطائهم اللغوية مما دفعه لتأليف كتابه أدب الكاتب[3].

(١) انظر مجلة مجمع دمشق ٤٥/٢٤٥ سنة ١٩٧٠.
(٢) انظر الثعالبي يتيمة الدهر ٣/٣٢٣ - ٣٤٢.
(٣) انظر مقدمة الكتاب ص ٧ - ٨.

وقد حاول ابن قتيبة في هذا الكتاب أن يضع منهجاً للثقافة اللغوية الضرورية لكتاب الدواوين ويكشف عما كان يقع في لغتهم مما عده هو خطأ أو وهماً في معاني الألفاظ أو الاشتقاقات أو التراكيب والكتاب كما يقول أستاذنا محمد خلف الله أحمد أول كتاب منظم في هذا الموضوع في تاريخ التأليف العربي لم تسبقه إلا أقوال أو رسائل توجيهية لعل أطول ما حفظه التاريخ منها رسالة عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢ هـ) إلى الكتاب[1]. ونجد في كتاب ابن قتيبة جانباً من التغير الدلالي الذي طرأ على لغة الكتاب والناس من الخاصة فمثلاً كان يستعمل الناس في عصره « الطرب » بمعنى الفرح والمعنى الأصلي له الخفة تصيب الرجل لشدة السرور أو شدة الجزع، و « الحشمة » بمعنى الاستحياء وأصل المعنى في العربية القديمة الغضب و « المأتم » بمعنى المصيبة وخاصة في الموت والعربية القديمة لا تعرف من هذه الكلمة إلا النساء يجتمعن في الخير والشر على السواء ومثل ذلك كلمة « العرض » بمعنى الشرف وإنما عرض الرجل نفسه وهو أصل المعنى[2].

على أن من الظواهر التي تستلفت النظر في تارخي التطور اللغوي للعربية أن كثيراً مما كان يعده ابن قتيبة مرجوحاً أو من لحن العامة قد ثبت على الزمن وعاش إلى اليوم في بعض البيئات العربية اللسان بل ربما ثبتت له الغلبة عما كان يعد أفصح وأصح من وجهة النظر اللغوية المعيارية في الصدر الأول مثال ذلك لفظة « الطرب » في الفرح دون الجزع على حين أن الاستعمال في العربية القديمة يدل كما رأينا على الخفة تصيب الرجل لشدة السرور أو الجزع، وصاحب القاموس المحيط يؤيد ابن قتيبة في قوله هذا « الطرب محركة الفرح والحزن ضد أو خفة تلحقك تسرك أو تحزنك

(١) محمد خلف الله أحمد، بحوث ودراسات في العروبة وآدابها ص ٥٠ .
(٢) أنظر أدب الكاتب صفحات ١٩، ٢٠، ٢٧ .

وتخصيصه بالفرح وهم »[1].

ويبدو كما يقول أستاذنا محمد خلف الله أحمد أن الاستعمال القديم للطرب في الفرح والحزن يقترب مما ذهب اليه بعض المحدثين من علماء النفس في تعريف الإنفعال Emotion بأنه خفة أو هزة مقرونة بأعراض جسمانية تصاحب اثارة الغريزة وهو عندهم أعم من أن يكون خفة لذة[2].

ومع ذلك فقد استمر استعمال لفظة الطرب بالدلالة التي كان يستعملها بها الناس في عصر أبن قتيبة فنحن في بيئتنا العربية نكاد نقصره على ما يتصل بالفرح من سرورو وسمر وغناء وما إليها وهذا الاستعمال الذي خطأه ابن قتيبة وصاحب القاموس سجله المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة العربية في مصر فقال وأغلب ما يستعمل اليوم في الارتياح والغناء ونحوه مما يحرك في النفس الطرب[3] ومثل ذلك نجده أيضاً مستمراً حتى اليوم في ألفاظ مما ردها ابن قتيبة مثل القافلة والركب وغيرها[4].

على أن هذا التطور الدلالي أو بمعنى آخر التوليد الذي أصاب بعض ألفاظ العربية قد بدأ يلفت انتباه العلماء الذين اعتبروه من اللحن ومن ثم نجد بعض مظاهره مسجلة في كتب لحن العامة وهم يقصدون بالعامة المثقفين الذين تسربت لغة التخاطب اليومية إلى لغتهم سواء في الكتابة أم

---

(١) القاموس المحيط مادة طرب.
(٢) راجع بحوث ودراسات فيالعروبة ص ٧٦.
(٣) المعجم الوسيط ٥٥٣/٢ ط. الثانية.
(٤) ابن قتيبة أدب الكاتب ص ١٨ وما بعدها.
وانظر أيضاً بحوث ودراسات في العروبة وآدابها ص ٧٦.

الحديث[1]. وتقدم كتب لحن العامة[2] مادة لغوية لدارس التطور اللغوي بشكل عام والمولد بصفة خاصة، وقد علل أبو بكر الزبيدي لهذا التطور الذي أصاب العربية فأرجعه إلى تسرب العناصر البشرية المختلفة التي اختلطت بالعرب بعد الفتح الإسلامي قائلاً « ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر من اسلامها تبرع في نطقها بالسجية وتتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ومصرت الأمصار ودونت الدواوين فاختلط العربي بالنبطي والنقي الحجازي بالفارسي ودخل الدين أخلاط الأمم وسواقط البلدان فوقع الخلل في الكلام وبدأ اللحن في ألسنة العوام »[3] ويسجل أبو بكر الزبيدي في هذا الكتاب نماذج من اللحن الذي كان يدور على ألسنة أهل الأندلس في عصره الذين كانوا يتكونون من خليط عديد من الأجناس البشرية خاصة عند بداية الفتح الاسلامي فكان هناك أهل البلاد الأصليين ثم العرب والبربر وجماعات من اليهود ثم الموالي الذين ارتبطوا بالولاء مع البيت الأموي وزاد عددهم في الأندلس زيادة عظيمة خاصة بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق. وقد درس الدكتور حسين مؤنس ظاهرة استيطان العرب في الأندلس والعلاقات اللغوية التي نشأت بعد ذلك بين العربية ولغات هذه العناصر فقال إن هؤلاء جميعاً لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم بعد الجيل الثاني فقد غلبت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد اختلطت بها اللغة العربية ونشأت عن ذلك عجمة أهل الأندلس[4] وهي فيما يبدو لغة تشبه تلك اللغة العملية التي نشأت بين الفاتحين العرب والعناصر البشرية الأخرى في المشرق والتي أشار إليها

---

(١) راجع د. رمضان عبد التواب مقدمة لحن العوام للزبيدي ص ٤.

(٢) انظر قائمةهذه الكتب التي ذكرها د. رمضان عبد التواب في كتاب لحن العامة والتطور اللغوي ص ٩٧ ـ ١٠٠.

(٣) انظر لحن العوام ص ٤.

(٤) انظر د. حسين مؤنس فجر الأندلس ص ٣٧٧.

الجاحظ في حديث التاجر الخراساني مع الحجاج. ويبدو أن هذه اللهجة لم تكن مفهومة لدى جميع العرب في الأندلس حتى مطلع القرن الثالث الهجري فقد روى أن القاضي سعيد بن سليمان في زمن عبد الملك بن الحكم (ت ٢٣٨ هـ) قضى في المسجد إلى أن مضى صدر النهار ثم قام منصرفاً إلى داره فلما هم بالدخول فإذا بأحد الأندلسيين وكان أعجمي اللسان يصيح على البعد « كلموا القاضي يثبت على أكلمة » فقال القاضي قولوا له بالعجمية أن القاضي قد أدركته الملالة والسأمة(١). ولكن مع مر الزمن أصبحت هذه اللغة مفهومة لدى أكثر الناس وتحولت إلى ما يشبه العاميات العربية في المشرق لأنها أصبحت لغة التخاطب من ناحية ولأن ظروف الحياة الأندلسية اقتضت هذه الملائمة بين الأجناس المختلفة بحيث أصبح كل فريق يفهم الآخر عن طريق هذه اللهجة العربية الأندلسية.

وتحدثنا المصادر عن بعض خصائص هذه اللهجة فيروي لنا ابن حزم أن العامة قد أبدلت الألفاظ في اللغة العربية ابدالاً هو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق فنجدهم يقولون في العنب « العنيب » وفي الصوت « اسطوط » وفي ثلاثة دنانير « ثلثدا »(٢).

وفي لحن العوام للزبيدي ألفاظ كثيرة كان العامة يستعملونها في الأندلس بشيء من التحريف كقولهم للأمير من الروم القمس بدلاً من القديس ويجمعون الكرم على كرمات وفي النسبة الى قبيلة كلب يقولون كلبي بكسر الكاف ويقولون للحظيرة تكون في الدار حيرة ويقولون لموقف الدابة صبل بدل اصطبل ويقولون دفتر بكسر أوله إلى غير ذلك من ألفاظ واستعمالات. وقد تحملنا الصورة السابقة على التوهم بأن العربية قد تضعضعت أمام هذه اللهجة أو اللهجات العامية ولكن الواقع كان غير

---

(١) انظر الخشني، قضاة قرطبة ص ٩٦، نقلاً عن الحركة اللغوية في الأندلس ص ٣٤.
(٢) تثقيف اللسان الورقة ٤ نقلاً عن الحركة اللغوية في الأندلس ص ٤٠.

ذلك فجهود المفكرين والشعراء والكتاب وعلماء اللغة لم تدع فرصة أمام هذه اللهجة لهزيمة الفصحى ومع ذلك لم تسلم العربية الفصحى في المشرق كذلك على ألسنة المثقفين والكتاب ويقدم لنا أيضاً الزبيدي في لحن العوام نماذج من الألفاظ التي كان يستعملها مثقفوا أهل الأندلس فمن ذلك مثلاً استعمالهم كلمة بلاط للبيت المحصن البناء وهي في الأصل للحجارة المفروشة على الأرض، واستعمالهم كلمة الاستحمام لغسل الجسم بالماء الحار والبارد وهي في العربية القديمة للغسل بالماء الحار خاصة واستعمال كلمة الوادي للنهر وهو لكل بطن مطمئن من الأرض وكذلك استعمال الريحان للآس دون سائر الرياحين وهو في العربية القديمة يدل على كل نبت طيب الريح ومثل ذلك استعمال اللحاف للغطاء الذي يكون على الأسرة خاصة وهو في الأصل لكل ما التحف به ثوباً كان أم رداء في حالة القيام أو غيرها وكذلك استعمال كلمة وشاح للثوب وأصله نظمان من لؤلؤ يخالف بينها وتتوشح به المرأة والقلادة للحزام وهي في الأصل للعقد يوضع على العنق(١) وغير ذلك من الألفاظ المولدة التي ذكرها الزبيدي واعتبرها من اللحن.

وهكذا لا نكاد نصل الى نهاية القرن الرابع الهجري حتى نرى الازدواج اللغوي قد أخذ سبيلة إلى اللغة العربية واستقرت الحياة اللغوية في العالم الإسلامي على لغتين، لغة الحياة اليومية تمثلها هذه اللهجات العامية التي انتشرت في العالم الإسلامي واستعملها العامة والمثقفون أحياناً، ولغة أخرى فصيحة تخضع لقواعد النحو والصرف وتستعمل في الكتابة والتأليف، وقد ساعد على انتشار هذه اللهجات تحول مقاليد الحكم في العصر العباسي من أيدي الفرس أصحاب الحضارة إلى أيدي الترك وكانوا لا يعرفون بأي حضارة ولم يكن يعنيهم أن يحسنوا العربية

(١) انظر لحن العوام صفحات ٢٢٢، ٢٥٦، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٠٦، ٢١٣.

فاستخدموا اللغة الدارجة في أحاديثهم وتبعهم في ذلك من يعملون معهم في الدواوين وأعمال الدولة المختلفة.

غير أن هذا كله لم يمنع علماء اللغة من السهر على حراسة الفصحى يتشددون في مراقبة الأقلام والألسن، وإذا كان القرن الأول قد شهد نوعاً من هذه الرقابة على الشعراء والمولّدين من العرب فإن الخرق اتسع على الراقع بعد أن قويت المخالطة اللغوية وصارت العربية اللسان القومي للأقطار المستعربة ولم يدع هذا كله الى اليأس وتحققت الرقابة وازدادت حدة مع تدفق الحياة اللغوية حتى صار الأمر إلى خصومة حادة بين اللغويين والمؤلفين والكتاب أنفسهم وقد صور أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) طرفاً من هذه الخصومة في رسالة الغفران في **محاكمة أبي علي الفارسي** (ت ٣٧٧ هـ)[١].

ويعترف المستشرق دوزي بفضل هذه الرقابة في حفظ العربية من أن تلد لغات أخرى مثل اللاتينية[٢].

وإذا كانت العربية قد تعرضت على هذا النحو الذي رأيناه على ألسنة الأعاجم والمولّدين وغيرهم من العناصر البشرية الأخرى التي عاشت في ظل الدولة الإسلامية لهذا اللون العفوي غير المقصود من التطور فإنها من ناحية أخرى قد تعرضت إلى لون آخر من ألوان التطور اللغوي المقصود أو بمعنى أدق إلى لون من التطوير وذلك في بيئة العلماء والفلاسفة والفقهاء والمحدثين وغيرهم من علماء المسلمين الذين أخذوا يضعون اللبنة الأولى في لغة العلوم الإسلامية، وكانت الحاجة إلى مصطلح علمي يؤدي عن تلك العلوم أفكارها ومفاهيمها حاجة ملحة وعلى ذلك أخذ هؤلاء العلماء ينظرون إلى العربية نظرة أخرى باعتبارها المادة اللغوية التي لا يوجد سواها

---

(١) راجع رسالة الغفران ص ٢٥٤.

(٢) Dozy, op. cit.p. VI.

بين أيديهم لتؤدي عنهم ما يريدون وكان على العربيـة أن تستجيب لمطالب هذه الحياة العلمية الجديدة وهو ما سنفرد له الفصل التالي من هذا الباب.

الفَصْلُ الثَّالِث

العربية لغة العلم والحضارة

لم تكن العربية حتى ظهور الاسلام لغة ذات حضارة عريقة أو تراث علمي ظاهر القيمة وإنما كان جلّ تراثها ممثلاً في الشعر الجاهلي وأيام العرب وبعض الروايات والأساطير القديمة، ولكن مع ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم حدثت نقلة كبيرة في حياة العربية نقلتها من حدودها الفكرية والاجتماعية الضيقة داخل الجزيرة العربية إلى حدود أخرى أرحب وأوسع[1]. ومن ثم كان على العربية وخاصة بعد الفتح الإسلامي أن تواجه مقتضيات فكرية وحضارية جديدة لم تعشها في بيئتها الأولى، فكان هذا التطور الذي أصابها على ألسنة الشعوب التي انضوت تحت لواء الإسلام والتي أشرنا إليها في الفصل السابق.

ولكن التحدي الأكبر الذي كان على العربية أن تواجهه مع نهاية القرن الأول الهجري تقريباً هو دخولها مجالاً جديداً وهو مجال التأليف العلمي الذي لم تعرفه العربية من قبل واستخدامها كلغة للكتابة. ونحن نعلم أنه لم يكن لدى العرب حتى ذلك الحين كتاب ذا قيمة حضارية سوى القرآن الكريم، والحق أن الإسلام قد أزكي في نفوس العرب جزوة المعرفة ودفعهم دفعاً قوياً إلى العلم والتعلم خاصة عندما توفرت أمامهم أسباب المعرفة ومادتها بعد الفتح الإسلامي، إذ وجد العرب أنفسهم في بيئات

(١) راجع الفصل الأول من هذا الباب.

ذات حضـارات وثقافـات مختلفة فتفتحت عيـونهم وعقولهم عـلى ألوان من المعارف النظرية والتطبيقية لم تكن من تراثهم من قبل، وبالتالي لم تكن اللغة العربية تحوي حينئذ من الألفاظ والمفردات ما تواجـه به هـذا السيل العـرم من المعارف الجديدة.

ولكي نتحقق من صـدق ذلك نلقي نـظرة عـلى كتـاب كـالمخصص لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) وميزة هـذا الكتاب أنـه يجمع في مـوضع واحـد الألفاظ المتعلقة بموضوع واحد، فنجد الكلام عن الإبل مثـلاً قد استغـرق من هذا الكتاب حوالي مائـة أوربع وسبعـين صفحة[١]. وفي مقـابل ذلـك ننـظر في نفس الكتاب مـا يتصل بـوسيلة أخـرى من وسـائـل النقـل وهي السفينـة التي عرفتهـا الشعوب المعـاصـرة للعـرب وعـرفهـا كـذلـك بعض العـرب، فنجد عـدداً قليلاً من الألفـاظ يدل عـلى أن العرب لم يتعمقـوا الحياة البحرية ولم يتأثروا بها كما تأثروا في حياتهم بالإبل ولذلك لم تستغـرق الألفاظ التي تتصل بالسفن أكثر من سبع صفحات من هذا الكتاب[٢].

فالعربيـة كانت غنيـة في نواحي الحيـاة المتصلة بالصحـراء وبيئتها من حيوان ونبات وما يتطلبه العيش في مثل هذه البيئة من شعـور وفكر ولكنهـا كانت فقيرة فيما يتصل بالحياة الحضـارية والعلميـة والفكريـة التي لم يعهدها العـرب من قبل. وفي هـذا يقول المستشـرق دوزي: «لقـد حـدثت ثـورة حقيقية في أفكار العـرب وأخلاقهم ولغتهم نتيجـة لرد الفعـل الناشيء عن الانتقال المفاجيء من حياة بدوية إلى حياة مدنية راقية، لقد افتقـروا لغويـاً من جـانب واغتنـوا من جـانب آخـر، فسقط من لغتهم ذلـك الفيض من الكلمات التي كان يزدحم بها الأدب العـربي وربما كـان ذلك يقـارب ثلث اللغـة، وكانت تلك الكلمـات تعبر بشكـل أساسي عن الأفكـار البـدويـة

(١) راجع المخصص ٢/٧ ـ ١٧٥.
(٢) المخصص ٢٣/١٠ ـ ٢٩.

والتي يمكن أن نقول عنها أنها لم تكن ذات استعمال عام، وفي مقابل ذلك كونوا بشكل شبه منظم وتبعاً لبناء اللغة الفاظاً جديدة كي ترمز أو تعبر عن أفكار لم تكن معروفة لهم من قبل، أو غيروا معاني كلمات كانوا يملكونها، وقد حدث هذا التطور في اللغة في كافة المناطق التي ساد فيها العرب»[1].

والحقيقة أن هذا التطور كان عفوياً أو غير مقصود من جانب ويمثله هذا التغير اللغوي الذي أشرنا اليه في الفصل السابق والذي كان نتيجة للاختلاط الجنسي والبشري ولكنه كان تطوراً مقصوداً ومنظماً في جانب آخر وذلك فيما يتصل بالعلوم والفنون، وقبل أن نتبين المراحل التي سارت فيها العربية خلال هذا التطور لابد أن ننظر كيف تكون العلم الإسلامي أو بمعنى آخر كيف وجدت الحياة العلمية الاسلامية بعد الفتح.

إن الباحث في هذا الجانب من الحضارة الاسلامية قد تستفرقه تفاصيل كثيرة عن قضايا فكرية وحضارية متشعبة وخاصة فيما يتصل بعنصري الأصالة والابتكار في هذا الجانب أو ذاك من جوانب العلم والمعرفة[2]. ومع ذلك فمن الثابت أن البيئة العلمية الإسلامية بعد الفتح مدنية لوجودها لثلاثة مصادر أساسية هيأت المادة العلمية لقيام حركة التأليف العلمي وبالتالي تخليق وتوليد كلمات ومصطلحات علمية وهذه المصادر الثلاثة هي:

١ ـ مصدر جاهلي ويمثله الشعر الجاهلي وأيام العرب ومعرفة **الأنساب** وتقاليد الجاهلية وأساطيرها.

٢ ـ مصدر إسلامي ويمثله القرآن الكريم وأحاديث الرسول والمغازي واخبار الفتح الإسلامي.

---

(١) Dozy, op. cit. P.V.

(٢) راجع ما كتبه الأستاذ أحمد أمين في ضحى الاسلام عن نشأة العلوم الإسلامية ١٠٦/٢ وما بعدها، أوليري، الفكر العربي ومكانته في التاريخ ص ٨٩ وما بعدها.

٣ ـ مصـدر أجنبي ويمثله مـا كـان لـدى الأمم الأجنبيــة من معـارف متنوعة نظرية وتطبيقية(١).

فإذا مضينا نحلل كل تيار من هذه التيارات الثـلاثة وجـدنا أن التيـار الأول قد أنتج مجموعة من العلماء والنسابين اختصوا بمعرفة الشعر وروايتـه والأنساب وتشعبها وأخبار الجاهلية وأيامها(٢).

أما التيار الثاني كما تمثـل في القرآن الكـريم وحديث الـرسول وسيـرته وغزواته ثم أخبار الفتوح الإسلامية فقد انقسم إلى قسمين كبيرين:

١ ـ القسم الأول تـاريخي وقـد اختص بتـاريـخ الإســلام ومغـازي الرسول.

٢ ـ القسم الثاني ديني ويعني بقراءات القرآن الكريم والحـديث النبوي والتفسـير وما يتصـل بهما من تشـريع وفقـه وقد ألف أصحـاب هذا القسم مدارس فقهية كبيرة في مكة والمدينة واليمن والكـوفة والبصـرة وغيرهـا من حواضر الإسلام(٣).

ويتصل بهذا القسم أيضاً الدراسـات اللغويـة والنحويـة التي قامت نتيجـة لعاملين أساسيين:

١ ـ الأول مقـاومـة اللحن الـذي أخـذ يتفشى عـلى الألسنـة نتيجـة للاختلاط الجنسي وتـطلع الأمم والشعوب غـير العربيـة إلى التكلم باللغـة العربية باعتبارها لغة الدين والحكم.

٢ ـ المحـافظة عـلى القرآن الكـريم من هذا اللحن الـذي أخذ يهـدد العربية في أقدس كتبها(٤).

---

(١) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي ص ١٩٩ وما بعدها.

(٢) ابن النديم، الفهرست ص ١٣١ وما بعدها.

(٣) أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢/٧٣.

(٤) المرجع السابق ٢/٢٤٣ وما بعدها.

أما التيار الثاث والأخير من هذه التيارات الثلاثة فأجنبي جاء للعرب من مخالطتهم للأمم الأجنبية فقد اندفعوا يطلبون كل ما لدى هذه الأمم من معارف تطبيقية كانت تنقصهم فتعرفوا على تخطيط المدن وعمارة المباني وطريقة استغلال الأرض وشق الترع والقنوات، كما تعرفوا على طرق جباية الخراج وضبط الدواوين ونقلوا في ذلك عن الفرس والروم كثيراً وكانوا في أول الأمر يستعينون بأهل البلاد المفتوحة في دواوين العراق وفارس ومصر والشام وظلوا على ذلك حتى عربت الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) كما دفعتهم حروبهم مع الروم لانشاء الأساطيل واقتباس بعض الأساليب الحربية الأجنبية[١].

ولم يقف تأثر العرب بهذا التيار عند حدود هذه المعارف التطبيقية وحدها بل تحولوا إلى المعارف النظرية البحتة يدرسونها ويترجمون منها إذ كانت تنتشر في البلاد التي فتحوها الثقافة الهلينية وهي مزيج من الثقافة اليونانية وثقافات شرقية مختلفة دينية وغير دينية وكانت تعني بهذه الثقافة مدارس متعددة في جند يسابور والرها ونصيبين وانطاكية وقنسرين وحران والإسكندرية[٢]. كما كانت تعني بهذه الثقافة أيضاً بعض الأديرة في الشام والعراق ومصر، وكان المعلمون في هذه الأديرة والمدارس يعتمدون غالباً على مصادر سريانية ويونانية[٣].

وينبغي أن نلاحظ هنا أن بعضاً من حملة هذه الثقافة الهلينية قد أسلموا ومن ثم تحولوا للدفاع عن الإسلام ضد خصومه من أصحاب الديانات الأخرى.

---

(١) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي ص ٢٠١.

(٢) أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية ص ١٩ وما بعدها.

(٣) ما يرهوف، من الإسكندرية إلى بغداد في كتاب التراث اليوناني ـ د. عبد الرحمن بدوي ص ٣٩.

ولم تنتظر هذه الثقافة طويلاً حتى بدأت الترجمة وبين أيدينا أخبار تدل على أن العرب اهتموا بالترجمة منذ القرن الأول، فمن ذلك ما يرويه الجاحظ عن خالد بن يزيد (ت ٨٥ هـ) من أنه أول من ترجمت له كتب النجوم والطب والكيمياء[١]. كما يذكر ابن النديم بعض الكتب التي ترجمت له[٢]. وهذه الأخبار القليلة عن الترجمة في القرن الأول إنما هي رمز إلى حقيقة كبيرة وهي تحول الثقافة الهلينية إلى عقول العرب بكل ما كان فيها من منطق يوناني ومعارف مختلفة كما تدل أيضاً على أن العربية قد قبلت التحدي العلمي والحضاري الذي جوبهت به وأخذت تتحول من لغة بدوية إلى لغة حضارية ذات تراث علمي.

وهكذا تدعم العقل العربي في القرن الأول بمواد ثقافية وهو دعم نجد آثاره في ازدهار العلوم في القرن الثاني سواء العلوم الإسلامية الخالصة كالفقه والتفسير والحديث واللغة أم العلوم العقلية كالطب والفلسفة والهندسة والنجوم والكيمياء وغيرها حيث نرى الخلفاء العباسيين يبذلون عناية شديدة في نقل هذه العلوم وينفقون عليها الأموال الطائلة وقد بلغت هذه الموجة أوجها في عصر المأمون (ت ٢١٨ هـ) الذي تحول بدار الحكمة إلى ما يشبه معهداً علمياً كبيراً يقول ابن النديم « لما استظهر المأمون على ملك الروم كتب إليه يسأله الأذن في انقاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة والمدخرة ببلد الروم فأجاب إلى ذلك بعد اقتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق وسالماً صاحب بيت الحكمة وغيرهم فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل وقد قيل أن يوحنا بن ماسوية ممن نفذ إلى بلد الروم[٣].

---

(١) البيان والتبين، ٣٢٨/١.
(٢) الفهرست ص ٣٣٨.
(٣) المصدر السابق ٣٣٩.

وكان من ألمع الأسماء التي اشتغلت بالترجمة منذ عصر المأمون حنين بن اسحق (ت ٢٦٠ هـ) وكان دقيقاً في ترجمته يجيد اللغات اليونانية والسريانية والعربية[١]. وكان هو وابنه اسحق وابن أخته حبيش من أكثر المترجمين انتاجاً طوال القرنين الثاني والثالث[٢]. وكانوا يعملون معاً فنسبت بعض الترجمات لهذا تارة ولذاك تارة أخرى[٣].

ويبدو أن حنيناً كان شغوفاً بترجمة كتب الطب فترجم لجالينوس عدداً منها إلى العربية[٤]. وكان يتوخى الدقة في ترجمته وفي تحقيق الكتاب الذي يترجم عنه فكان يجمع للكتاب الذي يريد ترجمته كل ما يصل إلى يده من نسخ ثم يقابل بينها ويعارض عباراتها حتى يستخلص للكتاب ترجمة أمينة ودقيقة[٥].

وبجانب هذه المدرسة الكبيرة للترجمة وأستاذها حنين كان هناك مترجمون يفوقون الحصر لم يقصروا نشاطهم على العلوم العقلية وحدها بل نقلوا أيضاً كتباً في الموسيقى والغناء والتلحين[٦]. وكانت هذه المترجمات تجري بجانب سيل آخر من تراث اليونان والفرس والهند حتى لا يكاد الباحث في تايخ الترجمة في العصر العباسي ليظن أنه لم يبق شيئاً من هذا التراث الضخم لم ينقل إلى العربية، وكانت كل هذه السيول من المعارف تتجمع في دكاكين الوراقين والمكتبات والمساجد وكانت الفلسفة اليونانية والمعارف العلمية من أعظم ما حملت هذه الحركة وقد مضى العقل العربي الإسلامي يستسيغها ويتمثلها ثم يضيف إليها إضافات جديدة، وكان

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠٩.
(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٤٤.
(٣) المصدر السابق ص ١٤٥ - ١٤٦.
(٤) الفهرست ص ٤١٠.
(٥) برجشتراسر، أصول نقد النصوص ص ٩٤.
(٦) الفهرست، ص ٣٧١.

المتكلمـون والصوفيـون وبعض اللغويـين من أهم من تعمق هذه الفلسفـة بجميـع شعبها ودقـائقها واستـطاعوا وأن ينفـذوا إلى كثـير من النـظريـات والأفكار والآراء حتى انتجوا في النهاية فلسفة اسلامية مبتكرة.

وهكذا أصبح العقل العربي في القـرنين الثـانى والثالث عقـلاً متفلسفاً كما أصبح عقلاً علمياً لا من حيث فهمـه وفقهه لهـذه العلوم بل أيضـاً من حيث إسهامه فيها، وكان هـذا العقل قـد أظهر نضجـه العلمي وأحكامـه لوضع العلوم منذ القرن الثـاني متجلياً في العلوم العـربية الخـالصة ومن ثم كـانت اللغة العـربية هي البـوتقة التي انصهـرت فيهـا كـل تلك المعـارف والعلوم والثقـافات، فكيف استجـابت لغة البـدو لهذا التـطور الضخم في حياة المتكلمين بها؟

الحق لقد كان للقرآن الكريم فضل كبير في نقل هذه اللغة من البداوة التي تعتمد أكثر مـا تعتمد عـلى الحس والشعور إلى مـرحلة النضج العقـلي وذلك بما أضفى على ألفاظهـا من دلالات جديـدة وارتفع بهـا إلى آفاق من التجريد العقلي كان من العـوامل الأسـاسية التي مهـدت السبيل أمـام هذه اللغة لاستقبال هذا السيل من المعارف والعلوم.

ومن ناحية أخرى وضع أيضاً المنهج في خلق كلمـات جديـدة بتحويله دلالات بعض الكلمـات القديمـة إلى معان جـديدة أو اشتقـاق كلمـات لم تعـرفها العـربيـة من قبـل والتي عـرفت عنـد اللغـويـين بـاسم الكلمـات الإسـلامية. وفي الـوقت نفسه كـان لاستعمال القـرآن الكـريم للكلمـات المعربة فتح لطريق آخر لتنمية العربية ولاشـك أن المترجمـين قد التفتـوا الى هذين الطريقين اللذين اتبعهما القـرآن في تطويـر اللغة العـربية وعـلى ذلك كان أمام هؤلاء العلماء والمترجمين طريقان أساسيان لتحويل اللغـة العربيـة من لغة بدوية صحراوية إلى لغة علمية حضارية، وهذان الطريقان هما:

١ ـ التوليد وذلـك عن طريق خلق مصـطلحات علميـة بنقل دلالات

بعض الألفاظ القديمة إلى معان أخرى جديدة.

٢ ـ تعريب المصطلحات الأجنبية وإذا ما تعذر التعريب كانت ترجمة المصطلح أو نقله كما هو خروجاً من مأزق التعريب.

أما التوليد فقد قام بدور أساسي في مصطلحات العلوم العربية الإسلامية وهو توليد مقصود بغرض إعداد اللغة لمرحلة التأليف العلمي لأن العربية لم تعد لغة الشعر فقط بل أصبحت أيضاً لغة العلوم وبالتالي كان على كل من يعيش في الدولة الإسلامية ويرغب في الاسهام تأليفاً أو ترجمة أن يتعلم العربية ليترجم بها أو يكتب بها أو على الأقل ليقرأ بها.

فعندما يتحدث سيبويه (ت ١٨٠ هـ) مثلاً في أول كتاب عربي في نحو اللغة العربية عن (الاسم) (والفعل) (والحرف) أو عن (الجهر) (والهمس) (والمخارج) نجد العربية قد نقلت هذه الألفاظ من مجال استخدامها القديم في لغة البادية الى مجالات أخرى جديدة ذات دلالات اصطلاحية محددة، وعندما اكتشف الخليل (ت ١٧٠ هـ) قبل سيبويه أوزان الشعر العربي ووضع لهذه الأوزان أسماء لم تكن تخطر على بال الشعراء أخذت اصطلاحات مثل: (البيت) (الطويل) (البسيط) (الخفيف) (الرمل) (الكامل) (الوافر) الخ. من لغة الحياة العامة واستخدمها بدلالات جديدة ومثل ذلك تم في كل فرع من فروع العلوم العربية. وقد لاحظ الجاحظ بعض المصطلحات العلمية التي استدعاها وجود العلوم المختلفة في القرن الثاني فقال إن المتكلمين « اشتقوا من كلام العرب تلك الأسماء وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع ولذلك قالوا: العرض والجوهر وأيس وليس وفرقوا بين البطلان والتلاشي وذكروا الهذبة والهوية والماهية واشباه ذلك، كما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقاباً ولم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب

وبتلك الأوزان لتلك الأسماء، كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل واشباه ذلك كما ذكر الأوتاد والأسباب والخرم والزخاف.... وكما سمي النحويون فذكروا الحال والظرف وما أشبه ذلك... وأصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء وجعلوها علامة للتفاهم »[١].

والدارس لهذه المجموعة من الألفاظ التي ذكرها الجاحظ في النص السابق يلاحظ أنها جميعاً مولّدة أما عن طريق النحت كالماهية والتلاشي. وأما عن طريق نقل الدلالة كالعرض والجوهر والوتد والخرم وغير ذلك[٢]. وبذلك دخلت العربية مرحلة العلم منذ أن بدأت حركة التأليف في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ثم مضت تلك الحركة تشتد شيئاً فشيئاً حتى بلغت أوجهاً مع نهاية القرن الرابع الهجري[٣]. فأخذت العربية تنمو عن طريق التوليد والتعريب والترجمة حتى أصبح لديها رصيد ضخم من المصطلحات العلمية في شتى ضروب المعرفة. وقد واجهه هذا النمو اللغوي مقاومة من بعض العلماء الذين رأوا فيه أثراً من آثار الثقافة الأجنبية، فابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) رغم مشاركته في معرفة بعض اللغات الأجنبية مثل الفارسية ورغم قراءته في كتبها وإفادته منها إلا أنه أيضاً عالم من علماء الدين حريص على أن تأخذ الثقافة الإسلامية الأساسية المكان الأول من الاهتمام والاقبال وعلى ألا تطغى الفلسفة والثقافة الأجنبية فتشغل الناس عن ثقافتهم الأصيلة لذا نراه في « مقدمة أدب الكاتب » يسخر من هذه الثقافات الأجنبية التي أخذت تستعمل الفاظاً ذات دلالات لا عهد للعربية بها مثل: الطفرة والكون والفساد والكيفية والكمية والزمان والدليل[٤] ومع ذلك فلم تحل هذه المقاومة وأمثالها من نمو

(١) البيان والتبين، ١/١٣٩ ـ ١٤٠.
(٢) راجع الفصل الثالث من هذا البحث.
(٣) آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/٣٠١ وما بعدها.
(٤) ابن قتيبة، أدب الكاتب ص ٣ ـ ٤.

العربية واستجابتها للفكر الجديد فأخذت تولّد وتضيف إلى ثروتها اللغوية زاداً جديداً من المصطلحات والألفاظ. ولعل من أبرز المصطلحات تلك المصطلحات الدينية والتشريعية والفقهية واللغوية التي رأينا طرفاً منها فيما ذكره الجاحظ في النص السابق وكلها كانت ألفاظاً عربية مستعملة قبل الإسلام ولكنها أخذت دلالات جديدة في عصر العلوم مثال ذلك: «الايلاء، الظهار، العدة، الحضانة، النفقة، الأعتاق، الاستيلاء، التعذير، اللقيط، الوديعة، الشفعة، الفرائض، القسامة، . . وغير ذلك». ومثل ذلك يقال أيضاً في المصطلحات اللغوية مثل: النحو، العروض، الإعراب، الإدغام، الإعلال، الحقيقة، المجاز، الاستعارة، الكتابة، القلب، الرفع، النصب، الخفض وهي أكثر من أن نحصيها حتى لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهي وآخر لغوي وثالث عروضي ورابع ديني[1].

ولم يكن عمل هؤلاء العلماء أقل صعوبة من عمل المترجمين ونقله العلوم بل لعل عمل أولئك كان أكثر صعوبة نظراً لأن كثيراً من هذه العلوم الدخيلة كان مجهولاً للعرب ومن ثم كان من الصعب إيجاد ألفاظ عربية لموضوعاتها المختلفة ولكن الباحث في هذه المصطلحات يعجب من الكثرة الكثيرة من الألفاظ التي خلفها هؤلاء النقلة والمترجمون والمؤلفون من ثروة لغوية.

فالألفاظ الطبية مثلاً لم يكن منها في الجاهلية الا مفردات قليلة كالحجامة والكي ونحوهما ولكن مع تقدم العلوم والحضارة وتطور حركة التأليف وجد مصطلح عربي طبي قديم لفروع هذا العلم المختلفة مثل: الكحالة، الصيدلة، التشريح، الجراحة ومنها ما يختص باصطلاحات كل

=وانظر أيضاً محمد خلف الله أحمد، بحوث ودراسات في العروبة وأدبها ص ٦٨ - ٦٩.

(١) راجع جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي ص ٨٠ وما بعدها.

فن من فنون الطب مثل أسماء الرطوبات والأمزجة والاختلاط والحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والانذار والهضم والبحران والهيضة.

ونجد من أسماء الأدوية: المسخنات، المبردات، والرطوبات والمجففات والمسهلات والمخضرات والاستفراغات والسعوطات.

ومن الألفاظ الدالة على أثر الدواء نجد: الملطف، والمحلل، المنضج، المخشن، والهاضم، كاسر الرياح، المخمر، المحكك، المقرح، اللاذع، المفتت، المعفن، المبرد، المرطب، العاصر، القابض، المسهل، المدر.

كما نجد من الألفاظ الدالة على الجراحة: الفسخ، الهتك، الوثى، الرض، الخلع، الفتق.

ومن أسماء الأمراض نجد: اللقوة، الرعشة، ذات الجنب، ذات الرئة، الجهر، الغثيان، اليرقان، الاستسقاء، الإسهال، الزحير، السجح، الهيضة، البحران(١).

وأكثر هذه الألفاظ الطبية عربي الأصل لها دلالات لغوية يعرفها العرب ولكن العلماء والمترجمين ولّدوا منها ألفاظاً ذات دلالات جديدة اصطلاحية. ومثل ذلك يقال أيضاً في الألفاظ الكيماوية والرياضية والفلكية وسائر العلوم الطبيعية.

أما الفلسفة والتصوف وعلم الكلام باصطلاحاتها التي تفوق الحصر فنجد منها قولهم: الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والوجود والعدم والتلاشي والبطلان والأيس والليس والكل والبعض والجزء والطفرة والجسم والعرض والجوهر والعدل

(١) المرجع السابق ص ٨٠ وما بعدها.

والتعديل والتحرير والتوحيد.

ومن مصطلحات الصوفية نجد: الهاجذ، المريد، المراد، السالك، المسافر، القطب، الهيبة، الأنس، البقاء، الغناء، الشاهد، المجاهدة، الحال، المقام، المشاهدة، العشق، الحب.

والحق أن التصوف الاسلامي يقدم نموذجاً فريداً وعميقاً لعملية التوليد اللغوي كما تشمله مجموعة الألفاظ الصوفية السابقة والتي قد تختلف دلالتها أحياناً من صوفي الى آخر والتي قامت كماأشار المستشرق ماسنيون لتدل على عمل فكري من الطراز الأول جدير بالاهتمام(١). وقد أخذت معالم التصوف ومبادئه في الوضوح منذ أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري حتى أننا نجد طبقة خاصة منهم تحاضر فيه مثل أبي حمزة الصوفي (ت ٢٦٩ هـ) وهو أول من تكلم على رؤوس المنابر في اصطلاحات الصوفية من صفاء الذكر وجمع الهمة والعشق والقرب والأنس وكذلك أبي سعيد الخراز (ت ٢٧٧ هـ) وهو أول من توسع في الكلام عن الغناء(٢).

وقد وقفت الصعوبة الظاهرة لدراسة المصطلح الصوفي أمام المستشرق دوزي فاستبعد من معجمه تماماً ألفاظ الصوفية لتعدد دلالتها واختلافها قائلاً أن هذا عمل تركته طواعيه لغيري(٣) وهو محق في هذا وخاصة إذا اقتربنا من صوفي كمحيى الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) الذي يكاد أن يخلق لنفسه لغة خاصة في العربية تحتاج الى درس مفرد يكشف عن طبيعتها وأصولها.

---

(١) Massignon, Essai sur les orgines lexique technique de la mystique musulmau paris, 1922.

(٢) د. شوقي ضيف العصر العباسي الثاني ص ١١١.

(٣) Dozy, op. cit. p. XI.

وقد تعددت هذه المصطلحات سواء الكلامية أم الصوفية أم الفلسفية بشكل تداخلت معه دلالات الألفاظ والتي لعب التوليد دوراً أساسياً في خلقها فاضطر العلماء إلى وضع المعجمات الخاصة لشرح دلالات هذه الألفاظ وغيرها من الألفاظ العلمية المولّدة وتحديد دلالتها الجديدة ومن أشهر تلك المعاجم كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ) وكتاب التعريفات للجرجاني (ت ٨١٦ هـ) وكشاف مصطلحات الفنون للتهانوي (ت في القرن ١٢ هـ) وكتاب الكليات لأبي البقاء (ت ٦١٦ هـ) كما اختصت بعض الكتب بمصطلح معين مثل الرسالة القشيرية التي اختصت بالمصطلح الصوفي وحده دون غيره من مصطلحات العلوم الأخرى.

ويوضح لنا الخوارزمي الغرض من تأليف مثل هذه المعاجم فيقول. « دعتني نفسي إلى تصنيف كتاب يكون جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات مضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلها الكتب الحاضرة لعلم اللغة حتى أن اللغوي المبرز في الأدب إذا تأمل كتاباً من الكتب التي صنعت في أبواب العلوم والحكمة ولم يكن شداً صدراً من تلك الصناعة لم يفهم شيئاً منه وكان كالأمي الأغتم عند نظره فيه »[1]. ثم يضرب لنا مثلاً على ذلك التداخل في المصطلح العلمي بلفظه « الرجعة » فيقول « ومثال هذه المواضعات لفظة الرجعية فإنها عند أصحاب اللغة المرة الواحدة من الرجوع لا يكادون يعرفون غيرها وهي عند الفقهاء الرجوع في الطلاق الذي ليس ببائن وعند المتكلمين ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبة وعند الكتّاب حساب يرفعه المعطى في العسكر لطمع واحد وعند المنجمين سير الكواكب الخمسة المتحيزة في خلاف نضد البروج »[2] ومثل ذلك أيضاً قاله في لفظة الفلك[3] ثم يقول « إذ كان أكثر

(١) انظر مفاتيح العلوم ص ٣.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ص ٤.

هـذه الأوضـاع أسـامي وألقـابـاً اختـرعت وألفـاظـاً من كـلام العجم أعربت »[1].

عـلى أن ظهور مثـل هذه المعـاجم الخاصـة بالمصـطلحات العلميـة في العربية يبقى بلا تفسير إذا لم نعرف الارهاصـات الأولى التي سبقت وجود هذا النوع من المعاجم وذلك في فترة مبكرة من حياة العربيـة وتتمثل تلك الإرهاصات في الدراسات التي قـام بها علماء العـربية حـول دلالة الألفـاظ تحت اسم غريب القرآن وغريب الحديث والتي بدأت على يد ابن عباس في دراستـه لغريب القـرآن على ضـوء استعمـال الألفـاظ القـرآنيـة في الشعـر الجاهلي[2]. ثم أخذت هذه الدراسة تتطور وتنمو مـع رقي الحياة الفكـرية والعقلية للمسلمين حتى بلغت أوجهاً على يد الراغب الأصفهـاني في كتابـه المفردات في غريب القرآن. ومثل هذا أيضاً نجده قد حدث بالنسبة لألفاظ الحـديث النبوي الشـريف[3] ومن هذا يتضـح لنا أن معـرفة دلالـة الفـاظ القرآن وتحديدها كان أمراً هاماً في حياة المسلمين وفي خلال ذلك كله كـان التـوليد قـد أنشأ يـأخذ طـريقه إلى الألسنـة المستعملة للعربيـة وخاصـة في الأوسـاط العلمية حتى أن هـذه الألفاظ الجـديـدة التي حملت هـذه المعـاني أصبح من الصعب على كثير من المتكلمين بالعربية أن يدركوا دلالتها ومـرد ذلـك إلى أن هذه الـدلالات ترجـع في جملتها إلى هـذه الثقافـات الجديـدة الوافدة والعلوم المترجمة، وكل ذلك جعل الدراسـات اللغويـة تتجه اتجـاهاً جـديداً فلم يعـد الأمر مجـرد إحصاء أو استقصـاء للقواعـد والألفاظ وإنمـا اتجهت أسـاساً إلى ادراك المـدلولات تمـاماً كـما اتجه ابن عبـاس وطبقته من العلماء إلى معـرفة مـدلولات ألفـاظ القرآن والحـديث وقـد كـانت معـرفـة

---

(١) المرجع السابق ص ٥.

(٢) السيوطي الاتقان ١/١٥٥.

وانظر أيضاً لغة أبي العلاء في رسالة الغفران ص ٣.

(٣) راجع ابن الأثير، النهاية ١/٤.

الدلالات الجديدة لهذه الألفاظ الفلسفية والعلمية مطلباً حيوياً في هذه الفترة من حياة العربية لما ترتب على هذه الدلالات من اختلاف في الفهم والتفسير وخاصة فيما يتصل بالنصوص الدينية ويدل على ذلك ظهور بعض المؤلفات التي ترجع الخلافة بين المسلمين إلى طبيعة هذه الدلالات وفهمها فمن تلك الكتب المبكرة كتاب ابن قتيبة الاختلاف في اللفظ وفيه نراه يرد على المشبهة والجهمية وينعي عليهم سوء فهمهم لبعض دلالات ألفاظ القرآن الكريم، كما نراه يشكو في مقدمة هذا الكتاب ذلك التطور الذي طرأ على حياة العربية والفكر العربي فيقول إن القدماء كانوا يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر والوسواس والخطرات ومجاهدة النفس والهوى أما في عصره فقد استفاضت المناظرات حول الاستطاعة والتولّد والطفرة والجزء والعرض والجوهر وغير ذلك من الألفاظ أو المصطلحات المولّدة التي وجدت في بيئة المسلمين[1]. وهكذا نجد أن علماء المسلمين قد وجدوا بين أيديهم المنهج والمادة لتحديد دلالات مثل هذه الألفاظ، وجدوا المنهج في صنيع أصحاب غريب القرآن ووجدوا المادة اللغوية فيما تولد من ألفاظ وتغير من دلالات وعلى هذا أخذوا يضعون معاجم خاصة لهذه الألفاظ الاصطلاحية التي رفض اللغويون المحافظون من القدماء الاعتراف بها وضمها إلى المعاجم العربية ومن ثم أفردت لها هذه المعاجم.

ولعل كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ) يعد من الأعمال الناضجة في هذا المجال بل هو في الحقيقة يكاد يصل لدراسة كاملة في دلالة الألفاظ واستعمالها فيم عرف عند علماء اللغة المحدثين تحت اسم Semantics إذ يحتوي هذا الكتاب على مصطلحات متعددة بعضها ديني ورد في القرآن الكريم وبعضها ورد في الأحاديث النبوية وهو هنا يمت بصلة قوية لصنيع أصحاب غريب القرآن وغريب الحديث والبعض الآخر من

(١) راجع ابن قتيبة الاختلاف في اللفظ ص ٩.

هذه المصطلحات تردد على ألسنة الفقهاء ورجال الدين وأصحاب المذاهب الكلامية والفلسفية وهو هنا يمهد السبيل أمام أصحاب المعاجم الخاصة مثل الخوارزمي في مفاتيح العلوم والتهانوي في كشاف مصطلحات الفنون، وسواء كانت تلك الألفاظ الدينية أو الكلامية والفلسفية فإنها جميعاً كانت قد اكتسبت دلالات حديثة تحتاج إلى تحديد وبيان ومما اختلفت فيه وجهات النظر فهي في مجموعها تكون عصب المعجم الجديد الذي نشأ في العربية وتطلب في استعمالها الحيطة والحذر والدقة معاً[1].

وقد حاول أبو حاتم الرازي أن يتتبع هذا التطور الدلالي الذي طرأ على هذه الألفاظ على ضوء التطور الذي حدث في الحياة الفكرية والعقلية للمسلمين وبالتالي حدد منهجه، فهو يبدأ أحياناً بتحديد أصل الكلمة واشتقاقها ثم يشرح مدلولها في العربية القديمة أو كما وردت في القرآن والحديث ثم يورد آراء اللغويين والنحويين في تحديد الصيغ والدلالات ولكنه كان لا يراعي في أكثر الاحيان التسلسل الزمني فقد يبدأ بالمدلول الإسلامي ويستشهد على ذلك بالقرآن والحديث قبل أن يحتج باللغة والشعر يقول في مقدمة هذا الكتاب « هذا كتاب فيه معاني أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية يحتاج الفقهاء إلى معرفتها من ألفاظ العلماء وما جاء عن أهل المعرفة باللغة وأصحاب الحديث والمعاني واحتججنا فيه بشعر الشعراء الذين يحتج بشعرهم في غريب القرآن وغريب الحديث وفيما يوجد له ذكر في الشريعة من الأسماء وما في الفرائض والسنن والألفاظ النادرة »[2].

وهكذا كان كتاب الزينة جامعاً لمناهج أصحاب غريب القرآن وغريب

---

(١) انظر مقدمة كتاب الزينة ٥٦/١ حيث أورد أبو حاتم ما اشتمل عليه الكتاب من هذه الألفاظ.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

الحديث وارهاصاً ناضجاً لأصحاب المعاجم الخاصة وكل ذلك ساعد هؤلاء الذين تصدوا لوضع هذا العدد الضخم من المصطلحات في شتى العلوم والفنون وبالتالي كانت الطريق أمامهم ممهدة ذلولاً ممثلة في هذا المنهج الناضج في الدرس الدلالي وهكذا ظهرت المعاجم الخاصة في صورتها الناضجة فحوت كل ما تولد من ألفاظ جديدة في الحياة الفكرية والعلمية الإسلامية وهكذا أيضاً استجابت العربية بمرونة فائقة لهذا التطور العلمي والفكري الضخم.

فإذا تركنا العلم والفكر وما يصتل بهما من الترجمة وانتقلنا الى جانب آخر من جوانب الحضارة الإسلامية وأعني به ما يتصل بالحياة العامة من نظم سياسية وإدارية وصناعات وفنون وغير ذلك، وجدناهناك أيضاً الكثير من الألفاظ التي أخذت طريقها إلى الحياة الحضارية للمسلمين عن طريق التوليد أيضاً لتسد نقصاً لغوياً في ألفاظ الحضارة كانت العربية تفتقر اليه وهي في باديتها في جزيرة العرب.

فنحن نعلم أن الحياة السياسية للعرب قبل الإسلام كانت تتمثل في حكم قبلي قائم على العصبية ومن ثم كان القانون السائد هو قانون الأقوى، ولكن الإسلام انتقل بهذا المجتمع إلى آفاق جديدة من الفكر والنظام السياسي والاجتماعي وهما أمران يتصلان بالتحضر والحضارة اتصالاً وثيقاً تماماً كما يتصل العلم بالحضارة، وقد تم وضع الخطوات الأولى في التحضر السياسي والاجتماعي بعد هجرة الرسول إلى يثرب، ولعل تغير اسم يثرب إلى المدينة بعد هجرة الرسول اليها يحمل في طياته عمق هذا التغير الحضاري في حياة العرب والعربية أيضاً فكلمة « مدينة » كانت تستعمل دائماً عند الشعوب السامية بمعنى البلد فيه القانون والشريعة والمحكمة(١).

(١) انظر د. حسن ظاظا، اللسان والإنسان ص ٩٠.

كما كانت تستعمل أيضاً بمعنى الحكم والقانون[١]، ومن ثم سميت يثرب المدينة لأن النبي عليه السلام أقام فيها أحكام الشريعة الإسلامية وقضى بين الناس بالقرآن وهو في الواقع تغير حضاري وسياسي له دلالته التي دعت إلى تغير اسم يثرب إلى المدينة، قال الليث « إن المدنية اسم لمدينة رسول الله خاصة »[٢]

وهكذا لم يكن هذا التغير اللغوي لاسم يثرب في الحقيقة إلا رمزاً لتغير لغوي آخر كان على العربية أن تواجهه فيما بعد. فمنذ اللحظات الأولى لميلاد المجتمع الإسلامي ارتبط أمر السياسة فيه بالدين برباط وثيق وبالتالي لم يكن هناك انفصال بين ما هو ديني وما هو سياسي، فالأحزاب السياسية في الإسلام والتي نشأت بعد ذلك أحزاب دينية لها مقولات وآراء في الحكم والسياسة والدين والفلسفة كذلك، ولعل نقطة البداية في حياة الأحزاب السياسية في الإسلام كانت عقب وفاة الرسول عليه السلام عندما وقع الخلاف بين المهاجرين والأنصار في أمر قيادة الجماعة الإسلامية فيما يعرف عند المؤرخين بيوم السقيفة[٣]. وانتهى الخلاف إلى اختيار أبي بكر لقيادة المسلمين وأسفر هذا الاختيار عن ظهور لفظ جديد لم تعرفه العربية من قبل بهذه الدلالة وهو لفظ « الخليفة » الذي يقرر المؤرخون المسلمون أن هذااللقب إنما أطلق على أبي بكر باعتباره خليفة عن صاحب الشرع في حراسة أمر الدين وسياسة الدنيا[٤]. وهي دلالة لم تكن للفظ قبل الاسلام[٥].

(١) Gesenius, op. cit. p. 192.

(٢) انظر ياقوت معجم البلدان ٤/ ٤٥٩.

(٣) راجع تاريخ الطبري ٣/٢٠٧ وما بعدها.

(٤) ابن خلدون، المقدمة ص ١٥٩.

(٥) راجع مادة خلف في تاج العروس ولسان العرب، وانظر أيضاً مادة خليفة في دائرة المعارف الإسلامية.

وقـد اختلف الفقهاء والعلماء بعـد ذلك مـع تعقـد الحيـاة السيـاسيـة والفكرية للمسلمين حول مفهـوم الخلافـة والصفات المطلوبة فيمن يتـولى هذا المنصب حتى قام حول هذا اللفظ مبحث سيـاسي وديني له خـطره في الفكر السياسي عند المسلمين أفردت له الكتب والدراسات قديماً وحـديثاً(١) ومهما يكن من أمر فقـد تولى أبـو بكر الخـلافة ثم أعقبـه عمر بن الخـطاب الـذي أصبح بـالتالي خليفـة رسول الله وكـأنما استثقلوا هـذا اللقب وطول إضافته **وأنه** ستزايد فيما بعد حتى ينتهي الى الهجنة فتولوا به إلى ما سواه مما يناسبه(٢) ومن ثم ظهر لقب « أمير المؤمنين » وهو تركيب إضافي من لفـظة « أمير » ولفظة « المؤمنين » ليعطي دلالة جديدة لم تكن لأي منهما من قبل.

وبعـد مقتل عمـر تولى عثمـان الخلافـة وبمقتل عثمـان انتقلت الحيـاة السيـاسية الإسـلامية إلى مـرحلة أكثر تعقيـداً فيما ظهـر من أحـزاب ذات تنـظيم وآراء دارت رحى الخـلاف بينهـا حـول لفظ آخـر جـديـد هـو لفظ « الامـام » وهو من الألفـاظ التي نبعت من الحياة السيـاسية والاجتمـاعية للمسلمين(٣).

على أن أمر هذه الأحزاب لم يشتد ويظهر تأثيـره إلا بعد مقتـل الخليفة الرابع عـلي بن أبي طالب وكـانت الشيعة من أقـوى الأحزاب التي انشـأت تعارض الخلافة الأموية التي استولت على السلطة بعد التحكم(٤) مما أشعل السخط بين أنصار علي وبذلك كان التشيع أهم انشقاق حـدث في التنظيم السياسي للدولة الإسلامية، وهنا نلاحظ من الوجهة اللغوية الخالصة نشأة مجمـوعة من الكلمـات المولّـدة التي أخذت تتـردد في لغة الحيـاة السياسيـة

(١) انظر على سبيل المثال ما كتبه الماوردي في الأحكام السلطانيـة ص ٣ وما بعـدها، وأنـظر أيضاً دائرة المعارف الاسلامية مادة خليفة.
(٢) ابن خلدون المقدمة ص ١٨٩.
(٣) راجع دائرة المعارف الاسلامية مادة امام.
(٤) راجع تاريخ الطبري ٦/‏٣٧ وما بعدها.

للمسلمين في القرن الأول الهجري للدلالة على بعض آراء هذه الأحزاب وأسمائها ويأتي في مقدمة هذه الألفاظ لفظ « الشيعة » الذي استعمله القرآن الكريم بمعنى المتابعة والمطاوعة وهي الدلالة الأصلية للفظ قبل أن تتحول دلالته إلى هذا المعنى المذهبي[1] حين أخذ يدل على كل من تولى علياً وأهل بيته ويتحزب لهم حتى صار اللفظ لقباً خاصاً بهم وفي ذلك يقول الأزهري « الشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي ويوالونه »[2] ويحدد لنا الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) الدلالة المذهبية التي انتهى إليها اللفظ بقوله « الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصاً ووصاية إما جلياً أو خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو تقيه من عنده»[3].

وغني عن البيان أن لفظ الشيعة بهذه الدلالة قد خرج عن معناه الأصلي إلى معنى إيديولوجي لم يكن يعرفه العرب القدماء ثم اشتق من هذا الأصل فعلاً مولداً للدلالة على هذا المعنى فقالوا تشيع الرجل إذا دعى بدعوة الشيعة أو صار شيعياً[4].

على أن أمر الشيعة لم يقف عند هذا الحد بل انقسمت فيما بينها إلى فرق متعددة المذاهب والآراء وأدى هذا الانقسام إلى ظهور مزيد من الألفاظ المولدة التي تدل على الفرق التي انقسمت إليها الشيعة فكان منها: الرافضة من مادة رفض والقطعية من قطع والغمامية من غمّ الى غير ذلك من الفرق التي نسبت إلى أسماء الزعماء مثل « الكيسانية » و « الزيدية » و « الأبترية » وغيرها[5]. ولعل من أطرف ألقاب الشيعة ذلك اللقب الذي

(١) انظر تاج العروس مادة شيع ومادة شوع.
(٢) المصدر السابق مادة شيع.
(٣) الملل والنحل ١٩٥/١.
(٤) تاج العروس مادة شيع.
(٥) راجع مفاتيح العلوم ص ٢٨ وما بعدها. وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ص ١٦ وما بعدها.

أطلق على القطعية من قبل بعض خصومهم وهو لقب « الممطورة » من مادة مطر إذ قال لهم في جدال قام بين الفرقتين « لأنتم أهون علي من الكلاب الممطورة فلزمهم هذا اللقب»[1].

وفي ذات الوقت تقريباً ظهرت فرقة الخوارج كحزب سياسي له رأي في الخلافة وأنها من حق الله يتولاها من المسلمين خيرهم تقي وورعاً وزهداً ولو لم يكن قرشياً بل لو كان عبداً حبشياً[2]. وانقسمت الخوارج كما انقسمت الشيعة من قبل إلى فرق وأحزاب كان لكل منها لقب جديد يدل عليه لفظ لم تعرفه العربية القديمة بهذا المعنى بلغت أربعة عشرة لفظاً جديداً[3] وحصرها الشهر ستاني في ست فرق أساسية منسوبة إلى أصحابها هي: الأزارقة، النجدات، الصفرية، العجاردة، الأباضية، الثعالبة والباقون فروع لهم[4]. ولم يقف أمر السياسة والدين عند حد ظهور هاتين الفرقتين الكبيرتين وإنما أخذت تظهر بجانب ذلك أبحاث في العقيدة مهدت الطريق أمام علم الكلام وقد ارتبط هذا بالسياسية أيضاً بصورة أو بأخرى وكان من أهم القضايا التي عرضت حينئذ مسألة القضاء والقدر والإيمان والعمل ومن خلال المناظرات التي قامت بين الفرق المختلفة انبثقت فرقتا « القدرية » و « الجبرية » وهما لفظتان مولدتان من تلك الألفاظ السياسية والكلامية التي ظهرت في حياة المسلمين الدينية والسياسية والفكرية أيضاً، قال أبو عبيد (ت ٢٢٣ هـ) « الجبرية خلاف القدرية كلام مولّد »[5] وقال الأزهري « القدرية لفظ مولّد[6] » .

---

(١) انظر مفاتيح العلوم ص ٢٩.

(٢) الملل والنحل ١/١٥٥ وما بعدها.
وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ص ٥٤.

(٣) المبرد، الكامل ٣/٩٠.

(٤) الملل والنحل ١/١٥٦.

(٥) الصحاح مادة جبر، وانظر أيضاً المزهر ١/٣٠٧.

(٦) تاج العروس مادة قدر، وانظر أيضاً تحليل اللفظتين في الفصل التالي من هذا البحث.

وكـان من أثر المنـاقشات التي دارت بـين دعاة الجبـرية والقـدريـة أن ظهرت فرقة « المعتزلـة » التي أثرت في حيـاة المسلمين الفكـرية والسيـاسية طوال القرنين الثاني والثالث ثم اشتد أمر السياسة فظهر غلاة الشيعة ومنهم « الإسماعيلية » والتي كانت تدل في بادىء الأمر على إحدى فـرق الشيعة ثم صارت مع الزمن وتطور الحياة السياسية والاجتماعية تدل على أصحاب مـذاهب دينية مختلفـة وأحزاب سيـاسية واجتمـاعية متعـددة وآراء فلسفيـة وعلمية متنوعة استعملت للدلالة عليها كثير من الألفـاظ المولّـدة فمن ذلك مثلاً عدد الرتب الإسماعيلية حيث نجد لكل رتبة اسماً خاصـاً يلائم العلم الذي يتلقاه المدعو من الداعي في تلك الدرجة وتبدأ هذه المراحل على النحو التالي كما تمثلها الألفاظ المولّدة الآتية :

« التفـرس » ثم « التأنيس » ثم « التشكيـك » ثم « التعليق » ثم « الربط » ثم « التدليس » ثم « التأسيس » وآخرها « الخلع » « والسلخ »[1]. وكلهـا ألفاظ عـربية أخـذت دلالات جديـدة تتناسب مـع مـا لهـذه الـدعـوة من طـرق وأساليب في ضم الأتباع والمريدين.

وهكذا مضت الحياة السيـاسية في الإسـلام في خلق كلمات مـولدة لم تعرفها العربية القديمة، ومن العجيب حقاً أن اللغويـين القدمـاء لم يروا في هذه التوليد إلا لفظتين اثنتين فقط من هـذه الألفاظ الكثيـرة وهما القـدرية والجبرية ولعل هذا التغـير اللغوي الـذي تمثله هذه المجمـوعة من الأسماء والألقاب التي ولدتها هذه الفـرق ينبيء عن تغير آخـر أعمق وأبعد أثـراً في حياة اللغة العربية إذ كان لكل فرقة من هذه الفرق آراء ومقـولات جديـدة على الحياة الإسلامية تضمنت ألفاظاً عربية اكتسبت دلالات جديدة كـونت هذا الكم من المصطلح الفلسفي والسياسي لهذه الفرق.

وإذا كان هذا أمر السياسة والنظام السياسي في الحضارة الإسلامية كما

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

تمثل في هذه الألفاظ المولدة فإن النظام المالي والاداري الذي أخذبه العرب بعد الفتح يعكس لوناً آخر من ألوان الحضارة الإسلامية ممثلاً في مجموعة أخرى من الألفاظ المولدة التي لم تعرفها العربية القديمة وخاصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي يعود إليه الفضل في إنشاء وتنظيم الأداة المالية والادارية للدولة الإسلامية(١) ومن ثم أخذت هذه النظم ترقى وتتطور حتى بلغت أوجها في القرنين الثالث والرابع حيث استقر النظام المالي والإداري في الدولة الإسلامية على أسس ثابتة فظهرت مناصب إدارية ومدنية وعسكرية لم يكن للعرب عهد بها من قبل وبالتالي لم تكن العربية تعكس ما يدل عليها من ألفاظ. ففي نطاق مناصب الدولة نجد ألفاظاً: مثل: الدولة، الشرطة، القضاء، الحسبه، النقابة، الحجابة وغيرها.

وفي المجال العسكري نجد: المسترزقة، المتطوعة، العلوفة، العسكر، الجريدة وغيرها.

وفي مجال الإدارة نجد: الثغور، العواصم، الولاية، الحكومة، السكة، التوقيع، الوظيفة، الكاتب، العامل.

وفي نطاق المال والضرائب نجد: الخراج، الجزية، العشور، الرجعة، الصوافي، الجوالي، الجباية، الوقف، المصادرة، الصدقة، بيت المال، المراصد، دار الضرب، أهل الذمة، أرض الصلح، الجرائد، الجريدة، الخرائط، الراتب، الجاري، الختم، الخطط(٢). كما اشتقت ألفاظ مولدة من كلمات معربة مثل: الإبراد من البريد والتدوين من الديوان(٣).

ولعل لفظة الديوان هذه من أقدم الألفاظ التي دخلت العربية من اللغة الفارسية وقد ظلت حتى اليوم تستعمل بالدلالة التي عربت بها في العربية حتى بعد أن تم تعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان

(١) راجع الجهشياري، الوزراء والكتاب ص ١٦.

(٢) أنظر اللغة العربية كائن حي ص ٦٩ وما بعدها.

(٣) Dozy, op. cit Tome I P. 478.

(ت ٨٦ هـ) الذي بدأ حركة التعريب بنقل لغة الدواوين من الفارسية واليونانية والقبطية إلى العربية[١]. والظاهر أن سيطرة وتغلغل العناصر البشرية غير العربية كانت من الدوافع الرئيسية التي جعلت عبد الملك يفكر في هذا العمل إذ أن معظم الأسماء التي يذكرها المؤرخون القدماء للعاملين في هذه الدواوين تدل على أنهم من غير العرب[٢] حتى أن الكاتب كان يمدح بأنه فارسي الكتابة[٣].

ومن المؤسف أننا لا نجد بين أيدينا من النصوص ما يلقي الضوء على الطريقة التي تم بها تعريب الدواوين من حيث إحلال مصطلحات ديوانية عربية محل تلك المصطلحات الأجنبية التي كانت تستعمل ولكن الذي لا شك فيه أن التوليد اللغوي قام بدور كبير في خلق ألفاظ عربية حلت محل تلك الألفاظ الفارسية واليونانية والقبطية التي كانت تستخدم حتى ذلك الوقت في دواوين الشام والعراق ومصر .

ويبدو أن عملية تعريب الدواوين هذه قد استغرقت فترة من الزمن تعدت فيها حكم عبد الملك إلى حكم ابنه الوليد (ت ٩٦ هـ) فهناك من الوثائق الرسمية ما يثبت أن اللغتين اليونانية والعربية كانتا تستعملان معاً حتى خلافة الوليد في المكاتبات الرسمية في مصر. ففي كتاب أوراق البردى العربية للدكتور أدولف جروهمان وثائق مالية وقضائية استعملت فيها اللغتان اليونانية والعربية[٤] الأولى على أنها لغة الديوان التي كان تدون به الأعمال والثانية لأنها لغة الحاكم العربي، كما نلاحظ أن في بعض هذه الوثا ق كتابات باللغة القبطية إلى جانب العربية واليونانية مما يدعو الى الظن بأن القبطية كانت تعتبر لغة رسمية وإن كانت تأتي في المرتبة التالية

(١) الوزراء والكتاب ص ٣٨.
(٢) المصدر السابق صفحات ٢٤، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٦٧.
(٣) المصدر السابق ص ٣٥.
(٤) انظر جورهمان أوراق البردى العربية ص ٢٥ الطراز رقم ٥٩.

بعد العربية واليونانية كما يبدو ذلك من طريقة اثباتها في آخر الوثيقة الرسمية أو على ظهرها[١].

ولكن اتمام عملية التعريب يدل على استجابة العربية لهذا العمل حتى اننا لا نكاد نعثر على لغة أخرى غير العربية تستعمل في الدواوين الرسمية بعد ذلك طوال القرنين الثاني والثالث وهما القرنان اللذان كانت العربية فيهما لغة الدولة والناس وذلك قبل أن تتمكن القومية الفارسية من إحياء لغتها في نهاية القرن الرابع[٢].

فإذا انتقلنا إلى جانب ثالث من جوانب الحياة الحضارية التي أخذ بأسبابها المجتمع الإسلامي بعد الفتح وجدنا للفنون والصناعات أثراً كبيراً في ظهور العديد من الألفاظ المولّدة التي أخذت تدل على مسميات وأشياء لم يكن العرب يعرفونها من قبل ولعل من أول الألفاظ التي تصادفنا في العمارة الإسلامية لفظ المسجد الذي عرفه العرب القدماء كاسم يدل على مكان السجود دون البناء الخاص المعروف بهذا الاسم[٣] ولكن بعد أن استكمل الرسول عليه السلام بناء مسجده في المدينة وكان بناء ساذجاً من اللبن رفع أساسه بالحجارة وسقف بالجريد وجعلت عمده جزوعاً[٤] ومنذ ذلك الحين أخذت لفظة المسجد تدل على هذا البناء خاصة دون مكان السجود[٥] واستمر اللفظ يدل على ذلك حتى عرفت العربية المسجد الجامع وهنا خصصت لفظة « الجامع » للدلالة على المسجد الكبير. وقد ظل مسجد رسول الله على هذه الصورة الساذجة حتى خلافة الوليد الذي أمر عامله على المدينة بهدم المسجد وإعادة بنائه وبعث إليه بمال وفسيفساء

---

(١) المصدر السابق ص ٤٤ الطراز رقم ٣، وانظر أيضاً ص ٤٦ الطراز رقم ٤.

(٢) راجع يوهان فك، العربية ص ٢٠٨.

(٣) تاج العروس مادة سجد.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٠.

(٥) انظر الجزء المخطوط من كتاب الزينة ص ٣٦٥.

ورخام وثمانين صانعاً من الروم والقبط من أهل مصر والشام فبناه وزاد فيه[1].

وفي خلال القرن الأول الهجري أضيفت إلى بناء المسجد زيادات لم تكن في مسجد الرسول منها « المأذنة » و « المحراب » و « المنبر » و« المقصورة » وكلها أشياء جديدة لم تكن هذه الألفاظ تدل عليها في العربية القديمة أو اشتقت اشتقاقاً جديداً، كما تقدم فن زخرفة المساجد حيث جمع المسلمون شتى أساليب الفنون القديمة وطبعوها بطابع دينهم فظهرت في المساجد النقوش الخطية لآيات القرآن الكريم بجانب القباب والأعمدة والمنحنيات[2].

ولعل من أبدع العمائر الإسلامية الدينية في القرن الأول بناء قبة الصخرة التي تبدو فيه بحق روعة الفن الإسلامي من تناسق في الأجزاء ودقة في التصميم والتنفيذ[3]، كما تقدم فن بناء الدور والقصور خلال القرنين الثاني والثالث حتى بلغت حداً من الترف والزخرفة عظيماً[4] ومثل ذلك الترف في البناء نجده أيضاً يشيع في ألوان الطعام والشراب وأدوات المائدة وفي كتاب البخلاء للجاحظ حشد كبير من الأطعمة والمشارب وهي في عمومها فارسية الأصل ولكن الأمر الذي لاشك فيه أن هذا الحشد من التقدم الحضاري سواء في البناء أم المأكل أم الملبس قد اقتضى إنشاء صناعات شتى عمل فيها آلاف من الصناع من بنائين وحدادين ونساج وطباخين ومهندسين وأصحاب حرف مختلفة وكل هؤلاء كانت لديهم لاشك ألفاظ كثيرة[5] تدل على الأدوات والآلات التي لم يعرفها العرب

(١) فتوح البلدان ص ٢١.
(٢) زكي محمد حسن، فنون الإسلام ص ١٣، ص ٣٢.
(٣) راجع وصف القبة وطريقة بنائها في فنون الإسلام ص ٣٦ - ٤٠.
(٤) راجع آدم ميتز الحضارة الإسلامية ٢/٢٠٣ وما بعدها.
(٥) انظر، أحمد تيمور، إعلام المهندسين ص ٨٣ - ١٠٠.

كذلك العمليات الفنية والتقنية التي يستدعيها بناء قصر أو صنع لباس أو طبخ لون من ألوان الطعام ثم أسماء ما يستخدم في هذا كله من المواد وخاصة في الطعام من الأبازير والنباتات والخضر التي لم توجد في جزيرة العرب وبالتالي لم يكن لها في لغتهم اسم يدل عليها.

كما تلقت العربية بالاضافة إلى هذا كله فيضاً من الألفاظ العسكرية عن طريق التقدم الذي وصل إليه فن الحرب خلال القرنين الثاني والثالث وما اقتبسه العرب من أساليب القتال عند الفرس والروم. أصبح لديهم معجم من الألفاظ يدل على أسماء الأسلحة وطرق تعبئة الجيوش وغير ذلك من المصطلحات العسكرية.

فمن أسماء الأسلحة والمعدات العسكرية نجد: الدبابة[1] والكبش والعرادة ويصف لنا الهرثمي (عاش حوالي ٢٣٤ هـ) تسمية أصول أجزاء التعبأة العسكرية ومنها نعرف مدى التطور الذي طرأ على فن الحرب بعد الإسلام كما نعرف أيضاً مجموعة من الألفاظ الجديدة التي أصبحت تدل على بعض أجزاء الجيش أو على سلاح من أسلحته فمن ذلك قوله « أصل أجزاء التعبئة ثلاثة: القلب ويسمونه الجمهور والميمنة والميسرة ويسمونها الجنين وطرفاً كل جزء من هذه الأجزاء جناح وقد يجزأ من كل جزء منها ثلاثة أجزاء وقد يزاد في النزول والمسير والمصاف واللقاء وغير ذلك ثلاثون صنفاً هذه اسماؤها: السرايا والمبدرقة والطلائع والنوافض والدبابة والربابة والأرصاف والمسالح والدراجات والعساس والجواسيس والمصاف والساقة والمقدمة والردء والمرتبة والكمين والمدد والخيل المرتفعة والخيل الممدة والخيل المانعة والخيل المنتبذة والخيل المقوية والخيل المترخية والخيل المنتخبة والخيل المحتسبة والخيل الرابطة وخيل الشاكرية وخيل الشرط

(١) انظر تحليل هذه الكلمة في الباب الثالث من هذا البحث.

وخيل المقدمة»(١).

وفي النص السابق نجد مجموعة من الألفاظ بعضها من القديم ولكن أكثرها من المولّد الذي اقتضته أساليب الحرب وتنظيمها على أسلوب متحضر لم يعرفه العرب قديماً.

ولكن من المؤسف أن أصحاب المعاجم العربية القديمة لم يهتموا بتدوين هذه الثروة الضخمة من الألفاظ المولدة نتيجة لنظرتهم المعيارية الا من ألفاظ يجدها الباحث متناثرة هنا أو هناك في بعض صفحات هذه المعاجم ولعل هذا ما دعى المستشرق دوزي لأن يقوم بسد هذا النقص في المعاجم العربية بوضع معجمه الذي ضمنه الكثير من هذه الألفاظ كما يقول(٢).

وهكذا مضت العربية خلال أربعة قرون كاملة تتلقى زاداً من الألفاظ والكلمات الجديدة مستجيبة لهذا التطور الحضاري الضخم الذي طرأ على حياة العرب والمسلمين بعد الفتح حيث أصبحت بحق لغة للعلم والحضارة وافية بمطالب العلوم والفنون في ذلك العصر وهو ما يحاول علماء العربية المحدثون ومجامعها اللغوية عمله خلال التطور الحديث للعربية كما سنرى في الباب الأخير من هذا البحث.

على أن العربية واجهت مع نهاية القرن الرابع الهجري تقريباً أوضاعاً سياسية وفكرية وحضارية قيدت من نموها وانتشارها نتيجة لسيطرة عناصر غير عربية على أمور السياسة والحكم وذلك منذ بداية انحلال الدولة الاسلامية الى أكثر من عشر دويلات مستقلة حوالي عام **٣٣٤** هـ ومن ثم بدأ عهد جديد في حياة العربية استمر حتى بداية النهضة الحديثة في أوائل

---

(١) انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب ص ٢٦ وص ٢٧، وانظر أيضاً الهمذاني الألفاظ الكتابية ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٢) Dosy, op. cit. p. VI.

القرن التاسع عشر الميلادي وفي الفصل الأخير من هذا الباب سنحاول أن نتتبع حياة العربية منذ أواخر القرن الرابع الهجري حتى بدأت مرحلة العصر الحديث وهي مرحلة قد تبدو طويلة ولكننا سنخصص الكلام على المراحل الكبرى والعلامات البارزة التي أثرت في حياة العربية وخاصة فيما يتصل بموضوع التوليد.

الفصل الرابع

العربية منذ القرن الرابع الهجري

بلغت العربية مع نهاية القرن الرابع الهجري تقريباً قمة نموها في الوقت الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية من علوم وفنون ذروتها[1] وكانت اللغة العربية طوال القرون الثلاثة الأولى تواكب التطور الحضاري وتسير معه جنباً إلى جنب فخلقت ثروة هائلة من الألفاظ والمصطلحات في شتى نواحي الحياة الإسلامية من علوم وسياسة وفكر ومال وإدارة وتجارة حتى بلغت كماً وكيفاً أقصى درجات نموها ويمكن أن تقسم هذه الثروة اللفظية في العربية حتى ذلك الوقت إلى قسمين أو نوعين من الألفاظ:

١ ـ الأول الألفاظ العربية القديمة التي جمعها رواة اللغة خلال القرنين الثاني والثالث والتي بدأت في شكل رسائل صغيرة ذات موضوعات محددة كالرسائل التي وضعت في الحيوان والنبات والشجر والحشرات والخيل وخلق الإنسان والإبل ويلحق بها ما ألف من كتب في النوادر والأضداد[2]. وكل هذا يمثل الرصيد الكلاسيكي للعربية كما كانت تستعمل في العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

٢ ـ النوع الثاني من الألفاظ ويتمثل في تلك الكلمات والمصطلحات العلمية والحضارية المولّدة التي أخذت تظهر مع تطور الحياة العربية من

---

(١) راجع آدم ميتز الحضارة الاسلامية ١/٤١٦ وما بعدها.

(٢) راجع د. حسين نصار المعجم العربي ١/١٢٢ وما بعدها.
وانظر أيضاً المرجع السابق ١/١٣٣ وما بعدها.

البـداوة إلى الحضـارة وأخـذت في نفس الـوقت تغـزو متن اللغـة العـربيـة وشاعت في الاستعمال في بيئات الخاصة والعامة على السواء.

ومن ثم كـان من الطبيعي أن يبـدأ النظر في حـركة تنـظيم هذه المـادة اللغوية الضخمة وانصب اهتمام القدماء على النوع الأول من الألفاظ خـوفاً على لغة القرآن واللغة العربية بشكل عام من هذا الجديد الذي بدأ يغزوها على أن حركة وضع المعاجم لا تعود بدايتها إلى القرن الرابع الهجري وإنما سبق الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) بوضع أساسها في القـرن الثانى بتـألفه كتـاب العين[1] وكـان أول المعاجم التي حـاولت تنظيم المـادة اللغويـة من النوع الأول ثم معجم جمهرة اللغة لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ثم أعقبه أبـو عـلي القالي (ت ٣٥٦ هـ) الـذي ألف البارع ثم الأزهـري (ت ٣٧٥ هـ) صـاحب التهـذيب ثم المجمـل لابن فـارس (ت ٣٩٥ هـ) وأخيـراً جـاء الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) مع نهاية القرن الرابـع وتحولت المعـاجم على يـده إلى وجه جديدة إذ صنف معجمه الصحاح مرتباً على حروف الهجـاء فنسج على منواله الكثير من أصحاب المعاجم اللغـوية بعـد ذلك كـالفيروزبـادي (ت ٨١٦ هـ) صـاحب القـامـوس المحيط وابن منـظور (ت ٧١١ هـ) صـاحب اللسان والـزبيـدي (ت ١٢٠٥ هـ) صـاحب التـاج وغيـرهـم من أصحاب المعاجم العربية القديمة والحديثة[2].

عـلى أن القدمـاء كما رأينـا في الباب الأول من هـذا البحث كـان لهم موقف ظاهر من النوع الثاني من الألفاظ التي كانت تكون جـزءاً غير يسـير من الثروة اللفظيـة للغة العـربية وأعني بهـا ألفاظ الحضـارة والمصطلحـات العلمية والفنية، فكـان الاتجاه السـائد بينهم هـو استبعاد هـذه الألفاظ من

---

(١) السيوطي المزهر ٣٩٧/١.
وانظر أيضاً د. حسين نصار المعجم العربي ١٩٤/١.
(٢) راجع د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ١٣٠ وما بعدها.

معاجمهم باعتبار أنها ألفاظ مولدة ولم يشذ عن ذلك من القدماء سوى صاحب القاموس المحيط[1] لأن هذه الألفاظ في زعمهم لم تجر على ألسنة العرب الفصحاء وبالتالي فلم تمثل المعاجم القديمة في مجموعها حقيقة النمو اللغوي الذي بلغته العربية آنذاك، ومع ذلك فقد تسربت بعض هذه الألفاظ الى تلك المعاجم ولكن رقابة اللغويين القدماء الصارمة كانت تطاردها بكلمة مولّدة أو ليست من كلام العرب[2] ولكنها وجدت طريقها في المعاجم الخاصة والتي أشرنا إليها في الفصل السابق من هذا البحث.

كذلك شهد هذا القرن تقدم الدراسات اللغوية والنحوية ورقيها على يد مجموعة من النحاة واللغويين منهم الزجاج (ت ٣١١ هـ) وابن السراج (ت ٣١٦ هـ) وابن درستويه (ت ٣٣٠ هـ) وأبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) والرماني (ت ٣٨٥ هـ) وابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) وابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ولعل أبا علي الفارسي تلميذه ابن جنى يمثلان قمة النضج الذي وصلت إليه الدراسات اللغوية والنحوية في هذا العصر إذ أن عملهما الرئيسي كان يمت إلى الفلسفة اللغوية أكثر منه إلى تقنين القواعد وجمع الأصول وهو الاتجاه الذي سيطر على الدراسات اللغوية خلال القرنين الثاني والثالث، ومن ثم لم يكن هدفهما إلا الدراسة اللغوية الخالصة بغض النظر عن الانتماء إلى أي من المدرستين الشهيرتين في النحو العربي، مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة اللتين كانت آراؤهما ما زالت تتردد في بيئة اللغويين والنحاة حتى ذلك الوقت[3].

وكان أبو علي الفارسي معتزلياً من أهل الرأي ومن طبيعة هؤلاء أن يطبقوا ما ورد فيه نص على ما لم يرد فيه نص أو كما يقول ابن الانباري

---

(١) راجع الباب الأول من هذا البحث.

(٢) راجع أيضا الباب الأول.

(٣) راجع د. شوقي ضيف المدارس النحوية ص ٢٥٧ وما بعدها.

(حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه)[1].

وقد أخذ أبو علي بهذا المبدأ وطبقه على اللغة وأعلن مبدأ القياس اللغوي وقال « أخطيء في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطيء في واحدة من القياس »[2] وكان يعتبر أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم[3].

ثم جاء من بعده تلميذه ابن جنى فرفع لواء هذا المذهب وفاق أستاذه في الاشتقاق وإليه ينسب ابتداع الاشتقاق الأكبر[4] ويدل كتاب الخصائص على جرأة ابن جنى في القياس وحساسيته في التذوق اللغوي وفهمه العميق لأسرار اللغة ومحاولته في أن يضع للغة والنحو أصولاً كما رأى الفقهاء والمتكلمين من قبله قد وضعوا للفقه وعلم الكلام أصولها[5].

وهكذا شهد هذا العصر الدراسات اللغوية وهي تتجاوز حدود الجمع والرواية والتقنين إلى آفاق منهج لغوي أرحب وأوسع أخذ يدرس الصلة بين أصوات الطبيعة ونشأة اللغة وما بين الألفاظ ومدلولتها من علاقة وعلاقة الصوت بالكلمة وعلل التصريف والإعراب وكلها نجدها في كتاب الخصائص لابن جنى الذي يعبر بحق عن روح هذا العصر بما ضمه من دراسات صرفية ونحوية ودلالية.

كما شهد هذا القرن أيضاً بداية اتجاه جديد لتأليف الكتب التعليمية في النحو ويعتبر كتاب الجمل للزجاجي (ت ٣٣٩ هـ) أول كتاب في هذه المجموعة من الكتب التعليمية ثم زادت هذه الكتب خلال القرن الخامس والقرون التالية نتيجة للأوضاع اللغوية التي وجدت العربية نفسها فيها.

---

(١) السيوطي الاقتراح ص ٣٧.
(٢) ابن جنى، الخصائص ٢/٨٨.
(٣) السيوطي الاقتراح ص ٤٣.
(٤) ابن جنى الخصائص ٢/١٣٣.
انظر أيضاً السيوطي المزهر ١/٣٤٧.
(٥) ابن جنى الخصائص ١/٤٨ وما بعدها.

وكما شهد هذا القرن قمة الدرس اللغوي ونضجه شهد أيضاً من ناحية الاستعمال اللغوي قمة النضج الذي وصلت اليه لغة الكتابة في هذا العصر ممثلة في كتاب الرسائل الذين تناولوا في رسائلهم شتى المعارف والعلوم والفنون والخواطر والأفكار، ويصف لنا المستشرق آدم ميتز لغة هذه الرسائل فيقول « ورسائل القرن الرابع الهجري هي أدق آية على ازدهار الفن الإسلامي ومادتها هي أنفس ما عالجته يد الفنان وهي اللغة ولو لم تصل إلينا آيات الفن الجميلة التي صنعتها أيدي الفنانين في ذلك العهد من الزجاج والمعادن لاستطعنا أن نرى في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة الرقيقة وامتلاكهم لناصية البيان في صورتها الصعبة»(١).

ومع ذلك فقد بدأت تظهر في هذه الرسائل الخطوات الأولى لذلك الطور الذي جعل لغة الكتابة العربية تتحول عن طريق الإغراق في السجع والجناس والمحسنات اللفظية إلى تلاعب بالألفاظ لا طائل وراءه تختفي فيه الفكرة التي هي الهدف الأول من التعبير وهو المذهب الذي أطلق عليه الدكتور شوقي ضيف مذهب التصنيع(٢) الذي بدأ على يد ابن العميد (ت ٣٦٠ هـ) حتى إذا ما كاد القرن الرابع يمضي إلى نهايته وجدنا هذا المذهب يبلغ أوجهه فتتحول رسائل الكتاب إلى ما يشبه الوشى الخالص فهي تحف تنمق في أروع صور التنميق وكل كاتب يتوفر على إحداث هذا توفراً وإن تكلف في سبيل ذلك عنتاً ومشقة(٣).

ولم يكن من الممكن أن تبلغ العربية هذه الدرجة من الترف لو لم تبلغ في الوقت نفسه أقصى درجات النمو اللغوي الذي يتاح للغة من اللغات في فترة معينة من حياتها ، ولكن من العجب حقاً أن العربية لم تبلغ هذا المستوى طبقاً لمقاييس اللغوين القدماء الذين اعتبروا لغة الأعراب والبدو هي المثل الأعلى

---

(١) أنظر الحضارة الاسلامية ١/٤٢٩.

(٢) راجع الفن ومذاهبه في النثر العربي صفحات ١٥١ - ١٥٢ ، ١٦٩ - ١٧١.

(٣) راجع د. شوقي ضيف للفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٢٢٧.

للاستخدام اللغوي وإنما بلغته نتيجة للموقف الحضاري الجديدة الذي وجدت فيه بعد أن استقرت كلغة للثقافة والعلوم والإدارة وغير ذلك، واستدعى كل هذا معجماً لغوياً متنوعاً لم يعد في مقدور لغة البدو بمفرداتها وواقعها الصحراوي البسيط أن تقدمه للتعبير عن هذه الثقافة العربية والإسلامية التي بلغت أقصى غاياتها من النمو في هذا القرن، فماذا يفعل الفيلسوف أو الطبيب أو عالم الرياضيات أو حتى أصحاب العلوم العربية الخالصة بمائة اسم للجمل ومثلها للسيف أو الأسد أو العسل دون المصطلحات اللغوية والكلمات الجديدة التي وضعوها بأنفسهم والتي تسعفهم في الكتابة والتأليف، ومن ثم لم يعد مثقفو القرن الرابع الهجري يلوذون بالبادية بحثاً عن اللغة بل على العكس كانوا يقومون هم أنفسهم بخلق ألفاظ جديدة تعبر عن أفكارهم وتخصصاتهم عن طريق التوليد تارة والتعريب تارة أخرى وإذا أعوزهم الأمر استعملوا الدخيل ولم يبالوا.

وعلى ذلك فقدت لغة البدو والاعراب في القرن الرابع الهجري قيمتها كمثل أعلى للاستخدام اللغوي وهو ما نلمحه في الفصل الذي عقده ابن جنى في كتاب الخصائص بعنوان « أغلاط الأعراب » وفيه ذهب الى أن الأعراب قد يقعون في اللحن لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتصمون بها. وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به وربما استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد[1].

وهذا بلا شك موقف جديد يختلف تماماً عن موقف اللغويين في القرن الأول والثاني الذين كانوا يفخرونبأنهم إنما يأخذون اللغة من أكلة اليرابيع وحرشه الضباب، وهكذا حل علم اللغة المنظم تنظيماً فلسفياً وعلمياً في أصول وقوانين محل الجمع الذي كان يقوم به علماء اللغة القدامى وبالتالي

---

(١) راجع ابن جنى الخصائص ٣/٢٧٣ - ٢٨٣.

تحولت العربية من لغة سماعية تؤخذ مشافهة من الاعراب الى لغة تؤخذ تعلماً من القواعد والأصول التي وصلت إليها المؤلفات اللغوية في القرن الرابع الهجري، بل إن لغة الكتابة نفسها لم تعد تعتمد على المحفوظ المأثور من كلام العرب القدماء وإنما أصبحت هي الأخرى تؤخذ تعلماً من الكتب ويدل على ذلك ظهور مجموعة من الكتب التي تعلم العربية لا كما عرفها البدو والأعراب وإنما كما كانت تستعمل في دواوين الكتابة والإنشاء.

ففي مطلع هذا القرن ظهر كتاب « الألفاظ الكتابية » لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (ت ٣٢٠ هـ) وفي مقدمة هذا الكتاب ومن مادته اللغوية نجد معالم الموقف الجديد الذي بدأت العربية تدخل إليه فنراه يقول في مقدمة الكتاب « ووجدت من المتأخرين في الآلة قوماً أخطأهم الاتساع في الكلام فهم متعلقون في مخاطباتهم وكتبهم باللفظة الغريبة والحرف الشاذ ليتميزوا بذلك من العامة ويركنوا عند الأغبياء عن طبقة الحشو والخرس والبكم أحسن من النطق في هذا المذهب الذي تذهب إليه هذه الطائفة في الخطاب. وألفيت آخرين قد توجهوا بعض التوجه وعلوا عن هذه الطبقة غير إنه يمزجون ألفاظاً يسيرة قد حفظوها من ألفاظ كتاب الرسائل بألفاظ كثيرة سخيفة من ألفاظ العامة استعانة بها وضرورة إليها لخفة بضاعتهم ولا يستطيعون تغير معنى بغير لفظة لضيق وسعهم فالتكلف والاختلال ظاهرات في كتبهم ومحاوراتهم إذ كانوا يؤلفون بين الدرةوالبعرة في نظامهم » ثم يقول « فجمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناساً من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس دون مذاهب المتشدقين والمتفاصحين من المتأدبين والمؤدبين المتكلفين البعيدة المرام على قربها من الافهام في كل من فنون المخاطبات ملتقطة من كتب الرسائل وأفواه الرجال وعرصات الدواوين ومحافل الرؤساء ومتخيرة من بطون الدفاتر ومصنفات العلماء »[1].

(١) انظر الألفاظ الكتابية، المقدمة ص ٦ - ٨.

من هذه المقدمة نلاحظ الوضع الجديد الذي وصلت إليه العربية في القرن الرابع الهجري ويتلخص فيما يلي:

١ ـ أن الكلام قد اتسع عما كان عليه قديماً.

٢ ـ لم تعد لغة الأعراب والبدو تمثل هذا النمو والاتساع.

٣ ـ أن من حق الكتاب والمؤلفين التصرف في اللغة بالاستعارة أو بتغيير الدلالة.

٤ ـ أن اللغة لا تؤخذ إلا تعلماً من كتاب الرسائل والدواوين.

٥ ـ أن التشبث بلغة البدو لم يعد أمراً محموداً في هذا القرن.

هذه هي شروط اللغة المثالية كما يراها الهمذاني والتي يجب على الكتاب والمؤلفين أن يلتزموا بها وكل هذا في الحقيقة يعبر عن موقف جديد تماماً لأن العربية في هذا القرن قد أصبحت لغة علم وحضارة وليست لغة صحراء وعلى هذا الأساس لا نجد للعرب الفصحاء ذكراً في كتاب الهمذاني.

أما لغة الشعر فقد كانت على النقيض من لغة الكتابة والتأليف إذ نجد في شعر هذا القرن مستويين مختلفين من مستويات الاستخدام اللغوي:

١ ـ المستوى الأول ويتمثل في الشعر الفني الرفيع والذي ظل محتفظاً إلى حد كبير بالمعجم اللغوي القديم الذي جمعه الرواة غير أننا مع ذلك نجد بعض الألفاظ المولّدة التي تسربت إلى لغة هذا الشعر، فالمتنبي (ت ٣٥٤ هـ) وهو من أكبر شعراء هذا العصر لم يتورع عن استخدام بعض الألفاظ التي لم يقرها القدماء فهو مثلاً يستعمل لفظ الرؤيا بمعنى الحلم بدلاً من الرؤية بمعنى النظر وكذلك يستعمل لفظ (ذو) مع الضمير بمعنى النفس[١] كما كان يدخل في شعره بعض المصطلحات الصوفية المولّدة[٢].

---

(١) يوهان فك، العربية ص ١٦٨ ـ ١٨١.

(٢) انظر يتيمة الدهر ١/١٤٥.

٢ ـ أما المستوى الثاني فيتمثل في شعر الفرص والمناسبات الذي أفسح معجمه للعديد من الألفاظ المولّدة فدخلت ضمن ثروته اللغوية بشكل سافر، وتقدم الفصول المعقودة لابن حجاج (ت ٣٩١ هـ) وابن سكره (ت ٣٨٥ هـ) وأبو دلف الخزرجي في كتاب يتيمة الدهر مادة غنية بهذه الكلمات المولّدة التي تعكس لغة الحياة العامة في هذا العصر ويصف أبو حيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) شعر ابن حجاج وابن سكره بأنه شعر «بعيد عن الجد سريع في الهزل ليس للعقل من شعره مثال ولا له فرضه مثال على أنه قديم اللفظ سهل الكلام وهو شريك ابن سكره في هذه الغرامة إذا جد أقعى وإذا هزل حكى الأفعى »(١).

وأبو حيان صادق إلى حد ما في وصفه لشعر ابن حجاج أما قوله انه قديم الأصل فأمر تعوزه الدقة لأن ابن حجاج الذي لا يكتفي بالهزل وإنما يدعي أيضاً النبوة في السخف(٢) كان يستعمل كثيراً من الألفاظ المولّدة لتطابق موضوعات شعره إذ أن ألفاظه تلك تنتمي كلها إلى هذا الجو من الهزل والسخف حيث نجد عنده ألفاظ مثل: بابه، مجون، الصفع، شوش، مستراح، الطاق، الهيضة، الفطور، المدققة، القحبة، المطبق(٣)، ولا يكتفي ابن حجاج بهذه الحرية التي أباحها لنفسه في استعمال الألفاظ المولدة بل نراه يسخر من أصحاب اللغة الفصيحة ممثلة في شخصية اللغوي ثعلب وكتابه الفصيح(٤).

أما ابن سكره فلا تقل لغته عن لغة ابن حجاج استعمالاً لهذا النوع من الألفاظ وإن كان أقل سخفاً وهزلاً من ابن حجاج ويبلغ استعمال

ـــوحول لغة المتنبي انظر أيضاً المصدر السابق صفحات ١/١٣٥، ١٤٤ ـ ١٤٥.

(١) انظر الامتاع والمؤانسة ص ١/١٣٧.

(٢) يتمية الدهر ٣/٢٧.

(٣) يتيمة الدهر ٣/٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٣٨، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٦٢ على التوالي.

(٤) يتيمة الدهر ٣/٢٦.

الألفاظ المولّدة أوجه في قصيدة أبي دلف الخزرجي المعروفة باسم القصيدة الساسانية(١).

على أننا لابد أن نلاحظ أن ثمة فرقاً كبيراً بين هذا النوع من التوليد اللغوي الذي انتشر في شعر ابن حجاج وطبقته من الشعراء وبين التوليد الذي يخدم مستوى حضارياً معيناً تحاول اللغة أن تصل إليه ذلك لأن توليد ابن حجاج وأمثاله هو توليد مرضى يضخم اللغة دون أن يرتفع بها إلى مستوى راق من الفكر والتحضر وهو يجر على اللغة متاعب أكثر مما يوفر لها من ميزات خاصة إذا تكاثر هذا النمط من التوليد ومن الحق القول أن اللغة كجزء من المجتمع لابد أن تكون من المرونة بحيث تستوعب هذا النمط أيضاً من حياة اللهو وتعبر عنه إذ الحياة ليست جداً أو علماً خالصاً ولكن المبالغة في هذا النمط من التوليد أمر لابد أن يحاط برقابة.

أما النوع الثاني من التوليد وهو الذي تستدعيه حاجات حضارية وفكرية فهو الذي يكون الثراء الحقيقي للغة ويجعلها تظل نشطة متثلة اتصالاً وثيقاً برقي الفكر وتقدم الحضارة وفي القرن الرابع الهجري كانت اللغة العربية قد وصلت إلى هاتين القمتين تقريباً من الاستخدام اللغوي ويمكن أن نجمل مستويات أو اتجاهات الاستخدام اللغوي في القرن الرابع الهجري فيما يلي:

١ ـ الاتجاه الأول ويتمثل في نمو الثروة اللغوية ووصولها إلى أقصى غايات النضج والاكتمال ومن ثم تحولت إلى أداة من أدوات الترف تمثل في ظهور المحسنات البديعية ولعل أبا العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) يمثل قمة هذا الاتجاه فيما كتبه من كتب ورسائل(٢).

٢ ـ الاتجاه الثاني ويتمثل في تلك الثروة من المصطلحات العلمية

---

(١) راجع هذا البحث ص ٢٥٥.

(٢) راجع لغة أبي العلاء في رسالة الغفران ص ٤٩١ ـ ٤٩٣.

والحضارية التي تراكمت خلال القرون الثلاثة الماضية والتي نمت خاصة أبان عصر المأمون حيث نشطت حركة التأليف والترجمة.

٣ ـ الاتجاه الثالث ويتمثل في انقسام لغة الشعر إلى هذا الشعر الفني الرفيع كما نجده عند أبي الطيب المتنبي ثم هذا الشعر الذي يقترب من لغة الحياة ويمثله ابن حجاج وابن سكره.

٤ ـ الاتجاه الرابع ويتمثل في الازدواج اللغوي الذي أصبح حقيقة واقعة تمثله هذه العامية التي كانت تنعكس بصورة أو بأخرى في لغة بعض الشعراء.

إذاً نحن أمام مرحلة من النضج اللغوي تشبه مرحلة النضج التي تسبق سقوط الثمرة فعوامل التقدم والتطور ظاهرة وأسباب الجمود والتخلف تطل برأسها وكان لابد من أن يحسم الموقف لصالح أحد هذين الاتجاهين وتدخلت العوامل السياسية والاجتماعية لتحسم هذا الموقف لصالح الاتجاه الثاني.

فبعد أن كانت الدولة الإسلامية كلها تكون كتلة واحدة تخضع خضوعاً تاماً للخليفة في دمشق أو بغداد يعين ولاتها ويجبي ضرائبها وإليه ترجع الادارة وشؤون الحكم والجند وغير ذلك من مظاهر السلطان والحكم المستقر الثابت، بعد ذلك أخذ هذا السلطان يتبدد نتيجة لضعف الخلافة في بغداد حتى تمزق العالم الاسلامي إلى دول وأمارات متعددة ظهر بينها التنافس والعداء وأصبح لكل منها إدارته وقضاؤه وجنده وان إعترف البعض منها بالخلافة فهو اعتراف ظاهري.

أما الخلافة في بغداد فقد صارت الى خلفاء ضعاف يتحكم فيهم الموالي والنساء ويلعب بهم الجند من الأتراك والفرس ومع مرورو الزمن وازدياد ضعف الخلفاء أخذت الصلة تنقطع بين الخلافة في بغداد وبعض

الإمـارات التي كانت تعتـرف بسلطته الـدينية فتلقب بعض حكـام الـدول بأمير المؤمنين أو الخليفة وكان الفاطميون أول من فعل ذلك وشجعهم على هذا أنهم شيعيون يقولون باغتصاب الأمويين والعباسيين للخلافة. وكـانت بغـداد باعتبـارها سـدة الحكم ومقر الخـلافة تعكس ذلـك الانهيـار الـذي أصـاب الدولـة الاسلاميـة فأصبحت نهبـاً للحـروب المحلية والانقـلابـات السياسية خاصة بعد أن استقر الأمر فيها لآل بويه منـذ عام **٣٣٤** هـ حـين دخلها أبو الحسـين أحمد بن بـويه فهـرب الخليفـة المستكفي بـالله من وجهه ولكنهم استطاعوا العثور عليه فأوقفه طويلاً بين يديـه ليتمكن آل بويـه من اعطائه البيعة![١]. ومع ذلك لم تستمر هذه البيعة طويلاً إذ سرعان ما عزله آل بـويه في نفس العـام وكان عـزلـه صـورة من صـور المهـانـة التي لحقت بالخلافة الإسلامية فقد طرحه الجنود أرضاً ووضعوا عمامته في عنقه وجروه مـاشيـاً إلى دار معـز الـدولـة بعـد أن نهبت دار السلطان حتى لم يبق فيهـا شيء[٢] وهكذا فتحت أبواب بغداد للصراع بين العناصر البشرية الأجنبية من ديلم وفرس وترك استخدمت في هذا الصـراع كل الـوسائـل حتى لحق الـدمار والخـراب ريف العـراق وسـوادة الـذي تسلط عليـه الجنـد وجعلوا الفلاحين يعملون لحسابهم فعم الغلاء وأفرط وحدثت مجـاعات حتى عـدم الناس الخبز فأكلوا الموتى والحشائش والجيفة[٣].

وفي أجهزة الدولة لم يكن الفساد أقـل من هذا بـل لعله كان أبشـع إذ أقـطع آل بويـه جندهم مسـاحات شـاسعة من الأرض استغلوهـا دون أن يدفعوا عنها ضرائب فقل الدخـل والخراج ولم يستـطع الكتاب من الخـوف تحديد هذه الإقطاعيات فاشتركوا مع الجند في الاختلس خـوفاً وطمعـاً لأن

---

(١) ابن مسكويه، تجارب الأمم ٢/٨٥.
وانظر أيضاً ابن العبري مختصر تايخ الدول ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٢) ابن مسكية تجارب الأمم ٢/٨٦ ـ ٨٨.
(٣) المصدر السابق ٢/٩٧ ـ ٩٨.

السلطان لا يحمي الكاتب من الجند ولا ينصره إذا قال[1].

ومن الناحية الدينية كان لتعصب آل بويه للشيعة ضد أهل السنة سواء في بغداد أم غيرها، دور في جعل سنوات حكمهم تصطبغ بالثورات الدامية والحروب الأهلية فقامت بين السنة والشيعة في بغداد ثورات ومعارك كاد يقتل في إحداها اللغوي أبو حامد الاسفرايني (ت ٤٠٦ هـ)[2] وفي هذا الوقت أخذت أطماع الروم الصليبية تكشف عن وجهها البشع في العالم الاسلامي فاستفادوا إلى أقصى حد من تلك الخلافات والتفكك الواقع في الدولة الإسلامية فكانوا يتدخلون أحياناً لنصرة أمير مسلم على آخر وتارة يعملون لحسابهم فكانت تلك الصورة المزرية من الاستعانة بالأجنبي حتى وقف الأمير المسلم تحت راية الروم يلتمس منها العون والحماية[3].

ولم تكن الحياة الاجتماعية تفضل الحياة السياسية كثيراً بل لعلها كانت أكثر سوءاً وأضل سبيلاً فقد حصدت المجاعات المسلمين وارتفعت الأسعار مع قلة الدخل وسوء توزيع الثروة فظهر تفاوت طبقي واجتماعي كبير في حياة الأمة الإسلامية التي لم تكن تعرف حينئذ إلا طبقتين تقريباً:

١ ـ الأولى طبقة الخلفاء والأمراء ومن يلوذ بهم من الأدباء والعلماء والشعراء ثم بعض التجار وتلك طبقة كانت ترفل في النعيم والترف وقصورهم تعج بأسباب اللهو مليئة بالجواي والغلمان كامتلائها بالطعام والشراب على السواء[4].

٢ ـ والثانية طبقة العامة أو السفلة أو الغوغاء كما كان يطلق عليهم

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل ٩/ ١٢٥.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب ١/ ١٨٦.

(٤) راجع الشابشتي، الزيارات ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

المؤرخـون وكان نصيبهـا الفقر والبؤس[1] ويندرج في هذه الطبقة بعض العلماء والأدباء الذين لم يتصلوا بالأمراء أو الخلفاء ومنهم أبو العـلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) الذي عاش طوال حياته كما يروي لنا المؤرخـون على دخـل من وقف له مقداره ثلاثين دينـاراً في العام كـان يعطى خـادمه الـذي يقوم على شأنه نصفها ويعيش بـالنصف الآخر فـلا عجب إذاً من أن يروي أنـه اقتصر في طعامـه على العـدس والتين[1] ومنهم من حـاول الاتصال وفشلوا في ذلك كأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) الذي لـزم باب الصاحب ابن عباد (ت ٣٨٥ هـ) ثم عاد من عنده صفر اليدين فأفرغ حقده على الطبقـة الأولى وغيظه وفقره في كتابه مثالب الوزيرين[2] وقد نشأت عن هذه الحـال الاقتصـادية السيئـة آثار اجتمـاعية وخيمـة فحيث كان الغني والتـرف ظهر الاستهتار والنعومة وفساد النفوس واستشرى الجشع أما سائـر الشعب فقد كـانوا مـذلين مهـانين وتحصنـوا بالكـذب والاحتيال وكـثر فيهم اللصوص والعيارون ومن وسط هؤلاء العامة ظهر بنو ساسان يتخذون من الصعلكـة والاحتيـال حرفـة ولعل أبـا زيد السـروجي بطل مقـامات بـديـع الـزمـان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) وما تجسمـه شخصيته من سخـرية واحتيـال صورة صادقة لهذه الطبقة من الناس نقلها بديع الزمان من بين صفوف العامة.

أما الحياة العلمية والفكرية فقد كانت على العكس من ذلك كله نامية مزدهرة، ففي هذا القرن بلغت الحـركة العلميـة والأدبية والفكـرية أوجهـاً وأتت ثمـارها ولعـل ذلك يـرجع إلى أن التمـزق السياسي أتـاح الفـرصـة لظهور مراكز علمية وثقافية متعددة في الدول الإسلامية المستقلة ترتبط بهذا الأمير أو ذاك وصارت تتنافس وتتبارى فيـما بينها لاجتـذاب العلماء والأدباء حتى ليقال أن بلاط سيف الـدولة الحمـداني قد ضم أكبـر عدد من هؤلاء العلماء والأدبـاء ومنهم المتنبي وابن جنى وغيرهمـا. على أن هـذا التنافس لم

(١) راجع تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٦١، ٤٦٢.

(٢) راجع أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين ص ٢٠٣، وفي مواضع كثيرة من الكتاب.

يكن السبب الوحيد لازدهار الحياة العلمية والفكرية طوال القـرنين الـرابع والخامس وإنما يرجع ذلك في المقام الأول إلى قوة الدفـع الحضاري الكبيـرة التي تلقتها الحياة الإسلامية خلال القرنين الثاني والثـالث وجزءاً من القـرن الـرابع، فلم يكن من الممكن أن تنهـار هـذه الحيـاة العلميـة والحضـاريـة الخصبة مع انهيار النظام السياسي وتمـزقه إذ كـانت في الواقـع أثبت وأبعد غـوراً في حياة المجتمـع الإسلامي الـذي قد يكفي جيش قـوي أو جمـاعـة منظمة تنظيماً دقيقاً كالقـرامطة وغيـرهم لكي تطيـح بهذا النـظام أو ذاك أو تسبب لـه عـلى الأقـل كثيـراً من المتـاعب والفـوضى أمـا الحيـاة الثقـافيـة والحضـاريـة فليس من السهـل اقتـلاع جـذورهـا ومن ثم نجـد استمـراراً حضارياً وثقافياً طوال القرنين الرابع والخامس أيضاً وفي نفس الوقت نلمح عوامل الانحلال والفساد وهي تنمو رويداً رويـداً مع تفشي سـوء الأوضاع السياسية والاجتماعية.

يضاف إلى هذا أن وجود الحضارة الإسلامية كلها أصبح مهدداً نتيجة لغارات الصليبيين والبيزنطيين على العـالم الإسلامي ومن ثم كـان الاهتمام بـالحضارة الإسـلامية والحفـاظ عليها هـو في الحقيقـة اهتمـامـاً بـالـوجـود الحضاري للإسلام والمسلمين ضد هذا الغزو الأجنبي.

وقد انعكست كل تلك الأوضـاع السياسيـة والاجتماعيـة والحضاريـة على اللغة العربية باعتبارها الوعـاء الذي تصب فيـه الحياة كـل روافدهـا من سياسة واقتصاد واجتماع وفكر وأدب وعلوم كما تترجم في نفس الوقت عن أشواق الناس وعـواطفهم وأحلامهم ونـظراً لأن عنـاصر أجنبيـة كثيرة بـدأت تتولى زمـام السلطة على المسلمـين فإن العـربيـة أيضـاً أصبحت في موقف جديد في مختلف بقاع العـالم الإسلامي إذ تبـدل بها الحال من موقف الهجوم طوال القرون الأربعة الأولى إلى موقف الدفـاع منذ القـرن الخامس الهجري. وهنا يبرز مرة أخرى الدور الذي قام به الإسلام في حياة العربية

إذ لولا ارتباط هـذه اللغة بهـذا الدين لكـان للعربيـة نتيجة لهـذه الظروف وغيرها في شتى مراحل حياتها شأن آخر غير شأنها اليوم نظراً لما تعرضت له خـلال تلك الفترة ومـا بعدهـا من محن واضطراب منـذ دخول السـلاجقة بغداد عام ٤٤٧ هـ إلى ما بعد انهيار الخلافة العباسيـة على يـد المغول عـام ٦٥٦ هـ ثم سيطرة الأتراك العثمـانيين عـلى العالم الإسـلامي. فقد أعلن السلاجقة اللغة الفارسية لغة رسميـة لدولتهم التي ضمت القسم الشـرقي من الدولة الإسلامية ومن هنا بدأت فترة الانسحار والتراجع في حياة اللغة العربية فبعد أن كانت هي لغة الكتابة والحديث الـوحيدة تقـريباً في العـالم الإسـلامي بدأت لغـة التأليف تـزدوج بعد أن كـان ذلك قـاصراً عـلى لغة الحياة وحدها ولكن هذا النوع من الازدواج اللغوي يختلف تماماً عن ذلـك الازدواج الذي أخذت العربية تقع تحت وطأتـه منذ لاكتها ألسنـة الأعاجم والمولدين في القرن الأول والذي بلغ ذروته أيضاً كما رأينا في القرن الرابع فكانت هناك لغة للكتابة والتأليف ولغة عامية للحياة اليومية وقد استمر تطور هـذه اللهجـات مـع انقسـام العـالم الإسـلامي إلى ممـالـك ودول مستقلة فأصبحت لهجات إقليميـة متميزة طبعت بـطابع كـل أقليم وهو مـا لاحظه الجغـرافي العربي المقـدسي (ت ٣٨٠ هـ) أثناء رحلتـه في البلاد الإسـلامية حيث اثبت في كتـابه أحسن التقـاسيم الخصائص اللغـوية لكـل إقليم من هذه الأقاليم ونشعر من حديثـه أن ثمة مـا يشبه الثنـائية أو الازدواجيـة في اللغة نشأ فعلاً في العالم الاسلامي(١).

أما هذا الازدواج الـذي نشأ بـإعلان السـلاجقة اللغـة الفارسيـة لغة رسميـة لشرقي العـالم الإسـلامي ودخـولهـا مجـال التـأليف العلمي والأدبي بجانب العربية فهو ازدواج كما أشرت يختلف لأنه ازدواج يدعمـه السلطان

---

(١) راجع يوهان فك العربية ص ١٩١ وما بعدها.
وانظر أيضاً د. محمود حجازي علم اللغة العربية ص ٢٦٣ ـ ٢٦٧.

السياسي أكثر مما تدعمه طبيعة الحياة وسنة التطور اللغوي ولكن السلاجقة عندما أعلنوا الفارسية لغة رسمية لم يستطيعوا في الحقيقة الابتعاد عن التراث الإسلامي كثيراً، حقاً تغلب العنصر الفارسي فكان منهم الوزراء والحكام والسياسيون كما كان منهم العلماء والفقهاء والأدباء والكتاب والشعراء، ولكن هؤلاء جميعاً كانوا يتكلمون العربية ويكتبون بها ومع ذلك فقد كان بعضهم يكتب باللغتين معاً بالفارسية والعربية ويقال أن الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) الذي كتب بالعربية كتابه الضخم إحياء علوم الدين قد ألف بالفارسية كتباً منها كتاب التبر المسبوك[١] وكذلك الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) والفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) وغيرهم من العلماء والكتاب.

ومع ذلك فقد ظلت اللغة الفارسية حتى ذلك الوقت واقعة تحت تأثير العربية تدور في فلكها وتأخذ منها خاصة في مجال المصطلحات العلمية والفنية التي كانت قد استقرت بالعربية وشكلت لغة العلوم والفنون في هذا العصر، ذلك لأن الفرس كانوا يستخدمون العربية طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة كلغة للتعبير والحياة فعندما حاولوا استخدام اللغة الفارسية كانت اللغة العربية هي اللغة الأساسية بالنسبة لهم وبالتالي اعتمدوا عليها في المصطلحات العلمية المختلفة أما الأفعال وأدوات الربط اللغوي والألفاظ الأساسية البسيطة فكانت من الفارسية وفي ذلك يقول المستشرق الإنجليزي براون « ولو أن أحداً أراد أن يكتب شيئاً في الفارسية بحيث تكون كتابته خلواً من الألفاظ العربية لتعذر عليه الأمر كما يتعذر على الذي يريد أن يكتب شيئاً بالانجليزية بحيث تكون كتابته خالية من كل كلمة يرجع اشتقاقها إلى أصل يوناني أو لاتيني أو فرنسي »[٢].

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون ١/٣٣٧.

(٢) براون، تاريخ الأدب في ايران ص ١٤.

ولعل كاتباً مثل رشيد الدين الوطواط (ت ٥٧٣ هـ) يقدم لنا نموذجاً لنوع من المؤلفين والعلماء عاشوا في ظل هذا النوع من الازدواج اللغوي. ففي كتابه « حدائق السحر في دقائق الشعر » الذي كتبه بالفارسية(١) نجد صورة حية لسيطرة المصطلح العربي في علوم البلاغة على الكتابات العلمية الفارسية التي بدأت تأخذ طريقها إلى الوجود، فقد اشتهر رشيد الدين بين العرب بكتاباته البليغة كنفس شهرته بين الفرس ومن ثم اعتبر من كبار الكتاب في اللغتين العربية والفارسية وله فيهما أشعار كثيرة يقول ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) إن رشيد الدين كان « اعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب طار في الآفاق صيته وسار في الأقاليم ذكره وكان ينشيء في حال واحدة بيتاً بالعربية من بحروبيتا بالفارسية من بحر آخر »(٢). ويقول الدكتور الشواربي مترجم كتاب حدائق السحر إن أشعار رشيد الدين العربية والفارسية ليست بشيء إذا ما قورنت بآثاره النثرية في هاتين اللغتين(٣).

أما الكتاب نفسه فصورة صادقة لهذا النوع من الصراع اللغوي الذي قام بين العربية والفارسية في مجال التأليف العلمي، فعلى الرغم من أن رشيد الدين كان يكتب بلغته القومية إلا أنه لم يستطيع فكاكاً من الأسر العلمي والحضاري كما وصلا إليه من خلال اللغة العربية فمعظم مصطلحات الكتاب أو كلها تقريباً هي نفس مصطلحات علوم البلاغة في الكتب العربية وكذلك الشواهد والتقسيمات البلاغية واللفظية(٤) وربما ساعد على سهولة هذا التقليد الذي اعترف به رشيد الدين(٥) دخول عدد

---

(١) معجم الأدباء ١٩/٢٩.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) د. أمين الشواربي كتاب حدائق السحر المقدمة ص ٢٤.

(٤) راجع على سبيل المثال كلامه عن الترجيع ص ٩٠ وما بعدها من الكتاب.

(٥) انظر حدائق السحر ص ٨٩.

كبير من الألفاظ العربية إلى اللغة الفارسية أبان العصر الذهبي للعربية.

وهكذا تغير الموقف بالنسبة للعربية في القرن السادس الهجري إذ دخلت الفارسية مجال التأليف العلمي مدعمة بسلطات سياسي لدولة مسلمة ترغب في إحياء لغتها القومية غير أن ذلك لم يهزم العربية في خراسان وغيرها من المناطق التي أقام فيها السلاجقة دولتهم، فعلى الرغم من هذا الزحف الحثيث للفارسية فقد بقيت العربية متحصنة بالإسلام كلغة للدين والقرآن والفقه وفي ذلك يقول بوهان فك إن هذا الاطار الذي وجدت فيه العربية نفسها في ظل السلاجقة ألقى ظلاله على دراستها التي تحولت إلى دراسة لعلم لغة مقدس Sacraphilologie هدفه تعريف التلاميذ باللغة الفصحى لغة الدين[1] وكان هذا في الواقع قيداً جديداً فرض على العربية إذ حولها من لغة حياة إلى لغة نصوص تدرس لمعرفة الدين ومن ثم وجد في البيئة الإسلامية نوع من العلماء أو المدرسين بمعنى أصح تخصصوا في تدريس اللغة العربية لهذ االغرض ومنهم الخطيب التبرزي (ت ٥٠٢ هـ) تلميذ أبي العلاء المعري الذي ظل لعدة سنوات يدرس العربية في المدرسة النظامية ببغداد[2].

وكان هذا التطور أو القيد الذي قيدت به العربية في شرق العالم الإسلامي هو الذي سيلزم العربية بعد ذلك وأعني أنها تحولت من لغة للحياة والمجتمع إلى لغة للدين أولاً ترتبط به وجوداً وعدماً ففي المحافظة عليها حفاظ على الدين ولعل هذا ليس وضعاً جديداً بالنسبة لهذه اللغة في الواقع ولكن الجديد هو أنها لم تعد لغة العرب وحدهم كما كانت في القرون الأولى وإنما أصبحت لغة لعناصر بشرية كثيرة يضاف إلى هذا التهديد المباشر الذي بدأ أثناء غارات الصليبيين على مصر والشام ثم الغزو

---

(١) العربية ص ٢٠٩.

(٢) راجع، نزهة الألبا، ص ٣٤٣.

المغولي وانهيار الخلافة الإسلامية كل هذه الأحداث أعادت تأكيد هذه الرابطة بين العربية والإسلام بشكل أقوى وفي اتجاه مضاد لما كان عليه الأمر في القرون الأولى.

ففي القرنين الأول والثاني مثلاً كانت هذه العلاقة بين العربية والإسلام تدعم من انتشار العربية مع انتشار الإسلام أما فيما بعد القرن الرابع فقد اختلف الوضع إذ أصبح الحفاظ على العربية وحمايتها مرتبطاً بالحفاظا على الإسلام والتراث الإسلامي ضد الغزو الأجنبي والحقيقة أن الحضارة العربية واللغة العربية لم تشهدا فترة أحرج وأدق من هذه الفترة في حياتها فكان لزاماً أن تنظم مقاومة حضارية ولغوية بجانب المقاومة العسكرية والسياسية وبالتالي فرض هذا الصراع طريقين للمحافظة على العربية من ناحية وعلى الحضارة الإسلامية من ناحية أخرى وهما:

١ - الطريق الأول وكان على المستوى الحضاري وتمثل في بداية حركة جمع التراث الإسلامي في مؤلفات ضخمة ربما كانت أكبر حركة تأليف شهدتها العربية من حيث الكم وخاصة خلال فترة الحكم الأيوبي الذي كان يتصدى لغارات الصليبيين وكذلك أيضاً خلال الفترة التي أعقبت سقوط بغداد على يد المغول حيث تصدى المماليك الأتراك لهذا الغزو فكانت تلك الفترة أشبه بتسجيل حضاري لكل تراث الأمة الإسلامية وكأن العلماء حينئذ أرادوا انقاد أكبر قدر ممكن من التراث العلمي والفكري الذي خلفه أجدادهم العرب والمسلمين بعد أن أحرق منه الكثير وأغرق أكثر في مياه دجلة والفرات أثناء غارات المغول والصليبيين وكانت الكثرة الغالبة من هؤلاء العلماء والمؤلفين تعيش في ربوع مصر والشام حيث برزت مصر كقلعة أخيرة يحتمي بها تراث الأمة العربية والإسلامية وكان أهم عناصر الحضارة الإسلامية بطبيعة الحال الدين ممثلاً في القرآن الكريم فزاد اهتمام العلماء به حفظاً وتفسيراً ودراسة فظهر من الدراسات القرآنية إعجاز القرآن

للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) والبرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٤ هـ) وبدائع القرآن لابن أبي الإصبع (ت٦٥٤ هـ). وجاء الحديث النبوي في المرتبة التالية بعد القرآن وكان لسيادة المذهب السني في هذا العصر أثر واضح في زيادة الاهتمام بالحديث فكثر المحدثون وزاد عدد طلابه وسمعوا من كبار حفاظ العصر مثل ابن عساكر الدمشقي (ت ٦٨٦ هـ) والحافظ المنذري (ت ٦٥٦ هـ) وغيرهما. أما الدراسات اللغوية فلم يكن الاهتمام بها أقل من الدراسات الدينية بل لعلها قد فاقتها حفاظاً على العربية إذ هي لغة الحضارة والدين فألف في نحوها وصرفها كوكبة من العلماء حفظت تراث العربية في هذا المجال من الضياع والاندثار فنظم ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ألفيته الشهيرة ليسهل حفظها في الصدور والعقول كما ألف ابن منظور (ت ٧١١ هـ) أضخم معاجم اللغة العربية وهو لسان العرب الذي ضمنه عمل من سبقه من أصحب المعاجم إبان العصر الذهبي للغة، كما وضع ابن هشام المصري (ت ٧٦١ هـ) مؤلفاته النحوية واللغوية وهي عماد الدرس اللغوي في الجامعات والمعاهد حتى اليوم، كما كثرت الشروح والمختصرات للكتب الهامة من مؤلفات اللغويين الأول كما حظى هذا العصر بجماعة من أئمة اللغة كابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ) وابن الخشاب (ت ٥٦٧ هـ) وابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) وابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) وابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) وغيرهم[1].

واهتم العلماء بالتاريخ اهتمامهم باللغة لحفظ تراث السلف فجمعت السيرة النبوية وألفت الكتب في تراجم الصحابة مثل أسد الغابة لعز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) وفي التاريخ العام نجد الموسعات الكبرى مثل تارخي الكامل ثم والمنتظم لابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) كما ازداد الاهتمام

---

(١) راجع د. محمد زغلول سلام، ضياء الدين بن الأثير ص ١٠ وما بعدها.

بتاريخ البلدان الإسلامية فألف ابن عساكر تاريخ دمشق وابن العديم (ت٦٦٦ هـ) تاريخ حلب وجمعت تراجم رجال الأدب واللغة في موسعات ضخمة مثل معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) وفي تراجم الفلاسفة والأطباء والحكماء نجد كتاب القفطي (ت ٦٤٦ هـ) وابن أبي أصيبعة (ت ٦١٦ هـ) وفي التراجم العامة نجد وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ).

وكانت السمة الغالبة على كل هذه المؤلفات جميعاً هي الجمع الشامل الكامل والاستقصاء الدقيق الذي أدى إلى أن يعرف هذا العصر بين الدارسين بعصر الموسوعات خاصة إذا ذكرنا كتاب نهاية الأرب في فنون الأب للنويري (ت ٧٣٢هـ) وكتاب صبح الأعشى للقلقشندي (ت٨٢١ هـ) وأخيراً يأتي جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) الذي أخرج أكبر مجموعة من المؤلفات والكتب يمكن أن تنسب لعالم واحد. يضاف إلى هذا كله كثرة عدد المدارس والمعاهد التي أنشئت في هذا العصر والتي عكفت على هذا التراث درساً وحفظاً وكانت تلك هي حركة المقاومة الحضارية التي لجأ إليها العلماء ضد هذا الغزو الأجنبي للعالم الإسلامي والتي كما رأينا تمثلت في هذا الجمع الشامل الكامل لكل تراث الأمة الإسلامية الحضاري والعلمي.

وقد كان موقف العلماء ودارسي تاريخ الحضارة الإسلامية والأدب إلى زمن قريب يرون أن هذا العصر يعد عصر اضمحلال وأن معظم ما ألف فيه لا يعدو أن يكون جمعاً لتراث السابقين وتفسيراً له وتعليقاً عليه ولكن هذا الرأي ينسى حقيقة هامة وهي أنه لولا هذا الجمع الذي صان الحضارة الإسلامية من الضياع وحفظ للغة العربية تراثها القديم بل كل ألفاظها وتعابيرها وأساليبها القديمة والمولدة ولولا ما قام به هؤلاء العلماء لما استطعنا تتبع تاريخ التطور اللغوي في العربية وعلى ذلك كان هذا العصر

عصر نهضةبصورة أو بأخرى أو على الأقل كان العصر الفضي للحضارة الإسلامية في مقابل العصر الذهبي الذي عاشت فيه تلك الحضارة إبان القرون الأربعة الأولى من الهجرة ، كما كانت الفترة أيضاً فترة الحضانة لهذا التراث خلال فترة الجمود عندما أسدل العهد التركي أستارة على العالم الإسلامي وأخذت اللغة التركية تنافس العربية منافسة شديدة أدى إلى جمودها وضعفها حتى بداية العصر الحديث وإذا كان هذا هو الطريق الأول الذي سلكته الحضارة الإسلامية على أيدى المسلمين إبان فترة الغزو الصليبي والمغولي والذي تمثل في هذا الجمع الدقيق الشامل لتراث اللغة العربية فإن الطريق الثاني هو:

٢ ـ اشتداد حركة التنقية اللغوية في مقابل تلك الرطانات التي بدأ يعلو لفظها في العالم الإسلامي وفي هذه الفترة يبزر الحريري (ت ٥١٦ هـ) وكتابه درة الغواص في أوهام الخواص حيث نجده يحمل في هذا الكتاب حملة شعواء على الأخطاء اللغوية الفاشية على ألسنة الطبقة المثقفة في عصره[١] وكأنما أراد أن ينفخ من روحه في العربية القديمة ليعيد إليها الحياة من جديد، ويقول المستشرق الألماني يوهان فك إن معظم الأخطاء التي أوردها الحريري في درة الغواص هي نفس الأخطاء التي لاحظها من قبل ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب غير أن هنك أخطاء أخرى ذكرها الحريري جاءت من شدة حرص معاصريه على سلامة التعبير اللغوي ولكنهم لم يصيبوا القصد في ذلك[٢].

وشدة الحرص هذه على سلامة اللغة كانت في الواقع وسيلة من وسائل المقاومة التي لم يلتفت إليها يوهان فك وهو يعزو هذه الأخطاء فقط إلى تلاشي الشعور اللغوي السليم وحده[٣] وتتمثل هذه المقاومة في الوقت

(١) انظر مقدمة درة الغواص ص ٢ .
(٢) العربية ص ٢١٣ .
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

نفسه في موقف الحريري المتشدد، فالرغبة في الحفاظ على العربية سليمة من الضياع والاندثار أو التحريف واللحن في هذه الفترة من تاريخ حياتها يقصد بها في ظني إلى هدفين:

١ ـ الأول وصل اللغة العربية بطريقتها القديمة في الكلام والتركيب وفي هذا استمرار ودفع لهذه اللغة حتى لا تنحرف نتيجة للظروف التي وجدت فيها في عصر الحريري فتبتعد عن هذا النبع الأصيل لها.

٢ ـ أما الثاني فهو مقاومة الصراع اللغوي الذي بدأت العربية تعاني منه نتيجة لظهور لغات منافسة في المنطقة كالفارسية.

ويدل على ذلك كله هذا التشدد الذي نجده من الحريري ازاء بعض الأخطاء التي أجازها بعض العلماء القدماء مثل ابن قتيبة وابن السكيت عندما كانت العربية في عصرها الذهبي فهو يطلب مثلاً أن يقال « جاء القوم بأجمعهم » بضم الميم على أنه جمع للفظة جمع[1] على حين يجوز ابن قتيبة أن يقال « بأجمعهم » بفتح الميم على أنه لفظ أجمع المستعمل في التأكيد[2]. وفي تاريخ الأيام يعترض الحريري على الطريقة المتبعة في عصره بين المتكلمين بالعربية في عدهم لأيام الشهر بأن يقولوا لأول يوم من الشهر أو مستهل الشهر أو العشرين خلت من شهر كذا[3] ويقدم بدلاً منه ما ارتضاه الفارسي كما يقول يوهان فك وهو أن يقال في أول الشهر « أول يوم من شهر كذا أو غرة شهر كذا » ولليوم الثاني يقال « لليلتين خلتا » ولليوم الثالث إلى العاشر يقال « لثلاث ليال خلون أو لأربع ليال خلون » وهكذا وفي اليوم الحادي عشر إلى الخامس عشر يقال « لاحدى عشرة ليلة خلت » ولليوم الخامس عشر يقال « منتصف شهر كذا ولليوم السادس

(١) انظر درة الغواص ص ١٠٣.

(٢) يوهان فك، العربية ص ٢١٨.

(٣) انظر درة الغواص ص ٤٥.

عشـر إلى العشرين يقـال « لأربع عشـرة ليلة بقيت من شهر كـذا » واليوم الحادي والعشرين إلى الثامن والعشرين يقال « لأربع عشـرة ليلة بقيت من شهر كذا » ولليـوم الحادي والعشـرين إلى الثامن والعشـرين يقال « لعشـر ليال بقيت من شهر كذا » ولليوم التاسع والعشرين « لليلتين بقيتا من شهر كذا » واليوم الثلاثين يقال فيه « بسلخ شهر كذا »[1].

ولم يختلف موقف الحريري المتشدد هـذا بالنسبـة للألفـاظ المولّـدة عن مـوقفه ازاء اللحن في اللفظ أو التـركيب فهو لا يعتـرف بـاستعمـال كلمـة « سائر » بمعنى الجميع ويرى أن الاستعمال الأصلي للكلمة بمعنى الباقي[2] كما يرفض الكلمات المولدة عن طريق النحت الحواميم والطواسين ويفضل عليها آل حميم وآل طس[3] كذلك يرفض استعمال كلمة رحل للدلالة على آلات الرجل وأثاثه لأن المقصود بالكلمة في العربية القديمـة سرج البعـير لا غير[4] كما يرفض التطور الذي طرأ على لفظة « الرؤ يا » فـأصبح يـدل على النـظر دون الحلم[5]. ونـظير ذلـك أيضـاً قـولهم « زوج » لـلاثنـين فيـرى الحريري أن العرب استعملت لفظ زوج للمفرد المزواج لصاحبـه فقط[6]، وكذلك استعمالهم « القينة » بمعنى المغنية خاصة وهي في كلام العرب الأمـة مطلقاً مغنية كانت أم غير مغنية[7] ثم استعمـالهم لكلمة « الـراحلة » اسم للناقة النجيبة خاصة وهو ليس كـذلك عنـد العرب لأن الـراحلة تقع عـلى

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.
وانظر أيضاً يوهان فك العربية ص ٢١٧، ٢١٨.
(٢) درة الغواص ص ٣.
(٣) المصدر السابق ص ٩.
(٤) المصدر السابق ص ٥٢.
(٥) المصدر السابق ص ٥٩.
(٦) المصدر السابق ص ١١٥.
(٧) المصدر السابق ص ١٢٣.

الجمل والناقة جميعاً[١] ومن ذلك استعمال البهيم بمعنى الأسود وإنما البهيم هو اللون الخالص الذي لا يخالطه لون آخر ولا يمتزج به[٢] وأخيراً من الألفاظ المولّدة التي يرفضها الحريري أيضاً استعمال لفظ « هوى » بمعنى سقط لأن هوى في استعمال العرب هو الإسراع يكون في الصعود والهبوط[٣].

وهكذا يمضي الحريري في تشدده رافضاً هذا التطور الذي طرأ على دلالات بعض الكلمات ومع ذلك فقد بقي بعضها يستعمل حتى اليوم بالدلالات الجديدة مثل الرؤيا بمعنى الحلم والبهيم بمعنى الأسود وهوى بمعنى سقط، ومع ذلك فإن تشدد الحريري هذا قد قوبل من بعض اللغويين فميا بعد بالنقد والتجريح ومنهم من أقر بعض هذه الألفاظ المولّدة وأدخلوها في الاستعمال العربي، ولكن المستشرق الألماني يوهان فك يعزو ذلك إلى ضعف الإحساس اللغوي العام في بيئة هؤلاء اللغويين قائلاً: إن هذا الاقرار يدل « على مدى ضعف ملكه النقد والتمحيص عندهم بحيث لم يعودوا يستطيعون إدراك الفروق الأساسية بين العربية الفصيحة والعربية المولّدة فاتجهوا إلى الاعتراف بألفاظ وقوالب وتعبيرات مولّدة على إنها صحيحة في العربية الفصحى »[٤]. ثم يذكر من هؤلاء اللغويين الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) قائلاً على تعليقاته على درة الغواص إنها « تنم على ضعف وتخاذل كبير في ملكه النقد والحكم الصحيح »[٥]. والواقع أن يوهان فك قد جانبه الصواب في هذا الحكم على الشهاب الخفاجي لأنه لم يقدر طبيعة المرحلة التاريخية التي كانت تمر

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٢) المصدر السابق ص ١٢٤.
(٣) المصدر السابق ص ١٢٤.
(٤) انظر العربية ص ٢٢٢.
(٥) المرجع السابق ص ٢٢٣.

فيها العربيـة في عصر الشهـاب والذي دعتـه إلى الاعتراف بهـذه الكلمات المولّدة وذلك في مقابل الكلمات العامية التي بدأت تنتقل من أفـواه العامـة إلى لغة الأدب في ذلك العصر(١).

فعقب سقوط بغداد كانت مصر تحت حكم المماليك وكـان هؤلاء هم ورثـة العصر الأيـوبي فنشأوا عـلى حب العربيـة والتكلم بها ورعـايتهـا كـما عاشوا فتـرة المقاومـة الحضاريـة التي تمثلت في جمع التـراث والتي أصبحت مصر فيها قلب العامل الإسلامي ثقافياً وحضارياً وبها تحصنت اللغة العربية والتـراث الإسلامي أمـام غارات التتـار وهم يكتسحون خـراسـان وإيـران والعراق ويقتربون من مصر والشام ولكن المماليك تصدوا لهم واستـطاعوا انقاذ هذا التراث من الضياع والاندثار.

وخلال سيطرة المغول على الجـزء الشرقي من العـالم الإسلامي نشـأت الـدولة العثمـانية في آسيـا الصغرى(٢) وبعـد أن رسخت أقدامهم قـطعـوا البحر إلى أوروبا وفتحوا القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ ثم تحولـوا نحو المشـرق فاستولوا على العراق وخراسـان وإيران فـورثوا دولـة السلاجقـة بحضارتهـا الإسلامية وتراثها الأدبي المكتوب باللغة الفارسيـة والتي كانت قـد بلغت في عهـد السلاجقـة شأواً بعيـد المدى فـأصبحت هي لغـة السيـاسـة والادارة والحكم كـما أصبحت ذات تـراث أدبي يضم أسـماء لامعـة من الشعـراء والكتـاب خلال القـرنـين السـادس والسـابـع(٣). واتخـذ العثمـانيـون من الفارسية لساناً رسميـاً لهم في مكاتبـاتهم ودواوينهم إلى عهد السلطان مـراد الأول (ت ٧٦١ هـ) الذي ظهر في عهده أول أثر أدبي باللغة التـركية هو « رباب نامة » وهو أقدم أثر شعري تملكه اللغة التـركية والتي اعتبرت لغته

(١) راجع أحمد صادق الجمال، الأدب العامي في مصر ص ٧٠ - ٧٣.
(٢) راجع حسين مجيب تاريخ الأدب التركي ص ٣٤.
(٣) حسين مجيب تاريخ الأدب التركي ص ٣٤.

غريبة ومهجورة بالقياس إلى لغة العصور التالية حيث بدأت اللغة التركية تكون تراثها الأدبي والفكري وتحولت إلى لغة حية يتكلم بها الناس ويكتب بها الأدب[١].

وهكذا عندما فتح العثمانيون مصر ٩٢٣هـ كانوا أمة ذات لغة مستقلة ومع ذلك لم تكن اللغة التركية بمنأى عن اللغة العربية والفارسية التي اقترضت منهما كثيراً من الألفاظ وخاصة فيما يتصل بعلوم الدين والتشريع[٢] ومن ثم بدأ بعد الفتح العثماني لمصر صراع بين العربية والتركية، العربية باعتبارها لغة الشعب والثقافة الإسلامية والتركية باعتبارها لغة السياسة والحكم وفي بداية الأمر استفادت العربية من تراثها الديني والحضاري ففرضت نفسها على العلماء الأتراك فأخذوا يدرسونها ويؤلفون بها بل منهم من كتب في نحو العربية وصرفها ومن أشهر هؤلاء الشيخ البركوي (ت ٩٨١ هـ) كما يدل على اصطناع العلماء الأتراك للعربية كلغة للتأليف والكتابة تلك الرسالة التي تركها لنا ابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) تحت اسم « التنبيه على غلط الجاهل والنبيه » وفيها ينبه إلى الخطأ في نطق بعض الألفاظ العربية مثل قوله في فصل الحاء:

« الحباب » ويستعمله الأكثر في النفاخات التي تطفو على وجه الماء بضم الحاء المهملة وهو خطأ والصحيح فتح الحاء. قال في القاموس حباب الماء كسحاب فقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير[٣].

وفي فصل الدال يقول: « ومنها الدأب هو بسكون الهمزة العادة والشأن وقد تحرك فاستعمل الناس إياه بمعنى الأدب خطأ محض »[٤].

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠، ٤٦.

(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية ٣/١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) التنبيه ص ١٩.

(٤) المصدر السابق ص ٢١.

ومن الألفاظ المولّدة التي يرفضها ابن كمال باشا على طريقة السلف أيضاً قوله في حرف الذال ومنها « الاذعان حيث يستعملونه بمعنى الادراك فيقولون اذعنت فلاناً بمعنى فهمته والصحيح اذعنت له ومعناه الخضوع والذل والانقياد »[1].

ويرى الأستاد عبد القادر المغربي الذي حقق الرسالة وأخرجها أن ابن كمال باشا لم يكن يصحح الأخطاء التي وقعت على ألسنة العلماء الأتراك الذين كانوا يتكلمون التركية بجانب العربية في ذلك الوقت[2] على أنه عاد فقال « ولم تضعف عناية علماء الترك باللغة العربية ويضيعوا ملكة التكلم بها والقدرة على التصنيف فيها إلا بعد أن زاحمتها اللغة التركية في العصر الأخير الذي قام على رأسه السلطان محمود الثاني وابنه السلطان عبد المجيد الأول واضع التنظيمات الخيرية وكان من أثر ذلك تنشيط اللغة التركية وتقريب قواعدها وتسميتها اللغة العثمانية وبذلك تضاءلت اللغة العربية وأهمل التصنيف فيها حتى آل الأمر في الأزمنة المتأخرة الى صعوبة وجود عالم تركي يجيد التكلم باللغة العربية »[3].

ولم يكن ذلك قاصراً على العلماء وحدهم بل في الحقيقة امتد أيضاً إلى الدوائر الرسمية فكانت اللغة التركية هي اللغة السائدة بها تكتب القوانين وتصدر المراسيم وأكثر من ذلك أصبحت التركية هي لغة التدريس في معظم البلاد العربية حتى كانت العربية نفسها تدرس باللغة التركية، فلا عجب أن تدخل إلى العربية آنذاك كثير من الكلمات التركية التي سنصادف كماً كبيراً منها عند الكتاب المتأخرين مثل الجبرتي[4].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢.
(٢) المصدر السابق ص ٤٣ ـ ٤٦.
(٣) المصدر السابق ص ٣٩.
(٤) راجع الباب الرابع.

تلك هي الصورة التي وجدت فيها العربية نفسها إبان العهد العثماني، غزو لغوي تركي يتمثل في هذا السبيل من الكلمات التركية الأصل أو الصياغة ثم جمود حضاري وفكري أدى إلى انكماش الحضارة العربية فانعكس ذلك كله على الانتاج الفكري والأدبي ولغة الكتابة في هذا العصر فكان أكثر ما يؤلف إنما هو من قبيل الشروح والتعاليق والحواشي وانحط أسلوب الكتابة حتى أوشك أن يكون عامياً، ويقدم لنا كتاب « هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف » وثيقة اجتماعية ولغوية نادرة، فهو يصور إلى أي مدى وصل الظلم الاجتماعي والسياسي بالمصريين وكيف انحط مستوى الحياة في مصر كما تعكس لغة الكتاب صورة دقيقة للعامية المطعمة بالفصحى التي سادت أسلوب الكتابة في هذا العصر[1].

ومع ذلك فاللغة العربية ما زالت رغم ذلك هي لغة الدين في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وكان الأزهر الشريف هو الحصن الحصين الذي احتمت فيه العربية طوال هذا العصر وحتى بداية العصر الحديث.

كل هذه الظروف والملابسات التاريخية والاجتماعية واللغوية التي عاشتها العربية أدت إلى إبراز أهمية الألفاظ المولّدة ودورها وخاصة تلك الألفاظ التي جرت على ألسنة العرب في العصر الذهبي للعربية إبان القرون الأربعة الأولى من الهجرة، ومن هنا نستطيع أن نفسر موقف الشهاب الخفاجي من تشدد الحريري في درة الغواص إزاء تلك الألفاظ المولّدة بوجه خاص وبالتالي يتضح لنا إلى أي مدى اخطأ المستشرق الألماني (يوهان فك) تقدير موقف الشهاب الخفاجي وعندما وصف تعليقه على درة الغواص بأنها تنم عن ضعف وتخاذل كبير في ملكة النقد والحكم الصحيح[2] وهو حكم مسرف إذ أن شرح الدرة يدل على استيعاب

(١) هز القحوف، المقدمة ص ٢ ـ ٣.
(٢) العربية ص ٢٢٣.

الخفاجي الدقيق لآراء القدماء ساعده على أن يناقش الحريري ويقدم أكثر من دليل على أن معظم الألفاظ والتراكيب التي اعتبرها الحريري من الخطأ أو من قبيل الوهم صحيحة، ومن الجائز استعمالها في اللغة الفصحى، مثال ذلك تعليقات الشهاب الخفاجي على الألفاظ: سائر، حواميم، التشويش، الرؤيا، زوج، القينة، الراحلة، هوى[1]. وهي نفس الألفاظ التي عدها الحريري مما وهم فيه الخواص فاستعملوها بدلالات لم تكن في العربية القديمة أي اعتبرها من الكلمات المولّدة.

على أن الشهاب الخفاجي قد وضح دقة وطبيعة التطور اللغوي وموقفه منه وخاصة فيما يتصل باستعمال الألفاظ التي جدت في حياة العربية فقال: «لو اقتصرنا في الألفاظ على ما استعمله العرب العاربة والمستعربة حجرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم»[2] وهي عبارة غنية عن التعليق لو التفت إليها المستشرق فك لما اتهمه بضعف في ملكة النقد والحكم الصحيح كما قال، فالشهابي يصدر في تعليقاته على الدرة من موقف معين أملته طبيعة المرحلة التاريخية التي تمر فيها اللغة العربية من ناحية والتي صحبها هذا التطور الفكري والاجتماعي والسياسي الذي طرأ على حياة العربية، ويؤكد موقفه هذا من الألفاظ المولّدة واقراره الصالح منها في الاستعمال الفصيح حديثه عن لفظة التشويش التي اجمع اللغويون القدماء ـ كما رأينا في هذا البحث ـ على أنها من الألفاظ المولّدة قال: «وما ذكره ـ يقصد الحريري ـ من التشويش وإن كان قد تبع فيه بعض أهل اللغة فقد اشتهر ووقع في كلام الزمخشري وأهل المعاني... والعامة تقول لذؤابة الرأس، شوشه، وهي عامية قبيحة وما انكره اثبته الجوهري فقال التشويش التخليط وقد تشوش عليه الأمر وكذا قال الليث وكذا صاحب

(١) شرح درة الغواص صفحات: ٨، ٣٣، ٦١، ١٤٢، ٢٣٦، ٢٥١، ٢٥٢ على التوالي.
(٢) المصدر السابق ص ٧٠.

القاموس أنـه وهم وقال ابن بـري إنه من كـلام المولّـدين ولا أصل لـه في العربية ثم يقول الشهاب الخفـاجي تعليقاً عـلى ذلك كله: « الا أن الليث أثبتها وهو ثقة وهي لفظة سرى معناها إلى لفظها »(١).

فهو هنا يعول على الاستعمال لدي كبار الكتاب ثم مـدى دلالة اللفظ على المعنى بغض النظر عن استعمال العرب لها وأقوال اللغويين كـما نراه يرفض كلمة شـوشه العـامية ويصفهـا بأنها عـامية قبيحـة وفي نفس الوقت يقبـل كلمـة التشـويش ويلتمس من إقـرار الليث لهـا حجـة لـلاعتـراف بصحتهـا، وهو في ذلـك إنما يجـري في حلبة اللغـويين القـدماء ويستعمـل ادلتهم وهو أمر يتصل بالشكل أكثر منه بالموضوع وكأنما الشهـاب الخفاجي يرى أنه إذا كان لابد من الاختيار بين المولّد والعامي فالمولّد أولي.

ولعـل تـأليف الشهـاب الخفـاجي لشفـاء الغليـل بعـد شـرح درة الغواص(٢) يقدم دليلاً أقوى على دعوتـه إلى استعمال الألفـاظ المولّـدة فهو يقدم في هذا الكتاب أكبر مجموعة من الألفاظ المولّدة دونت في مؤلف عربي حتى عصـره قائـلاً: « وضممت إليه قسم المـولّد وهـو إلى الآن لم يدون في كتاب ولم يرفع عن وجوه مخدراته النقـاب وقد أوردت منـه ما يسـر النـاظـر ويشرح الخاطر مع شيء من النقد والرد »(٣).

غـير أننا نـلاحظ اضطرابـاً يلفت النظر في تحـديد الشهـاب الخفـاجي للمولد فهو أحياناً يميز بين المعرب والمولّد وما عربه المولّـدون وأحيانـاً نجده يسوي بين المولّد وما عربه المولّدون ويعتبره من المولّد وأحيـاناً أخـرى يقول مـولّد معـرب(٤) وعلى الـرغم من ذلك فـالباحث لا يكـاد يخـطيء مـوقف

(١) المصدر السابق ص ٦٢.

(٢) يشير الشهاب إلى شرح الدرة في شفاء الغليل ص ٩٠ وفي حـديثه عن كلمـة خلق فيقول خلق بفتحتين ولا يقال خلقه كما فصلناه في شرح الدرة.

(٣) شفاء الغليل ص ٣.

(٤) انظر شفاء الغليل ص ٤٧، ٥٥، ٦٥، ٨٩.

الشهاب الخفاجي من المولّد ودعوته إلى إدخال الصالح منه ضمن الثروة اللفظية للغة العربية.

وهكذا ما أن وصلت العربية إلى عصر المماليك العثمانيين حتى وجدت نفسها تقبل ما كان يرفضه اللغويون القدماء من قبل من الألفاظ المولّدة وذلك للمحافظة على أصالتها ضد هذا التيار من الغزو التركي والعامي الذي تفشى في بيئتها آنذاك وذلك لأن الكلمة المولّدة في الحقيقة كلمة فصيحة الأصل تمت للعربية صيغة واشتقاقاً بأسباب قوية ولكنها أعطيت دلالة جديدة ومن ثم نجد التوليد يقوم بدور هام في المحافظة على مادة اللغة أمام الكلمات الأجنبية أو العامية التي قد تهاجم اللغة عادة في عصور الانحطاط، ولعل اقرار المولد في العربية والدعوة إلى استعماله من جانب الشهاب الخفاجي يشبه ما حدث للغة اللاتينية عندما تفرعت عنها اللهجات العامية التي كونت في النهاية للغات الأوروبية الحديثة حيث نجد هناك ما يقال له اللاتينية الدنيا وهي لاتينية كان يستعملها الكتبة العموميون ورجال الدين الكاثوليك وذلك بأن يأخذوا من اللهجات الأوروبية الألفاظ والتعابير المولّدة عن اللاتينية ويستعملونها وانتهى ذلك إلى ما يسمى من باب السخرية « لاتينية المطبخ » Latin du Cose واستمر ذلك طوال العصور الوسطى والعصر الحديث حيث نجد هذه اللاتينية ما زالت موجودة حتى اليوم[1] وهو نفس الموقف الذي وقفته العربية خلال العصر العثماني ومن ثم وجدت في الألفاظ المولدة وخاصة تلك التي استعملت على لسان الكتاب والشعراء والعلماء زاداً تتزود به في مقابل الزحف العامي عليها. وكان هذا عنصراً هاماً من عناصر بقاء العربية الفصحى بالإضافة إلى أن العربية ارتبطت طوال الحكم العثماني بالشعب الذي كان يرى فيها لغة شبه مقدسة لارتباطها بالقرآن الكريم والإسلام

(١) E. Leurés, Diction. de la lang. Francaise. T. III. P. 261.

وبالتالي ارتبطت دراسة اللغة العربيـة في الوجـدان الشعبي بدراسـة الدين حتى أصبـح رجل الـدين والمتخصص في اللغة العـربية شخصـاً واحداً إلى عهد قريب.

وهكـذا استطاعت العـربية بمسـاعـدة الإسـلام أن تقـطع مـرحلة من أحلك مراحل حياتها لا من الناحية السياسية والاجتماعية فحسب بل أيضاً من الناحية اللغوية الخالصة ولولا القرآن وارتباط العربيـة بالإسلام لكـان لها اليوم شأن آخر غير ما نعرفه منها الآن.

ولكن كيف كـان المتكلمون بـالعربيـة يـولـدون الكلمـات؟ ومـا هي المراحل التي كانت تمر فيها الكلمة المولّدة أو التركيب المولّـد؟ إن الدراسـة التحليلية لمجموعة من الألفاظ والتـراكيب المولّـدة في الباب التـالي من هذا البحث ستكشف لنا عن ماهية التوليد وخصائص العربية المولّدة.

الباب الثالث

التوليد في الألفاظ والتراكيب وخصائص العربية المولّدة
دراسة تحليلية ولغوية

الفصل الأول

التوليد في الألفاظ

تثير دراسة الألفاظ المفردة في اللغات المختلفة عدة مشكلات هامة خصص لها الباحثون جانباً من اهتمامهم في الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً، وأولى هذه المشكلات تتمثل في تحديد طبيعة الكلمة والفرق بينها وبين اللفظ، كما اختلفوا أيضاً في أي الاصطلاحين ـ الكلمة أو اللفظ ـ أولى وأدل من الآخر على ما يريدون، ففي الاستعمال الشائع تكاد الألفاظ ترادف الكلمات، وقد حاول اللغويون العرب القدماء التفرقة بين كل من اللفظ والكلمة. قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) « اللفظ بالكلام مستعار من لفظ الشيء من الفم »(١) ويقول ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) « اللفظ جنس يشمل الكلام والكلمة والكلم ويشمل المهمل كديز والمستعمل كعمرو » ثم يقول: « والكلمة هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد »(٢).

ويقول ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) « الكلمة قول مفرد. . . والمراد بالقول اللفظ الدال على معنى كرجل وفرس بخلاف الخط مثلاً فانه وإن دل على معنى لكنه ليس بلفظ وخلاف المهمل نحو ديز مقلوب زيد فإنه وإن كان لفظاً لكنه لا يدل على معنى فلا يسمى شيء من ذلك ونحوه قولاً »(٣).

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٤٦٨.

(٢) شرح ابن عقيل على الألفية ص ٥ ـ ٦.

(٣) شرح شذور الذهب ص ١١.

ويقول الأشموني (ت في حدود ٩٠٠ هـ) إن اللفظ « صوت مشتمل على بعض الحروف تحقيقاً كزيد أو تقديراً كالضمير المستتر » ثم يقول « وحد الكلمة قول مفرد. . . والقول على الصحيح لفظ دال على معنى »[١].

من هذا نخرج بأن القدماء كانوا يربطون بين اللفظ من ناحية وعملية النطق وصدور الصوت من ناحية أخرى دون أن يدل ذلك الصوت على معنى أو مدلول فإذا حدث ربط بين الصوت والمنطوق وما يدل عليه من معنى تكونت في رأيهم الكلمة، أي أن الكلمة أخص لأنها لفظ دال على معنى، ومن هنا نرى أن الكلمة أصبحت تساوي عندهم القول أو الكلام لذلك نراهم قد احترزوا في تعريفهم للكلمة بقولهم أن الكلمة قول مفرد، وبذلك فرقوا بين الكلمة المفردة والقول الذي يتكون عادة من عدة كلمات.

ومع ذلك نرى عالماً كالراغب الأصفهاني يضع لكتابه عنوان « المفردات في غريب القرآن » دون أن يختار أياً من المصطلحين الكلمة أو اللفظ، ويبدو أن الراغب قد ذهب إلى ذلك لأنه يرى إن اللفظ لا يدل تماماً على معنى الكلمة المفردة ذات المدلول المحدد إذ أنه قد يكون لفظاً بلا مدلول، كما أن الكلمة تستعمل للدلالة على القول[٢] والراغب في كتابة هذا يبحث في اللفظة المفردة ذات المدلول المحدد، ومن ثم لم يجد أمامه سوى كلمة المفردات لتدل على ما يريده من بحث اللفظة المفردة.

فإذا انتقلنا إلى رأي المحدثين حول مفهوم اللفظ والكلمة وجدناهم لم يتفقوا حول تعريف محدد لكل منهما[٣] لدرجة أن بعضهم قد شك في قيمة

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني ص ١/٢٠، ٢٦.

(٢) رسالة الغفران ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ حيث يستعمل أبو العلاء المعري الكلمة للدلالة على القصيدة والقول.

(٣) Lyons, Introduction to theoritical linguistics. p.p 196 - 199

الاعتـراف بشيء اسمه الكلمـة أو اللفظ واعتبـرهـا بعضهم خـرافـة علم اللغة[1].

فعلماء الأصـوات لا يرون في الكـلام المتصل حـدوداً تميـز بـين كلمـة وأخـرى بحيث يستطيـع السامـع تحليل عبـارة ما إلى مجموعات صوتيـة كل مجموعة منها تنطبق على ما يسمى بالكلمة وفي ذلك يقول اللغوي الفرنسي « أنطوان مبييه » إننا إذا أردنا أن ندرس النطق اللغـوي كوظيفـة لمعنى يعبر عنه فإننا نواجه في تلك اللحـظة مسميين متميـزين من العناصـر اللغويـة، فهناك العناصر التي تعبر عن الأشياء ثم العلاقات التي تقوم بـين العناصـر المكونة للجملة وهـو يعبر عن هـذه العلاقـات بعامـل الصيغة Morphem ويقول إن اللفظة المفردة وعامل الصيغة ليسا دائماً منفصلين في الكـلام فهما يتحدان اتحاداً وثيقاً في اللغات المعـربة بحيث تتـرك عند السـامع الـذي لا يفهم الجملة أثر النطق المستمـر وبالتـالي نرى بعض علماء اللسـان ينكرون غالباً حقيقة اللفظة المفردة، ثم يقول « وهم إلى حد ما مصيبـون من وجهة النظر الصوتية »[2] وقد حـاول بعض علماء الأصوات أن يحـددوا الكلمات على أساس صوتي بحت بالاستعانة بالنبر ولكن فاندريس يقـول إن النبر لا يحدد الكلمة إلا بصورة ناقصة لاختلاف موقعه[3].

وهكـذا نـرى أن الأسـاس الصـوتي وحـده لا يصلح لتحـديـد معـالم الكلمة، والواقع أن اللفظة المفردة هي وحدات في اللغة أكثر منها وحدات في الكـلام إذ أن الألفاظ في الكـلام ليست محددة بـوقفات مثـل الكلمـات المكتوبة وعلى ذلك يمكن القول بأن الألفـاظ وحدات لغـوية ولكنهـا ليست وحدات صوتية، ونجد للدكتـور تمام حسـان تعريفـاً للفظة العـربية يقـول

=وانظر أيضاً: Ruseell, An Inquiry into Meaning and truth P. 21 - 27.

(١) د. أبو الفرج، المعاجم اللغوية ص ٩.

(٢) انطوان مبييه، منهج البحث في الأدب واللغة ص ٦٧ ـ ٦٩.

(٣) فاندريس، اللغة ص ٩٧.

فيـه: « هي صيغة ذات طبيعـة لغويـة معينة في تـركيب الجملة تقوم بـدور وحـدة من وحـدات المعجم وتصلح لـلانفـراد وتحـذف أو تحشى أو يغـير موضعها أو يستبدل بها غيـرها في السيـاق وترجـع مادتهـا غالبـاً إلى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد »(١).

غير أن هذا التعريف يبقى ناقصاً إذ أغفل تماماً الناحية الصوتية وكـأن بالدكتور تمام حسان قد تمثـل في تعريفـه هذا لغـة النصوص المكتـوبة دون الكلام المنطوق.

على أن الأمر في النصوص اللغوية المكتوبة أيسر من ذلك بكثير، فمن السهل على الباحث أن يعرف حدود اللفظة المفردة كما يعرف حدود الجملة إذ أن اللغة المكتوبة لا تملك ما يملكه المتكلم من مناسبة وحركـات وتنغيم للصـوت، بـالإضـافـة إلى أن الكـاتب لابـد أن يستخـدم بـدقـة قـواعـد النحـو والمفردات استخـدامـاً محكـماً، ومن ثم فـاللغـة المكتـوبـة تـوضـح الصنيع النحوية كما تتضـح حدود المفـردات تمامـاً(٢). ومن هنا تـأتي أهمية دراسة المفردات داخل النصوص الأدبية(٣) لأن الكلمـات لا تسعمل عـادة تبعاً لقيمتها التاريخية وإنما بما تكسبه من دلاله في الاستعمال(٤). ولعل هذا مـا جعل المستشـرق دوزي يتجه إلى النصـوص عندمـا أراد أن يجمع مـادة معجمة من الألفاظ والتراكيب التي لم تدون في المعاجم العربيـة القديمـة، ومـع ذلك فقـد وجد نفسـه مضطراً لـلاستعانـة بالمعـاجم لاستكمال هـذه المادة(٥) وتلك في الحقيقة هي طبيعة الدراسة التاريخية للألفاظ.

---

(١) مناهج البحث في اللغة ص ٢٣٢.

(٢) انطوان مييه، منهج البحث في الأدب واللغة ص ٨٧.

(٣) راجع لغة أبي العلاء في رسالة الغفران ص ج.

(٤) فاندريس، اللغة ص ٢٢٦، ٢٣١.

(٥) Dozy, suppl. Diction. Arabe. p. VIII.

فإذا نظرنا إلى اللغة العربية وجدنا أن دراسة الألفاظ المفردة لم تحظ بالعناية الجديرة بها إذا استثنينا من ذلك ألفاظ القرآن والحديث وبعض الألفاظ التي ترتبت عليها مقولات فكرية وسياسية، ولعل العمل الناضج الذي قد يصادفه الباحث في ميدان دراسة المفردات عند القدماء هو كتاب الزينة الذي أعطى اهتماماً كبيراً لدراسة بعض المفردات وهو عمل كان يصح أن يكون بداية دراسةٍ جادة لتطور الألفاظ العربية لو وجد ممن جاء بعده من العلماء من يهتم به ويسير به إلى مداه[1].

وربما كان السبب في ذلك القصور في دراسة الألفاظ العربية يرجع إلى أن الألفاظ أكثر عدداً وتشعباً من قواعد النحو والصرف، فعدد الألفاظ مع تعدد الصيغ تفوق بكثير عدد القواعد وأشكال البناء النحوي ومن ثم كان اللغويون القدماء أكثر توفيقاً في دراسة النحو والصرف عنهم في ميدان المفردات[2].

ومع ذلك فقد نجح العلماء في جمع المادة الأساسية للألفاظ العربية حتى وصلوا إلى تدوين أكثر ما جاء في الشعر القديم ولكن نظرتهم المعيارية وفكرة الاحتجاج التي سيطرت على عملهم في هذا الميدان جعلت المعجم العربي القديم لا يعطي صورة صادقة لاستعمال المفردات وتطورها خاصة في الفترات التي اعتبروها خارج عصور الاحتجاج، ولو لم تدون كتب لحن العامة جانباً من هذا الاستعمال غير المعترف به لدى اللغويين القدماء لأصبح من العسير على الباحث أن يدرس تطور الألفاظ العربية ومع ذلك فإن استقراء النصوص القديمة لمعرفة حقيقة هذا التطور ووصفه عمل ما زال حتى الآن ينتظر من يقوم به.

وقد أدى هذا النقص في دراسة مفردات العربية إلى افتقار لغتنا إلى

---

(١) مقدمة كتاب الزينة ١/١٢.

(٢) برجشتراسر، التطور النحوي ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

معجم تـاريخي تطوري للمستعمـل من ألفـاظ العـربيـة منـذ القـدم وحتى الآن[1].

والمعـاجم العربيـة التي بين أيـدينا قـد أهملت هذا الجـانب التطوري التاريخي من حياة الألفاظ وهي في الواقـع لم تخرج عن كـونها سجل دونت فيه الألفاظ العربية دون عناية بالترتيب الاشتقـاقي أو التعليل والتحليـل أو المقارنات اللغوية وخاصة فيما يتصل باللغات السامية، ولعل لطبيعة المرحلة التاريخية التي تم فيها تدوين هذه المنعاجم ومناهج علم اللغة وفقه اللغـة لم تصل بعد إلى ما وصلت إليه الآن من تقدم، لعل في ذلـك ما يجعـل عمل هؤلاء اللغويين القدماء بـالرغم من هـذا النقص جديـر بأن يلقى التقـدير والاعجاب.

ولاشك أن استكمال هذا الجانب من دراسة الألفاظ العربية يقع على عاتق الباحثين المحدثين ومن هنا تأتي أهمية دراسة الألفاظ المولّدة باعتبارهـا الفاظاً لم يعترف بها القدماء، ومع ذلك فهي تكـون جانبـاً هامـاً من الثروة اللغوية العربية.

ويقدم لنا علم اللغة الحديث فيما يتصل بـدراسة الألفـاظ عدة قـوانين تخضع لها الألفاظ في تطورها وتصدق هذه القوانـين على ألفـاظ أي لغة من اللغـات، ومن ثم فهي تصلح لأن تكون هـادياً في دراسـة الألفاظ المـولّدة وتحليلها تحليلاً لغوياً وذلك باعتبـار أن التوليـد ما هـو إلا صورة من صـور التطور الدلالي الـذي يطرأ عـلى الألفاظ. وقـد صاغ اللغـويون المحـدثون مظاهر التطور الدلال في الألفاظ في قوانـين عامة أهمها ثلاثة هي:

١ ـ تخصيص الـدلالة مثـل تخصيص كلمـة (الـطهـارة) لمعنى الختـان

(١) بدأت لجنة المعجم الكبير في مجمع اللغة العربيـة بمصر في العمـل في حرف (ج) من هـذا المعجم بعد أن انتهت خلال العـامين المـاضيين من حـرف الألف والباء من هـذا المعجم. راجع جريدة الأهرام في ١٩/٩/١٩٧٤ ص ١٠.

وكذلك تخصيص كلمة (الحريم) على النساء بعد أن كانت تطلق على كل محرم ،ومنه أيضاً اطلاق كلمة (العيش) على الخبز في العامية المصرية.

٢ ـ تعميم الدلالة نحو اطلاق كلمة البأس على كل شدة وهي في الأصل بمعنى الحرب، وكذلك اطلاق كلمة الورد على كل زهر، واطلاق كلمة البحر على النهر والبحر معاً.

٣ ـ تغير مجال استعمال الكلمة، وأوضح ما يكون ذلك عندما تنتقل الدلالة من المجال الحسي إلى المجال المجرد[١] مثل انتقال كلمة العقل من معنى الربط والمسك إلى الدلالة على القوة المفكرة في الإنسان ومثل ذلك أيضاً في لفظة الشك، فقد انتقلت من الوخز إلى الشك بمعناه الفلسفي. واستعمال كلمة الرطانة على الكلام المبهم وهي في الأصل الإبل مجتمعة ولم يقف اهتمام المحدثين عند رصد مظاهر التطور الدلالي كما تمثلها هذه القوانين بل درسوا أيضاً العوامل المختلفة التي تؤدي إلى حدوث هذا التطور[٢]. وقد يتم هذا التطور بطريقة غير مقصودة نتيجة لهذه العوامل، ويمكن أن نضيف هنا للتطور المقصود وذلك بأن يقوم فرد أو مجموعة من الأفراد أو هيئة علمية أو مجمع لغوي بعملية تطوير لبعض ألفاظ اللغة، وخاصة فيما يتصل بالمصطلحات العلمية، غير أنه من العسير أن يصف الباحث على وجه الدقة كيف تم هذا النوع من التطوير بالنسبة للعربية القديمة، ولكنه يستطيع أن يحدد من طبيعة المصطلح المجال الذي تم تطويره فيه، ومن استقراء بعض المصطلحات القديمة التي ذكرها الخوارزمي في كتاب « مفاتيح العلوم » يمكن أن نضع أيدينا على بعض الطرق التي تم بها تطوير العربية لتصبح لغة صالحة للتأليف العلمي، وهنا يبرز مجالان تمت

(١) د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص ١٥٢ ـ ١٦٧، أولمان، دور الكلمة في اللغة ص ١٦٦ وما بعدها.

Darmesteter, op. cit. p. 61.

(٢) راجع الباب الأول من هذا البحث.

فيهما عملية التطوير وخلق المصطلح العلمي في العربية قديماً:

١ ـ المجال الأول، ويتصل بالعلوم الدينية واللغوية وغيرها من العلوم النقلية، وكان علماء هذا المجال ممن يجيدون العربية عن طريق النشأة أو التعليم، ومن ثم اعتمدوا في خلق مصطلحاتهم على العربية وحدها وتركز عملهم في توليد هذه المصطلحات على اللغة العربية عن طريق نقل الدلالة أو تعميمها أو تخصيصها ولذلك جاءت مصطلحاتهم في هذا المجال فصيحة ومحكمة ومستنبطة من متن العربية.

٢ ـ المجال الثاني ويتصل بالعلوم العقلية التي لم يكن للعرب فيها تراث ذا بال مثل الطب والصيدلة والفلسفة الهندسة وغيرها من العلوم والمعارف التطبيقية والتي وقع على عاتق المترجين القدماء نقلها الى العربية. وكان من الصعب إيجاد الفاظ عربيية لهذه الموضوعات الجديدة، ومن ثم اعتمد هؤلاء المترجمون على تعريب أو ترجمة المصطلح أكثر من اعتمادهم على التوليد، وذلك أما لضعف في معرفتهم للعربية ومعظمهم كان من غير العرب، والتوليد يحتاج إلى معرفة واسعة للألفاظ العربية إذ هي مادة التوليد، وأما لاستسهالهم الترجمة أو للأمرين معاً.

فتجدهم مثلاً ترجموا ألفاظاً مثل: ارثماطيقي (الحساب)، اسطقس (العنصر) قاطفورياس (المقولات) واشباهها من الكلمات[1]. ثم أوجدوا بعد ذلك ما يقابلها بالعربية عندما حسن اطلاعهم عليها فانتقلوا من الترجمة والتعريب إلى التوليد بنفس المنهج الذي أتبعه أسلافهم من أصحاب العلوم النقلية. وعلى ذلك يمكن القول بأن المصطلح العلمي العربي القديم قد تم عن طريق من الطرق الآتية:

(١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ١٣٣، ١٣٧، ١٤٣، ١٨٤، ٢٠٢. الجرجاني، التعريفات ص ٢٤ وانظر لفظة اسطقس في دراسات مقارنة في المعجم العربي، دكتور السيد يعقوب بكر ص ٤١.

١ ـ التوليد بنقل المعنى أو توسيعه أو تضييقه.

٢ ـ التوليد بالاشتقاق وذلك عن طريق اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة.

٣ ـ تعريب كلمات أعجمية.

٤ ـ ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها[1].

وهكذا نرى أن التوليد قد تحمل الجزء الأكبر من عبء وضع المصطلح العلمي القديم يضاف إلى هذا ما ولده عامة المتكلمين بالعربية استجابة للتغيرات الفكرية والحضارية التي حدثت في حياتهم. ومن ثم نجد أن التوليد قد أمد اللغة العربية بألفاظ جديدة في المجالات الآتية:

١ ـ ألفاظ دينية وتشريعية.

٢ ـ ألفاظ سياسية وعسكرية.

٣ ـ ألفاظ فلسفية (صوفية وكلامية).

٤ ـ ألفاظ علمية (تقنية).

٥ ـ ألفاظ أدبية.

٦ ـ ألفاظ عامة وحضارية.

وفوق طاقة فرد أن يقوم بدراسة تحليلية ولغوية لهذا الكم الضخم من الألفاظ المولدة في هذه المجالات جميعاً ومعرفة طريق تطورها حتى انتهت إلى هذه الدلالات الجديدة التي لم تعرفها العربية القديمة، اذ أن كل لفظ من تلك الألفاظ يحتاج إلى دراسة خاصة به تجري فيها عليه العمليات الآتية خطوة بعد خطوة:

١ ـ توضيح المدلول الحسي ثم المجرد للفظة واشتقاقها ودرجة قدمها في العربية.

٢ ـ بيان ما إذا كانت اللفظة موجودة في العربية وحدها أم تشترك

(١) راجع: المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٢٨.

مع اللغات السامية كلها أو بعضها.

٣ ـ إذا كانت اللفظة معربة أو دخيلة نبـين من أي لغة دخلت وذلـك في حالة ما إذا كان التوليد قد تم عن طريق الاشتقاق من كلمة غير عربيـة الأصل.

٤ ـ تحديد زمن توليدها بقدر الامكان.

٥ ـ بيـان الدلالـة القديمـة للفظ والـدلالـة المـولّـدة وفي أي مجـال من المجالات كانت تستخدم.

٦ ـ إذا كانت اللفظة المولّدة قد زالت من الاستعمال نحاول أن نحدد زمن زوالها بقدر الامكان.

وفي كل تلك الخطوات السابقة نستعـين بالتـاريخ الحضـاري والتطور الفكري والأدبي والاجتماعي للعربية، وبهذا المنهج تصبـح دراسة الألفـاظ المولدة دراسة شاملة، ولما كان من المستحيل على فرد واحد تطبيق ذلك على جميع الألفاظ المولّدة في هذه المجالات فقـد اعتمدت عـلى نوع من (السبـر اللغوي) الذي يقوم على انتقاء عينة لغوية إن صـح هذا التعبـير، من هذه الألفاظ في كل مجـال من هذه المجـالات السابقـة تكفي لبيان طبيعـة تطور هـذا النوع من الألفـاظ في العربيـة. وسنكتفي لبيان ذلـك بدراسـة خمسة ألفاظ في كل مجال تكون في النهاية ثلاثين لفظة توضح الطرق الذي سلكته العربية عن طـريق التطور أو التـطوير في تـوليد الألفـاظ، وسنبدأ بـالمجال الأول.

أولاً: الألفاظ الدينية والتشريعية:

والألفـاظ في هذين المجـالين تتـداخل لأن كـلا من الدين والتشـريـع يكونان وحدة واحدة في الاسلام ويستعمل كل منهما نفس الألفاظ، ويغلب عـلى هذه الألفـاظ التوسـع الدلالي، وقـد فطن إليـه القدمـاء فيـما أسمـوه

بالألفاظ الإسلامية[1]. ومن بين هـذه الألفاظ نختار لفظتي الإيمان والكفر لـدراستنا هـذه فنتتبع أصلهـما وتطورهمـا وتتطور دلالتهـا القديمـة إلى دلالة أخرى جديدة لم تكن العربية تعرفها قبل الاسلام.

١ ـ **الإيمان**: ومادة هذه اللفظة هي الهمزة والميم والنون، وهي مادة سـامية قـديمة نجـدها في اللغـات العربيـة والعبريـة والآرامية والسـريانيـة والحبشية[2].

والأصل الحسي لهذه المادة هو القـوة[3]. ومنه جـاء في العربيـة الأمين بمعنى القوى لأنه يوثق بقوته ويؤمن ضعفه[4]. وقال ابن الأثير (ناقة أمـون أي وثيقة الخلق يؤمن فتورها وعثارها)[5]. ومن معنى القوة تجـرد المدلـول وأصبح يدل عـلى الأمان والـطمأنينـة. فيقال أنت في آمن من ذلـك أي في أمان وهو من استعمال المصدر بمعنى الفـاعل والآمن هنـا ضد الخـوف أي طمـأنينـة النفس وزوال الخـوف[6]. وقـد استعملت تبعـاً لـذلــك بمعنى الاجارة، فالآمن المستجير ليأمن على نفسه[7]. ومن معنى الأمان جاء لفظ المؤمن كاسم من أسماء الله الحسنى، قال أبو حـاتم الرازي المؤمن أصله من الأمان كأنه آمن عبادة أن يـظلمهم أي أعطاهم الأمـان على ذلـك لأنه العادل في حكمة لا يظلم خلقه ولا يجور عليهم[8] وهي الدلالة التي كانت تستعمل في الجاهلية. قال النابغة:

---

(١) مقـدمـة كتـاب الـزينـة ١/٥٦ ـ ٥٨، ابن فـارس، الصـاحبي ص ٧٩، وانـظر أيضـاً: السيوطي، المزهر ١/٢٩٤ ـ ٢٩٦.
(٢) Gesenius, op. cit. p. 52.
(٣) Ibid.
(٤) تاج العروس، مادة (أ م ن).
(٥) النهاية، مادة (أ م ن).
(٦) تاج العروس مادة (أ م ن).
(٧) المصدر السابق نفس المادة.
(٨) الزينة ٢/٧٠.

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند

يعني أمن الطير في الحرم أن تصاد فهو مؤمن لها إذا عاذت بالحرم، وهو هنا على وجه الأمان لا على وجه التصديق(١).

ولكن ابن فارس يقول « الإيمان هو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمى المؤمن بالاطلاق مؤمناً »(٢) وهنا نلاحظ أن معنى التصديق في المادة جاء من الأمان لأن التصديق جزء من الطمأنينة ودليل عليها. قال الزمخشري في قوله تعالى « وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق »(٣) وقال أبو حاتم الرازي « والتصديق راجع الى معنى الأمانة »(٤).

وقد استثمر الإسلام دلالة التصديق في المادة فأكد عليها وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني: « أصل الأمان من طمأنينة النفس وزوال الخوف »(٥) ويحلل لنا الأزهري العلاقة بين الإيمان والتصديق فيقول: إن الايمان الدخول في صدق الأمانة، لأن من اعتقد التصديق بقلبه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة وهو منافق »(٦) وهكذا أكد الإسلام الدلالة بين الأمان والتصديق وإن كان معنى التصديق متضمناً في المؤمن من الأمان كما عرفت في العصر الجاهلي، ولكن الإسلام ربط بين هذين العنصرين في الدلالة ليأتي مدلول الإيمان بالمعنى الإسلامي، ويقول الراغب أن كلمة الإيمان تستعمل تارة اسماً للشريعة وعلى ذلك قوله تعالى « الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين »(٧)

---

(١) المصدر السابق ٢/٧١.

(٢) الصاحبي ص ٧٩.

(٣) اساس البلاغة ١/٢٠.

(٤) الزينة، ٢/٧١.

(٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٤.

(٦) تاج العروس مادة (أم ن).

(٧) سورة الحج آية ١٧.

ولهذا سمي كل من يدخل شريعة الإسلام: (مؤمن) وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بحسب ذلك بالجوارح»[1]. أما الاستعمال الثاني فهو استعمال الإيمان بمعنى الصلاة، قال تعالى « وما كان الله ليضيع ايمانكم »[2] أي صلاتكم[3].

من ذلك يتضح لنا أن الإسلام قد توسع من ناحية في دلالة الايمان وخصص الدلالة من ناحية أخرى فهي بمعنى الشريعة أو الإسلام وهي بمعنى الصلاة أيضاً وهي دلالات لم تكن للفظ قبل الإسلام، لأنهم لم يكونوا يعرفون الإيمان الا من الأمن والشاهد على ذلك بيت النابغة السابق.

وقد استقر لفظ الإيمان فيما بعد في بيئة الفقهاء على دلالة اصطلاحية محددة وهي: « الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان »[4]وعلى هذا حدثت التفرقة بين الإيمان والإسلام فقالوا: « إن كل ما يكون الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلب واللسان فهو إيمان وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة »[5].

أما في بيئة المتكلمين فكان الخلاف أشد حول دلالة اللفظ لارتباطه بشروط اشترطتها كل فرقة في الإيمان كما فهمته حتى كاد أن يصبح لدى كل فرقة من الفرق الإسلامية مفهوم خاص للفظة الإيمان بدلالة وشروط محددة[6].

---

(١) المفردات ص ٢٥.

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٣) أنظر المفردات ص ٢٥.

(٤) الجرجاني، التعريفات ص ٤١.

(٥) المصدر السابق ص ٢٣، الفرق بين الإيمان والإسلام في الجزء المخطوط من كتاب الزينة ص ١٥٥ وما بعدها.

(٦) انظر أبو البقاء، الكليات ص ٨٥ ـ ٨٧، التهانوي، كشاف مصطلحات الفنون ١/١٠٤ ـ ١٠٩.

وقد أضافت مادة أمن إلى العربية بعد ذلك عدة ألفاظ مولدة مثل لفظ الأمين للدلالة على وظيفة من وظائف الديوان، ثم الأمين بمعنى رئيس الحرفة فيقال أمين الفخارين وأمين العطارين وأمين السوق وأمين السلطان وأمين الأمناء[1]. ومنها في العربية الحديثة أمين الصندوق وأمين المكتبة وغير ذلك.

٢ ـ **الكفر**: ومادة الكلمة سامية قديمة تشترك فيها اللغات العربية والآرامية والسريانية والعبرية[2]، وهي في العربية ذات مشتقات كثيرة مما يؤكد أصالتها فيها والدلالة الحسية للمادة كما جاءت في العربية هي الستر والتغطية. قال الأزهري وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه[3] ولذلك سمي الليل كافراً وكذلك الوادي العظيم والنهر والبحر وبه فسر الجوهري قول المتلمس:

فألقيتها بالمثنى من جنب كافر كذلك أقنو كل خط مدلل[4]

ثم تجرد المدلول الحسي إلى المعنى المجرد وهو الجحد والإنكار. قال الراغب «وكفر النعمة وكفرانها سترها ليترك آداء شكرها... ولما كان الكفر يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود»[5]. ومنه قوله تعالى «ولا تكونوا أول كافر به» أي جاحد له وساتر[6].

غير أننا نجد في العبرية والسريانية أن مادة كفر معناها مسح وغسل وطهر ومحى وأزال[7] ولعل هذا ما جعل السيوطي ينقل عن القدماء

---

(١) Dozy, Supple. aux Diction. Arabe. T. I.P. 38.

(٢) Gosenius, op. cit. p. 497.

(٣) تاج العروس مادة (ك ف ر).

(٤) المصدر السابق نفس المادة، وانظر الجزء المخطوط من كتاب الزينة ص ١٧٥.

(٥) المفردات ص ٤٤٨.

(٦) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٧) Gesenius, op. cit. p. 497.

أن « كفر عنا أي أمح عنا » بالنبطية. . . وفي قوله تعالى « كفر عنهم سيئاتهم » قل أي محا عنهم بالعبرانية[1] ومن السهل على الباحث أن يلمح ارتباط دلالة الكفر بمعنى الستر والتغطية في العربية ودلالتها على الغسل والمحو والإزالة في السريانية والعبرية، اذ أن الستر والإزالة فيها اخفاء لما يزال أو يغسل وهو المعنى الأصلي للمادة كما جاء في العربية من أن الكفر هو الستر والتغطية. وهذا الجزء من الدلالة أي المحو والغسل احتفظت به السريانية والعبرية إذ لا تكاد نلمحه في مشتقات المادة في العربية إلا بعد ارجاع الكلمة إلى أصلها الأول، وقد استعمل الإسلام اللفظة بالدلالتين معاً، كما جاءت في العربية والسريانية والعبرية.

أما الدلالة الأولى وهي الستر فنجدها في الكفر الذي هو ضد الإيمان مطلقاً ثم الكفر بمعنى مخالفة دين الإسلام خاصة، قال أبو حاتم الرازي «وإنما سمى من خالف دين الإسلام كافراً لأن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ وقد كانت الأنبياء قبل مبعثه قد بشروا به وذكروه في كتبهم ودلوا عليه حتى عرفه أهل الكتاب فلما جاءهم كتموا ما عرفوا وستروه وهؤلاء أول من لزمهم اسم الكفر ثم سمى به كل من انكر نبوة محمد »[2].

ومن ناحية أخرى أن الله قد أنعم عليهم بالإسلام فكفروا بنعمته بأن أحدوا الوحدانية أو النبوية أو الشريعة أو ثلاثتها[3].

ودلالة لفظ الكفر على أحد هذين الأصلين أي مخالفة دين الإسلام وجحد الشريعة النبوية دلالة أضيفت إلى اللفظ بعد الإسلام. وقد اختلف علماء المسلمين اختلافاً مذهبياً حول ماهية الكفر بالمعنى الديني الذي أضافه الإسلام للفظه[4]. ومن الدلالة الجديدة للكفر اشتقت الكفارة بمعنى ما

(١) السيوطي، الاتقان ١/١٤٠.
(٢) الجزء المخطوط من كتاب الزنية ص ١٧٦.
(٣) المفردات ص ٤٤٨.
(٤) راجع الكليات ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

يكفر به من صدقه أو صوم أو نحوهما وهي التي تمحو الخطيئة وتزيلها، وهي الدلالة التي نجدها للمادة في السريانية والعبرية.

على أنه يمكن القول بأن الكفارة سميت كذلك لأنها تكفر الذنوب أي تسترها، وهي على وزن فعله مشتقة من الدلالة الأصلية للمادة وبذلك تبقى في نطاق الاشتقاق العربي دون القطع بأنها دخلت إلى العربية من السريانية أو العبرية كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين[١]. وبالتالي تكون الكفارة كلمة إسلامية ومثل ذلك يمكن قوله بالنسبة لكلمة الكفر وجمعها الكفور بمعنى القرية وهذه يمكن الظن بأنها دخلت في العربية من السريانية. يقول الأزهري « الكفور جمع كفر بمعنى القرية سريانية وأكثر من تكلم بها أهل الشام[٢]. وربما يكون صحيحاً ما ذهب إليه الأزهري لأننا لا نعرف للجزيرة العربية قرى زراعية، ولكن يبدو أن الكلمة عندما دخلت إلى العربية تغيرت دلالتها فلم تعد تعني القرية الزراعية، وإنما أخذت تدل على الأماكن النائية البعيدة عن الأمصار[٣]. قال الزبيدي « الكفور بمصر هي القرية النائية في أصل العرف القديم وأما الآن فيطلقون الكفر على كل قرية صغيرة بجانب كل قرية كبيرة فيقولون القرية الفلانية وكفرها »[٤] وعلى ذلك يمكن القول بأن الفعل أكفر الرجل بمعنى لزم القرية فعل مولّد بالاشتقاق من الكفر بمعنى القرية[٥].

ومثل هذين اللفظين أي الإيمان والكفر نجد ألفاظاً أخرى تغيرت دلالتها بعد نزول القرآن واكتسبت دلالات جديدة وذلك مثل التقوى،

---

(١) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، مجلة مجمع دمشق ٢٥/٤.
(٢) تاج العروس مادة (فكر).
(٣) المصدر السابق نفس المادة.
(٤) المصدر السابق نفس المادة.
(٥) المصدر السابق نفس الماة

التوحيد، المسلم، الملحد، الفاسق، المصدق وغيرها[١]. ومن هذه الألفاظ استمد التشريع الإسلامي مادة لغوية ممثلة في مجموعة من المصطلحات التي نجد منها اللفظ الآتي.

٣ ـ الجوالي: والجوالي جمع جالية وهي مشتقة من مادة (ج ل و) الموجودة في اللغات السامية العربية والعبرية والآامية والحبشية والتي ترجع دلالتها الحسية في هذه اللغات إلى الكشف والظهور[٢]. ومنه جاءت دلالة الخروج، لأن الذي يخرج من مكان فكأنما قد كشفه وأظهره، ولذلك قالوا: جلا القوم عن الموضع خرجوا منه والجلاء الخروج من البلد[٣]. ومنه جاء معنى الطرد والتفرق، يقال أجلوا جلوا وجلاء أي تفرقوا وطردوا[٤]. ومن كلام العرب « فإما حرب مجلية وإما سلم مخزية » أي أما حرب تخرجكم من دياركم أو سلم يخزيكم ويذلكم[٥] ثم تجرد المدلول فأصبح يدل على الأمر الواضح البين ومنه قول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

أي بيان ووضوح[٦] ومنه جاءت دلالة النظر، فقيل جلى ببصره تجلية إذا رمى به لينظر. قال لبيد:

فانتضلنا وابن سلمى قاعد كعتيق الطير يغضي ويجل

أي ينظر[٧].

---

(١) كتاب الزينة ١/٥٦ ـ ٥٨.

(٢) Gesenius, op. cit. p. 162.

وهناك علاقة دلالية قوية بين مادة (ج ل و) ومادة (ج و ل) في العربية وبعض اللغات السامية، راجع: تاج العروس مادة ج و ل.

Gesenius, op. cit. p. 157.

(٣) تاج العروس مادة (ج ل و).

(٤) المصدر السابق نفس المادة.

(٥) المصدر السابق نفس المادة.

(٦) المصدر السابق نفس المادة.

(٧) المصدر السابق نفس المادة.

ومن دلالة الوضوح والبيان جاء الفعل يجلي عن نفسه أي يعبر عما في ضميره(١). وهو ما نجده في الآرامية بمعنى يوحي لما في الوحي من معنى الوضوح والبيان والكشف(٢).

وقد استعمل القرآن الكريم الجلاء بمعنى الخروج والطرد. قال تعالى: « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا » (٣).

ومن معنى الوضوح والبيان جاءت دلالة الشهرة. قال سحيم بن وثيل:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وقد استشهد الحجاج بن يوسف الثقفي وهو يخاطب أهل العراق بهذا القول يريد أنه الظاهر المشهور الذي لا يجهله أحد كما يعرفه كل الخلق(٤).

أما الجالية فهم الذين أجلوا عن أوطانهم أي خرجوا منها وطردوا كما رأينا، ولكن هذه اللفظة مرت بثلاث مراحل من التطور حتى انتهت إلى الدلالة الخاصة في التشريع الإسلامي على معنى الضريبة التي تحصل من أهل الكتاب لبيت مال المسلمين وهذه المراحل هي:

١ - بدأ مدلول الجالية يدل على اليهود الذين أجلاهم عمر بن الخطاب عن جزيرة العرب اتباعاً لأمر الرسول عليه السلام فسموا جالية ولزمهم هذا الاسم على وجه الخصوص.

٢ - اتسع مدلول اللفظ بحيث أصبح يدل على كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكل بلد وإن لم يجلوا عن أوطانهم.

---

(١) المصدر السابق نفس المادة.

(٢) Gesenius, op. cit. p. 162.

(٣) سورة الحشر آية ٣، وراجع الجزء المخطوط من كتاب الزينة ص ٣٧٤.

(٤) تاج العروس مادة (ج ل و).

٣ ـ خصص مدلول اللفظ مرة أخرى بالجزية التي تحصل من أهل الكتاب وهو المدلول الذي استقرت عليه اللفظة في التشريع الإسلامي[١].

ففي كتاب الخراج لأبي يوسف (ت ١٨٢ هـ) نجده يقول « إن أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني أن أضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالي »[٢] وهذه الألفاظ الأربعة تمثل بعض مصادر بيت المال في الإسلام وهي جميعاً ألفاظ لم تكن تعرفها العربية القديمة بالدلالات الجديدة التي أضافها الإسلام مثل لفظ الجوالي تماماً[٣].

وقد أضافت مادة (ج ل و) الى العربية ألفاظاً مولّدة مثل:

١ ـ الجالي، وهو نوع من الدواء عند الأطباء يشبه العسل[٤].

٢ ـ الجلاء والتجلي عند الصوفية بمعنى ظهور ذات الله وصفاته وهو ما يسمى عندهم بالتجلي الرباني[٥].

٤ ـ **الرجعة**: اسم المره من مادة (ر ج ع) العربية والتي توجد أيضاً في اللغتين العبرية والحبشية[٦]. ويحدد الراغب الأصفهاني معنى الرجوع بقوله: « الرجوع العود إلى ما كان منه البدء »[٧] أما في الحبشية والعبرية فنجد بمعنى أزعج استراح، رجع ليستريح بعد التجول. أما في الحبشية فنجد رجع بمعنى تجمد وتعقد وتخثر. ويرى جزينيوس أن هذا المعنى قد

---

(١) المصدر السابق نفس المادة.

(٢) انظر كتاب الخراج ص ١.

(٣) انظر في طريقة تحصيل هذا النوع من الضرائب وجمعه: ابن مماتي، قوانين الدواوين ص ٣١٧ ـ ٣١٩.
النويري، نهاية الأرب ٢٤٢/٨، القلقشندي، صبح الأعشى ٤٦٢/٣.

(٤) التهانوي، كشاف مصطلحات الفنون ٢٩٤/١.

(٥) المصدر السابق ص ٢٩٥/١.

(٦) Gesenius, op. cit. p. 921.

(٧) المفردات ص ١٨٧.

يكون متطوراً عن رجع بمعنى استرخى واستراح كما في العبرية (١).

وعلى هذا يمكن القول بأن الأصل الحسي في مادة (ر ج ع) هو التجمع والتماسك ومنه جاء في الحبشية بمعنى تجمد وتعقد وفي العبرية بمعنى استراح، وهو المدلول المجرد الذي نجده في العربية باعتبار أن الراحة نوع من استجماع القوة وتماسكها أي الرجوع إلى ما كان منه البدء كما قال الراغب (٢).

ونجد في اشتقاقات مادة رجع في العربية أصداء كثيرة للدلالة الأصلية للمادة سواء كانت بمعنى التجمع والتماسك أو بمعنى التجمد والتعقد مثل: الرجع المطر بعد المطر والغدير وما ارتد فيه السيل، وقال أبو عبيدة « الرجع في كلام العرب الماء عامة » واستشهد على ذلك بقول المتنخل:

أبيض كالرجع رسوب إذا ما شاخ في عقفل يجتلى (٣)

والرجع أيضاً الروث والنجو ومن الكنف أسفلها (٤).

وتحمل دلالة التجمع في طياتها معنى القوة، والقوى هو الحسن والأصلح وهو ما نجده في اشتقاقات أخرى مثل الرجع الابل ترجع من السوق بأن تدخل في أراذل الإبل وترجع خياراً، أو هو بيع الإبل المسنة والصغار ثم شراء الفتية والكبار، وقيل هو بيع الشيء ثم شراء ما يخيل إليك أنه أفتى وأصلح (٥).

ومن دلالة الرجوع بمعنى العودة إلى ما كان منه البدء نجد: الرجوع، الرجعة، الرجع، الرجعان كلها جواب الرسالة ومرجوع فلان عليك أي

---

(١) Gesenius, op. cit. p. 921.

(٢) المفردات ص ١٨٧، وراجع أيضاً تاج العروس مادة ر ج ع.

(٣) تاج العروس مادة (ر ج ع).

(٤) المصدر السابق نفس المادة.

(٥) المصدر السابق نفس المادة.

مردوده وجوابه. قال حسان:

سألتها عن ذاك فاستعجمت   ولم تذر ما مرجوعه السائل

ومنه جاء الراجع بمعنى المرأة يموت زوجها وترجع إلى أهلها(١). ومن هذه الدلالة جاء معنى التردد والتكرار، فنجد الترجيع بمعنى ترديد الصوت في الحلق، ثم تغير مدلول هذه اللفظة بعد الإسلام وأصبحت تدل على ترديد الأذان، يقال الترجيع في الأذان أي تكرار الشهادتين جهراً بعد اخفائهما(٢) وهذه دلالة مولّدة حدثت بعد الإسلام(٣).

أما الكلمة التي نحن بصددها وهي (الرجعة) فهي ذات دلالات متعددة ومعناها الأصلي المره من الرجوع مطلقاً أي العودة(٤). فهي عند الفقهاء تدل على عود المطلق إلى مطلقته أو كما قال ابن الأثير « رجعه الطلاق تفتح راؤه وتكسر على المرة والحالة وهو ارتجاع الزوجة المطلقة غير البائن إلى النكاح من غير استئناف عدة(٥). وهي دلالة لم تكن للفظ وإنما استحدثها الفقهاء إذ لم تعرف العربية القديمة الرجعة إلا المرة من الرجوع، وقد أشار الخوارزمي إلى الدلالات المتعددة لكلمة الرجعة فقال: « الرجعة عند أصحاب اللغة المرة الواحد من الرجوع لا يكادون يعرفون غيرها، وعند الفقهاء الرجوع في الطلاق الذي ليس ببائن وعند المتكلمين ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد غيبته، وعند الكتاب حساب يرفعه المعطى في العكسر لطمع واحد »(٦) أما في الحرب فنجد الرجعة

---

(١) المرجع السابق نفس المادة.
(٢) المرجع السابق نفس المادة.
(٣) مفاتيح العلوم ص ١٠ - ١١.
(٤) تاج العروس مادة (رج ع).
(٥) النهاية ٢/٦٨.
(٦) مفاتيح العلوم ص ٢، الجرجاني، التعريفات ١١٤، وانظر الجزء المخطوط من كتاب الزينة ص ٤٠٥.

بمعنى الهجوم المضاد[1].

على أننا نجد أن العربية القديمة قد عرفت الرجعة بمعنى الرجوع إلى الدنيا بعد الموت غير أنهم لم يعرفوها بهذه الدلالة الخاصة على عودة الإمام بعد الموت كما نجدها عند الشيعة[2].

كما نجد عدة ألفاظ أخرى مولّدة من هذه المادة اثبتها المستشرق دوزي في معجمه منها:

١ - المرجع بمعنى الشخص الثقة الحجة.

٢ - المرجع بمعنى الكتاب وما زالت تستعمل حتى الآن في العربية الحديثة.

٣ - المراجعات بمعنى المطارحات الشعرية والنثرية.

٤ - المرجع بمعنى الحجة والدليل في القانون.

٥ - رجع قال إنا لله وإنا إليه راجعون[3].

كما نجد ألفاظاً أخرى مولّدة من المادة مثل:

١ - الرجعة صك يعلن وصول المال إلى المدفوع إليه.

٢ - الراجع بمعنى الحائط المشترك بين البيوت.

٣ - الرجعي ما يخلفه الشجر من الثمر في السنة[4].

وفي العربية الحديثة نجد ألفاظاً أخرى مولّدة من المادة بالاشتقاق مثل:

١ - الرجعية بمعنى البقاء على القديم من الأفكار والعادات دون مسايرة التطور.

٢ - الرجعي وهو الشخص الذي يؤمن بالرجعية.

---

(١) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب ص ١٨.

(٢) تاج العروس مادة (رج ع).

(٣) Dozy, supp. op. cit. T.I.P. 512 - 513.

(٤) محيط المحيط ١/٧٥٦.

٣ ـ المرجوع المردود من السلع التي لم تبع[١].

٥ ـ الفريضة: واللفظة مشتقة من مادة فرض في العربية والتي يعود الأصل الحسي فيها إلى الشق والغسل والقطع. يقول الزبيدي: « أصل الفرض قطع الشيء الصلب »[٢] وفي العبرية تتحول الضاد العربية الى صاد حيث نجد مادة تحمل نفس الدلالة الأصلية لمادة فرض في العربية وهي كذلك أيضاً في الآرامية حيث نجد المادة تدل على القطع والشق والخرق والاندفاع إلى الخارج أو الانفجار[٣]. وكلها تعود إلى الأصل الحسي الذي أشرنا إليه في العربية، ونجد من المشتقات ما يدل على ذلك مثل: الفرض الحز في الشيء يقال فرضت الزند والسواك والسهم إذا حزّه ومنه المفرض حديده يحز بها[٤]. أما دلالة القطع والشق فنجدها في المشتقات: الفراض فوهة النهر، والفرضة بالضم من النهر ثلمه يستقي منها، ومن البحر محط السفن، ومن الدواة محل النقس ومن الباب وسعه والجمع في هذا كله فراض وفرض[٥].

ومن هذا الأصل الحسي جاءت الدلالة المجردة على الشيء المحدد الواضح فقالوا: الفرض التوقيت والعطية المحددة[٦].

أما الفرض بمعنى ما فرضه الله تعالى فقد سمي بذلك لأن له معالم وحدوداً واضحة كما قال الجوهري[٧].

---

(١) المعجم الوسيط ١/٣٣١ ط أولى.

(٢) تاج العروس مادة (ف ر ض).

(٣) Gesenius, op. cit. p. 829.

(٤) تاج العروس مادة فرض.

(٥) المصدر السابق نفس المادة، وأنظر أيضاً: Gesenius, op. cit. p. 829.

(٦) تاج العروس مادة (فرض).

(٧) المصدر السابق نفس المادة.

ولكن الراغب الأصفهاني يرى أنه سمي بذلك لقطع الحكم فيه[1]. ومنه جاء الفرض بمعنى الوجوب وهي الدلالة التي ذهب إليها أبو حاتم الرازي، إذ قال في قوله تعالى « سورة أنزلناها وفرضناها » أي أوجبنا العمل بما فيها، فالفرض عنده الواجب اللازم[2]. ويسوي الشافعي بين الدلالتين أي وجوب الحكم والقطع فيه[3] وذهب الجوهري إلى أن معنى الفرض في الآية السابقة التفصيل والبيان، أي سورة فرضناها أي فصلناها وبيناها[4].

أما عند الفقهاء فنجد كلمة الفريضة، وهي اسم من فرض الشيء يفرضه فرضاً أي أوجبه نجدها تدل على « ما يثبت بدليل مقطوع في الكتاب والسنة والاجماع » وهي عندهم على نوعين: فرض عين وفرض كفاية أما فرض العين فهو ما يلزم كل واحد اقامته أو أداؤه ولا يسقط عن البعض باقامة البعض كالإيمان ونحوه وأما فرض الكفاية فهو ما يلزم جميع المسلمين إقامته ويسقط بإقامة البعض عن الباقين كالجهاد وصلاة الجنازة[5] كما نجد أيضاً أن الفرض عندهم يدل على « ما يثبت بدليل قطعي لا شبهه فيه ويكفر جاحده ويعذب تاركه »[6]، أما الفرائض فهو علم يعرف به كيفية تقسيم التركة على مستحقيها[7]. ومن هذه الدلالة جاء الفارض بمعنى العارف بالفرائض، يقال رجل فارض وفريض عالم بالفرائض

---

(١) المفردات ص ٣٨٢.
(٢) الجزء المخطوط من كتاب الزينة ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.
الآية في سورة التور آية ١.
(٣) تاج العروس مادة فرض.
(٤) المصدر السابق نفس المادة.
(٥) التعريفات ص ١٤٢.
(٦) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٧) المصدر السابق نفس الصفحة.

والفرضي بياء النسب وهو أفرض الناس أي أعلمهم بقسمة المواريث(١).

وكل ذلك مشتقات جديدة لم تعرفها العربية القديمة بهذه الدلالة لأنها مأخوذة من المعنى الفقهي قال الراغب « الفارض اسم إسلامي »(٢).

هذه ألفاظ خمسة في مجال الدين والفقه نستطيع أن نلاحظ أنها جميعاً قد اكتسبت معاني جديدة سواء عن طريق الاشتقاق أم نقل الدلالة وهي جزء من مجموعة ضخمة من الألفاظ التي تتصل بهذا المجال من العلوم الإسلامية والتي اصطلح القدماء على تسميتها بالألفاظ الإسلامية، وذلك لأنها تجمعها علاقة واحدة وهي استحداث الإسلام لها في نطاق اللغة العربية ولاشك أن ما طرأ من تغير هو نوع من التوليد لم تعرفه العربية القديمة بهذه الدلالات.

ثانياً ـ ألفاظ سياسية وعسكرية:

لعل أو لفظ يصادفنا في هذا المجال هو لفظ:

٦ ـ **الخليفة**: وهو مشتق من مادة خلف، وهي مادة سامية قديمة نجدها في اللغات العبرية والآرامية والسريانية والحبشية حيث تستبدل الخاء العربية بالحاء في هذه اللغات(٣). والدلالة الأصلية للمادة تدور حول الابتعاد والتغير فنجده في العبرية بمعنى مرّ على، ابتعد، مر خلال، حل محل، استبدل(٤). أما في العربية فقد ظهرت دلالة خلف بمعنى ضد الأمام أو التأخر ومن هذه الدلالة جاء معنى القبح والفساد في المادة، قال الليث: الخلف نقيض قدام ولبث خلفه أي جاء بعده ومنه الخلفي بمعنى القرن بعد القرن والنسل والظهر وحلمه ضرع الناقة والتابع لما مضى وغير ذلك من

(١) تاج العروس مادة (ف ر ض).

(٢) المفردات ص ٣٨٤.

(٣) Gesenius, op. cit..p. 322.

(٤) Ibid.

المشتقات التي يمكن أن نرجعها إلى معنى الخلف الذي هو التأخر[١].

أما الخلف بمعنى الفساد والقبح فنجد منه خلف فلان أي فسد، وخلف الفم أي تغيرت رائحته، وخلف الطعام أو اللبن أي تغير طعمه وفسد. والخلفة الهيضة، والخلف القول الرديء[٢]. ومنه جاء معنى الاختلاف أي التنازع وضد الاتفاق، ومنه قيل رجل مخلف أي كثير الاخلاف لوعده[٣]. ويبدو أن معنى الحمق والعتة في المادة قد تطور عن هذا المدلول الأخير فيقال رجل ذو خلفه أي كثير العتة والخلاف والأخلف القليل العقل، وقد تجرد هذا المدلول فأصبح يدل على الباطل مطلقاً[٤].

ومن خلف بمعنى استبدل وتغير اشتق لفظ الخليفة إذ أن الاستبدال والتغير يقتضي التقديم والتأخير فيقال تخلف فلان فلانا إذا تأخر عنه وإذا جاء أيضاً خلف آخر أو إذا قام مقامه والمصدر هنا خلافه[٥]. ومنه جاءت الخلافة بمعنى النيابة عن الغير أما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه واما لتشريف المستخلف[٦].

ويحدد لنا ابن خلدون الدلالة التي استقرت عليها كلمة الخلافة عند المسلمين بقوله: « والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا »[٧].

---

(١) تاج العروس مادة (خ ل ف).
(٢) المصدر السابق نفس المادة.
(٣) المصدر السابق نفس المادة.
(٤) المصدر السابق نفس المادة.
(٥) المفردات ص ١٥٥.
(٦) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٧) المقدمة ص ١٥٩.

ومن هذه الدلالة جاء المصدر المولّد الخليفي وتدل الكلمة على الجهد المبذول في ضبط أمور الخلافة. قال عمر بن الخطاب « لو أطيق الأذان مع الخليفي لأذنت » قال الصاغاني « كأنه أراد بالخليفي كثرة جهده في ضبط الخلافة وتصريف أعنتها »[1] ويبدو أن عمر بن الخطاب أول من استعمل هذه الكلمة بهذه الدلالة، بدليل تردد الصاغاني في القطع بمعناها.

وقد اختلف الفقهاء والعلماء والمتكلمون حول شروط الخلافة والصفات المطلوبة فيمن يتولى هذا المنصب وخاصة بعد أن حول بنو أمية الخلافة الى ملك عضوض وقد أوجد هذا الخلاف بحثاً كاملاً في علم السياسة عند المسلمين عرف باسم الإمامة وتعددت فيه المذاهب والآراء بتعدد الأحزاب السياسية والدينية التي نشأت في الإسلام فيما بعد[2].

على أن لفظة الخليفة لم تستمر خلال التاريخ الإسلامي في الدلالة على هذا المركز الجليل الذي بدأ به أبو بكر الخلافة الاسلامية إذ نجدها قد استعملت منذ القرن الأول للدلالة على الوكيل المقيم في العاصمة والذي يقدم إليه عامل بيت المال ما يجمع من الضرائب[3]. كما نجد أيضاً أن اللفظ أطلق فيما بعد بدلالات متعددة تبتعد عن الدلالة الأولى ابتعاداً كبيراً منها:

١ ـ الخليفة في الطرق الدينية بمعنى نائب شيخ الطريقة.

٢ ـ الخليفة في الحركة المهدية وهو خليفة المهدي.

٣ ـ الخليفة المرأة التي تشرف على الجواري في البلاط.

٤ ـ الخليفة كاتب صغير في مكتب عام في تركيا.

٥ ـ الخليفة نائب والي المدينة في مراكش.

---

(١) تاج العروس مادة (خ ل ف).

(٢) راجع الماوردي، الأحكام السلطانية ص ٣ وما بعدها.

ومقدمة ابن خلدون ص ١٥٩ وما بعدها.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية مادة خليفة.

٦ ـ الخليفة الحائك والحلاق ورب السيف والطاهي في الهند[١].

ومن المشتقات المولدة نجد التخلف بمعنى الاستهتار والمجون، والمخلفات بمعنى الأشياء الموروثة[٢]. وفي العربية الحديثة نستعمل كلمة الخلفية بمعنى Background والمخالفة الغرامة تفرض على من يخالف القانون[٣].

٧ ـ **الدولة**: قال الجاحظ «وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى الينا من كلام خلفائنا من ولد العباس ولو أن دولتهم عجمية خراسانية ودولة بني مروان عربية إعرابية»[٤]. في هذا النص نجد الجاحظ يستعمل لفظة الدولة بمعنى الحكومة أو النظام السياسي وهو استعمال جديد لا نجده في العربية القديمة.

واللفظ مشتق من مادة (د و ل) التي يرجع مدلولها الأصلي إلى معنى التغير والتحول، ويبدو أن العربية قد انفردت بهذه المادة دون اللغات السامية، والاشتقاقات في هذه المادة قليلة نسبياً وهي ترجع جميعاً إلى الأصل الذي ذكرناه ومن أول الدلالات التي نجدها في المادة وتعود إلى هذا الأصل الدولة بمعنى انقلاب الزمان من حال البؤس والضر إلى حال الغبطة والسرور. قال أبو عمرو بن العلاء الدولة في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة، والدولة في الملك السنين التي تتغير وتتبدل وهي أيضاً انقلاب الدهر من حال إلى حال[٥].

ومن معنى التغير والتحول جاءت دلالة الدوران والسعة، يقال اندال

---

(١) المصدر السابق نفس المادة.

(٢) Dozy, op. cit. T.I.P.P. 395 - 6.

(٣) المعجم الوسيط ١/٢٥١.

(٤) البيان والتبيين ٣/٣٦٦ وانظر أيضاً: رسائل الجاحظ ١/٢٣، ٢٥، ٧٧ وانظر كذلك الجهشياري، الوزراء والكتاب ص ١٥٣.

(٥) تاج العروس مادة (د و ل).

البطن اتسع ودنا من الأرض واسترخى وخرج ما في بطنه، ودالت الأيام أي دارت، ومنه قوله تعالى « وتلك الأيام نداولها بين الناس » أي يديرها[1].

ومن الدلالة الأصلية جاء معنى الغلبة والنصر، ومنه جاء الضد الداهية والدواهي، إذ الدولة من أسماء الداهية، والإدالة الغلبة[2].

أما الدولة بالمعنى الذي استعمله الجاحظ أي بمعنى الحكم والنظام السياسي فهي لفظة مولّدة لم تعرفها العربية القديمة[3]. كما نجد أيضاً من الألفاظ المولّدة في هذه المادة:

١ ـ الدولة بمعنى الجزء من الكتاب.

٢ ـ الدالة بمعنى المرة والنبوة.

٣ ـ مداولة بمعنى مؤتمر[4].

وقد بقي استعمال الدولة بمعنى السلطة ونظام الحكم حتى الآن في العربية وأن تغير المدلول فشمل لفظة الدولة، السلطة والشعب معاً[5].

٨ ـ **الحاجب**: وهو اسم فاعل من مادة حجب التي ترجع دلالتها الأصلية إلى معنى الستر والمنع[6] وقد استعملت في العبرية بمعنى الجراد الحشره ربما لأنه يحجب ضوء الشمس لكثرته[7]. ومن دلالة الستر والمنع في العربية نجد:

---

(١) المصدر السابق نفس المادة.

(٢) المصدر السابق نفس المادة.

(٣) مجلة مجمع دمشق ٣٣/٣٧٥ سنة ١٩٥٨.

(٤) Dozy, suppl. op. cit. T.I.O. 476 - 477.

(٥) Wehr, A Dictionary of Modern Arabic. P. 302.

وانظر أيضاً المعجم الوسيط ١/٣٠٤.

(٦) تاج العروس مادة (ح ج ب).

(٧) Gesenius, op. cit. 290.

الحجاب وهو كل ما حال بين شيئين، وما اطرد من الرمل وطال وما أشرف من الجبل ولحمه رفيعه بين الجنبين والحجاب أن تموت النفس وهي مشركة كأنها حجبت بالموت عن الإيمان[١] ويبدو أن هذه دلالة إسلامية.

ثم تطور المدلول إلى معنى الحفظ والحماية ومنه جاء لفظة الحاجب كعضو من أعضاء جسم الإنسان لأنه يحمي العين ويذب عنها. وقد عرفت العربية القديمة الحجابة بمعنى حفظ الكعبة وحمايتها. قالت بنو قصى « فينا الحجابة » أي حماية الكعبة وسدنتها وتولى حفظها وهم الذين بأيديهم مفاتيحها[٢].

ثم تطور مدلول الحجابة إلى المنع من الدخول يقال فلان يحجب للأمير أي حاجبه وإليه الخاتم[٣] وبهذه الدلالة تدل اللفظة على منصب من المناصب المستحدثة في الإسلام وذلك بعد انتقال الخلافة إلى بني أمية إذ كان الخلفاء الراشدون لا يمنعون أحداً من الدخول عليهم، ولكن بانتقال الخلافة إلى بني أمية تغير الحال وخاصة بعد الفتنة وظهور الخوارج الذين استحلوا دم بني أمية، ومن ثم اتخذ معاوية ومن جاء بعده من الخلفاء الحاجب خوفاً على حياتهم وتلافياً لازدحام الناس على أبوابهم، يقول ابن خلدون « وأما مدافعه ذوي الحاجات عن أبوابهم[٤] فكان محظوراً بالشريعة فلم يفعلوه، فلما انتقلت الخلافة إلى ملك وجاء في رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء بديء به في الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور بما كانو يخشون على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم... مع ما فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم بذلك

(١) تاج العروس مادة (ح ج ب).
(٢) تاج العروس مادة حجب، وانظر أيضاً مفاتيح العلوم ص ١٢٥.
(٣) المصدر السابق نفس المادة.
(٤) يقصد الخلفاء الراشدين هنا.

وسموه الحاجب »[1].

وقد تطور هذا المنصب مع رقي الحياة السياسية في الإسلام حتى غدا من أخطر مناصب الدولة التي تعطي لصاحبها كثيراً من الغلبة والسلطان والاستبداد أحياناً[2].

وقد اشتق من الحجابة بهذا المدلول الأخير الفعل استحجبه أي ولاه الحجابة[3].

غير أن اللفظة لم تستطع المحافظة على مكانتها السامية تلك فابتذلت مع الزمن حتى أصبحت تدل في العربية الحديثة على البواب وعامل الباب[4].

٩ ـ المرتّبة: وهو اسم لأحد أجزاء الجيش كما ذكرها الهرثمي في كتابه مختصر سياسة الحروب الذي يشرح فيه طرق تعبئة الجيش[5].

واللفظة مشتقة من مادة (ر ت ب) التي تدل على الثبات والاستقرار، يقال رتب الشيء رتوباً ثبت ودام ولم يتحرك. قال ابن جنى « يقال ما زلت على هذا راتباً أي مقيماً ورتبته ترتيباً أي أثبته » والترتب الشيء المقيم الثابت[6].

ثم تطور مدلول المادة فأصبح يدل على الارتفاع والعلو، ومنه جاء

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٣) تاج العروس مادة حجب.

(٤) المعجم الوسيط ١/١٥٦، وانظر أيضاً: Wehr, op. cit. p. 157.

(٥) والمقصود بالتعبئة صف الجند للقتال. والهرثمي هو أبو سعيد الشعراني الهرثمي عاش إلى ما بعد ٢٣٤ هـ في خلال حكم الخليفة المتوكل. وكلمة المرتبة موجودة في النص من الكتاب المذكور ص ٢٦ ـ ٢٧، وانظر أيضاً Dosy, op. cit. p. 508.

(٦) تاج العروس مادة (ر ت ب).

رتب الرجل يرتب رتباً انتصب قائماً فهو راتب، وسمي ما أشرف من الأرض الرتب والرتب الصخور المتقاربة بعضها أرفع من بعض، والمرتبة أعلى الجبل والمراتب في الجبل والصحاري هي الأعلام[١].

ثم تجرد المدلول فأصبح يدل على المكانة والمنزلة الرفيعة ومنه جاءت الرتبة بالضم، والمرتبة المنزلة عن الملوك ونحوها[٢]. ومن الرتبة وهي أعلى الجبل جاءت اللفظة التي نحن بصددها، وهي الجماعة التي تكلف بمراقبة العدو من فوق الرتب أي المرتفع من الأرض[٣].

ومن المؤكد أن العرب كانوا يستعملون أعالي الجبال لمثل هذا العمل ولكن لم يكن في جيوشهم جماعة خاصة للقيام بمثل ذلك ومن ثم لم نجد في العربية القديمة هذا اللفظ بتلك الصيغة أو الدلالة ولكن مع رقي النظم العسكرية بعد الإسلام واقتباس العرب لبعض أساليب القتال وتعبئة الجيوش وتنظيمها أصبحت لديهم جماعة خاصة معددة إعداداً خاصاً للقيام بمثل هذا العمل.

وقد أمدت هذه المادة العربية بعدة ألفاظ مولّدة منها:

١ ـ رتب بمعنى وظف أو عين في وظيفة.

٢ ـ الراتب بمعنى الموظف.

٣ ـ الراتب بمعنى الأجر على الوظيفة.

٤ ـ الراتب تلاوة القرآن والاذكار والأناشيد الدينية[٤].

وقد ظلت كلمة الراتب تستعمل حتى اليوم في العربية الحديثة بمعنى الأجر عن الوظيفة، كما استعملت أيضاً لفظة المرتب للدلالة على ذلك[٥].

---

(١) المصدر السابق نفس المادة.

(٢) المصدر السابق نفس المادة.

(٣) مختصر سياسة الحروب ص ٢٦ ـ ٢٧.

Dozy, op. cit. T. I. p. 507.

المعجم الوسيط ١/٣٢٦ ـ ٣٢٧، وانظر أيضاً: Wehr, op.cit. p. 355.

١٠ ـ **الدبابة**: وهي مشتقة من مادة (د ب ب) وهي سامية الأصل[١]، ويبدو أن الأصل الحسي لهذه المادة في اللغات السامية هو حكاية صوت مشى الحيوان وعلى ذلك تكون المادة من المواد التي أطلق عليها المحدثون من علماء اللغة: Echo-words أو Onomatopoeia [٢] وقد خصص الثعالبي في كتابه فقه اللغة فصلاً لهذا النوع من الكلمات ذكر منها: القهقهة حكاية قول الضاحك قه قه والصهصه حكاية قول الرجل للقوم صه صه، والبسبسه والقعقعة[٣].

وقال ابن الاعرابي « الدبدبة حكاية صوت الدبادبة كأنه دب دب »[٤] وهو الأصل الحسي للمادة، ويبدو أن ذلك كان يدل أولاً على مشي الحيوان ثم انتقل ليدل على كل ما يمشي على الأرض. قال الراغب « الدب والدبيب ونحو ذلك مما لا تدرك حركته الحاسة ويستعمل في كل حيوان وإن اختص في التعارف بالفرس »[٥] وقد ذكر الراغب في هذا النص الدلالة الأصلية ثم الدلالة المجردة وهي دبيب الشراب والبلي، وهما أمران غير محسوسين، وقد انتقلت الدلالة إلى معنى البطيء والمهل وهو ما نجده في العبرية حيث يدل الفعل دب على الحركة بلطف أو الانزلاق ثم الهمس كما يستعمل أيضاً بمعنى الشتم والقذف[٦]. وفي العربية نجد دب النمل وغيره من الحيوان على الأرض يدب دباً ودبيباً أي مشى على هينة ولم يسرع، واستشهد ابن دريد على ذلك بقول الشاعر:

زعمتني شيخاً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب دبيباً[٧]

---

(١) Gesenius, op. cit. p. 179.

(٢) أولمان، دور الكلمة في اللغة ص ٧١ ـ ٧٢.

(٣) الثعالبي، فقه اللغة ص ١٦٧.

(٤) المصدر السابق ص ١٧٥.

(٥) المفردات ص ١٦٣.

(٦) Gesenius, op. cit. p. 179.

(٧) تاج العروس، مادة (د ب ب).

ومن الدلالة نجد دب الشراب في الجسم والإناء والإنسان والعروق ودب السقم والبلى في الثوب والصبح في الغبش وكل ذلك بمعنى سرى وانزلق ببطء [١].

أما الدبة بمعنى السجية والطريقة والحال فلعلها منقولة من هيئة مشى الحوان أو الدب فقد أشار جزينيوس إلى أن هذا الحيوان سمي كذلك لأنه يدب على الأرض ويسير ببطء[٢]. وقد استعمل القرآن الكريم لفظة الدابة لما يدب على الأرض إنساناً كان أم حيواناً[٣]. ومن لفظة الدب بمعنى الحيوان سمي كل شيء عظم لحمه وكثف شعره الدبوب[٤]. ومن الألفاظ المولّدة في هذه المادة نجد الفعل: دبّ بمعنى قام في الظلام لقضاء الحاجة من النائم[٥]، الدبة آلة من نحاس لرفع الأجسام من الماء[٦].

أما لفظة الدبابة وهي تدل على آلة من آلات الحرب[٧] فيبدو أن العرب لم تكن تعرف هذه الآلة قبل الاسلام لأنهم لم يحاربوا من حصون وانما غالباً ما كانت تقع الحرب في الأراضي المنبسطة ويبدو أن اللفظة كانت معروفة منذ صدر الإسلام، فقد سأل ابن عمر كيف تصنعون بالحصون قال تتخذ دبابات تدخل فيها الرجال[٨]. وكانت الدبابة تصنع يومئذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال فتندفع في أصل الحصن المحاصر فينقبون وهم في جوفها وهي تقيهم ما يرمون به من فوقهم

(١) المصدر السابق نفس المادة.
(٢) Gesenius, op. cit. p. 179.
(٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٦٣.
(٤) تاج العروس مادة (د ب ب).
(٥) شفاء الغليل ص ١٠٠.
(٦) مفاتيح العلوم ص ٢٠٥.
(٧) الهرثمي ص ٥٨.
(٨) تاج العروس مادة (د ب ب).

وسميت بذلك لأنها تـدفع فتـدب[1]. ولكن مع تقـدم الفن العسكري في الإسلام أصبحت لفظة الدبابة تدل في العصر الأيوبي والمملوكي عـلى شيء مختلف عن ذلك تماماً، إذ أصبحت عبارة عن بـرج ضخم متحرك يتكـون أحياناً من أربعة طوابق أولها من الخشب وثانيها من الرصـاص وثالثهـا من الحـديد ورابعهـا من النحاس الأصفـر ويتحـرك هـذا البـرج الهـائـل عـلى عجلات وتصعد إلى طبقاته الجنود لمهاجمة الحصون وتسلق الأسوار[2].

أما في العربيـة الحديثـة فتدل اللفـظة على سيـارة مصفحة بهـا مدافـع تهجم على صفوف العدو وترمي بالقذائف [3].

ثالثاً ـ ألفاظ كلامية وصوفية:

١١ ـ **القدرية**: وهي لفظة مولّدة من مادة قدر للدلالة عـلى إحدى الفـرق التي نشـأت في العصـر الأمـوي وهم القـائلون بحـريـة الإرادة الإنسانية[4]. وتدور الدلالة الأصلية لمادة قـدر حول القـوة والتحكم ومنها جاء القدر بمعنى القضاء والطاقة والحكم ومبلغ الشيء[5]. ومن دلالة القوة جاء القدر بفتح فسكون بمعنى الغنى واليسـار[6]. ومن دلالة التحكم جـاء معنى التضييق يقال قدر عـلى الشيء يقدره قـدراً وقدراً ضيقـه، ومنه قـوله تعالى: « فقدر عليه رزقه »[7] أي ضيقـه، ومن هذا جـاء اسم القدر وهـو إناء يطبخ فيه ومنه اشتق الفعل قدر القدر يقدرها أي طبخها[8].

---

(١) ابن الأثير، النهاية ٢/١٠، وانظر أيضاً تاج العروس مادة (د ب ب).

(٢) Dozy, supple. op. cit. T.I. P. 421.

(٣) المعجم الوسيط ١/٦٨، وانظر ايضاً:

Wehr, op. cit. p. 270.

(٤) راجع الفرق بين الفرق ص ٩٤.

(٥) تاج العروس مادة (ق د ر).

(٦) المصدر السابق نفس المادة.

(٧) سورة الفجر آية ١٦.

(٨) تاج العروس مادة (ق د ر).

ثم تجرد المدلول فأصبح يدل على معنى تدبر الأمر وقياسه وتقديره والتحكم فيه. قال الراغب « القدرة إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما، وإذا وصف الله تعالى بها فهي نفي العجز عنه ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة[1].

وقد فهم أصحاب القول بالقدر القدرة عندما يوصف بها الإنسان على أنها التحكم في أفعاله فذهبوا إلى أن العباد يفعلون الشر مثل القتل والزنا، فإذا كان هذا من قدر الله بالمعنى المطلق فما معنى الثواب والعقاب، ومن ثم قالوا بحرية الإرادة الإنسانية وأن الله تعالى غير خالق لأكساب العباد وإنما الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم صنع ولا تقدير، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية[2]. ويقول الأزهري القدرية لفظ مولّد قال « وهم ينسبون إلى التكذيب بما قدر الله من الأشياء »[3] وقال أبو عبيد « القدرية كلام مولد »[4] ويقول أبو حاتم الرازي أن القدرية قد رفضت هذا اللقب وقالوا أن أصحاب الجبر أولى به منهم لأنهم قالوا أن الخير والشر بقدر من الله وقلنا أن الشر ليس بقدر من الله فهم أولى بأن ينسبوا إلى القدر. قال أبو حاتم وهم إنما أرادوا أن يخرجوا انفسهم من هذا اللقب المذموم[5].

فإذا صح ما ذهب إليه أبو حاتم فيمكن أن نفهم أن هذا اللقب إنما أطلق على هذه الفرقة من قبل المجتمع الإسلامي ولم يختاروه هم لأنفسهم، وهو ما أشار إليه البغدادي بقوله: « ولأجل هذا سماهم

---

(١) المفردات ص ٤٠٣، وانظر أيضاً كتاب الزينة ٢/٥٥.
(٢) الجزء المخطوط من كتاب الزينة ص ٢١٦، وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ص ٩٤.
(٣) تاج العروس، مادة (ق د ر).
(٤) الصحاح، مادة (ق د ر)، وانظر تاج العروس نفس المادة.
(٥) الجزء المخطوط من كتاب الزينة ص ٢١٧.

المسلمون قدرية »[1]. ويبدو أن هذا المذهب نشأ رداً على دعوة بني أمية الذين أشاعوا أنهم جاءوا إلى الحكم بقدر من الله سبق لهم ويدل على ذلك ما أعلنه عبد الملك بن مروان بعد قتله لعمر بن سعيد بن العاص، فقد أرسل إلى أصحابه يقول: « إن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ الذي لا يمكن تجنبه »[2] وقد رفضت القدرية هذا المنطق، ولهذا نادوا بحرية الإرادة الإنسانية.

١٢ - الجبرية: وهو المذهب المقابل لأصحاب القول بالقدر واللفظة مشتقة من مادة جبر التي ترجع دلالتها الحسية إلى القوة والشدة في اللغات السامية، العبرية، الحبشية، الآرامية، ومنها العربية[3]. ومن هذه الدلالة جاء مدلول كلمة الجبر في اللغة العبرية بمعنى الرجل القوي[4] وهو ما أشار إليه اللغويون العرب أيضاً في حديثهم عن مدلول الكلمة فقالوا الجبر الرجل والغلام واليافع والشجاع، ومنه يأتي تفسير اللحياني للجبار بأنه العظيم الطويل القوي كما جاء أيضاً أن الجبار من النخل هو الطويل الذي فات يد المتناول[5].

ومن هذه الدلالت جاء معنى القهر والتحكم، فالجبار هو الخالق سبحانه وتعالى لأنه قاهر خلقه على ما أراد من أمر ونهي ولا ينال كما قال ابن الأنباري[6]. وذهب الراغب إلى أن الله سبحانه وتعالى سمي الجبار من قولهم جبرت الفقير، لأنه هو الذي يجبر الناس بفائض نعمته[7].

(١) الفرق بين الفرق، ص ٩٤.
(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٢ / ٢٧٠.
(٣) Gesenius, op. cit. p. 149.
وانظر أيضاً تاج العروس مادة (ج ب ر).
(٤) Gesenius, op. cit. p. p. 149 - 150.
(٥) تاج العروس مادة (ج ب ر).
(٦) المصدر السابق نفس المادة.
(٧) المفردات ص ٨٤، كتاب الزينة ٢ / ٨٢ - ٨٣.

أما في صفة المخلوق فهو كل عـات متمرد[1]. ويبـدو أن لفظة الجبـر بمعنى الملك مـولّـدة. قـال ابن سيـده « الجبـر الملك لا أعـرف ممـا اشتق » وحاول ابن جنى تخريـج المعنى فقال سمي بـذلك لأنـه يجبر بجـوده وأنشد لابن أحمر.

واسلم برواق حييت به وانعم صباحاً أيها الجبر

ولم يسمع بالجبر بهذه الدلالة إلا في شعر ابن أحمر[2].

وقد استعمل أبو العلاء المعري لفظة الجبر بمعنى الله، وهو استعمال لم يرد في العرّبية القديمة. قال في بداية رسالة الغفـران « قد علم الجبـر الذي نسب إليه جبرائيل، وهو في كل الخيرات سبيل »[3]. وكلمة جبر كما أشرنا من قبل تدل على الرجل وليس على الله، ويبـدو أن الذي أوقـع المعري في ذلك أنه ظن أن لفظة (ايل) في جبرائيل معناهـا العبد كـما فسرهـا بعض اللغويين[4].

والحقيقـة أن المقطع (ايـل) كلمة عـامة في اللغـات السـاميـة معنـاهـا الإلـه[5]. وهـو مـا أشـار إليـه الأصمعي بقـولـه إن معنى لفـظة ايـل هـو الربوبية[6]. وعلى ذلـك يكون معنى جبـرائيل هـو رجل الله والمقصـود هنا رسول الله أو روحه الـذي أرسله، ويتضح ذلـك من استعمال حسـان بن ثابت للفظة في قوله:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء[7]

---

(١) تاج العروس مادة (ج ب ر).

(٢) المصدر السابق نفس المادة.

(٣) رسالة الغفران ص ١٢٩.

(٤) تاج العروس مادة (ج ب ر).

(٥) Gesenius, op. cit. p. 42.

(٦) تاج العروس مادة ج ب ر.

(٧) المصدر السابق نفس المادة.

وكلمة جبريل أو جبرائيل ليست مركبة تركيباً مزجياً كما ذكر الزبيدي[١] وإنما هو تركيب اضافي على ما تجري عليه الإضافة في اللغة العربية لأن الكلمة دخيلة من السريانية أو العبرية وأسلوب الإضافة في هذه اللغات السامية ومنها العربية يجري على نمط واحد.

وعلى ذلك فإن كلمة الجبرية التي نحن بصددها ليست منسوبة الى الله وانماهي منسوبة إلى القوة والقهر والتحكم. قال أبو عبيد « الجبرية خلاف القدرية كلام مولد »[٢] وقد ذهب بعض اللغويين إلى أن الباء في هذه اللفظة محركة والتسكين فيها لحن وأن التحريك جاء للازدواج أي بمناسبة ذكر اللفظ مع القدرية فيقال الجبرية والقدرية بتحريك الباء في الجبرية، وقال ثعلب « قوم جبرية بسكون الباء أي خلاف القدرية »[٣].

أما دلالة اللفظ على هذه الفرقة التي تنادي بنفي الإرادة الإنسانية وتثبت الفعل لله وحده فهي دلالة مولّدة كما أن اللفظ نفسه اشتقاق جديد جاء استجابة لدواعي الحياة السياسية والفكرية إبان حكم بني أمية. ومن العجيب حقاً أن اللغويين القدماء لم يلتفتوا إلى بقية أسماء الفرق الإسلامية الأخرى من الناحية اللغوية واكتفوا بالإشارة إلى لفظتي القدرية والجبرية وقالوا إنهما مولدتان ويبدو أنه لظهور هاتين الفرقتين في نهاية القرن الأول الهجري أثره في التفات اللغويون القدماء إلى اللفظين، غير أن ذلك لم يحل دون اشتقاق أسماء أخرى لعدد لا يحصى من أسماء الفرق الإسلامية جاءت بألفاظ جديدة دخلت في صلب الثروة اللغوية للعربية مثل: الخوارج، المعتزلة، الشيعة، المرجئة، وغيرها يضاف إلى ذلك من هذه الأسماء والألقاب والألفاظ الجديدة أسماء الفرق التي نسيت إلى زعمائها

---

(١) تاج العروس مادة جبر.
(٢) المصدر السابق نفس المادة.
(٣) تاج العروس مادة (ج ب ر).

مثل: النجدات والعجاردة والإباضية وغيرها[١].

١٣ - الأنية: قال الحلاج:

بيني وبينك إني ينازعني   فارفع بلطفك إني من البين[٢]

والأنية من الألفاظ التي استعملها الفلاسفة والصوفيـون وهي تدل عنـدهم كما يقول السمرقندي (ت ٨٨٧ هـ) عـلى « تحقق الوجـود العيني من حيث رتبته الذاتية »[٣] أي الوجود المطلق وربما الوجـود الذاتي. والكلمـة مصدر صنـاعي من أن للدلالـة عـلى هـذا المعنى كـما اصـطلح عليـه المتكلمـون العرب، ذلك لأنهم رأوا في أن دلالة على التوكيد فهي تـأتي أحيانـاً كحرف توكيد كما تكون حرف جواب بمعنى نعم[٤]. ويقول أبو البقاء « ان بالكسر والتشديد هي في لغة العرب تفيد التأكيد والقوة في الوجود »[٥]وقد استشعر الصوفيون والمتكلمون العرب في إن بهذا المعنى ما تدل عليه كلمة: Ens اللاتينية أي الوجود المطلق في معناه الأفـلاطوني، أو لعلهم وجـدوها تشبـه الكلمة اليونانية Enay دلالة ولفظاً أي الـوجود وهـو مصدر ومنـه فعل الكينونة اليوناني Eis أيس ومنه En إن أي الموجود[٦].

ومن ثم ولدوا من ظاهـر لفظ (إن) في العربيـة المصدر الصنـاعي إنية الذي يشبه لفظاً ودلالة ما هو موجود عند فلاسفة اليونـان. قال أبـو البقاء « لهذا اطلقت الفلاسفـة لفظ الإنية عـلى واجب الوجـود لذاتـه لأنه أكمـل المـوجودات في تـأكيد الـوجود وفي قـوة الوجـود » ثم يقول: « وهـذا لفظ

(١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ٢٤ - ٣٢.
(٢) الحلاج، الطواسين ص ١٦٢.
(٣) السمـرقندي، اصـطلاحات الصـوفية ص ١١، وانـظر أيضاً الجـرجاني، التعـريفات ص ٣٩.
(٤) ابن هشام، مغني اللبيب ١/٣٧.
(٥) الكليات ص ٧٦.
(٦) كتاب الزينة هامش ٢/٥٠.

محدث ليس من كلام العرب »[1].

ويقول دوزي Dozy إن الإنية مصطلح علمي يدل على وجود الشيء فقط، وعند الصوفة هو الله أو بالأحرى لأنهم يؤمنون بوحدة الوجود فالإنية تدل عندهم على كل الوجود[2].

وكل هذا يدل على أن العرب قد ولّدوا هذه اللفظة للدلالة على معنى لم يكن عند العرب القدماء وهي بالتالي تكون مولّدة مبنى ومعنى.

١٤ ـ الأيسيّة والليّسيّة: قال الجاحظ: « وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وأقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً » وعلى ذلك يعتبر أن بعض الخطباء قد خالف هذه الشروط عندما وقف في وسط دار الخلافة وقال في خطبه له « وأخرجه الله من باب الليسية فأدخله في باب الأيسية »[3] وهو بذلك يعتبر أن هذا الخطيب قد خالف شروط مراعاة مقتضى الكلام لأن اللفظتين من ألفاظ الفلاسفة وليست من ألفاظ العامة.

والليسية والأيسية هما مصدران صناعيان لم يعرفهما العرب القدماء، فالليسية من ليس والأيسية من أيس. والحقيقة أن كليهما يرجع إلى الأصل السامي (يش) أو أيس في العربية وهو يدل على الكينونة أو الوجود[4]. قال الخليل بن أحمد « أصل ليس لا أيس طرحت الهمزة والزقت اللام بالياء »[5] قال الفراء « والدليل على ذلك قولهم أئتني به من

---

(١) الكليات ص ٧٦.

(٢) Dozy, op. cit. T. I. P. 39.

(٣) البيان والتبيين ١/١٣٨ ـ ١٣٩.

(٤) Gesenius, op. cit. p. 441.

(٥) تاج العروس مادة ل ي س.

حيث أيس وليس أي من حيث هو ولا هو وكذلك قولهم جيء به من أيس وليس ومعنـاه من حيث لا وجـد أو أيس أي موجـود ولا أيس أي لا موجود »[١]. ويقول جزينيوس إن ليس هي: أيس + لا [٢]. من هذا يتضح لنا أن ليس أصلها أيس + اللام لافادة نفي الـوجود في دلالتهـا الأصلية ثم تطور المدلول إلى النفي المطلق[٣].

ويبـدو أن المتكلمين العـرب كانـوا على معـرفة تـامة بتـركيب الكلمـة الأصلي. يقول الجاحظ « لأن كبار المتكلمين ورؤساء النـظارين كانـوا فوق أكـثر الخطبـاء وأبلغ من كثير من البلغـاء وهم تخيـروا تلك الألفـاظ لتلك المعاني وهم اشتقوا لهـا من كلام العـرب تلك الأسـماء وهم اصطلحـوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلـك سلفاً لكـل خلف وقدوة لكل تابع ولذلك قالوا العرض والجوهر وأيس وليس »[٤]. ويبدو أن تشابه لفظة أيس في العربية واليونانية قد لفت نظر المتكلمين العرب ولذلك قالوا أيضاً أيسيات وليسيات: Entitiesand non entites أي الموجودات واللاموجودات وفي هذا يتفق اللفظ العربي مع اللفظ اليونانى مما لفت النظر إلى اللفظ العربى وعلى ذلك لا يمكن القول بدليل قـاطع أن الكلمـة دخيلة من اليونانية في العربية[٥].

١٥ ـ القبض والبسط: وهما من ألفاظ الصوفية، فأما القبض فمن مـادة قبض التي تدل عـلى الجمع والامسـاك[٦] وفي اللغات السـامية نجـد

---

(١) المصدر السابق نفس المادة. ه وانظر أيضاً الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ٢٣.

(٢) Gesenius, op. cit. p. 441.

وأنظر أيضاً محيط المحيط ٢/١٩٣٦.

(٣) أنظر استعمال ليس في مغنى اللبيب ١/٢٩٣ ـ ٢٩٦.

(٤) الحافظ، البيان والتبيين ١/١٣٩.

(٥) كتاب الزينة هامش ٢/٥٠.

(٦) تاج العروس مادة (ق ب ض).

الفعل قبض: قبص بالصاد يدل أيضاً على معنى الجمع والضم، وفي الحبشية نجده يعني سقط أو يئس[1] مع ملاحظة أن الضاد في العربية تقلب في العبرية إلى صاد، والدلالة الأخيرة في الحبشية وهي اليأس هي تطور للدلالة الأصلية كما جاء في العبرية والعربية، فالشيء يجمع ثم يسقط ومن هنا جاء معنى اليأس ويبدو أن الفعل في البداية كان يدل على جمع الثمر خاصة[2]. وهو ما نجده في العربية حيث نجد فرقاً بين القبض بالضاد والقبض بالصاد، فالقبض كما يقول الليث هو جمع الكف على الشيء[3]. بينما القبص بالصاد هو الأخذ بأطراف الأنامل[4]. ثم تطور المدلول الى المنع والتضييق ومنه جاء قبض يده أي امتنع ومنه قوله تعالى « الله يقبض ويبسط »[5] أي يضيق على قوم ويوسع على قوم، ومنه القابض اسم من أسماء الله الحسنى[6].

ومن الدلالة الأصلية أي الجمع والضم والامساك جاء الفعل قبض بمعنى أمات وطوى ومحى والطائر قبض جناحيه والمال صار مقبوضاً والرجل على نفسه ضاق بالحياة فاعتزل وهو المعنى المجرد الذي نجده في السريانية بمعنى يئس[7].

أما البسط فهو من مادة (ب س ط) التي ترجع دلالتها الأصلية الى السعة والامتداد[8]. ومنه جاء بسط الشيء بسطاً نشره ومده، ومن المجاز

---

(١) Gesenius, op. cit. p. 867.

(٢) Ibid.

(٣) تاج العروس مادة (قبض).

(٤) المصدر السابق مادة (ق ب ض)، وانظر أيضاً المفردات ص ٢٩٨.

(٥) سورة البقرة آية ٢٤٥.

(٦) تاج العروس مادة (ق ب ض).

(٧) المصدر السابق نفس المادة.

(٨) المفردات ص ٤٥.

بسط يده في الانفاق جاوز القصد وبسط لسانه بالخير أو الشر وبسط الله الرزق لعباده كثره ووسعه، والباسط اسم من أسماء الله الحسنى [١]. أما البسط بمعنى السرور فقد ذهب بعض اللغويين إلى أنه مولد ورده الزبيدي لأنه ورد في حديث لرسول الله[٢] وورود كلمة البسط في حديث للرسول لا ينفي كونها مولدة فلعلها استعملت بهذه الدلالة في عصر النبي ولم يعرفها العرب بهذا المعنى وهو تطور في الدلالة تسمح به اللفظة لأنه جاء منها بعد ذلك البسط بمعنى الملاطفة وترك الاحتشام، ثم أطلق البسط على المسكرات وهو مولّد[٣]. وأما البسيطة اسم للأرض والبساط لكل ما بسط على الأرض ولضرب من الفراش فكل ذلك يرجع إلى الدلالة الأصلية في مادة بسط.

وقد استعمل الصوفيون كلا من القبض والبسط بدلالة جديدة، يقول القشيري (ت ٤٦٥ هـ) « القبض والبسط حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء فالقبض للعارف بمنزلة الخوف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء »[٤]. أما ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) فالقبض عنده: « حال الخوف وهي الوقت وقيل وارد يرد القلب وهو جهة إشارة إلى عقاب وتأديب وقيل أخذ وارد الوقت »[٥]. أما البسط فهو عنده أيضاً « من يسع الأشياء ولا يسعه شيء وقيل هو حال الرجاء وقيل هو وارد وهو جهة الإشارة إلى رحمة وأنس »[٦].

---

(١) تاج العروس مادة (ب س ط).
(٢) تاج العروس مادة (ب س ط).
(٣) المصدر السابق نفس المادة.
(٤) الرسالة القشيرية ص ٣٢ وما بعدها.
(٥) التعريفات ص ٢٨٧.
(٦) المصدر السابق نفس الصفحة.

رابعاً: ألفاظ علمية:

١٦ ـ **التقليم**: وهو مولد مشتق من لفظة Kalamos اليونانية الأصل ومعناها القصب أو العود[١]. بعد أن دخلت إلى العربية، ويوجد اللفظ في اللغة السنسكريتية وفي بعض اللغات الهندية الأوروبية القديمة، وعن طريق السريانية أو الآرامية دخل إلى العربية، ويرى نولدكه أنه مأخوذ من الحبشية وقد ورد اللفظ في النقوش العربية الجنوبية. بمعنى عود يستجمر به في العبادات[٢].

وقد اضطرب اللغويون العرب في معرفة أصل الكلمة، فذهب بعضهم إلى أن القلم مشتق من قلمته أي قطعته، وقال الأزهري أحسبه عربياً، وقال ابن دريد لا أحسبه عربياً، وقيل لأعرابي ما القلم فتفكر ساعة وقلب يديه وقال لا أدري[٣]. وكل هذا يؤكد أن اللفظة دخيلة في العربية وليست أصيلة فيها.

وقد دخل اللفظ إلى العربية منذ العصر الجاهلي واستعمله القرآن الكريم في أكثر من موضع بدلالات مختلفة، فهو يدل على السهم والقدح وما يكتب به[٤] وكلها دلالات عربية لم تكن للفظ وقد اعتبرت لفظة القلم أصلاً واشتقت منها في العربية أسماء وأفعال مثل: القلم: الزلم واحد الأزلام والظفر والحافر والعود والقلامة والقلومة، ما قطع منه والقلم المرأة تصبح بلا زوج مدة طويلة، ثم المقلمة الكتيبة شاكية السلاح والمقلم قضيب البعير والتيس والثور والمقلمة وعاء أقلام الكتابة وغير ذلك[٥]. كما

---

(١) Dozy, op. cit. T. I. P. 339.
وانظر أيضاً: غرائب اللغة العربية ص ٢٦٦.

(٢) كتاب الزينة، هامش ٢/١٤٥.

(٣) تاج العروس مادة (ق ل م)، وانظر كتاب الزينة ٢/١٤٤.

(٤) المفردات ص ٤٢٢.

(٥) تاج العرس مادة (ق ل م).

اعتبروا أيضاً أن لفظة الإقليم أفعيل من القلم(١). والحقيقة أن لفظة الإقليم دخيلة من اليونانية Klima (٢).

أما التقليم كما عرفه المشتغلون بالزراعة العربية قديماً فهو كما يقول ابن مماتي (ت ٦٠٦ هـ): « التقليم يتناول شيئين ما جف من الشجر ويبس وما طلع في ديلوها من عروقها »(٣). وفي العربية الحديثة نجد من مولدات هذا اللفظ كلمة قلم بمعنى قسم من أقسام المصالح الحكومية كقلم المرور وقلم المستخدمين(٤).

١٧ ـ التفسرة: مولد مشتق من مادة فسر وتدل أصلاً على الإبانة والكشف ومنه قيل فسر الشيء يفسره أبانه(٥). ثم تجرد المدلول إلى معنى التأويل أو كشف المعنى ومنه جاء التفسير بمعنى كشف المراد من اللفظ المشكل وقيل التفسير شرح ما جاء مجملاً من القصص في القرآن الكريم وتعريف ما تدل عليه ألفاظه وبيان الأمور التي نزلت بسببها الآيات(٦).

ونجد في اللغة العبرية الفعل بمعنى فسر الحلم فقط(٧). وقد اختلف العلماء المسلمون حول مدلول معنى التفسير والتأويل اختلافاً واسعاً حتى أصبح لها في كل بيئة من البيئات العلمية في الإسلام معنى خاص، فهي عند الفقهاء غيرها عند اللغويين كما أن لها دلالة ثالثة عند المتكلمين ورابعا عند الصوفية وغيرها عند الأدباء(٨). ومن المعنى المجرد اشتق

(١) المصدر السابق نفس المادة، وانظر أيضاً كتاب الزينة ٢/١٤٥.
(٢) Dozy, suppl. op. cit. T. I. P. 788.
وانظر أيضاً غرائب اللغة العربية ص ٢٥٣.
(٣) قوانين الدواوين ص ٢٧٣.
(٤) المعجم الوسيط ٢/٧٥٧ وانظر أيضاً: Wehr, op. cit. p. 788.
(٥) تاج العروس مادة (ف س ر).
(٦) المصدر السابق نفس المادة.
(٧) Gesenius, op. cit. p. 1109.
(٨) د. السيد خليل، دراسات في القرآن ص ٦٣.

التفسير والاستفسار ومنه استفسرته أي سألته أن يفسر لي، ومن دلالة الكشف والإبانة جاءت التفسرة عند الأطباء بمعنى البول الذي يستدل بلونه على المرض ومعرفة العلة وهو اسم كالتهنئة [1]، قال الجوهري « الفسر نظر الطبيب إلى الماء وكذلك التفسرة مولّد »[2] وقال الخوارزمي « التفسرة البول وبها سمي أيوب الرهاوي الطبيب كتاب التفسرة »[3] وقد تبعه في العصر الحديث الدكتور أحمد عيسى فألف كتاباً اسماه « التفسرة »[4].

١٨ ـ **الإيقاع**: من مادة وقع التي ترجع دلالتها الأصلية إلى السقوط والاصطدام[5]. ويبدو أن هذه الدلالة تطورت عن دلالة المادة في اللغات السامية، ففي العبرية نجد معناها فك أو نقل[6] وهي دلالة سنلمها تردد في اشتقاقات المادة في العربية.

فمن دلالة السقوط نجد وقع يقع وقعاً ووقوعاً سقط والدابة ربضت والإبل بركت والمطر حصل[7]. ثم تجرد المدلول إلى معنى الثبات والاستقرار ومنه وقع الحق ثبت والقول وجب[8]. ومن هذه الدلالة جاءت المعاني المجردة: وقعت الحرب والواقعة النازله الشديدة والواقعة اسم من أسماء القيامة، قال الراغب « وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد »[9].

---

(١) تاج العروس، مادة (ف س ر).
(٢) الصحاح مادة (ف س ر).
(٣) مفاتيح العلوم ص ١٨١.
(٤) انظر مقدمة الكتاب ص ١.
(٥) تاج العروس مادة (و ق ع).
(٦) Gesenius, op. cit. p. 429.
(٧) تاج العروس مادة (و ق ع).
(٨) المصدر السابق نفس المادة.
(٩) المفردات ص ٥٥١، وانظر أيضاً تاج العروس مادة (و ق ع).

أما الإيقاع فهو في الأصل الاسقاط الذي جاء دلالته من التأثير الناتج عن اصطدام شيئين أحدهما بالآخر ومنه نجد الوقيعة نقرة في جبل أو سهل ويقال أرض وقيعة لا تكاد تجف أي أن الماء باق أثره فيها دائماً(١).

ومن دلالته التأثير هذه جاء معنى البيان والوضوح والعلامة ومنه جاء الايقاع بمعنى ايقاع الحان الغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها تبييناً، وبه سمي الخليل بن أحمد كتابه في الموسيقى الإيقاع(٢).

غير أننا نجد لكلمة الإيقاع عند الموسيقيين اصطلاحاً يختلف عن معنى التبين هذا ويحدده الخوارزمي بقوله « الإيقاع هو النقلة على النغم في أزمنة محددة المقادير والنسب. . . ومن الإيقاعات العربية الهزج وهو الذي تتوالى فقراته نقرة نقرة »(٣) وكلمة الإيقاع بهذه الدلالة المحددة لم تعرفها العربية القديمة.

وقد أضافت مادة وقع إلى العربية عدة ألفاظ مولدة منها:

١ - التوقيع وهو من التأثير ، وهو مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير، أما بمعنى تعليق الرئيس على كتاب برأيه وكذلك توقيع العقود والصكوك ونحوه فمولد(٤). ويقول الشهاب الخفاجي: « ايقاع شيء على شيء بسيط يخالف لونه يقال بعير موقع إذا دبر ظهره ثم برأ وبقي بموضعه شامه بيضاء ومنه توقيع السلطان »(٥) وقد ذهب كثير من اللغويين إلى أن التوقيع بهذا لمعنى من الكلام الإسلامي وأن العرب لا تعرفه. قال الزبيدي

---

(١) تاج العروس مادة و ق ع.
(٢) المصدر السابق نفس المادة.
(٣) مفاتيح العلوم ص ٢٤٥.
(٤) راجع تاج العروس مادة (و ق ع).
(٥) شفاء الغليل ص ٦٦.

« وكلامهم ظاهر في أنه غير عربي قديم وإن كان مأخوذاً من المعاني العربية »(١) .

٢ - إيقاع: بمعنى الضرب على الدف، قال الخفاجي « إيقاع أي الضرب على الدف ونحوه على قانون معروف لغة مولّدة »(٢).

٣ - الوقيع : وهو من أتى ملتجئاً ومنه قولهم « الوقيع » غال »(٣) .

وفي العربية الحديثة نجد من المادة الألفاظ المولدة:

١ - الواقعية: مصدر صناعي من مادة وقع يدل عى مذهب أدبي وفني(٤)

٢ - الواقعة: الجريمة والحادث عند الشرط.

١٩ - التقطير: من مادة قطر التي يرجع مدلولها الأصلي في العربية إلى الكثافة والسيولة، أما دلالة الكثافة فنجدها في العبرية Kutru بمعنى الدخان الكثيف الأسود(٥). وفي العربية نجد دلالة السيولة في قولهم قطر الماء والدمع، وغيرهما سال واقطره وقطرة تقطيراً أسالة قطرة فقطرة، ومنه سمي المطر القطر(٦). ومن سقوط القطر أو المطر جاءت دلالة السقوط في المادة، يقال أقطرت السماء أسقطت المطر(٧) ومن الكثافة والتجمع جاء قطر الإبل لقرب بعضها من بعض في سياق واحد ومنه جاء قطار الإبل، وسمي الحديد أو النحاس المذاب قطر لسيولته وكثافته (٨) .

---

(١) تاج العروس مادة وقع.
(٢) شفاء الغليل ص ٣٤.
(٣) محيط المحيط ٢/٢٢٧٧.
(٤) المعجم الوسيط ٢/١٠٥١، وانظر أيضاً: Wehr, op. cit. p. 1091.
(٥) Gesenius, op. cit. p. 882.
(٦) تاج العروس مادة (ق ط ر).
(٧) المصدر السابق نفس المادة.
(٨) المصدر السابق نفس المادة.

كما نجد في اللغة العربية مـا يتصل لـدلالة اللفظ في العبـرية أي بمعنى الدخان وهو القطر بمعنى العود الذي يتبخر به ومنه جاء قطر الثوب تقـطيراً وتقطرت المرأة أي تبخرت. قال امرؤ القيس:

كأن المدام وصوب الغمام وريـح الخزام ونشـر القطر[١]

(أي رائحـة البخور)

غير أننا نجد القطر بمعنى الناحية ولعله يتصل دلالياً بـالقطر أي المـطر أخذ منه معنى السقوط من أعلى فأخذت منه دلالة الارتفاع ولـذلك لْاطلق عـلى الناحية الظاهرة المرتفعة القطر، ومنه جاء قطر وأقطار بمعنى الجبل[٢].

أما التقطير وهي اللفظة التي نحن بصددها وتدل على تحويـل السائـل إلى بخار بالحـرارة ثم تبريـده ليعود سـائلاً نقيـاً فمولـده لم تعرفهـا العربيـة القـديمة، قـال الخوارزمي « التقـطير مثل صنعـه ماء الـورد وهو أن يـوضع الشيء في القـرع وموقـد تحته فيصعـد ماؤه إلى الإنبيق وينـزل إلى القـابلة ويجتمع فيه »[٣] ومـا زالت اللفظة تستعمـل حتى الآن في العربيـة الحديثـة بهذا اللفظ والمدلول أيضاً.

ومن المولّد القديم من مادة (قطر) القطر بمعنى المحلول السكري. قال الشهاب الخفاجي: « القطر أصل معناه نوع من المطر وأهل مصر تستعمله بمعنى حـل السكر وهي مـولّدة »[٤] وقـد أضـافت مـادة قـطر إلى العـربيـة الحديثة عدة ألفاظ أخرى مولدة مثل:

١ ـ الاستقطار: وهو التقطير.

٢ ـ القاطرة: عربة يحركها البخار أو الكهرباء تقطر بها عربات السكة الحديدة وكانت تدل قديماً على الناقة الأولى في قطار الإبل.

---

(١) تاج العروس مادة (ق ط ر).
(٢) المصدر السابق نفس المادة.
(٣) مفاتيح العلوم ص ٣٩٤.
(٤) شفاء الغليل ص ١٨٤.

٣ ـ القطار: مجموعة من مركبات السكة الحديد تجرها القاطرة وكانت تدل على قطار الإبل قديماً.

٤ ـ المقطورة: عربة تجرها قاطرة أو سيارة.

٥ ـ القطرة: دواء سائل يقطر في العين.

٦ ـ القطارة: أداة يقطر بها الدواء أو غيره نقطة نقطة.

٧ ـ القطران: لمادة سوداء سائلة لزجة وكانت اللفظة قديماً تطلق على عصارة شجر الأرز والأبهل[١].

٢٠ ـ السحارة: وهي من مادة سحر العربية التي نجدهة في اللغة العبرية تدل على دار حول أو تخلل أو رحل، أما في السريانية فنجدها تعني تسول أو ذهب يتسول[٢]. أما في العربية فنجد سحر الرجل إذا تباعد وسحر إذا بكر تبكيراً وتقول العرب للرجل ما سحرك عن وجه كذا أي ما صرفك عنه والمسحور الذي ذهب عقله[٣].

ومن هذا يمكن القول بأن الدلالة الأصلية لمادة سحر في اللغات السامية تدور حول الحركة والتغير ومنها جاءت في العبرية Sanas بمعنى تجول وتخلل وفي السريانية تسول لأن المتسول عادة يدور ويتحرك ومنها في العربية جاء سحر بمعنى تباعد وذهب. ثم تجرد المدلول من معنى الحركة إلى التحول والتغير ومنه جاء السحر بالمعنى المعروف. قال الراغب «وأصل السحر هو صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه»[٤]. وروى شمر أن العرب إنما سمت السحر سحراً لأنه يزيل

---

(١) المعجم الوسيط ٢/٧٤٤.

وأنظر أيضاً: Wehr, op. cit. p.p. 773 - 774.

(٢) Gesenius, op. cit. p. 690.

(٣) تاج العروس مادة (س ح ر).

(٤) المفردات ص

الصحة إلى المرض والبغض إلى الحب[1]. وفي كل هذا نجد دلالة التغير واضحة.

أما تسميتهم كل ما يتعلق بالحلقوم من قلب وكبد ورئة سواء في الانسان أم الحيوان السحر ومنه جاء السحر والنحر أي ما بين العنق والصدر فلعله يتصل بدلالة المادة في العبرية عن التخلل لأن كل هذه الأعضاء تتخلل جسم الإنسان.

كما سمي قبيل الصبح سحراً ومنه جاء السحور للطعام الذي يتناول في هذا الوقت واسحر بمعنى تناول طعام السحور مأخوذ كله من إدبار الليل وإقبال النهار، ومن دلالة السحر بمعنى صرف الشيء عن حقيقة جاء المسحور المفسود من الطعام والأرض إذا أصابها مطر كثيراً أو كلأ، ومن دلالة التغير أيضاً جاءت السحارة لعبة يلعب بها الصبيان إذا مدها من جانب خرجت على لون وإذا مدها من جانب آخر خرجت على لون آخر[2].

أما اللفظة التي نحن بصددها وهي السحارة وتسميها العامة سارقة الماء وكان الكميائيون القدماء يستعملونها فهي لفظة مولّدة إما عن طريق الاشتقاق من مادة سحر وإما عن طريق نقل الدلالة من السحارة بمعنى اللعبة للصبيان.

ويصف لنا الخوارزمي هذه الآلة بقوله « هي الأنبوبة المعطوفة المعمولة من زجاج أو غيره فيوضع أحد رأسيها في الماء أو غيره من الرطوبات المائية يمد الرأس الآخر إلى أن يصل الماء إليه وينصب منه فلا يزال يسيل إلى أن ينشكف رأسه الذي في الماء ولا يمكن ذلك إلا أن يكون الرأس الذي

---

(١) تاج العروس مادة (سحر).

(٢) المصدر السابق نفس المادة.

يمص أسفل من سطح الماء فأما إذا كان أعلى منه فإنه لا ينصب منه »[1].
وقد أطلق الجاحظ على السحارة لفظ الشرابة[2].

خامساً ـ ألفاظ أدبية:

٢١ ـ أدب: لابد أن نلاحظ أولاً أن الهمزة والهاء تتبادلان وتتخالفان كثيراً في اللغة العربية ومن هذا القبيل أراق وهراق، كذلك يحدث إبدال بين الدال والذال أحياناً[3] وعلى ذلك تتقارب مادة أدب، هذب حيث نجد الدلالة الأصلية لمادة أدب ومادة هذب أصلها تهذيب الشيء أي تقويمه وتنقيحه وإزالة ما به من شوائب. قال الزبيدي أصل التهذيب تنقية الأشجار بقطع الأطراف فتزيد ثمراً وحسناً »[4] وهذه هي الدلالة الحسية ثم قال « ثم استعملوه في تنقية كل شيء واصلاحه وتخليصه من الشوائب ومنه جاء المهذب من الرجال المخلص النقي من العيوب[5]» .وفي مادة أدب نجد هذه الدلالة المجردة بشكل أوسع حيث يعرف أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) لفظة الأدب بأنها « كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل » ثم يقول ومثله في التهذيب[6]. ومن دلالة التهذيب جاء الترتيب والتنظيم ومنه لفظ المأدبة وهو يدل في العربية القديمة على كل طعام صنع لدعوة أو عرس ومنه جاء الفعل أدب فلان القوم إذا دعاهم الى مأدبة، قال طرفة:

نحن في المشتاة تدعو الجفلى … لا ترى الآدب فينا ينتقر[7]

---

(١) مفاتيح العلوم، الخوارزمي ص ٢٥١.
(٢) الحيوان ٥/٩.
(٣) راجع السيوطي، المزهر ١/٤٦٢، ٤٦٩.
(٤) تاج العروس مادة (هـ ذ ب).
(٥) المصدر السابق نفس المادة.
(٦) تاج العروس مادة (أدّب).
(٧) المصدر السابق مادة (أ د ب) وراجع، البغدادي، خزانة الأدب ١٢٤/٤.

وقد تطور المدلول المجرد للمادة فجاءت منه دلالات متعددة كلها يرجع إلى الأدب بمعنى التهذيب والخلق الطيب ومنه الأدب بمعنى حسن التناول والعلم والعدل والظرف(١).

وفي اللغات السامية نجد لفظة أدب تعني الحزين أو الحزن الشديد(٢) ولعلها متطورة عن الأدب بمعنى الإخلاص والنقاء من العيوب.

أما لفظة الأدب للدلالة على علوم العربية فيقول الجواليقي « الأدب الذي كانت تعرفه العرب هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم مثل ترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقاء »(٣) ومنه قول الغنوي:

لا يمنع الناس مني ما أردت ولا أعطيهم ما أرادوا حسن ذا أدباً(٤)

ثم يقول الجواليقي « واصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على أن يسموا العالم بالنحو والشعر وعلوم العرب أديباً ويسمون هذه العلوم الأدب وذلك كلام مولد »(٥) ومثل ذلك أيضاً قال الشهاب الخفاجي(٦). ويبدو أن مدلول اللفظة قد اتسع فيما بعد لأن الجرجاني يعرف الأدب بأنه « عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ»(٧).

أما عند الصوفية فقد انصرفت اللفظة إلى عدة دلالات أخرى اختلفت باختلاف أصحاب هذا اللون من ألوان المعرفة(٨).

٢٢ - السياق: وهي من مادة ساق ويبدو أن المدلول الأصلي لهذه

---

(١) تاج العروس مادة (أ د ب).

(٢) Gesenius, op. cit. p. 9.

(٣) شرح أدب الكاتب ص ١٣.

(٤) خزانة الأدب ٤/١٢٣.

(٥) شرح أدب الكاتب ص ١٣.

(٦) شفاء الغليل ص ٢٧.

(٧) التعريفات ص ١٤ وانظر الكليات ص ٢٥.

(٨) الرسالة القشيرية ص ١٢٨ - ١٣٠.

المادة الشدة والخشونة ومنه سميت الساق بهذا الاسم. قال ابن الأنباري « يذكرون الساق إذا أرادوا شدة الأمر والأخبار عن الهول »[1] وقال ابن سيدة « ولسنا ندفع من ذلك أن الساق إذا أريدت بها الشدة فإنما هي مشبهة بالساق هذه التي تعلو القدم وإنه إنما قيل ذلك لأن الساق هي الحاملة للجملة والمنهضة لها فذكرت هنا كذلك قول طرفه:

كشفت لهم عن ساقها وبدا لهم من الشر الصراح »[2]

وفي قوله تعالى « يوم يكشف عن ساق »[3] أي عن الشدة.

ومن هذا المدلول الأصلي جاء اسم السوق حيث يذهب الناس للبيع والشراء وأصل اشتقاقها من سوق الناس بضائعهم إليها ولا يخفي ما في السوق من شدة[4] كما جاء أيضاً السباق للصداق لأنه كان من غنم وابل والسوقة لأنهم يساقون بالملك والسلطان، وساقه الجيش لأنهم يسوقون جيش الغزاة أمامهم ويكونون من ورائه يحفظونه، ومن هذا جاءت دلالة التتابع في المادة أي أن يأتي الواحد تلو الآخر يقال ولدت فلانه ثلاثة بنين على ساق واحد أي متتابعة بعضهم إثر بعض، وهنا نلمح أيضاً مدلول الشدة[5].

ومن دلالة التتابع جاء سياق الكلام أي تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه وقد عرفت العربية القديمة كما رأينا السياق بمعنى الصداق ويقول الشهاب الخفاجي « السياق يقع في كلام المولدين على أمور:

١ ـ منها ما سيق له الكلام من الغرض ويخص بما تأخر إذا قوبل

---

(١) تاج العروس مادة (ساق).
(٢) المصدر السابق نفس المادة.
(٣) سورة القلم آية ٤٢.
(٤) تاج العروس مادة (ساق).
(٥) المصدر السابق نفس المادة.

بـالسباق المـوحـدة وهـذا صحيـح لغـة إلا أنـه لم يستعمله إلا المتـأخـرون والمصنفون.

٢ - ويكون بمعنى حضور المـريض للموت وفي حـالة النـزع كقولـه في شعر أنشده في حسن التوسل:

كمغني يودع روحاً غدت يراها على رغمه في السياق(١)

كذلك نجد من المولد القديم أيضاً السياق بمعنى المسعى الحميد(٢).

ومن المولّد المشتق في العربية الحديثة نجد سوق البضاعة أي طلب لها سوقاً(٣).

٢٣ - المتن: يدور المدلول الأصلي لمـادة (م ت ن) في اللغة العـربية واللغـات السـاميـة حـول الصـلابـة والقـوة(٤) ومنـه جـاء في العبـريـة متنيم بمعنى الـوسط أو المكـان الـذي يـربط عليـه الحـزام والشيء الخشن، أما في السريانية فهو يدل على جانبي الظهر والوسط أيضاً(٥).

وفي العـربية نجـد متن الشيء متانـة صلب واشتد وقـوي فهـو متـين والمتـان الشدة والقـوة، ومنه جـاء رجل متـين والمتنة والمتـون مـا صلب من الأرض وارتفع والمتن الرجل الصلب والوتر الشديـد، ومتنا الـظهر مكتنفـاً الصلب(٦) ومن دلالة المتن على الظهر وكذلك على المكان البـارز جاء المتن بالدلالـة المولـدة فقالـوا متن الكتاب أي أصله الـذي يشرح وتضـاف إليه الحـواشي. قال الشهـاب الخفاجي «متنـا الظهـر مكتنفاً الصلب عن يمـين وشمال ويطلق على الظهر بجملته كما في قول الشاعر:

---

(١) شفاء الغليل ص ١٢٨.

(٢) Dozy, op. cit. T.I.P. 706.

(٣) المعجم الوسيط ١/٤٦٤، وانظر أيضاً: Wehr, op. cit. p. 443.

(٤) Gesenius, op. cit. p. 608.

(٥) Ibid.

(٦) تاج العروس، مادة (م ت ن).

(كالسيف عرى متناه عن الخلل) وهو معنى شائع والمقصود هنا بيان ما استعمله المولدون: وفي الكتاب الأصل الذي تكتب فيه أصول المسائل ويقابله الشرح وهذا لم يرد عن العرب »[1] ومن هذه الدلالة جاءت عبارة متن اللغة أي أصولها من الألفاظ والمفردات وهي دلالة مولدة[2].

٢٤ ـ المقامة: وهي من مادة قوم التي تدل في اللغة العربية واللغات السامية على الثبات والاستقرار ومنه جاء في العبرية Kum بمعنى وقف كما يدل الفعل السكن والاستقرار في المكان[3].

ولا تختلف العربية عن اللغات السامية في ذلك حيث نجد المادة غنية بالاشتقاقات وكلها تعود إلى المعنى الأصلي وهو الثبات والاستقرار وما تفرع عنه من دلالات في اللغات السامية. ومن المعنى الأصلي جاءت الدلالة المجردة وهي الاستواء والاعتدال ومنه قيل قام الأمر قوماً استوى واعتدل والاستقامة اعتدال الشيء واستواؤه، وقوام وقويم أي حسن القامة والقوام العدل. ومنه جاء القيم أي المستقيم. واشتقت القيامة من هذه الدلالة حيث يقف الخلق بين يدي الله بالحق والعدل[4].

ونلمح في قولنا قام الرجل أهله قياماً أي قام بشأنهم متكفلاً بأمرهم وكلا الدلالتين الحسية والمجردة وذلك في استمرار الرجل وثباته على ذلك بالعدل واستقامة، ومن معنى العدل والاستقامة جاء تقويم الشيء أي تقدير ثمنه. قال أبو عبيد ومن العدل جاء فلان أقوم كلاماً أي أعدل واستقام الشعر أي اتزن[5].

---

(١) شفاء الغليل ص ٢١٣.

(٢) Dozy, op. cit. T. II. p. 568.

(٣) Gesenius, op. cit. p. 877.

(٤) تاج العروس مادة (ق و م).

(٥) المصدر السابق نفس المادة.

أما لفظة المقامة بمعنى القصة القصيرة المسجوعة والتي تشتمل على ملحة أو عظة وكان الأدباء يظهرون فيها براعتهم اللغوية فهي مولّدة عن المقامة بمعنى المجلس، يقال مقامات الناس أي مجالسهم. قال العباس بن مرداس:

فأيّي ما وأيّك كان شراً　　يقيد إلى المقامة لا يراها(١)

ويقول الشهاب الخفاجي « المقامة واحدة المقامات بفتح الميم المعروفة في صناعة الأدباء والوعاظ مولّدة محدثة لم تقع في كلام أحد من المتقدمين »(٢). ويبدو أن الكلمة قد شاعت في القرن الرابع الهجري.

٢٥ - **البابه**: قال الجاحظ « وأما سائر حديث هذا الرجل فإنه من هذه البابه »(٣) وقال ابن حجاج يصف شعره:

فإن شعري ظريف　　من بابة الظرفاء(٤)

واللفظة من مادة (ب و ب) في العربية ولكن المدلول الأصلي للمادة يتضح في اللغتين العبرية والحبشية أذ يعني حضر جاء، دخل(٥) ومنه جاءت كلمات مشتقة بمعنى المدخل والدخول(٦) ويتضح جزء من هذه الدلالة في مادة باء في اللغة العربية(٧)، وأغلب الظن أن كلمة باب جاءت من المدلول الأصلي في اللغات السامية حيث أبدلت الهاء أو الهمزة بالباء في اللغة العربية وتكاد نلمح المدلول السامي لفظاً ومعنى في كلمة بوابة التي تدل في العربية على « ثنية في طريق نجد على قرن ينحدر منها

(١) المصدر السابق نفس المادة.
(٢) شفاء الغليل ص ٢١٤.
(٣) البخلاء ص ١٢٠.
(٤) يتيمة الدهر ٣/٢٦.
(٥) Gesenius, op. cit. p. 97.
(٦) Ibid. P. 99.
(٧) تاج العروس مادة (باء).

صاحبها إلى العراق »[1] وكأنها مدخل أو باب للعراق.

وقد اتخذت العربية من لفظة الباب أصلاً اشتقت منه بقية ألفاظ المادة، فالباب المدخل والطاق وما يغلق به والأبوبة الأقبية والبواب حافظ الباب والحاجب والبوابة حرفة البواب ومن لفظة الباب أيضاً اشتق الفعل باب له أي أصبح بواباً للسلطان[2]. ثم الباب والبابة في الحساب ويبدو أنهما مولدتان إذ لم يعترف بهماابن دريد ولم يذكرهما الجوهري[3].

أما كلمة البابة فقد استعملت بمعنى التوافق فيقال هذا بابته أي يصلح له وهذا الشيء من بابتك أي يصلح لك وهو قول ابن الأنباري ومنه جاءت البابة بمعنى الخصلة[4]. ويبدو أن المعنى المولد للدلالة على من نوع كذا أو من قبيل كذا جاءت من الدلالة الأخيرة أي الخصلة قال الشهاب الخفاجي « بابه بمعنى نوع ومنه قولهم للعب خيال الظل بابه » [5].

ويبدو أن اللفظة مستعملة في مجال خيال الظل بمعنى الفصل كما تستعمل في العربية الحديثة بالنسبة للمسرح ولكن الجاحظ وابن حجاج استعملا اللفظة بمعنى من قبيل كذا أو من نوع كذا وهو الاستعمال المولّد. وقد أضافت هذه المادة إلى العربية الحديثة:

١ ـ الباب بمعنى الجزء من البحث أو الكتاب.

٢ ـ بوب الكتاب أي قسمه إلى أبواب وفصول.

---

(١) المصدر السابق مادة (ب و ب).

(٢) تاج العروس مادة (ب و ب).

(٣) المصدر السابق نفس المادة.

(٤) المصدر السابق نفس المادة.

(٥) شفاء الغليل ص ٥٠.

وأنظر أيضاً: Dozy, op. cit. T. I. P. 125.

سادساً ـ الألفاظ العامة:

٢٦ ـ السجادة: قال أبو نواس (ت ١٩٨ هـ):

فادع بي لا عدمت تقويم مثلي وتفطن لموضع السجادة
تر أثراً من الصلاة بوجهي توقن النفس أنها من عباده
لو رأها بعض المرائين يوماً لاشتراها يعدها للشهادة(١)

ولفظة السجادة مولد مشتق من مادة سجد التي نجدها في العربية بمعنى انحنى وتطامن للعبادة ومنه جاءت الدلالة المجردة بمعنى خضع(٢).

غير أننا نجد علاقة دلالية قوية بين مادة سجد بالدال ومادة سجر بالراء حيث نجد المدلول الأصلي لمادة سجد بالدال واضحاً في مادة سجر كما جاءت في اللغات السامية العبرية والسريانية والدلالة الأصلية أو الحسية لمادة سجد في اللغات السامية ومنها العربية تدور حول التجمع والتضامن كما قال الراغب الأصفهاني(٤). ومنه جاءت الدلالات المجردة في مادة سجد بمعنى خضع وتذلل وذلك لأن السجود هو تجمع وتطامن يقوم به جسم الإنسان عند أدائه للسجود، ومن هذا المعنى جاء سجد بمعنى خفض رأسه ومال وانحنى وهي تدل أيضاً على المعنى المجرد خضع واستسلم وتذلل(٥).

ويبدو أن السجود كان معروفاً في الأمم السامية القديمة ومنها العرب بمعنى الخضوع والطاعة والتحية للملك وليس على جهة العبادة التي جاءت متأخرة. قال النابغة: « سجود له غسان يرجون فضله » أي خاضعون

---

(١) ديوان ابي نواس ص ٤٥٩.
(٢) تاج العروس مادة (س ج د).
(٣) Gesenius, op.p. 688.
(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٢.
(٥) تاج العروس مادة (سجد).

منقـادون، ولكن الإسـلام حـول اللفظ إلى معنى ديني بجـانب هـذا المعنى اللغوي[1].

أما لفظة سجادة فقد عرفتها العرب قبل الإسـلام، ولكن بمعنى الخمر المسجود عليها[2]. ويبدو أن لفظة سجادة كانت معروفة منـذ القرن الثـانى حيث تـدل على معنيـين مـولّـدين: الأول أثـر الصـلاة في الجبهـة ويـذكـر الحصري (ت ٤٥٣ هـ) أنهم كانوا يصنعون هذا الأثر بدلك جبهتهم بنـواة وثوم، ثم يعصبون الثوم وينامون[3]. الثاني لفـظة سجادة كـما استعمله أبو نـواس في البيتن السـابقـين بمعنى قـطعـة النسيـج أو البســاط المخصص للصلاة.

كما استعمل الجاحظ أيضاً لفظة المسجديون للدلالة عـلى طـائفــة من النـاس كانت تتخـذ من المسجد منتـدى لها، ويبـدو أنهم كانـوا خليطاً من الناس منهم الشعراء والرواة وكانوا يستطرقون من هـذه الثقـافات التي يزخر بهـا مسجد البصـرة، فكانـوا لا يعرفـون بفن ولا يتميزون بنـوع من العلم ويظهر أن هؤلاء المسجديون كان لهم أثر في تـوجيه الحيـاة الأدبية في ذلـك العهد[4].

وكـان بعض الشعراء يـوصف بأنـه مسجدي كـما يقول المـرزباني[5]. وعـلى ذلك يكـون لدينـا من هذه المـادة كلمة السجـادة بمعنى أثر السجـود والبســاط المخصص للصلاة ثم المسجـديون والمسجـدي وكلهـا ألفـاظ لم تعرفها العربية القديمة.

---

(١) الجزء المخطوط من كتاب الزينة ص ٣٥٦.

(٢) تاج العروس مادة (س ج د).

(٣) جمع الجواهر ص ١٣٢ نقلاً عن: البخلاء هامش ص ٢٧٠.

(٤) البخلاء، ص ٢٤، ٢٧٠.

(٥) البخلاء هامش ص ٢٧٠.

٢٧ ـ الطفيلي: قال الجاحظ « قول الناس طفيلي ليس من أصول كلام العرب ». ثم يقول « وكان بالكوفة رجل من بني عبد الله بن غطفان يسمى طفيل وكان أبعد الناس نجعة في طلب الولائم والأعراس فقيل له لذلك طفيل العرائس وصار ذلك له ولقباً لا يعرف بغيره، فصار كل من كانت له طعمته يقال له طفيلي » (١).

ويضع أصحاب المعاجم العربية كلمة طفيلي في مادة طفل التي يرجع مدلولها الأصلي إلى النعومة واللين ومنها جاء الطفل بمعنى الرخص والصغير من كل شيء(٢). والمادة أيضاً موجودة في اللغات السامية العبرية والآرامية والسريانية وهي تدل على أصل نجده في المادة في اللغة العربية أيضاً إذ نجد الفعل طفل في هذه اللغات يعني لطخ وسخ التصق(٣).

أما لفظة الطفيلي فقد حاول الأصمعي تخرجها فقال إنها مأخوذة من الطفل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته يعني أنه يظلم على القوم أمرهم فلا يدرون من دعاة وكيف دخل عليه، ولكن الزبيدي يرفض هذا القول قائلاً والراجح الرأي الأول أي الذي ينسب اللفظة إلى رجل يدعى طفيل كما قال الجاحظ ثم يقول « وهو بناء وضعي »(٤).

ويقول الشهاب الخفاجي « التطفيل الإتيان بغير دعوة. قال الليث هو من كلام أهل العراق يقولون هو يتطفل في الأعراس، وقول العامة طفيلي مولّد لا يوجد في العتيق من كلام العرب »(٥).

وتمثل هذه الكلمة في الحقيقة التوليد غير المقصود الذي يحدث غالباً

(١) الجاحظ، البخلاء ص ٦٨، وانظر الثعالبي، ثمار القلوب ص ١٠٨ ـ ١٠٩.
(٢) تاج العروس مادة (ط ف ل).
(٣) Gesenius, op. cit. p. 381.
وقارن بتاج العروس مادة (ط ف ل).
(٤) تاج العروس مادة (ط ف ل).
(٥) شفاء الغليل ص ١٤٨.

على لسان فرد ثم يشيع حتى يدخل ضمن الثروة اللغوية(١).

وقد اشتقوا من اللفظة أفعالاً مولدة فقالوا طفل عليه وتطفل عليه تطفلاً(٢).

٢٨ ـ المستعرض: وهي كلمة مولّدة من كلمات المكدين، ويفسر لنا الجاحظ مدلولها بقوله « والمستعرض الذي يعارضك وهو ذو هيئة وفي ثياب صالحة وكأنه قد مات من الحياء ويخاف أن يراه معرفة ثم يعترضك اعتراضاً ويكلمك خفياً »(٣).

ويبدو من بناء الكلمة ومن قول الجاحظ أيضاً أن اللفظة عربية الأصل مشتقة من مادة عرض التي يرجع مدلولها الأصلي في العربية إلى الشدة والعنف(٤) ثم تطور المدلول إلى عدة معان مجردة تدور حول الظهور والوضوح(٥).

أما في اللغات السامية فنجد أن مادة عرض بالصاد تدل على الرعب والعنف(٦). وهي دلالة تتصل بالمدلول الأصلي في العربية.

والمادة غنية بالمشتقات إذ تستغرق من تاج العروس أكثر من تسع عشرة صفحة ويمكن رد معظم المشتقات إلى أحد الأصلين الحسي أو المجرد في المادة(٧).

وقال الصاغاني « العين والراء والضاد تكثر فروعها وهي مع كثرتها

---

(١) Dramesteter, op. cit. p. p. 89 - 96.

(٢) تاج العروس مادة (طفل).

(٣) البخلاء ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٤) تاج العروس مادة (ع ر ض).

(٥) المصدر السابق نفس المادة.

(٦) Gesenius, p. 791.

(٧) تاج العروس ٥/٤٠ ـ ٥٤.

ترجع إلى أصل واحد » ولكنه يقول إن هذا الأصل هو العرض الذي يخالف الطول [١] ومع ذلك فلم ترد كلمة المستعرض التي نحن بصددها بهذه الدلالة التي ذكرها الجاحظ، وإنما نلمح أثر الدلالة في لفظة المعرض وهو اسم فاعل من أعرض ويدل على الرجل يعرض للناس فيستدين ممن أمكنه.

قال الأصمعي: « يأخذ الدين ولم يبال أن لا يؤديه ولا ما يكون منه التبعة »[٢]، كما نلمح جانباً آخر من جوانب الدلالة في اللفظة في قولهم « استعرضهم الخارجي أي قتلهم من أي وجه أمكن وأتى على من قدر عليه منهم ولم يسأل عن حال أحد مسلم أو غيره، ولم يبال من قتل »[٣]، وقد وردت لفظة المستعرض بهذه الدلالة فيما روى عن الحسن من أنه كان لا يتأثم من قتل الحروري المستعرض[٤]. ويبدو أن هذه الدلالة مستحدثة وكانت خاصة بالخوارج وحدهم. وقد ذكر الجاحظ كلمة الاستعراض بمدلولها عند الخوارج فيما ذكره عن قطري بن الفجاءة قائلاً إنه كان يدين بالاستعراض والسباء وقتل الأطفال[٥]. وكذلك أورد المبرد مثل هذا في كلامه عن مذهب نافع بن الأزرق في البراءة والاستعراض واستحلال الأمانة وقتل الأطفال كما أوردها كذلك في قول أحد الخوارج « الدار دار كفر والاستعراض فيها جائز وإن أصيب من الأطفال فلا حرج »[٦] كما عرض أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) لدلالة هذه اللفظة عند الخوارج فقال « ويقال خرجوا يعذبون الناس عن عرض يريدون عن شق وناحية لا

(١) المصدر السابق ٥/٥٣.
(٢) المصدر السابق ٥/٤٩.
(٣) المصدر السابق ٥/٥٣.
(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٥) البيان والتبيين ٣/٢٦٤.
(٦) الكامل ٣/١٧٣ نقلاً عن البخلاء ص ٢٨٢.

يبالون من ضربوا ومنه استعراض الخوارج الناس إذا لم يبالوا من قتلوا[1].

واللفظة بهذه الدلالة عند الخوارج مولّدة كما أشرت إذ لم نجدها بهذه الدلالة في المشتقات الكثيرة التي ذكرتها المعاجم في مادة (ع ر ض).

أما في لغة المكدين فيبدو أن الكلمة دخلت إلى لغتهم وهي تحمل في طياتها الدلالة على الرجل يستدين ما أمكنه لا يبالي برد الدين، ثم تطورت إلى المعنى الذي أشار إليه الجاحظ وهو الذي يعترض طريقك في ثياب رثه ويتظاهر بالحياء ويحتال عليك في طلب النقود[2].

ويبدو أن هذه كانت الدلالة التي استقرت عليها الكلمة في عصر الجاحظ وهي دلالة مولّدة، غير أننا نجد كلمة (المستعرض) قد ذكرت في القصيدة الساسانية لأبي دلف الخزرجي في قوله:

ومن يكحل من مستعرض دمعته تجري

ويفسر الثعالبي البيت بقوله: « ومن يكحل: وهو الذي معه قطنة مغموسة في الزيت يمرها على عينيه لتدمع نكاية في حاله، واستعرض الناس في مسألة ذكر قصته وأنه قطع عليه الطريق أو غصب على ماله والمستعرضون أمهر القوم »[3].

وعلى ذلك تكون اللفظة قد مرت بثلاثة مراحل من التوليد وهي:

١ ـ المستعرض في القرن الأول عند الخوارج وهو من يقتل الناس دون أن يميز بين مسلم أو صغير أو كبير.

٢ ـ المستعرض في القرن الثالث كما أوردها الجاحظ وهو من يخدعك بمظهره وسلوكه ليأخذ بعض المال.

---

(١) الأمالي ١/١١٩.
(٢) البخلاء ص ٤٥ ـ ٤٦.
(٣) يتيمة الدهر ٣/٣٣١.

٣ ـ المستعرض في القرن الرابع كما ذكرها الثعالبي وهو الذي يدعي سرقة ماله أو قطع الطريق عليه بهدف الحصول على بعض المال، وهو معنى قريب من المعنى الثاني.

ومن هذا يتضح لنا أن الكلمة مرت بعدة مراحل ولم تثبت عند الدلالة الأولى عند الخوارج وهو ما ذهب إليه استاذنا الدكتور طه الحاجري[١].

واللفظة بالدلالة التي ذكرها الجاحظ والثعالبي من لغة بني ساسان الذين قاموا بعملية توليد كبيرة نقلوا فيها كثيراً من ألفاظ العربية الى دلالات أخرى وقعت في اشعار المولّدين وقد ذكر الثعالبي والشهاب الخفاجي طائفة كبيرة من هذه الألفاظ المولّدة وشرحوا معانيها[٢]. وقد أضافت مادة عرض عدة ألفاظ أخرى مولّدة منها:

١ ـ العارض للمس من الجن ومنه قولهم عرض في عقله أي أصيب بالجنون[٣].

٢ ـ العرض وهو ضد الجوهر، وهو مصطلح فلسفي استعمله العلماء والمتكلمون بعد الإسلام.

٣ ـ العرض بمعنى القراءة من الشيخ.

٤ ـ العروض وهو علم أوزان الشعر وغير ذلك[٤].

٢٩ ـ المزوّرة: قال أبو طالب المأمونى (ت ٣٨٣ هـ):

كم تكون المزورات غذائي   إن أكل المزورات لزور[٥]

---

(١) البخلاء ص ٢٨٣.

(٢) يتيمة الدهر ٣/٣٢٣ ـ ٣٤٢، شفاء الغليل ص ١٢٥.

(٣) Dozy, op. cit. T. II. P. 114.

(٤) انظر الخوارزمي، مفاتيح العلوم. صفحات: ٢٣، ٥٥، ٥٨، ٧٩، ١٤٢، ١٨٣، ٢١٩.

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر ٤/١٧٣.

ولفظة المزورة من مادة (زور) التي يرجع مدلولها الأصلي إلى الميل والانحراف ومنه جاء المزور بالتحريك الميل وعوج في الصدر والأزور المائل والناظر بمؤخر عينه ومناره زوراء أي مائلة والزائر الذي يميل لزيارتك(١).

ثم تجرد المدلول ليدل على الباطل والكذب ومنه جاء الزور الباطل والكذب ومجلس اللهو والغناء وكلمة زوراء بعيدة عن الحق باطله(٢). أما الزور بمعنى إصلاح الشيء وتحسينه وتقويمه فهو من الأضداد ومن هذه الدلالة جاء الزور بمعنى لذة الطعام وطيبة ولين الثوب ونقاؤه والقوة والرأي والعقل(٣).

وفي اللغات السامية نجد ما يؤيد الدلالة الأصلية والمجردة. فمادة زور في العبرية والآرامية تدل على الميل جانباً أو مال للزيارة وتحول، كما نجد أيضاً زرا بمعنى الشيء الكريه القبيح الغريب وكذلك نجد الفعل زود في الآرامية والسريانية بمعنى ضغط ولوي وجمع(٤).

أما كلمة المزورة التي نحن بصددها فهي تدل على نوع من الطعام يطبخ دون أدم أو لحم يأكلهالمريض. قال الشهاب الخفاجي « مزورة بوزن المفعول مرقة يطعمها المريض مولدة وهي ما يطبخ خالياً من الأدهان »(٥) وهي الدلالة التي استعملها بها أبو طالب المأموني والتي تفهم من بقية قوله بعد البيت السابق إذ يقول:

وإلى ما يكون أدمي خــل   وقليل من البقول يسير
فأحجبوا عني الطبيب وقولــوا   أنا بالطب والطبيب كفور

---

(١) تاج العروس مادة زور.
(٢) المصدر السابق نفس المادة.
(٣) تاج العروس نفس المادة.
(٤) Gesenius, op. cit. p. 266.
(٥) شفاء الغليل ص ٢٠٨.

هات أين الكباب أين القلايـا أين رخص الشواء أين القدير[1]

كما نلاحظ أن الشاعر قد ربط في البيت الذي ذكر فيه المزورة بين الـدلالة المجـردة بمعنى الكذب فقـال: « إن أكل المـزورات لزور » وكـأنما الـطعـام الخالي من اللحم طعام كاذب بعيد عن الحق[2].

٣٠ ـ القصف:قال ابن سكره (ت ٣٨٥ هـ):

وجاهلة هبت سفاها تلومني وما عندها من لذة القصف ما عندي[3]

واللفظة من مادة قصف التي تـرجع دلالتهـا الحسية إلى الكسـر بصوت ثم تجـرد المـدلـول إلى معنى الكثـرة والتعـدد ومنـه جـاءت دلالـة الازدحـام والاجتماع في المادة[4].

فمن الـدلالة الأصليـة جاء قـولهم قصفه يقصفـه قصفـاً أي كسـره، والقصف هشيم الشجـر، وقصف الـرمـح إذا انشق طـولاً، وقصف نـابـه انكسـر نصفـه والأقصف من انكسـرت ثنيتـه من العمـل[5]. ومن دلالـة القصف بمعنى الصـوت جاء القصـاف والقصف الصـوت الشـديـد ورعـد قاصف والقصيف صريف الفحل. أما من الدلالة المجردة فنجد القاصفون المزدحمون وقصف النـاس ازدحامهم[6]. أمـا في اللغات السـامية فنجـد في العبـرية والسـريـانيـة قصف بمعنى غضب اغتـاظ قلق خـاف كـما نجـد أيضاً قصفا بمعنى الكسر أو العض، قصف بمعنى شطبه وكسره[7].

---

(١) يتيمة الدهر ٤/١٧٣.

(٢) Dozy, op. cit. T. I. P. 61.

وأنظر أيضاً: المغربي، الاشتقاق والتعريب ص ٦٣.

(٣) يتيمة الدهر ٣/١٠.

(٤) تاج العروس مادة (ق ص ف).

(٥) المصدر السابق نفس المادة.

(٦) المصدر السابق نفس المادة.

(٧) Gesenius, op. cit. p. 893.

وكلها تتصل بالأصل الحسي كما جاء في العربية ولعل دلالة القصف على الغضب في العبرية جاء نتيجة لما يصحب حالة الغضب من إصدار الأصوات كالصراخ مثلاً.

أما لفظة القصف كما استعملها ابن سكره في البيت السابق فقد قال الجوهري[1] إنها مولّدة، وقال ابن دريد « وأما القصف من اللهو فلا أحسبه عربياً صحيحاً »[2].

وقد اختلف اللغويون في الأصل الذي ولدت منه دلالة اللفظ. قال الزمخشري « القصف هو الرقص مع الجلبة ورأيتهم يقصفون يلعبون »[3] وقيل التقصف « الاجتماع واللهو اللعب على الطعام »[4]. ويحدد لنا الراغب الأصفهاني مصدر الكلمة فيقول « إنه مأخوذ من قولهم رعد قاصف في صوته تكسر. ومنه قيل لصوت المعازف قصف ثم تجوز به في كل لهو »[5] وقال الشهاب الخفاجي « قصف بمعنى اللهو استعمله المولدون في أشعارهم وأصل معناه قصف غصن صغير »[6].

ويبدو أن اللفظ مولد من دلالة الصوت في مادة (قصف) ومنه قيل للهو قصف لما يصحبه من أصوات كأصوات المعازف وأواني الطعام والشراب والضحك والمرح والرقص.

ويبدو أن ثمة تطور قد طرأ على اللفظة فيما بعد بحيث اتسعت دلالتها فأصبح القصف يدل على الخروج للتنزه بشكل عام[7].

---

(١) الصحاح ٥٣/٢.
(٢) الجمهرة ٨١/٣.
(٣) أساس البلاغة ٥٨/٢.
(٤) تاج العروس مادة (ق ص ف).
(٥) المفردات ص ٤١٥.
(٦) شفاء الغليل ص ١٧٥.
(٧) Dozy, op. cit. T. II. P. 359.

تلك هي مجموعة من الألفاظ التي تخيرتها لتكون بمثابة عينة لغوية لكي نتعرف منها على الطريق التي تسلكه الألفاظ المولدة، وأهم الملاحظات التي قد يسفر عنها الدرس اللغوي والتحليلي لهذه الألفاظ والتي يمكن للباحث أن يخرج بها هي:

١ - أن التوليد اللغوي قد شمل عدداً من القطاعات المختلفة في الحياة اللغوية للعب بعد الإسلام، منها ما يتصل بالعلوم والفنون والصناعات ومنها ما يتصل بالفكر والأدب والفلسفة والدين والتصوف. فالحضارة الإسلامية كان لابد لها من كلمات لغوية تترجم عنها أفكارها ومفاهيمها وبالتالي تطورت بعض الألفاظ فاكتسبت دلالات جديدة لم تكن في العربية القديمة.

٢ - أن التوليد في هذه المجموعة من الألفاظ قد حدث عن طريقين:

أ - التوليد المقصود وتمثله ألفاظ الرجعة، الإنية، الأيسية، القبض، البسط، التفسرة، السحارة وغير ذلك من الألفاظ والمصطلحات العلمية التي مرت بنا في هذه المجموعة من الألفاظ.

ب - التوليد غير المقصود وتمثله ألفاظ: السجادة، الطفيلي، المزورة، القصف وغير ذلك.

٣ - انحصرت طرق توليد هذه المجموعة من الألفاظ في الطرق الآتية:

أ - التوليد بنقل دلالة جديدة إلى لفظ قديم مثل: الإيمان، الكفر، الرجعة، الجوالي، الدبابة، الأدب، السباق، المتن، المقامة، القصف.

ب - التوليد عن طريق الاشتقاق من مادة عربية الأصل مثل: الفريضة، القدرية، الجبرية، التفسرة، الإيقاع، المزورة وغير ذلك.

٤ - بعض هذه الألفاظ كان يتجه إلى تخصيص الدلالة مثل الجوالي،

الرجعة، الخليفة، الحاجب، الدبابة، القبض، البسط، المتن، السياق، وغير ذلك.

٥ ـ بعض من هذه الألفاظ استعت دلالته مثل الإيمان، الكفر، الطفيلي.

من ناحية الوزن والصيغة لم تخرج أي كلمة من هذه الكلمات الثلاثين عن أوزان العربية أو صيغها سواء المشتق منها أم غير المشتق.

على هذا النحو مضت العربية تستمد من التوليد زاداً من الألفاظ الجديدة تتزود به مستجيبة في ذلك لدواعي التغير الاجتماعي والحضاري في المجتمع الإسلامي ولكن التوليد لم يكن مقصوراً على الألفاظ وحدها بل تعداه أيضاً إلى بعض التراكيب وخاصة فيما ترجمه المترجمون عن اللغات الأجنبية. وفي الفصل التالي من هذا الباب سندرس المولّد في التراكيب وذلك عن طريق دراسة تحليلية ولغوية أيضاً لعدد من التراكيب المولّدة.

الفصل الثاني

المولد في التراكيب

يختلف دور الكلمة وهي في حالة الإفراد عن دورها وهي في داخل التركيب، فالمفردات لا تدل في حال انفرادها إلا على دلالات عامة بشكل يقل أو يكثر حسب نوع هذه المفردات، وبالتالي فإن قيمتها الذاتية محدودة إلا بقدر ما تعطيه هذه الألفاظ من دلالات عامة، غير أن هذه الدلالات لا تتحدد بشكل دقيق إلا في داخل التركيب حيث تضاف إليها عوامل لغوية أخرى تخلق بينها وبين الكلمات مجموعة من العلاقات تتحدد بها في النهاية دلالة اللفظ داخل التركيب وغالباً ما تختلف هذه الدلالة عنه وهو في حالة الإفراد.

وقد فرق اللغويون المحدثون في دراستهم لعلم الدلالة أو المعنى Semantics بين الدلالة المفردة للكلمة وبين الدلالة في التركيب، وبالتالي كان عندهم لهذا العلم فرعان:

١ ـ دراسة الدلالة المعجمية للفظ Lexical meaning

٢ ـ دراسة الدلالة على مستوى التركيب Syntactic meaning[١].

ولا شك أن دراسة هذين الجانبين من المعنى لابد أن تضع في اعتبارها علاقة اللغة بالمجتمع الذي يتكلم هذه اللغة كما لابد أن تأخذ في اعتبارها التطور الاجتماعي والحضاري لهذا المجتمع من حيث تأثيره على

---

(١) Lyon, Introduction to Theoretical Linguisties p. 435.

تطور المعنى أو الدلالة كما رأينا ذلك من قبل[1].

وقد استقر البحث اللغوي الحديث على أنه يمكن تحديد دلالـة اللفظة المفـردة إما عن طـريق المعجم وإما من خـلال علاقتهـا بالألفـاظ الأخـرى داخل التركيب اللغوي، ! وقد ذهب اللغوي الفرنسي انـطوان مييه إلى أن اللفظة المفردة يتحـدد جزء من دلالتهـا بوجـود ما أسمـاه بعامـل الصيغة: Morpheme كما يقـوم عامل الصيغة أيضاً بدور هـام في تحديـد دلالـة اللفظ داخل التركيب. فاللغة عنده ترجع إلى عنصرين هما:

١ ـ الألفاظ.

٢ ـ عوامل الصيغة[2] Morphemes .

فـالمفردات هي الألفـاظ المعروفـة لنا مثـل رجل أو فـرس أو نهر. أما عوامل الصيغة فيقصد بها. إما موقع الكلمـة في الجملة من حيث الإعراب كما في اللغة العربية، وإمـا مقطع صـوتي كالتنـوين في اللفظة المفـردة رجل وإمـا علامـة الإعراب أو قـد تكون أداة نحـوية كـالألف والـلام في كلمـة الرجل مثلاً. فهذه العوامل جيمعاً هي التي تعطي اللفـظة دلالتها المحـددة داخل التركيب وأحياناً وهي في حالة الأفراد.

وقد رأينا أن المفردات لا تعبر في حـال انعزالهـا إلا عن دلالات عامـة ولكنها لا تتحدد بشكل نهائي إلا بفضل عوامل الصيغة هذه، أو بمعنى آخر إلا بوضعها داخل التركيب حيث تضيف إليهـا عوامـل الصيغة طـائفة من العلاقات بين الأشياء أو بين الأشياء والمـواقف وعلى ذلـك قال علماء اللغـة المحدثون إن اللغة في الحقيقة ليست إلا مجموعة من العـلاقات لا مجمـوعة من الألفاظ فحسب[3]. وهي بتفاعلها مع غيرها في داخل السياق اللغوي

(١) راجع الباب الأول من هذا البحث

(٢) منهج البحث في الأدب واللغة ص ٦٨.

(٣) المرجع السابق ص ٦٧ ـ ٦٩.

أو التركيب قادرة على منح بعضها البعض فعاليات خاصة وبذلك تكون اللغة على لسان المستعمل لها في حالة خلق مستمر.

وقد التفت إلى ذلك عالم لغوي قديم هو عبد القاهر الجرجاني وتبين العلاقة بين اللفظ في حالة الأفراد وبينه وهو داخل التركيب واستطاع هذا العالم أن ينفذ إلى داخل التراكيب اللغوية ويحللها تحليلاً لغوياً مبيناً حقيقة تلك العلاقة القائمة بين اللفظ في حال تأليفها وذلك فيما أسماه بالنظم فقال: « إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فتعرف فيما بينها من فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت لتعرف بها معانيها في أنفسها لأدى ذلك إلى مالا يشك عاقل في استحالته وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعرف بها حتى أنهم لو لم يكونوا قالوا فعل ويفعل لما كنا نعرف الخبر في نفسه ومن أصله، ولو لم يكونوا قد قالوا أفعل لما كنا نعرف الأمر من أصله ولا نجده في نفوسنا وحتى لو لم يكونا قد وصفوا الحروف لكنا نجهل معانيها فلا يعقل نفياً ولا نهياً ولا استفهاماً ولا استثناء، وكيف والمواضعة لا تكون ولا تتصور إلا على المعلوم، فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم لأن المواضعة كالإشارة، فكما أنك إذا قلت خذ ذاك لم تكن هذه الإشارة لتعرف السامع المشار إليه في نفسه ولكن ليعلم أنه المقصود من بين سائر الأشياء التي نراها... كذلك حكم اللفظ مع ما وضع له ومن هذا الذي يشك أنا لم نعرف الرجل والفرس والضرب والقتل إلا من أساميها ولو كان كذلك ساغ في العقل وكان ينبغي إذا قيل زيد أن تعرف المسمى بهذا الاسم من غير أن تكون قد شاهدته أو ذكر لك »[1].

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٨٩.

من هذا النص يمكننا أن نستخلص عدة حقائق هـامة تتصـل بالفـرق بين الدلالة المعجمية والدلالة في التركيب وهي :

١ ـ أننا نعرف المسميات قبل أن نضع لها أسماء لتدل عليهـا، ومن ثم فعندما نقول كلمة رجل أو فرس أو دار فنحن إنمـا نشير إلى أشيـاء نعرفهـا ويعرفها السامع أيضاً وكل هذا يتصل بالوضع اللغوي.

٢ ـ أن اللفظ المفـرد ليس أكثر من وسيلة من وسـائل الإشارة فعندما نقول رجل أو فـرس أو دار فنحن إنما نشـير إلى جنس معين من النـاس أو الحيوان أو الجماد، والكلمة هنا مجرد صوت يتكون من حروف، وهنا لابد أن نـلاحظ أن عبد القـاهر لم يعط أهميـة لبعض الكلمـات التي تحمـل مدلولها في صوتها Echo-words على اعتبار أنها قليلة نسبياً.

٣ ـ أن اللفظ المفرد لا يكتسب دلالة محددة إلا إذا أدى وظيفته داخل سياق، أي بمعنى آخر إذا استعمل في تركيب ما. إذ أن الكلمات كما قال لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضهـا إلى بعض فيعرف ما بينها من فوائد.

وهذه النقطة الأخيـرة هي التي تهمنا هنـا أكثر من غيـرها حيث نـرى فكر عبد القاهر اللغوي يتجه أساساً إلى التركيب باعتبـاره المصدر الحقيقي في تحديد دلالة اللفظ فهو ينـظر للفظة من خـلال الاستعمال وليس بعيـداً عنه، ومن هذا المفهوم عنده لعلاقة الألفاظ بعضها ببعض داخـل التراكيب تـأتي نظرتـه إلى أهميـة النحـو ودوره بـاعتبـاره علماً وثيق الصلة بـالتـركيب اللغوي أكثر منه بالقواعد المجردة، فهو عنده ليس هذا العلم الذي يبحث في ضبط أواخـر الكلمات وإنمـا النحو عنـد عبد القـاهـر هـو العلم الـذي يكشف عن المعنى(١). وهنا أيضاً يلتقي عبد القاهر مع مـا قرره اللغـويون

---

(١) المصدر السابق ص ٢١، ٥٦.

المحدثون بشأن العلاقة بين الألفاظ بعضها ببعض ودورها في تحديد المعنى(١).

فالكلمة إذاً بعيدة عن السياق أو الاستعمال أو التركيب تحتمل معان متعددة وهو ما نجده في المعنى المعجمي للكلمة أو بمعنى آخر فإن الكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق ولعل هذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعاجم بأنها مفردات على حين لا توصف وهي نفسها في التركيب، كذلك فإن تعدد دلالة الكلمة في المعجم يرجع إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من تركيب وبالتالي تعدد معناها وهي مفردة والأمثلة على ذلك كثيرة مثال ذلك الفعل ضرب فنحن إذا فهمنا دلالته من خلال الاستعمال في تراكيب مختلفة نجده يدل على أكثر من معنى، فنجد له مثلاً في التراكيب الآتية معان مختلفة وهي:

١ ـ ضرب مدفعاً	بمعنى	أطلق
٢ ـ ضرب النار	بمعنى	أضاء
٣ ـ ضرب البوق	بمعنى	زمر
٤ ـ بينما أنا في السوق ضربعليّ شرطي	بمعنى	قبض
٥ ـ ضرب على يديه	بمعنى	منع
٦ ـ فضرب فيه عند الخليفة	بمعنى	وشى عنه ما كان وما لم يكن
٧ ـ ضربوا بينهم المشورة	بمعنى	تشاوروا
٨ ـ ضرب القرعة	بمعنى	اقترع
٩ ـ ضربه كلمة	بمعنى	آذاه
١٠ ـ ضربه بعينه	بمعنى	نظر
١٢ ـ ضرب بعقله	بمعنى	فكر
١٣ ـ ضرب إسلام الجاهلية	بمعنى	أبطل
١٤ ـ ضربة العين	بمعنى	الحسد
١٥ ـ ضرب الرمل	بمعنى	نجم أو كشف عن الطالع(٢).

(١) راجع: Dinneen, An Introduction to General linguistics p 410.

(٢) Dozy, op. cit. T.II. P.P. 5 - 7.

من هـذا يتضح لنـا أن كلمة ضـرب بمفردهـا تحتمـل هـذه المعـاني أو الدلالات السابقة جميعاً ولا تختص بواحد منها إلا من خلال التركيب الذي استعملت فيه وبالتالي يعتبر كل تركيب من التراكيب السابقة مما يحدد معنى واحـداً للكلمة لم تخـطر على بـال الـواضـع الأول لكلمـة ضـرب بمعنـاهـا المعجمي .

ولكن كلمات اللغة دائماً وفي كل مجتمع أقل بكثير من تجارب المجتمع الفكرية والحضارية، ومن ثم إذا اكتفى هذا المجتمع بـاستخدام الكلمـات في معانيها الحقيقية لأصبحت تجاربه التي يعبر عنها باللغة محدودة ولضاع في متاهات النسيان لأن الكلمة هي عقال المعنى والمعنى الشارد لا بد له أن يضل ويختفي ويضيع وبالتالي كان لابد من حل لهـذه المشكلة عن طريق التـوسع في استخدام دلالات الألفاظ وتمثل ذلك في اتجاهين :

١ ـ محاولة إثراء اللغة بوضع كلمات جديـدة للمعاني الجـديدة وذلـك عن طريق الاشتقاق من أصـول موجـودة أو بتركيب كلمـات من عنصرين لتعطي دلالة جديدة .

٢ ـ الإبقاء على الكلمة القديمة مع تغيير دلالتها إلى معاني أخرى .

وقد رأينا فيما سبق كيف قام التوليد اللغوي باستغلال هذا الجـانب في تنمية الثروة اللغوية للعـربية، وفيـما يلي سنقف أمـام نوع من الألفـاظ قام التركيب فيه بدور هام في توليد كلمات جديدة يمكن أن نسميها :

١ ـ الألفاظ المركبة :

رأينا فيما سبق كيف أن التغير الحضاري والعلمي الذي أصاب العرب بعـد الفتح قـد جعلهم يغيرون كثيـراً من دلالات الألفاظ العـربيـة بحيث ساهمت في جعل هذه اللغة صـالحة لـلاستجابـة للحياة العلميـة والفكريـة الجديدة . ولم تكتف العربية بذلك بـل كان هنـاك نوع من الألفـاظ المركبـة

ساهمت في التعبير عن بعض الأفكار والدلالات التي لم تعرفها العربية القديمة وهذا النوع من الألفاظ اعتمد على نوع من التوسع اللغوي الذي ينشأ من تركيب كلمة مع أخرى أو أداة مع كلمة ليعطي دلالة جديدة وفي كلتا الحالتين نجد أن العربية القديمة لم تكن تعرف هذا اللفظ بهذا المعنى أو لم تعرف هذا التركيب بهذه الدلالة فالعربي القديم كان يقول مثلاً عن الشيء الذي انتهى وجوده اختفى، انعدم، مضى، اندثر، انقرض ولكن مع دخول الفكر الفلسفي في الإسلام بدت كل هذه الأفعال وكأنما هي تعتمد على ملاحظة المتكلم نفسه فلابد أن يكون الاختفاء أو الاندثار وبما إليه قد لوحظ أولاً، أما أن يصبح الشيء لا شيء في ذاته بالمعنى الفلسفي فان الانعدام أو الاندثار وما إلى ذلك بدت للفلاسفة العرب غير دقيقة بالمراد الفكري والعلمي الجديد فخلقوا لأجل التعبير عن هذا المعنى الفعل (تلاشى) أي صار لا شيء[1] وفي ذلك يقول الجاحظ « وقد اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع ولذلك قالوا العرض والجوهر وأيس وليس وفرقوا بين البطلان والتلاشي »[2] ولم يكتفوا بذلك بل اعتبروا التلاشي مصدراً فاشتقوا منه اشتقاقات مختلفة فقد خطب بعض المتكلمين فقال « ثم إن الله عز وجل بعد أن أنشأ الخلق سواهم ومكن لهم ولا شاهم فتلاشوا »[3] ونلاحظ أن تلاشي أو التلاشي هو في الأصل مركب من لا + شيء ولكن المتكلمين العرب « أدمجوا هذا » التركيب في كلمة واحدة كما رأينا.

كما نجد هذا النمط من التوليد عن طريق النحت في كلمة الفذلكة بمعنى الخلاصة والملخص والكلام القليل الذي يحمل المعنى الكثير وكل ذلك جاء من اعتياد كتاب الدواوين تلخيص ما دونوه من عمليات حسابية

---

(١) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٦٣.

(٢) البيان والتبيين ١/١٣٩.

(٣) المصدر السابق ١/١٤٠. وأنظر أيضاً: الطواسين ص ١٧، ٧٠.

في فقرة واحدة تحمل نتيجة هـذا الحساب وتبـدأ عادة بكلمـة فذلـك وهي كلمة مركبة من الفاء + ذلك[1].

وهكذا دخلت إلى العربية ألفاظ كثيرة عن طريق التركيب مثل:

١ ـ الماهية	من	ما + هو
٢ ـ الهوية	من	من + هو
٣ ـ اللاأدرية	من	لا + أدري
٤ ـ المجريات	من	ما + جرى
٥ ـ الماصدق	من	ما + صدق

وهذا النوع من الألفاظ المولدة لا نجد له بطبيعة الحال أثراً في المعاجم العربية القديمة ولعـل التحليل اللغـوي يكشف لنا عن طـريق تكون هـذه الألفاظ:

فمثلاً لفظ الماهية مركب كـما أشرنـا من ما + هـو فإذا بحثنـا في المعاجم لا نجـد لهذا اللفظ وجـوداً ولكننا نجـد في العربيـة عنصـري اللفظ مستقلين ولكل منهما دلالة ووظيفة مستقلة.

فـأما (مـا) فنجد لهـا معـان كثيـرة منهـا: النفي والاستفهـام والشـرط والتعجب والمصدرية كما تأتي أحيـاناً بمعنى الـذي وغير ذلـك من الدلالات والـوظائف التي فصـل فيها النحـاة[2] وأما الضمير (هو) فهـو من ضمـائـر الغياب ويدل على المفرد المذكر وهو أصل في اللغات السامية وله في العبرية والآراميـة والسريـانية والحبشيـة صيغ متعـددة تقترب من الصيغـة العربيـة لـه[3]. ويستعمل هـذا الضمير في التـركيب عادة لـلاختصـار والايجـاز في

---

(١) شفاء الغليل ص ١٠٩، ١١١، ١٧٤.
وأنظر أيضاً: د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٩٤.
(٢) ابن هشام، مغنى اللبيب ١/٢٩٦ وما بعدها.
(٣) ولفنستون، تاريخ اللغات السامية ص ٩.

التعبير وذلك بالاستغناء عن اعـادة ما سبق ذكـره من الأسماء أو يقـوم مقام هذه الأسماء.

وفي كـلا هذين العنصـرين اللذين يكونـان معاً لفـظة الماهيـة لا تكاد نلمح الدلالة التي انتهى إليها اللفظ بعـد أن ركب كل منهـما مع الآخـر في كلمـة واحدة إذ يـدل لفظ الماهيـة على حقيقـة الأمر وجـوهـره أو كـما قـال الجرجاني « مـاهية الشيء مـا به الشيء هـو هو وهي من حيث هي هي لا موجودة ولا معدومة ولا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام »[1].

أما الشهاب الخفاجي فيحدد دلالة اللفظ بقوله « ماهيـة بمعنى الحقيقة نسبة الى ما هو مولّده لم تسمع »[2].

وقول الشهاب نسبة إلى ما هو يوحي إلى أنـه يعتبر اللفظ من المصـادر الصناعية مثل الكيفية والكمية[3]. والتي تتكون من إضافة يـاء النسب إلى أي لفظ مصدراً كان أو مشتقـاً أو حرفـاً غير أننـا نلحظ أن لفظ الماهيـة لم ينسب إلى عنصـر لغـوي واحـد وإنمـا هـو في الحقيقـة نسب إلى عنصـرين منفصلين. وعلى ذلك يمكن القول بأن النسبة هنا إلى التـركيب وليست إلى اللفظ. ويسمى ابن سيده هذا النـوع من المصادر بـاسم النظائـر[4]، لأنها تجري على الوجه الذي تجـري عليه المصدر ويقـول « وهذا غـير مستعمل في كلام العرب وإنما يقولونه بوسيط كقولهم فعـل كذا عـلى وجه العـدل وعلى وجه الجور وعلى وجه السهو وعلى وجه الخير وعـلى وجه الشـر ولا يقولـون

(١) التعريفات ص ٢٠٥، وأنظر أيضاً ـ الكليات ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(٢) شفاء الغليل ص ٢١١.

(٣) يرى الدكتـور مصطفى جـواد أن تسمية هـذا النوع من المصـادر باسم المصـدر الصناعي تسمية غير صحيحة لأن المصدر يعمل في الإعراب كعمل فعله، وهذا لا يعمل، ويرى أن التسمية الصحيحة هي المصدر اليائي أو اسم نسبي أو اسم اضافي.
أنظر المباحث اللغوية في العراق ص ٢٤.

(٤) المخصص ١٤/ ١٢٧.

على العدلية ولا على الجورية ولا على الخيرية ولا على الشرية[١] ».

ولكن بانتقال العرب من البداوة إلى الحضارة، وتعمقهم في البحث العلمي والفلسفي اضطروا إلى وضع هذه الصيغة التي تدل على معنى زائد على المصدر واسم الجنس معاً، ومن ثم قالوا الكيفية والكمية والجبرية والقدرية وغير ذلك من المصادر التي نسبت إلى لفظ واحد.

أما لفظ الماهية وما يجري مجراه من الألفاظ مثل الهوية واللاأدرية فهي تتكون من عنصرين ركبت منهما الكلمة ثم نسب إلى هذا التركيب. غير أن استكمال المعنى الدلالي الكامل للفظ مثل الماهية لا يتم دون وضع مثل هذا اللفظ في الإطار المستعمل فيه كمصطلح. فمثلاً هناك لفظ الماهية بمعنى الراتب والأجر الشهري[٢]. وهو كما نرى يماثل لفظ الماهية بالمعنى الفلسفي تمام المماثلة من حيث اللفظ والصيغة، ولكنه يختلف عنه اختلافاً تاماً من حيث الأصل والدلالة، فالماهية بمعنى الأجر الشهري منسوبة إلى اللفظة الفارسية (ماه) ومعناها الشهر أو القمر[٣].

ويقول الشهاب الخفاجي « وأما الماهية بمعنى الجامكية فهي مولدة وكأنها نسبة إلى الماه الذي هو بالفارسية شهر أو قمر، فكأنه قيل شهرية كما يقال يومية »[٤].

وهنا يفرق السياق والاستعمال بين اللفظتين، فحيث الدرس الفلسفي ومباحثه ومؤلفاته يكون اللفظ غالباً بمعنى جوهر الشيء وحقيقته وحيث الدواوين والأجور يكون اللفظ بمعنى الراتب الشهري وكل هذا يؤكد الجانب الاجتماعي في الدلالة اللغوية:

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) Dozy, op. cit. T. II. P. 566.

(٣) Perscian - English Dictionary, Vol II. P. 790.

(٤) شفاء الغليل ص ٢١١.

وهـذا اللون من النحت أو التـركيب الـذي لاحـظنـاه في هـذا اللفظ داخل في العادات اللغوية للعرب القدماء كما يقول أستاذنـا الدكتـور حسن ظاظا إذ كانوا يقولون ويلمه بفتح الواو وضم اللام وتشديد الميم، والأصل (ويل لأمه) وقد استعمل ذلك للتعبير عن الدهشة إعجاباً أو استنكاراً حتى إذا لم يكن المتعجب منه ذا أم لأن أصل التعبير كان قد نسي أو كاد[1].

كما يصفون المنافق بأنه إمعـة بكسر الهمزة وتشـديد الميم وكـذلك أمـع بدون تاء مربوطة لأنه يقول لكل رأي ولكل إنسان إني معك.

والحق أن هذا جنس من الاختصار ناتج عن كثرة الاستعمال والـرغبة في توفير الجهد في التلفظ بعبارات طويلة وهو يختلف قليـلاً عما نقصـده هنا بالألفاظ المركبة، ذلك لأن التركيب المولد في الألفاظ مثل الماهية واللاأدرية وغيـرهـا نلمـح فيـه عنصـري التـركيب واضحــاً بعكس مثـلاً النحت أو الاختصـار في الحمد لـه والحوقلة والإمعـة وويلمـه حيث اختـزلت العبـارة المتعددة الألفاظ في لفظ واحد أو كما يقول هنري فليس هو استخراج أربعة صوامت من احدى العبارات ثم يصاغ منهـا فعل ربـاعي يحمل معنـاها ثم ينطق بهذه الصيغة التي تعد علماً على تعبير معين[2].

ولعل أوضح من ذلك في بيان التراكيب المولدة يظهر في العبارات التي ذكرها الشهـاب الخفاجي حيث نلحظ الجملة أو التـركيب مكون من أكـثر من كلمة على نسق التركيب أو النظم العـربي وعلى الـرغم من ذلك فـإنه يعطي دلالة جديدة لم تعرفها العربية من قبل يلعب فيها المجاز دوراً ظاهراً وهو ما سنسميه باسم:

٢ ـ العبـارات الاصطلاحيـة المولـدة: وهي تتكون كـما قلنا من عدة كلمات تعطي دلالات جديدة لم تعرفهـا العربيـة القديمـة. فمن ذلك

---

(١) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٩٤.

(٢) هنري فليش، العربية الفصحى ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

مثلاً ما ذكره الشهاب الخفاجي نحو « جرّ النار إلى قرصه »[١]. وهي عبارة تقال للأناني الذي يؤثر نفسه بالخير، فإذا نظرنا إلى هذا التركيب من جهة النظم: Sxntax عند اللغويين المحدثين وجدنا الجملة تجري على نسق التركيب العربي من حيث تقدم الفعل في الجملة الفعلية وتأخر الفاعل ثم المفعول به وبعد ذلك تأتي مكملات الجملة، هذا من ناحية النظم، أما من ناحية دلالة هذا التركيب على المعنى فالأمر فيه مختلف، فنحن إذا اقتصرنا على الدلالة المعجمية Lexical meaning لألفاظ هذه العبارة لكان المعنى مختلفاً تماماً عن المقصود فهي تعني بالنسبة للدلالة المعجمية ظاهر المعنى الذي نفهمه من الفعل جر كما نجده في عبارة جر الحصان العربة، ومثل ذلك بالنسبة للفظ النار والقرص. ولكن الشهاب الخفاجي يقول إن هذه العبارة تقال لمن يؤثر نفسه على غيره وهو مولد[٢]. وهنا نجد أن العبارة أخذت تدل على معنى مختلفاً تماماً عما يدل عليه التركيب من الوجهة المعجمية، وهو من الناحية النحوية تركيب صحيح تماماً.

وهنا يظهر بشكل جلي دور المجاز في توليد عبارات اصطلاحية للدلالة على معاني خاصة[٣] بعكس الألفاظ التي لا يبدو فيها دور المجاز واضحاً. وعلى ذلك يمكن القول بأن التراكيب المولدة عبارة عن لفظين أو أكثر تنظم معاً في الوضع الذي يقتضيه علم النحو ولكنها في النهاية تؤدي إلى دلالة تختلف عما يقتضيه ظاهر التركيب وإلى هنا يمكن أن نجد أمثلة كثيرة لذلك في كلام العرب القدماء ولكن المولّد يفترق عن ذلك في أننا لا نجد مثل هذا الاستعمال في العربية القديمة.

ومع ذلك يذهب المستشرق الفرنسي هنري فليش إلى أن العربية لم

---

(١) شفاء الغليل ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق ص ٩٤.

(٣) راجع: مجمع اللغة العربية في مصر، البحوث والمحاضرات ص ٨١ سنة ١٩٦٥/٦٤.

تعرف هذا النوع من التركيب، ويقول « المركب الحقيقي هو الذي يؤدي إلى بناء كلمة جديدة ذات معنى جديد بحيث يفقد الاحساس اللغوي بعناصرها وهناك طرق كثيرة لبناء كلمات مركبة، ففي الفرنسية توجد طريق بالغة الكثرة بحيث لا يفكر فيها أحد بصفة عامة وذلك كأن يجمع بين كلمتين طبقاً لقواعد النحو العادية نحو aide de camp[1] أو أن يجمع بين كلمات مع الإضمار مثل Timbre quittance [3] ثم يقول « وأما العربية فلم تعرف من طريق هذا التكريب سوى القليل »[4].

والحق أن العربية كما عرفت الألفاظ المركبة من عنصرين مثل الماهية والهوية والتلاشي وغيرها مما عرضنا له منذ قليل عرفت أيضاً على نطاق كبير تراكيب تجمع بين كلمتين أو أكثر طبقاً لقواعد النحو العادية وتدل على معنى جديد تماماً كما قال هنري فليش، ذلك لأن التطور الحضاري الذي أصاب حياة العرب بعد الفتح اضطرهم إلى اصطناع كثير من هذه التراكيب للدلالة على معان لم تكن معروفة لديهم من قبل وتمثل ذلك في الألفاظ المركبة التي ذكرناها وأضافوا إليها أيضاً عبارات مولدة من أكثر من لفظ للدلالة على معان شتى أخرى انتظمت مجالات متعددة.

ويعتبر الشهاب الخفاجي من اللغويين القدماء الذين التفتوا إلى ذلك النوع من التراكيب المولّدة فأثبت منها في كتابه شفاء الغليل حوالي أربعين عبارة لم يقتصر فيها على المولد وحده بل ذكر أيضاً بعض التراكيب العامية مثل: « سكران طينه وصاحت عصافير بطنه »[5].

ومع ذلك فقد أورد الثعالبي في كتابه ثمار القلوب في المضاف

---

(١) أي مساعد أو مرافق لشخصية عظيمة.

(٢) طابع دمغه « ختم المغادرة ».

(٣) طابع يوضع على المغادرة.

(٤) هنري فليش، العربية الفصحى ص ١٨٤.

(٥) شفاء الغليل ص ١٢٦، ١٤٣.

والمنسوب عدداً كبيراً من هذه التراكيب الاصطلاحية المولدة، غير أنه لم ينبه عليها كما فعل الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل. وفيما يلي سنقف أمام خمسة من هذه التراكيب المولدة بالتحليل اللغوي لبيان مجال استعمال كل منهما وأصلها:

١ - **أمير المؤمنين**: وهو لقب محدث استعمل في المجال الديني والسياسي للدلالة على حاكم المسلمين أو الخليفة، ومن الراجح أن هذا اللقب ظهر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(١). وكأنهم استثقلوا أن يلقب عمر بخليفة خليفة رسول الله وأنه سيزداد فيما بعد حتى ينتهي إلى الهجنة فعدلوا به إلى ما سواه مما يناسبه كما يقول ابن خلدون(٢). وبالتالي ظهر لقب أمير المؤمنين، وهو تركيب إضافي يعطي دلالة جديدة لم تكن معروفة من قبل، ويتكون هذا اللقب من عنصرين:

أ - لفظ أمير وهو فعيل من الإمارة ويعني الحاكم أو الملك وسمي بذلك لنفاذ أمره(٣). ويذهب كاتب مادة أمير في دائرة المعارف الإسلامية إلى أن اللفظ دخيل في العربية من اليونانية(٤). وهو احتمال بعيد لأصالة مادة (أ م ر) في العربية واللغات السامية(٥). ويضاف إلى هذا وجود مشتقات كثيرة للمادة في اللغة العربية(٦). والاحتمال الراجح أن لفظة أمير دخلت من العربية إلى اللغات الأوروبية والدليل على ذلك كلمة أدميرال Admiral التي يدعي كاتب المادة أنها مشتقة من لفظة: Amiratus Amiralins اليونانية الأصل. والحقيقة أن كلمة أدميرال كلمة عربية الأصل

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٨٩.
(٢) المصدر السابق ص ١٨٩.
(٣) تاج العروس مادة (أ م ر).
(٤) دائرة المعارف الاسلامية مادة (أمير).
(٥) Gesenius, op. cit. p. 55.
(٦) تاج العروس، مادة (أ م ر).

هي أمير البحر[1]. ويقال أن النبي عليه الصلاة والسلام سمى أمير مكة وأمير الحجاز[2]. ومهما يكن من أمر فقد استعملت لفظة أمير للدلالة على وظيفة من وظائف الدولة الإسلامية[3].

ب ـ والعنصر الثاني في هذا اللقب هو لفظ (المؤمنين) وهو جمع مؤمن المشتق من مادة أمن وأصله للدلالة على الأمان. قال النابغة:

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد

والمؤمن هنا الطير الآمن في الحرم[4].

أما المؤمن بمعنى المصدق بما أتى به الرسول فهي دلالة إسلامية لم تكن للفظ قبل الإسلام[5] وبالتالي أطلق على جمهور المسلمين المؤمنين لأنهم صدقوا بما جاء به النبي[6].

وبتركيب اللفظتين معاً نشأت دلالة جديدة لم تكن لأي منهما كذلك لم تسعمل في العربية من قبل بهذه الدلالة وإن كان ابن خلدون يقول إن لقب أمير المؤمنين قد أطلق أولاً على سعد ابن أبي وقاص فدعى بأمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية الذي كان يضم معظم المسلمين وقتئذ[7]. وهذا يدل على أن اللفظ كان متداولاً للدلالة على بعض المناصب الإسلامية الجديدة.

٢ ـ **بيت المال**: وهو تركيب إضافي حدث في العربية للدلالة على مكان حفظ أموال المسلمين ويستعمل في مجال المال والإدارة عندهم وهو

---

(١) غرائب اللغة العربية ص ١٣٤، وأنظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية مادة (أمير).

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٨٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة أمير.

(٤) كتاب الزينة، ١/٧٠.

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) تاج العروس مادة (أمن).

(٧) مقدمة ابن خلدون ص ١٨٩.

الكتاب « الجناب الرفيع » وهو تركيب مولّد.[1].

وقد أورد دوزي في معجمه عدة تراكيب أخرى مولّدة دخل فيها الفعل رفع منها:

١ - رفع الضرب أي كف عن الضرب.
٢ - رفع المجلس أي فضه.
٣ - الثياب المرفوعة أي المحفوظة.
٤ - هذا مرفوع عنك أي أنت معفى منه.
٥ - حديث مرفوع أي يروى عن النبي عليه الصلاة والسلام.
٦ - رفع يد الأتابك عن الحديث في المملكة أي منعهم[2].

أما العنصر الثاني في هذا التركيب فهو لفظة الحساب وهي مشتقة من مادة حسب الموجودة في اللغات السامية: بمعنى ظن أو عد، ومنه حسيب بمعنى العمل البارع المبدع[3]. ونجد في العربية هذه الدلالات جميعاً، ويبدو أن الأصل الحسي في المادة هو العد ثم تجرد المدلول فأصبح يدل على المفاخر لأنهم كانوا يعددونها، ومن هذه الدلالة جاءت مشتقات كثيرة تدل على الشرف والدين والعقل والفخر بالآباء والأبناء والنسب وغير ذلك من المشتقات التي يمكن إرجاعها إلى الحسب بمعنى الشرف والفخر[4].

أما لفظة الحساب بمعنى عد الأشياء وإحصائها فهي ترجع إلى المدلول الأصلي للمادة غير أنها تحولت إلى دلالة خاصة على الحساب في الدواوين من حيث الدخل والمنصرف وغير ذلك من التعامل المالي، ومنه جاءت هذه

---

(١) تاج العروس ٥/٣٥٨.
(٢) Dozy, op. cit. T. I. P. P. 540 - 543.
(٣) Gesenius, op. cit. p.p. 362 - 363.
(٤) تاج العروس مادة (حسب).

العبارة المولدة « رفع الحساب » . قال الشهاب الخفاجي « رفع الحساب إذا عدده ثم أجمله وفذلكته مرفوع وهذا اصطلاح للحساب . قال الصابي :

أعلى رفع الحساب ما أنشأت فأقيموا منه أدلتي وشعوري »(١)

ويفهم من كلام الشهاب أن ذلك يكون بعد الانتهاء من الحساب والوصول إلى النتيجة النهائية « تقفيل الحساب » بالمعنى المتعارف اليوم .

وقد دخلت لفظة الحساب في تراكيب أخرى كثيرة ذكرها الخوارزمي ، فمن مواضعات ديوان الجند نجد التراكيب الآتية :

١ ـ حساب العشرينية وهو يتكون من أربعة أطماع في السنة .

٢ ـ حساب المرتزقة وهو يتكون من ثلاثة أطماع في السنة .

٣ ـ حساب الجند وهو طمعان في السنة (٢) .

كما ذكر أيضاً تراكيب أخرى دخلت فيها الحساب منها :

١ ـ **حساب الجمل وهو مايستعمله المنجمون وهو الحساب لتحويل قيمه** الحرف إلى عدد .

٢ ـ حساب الدرهم والدينار ، وحساب الديباج وهما من حسبانات الفقهاء .

٣ ـ حساب الخطائين وهو من تدابير الحساب لاستخراج مسائل الوصايا ونحوها(٣) .

٤ ـ جاز القنطرة : قال شهاب الخفاجي ، يقال جاز فلان القنطرة إذا كمل فلم يلتفت إلى القدح فيه(٤) .

والفعل جاز وهو العنصر الأول في هذا التركيب مشتق من مادة جوز

---

(١) شفاء الغليل ، ص ١٠٩ .

(٢) مفاتيح العلوم ص ٩٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٥ ، ٢٠١ .

(٤) شفاء الغليل ص ٧٠ .

وهي مادة سامية قديمة نجدها في اللغات العبرية والسريانية حيث يدل الفعل جاز على، عبر، مر، سقط[١] وكلها دلالات نجدها في المادة العربية. فيقال جاز الموضوع والطريق جوزاً وجوازاً ومجازاً، أي سار فيه وأجازه خلفه وقطعه[٢].

ومن هذا الأصل جاء المعنى المجرد (جوز) بمعنى سامح وغفر واحتمل وخفف وخالف، كما جاء التجوز بمعنى التكلم بالمجاز وكأنه خلف الحقيقة وتركها. وهو مولّد كما قال شهاب الخفاجي[٣].

أما العنصر الثاني في هذا التركيب فهي كلمة القنطرة وهي معربة عن اليونانية ومعناها جسر[٤]. وهو ما يفهم أيضاً من قول طرفة:

كقنطرة الرومي اقسم ربها   لتكتنفن حتى تشاد بقرمد[٥].

وقد اتخذت العربية من لفظة القنطرة أصلاً اشتقت منه مشتقات متعددة استعملت في تراكيب مولدة مثل:

١ ـ قنطر لجامه   أي أمسك لجام الفرس.

٢ ـ تقنطرت به   ويستعمل في التعبير عن الخيل الجامحة[٦].

ويقابل التعبير بقولهم « جاز القنطرة » أي الرجل إذا وصل إلى درجة عالية من الكمال ولا يلتفت إلى القدح فيه يقابل هذا التعبير في العربية

---

(١) Gesenius, op. cit. P. 156 - 157.

(٢) تاج العروس مادة (ج و ز).

(٣) المصدر السابق نفس المادة، وانظر أيضاً شفاء الغليل ص ٦٥.

(٤) Dozy, op. cit. T. II. P.P. 412 - 413.

وأنظر أيضاً غرائب اللغة العربية ص ٢٦٦.

(٥) الزورني شرح المعلقات ص ٤٦.

(٦) راجع تاج العروس مادة (ق ن ط ر)، وانظر أيضاً: Dozy, op. cit. T. II. P. 412.

القديمة قولهم « هو بحر » لا تكدره الدلاء »[١].

٥ ـ **أبناء الدهاليز**: وهو تركيب مولد أشار إليه الثعالبي والشهاب الخفاجي[٢]. وهو يدل على الأراذل والأوباش، أو كما قال الثعالبي « الأراذل والأنذال أبناء الزواني »[٣].

والعنصر الأول في هذا التركيب هو لفظ أبناء جمع ابن وهو من أقدم الألفاظ السامية القديمة ويكتب في العبرية والسريانية بالنون مثل العربية أما في الآرامية فهو بالراء [٤]

أما العنصر الثاني في هذا التركيب فهو لفظ الدهاليز ومفردها دهليز وهي لفظة دخيلة من الفارسية كما قال الجواليقي[٥]. ويدل اللفظ في هذه اللغة على المدخل أو الردهة أو الحفرة[٦].

ومنه جاء في الفارسية « دهليز قلب » أي « أذين القلب »[٧] وقد ورد هذا التكريب المولد في شعر لأبي تمام حيث استعمله بنفس الدلالة التي أشار اليها الثعالبي قال:

يا أبناء الدهاليز وأبناء السكك   يا ابن عجل لا يجيء زوجي يرك[٨]

ويطول بنا المقام لو ذهبنا نتتبع أمثال هذه التراكيب المولدة وخاصة ما شاع منها على ألسنة الناس والكتاب في عصور العربية المختلفة مثل:

---

(١) شفاء الغليل ص ٧٠.

(٢) ثمار القلوب ص ٢٧١، شفاء الغليل ص ٢٢.

(٣) ثمار القلوب ص ٢٧٠.

(٤) Gesenius, op. cit. p. 119.

وأنظر أيضاً: برجشتراسر، التطور النحوي ص ١٤٠.

المعرب ص ١٥٤.

(٦) Haim, op. cit. Vol. I. P. 881.

(٧) Ibid.

(٨) ثمار القلوب ص ٢٧١، وشفاء الغليل ص ٢٢.

١ ـ جناح المسلمين: للدلالة على البريد.
٢ ـ إيمان المرجى: لما يزيد أو ينقص من الأمور.
٣ ـ أصابع زينب: لنوع من الحلوى.
٤ ـ دار البطيخ: للدلالة على السوق.
٥ ـ حرفة الأدب: للاشتغال بالأدب.
٦ ـ أخبار الآحاد: وهي التي لم يروها إلا واحد ولا يحكم بها أكثر الفقهاء.
٧ ـ آخر الصك: للشيء المهم.
٨ ـ حب الظراف: الجرب.
٩ ـ كتّاب النثار: وهم الكتّاب الذين لم يختلفوا إلى الكتّاب (المدرسة)
١٠ ـ كمياء الفرح: للدلالة على النبيذ(١).

وكل هذه التراكيب وغيرها قد أحصاه الثعالبي في ثمار القلوب والشهاب الخفاجي في شفاء الغليل وقد أصبحت من المصطلحات الكتابية المولدة التي تداولها الكتاب والشعراء(٢). وكلها تسير وفق تراكيب العربية من حيث الإضافة والنسب ولكنها تعطي دلالات لم تعرفها العربية القديمة من قبل.

فإذا تركنا هذا النمط من التراكيب الاصطلاحة المولدة وجدنا تطوراً هاماً قد طرأ على دلالة الفعل على الزمن في بعض التراكيب المولدة، حيث نجد ذلك يتردد في لغة المتكلمين وخاصة الكتاب منهم الذين تأثروا بالفلسفة وعلوم الأوائل مثل الجاحظ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم:

٣ ـ التراكيب الزمنية المولّدة: وهذا النمط من التراكيب يتصل

---

(١) ثمار القلوب ص . ص ١٦٨، ١٧٣، ٣٢٠، ٥١٩، ٦٥٨، ٦٦٥، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٨٦ على التوالي.

(٢) مجمع اللغة العربية، البحوث والمحاضرات عام ١٩٦٥/٦٤ ص ٩٤.

أساساً بدلالة الفعل على الزمن ذلك لأن الفعل كما نعلم ركن هـام في بناء الجملة العربية فضلاً عن أنه عنصر هام من عنـاصر تـركيب الجملة في أي لغة من اللغات، وتختلف صورة الفعل في كـل لغة عنـه في اللغة الأخـرى فهو في العربيـة لا يتعدى المـاضي والمضارع[1]. في حـين يحتوي عـلى عدة صور مختلفة في اللغات الهنديـة الأوروبية مثـلاً، يقول المستشـرق الفرنسي هنري فليش « لاشك أن الدارس الذي تعود سلوك الفعل في الفرنسية يتيه أمام وضع الفعل العربي، ففي الفرنسية أزمنة كثيرة ممـا يستحق جيداً هـذا الاسم، هذه الأزمنة تحصر على وجه التحديد حدوث هذا الخط المثالي خط الزمن: فهناك الحاضر Present والماضي Passé والمستقبل Future والمستقبل في المـاضي Future dans La passe والمـاضي في المستقبـل Passé dans Le Future وجميـع طوائف الماضي مثل: الماضي النـاقص Imperfait والمـاضي البسيط Passé simple والماضي المركب Passe Compose والماضي الأسبق التـام Passé antérfeur والمـاضي الأسبق الناقص Plusqueparfait ، أما العربية فإن تصريفها لا يحتوي سوى زمنين[2].

وقد اهتم النحاة العرب بالفعل العربي وبحثوا فيه أبحاثاً طويلة فصلوا فيه من الأحكام ما هو معروف في مظانه[3]. غير أنهم مع اهتمامهم هذا لم يعطوا زمان الفعل وتحديده ما هو جدير به من الـدراسة والبحث، فـالفعل الماضي عندهم هو ما دل على حدث وقع قبل زمان التكلم، أو كمال قـال الزمخشري « هو الدال على اقتران حـدث بزمـان قبل زمـانك »[4] ويشـرح ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) مـا أجمله الزمخشـري فيقول « لمـا كـانت الأفعـال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده وتنعـدم عند

(١) الأنباري، الأنصاف ٢/٢٨٩.
(٢) العربية الفصحى ص ١٣٦.
(٣) راجع على سبيل المثال ابن يعيش، شرح المفصل ٣/٧ وما بعدها.
(٤) المصدر السابق ٤/٧.

عدمه انقسمت بأقسام الزمان، ولما كان الزمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك فمنها حركة مضت ومنها حركة لم تأت بعد ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية كانت الأفعال كذلك: ماض ومستقبل وحاضر، فالماضي ما عدم بعد وجوده فيقع الأخبار عنه في زمان بعد زمان وجوده »[1]. وهنا نجد أن تعريفهم للزمن في اللغة لم يخرج عن حد الزمان الفلسفي لأن الأخبار عن الماضي في اللغة يقتضي تحديد هذا الماضي وهو بالمعنى الذي أثبته النحاة له يصدق على حدث مضى قبيل لحظات وعلى آخر مضى منذ زمن بعيد، وهذا التساهل في تحديد زمن الفعل الماضي أوقعهم فيه. فيما أظن أمران.

الأول: أنهم ساووا بين الزمن الفلكي والزمن اللغوي، وكلاهما يختلف عن الآخر، اذ أن الزمن اللغوي لا يدل على الماضي والحاضر والمستقبل فقط ولكنه عبارة عن صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة ترتبط بالزمن عند المتكلم باللغة أو بغيره من الأحداث، أما الزمن الفلكي فتقسيم له طبيعة مختلفة.

الثاني: أنهم حصروا استقراءهم لاستعمال الفعل في الدلالة على الزمن على استعمال العرب القدماء وهؤلاء كانوا على جانب من بساطة الحياة والفكر بحيث لا تظهر في لغتهم العقلية المركبة التي تفرق بين الماضي البعيد والماضي القريب وهو ما جعل بعض المستشرقين مثل هنري فليش الذين اقتصروا في معرفتهم للزمن في اللغة العربية على كتب النحاة دون البحث في الاستعمالات المختلفة بعد ذلك.

ومثل ذلك الابهام والغموض في تحديد زمن الفعل الماضي نجده أيضاً في الفعل المضارع، فهذه التسمية لا تشير في الحقيقة إلى زمن محدد، وإنما تشير كما قالوا إلى مضارعة هذا الفعل ومشابهته للاسم من ناحية الإعراب

---

(١) المصدر السابق ٤/٧.

وبما في أوله من الـزوائد الأربـع وهي الهمزة والنـون والتاء واليـاء[1]. فإذا بحثنا عن دلالة الزمن في هذه التسمية لا نجد شيئـاً واضحاً أو محـدداً ومع ذلك فقد قالوا إن الفعل المضارع يدل على الحـال والاستقبال[2]. وفضـلاً عن أننا لا ندري على وجه الدقة ما المراد بـالحال وكم طـول هذه الفسحـة الزمنية كذلك لا نعرف أية أجزاء من المستقبل يقصـدون المستقبل القـريب أم المستقبل البعيد، مع ذلك كله فإننا إذا بحثنا عن ضوابط هذين الزمنـين في الجملة الفعلية التي يستعمل فيها هذا الفعل كما وضعهـا النحاة لا نجـد شيئاً محدداً وإنما مرد ذلك التحديد متروك للسياق والقرائن والإشارات.

ولذلك قالوا أن الفعـل المضارع يـدل على المستقبـل إذا اقترن بـزوائد معينة هي: السين، سوف، أو يقع في مواضع الأسـماء ويؤدي معانيهـا أو تدخل عليه لام التأكيد التي هي أصلاً للاسم[3].

وبالتالي هو يدل على الحاضر والحال حـين تنعدم الإشـارة إلى المستقبل بهذه الزوائد وفيما عدا ذلك يقوم السياق بتحديد زمن الفعل المضارع.

من هذا نخلص الى أن الفعل بصورتيه المـاضي والمضارع لا يمكن أن يدل على الزمان بأقسامه وحدوده كما رأينا ذلك في اللغة الفرنسية فيـما أشار إليـه هنري فلش، ومن هنـا يمكن القول بـأن الفعل العـربي لا يفصح عن الزمان بصيغ محددة ثابتة، وإنما يفصح عن ذلك من خلال التـركيب، فقد يشتمل التركيب على زيادات معينة تعين الفعل على تقـرير الـزمن في حدود واضحة، ولكن استقراء النحاة للتراكيب العربية لم يكن استقراء كاملاً، إذ أنهم اعتمـدوا على فتـرة زمنية محـددة بالإضـافـة إلى بعض الشـواهـد التي وضعت وضعـاً وبـالتـالي جـاءت دراستهم للفعـل ودلالتـه عـلى الـزمن في

---

(١) شرح المفصل ٦/٧.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

العربية دراسة تحتاج إلى استقراء جديد للتراكيب العربية خاصة فيما استحدثه الكتاب والشعراء بعد عصر الاحتجاج.

وفي ذلك يقول الدكتور مهدي المخزومي «كانت العربية في قديمها لا تجد للتعبير عن الأزمنة المختلفة إلا صيغتين اثنتين هما صيغة «فعل» وصيغة «يفعل» ولكنها لم تكتف بهما ولم تجمد عليهما، فقد أخذت تتطور وتطور أساليبها وابنيتها ومركباتها فاستحدثت صيغاً جديدة لم تكن معهودة من قبل في العربية القديمة وطفقت تخصص صيغة فعل ـ في أكثر استعمالاتها ـ بالدلالة على وقوع حدث في الماضي وتضطرد صيغة يفعل في أكثر استعمالاتها إلى الحاضر أو المستقبل واستعانت ببعض الأفعال والأدوات تلحقها بصيغتي فعل ويفعل لتدلا مع ما لحقهما على ما أرادت العربية إلى التعبير عنه في بناء مركب اتصلت أجزاؤه وتعاونت على ابراز مثل هذه الدلالة الجديدة ووجدت صيغ مركبة شاعت في الاستعمال ورددتها ألسنة المتكلمين وحفظتها النصوص التي انحدرت إلينا عنهم مثل: قد فعل ـ كان فعل ـ كان قد فعل ـ قد كان فعل ـ كان يفعل[(١)]. ولست أزعم بطبيعة الحال أن هذه التراكيب جميعاً مولدة فقد أشار الخليل بن أحمد إلى صيغة «قد فعل» فقال «يقال قد فعل لقوم ينتظرون الخبر ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة لأن الجماعة ينتظرون لذلك»[(٢)]. وهو يعني من الناحية الزمنية أن موعد الصلاة قد حل في وقت قريب أي أنها تدل على وقوع الحدث زمان التكلم أو قبله بقليل. ومنه قوله تعالى «قد سمع الله قول التي تجادلك»[(٣)].

كما أشار بعض النحاة أيضاً لصيغة قد يفعل للدلالة على التقليل نحو قلوهم «قد يصدق الكذوب» أو الدلالة على التكثير وهو ما أشار اليه

(١) في النحو العربي ص ١٤٨، ١٥٦، ١٥٨.
(٢) ابن هشام، مغنى اللبيب ١/١٧١.
(٣) سورة المجادلة آية ١.

سيبويه في قول الهذلي:

قد أترك القرن مصفراً أنامله   كأن أثوابه مجت بفرصاد

وقال الزمخشري في قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك » أي ربما نرى ومعناه تكثير الرؤية واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني   جرداء معروقة اللحيين سرحوب[1]

على أننا نلاحظ في هذه الأبيتة جميعاً زيادة عنصرين على الصيغة الأصلية أي على صيغة فعل ويفعل وهما « قد » و « كان ».

أما (قد) فقد التفت النحاة إلى دلالتها عندما تدخل على (فعل) الماضي أو (يفعل) المضارع، وقال ابن هشام أنها تدل حينئذ على معان خمسة:

١ ـ التوقع وذلك مع المضارع قد يفعل أي توقع حدوث الفعل زمن المتكلم.

٢ ـ تقريب الماضي من الحال، تقول قام زيد فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد، فان قلت قد قام اختص بالقريب.

٣ ـ تقليل حدوث الفعل في قولنا قد يصدق الكذوب.

٤ ـ التكثير في نحو قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك ».

٥ ـ التحقيق نحو قوله تعالى « قد أفلح من زكاها »[2].

ويقول الراغب الأصفهاني أن قد حرف يختص بالفعل والنحويون يقولون هو للتوقع، وحقيقته أنه إذا دخل على فعل ماض فإنما يدخل على كل فعل متجدد[3].

أما العنصر الثاني الذي زيد على صيغة فعل ويفعل فهو كان وهي من الأفعال الناقصة لعدم اشتمالها على حدث كما ذهب إلى ذلك أكثر

---

(١) مغني اللبيب ١/١٧٤.

(٢) مغني اللبيب ١/١٧١ ـ ١٧٤.

(٣) المفردات ص ٤٠٢.

النحاة[1]. ويقول الراغب « كان عبارة عما مضى من الزمان وفي كثير من وصف الله تعالى تنبيء عن الأزلية نحو « وكان الله بكل شيء عليماً » ثم يقول « ولا فرق بين أن يكون الزمان المستعمل فيه كان قد تقدم تقدماً كثيراً نحو أن تقول: كان في أول ما أوجد الله تعالى. وبين أن يكون الزمان قد تقدم بآن واحد عن الوقت الذي استعملت فيه، نحو أن تقول: كان آدم كذا. وبين أن يقال: كان زيد ها هنا »[2].

ولكن الدكتور إبراهيم السامرائي بعد مناقشة آراء النحاة في كان[3] خلص إلى أن كان فعل « لا يختلف عن سائر الأفعال في اشتماله على الدلالة على الحدث وفي اقتران الحدث فيه بزمن ما واستعملت كثيراً في العربية حتى ركبت مع الأفعال الأخرى للتوصل إلى خصوصية في التعبير بزمن خاص »[4].

وهذه الخصوصية في التعبير عن الزمن نجدها ممثلة في بعض الصيغ التي سبقت الإشارة إليها والتي تتركب من قد وكان مع فعل ويفعل لتعبير بصورة أدق عن زمن حدوث الفعل وهو تطور لحق بالعربية كما أشار إلى ذلك الدكتور مهدي المخزومي[5].

على أننا نجد صيغاً أخرى وتراكيب تتردد في لغة الشعر أحياناً وفي لغة النثر أكثر الأحيان وخاصة في تلك الفترة من حياة العربية التي بدأت فيها العلوم العقلية من فلسفة ومنطق وعلم كلام تجد سبيلها إلى العقل العربي، والتي اختلطت بها اللغة العربية بعد الإسلام وهي مرحلة تختلف تماماً عن المرحلة العقلية التي كانت تعيش فيها العربية داخل الجزيرة قبل الفتح،

(١) شرح المفصل ٧/ ٨٩ وما بعدها.
(٢) المفردات ص ٤٦٠.
(٣) انظر الفعل زمانه وابنيته ص ٥٤ ـ ٦٣، ٦٧ وما بعدها.
(٤) المرجع السابق ص ٦٧.
(٥) في النحو العربي ص ١٤٨ وما بعدها.

وبالتالي تتطور التعبير عن الزمن تبعاً لتطور العقل العربي، فكان لابد أن يكون أكثر دقة وتحديداً وهو ما فات النحاة أن يستقرئونه في أساليب الكتّاب خاصة وذلك نتيجة لنظرتهم المعيارية واعتبارهم من المولدين الذين لا يحتج بأقوالهم ومن ثم ظهرت في أساليب هؤلاء الكتّاب أبنية زمنية جديدة لم تكن العربية القديمة تعرفها أول لعل العربية القديمة لم تحتج إليها كما احتاج إليها هؤلاء الكتاب في التعبير عن الزمن فكاتب كالجاحظ مثلاً، كان إماماً من أئمة الكلام، وزعيماً من زعماء المعتزلة وعالماً محيطاً بمعارف عصره لا يكاد يفوته شيء منها سواء في أصيلها أم دخيلها ما يتصل منها بالعلم والتحقيق أم ما يتصل بالأخبار والأساطير كما كان أيضاً راوية من رواة اللغة، قديمها ومعاصرها، فكان لابد أن تختلف لغته عن لغة الشاعر أو الخطيب الذي عاش في جزيرة العرب قبل الإسلام بل من الطبيعي أن يكون لثقافته هذه صدى في لغته، وبالتالي تأثيرها في شعوره بالفروق الزمنية في الأداء اللغوي، فليس الماضي عنده ذلك الماضي البسيط الذي يتمثل في صيغة فعل أو قد فعل، كما أن الحال والاستقبال يختلفان في تصوره بحيث لا يمكن أن تؤدي عنه صيغة يفعل كل ما يريد التعبير عنه، وبالتالي ظهرت عنده تلك التراكيب الزمنية التي لم تعرفها العربية القديمة.

وفيما يلي سنعرض بالتحليل لخمسة من هذه التراكيب على سبيل المثال كما جاءت في كتاب واحد من كتب الجاحظ وهو البخلاء لندلل على صحة هذا القول:

١ ـ قال الجاحظ عن صديق له من البخلاء « وصديق لنا آخر كنا قد ابتلينا بمؤاكلته وقد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل على الطعام وهجس ذلك في نفسه »(١).

ففي جملة « **قد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل** » نجد الجاحظ لكي يعبر

---

(١) البخلاء ص ٤٨.

على وقوع الفعل في الماضي البعيد واستمراره حتى الزمن الحاضر يقوم بتركيب الجملة على النحو التالي:

أ - يستعمل قد التي تدل على تحقق وقوع الفعل أو كما يقول الراغب على تجدد الفعل[1].

ب - يستعمل كان مع الفعل للدلالة على الماضي التام.

حـ يضع الفعل (ظن) في صيغة الماضي فعل مسبوقاً بكان.

د - يكرر قد قبل الفعل الثاني في الجملة لتأكيد حدوث الفعل عرف واستمراره.

هـ يضع الفعل (عرف) في صيغة الماضي.

فيكون البناء النهائي للجملة: قد كان فعل أنا قد فعلنا.

فإذا أخذنا في اعتبارنا ما أشار إليه الراغب وجدنا دلالة استمرار الفعل حتى زمن التكلم ولو أن الجاحظ اكتفى بدلالة الفعل الماضي وحدها لما استطاع أن يحدد زمن وقوع الفعل في الماضي واستمراره إلى الحاضر على هذا النحو، لأن الزمن في هذه الجملة ليس هو الماضي البسيط الذي عرفته العربية، وإنما هو زمن مركب لفعل حدث في الماضي وما زال مستمراً حتى التكلم.

٢ - وفي موضع ثان نراه يقول: « **وكان ذلك منه لا يكون إلا في آخرها لقمة** »[2] وهذه الجملة مركبة على النحو التالي:

أ - كان للدلالة على الماضي وهو زمان وقوع الحدث.

ب - يكون للدلالة على الحاضر وهي تساوي هنا يحدث من حيث ارتباطها بالحدث والزمن وتدل على زمن وقوع الفعل، أي تناول اللقمة. ولكن نفى الفعل يكون صرف دلالته إلى الماضي.

---

(١) المفردات ص ٤٠٢.

(٢) البخلاء ص ١٠٨.

فيكـون الـزمن في الجملة مـركبـاً من المـاضي وهـو وقـوع الحـدث + الحاضر الذي انقلب إلى الماضي بالنفي وبالتالي يصبح الزمن في الجملة هو الماضي التام المـركب من دلالة كـان التي تدل عـلى زمن وقوع الحـدث ولا يكون التي تدل على وقوع الفعل. وهي صيغة كما نرى لا يمكن أن تؤديهـا أبنية الفعل كما أثبتها النحاة.

٣ ـ وفي موضع ثـالث نراه يقـول « لو كـانت شابـاً بعيد الأمـل **كيف كنت تكون** ؟ ولو كنت مدنياً كثير العيال **كيف كنت تكون** ؟»[1].

وهنـا نراه يستعمـل الفعل كـان في صيغة المـاضي كنت بالاضـافة إلى استعمـال مضارع نفس الفعـل تكون وذلـك للدلالة عـلى الحدث والـزمن فالفعل الماضي كنت يدل على حدوث الفعـل في الماضي وتكـون يدل عـلى الحال أو الاستقبال أي أن الزمن هنا مركب من الماضي والمستقبل معاً.

٤ ـ وفي مـوضـع رابـع يقـول: « **لـو قـد ذهب هؤلاء الثقـلاء لقـد أكلنا** »[2]. في هذه الجملة نجد فعلين ذهب وأكل وهمـا في صيغة المـاضي غير أن وقوع أحدهما مترتب عليه وقوع الآخر أن الأكـل لا يحدث إلا بعـد ذهاب هؤلاء الثقلاء. ولذلك وضع الجاحظ الفعـل الأول ذهب في صيغة الماضي القريب من زمن التكلم قد فعل.

أما جملة (قد أكلنـا) فيفهم من السياق أنـه يقصد كنا قد أكلنـا أي أن الفعل قد أكل يدل على صيغة كان قد فعـل في هذه الجملة وهي تـدل على الماضي البعيد وبالتالي نشأت صيغة زمنية مركبة من فعلين وقعا في المـاضي وكان وقوع أحدهما مترتباً عـلى وقوع الآخـر وبالتـالي ميز بينهـما بأن وضـع

---

(١) البخلاء، ص ١٣٢.
(٢) المرجع السابق ص ١٣٩.

الفعل الأول ذهب في الماضي القريب والفعل الثاني وهو الأكـل في الماضي البعيد.

٥ ـ ونراه في موضع خامس يقول « **فقد يكون أن يكون الرجل سليم الصدر** »(١) وهذه الجملة مركبة على النحو التالي:

أ ـ قد مع الفعل يكون تدل على عدم تحقق وقوع الفعل.

ب ـ يتساوى الفعل يكون المسبوق بقـد من حيث الدلالـة مع الفعـل حدث فتكون العبارة قد يكون قد يحـدث وهي تدل عـلى احتمال حـدوث الفعل في الماضي أو الحاضر أو المستقبل(٢).

حـ ـ يـأتي بعـد ذلـك تـركيب أن يكـون وهـو يـدل عـلى الحــال أو الاستقبال.

إذاً زمن الجملة هو الماضي المستمر حتى زمن التكلم ويكون معنـاها: فقد يحدث أن يوجد في الماضي أو الحاضر أو المستقبل رجل سليم الصدر، وبالتالي صاغ الجاحظ هـذه الجملة لكي تدل عـلى هذا الـزمن غير المحـدد الذي قد يحدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

ومثل هذه الأبنية الزمنية المركبة نجدها تتردد كثيـراً في لغة الجـاحظ في كتاب البخلاء، وهي تراكيب تختلف كما رأينا اختلافـاً كبيراً عن التـراكيب العربية القديمة وخاصة فيما يتصل باستعماله الفعل كـان حيث نجده يقـول في تراكيب أخرى من هذا النمط:

١ ـ كان لا يزال يحج ويتجر.

٢ ـ لعله أن يكون إنما أتى من قبل العمامة

٣ ـ وكان إذا كان جديد القميص.

٤ ـ ولكان عنده قد جعل مع الله شيئاً.

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٨.

(٢) راجع د. مهدي المخزومي، في النحو العربي ص ١٢٥.

٥ ـ لكان عسى ذلك أن يكون محتملاً.

٦ ـ لقد كان أدرك معه طرفاً.

٧ ـ وأنه كان إذا صار في يده الدرهم.

٨ ـ إن كان التوكل أن أكون متى أخرجت مالي أبقيت بالخلف.

٩ ـ فلما أن كان بعد ذلك[١].

١٠ ـ كما لم تكن فكنت فكذا لا تكون بعد أن كنت[٢].

وكأن الجاحظ قد اتخذ من الفعل كان فعلاً دالاً على الحدث ولكن دلالته الزمنية لا تتضح تماماً إلا إذا كان لصيغة فعل آخر[٣]. ولكن النحاة لم يطيلوا النظر في مثل هذه التراكيب الزمنية المولّدة لأنهم لم يعطوا فكرة تعبير الفعل عن الزمن العناية اللازمة لانشغالهم بمسألة العمل في الفعل وإعرابه وعلى ذلك كانوا إذا وجدوا « كان » في أي تركيب من التراكيب تبينوا على الفور نقصها وأشاروا إلى اسمها وخبرها وقد ترتب على ذلك أنهم لم يفطنوا إلى هذه التراكيب التي حفلت بها العربية لتستعين على تحديد زمان وقوع الفعل بحدود لا يفصح عنها كل من بناء فعل الماضي وبفعل المضارع دون أن تضاف لها هذه الزوائد مثل قد وكان، حيث يكونان في الحقيقة مع صيغتي فعل ويفعل مركباً بمنزلة الكلمة ذات الدلالة على زمن معين[٤]. يضاف إلى هذا قصرهم الاستشهاد على النصوص الواقعة في عصر الاحتجاج بحدودهم التي تصوروها ومع ذلك فلم يلفت نظرهم تركيب من كلام العرب استعملت فيه كان على هذا النحو الذي استعمله الجاحظ على نطاق واسع أو قريباً منه وذلك مثل قولهم « ومن كلام العرب ولدت فاطمة بنت الخرشب الكملة من بني عبس لم يوجد كان

---

(١) البخلاء صفحات ١٧، ١٨، ٥٢، ٥٣، ٧٠، ٧٢، ٨٨، ١١٩، ١٧٦، ١٨١.

(٢) الجاحظ، التربيع والتدوير ص ٤٠.

(٣) د. ابراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته ص ٢٥.

(٤) د. مهدي المخزومي، في النحو العربي ص ١٤٩.

مثلهم »[1] فقالوا إن كان هنا زائده لا عمل لها[2].

والحق أن كان هنا مع الفعل المنفى يوجد والذي حول دخول أداة النفي عليه دلالته من الحال إلى الماضي بشكل بناء مركباً يدل على الماضي المستمر أي أنه لم يوجد في الماضي مثلهم ولن يوجد مثلهم في المستقبل. وخطأ النحاة هنا أنهم فصلوا بين الفعل وكان وهماً في هذا الكلام مثلهم عن الجاحظ تركيب واحد للدلالة على زمن معين.

كل هذا يدل على أن العربية استحدثت مع تطور العقل العربي وتعقد التفكير واحساسه بالفروق الزمنية صيغاً جديدة للدلالة على وقوع الفعل ولكن النحاة لم يثبتوا سوى صيغتين فقط ولو أنهم استقرأوا استعمالات الكتاب مثل الجاحظ وغيره لكان درسهم للفعل العربي ودلالته على الزمن أكثر دقة وأقرب إلى المنهج اللغوي.

ننتقل بعد هذا إلى ظاهرة رابعة من ظواهر التوليد في التراكيب وهي:

٤ ـ التراكيب المولّدة بالترجمة:

تعرض كثير من الباحثين لمشكلة الترجمة وقصورها عن تصوير كل ما يتضمنه النص المترجم من أفكار وأخيله وجمال لفظ، وأحس القائمون بالترجمة في كل العصور بتلك الصعوبات اللغوية التي تصادفهم ووقفوا على بعض أسرارها[3]. ولكنهم مع ذلك لم ينصرفوا عن الترجمة بل ظلوا يتابعون جهودهم جيلاً بعد جيل.

وعلى طول تاريخ الترجمة أخذت اللغات تتبادل فيما بينها الألفاظ والتراكيب كما تتبادل الآراء والأفكار، فمنذ القدم كان التعبير المترجم

---

(١) شرح المفصل ٧/٩٨.
(٢) المصدر السابق ٧/١٠٠.
(٣) د. ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص ١٦٨ وما بعدها.

ظاهرة من الظواهر التي لمحها الباحثون في اللغات، والفرنسيون يسمونها المترجمات المستعارة[1].

وقد بدأت هذه الظاهرة تتضح في العربية بعد قيام الحضارة الاسلامية واستعانة العرب بعلوم الأمم الأخرى وفنونهاواتسع النقل والترجمة عن اللغات الأجنبية وخاصة اليونانية والفارسية والسريانية، وظل هؤلاء النقلة يوالون الترجمة حتى منتصف القرن الرابع الهجري تقريباً[2].

وفي ذلك يقول القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي (ت ٤٦٢ هـ) « ان العرب في صدر الإسلام لم تعن بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشاً صناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا إليها فهذه كانت حالة العرب في الدولة الأموية، فلما أدال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك إليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبت الفطن من منيتها، وكان أول من عنى منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور وكان مع براعته في الفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم. ثم لما افضت الخلافة فيهم إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد تمم ما بدأ لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا إليه منها ما حضرهم فاستجاد لها خيرة التراجمة وكلفهم أحكام ترجمتها فترجمت له غاية ما أمكن »[3] وفي كتاب الفهرست لابن النديم نجد صورة مختصرة لكل هذا نضع أيدينا على جزء من الجهد الضخم الذي قام به هؤلاء المترجمون[4] بحيث أصبح بين يدي المثقف المسلم في ذلك العصر أمهات الكتب في العلوم والمعارف المختلفة منقولة عن أصولها اليونانية أو الفارسية أو عن طريق السريانية بلغة عربية تختلف

---

(١) د. حسن ظاظا، كلام العرب ص ٩٢.

(٢) أنظر على سبيل المثال: د. عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية.

(٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٤) الفهرست ص ٣٤٠ ـ ٣٤١.

فيما بينها من حيث الدقة في اختيار الألفاظ وسلامة التراكيب، ولكنها تتفق جميعاً في أنها كتبت بالعربية ويضع صلاح الدين بن أيبك الصفدي بين أيدينا المنهج الذي اتبعه هؤلاء التراجمة في نقل العلوم من لغاتها الأصلية إلى العربية فيقول: « وللتراجمة في النقل طريقان:

أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك فيثبتها وينتقل إلى الأخرى وكذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين:

احدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها[1].

الثاني أن خواص التراكيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة إلى أخرى دائماً ويقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي الى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها وهذه الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن فيها بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والالهي

(١) مثلاً الكلمات التالية في كتاب مفاتيح العلوم: اريثماطيقي ص ١٣٣، ١٨٤، اكسير ص ٢٩٥، ارغانون ص ٢٣٩، جومطريا ص ١٢٣، ٢٠٢، الاسطر توميا ص ١٣٢، ٢١٠، الموسيقى ص ١٣٣، ٢٣٥، ٢٣٩، الفلسفة ص ١٣١، المغناطيس ص ٢٩٢.

فإن الذي عربه منها لم يحتج إلى إصلاح »[١].

في هذا النص نلاحظ أن الصفدي قد التفت إلى أمر هام كرره اللغويون المحدثون وهو اختلاف التراكيب باختلاف اللغات حتى أنهم قسموا اللغات إلى عائلات لغوية تبعاً لطريقتها في التراكيب[٢]. وهذا الاختلاف الذي أشار إليه الصفدي مع الطريقة الأولى للترجمة ساعد على دخول الأساليب المترجمة أو بمعنى آخر التراكيب المولدة بالترجمة. على أن بعض علماء المسلمين لم يغفل عن التنبيه إلى ما وقع من خطأ وتحريف في أسلوب بعض الكتب ونقلها إلى العربية نتيجة لنقلها عن لغات ليست مكتوبة بلغتها الأصلية وخاصة كتب الفلسفة وفي ذلك يقول أبو حيان التوحيدي « على أن الترجمة من لغة يونان إلى اللغة العبرانية ومن العبرانية إلى السريانية ومن السريانية إلى العربية قد أخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق اخلالاً لا يخفي على أحد ولو كانت معاني يونان تهجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع وتصرفها الواسع وافتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل إلينا بلا شوب وكاملة بلا نقص ولكنا نفقه عن الأوائل أغراضهم بلغتهم وكان ذلك أيضاً ناقعاً للغليل وناهجاً للسبيل ومبلغاً إلى الحد المطلوب »[٣].

أما أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) فقد التفت إلى أثر آخر من آثار اللغات الأجنبية على العربية نتيجة للترجمة فقال « ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صفة الكلام ما تهيأ له في الأولى ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة للكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي

---

(١) صلاح الصفدي، الغيث المسجم ١/٤٦.
(٢) د. حسن ظاظا، اللسان والانسان ص ١٥١ ـ ١٥٥.
(٣) أبو حيان التوحيدي المقابسات ص ٢٥٨.

وحولها إلى العربية »[1].

وعلى هذا يمكن القول بأن الباحث في طبيعة العربية التي ترجمت بها العلوم والمعارف المختلفة خلال العصر العباسي سيجد مستويين من الاستخدام اللغوي كتبت بها هذه الكتب المترجمة وهما:

١ ـ لغة عربية احتوت على كثير من التحريف والخطأ في الألفاظ والتراكيب.

٢ ـ عربية ذات كلمات ركبت تركيباً عربياً خالصاً، ولكنها تفيد معنى لم يسبق أن عرفته العربية القديمة بتلك الكلمات.

أما النوع الأول فنجده فيما ترجمه بعض النقلة مثل أبي بشر متى بن يونس القناني (ت ٣٢٨ هـ) والذي يبدو أنه لم يكن يحس العربية ويدل على ذلك تلك المناظرة التي جرت بينه وبين أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) في مجلس الوزير ابن الفرات (ت ٣٢٠ هـ)[2] وقد نقل متى كثيراً من كتب أرسطو من السريانية إلى العربية ومن بينها كتاب الشعر كما ذكر ابن النديم نقله من السريانية إلى العربية[3] وقد قام أستاذنا محمد خلف الله أحمد بدراسة قيمة لبعض التراجم والشروح العربية لكتاب أرسطو في صناعة الشعر ومن بينها ترجمة متى لهذا الكتاب وقد أورد في هذه الدراسة نصوصاً عن مخطوطات للكتاب كما ترجمه متى سنعتمد عليها في هذه الدراسة[4].

وقد أطلق النقاد الأوروبيون على ترجمة متى لكتاب الشعر اسم النص العربي The Arabic Version وأهم ما لاحظه هؤلاء النقاد على هذا النص المترجم ميله إلى زيادة الشرح بذكر أكثر من كلمة عربية في مقابل اللفظ

(١) كتاب الصناعتين ص ٥١.

(٢) أبو حيان التوحيدي، المقابسات ص ٦٨ ـ ٨٦.

(٣) الفهرست ص ٣٤٨.

(٤) محمد خلف الله أحمد، بحوث ودراسات في العروبة وآدابها ص ١٠٨ ـ ١٥٠.

اليـوناني الـواحد، فمن ذلـك الكلمة اليـونانيـة: Hypocrital أي الممثلون وتقابل في النص العربي بكلمة المنافقين المرائين. وأحياناً تكون هناك ثـلاثة تفسيـرات للكلمة الـواحـدة وهم يـرجعـون هـذه الـزيـادات إلى التـرجمـة السريانية من اليونانية اذ أن ذلك شائع في تلك التراجم[1].

وقد وصل الينا نص ترجمة متى في صورة شمسية للمخطوطة القديمـة، يقول في بدايتها: «بسم الله الرحمن الرحيم كتاب أرسطو طاليس في الشعر نقله أبـو بشر متى يـونس العبـادي من السـريـاني إلى العـربي قـال أرسـطو طـاليس انا متكلمـون الآن في صناعـة الشعـر»[2]. وفي الفصـل الخـاص بنشأة التراجيديا والكـوميديـا نراه يقـول: «ومن ها هنـا قال قـوم إن هذه تلقب أيضاً دراماطا من قبل أنهم يتشبهـون بالـذين يعملون ولذلـك صار أهل أدريناس هم متمسكون بالمديح والهجا أما بـالها بحسب مـا ظن فهذه التي ها هنا كما أنه ما كان قبلهم ولاية الجماعـة والتدبـير والتي كان الـذين من سقليا يقولون أنها موجود كما كان يفعل أفيخاريس الشاعـر وهو الـذي كان أقدم كثيراً من كيونيوس وماغنس من حيث كان أعطيا الرسـوم عندمـا كان يستعملان الاقرار من أسما المديح التي في فـالونيـوس... وليس كالتي يعملون الشعر الذي هي بالحكايـة والتشبيه ولكن التي يلقبـونها رالمشتركـة أوزانها وذلـك أن عملوا شيء من أمور الـطب أو أمور الـطبيعـة بـالأوزان فهكذا قد جرت عادتهم بالتغليب ذلك أنه لا شيء يشتركان فيه»[3].

وأكبر الظن أن (متى) كان يتبع طريقة يوحنا البطريق في الترجمـة والتي أشار إليها الصفدي فيما سبق وكـانت تعتمد عـلى ترجمـة كل كلمـة يونـانية بكلمة عربية تقابلها وإذا لم يجد أبقى على الكلمة اليـونانيـة كما هي لـذلك

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٩.

(٢) المرجع السابق ص ١١١.

(٣) المرجع السابق ص ١١٣ ـ ١١٤.

كثرت في هذه الترجمة الألفاظ الدخيلة فاحتفظت بكثير من المصطلحات الشعرية والفنية فهو يذكر ديترمبو الشعري وأوليطيقي ودراماطا وأقى وايسطوريا واسطقس بينما يعرب مصطلحات أخرى فيستعمل الأوزان السداسية في مقابل Hexaneter ويسمى التمثيل على المسرح جهاداً والممثلين منافقين ومرائين والديموقراطية ولاية الجماعة والتدبير على أن كثيراً من محاولاته في ترجمة المصطلحات قريبة من التوفيق فكلمة Imatation يترجمها بالتشبيه أو المحاكاة، وعبارة The art of Poetry يترجمها بصناعة الشعر، Archon يترجمه الوالي على أثينا Fable or plot يترجمها بخرافة الحديث أو القصص و Discovery الاستدلال(١).

هذا من ناحية الألفاظ وترجمتها، أما من ناحية التراكيب فنجد عدة ظواهر لغوية يتصل معظمها بالخطأ والتحريف أكثر من اتصالها بالتوليد فمنها:

١ - عدم الالتزام بالاعراب كقوله « إن عملوا شيء ».
٢ - كثرة استعمال الضمائر المنفصلة والاختلاف في مطابقتها.
٣ - التزام صيغة المفرد مع المثنى والمذكر مع المؤنث.
٤ - تركيب الجملة تبدو عليه مسحة الترجمة واضحة مثال ذلك قوله « وليس كالتخي يعملون الشعر والذي هي بالحكاية والتشبيه »(٢).

على أن المستشرق يوهان فك يرى في لغة النصارى الذين ترجموا إلى العربية خصائص لغوية انفردت بها ترجماتهم وقد اعتمد في بيان خصائص لغة هذه الترجمات على كتاب المستشرق الألماني جراف G. graf(٣) ومنه نستطيع أن نعرف لغة هؤلاء المترجمين وهي تشبه في خصائصها إلى حد

(١) محمد خلف الله، بحوث ودراسات في العربية وآدابها ص ١١٢ - ١١٣.
(٢) المرجع السابق ص ١١٤.
(٣) واسم الكتاب: .Dor Sprachgebrauch der altesten Christlick arabschen literature
يوهان فك، العربية هامش ص ١٠٦.

كبير الخصائص اللغوية لترجمة متى لكتاب الشعر من حيث عدم الالتزام بالاعراب مثل: لا يستطيع أحداً ولا يستطيع أحد بالسكون وفي المثنى وجمع المذكر السالم نجد النصب يغلب على الرفع مثل القومون البنين، يديك خلقنا في ويداك ضربتناني بدلاً من خلقتني يداك وضربتني يداك. كما أثر اختلاف ترتيب الكلمات في علاقة المطابقة، وكما وجدت أيضاً في هذه النصوص النصرانية العربية صيغ متفرقة مثل مدبرين الأرض أو سامعين الناموس، على حين يعبر عن التعريف بواسطة الأداة بصورة أوسع من العربية القديمة فتدخل أداة التعريف على ألفاظ: كل وبعض وغير وهذه سمات مولدة، وفي التراكيب العددية تستعمل أداة التعريف مثل الثلاثة أثواب أو الاثنا عشر.

أما بالنسبة لصيغ الفعل فنجد أن صيغة المضارع تتحد كلها في هذه النصوص المترجمة ويختفي فعل الدعاء بينما يعبر عنه بالفعل الخبري الواقعي المشير إلى التأدب في الخطاب ويفهم طابع الطلب من سياق الكلام، وفي الجملة الفرعية تقوم صيغ الفعل بدور ثانوي لأن الفرق بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية قد اختفى عندهم ونشأت عبارات كثيرة يستعان بها على تصوير الأزمنة المختلفة فالمستقبل يعبر عنه بلفظ (عتيد أن) على حين تؤثر الترجمة العربية للانجيل التعبير (بمزمع أن) أو شأنه أن، أما معاني الرغبة والإرادة والإمكان والإستطاعة والتكليف فيعبر عنها بعبارات شتى ففي التعبير عن الإمكان والاحتمال نجد ألفاظ مثل جاز احتمل استطاع ومضارعها، وعن معنى الطلب أراد طلب اشتهى ومضارعها وعن الضرورة وجب ومضارعه وفي هذه النصوص أيضاً يوجد إلى جانب أراد ومضارعه وافقه وسره وكلاهما للتعبير عن الرغبة، كما يستعمل كان مع المضارع للتعبير عن التكليف والايجاب ورجع + الفعل بمعنى ثانية بينما عاد + الفعل بمعنى كرر الفعل.

واحتفظت الجملة الشرطية بصورتها القديمة على حين اختفت الجملة

الحالية التي لم تعد تتميز عن الجمل الأصلية كما تقدم الفعل في مطلع الكلام وحل محلها جمل قصيرة للزمن تربطها روابط حرفية أو اسمية(١).

وهذه الخصائص للغة الترجمة عند المترجمين النصارى نجد فيها بعض مظاهر التوليد وخاصة فيما يتصل بالتراكيب الزمنية المولدة كما أشرنا اليها فيما سبق(٢).

أما النوع الثاني من التراكيب المترجمة أو بمعنى آخر من أثر الترجمة في توليد بعض العبارات فنجد أن المستشرقين لم يلتفتوا إلى هذا النمط من التراكيب المولدة بينما أشار إليها أبو هلال العسكري عندما قال « ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من الألفاظ ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعه الكلام ما تهيأ له في الأولى »(٣). ولعل أبا هلال العسكري يعني أمثلة الكتابة ما تعنيه بالتراكيب المولّدة عن طريق الترجمة وهي عبارة عن كلمات عربية ركبت تركيباً عربياً ولكنها تفيد معنى لم يعرفه العرب بتلك الكلمات(٤).

وقد استغل المترجمون هذا النوع من التوليد بالترجمة في إثراء اللغة العربية بتراكيب كثيرة وخاصة في لغة العلوم مثل أسماء النباتات التي نقلوها عن اليونانية أو اللاتينية فمثلاً ترجموا:

١ ـ Polypode كثير الأرجل

٢ ـ Echiun رأس الأفعى

٣ ـ Myosotis آذان الفار

٤ ـ Bugloss لسان الثور

---

(١) يوهان فك، العربية ص ١٠٦، ١٠٩ وأنظر أيضاً جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٣٩ ـ ٤٠.

(٢) أنظر الفصل الثالث من هذا الباب

(٣) الصناعتين ص ٥١.

(٤) عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب ص ٩٨ ـ ٩٩.

٥ ـ Cxnogloss لسان الكلب
٦ ـ Hippoglossum لسان الفرس
٧ ـ Oroobanch خانق الكرسنة
٨ ـ Buphthalmon عين البقر
٩ ـ Staphysagra زبيب الجبل(١).

أما في الكتابات الأدبية والفلسفية فنجد بعض هذه العبارات المولّدة بالترجمة مثل:

١ ـ إذا كان ذلك كذلك.
٢ ـ وإذا كان هذا كذلك.
٣ ـ وإذا كان الأمر كذلك.

وقد استعمل هذه العبارات جميعاً عبد القادر الجرجاني في دلائل الاعجاز(٢).

ومثل هذه العبارات في اللغة العربية لا تكاد نجد لها أثراً في العربية القديمة وإنما جاءت نتيجة لاطلاع العرب على الفلسفة اليونانية إذ هي كما رأينا عبارات تستعمل في الحجاج المنطقي على أن أمر هذه المترجمات أقدم من عبد القاهر اذ نجد لها أثراً عند الجاحظ أيضاً فقد استعمل عبارة « إن كان ذلك كذلك » في كتابه البخلاء(٣) وهو يلفتنا أيضاً في هذا الكتاب إلى نوع آخر من التراكيب المولدة بالترجمة فقد ذكر على لسان أحد أهل مرو عبارة « لو خرجت من جلدك لم أعرفك » وذلك في محاولة تذكير الرجل بنفسه بينما الآخر يتجاهله وقد شعر الجاحظ بغرابة هذه العبارة فذكر الأصل الذي ترجمت عنه فقال وهذا الكلام بالفارسية « اكراز يوست

(١) أحمد عيسى، التهذيب في أصول التعريب ص ١٢٥ ـ ١٢٦. وقد وردت بعض هذه الأسماء في مفردات ابن البيطار، أنظر ـ المفردات ١/١٧، ٢/١٥٣، ٣/١٤٤، ٤/١٠٨.
(٢) دلائل الاعجاز ص ٦، ٣٥، ٢٩٩، ٣٧٤.
(٣) البخلاء ص ٥٢.

باروني بيائي نشناستم »(١).

وقد أشار بعض الباحثين إلى وجود مثل هذه التراكيب في شعر أبي نواس مثلا ذلك قوله:

كقول كسرى فيما تمثله — من فرص اللص ضجة السوق

فعبارة (من فرص اللص ضجة السوق) عبارة مترجمة عن الفارسية(٢).

غير أن البحث في مثل هذه التراكيب المولّدة بالترجمة لابد أن يحاط بكثير من الحيطة والحذر خاصة فيما يتصل بعلاقة العربية باللغات السامية إذ من العسير على الباحث أن يكتشف العبارات التي دخلت في العربية عن طريق هذه اللغات لتشابهها في التركيب واشتراكها في كثير من الدلالات، أما بالنسبة للغات التي اتصل العرب بها مثل اليونانية واللاتينية والفارسية والتركية فأمر هذه المولدات بالترجمة يحتاج إلى معرفة دقيقة وواسعة بهذه اللغات فقد يقع التوارد أحياناً بين العربية وبعض هذه اللغات دون أن يكون هناك دليل على انتقال أحدها إلى العربية، فالعرب مثلاً تقول: « القيت الحبل على الغارب » بمعنى ترك الأمر يمضي كما يشاء لأن العرب يفعلون ذلك مع دوابهم، وكذلك كل من ركب مثل هذه الدواب كالحصان أو غيره فإذا وجدنا مثلاً كاتبة فرنسية عبرت عن تركها لقلمها يكتب كما يشاء بقولها «je laisse la corde sur la con» فلا نقول إن مثل هذا التعبير منقول عن العربية إلى الفرنسية عن طريق الترجمة نظراً لوجود مثل هذه التعبيرات التي قد تتصل بحياة الشعوب عامة والأمثلة على ذلك كثيرة(٣). على أن كثيراً من هذه التراكيب المولّدة بالترجمة قد تسرب إلى العربية الحديثة وخاصة من اللغات الأوروبية كالانجليزية والفرنسية كما سنرى ذلك بالتفصيل في الباب الأخير من هذا البحث. وهكذا نجد أن

(١) المصدر السابق ص ١٨.

(٢) اتجاهات الشعر ص ٥٥٩.

(٣) عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب ص ١٠٠.

العـربية قـد اتسعت ونمت على مستـوى التـراكيب كـما اتسعت ونمت عـلى مستـوى الألفاظ مستجيبـة في ذلك للمقتضيـات الفكريـة والحضاريـة التي مـرت بها، وكـان التوليـد سواء بـالاشتقاق أم النحت أم نقـل الدلالـة أم تسويعها أم تضييقها وسيلة من الوسائل البارزة التي ساعـدت العربيـة على هذا النمو يضاف إلى ذلك ما ولد من تراكيب ذات دلالة جـديدة كـما رأينا في الفصولِ السابقة، ولكن هناك سؤال هام يطرح نفسه وهو هـل أحدث هذا النمو أو بمعنى آخر التوليد لغة عـربية مـولّدة ذات سمـات وخصائص معينة بحيث يمكن للباحث أن يفـرق تفريقـاً واضحاً بـين العربيـة القديمـة والعـربية المـولّدة من حيث التـركيب اللغوي وأخص طـريقة التـركيب هنا لأنه المعيار الحاسم في التطور اللغوي. لأن زيادة الثروة اللغوية سـواء عن طريق ألفاظ جديدة أم تـراكيب ذات دلالات جديـدة سواء كـانت عربيـة الأصل أم مترجمة وغير ذلك من طرق ووسائل النمو اللغوي كل ذلك أمـر طبيعي تجـري عليه اللغـات جيمعاً وفي هـذا كله أيضاً تحـافظ اللغـة عـلى طريقتها الأصلية في التركيب أو الصيـاغة لأن زعـزعة النـظام النحوي هي التي تغير من شكل اللغـة وعلى هـذا نتساءل هـل حدث تـوليد في صيـاغة الجملة العربية، وهل هناك عـربية مـولدة لهـاخصائص تـركيبية تختلف عن العربية القديمة كما ذهب إلى ذلك بعض المستشرقين؟

كل هذه الأسئلة مما يتصل بخصائص العربية المولّدة هو ما سنخصص له الفصل التالي من هذا الباب.

الفَصْلُ الثَّالِث

خصائص العربية المولّدة

تختلف أي لغة عن لغة أخرى أو أي لهجة متفرعة عن لغة معينة إذا اختلفت البنية اللغوية لاحدى هذه اللغات أو اللهجات، والبنية اللغوية في أي لغة تتكون من عناصر أساسية هي: الأصوات والألفاظ ثم طريقة بناء الجملة أو التركيب وهذه العناصر الثلاثة تؤدي في النهاية إلى المعنى أو الدلالة وهو العنصر الرابع والأخير في البنية اللغوية، ومن هنا فإننا إذا قلنا أن هناك عربية مولّدة لابد أن نحدد أوجه الخلاف بينها وبين العربية القديمة على مستوى البنية اللغوية المكونة من هذه العناصر، فهل تطورت العربية بحيث وجدت لغة عربية مولدة لها هذه السمات والخصائص التي تختلف عن العربية القديمة؟

إن القول بالتطور اللغوي أمر ثابت وحادث في كل اللغات كما أنه لا يحدث على مستوى عنصر واحد من عناصر البنية اللغوية بل يصيب البنية اللغوية صوتاً ولفظاً وتركيباً ودلالة ولكن هل ينتهي هذا التطور بأن تولد لدينا لغة جديدة، الواقع أن هذا قد يحدث كما حدث في اللاتينية عندما تطورت عنها اللغات الأوروبية الحديثة ولكن هل حدث هذا بالنسبة للعربية. الواقع أيضاً أن هذا حدث بشكل ما بالنسبة للعربية مثلاً في اللهجات العامية التي تطورت عن العربية إذ تغيرت فيها بعض الأصوات والكلمات كما تميزت ببعض التراكيب الخاصة. أما وجود عربية مولّدة داخل تيار الفصحى لها مثل هذه السمات وخاصة فيما يتصل بالتركيب

فأمر يحتاج إلى كثير من الحيطة والحذر، ذلك لأن العربية خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة قد تطورت كما رأينا فولدت كثيراً من الألفاظ والتراكيب التي كانت تستعمل عند كبار الكتاب والشعراء ومع ذلك فقد بقيت هذه التراكيب والمولدات في نطاق طريقة العربية في الصياغة والتركيب، ولا يحتاج الباحث إلى جهد كبير لكي ينفي وجود لغة عربية اختلفت من حيث التركيب عن العربية القديمة ذلك لأنه بالرغم من هذا التغير اللغوي الذي طرأ على العربية على متسوى البنية اللغوية فإنه لم يؤد في النهاية إلى وجود اختلاف واضح في طريقة التركيب اللغوي، وإنما الذي حدث أن هذا التطور والتغير انتهى إلى لهجات عامية مميزة تشبه إلى حد ما اللغات المستقلة لما لها من خصائص مميزة تبتعد بها عن الفصحى أو العربية القديمةومع ذلك فكل هذا متصل بالعربية القديمة أشد الاتصال بل أكاد أقول متصل بها أكثر مما هو مختلف عنها. حتى أننا لا نكاد نستطيع معرفة خصائص هذه اللهجات إلا بمقارنتها بالعربية الفصحى فهي الدليل عليها لأنها فرع من أصل، والازدواج اللغوي من الحقائق اللغوية المسلم بها ولكن مع التسليم بذلك فهذا لا يعني أن هناك ما يمكن أن نطلق عليه اسم العربية المولّدة بمعنى العربية التي اختلف تركيبها عن تركيب العربية القديمة، ولكن من الممكن القول أن هناك عربية مولّدة بمعنى أن هذه اللغة اختلفت أو تغيرت عن العربيـة القديمـة في بعض الخصائص ولكنها احتفظت بطريقة العربية في التركيب.

ومع ذلك نجد المستشرق الألماني يوهان فك يتحدث في كتابه « العربية » عن وجود لغة عربية مولّدة تتميز تميزاً واضحاً ـ كما يقول ـ عن العربية الفصحى بطائفة من السمات والخصائص المشتركة بينها « في المادة الصوتية وصوغ القوالب وتركيب الجمل والقواعد النحو والمادة اللغوية وطرائق التعبير »(١).

(١) العربية ص ١٠٢.

ثم يقول « فمادتها الصوتية تشير إلى طابع معين من التيسير والتسهيل ويتعلق بهذا حذف الهمزة الذي استفاض في العصر العربي الجاهلي في لهجة الحجازيين وأخذ في العربية المولّدة صورة واسعة ذات أثر واضح في صوغ القوالب كما يتعلق بهذا أيضاً تغيير حرف الضاد وهذا الصوت الذي هو في أصله الحرف المطبق القسيم للدال خاص بالعربية بحيث يسمى العرب الناطقين بالضاد ويكثر ابداله بغيره من الأصوات على ألسنة غير العرب فيكثر بوجه خاص ابداله بالظاء التي هي الحرف المطبق القسيم للطاء وهي صعبة النطق كذلك على غير اللسان العربي . . . وتغير صوتي آخر يعترضنا في العربية المولدة وهو يتعلق بالسين والصاد، ففي العربية القديمة نجد ـ فعلاً ـ صيغاً مبدلة مثل: صراط وسراط وصديق وسديق وفي لهجة بلعنبر أحد أفخاذ تميم يكاد يوجد هذا التغير باطراد إذا جاء بعد السين أحد الحروف الأربعة التالية: ث، ق، غ، ج وقد ذهب متأخرو النحاة إلى تعميم جواز ذلك التغير الصوتي بالشرط المذكور »(١).

وفي موضع آخر نراه يقول « والطبيعة الحقيقية للعربية المولّدة والفرق الخاص الذي يميزها تجاه العربية الفصحى إنما يقوم على تغير في تكوينها يعد ترك التصرف الإعرابي من اماراته الظاهرة وبهذا نهجت العربية المولدة منهجاً اجتازته جميع اللغات السامية الأخرى قبل ذلك بكثير، وهذا لا يدل على أن ذلك التطور يرجع إلى أسباب عربية داخلية بحتة فإن الحقيقة الثابتة من أن التصرف الاعرابي عاش قروناً طويلة في لغة البادية ولا يزال ماثلاً في بعض بقاياها إلى هذا اليوم تنطق بوضوح على خلاف ذلك الاحتمال، بل أقرب من هذا نتلمس سبب هذه الظاهرة في أن لهجات تلك الشعوب التي اتخذت لغة السادة العرب لساناً لها نتيجة للفتوحات العربية كانت من النوع التحليلي الذي تنازل عن ظواهر تصرفه وضوابط

---

(١) العربية ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

استعماله الكلية كثيراً أو قليلاً، ومهما يكن من أمر فإنا نرى في مصادرنا في ذلك الصدد إلى جانب التعبير الخاطيء في الأصوات العربية إهمال صلات الإعراب وتصريف الأفعال امارة بارزة للغة العربية على لسان غير العرب من سكان الدولة جميعاً، وهذا لا يمنع أن العربية قد أخذت في الأقاليم المختلفة صورة مختلفةوأنها كانت في المناطق الآرامية ذات جرس يختلف عنها في فارس وفي مصر وغيرها في شمال افريقية ولكن هذه الخصائص المحلية أمكن تفاديها بواسطة سلسلة من قوالب التغير الجديدة التي أخذت في عربية الدولة وبعد ذلك في العربية المولّدة الصيغة النحوية التي يأخذها الإعراب في العربية الفصحى »(١).

وأخيراً ينتهي يوهان فك من بحثه في خصائص هذه العربية المولّدة بقوله: « ومهما اختلفت الأمثلة التي ذكرناها حتى الآن في تفاصيلها فانها تشترك جميعاً في أنه عوضاً عن نظام التصريف الكامل النمو مع قواعد أعرابه وتصريفه جدت حالة لغوية بسط فيها التصريف وصورت فيها علاقات التركيب بين الألفاظ المؤلفة لجملة واحدة في أغلب الأحوال بوسائل ظاهرية مثل مواقع الكلمات وترتيبها والاستعانة على تغيرات الحدث بالجمل الموضحة وتعديل الجمل وكثرة المترادفات وترك التصرف الاعرابي »(٢).

من هذا كله نخرج بعدة حقائق هامة عن خصائص العربية المولدة كما تصورها يوهان فك في كتابه وهي:

١ أن هناك تغيراً صوتياً طرأ على أصوات العربية الفصحى تمثل في العربية المولدة بنطق حرفي الضاد والسين بصورة مختلفة عن نطقهما في العربية القديمة.

---

(١) العربية ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٩.

٢ ـ انه عوضاً عن التصريف الكامل في العربية القديمة حدثت حالات من التصريف البسيط في العربية المولّدة.

٣ ـ إهمال الإعراب يعد من السمات الظاهرة في العربية المولّدة.

٤ ـ احلال الموقعية أي ترتيب الكلمات في الجملة محل الإعراب.

أم التغير في الدلالة فلم يذكره يوهان فك في هذا الفصل الذي عقده لخصائص العربية المولّدة وإنما ذكره في مواضع متفرقة من كتابه[١].

نحن إذاً أمام لغة عربية مولّدة لها من الخصائص اللغوية سواء في الصوت أم الكلمة أم التركيب أم الدلالة ما تتميز به عن العربية القديمة، فهل وجدت حقاً لغة بهذه الخصائص المميزة في حياة العربية؟.

الواقع أن يوهان فك يقدر ما كان موفقاً إلى حد كبير في تتبع معالم التطور اللغوي للعربية خلال القرون الخمسة الأولى من حياتها إلا أنه وقع في خطأين نتج عنهما قوله بوجود عربية مولّدة تختلف عن العربية القديمة وخاصة في التركيب وهذان الخطآن هما:

١ ـ عدم فهمه لحقيقة التوليد اللغوي وكأنى به قل تمثل تعريف ثعلب للمولّد عندما سئل عن التغير فقال هو كل شيء مولّد[٢] ومن ثم اعتبر فك كل تغير لغوي يدخل في نطاق التوليد كما تفصح عن ذلك المادة التي جمعها في كتابه حيث وضع مظاهر اللحن والتحريف والتصحيف والعامي والمولّد جنباً إلى جنب.

٢ ـ وهو أمر يتصل بالأول إذ سوى بين جميع مظاهر التطور اللغوي سواء في الصوت أم التركيب أم الصيغة وبين التوليد وبالتالي رأى في اللهجات العامية التي انبثقت عن العربية بعد الفتح الإسلامي لغة مولّدة ذات خصائص وسمات مشتركة ويتضح لنا ذلك من حديثه حول التغير

(١) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٢) المزهر ٣١٠/١.

الـذي طرأ عـلى المادة الصـوتية في العـربية والتي تشـير إلى طابـع معين من التيسير والتسهيل وخاصة فيما يتصل بحذف الهمزة أو نـطق حروف الضـاد والسين والصاد(١).

أما فيما يتعلق بحذف الهمزة أو تحقيقها فتكاد الروايات العربية القديمة تجمع على أن التـزام الهمز وتحقيقـه من خصائص قبيلة تميم(٢) في حـين أن الحجازين يتخلصون منها بالحذف أو التسهيل قـال أبو زيـد « أهل الحجـاز وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ووقف عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قـول تميم إلا بـالنبـر وهم أصحـاب النبـر وأهـل الحجـاز إذا اضـطروا نبروا »(٣).

ومعنى نبـر أهـل الحجـاز عنـد الاضـطرار خـروجهم عن سليقتهم في تسهيـل الهمـز في غـير لهجـاتهم العـاديـة لشعـورهم بـأن تحقيق الهمـز في الأساليب الأدبية من شعر أو خطابة أقرب إلى الفصاحة من تسهيلهـا، وقد جاء نزول القرآن الكريم بنبر الهمزة دليلاً على أن اللغة المثالية قبل الإسلام كانت قد التزمت النبر أي تحقيق الهمـزة واتخذتـه صفة من صفـات نطقهـا الفصيح ومع ذلك لم يلزم ذلك أحداً بتحقيق الهمزة وإن التـزمه في الـوحي ومن ثم مالت قراءات أكثر الحجازين إلى التسهيل(٤).

ويضيق المقام هنا عن تفصيـل أحكام الهمـزة كما جـاءت في القراءات القرآنية فقد خصصت لها أبواب مستفيضة حين تكون منفردة وحين تجتمـع مع همزة أخرى(٥) وقد أشار يوهـان فك نفسـه إلى حذف الهمـزة قائـلاً إن

(١) العربية ص ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٢) د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص ٧٧ وما بعدها.
(٣) لسان العرب ١/ ١٤.
(٤) راجع في اللهجات العربية ص ٧٦.
(٥) أنظر على سبيل المثال ما نقله ابن منظور حول الهمزة في لسان العرب ١/ ١٠ ـ ١٤.
وأنظر أيضاً د. عبد الصبور شاهين القراءات القرآنية ص ١١٣ وما بعدها.

ذلك قد استفاض في العصر الجاهلي في لهجة الحجازيين ثم أخذ في العربية المولدة صورة واسعة[1] وعلى ذلك فإن حذف الهمزة ظاهرة لغوية قديمة وانتشارها في بعض اللهجات العامية التي أطلق عليها يوهان فك عربية مولّدة يدخل تحت قانون توفير الجهد وهي سمة من سمات هذه اللهجات أكثر منها دليل على وجود عربية مولدة تلتزم هذا التسهيل أو الحذف وهو أمر ما زال مشاهداً محسوساً في العامية المصرية حتى اليوم.

ومثل ذلك نجده أيضاً في حديثه عن التغير الصوتي الذي لحق حرف الضاد وهو عنده « الصوت الذي هو في أصله الحرف المطبق القسيم للدال وهو خاص بالعربية بحيث يسمى العرب الناطقين بالضاد ويكثر ابداله بغيره من الأصوات على ألسنة غير العرب فيكثر بوجه خاص ابداله بالطاء »[2] والواقع أن الضاد من الأصوات التي تشترك فيها العربية الشمالية مع العربية الجنوبية ويقابلها في اللغات السامية الشمالية حرف الصاد في العبرية والأكادية والسين في الآرامية[3] ويرى جمهور من الباحثين أن الضاد تمثل الصوت الأقدم في هذه اللغات[4] ويبدو أن هناك اختلافاً كبيراً كبيراً حول معرفة كيفية نطق الضاد السامية الأولى فضلاً عن النطق العربي القديم لهذا الصوت[5]. على أننا نجد أن حديث يوهان فك عن ابدال الضاد بالدال أحياناً وبالظاء أحياناً أخرى إنما هو في الحقيقة ظاهرة من مظاهر التغير اللهجي التي ما زالت آثارها واضحة حتى الآن في لهجات العالم العربي اليوم، فكثير من أهل العراق وبوادي الشام والأردن وشبه

(١) العربية ص ١٠٢.
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٣) د. حسن ظاظا كلام العرب ص ٢٩.
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٥) راجع د. رمضان عبد التواب، مشكلة الضاد العربية، مجلة مجمع العراق ٢٤٠/١١ سنة ١٩٧١.

الجزيرة العربية ينطقونها أحياناً ظاء بين أسنانيه كـما تنطق في كثـير من المدن المصـرية كـالقاهـرة والإسكندريـة وبيروت ودمشق دالاً مفخمـة وفي بعض الأحيان حين تكف الـظاء عن أن تكون بـين أسنانيـه فتصبح زايـاً مفخمة نجد الضاد تنطق مثلها، فمثـلاً الفعل ضـرب ينطق دالاً مفخمـة في مصر وفي كثـير من أرجاء العـراق أما الكـويت فينـطق « ظـرب » بـالضـاء بـين الاسنـانية وهـو ينطق « زرب » بـزاي مفخمة في بعض أرجـاء ليبيا أمـا في العامية المصرية فنجد الضاد تنطق أحيانـاً على النحـو الذي وصفـه يوهـان فـك فهي تنطق دالاً مفخمـة في كلمات مثـل « بيضـة » أو « ضحـك » أو « غـرض »، بينما نجـدها في لفـظة مثـل ضـابط تتحـول إلى زاي مفخمـة « ضابط » وقد وصل هذا الابـدال الى حد أن بعض الفصيـح الذي أصله ظاء ينطق ضاداً مثل قول العامة « صلاة الضهر » بدلاً من صـلاة الظهـر، بل قد ينطقونها دالاً فيقولون« ديق » بدلاً من « ضيق » ويصفون الشعر بأنه « مدفر » بدلاً من « مضفر »[1].

ومثل ذلك يمكن أن تقول في التغير الصوتي الذي يتعلق بالابدال بـين السين والصاد فهي فضلاً عن كونها ظاهرة لغوية قديمة[2] الا أنها مـا زالت موجودة حتى اليوم في بعض اللهجات العامية.

كل هذا يوضح أن يوهان فـك عندمـا كان يتحـدث عن التغيرات في المادة الصوتية للعربية المولّدة كان متمثلاً تماماً اللهجات العـامية ومـع ذلك فلم يـذكر لنـا هل أطـرد هذا التغـير في جميع أصـواب العربيـة أم أن هذه التغيرات توقفت عند هذه الأصوات التي ذكرها فقط، ويقطع بعـدم تفريقـه بين المولّد والعامي أو بمعنى آخر بين العربية المولّدة والعربية العـامية حـديثه عن إحـلال الموقعيـة محل الإعـراب[3] حيث يقول « التجـديـد في مـواقـع

(١) راجع د. حسن ظاظا كلام العرب ص ٢٦.

(٢) المزهر ص ٤٦٧/١.

(٣) العربية ص ١٠٥.

الكلمات إذ أن ترك الإعراب في أواخر الكلمات يجعل من المتعذر تمييز الفاعل إذا كان في آخر الجملة أو بعد المفعول » وعلى ذلك نجد أن من خصائص العربية المولّدة عنده وضع المفعول المباشر في الجملة الفعلية في مكانه الطبيعي بعد الفعل مباشرة كما يقول على حين يتقدم الفاعل إلى مطلع الجملة قبل الفعل بينما يتميز المجرور كما في اللغة الفصيحة بتقدم الاسم المضاف أو بحرف الجر ويجوز وضع الفعل اللازم في صدر الجملة كما يجوز أن يتبعه مفعول غير مباشر وتختم الجملة بالفاعل(١).

وهذه الخصائص التي ذكرها يوهان فك للتراكيب في العربية المولّدة هي بعينها خصائص التركيب في العامية المصرية(٢) ومع ذلك يسمى ذلك قوالب التعبير الجديدة التي أخذت في عربية الدولة وبعد ذلك في العربية المولّدة الصفة النحوية التي كان يأخذها الإعراب في العربية الفصحى(٣). وهو تعميم خاطيء بلا شك إذ أن عربية الدولة لم تترك الإعراب حتى في أشد عصور العربية ضعفاً وانحطاطاً فقد تغلبت عليها التركية مثلاً في بعض المناطق ولكنها مع ذلك ظلت محتفظة بالإعراب في القليل الذي كتب به بالعربية، ومع افتراض صحة وجود بعض النصوص في عربية الدولة ترك فيها الإعراب فإن ذلك لا يعد من قبيل الظاهرة التي يمكن تعميمها على اللغة العربية في أي فترة من فترات حياتها.

إذاً العربية المولّدة بالخصائص التي ذكرها يوهان فك لم يكن لها وجود إلا على ألسنة العامة بل هي العامية بعينها، فهل معنى هذا انه لم توجد عربية مولدة؟.

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) Willmore The Spoken Arabic of Egypt, p. p 328 - 330.

وأنظر أيضاً موقف اللغة العربية العامية من العربية الفصحى للأستاذ محمد فريد أبو حديد مجلة مجمع مصر ٢٠٥/٧ ـ ٢١٨ سنة ١٩٥٣.

(٣) العربية ص ١٠٥.

الحقيقة أن العربية المولّدة وجدت نتيجة للعوامل والملابسات الفكرية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي ذكرناها في هذا البحث[1]. فمن ذلك مثلاً أن التقاء العربية بالفارسية وتأثرها بها ذلك التأثير القوي الذي شاهدنا بعض آثاره في كثرة المعرب والدخيل من الفارسية إلى العربية أدى إلى ظهور أسلوب عربي مولد لا لغة عربية مولّدة وهذا الأسلوب المولّد كانت له خصائص ومميزات يفترق بها عن أسلوب العربية القديمة التي جاء بها العرب إلى البلاد المفتوحة، ولعل هذا الأسلوب قد يكون نتيجة لبعض العوائد اللغوية أو اللهجات العربية القديمة كما جاء أيضاً نتيجة للآثار اللغوية السابقة على العربية في هذه المناطق، إلا أن تصور وجود لغة مولّدة كما ذهب يوهان فك فسببه ـ فيما أرى خلطه بين المولّد والعامي أو بين العربية المولّدة والعربية العامية، وقد ساعد على وجود هذا الأسلوب المولد ظهور شعراء من غير العرب منذ نهاية القرن الأول الهجري مثل زياد الأعجم وأبي عطاء السندي وغيرهم كما أشرت إلى ذلك[2].

ثم تأكد وجود هذا الأسلوب عند بعض الكتاب والشعراء في القرن الثاني للهجرة مثل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع من الكتاب وبشار بن برد من الشعراء حيث افترق أسلوبهم عن الأسلوب العربي القديم لا في التركيب ولكن في طبيعة الأسلوب نفسه، ومن العجيب حقاً أن يوهان فك نفسه قد التفت بشكل واضح إلى ظهور هذه العربية المولّدة عند ابن المقفع وبشار إذ نجده يقول « بيد أن اللغة التي كتب بها ابن المقفع ليست هي العربية القديمة فبموازنة هذه بتلك نجد لغة ابن المقفع سوية شفافة مبسطة حسب أغراضها، وبدلاً من الثروة الفياضة في المادة البدوية القديمة التي تجمع التنوع المتعدد الألوان لعالم الظواهر مع حشد من السمات الخاصة التي يتصور مثلاً فروق الحيوان والأعمار والأجناس والألوان والصفات

(١) راجع الباب الثالث من هذا البحث

(٢) راجع الفصل الثاني الباب الثاني

والخصال بكلمات خاصة كما تحتوي على قائمة من المفردات لأصوات الحيوان، تكتفي لغة ابن المقفع إلى حد بعيد بالتعبيرات العامة وتؤثر تصوير الخصائص البارزة بعبارات مقاربة كما يعرب أيضاً استعماله اللغوي في دائرة تركيب الألفاظ وصياغتها عن طموحه الدائم إلى التبسيط الموائم للغرض، فكثير من صيغ الأسماء العربية القديمة يقل عنده أو ينعدم تماماً وأخيراً نجد تركيبه النحوي أيضاً واضحاً شفافاً وهو يتجنب كذلك الجمل التعبيرية المتنوعة الدلالة وصيغ التعجيب والاستغاثة ويتفادى تصفيف الكلام والتداخل العسير الفهم وما شاكل ذلك مما يستفيض في لغة البدويين »[١].

أما عن لغة بشار فنراه يقول « والتغيرات التي تبدو في نثر ابن المقفع بالنسبة للعربية القديمة وجدت نظيرها تماماً في نطاق دائرة الشعر في لغة معاصرة بشار بن برد على الرغم من أن قوة الرواية وتقليد القدماء في هذه الدائرة بالذات كانا يقفان عقبة في طريق كل تطور في الأسلوب. . . وإذا قال بشار الشعر على طراز الأقدمين عن قصد وجدنا أشعاره تحمل طابع الصنعة والتعليم على جبينها كما أنه لم يكن يبالي إلا نادراً بالقصد إلى المحاكاة والتقليد فإذا ما تنازل عن ذلك وجدنا أسلوبه يعرض تلك الأناقة الواضحة والبيان الناصع الشفاف الذي نجده في نثر ابن المقفع سمات أساسية تبدو جلية في تعبيره سواء في اختيار الألفاظ أم في تركيب الجمل أم في تفضيل العروض القصير الخفيف وفي شعر الارتجال يمض في التحرر من الشعر القديم حتى يستعمل أحياناً عبارات شعبية مثل استعمال لفظ قارورة، أي زجاجة بمعنى المرأة »[٢]. وهذا الاستعمال في الواقع استعمال مولد[٣].

---

(١) العربية ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) المصدر السابق ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٣) شفاء الغليل ص ١٨١.

واخيراً نجد يوهان فك يوضح خصائص العربية المولّدة فيقول « وهذا التطور في الأسلوب الذي نستطيع أن نشاهده عند أبن المقفع وبشار آذن بشروق عهد جديد في تاريخ اللغة العربية دعا إليه الانتقال من حياة البداوة إلى حضارة المدن وتغلغل غير العرب في مناطق الأدب، وذلك الطابع الوحشي للعربية القديمة بثروتها الفياضة في الألفاظ والقوالب تراجع في ذلك العهد أمام أسلوب منمق مهذب لا يسبب استواؤه وسهولته صعوبات ذات بال للافهام، وهذه اللغة السهلة المنسكبة الواضحة سرعان ما احتذيت واستعملت في الأدب من قبل المثقفين جميعاً في العالم الإسلامي دون تمييز بين أصل وجنس ولا بين لغة أصيلة ولهجة وطنية خاصة. . . بيد أن كل هذا الانسجام والاستواء في القوالب والأساليب وذلك الاطراد السطحي في موافقة القواعد لم يكن ليستطيع أن يخدعنا عن أن القالب الداخلي والأسلوب الحقيقي للغة الدولة الجديدة كان يحمل سمات مولّدة[1]. وعلى ذلك كان هذا الأسلوب المولّد من ناحية التركيب اللغوي Syntax لا يخالف قواعدالعربية مخالفة ظاهرة كما أشار هو نفسه من قبل أي بمعنى آخر أن التركيب في العربية المولدة لم يكن يخالف قواعد العربية سواء من ناحية الإعراب أم من ناحية القالب اللغوي وإنما كانت المخالفة في طبيعة الأسلوب الحضاري الذي تميز عن ذلك الأسلوب البدوي الذي نلمسه في العربية القديمة.

وكأني بالدكتور شوقي ضيف قد قصد إلى شيء من هذا عندما أشار إلى موافقة العربية المولدة للعربية القديمة في التزامها بقواعد التركيب القديم حين قال « كان المظنون أن يحدث تغير واسع في اللغة العربية أثناء العصر العباسي حين اتخذها الأجانب من الأعاجم وسيلة للتعبير عن فكرهم وشعورهم غير أن ذلك انحصر عن تغيرات طفيفة وإن كان

(١) العربية ص ٥٨ ـ ٥٩.

العباسيون أنفسهم يشيرون إلى ما يسمى بأسلوب المولدين ولكن هذا الأسلوب لم يتحول تحولاً تاماً إلى صورة مخلفة للعربية القديمة »[١] فإذا كان يعني بذلك تركيب الجملة فهو محق في ذلك أما فيما يتصل بالثروة اللفظية فالأمر كما رأينا من قبل يختلف عن ذلك كثيراً.

ولا يعني هذا بطبيعة الحال أن العربية القديمة قد انتهى أمرها وغلبتها تلك العربية المولدة بأسلوبها المتميز وإنما كان لكل منهما في الحقيقة تيار يسير فيه ومناطق نفوذ خاضعة لهذه اللغة أو تلك، فكانت العربية القديمة توجد بصورة أو بأخرى في بيئات العلماء من أصحاب اللغة والقرآن والحديث بينما كانت العربية المولّدة تسري خارج بيئات هؤلاء العلماء بين عامة المثقفين وبعض الكتاب ولهذا نجد لغة الشعر وهي لغة محافظة بطبيعتها تستجيب لهذه العربية المولّدة أحياناً حتى يلتقي مع العربية القديمة على لسان شاعر واحد كأبي نواس الذي نجده يستخدم الفصيح في أداء موضوعات معينة هي عبارة عن موضوعات رسمية قد تضمن له رضا الخلفاء وثناء العلماء كما يستخدم العربية المولدة في الموضوعات التي تعبر عن ذات نفسه وشاعريته فيرضى ذاته كما يرضي قراءه أو سامعيه[٢] وقد سبق أن تنبه ابن شرف القيرواني إلى عربية أبي نواس المولدة وخروجه عن طابع العربية القديمة وخاصة في الموضوعات المحببة إلى نفسه وإلى نفوس الناس كالغزل والمجون وما شابه ذلك من الموضوعات التي يبتعد فيها عن التكلف والتصنع كما في شعر المديح والرثاء فقال « وأما أبو نواس فأول الناس في خرم القياس وذلك أنه ترك السيرة الأولى ونكب عن الطريقة المثلى ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجد هزلاً والصعب سهلاً فهلهل المسرد وبلبل المنضد وخلخل المنجد وترك الدعائم وبنى على الطامي

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٦٤.
(٢) راجع اتجاهات الشعر العربي ص ٨٤.

والعائم وصادف الأفهام قد تكلف وأسباب العربية قد تخلخلت وانحلت الفصاحات الصحيحة قد سئمت وملت فمال الناس إلى ما عرفوه وعلقت نفوسهم بما ألفوه فدوى شعره وأغلوا سعره وشغفوا بأسخفه وكلفوا بأضعفه وكان ساعده أقوى وسراجه أضوى لكنه عرض الأنفق واهدى الأوفق وخالف فشهر وعرف وأغرب فذكر واستظرف والعوام تختار هذه الأعلاق وأسواقهم أوسع الأسواق فشعر أبي نواس نافق عند هذه الأجناس كأسد عند أنفد الناس »[1].

ومع ذلك نرى يوهان فك يقول « وأشعار أبي نواس انبه الشعراء ذكراً في عهد هارون خالصة من اللحن خلوصاً عجيباً »[2] وقوله هذا يؤكد أن مخالفة الإعراب أو الاستغناء عنه لم يكن سمة من سمات العربية المولّدة كما أشار من قبل.

ومن الشعراء الذين كتبوا شعرهم بهذه العربية المولّدة نجد أيضاً أبا العتاهية الذي خص الزهد باهتمامه من ضمن الموضوعات الشعرية التي خاض فيها وما أقلها إلى جانب هذا الموضوع، ولما كان الزهد يتضمن الموعظة الحسنة والتذكير بالأمم السابقة والموت وتفاهة الحياةوما إلى ذلك من الموضوعات لما كان في نفس الوقت من أقرب الموضوعات وأحبها إلى نفوس الناس فكان من العبث أن يصاغ هذا الشعر في اللغة الشعرية القديمة وبالتالي كان من الضروري اختيار عناصر لغة هذا الشعر من لغة الحياة اليومية قريباً منها ليفهمه الناس فهماً مباشراً ويتأثروا بمعانيه فتحدث الاستجابة المطلوبة، وكان أبو العتاهية مدركاً تماماً لهذه الفكر فقال « الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر بشار وابن هرمه فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا يخفي

---

(١) رسائل البلغاء ص ٣١٩ نقلاً عن اتجاهات الشعر ص ٥٦١.

(٢) العربية ص ٦١.

على جمهور الناس مثل شعري ولاسيما الأشعار التي في الزهد فان الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر وطلاب الغريب »(١). وعلى ذلك صاغ أبو العتاهية شعره في تلك اللغة المولدة التي رأيناها أحياناً عند أبي نواس.

ومهما يكن من أمر فإن هذه العربية المولّدة بهذه السمات الأسلوبية قد بدأت تشق لنفسها طريقاً جديدة منذ القرن الثاني للهجرة ثم اتسع نطاق استعمالها مع رقي حركة التأليف والترجمة في العلوم والمعارف التي لم يكن للعرب عهد بها قبل الفتح، حتى إذا ما استقرت هذه العلوم وتلك المعارف ودخلت في التراث العربي وشكلت جزءاً غير يسير من العقلية العربية وجدنا سمات وخصائص هذه العربية المولّدة تتضح بصورة جلية وخاصة عند كتاب النثر في القرن الرابع الهجري مثل أبي العلاء المعري وغيره حيث نجد أن التركيب في لغة هؤلاء الكتاب يتخذ طابعاً مولداً من حيث طول الجملة وطريقة نظمها.

والحق أن طريقة صياغة الجمل والعبارات في صورة نحوية معينة ليست بالدرجة الأولى خضوعاً لقواعد النحو فقط وإنما الهدف النهائي من تلك الصياغة هو توضيح الفكرة وأبرازها وهو ما التفت إليه عبد القاهر الجرجاني عندما اعتبر أن النظم هو ترتيب المعنى وفق علم النحو(٢).

ويقول اللغوي الفرنسي دار مستتر أن تركيب الكلام هو الغاية التي تتجه إليها اللغة ذلك لأن الكلمات في الصيغ النحوية النقية يجب أن تترابط في عبارات لتعبر عن الفكر وتتحدد طبيعة التراكيب بعوامل تاريخية أو منطقية وفي أغلب الأحوال فإن كيفية الاستخدام أو الاستعمال في حقبة من الحقب هي محصلة نضال أو صراع بين العامل التاريخي أو التقليدي

(١) انظر اتجاهات الشعر ص ٥٦٠.
(٢) راجع دلائل الاعجاز ص ٥٦.

وبين الاتجاهات الجديدة التي تدفع اللغة في مسار جديد وتقوم بتغيير بعض التراكيب وخلف هذه التغيرات التي تقع عادة في الشكل يمكن أن نلاحظ بجلاء تام تغيرات أخرى أعمق في عادات العقل الذي يبدأ في النظر إلى الأشياء من زوايا جديدة ويحلل الفكر بشكل مختلف(١).

على ضوء هاتين الملاحظتين للغوي العربي القديم واللغوي الفرنسي في العصر الحديث نجد أن الارتباط الوثيق بين اللغة والفكر يقوم بدور هام في طريقة النظم وصياغة الكلام فإذا نظرنا مثلاً إلى أبي العلاء المعري وخاصة فيما كتبه في رسالة الغفران وجدناه قد تعامل في هذا النص مع مجالات فكرية متعددة، فلسفية وكلامية ودينية وأدبية وأسطورية ولكنها تعود جميعاً إلى ذلك العنصر السامي الذي نطلق عليه الفكر وهذا التنوع الفكري لم تعرفه العربية القديمة وبالتالي أثر ذلك في صياغة أبي العلاء لرسالة الغفران فموضوع هذه الرسالة بما فيه من هذه الأفكار المختلفة والتي قد يتناولها الأديب أحياناً فانها بلاشك أيضاً مجال عمل الفيلسوف، فالفكرة الفلسفية تعتمد أساساً على الأخذ والرد والتحليل كما تحتاج الى ترتيب الأدلة والحرص في التعبير وبالتالي فلها طريقتها الخاصة في الصياغة، وقدتعامل أبو العلاء في رسالة الغفران مع مجالات فكرية متعددة لعل من أبرزها الجانب الأدبي واللغوي والفلسفي وبالتالي جاءت صياغته لرسالة الغفران مزيجاً من طريقة الفلاسفة والأدباء في الكتابة. وأول ما نلاحظه على صياغة الجملة وتركيبها في هذه الرسالة هو ميلها إلى الطول في بعض المواضع، بل قد يسرف أبو العلاء في ذلك حتى تصبح الجملة الواحد مكونة من عدة جمل طويلة وذلك لأن صياغة الجملة عنده تابعة لحركة الفكر في عقله ومصاحبه له بمعنى أن الإسناد عنده أو ما يسمى بالكلام المفيد عند النحاة ليس هو الكلام الذي يحسن السكوت عليه فقط وإنما

(١) Dranstetter, la vie des mots p. 21.

ذلك عنده خطوة من عملية عقلية تتبع الفكرة أثناء تخلفها في الذهن ويعبر عنها بكل ما يصاحبها من خلجات الخاطر ويتضح لنا ذلك منذ بداية هـذه الرسالة(١) التي نجد صياغتها لا تخرج في الواقـع من ناحيـة التركيب عـلى قواعد العربية القديمة بل تلتزم طريقتها في الصياغة والنظم وأما من نـاحية الفكرة فهي لا تخرج عن كونها تحية إخوانية ولكن أبا العلاء يؤديها بطريقة تتناسب مع عقله في القرن الخامس الهجـري الذي تغـذى بثقافـات وعلوم جـديدة ومن ثم فهـو لا يعترف بـالتعبير القـديم الممثل في الجمـل القصيرة التركيب التي كانت هي بالطباع الأصيل للعـربية القـديمة وإنمـا كما أشـرت يمضي مع الفكرة بكـل ما تثيـره في ذهنه من خـواطر بعيـدة أو قريبـة أو ما تستدعيه بعض الألفـاظ من دلالات أو ألفاظ أخـرى وبالتـالي انتهت تلك الجملة إلى هذا الطول المسـرف الذي بلغ حـوالي عشر صفحـات في طبعة رسالة الغفران الرابعة ومع ذلك لا نكاد نجده يخرج عـلى قواعـد النحو أو الاسناد كما حددها النحاة.

من هذا كله يتضح لنا حقيقة الاختلاف الكبير بين الجملة والتركيب في العربية القديمة وبين الجملة والتركيب في العربية المولدة على الرغم من أن كلا منهما تسير وفق قواعد العربية في النظم إلا أن كلا منهما تعبر عن نمط فكري أو طبيعة فكرية مختلفة فالجملة المولدة جملة قد تطول وتسرف في الطول ويتخللها الكثير من الجمل الفرعية والمعترضة والمفسرة والدعائية وكل ذلك نتيجة للتغير الفكري والعقلي الذي طرأ على العقل العربي أما الجملة العربية القديمة فهي جملة قصيرة مباشرة تبتعد عن الحلى اللفظية وغيرها من أساليب وشتى الكلام الذي تميزت به العربية المولدة. ويدل على ذلك ما علق به صاحب كتاب الصناعتين على قول ابن المقفع عندما سئل لم لا تطيل القصايد قال لو أطلتها عرف صاحبها فقال أبو هلال

---

(١) راجع رسالة الغفران ص ١٢٩ من قوله قد علم الجبر إلى قوله كـان في الرهـج معرضـين ص ١٣٩ وانظر أيضاً لغة أبي العلاء في رسالة الغفران ص ٣٩٠ ـ ٣٩٦.

العسكري (ت ٣٩٥ هـ) يريد أن المحدث يتشبه بالقديم في القليل من الكلام فإذا أطال اختل فعرف أنه كلام مولد[١]. ولم يفهم المستشرق دي بور حقيقة التطور الفكري الذي انعكس على التراكيب اللغوية عند كاتب كأبي العلاء فاتهمه بأنه ليست لديه القدرة على التركيب وان كانت له مقدرة على التحليل[٢] أما المستشرق يوهان فك فقد وضع يده على حقيقة هذا التطور اللغوي عندما قرر « أن كثيراً من التصادم مع روح العربية الفصحى القديمة يواجهنا عند جميع المنشئين في أوائل العصر الأوسط لأن صلب الأسلوب في لغتهم قد صار فعلاً من العربية المولدة[٣] ثم يذكر من بين هؤلاء المنشئين أبا الطيب المتنبي وأبا العلاء المعري[٤] على أنه يجب أن نلفت النظر إلى أن هذا النمط من الأسلوب المولد لم يبدأ في هذا العصر بطبيعة الحال وإنما بدأ منذ فترة مبكرة في حياة العربية نجد آثاره عند الجاحظ ولكنه بلغ أوجه في القرن الرابع الهجري.

ويطول بنا المقام لو حاولنا تتبع لغة الكتاب والشعراء الواحد تلو الآخر منذ ظهور هذه العربية المولدة ولكن من المؤكد أن الدراسة اللغوية المفردة لكل كاتب أو شاعر من هؤلاء سوف تكشف عن انتشار هذه العربية المولدة بالخصائص التي ذكرناها سواء في الألفاظ أم التراكيب وخاصة عند بعض الكتاب الذين تناولوا موضوعات كانت من قبل غير معروفة عند العرب مثل الفلاسفة والجغرافيين والعلماء وبعض المؤرخين من كتاب السير والرحلات[٥].

---

(١) أنظر الصناعتين ص ١٥.

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٧٨.

(٣) العربية ص ١٦٩.

(٤) المرجع السابق ص ١٦٩، ١٨١.

(٥) أنظر على سبيل المثال ما كتبه يوهان فك عن لغة الجغرافي العربي المقدسي (ت ٣٧٥ هـ) في كتابه أحسن التقاسيم ص ١٩١ - ٢٠٧ من كتاب العربية.

غير أننا لابد أن نذكر هنا أيضاً مظهراً هاماً امتازت به العربية المولدة عن العربية القديمة وذلك فيما يتصل بأوزان الشعر العربي، اذ أن الوزن في الحقيقة ما هو إلا نسق أو تركيب لغوي اختصت العربية القديمة ببعض الأوزان التي استخرجها الخليل فيما نعرفه من بحور الشعر العربية مثلها في ذلك مثل شكل الجملة العربية من حيث التركيب والبناء وبالتالي يمكن أن نعتبر التجديد في أوزان الشعر العربي يدخل ضمن التوليد في قوالب الوزن الشعري وذلك لأن العربية القديمة التزمت قوالب معينة ولكن المولدين أدخلوا على هذه القوالب بعض التعديلات وابتكروا أوزاناً جديدة تلفت نظر الباحث في التركيب اللغوي من حيث صلته بالوزن في الشعر.

والحق أن هناك علاقة قوية بين التطور اللغوي وبين توليد هذه الأوزان الجديدة وهو توليد في التركيب هنا اذا تناول الشكل فكلما أخذت العربية في التطور وفقدت على مر العصور كثيراً من ألفاظها القديمة التي كان المتكلمون يهجرونها لبعدها عن واقع حياتهم وحضارتهم الجديدة وبالتالي أخذت ذخيرتها من الألفاظ القديمة تقل وكانت هذه الألفاظ تجري على نسق موسيقي معين وفي نفس الوقت أخذت ثقافة الشعراء اللغوية تضعف وخاصة بعد ظهور طائفة كثيرة العدد من الشعراء المولدين الذين تلقوا لغتهم عن طريق العربية المولدة وبالتالي شعروا بأن العمود الشعري القديم لم يعد يتناسب مع عربيتهم المولدة يضاف إلى هذا كله شيوع الغناء منذ القرن الأول الهجري وخاصة في الحجاز واهتمام الطبقات المختلفة به واقبالها عليه مما جعله فنا شعبياً وليس وقفاً على طبقة الأثرياء كل ذلك أثر على الشعر تأثيراً واضحاً تمثل في انصراف الشعراء عن الأوزان الطويلة المعقدة حتى في أكثر فنون الشعر جديدة كالمدح والرثاء واقبالهم على الأوزان الرشيقة الخفيفة التي تلائم الغناء في المجالس والمنتديات ودور اللهو والرقص وحياة العبث والمجون ويتضح هذا الاتجاه عند الوليد بن يزيد (ت ١٢٦ هـ) وبعض شعراء الكوفة ممن دار أغلب شعرهم حول معاني

المجون والخمر والغزل الفاحش وكان هذا الشعر يغني في المجالس الخاصة ولذلك كان لابد أن يصاغ في قوالب موسيقية بالغة الرقة وقد نسب إلى الوليد تجديد جزئي في الوزن والقافية على السواء(١). وقد لاحظ بعض الباحثين أن الوليد بن يزيد قد استكثر أيضاً من وزن الرمل القصير في شعره وروجه ترويجاً فتح به بابه لمن بعده من المولدين مثل بشار وغيره(٢).

كذلك لم يقتصر شعراء القرن الثاني على الميل إلى هـذه البحور القصيرة والابتعاد عن الأوزان المعقدة الطويلة ولكنهم أحيوا أوزاناً قديمة كانت نادرة في الشعر الجاهلي وفي ذلك يقول أبو العلاء المعري أن المولدين استحدثوا في هذا العصر المقتضب والمضارع وأن الخليل سجلهما وليس لهما أصل في الشعر القديم(٣).

ويبدو أن أبا العتاهية كانت له محاولات في الخروج على الأوزان التقليدية المعروفة فقد أشار ابن قتيبة انه كان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب(٤) ويضرب مثالاً لذلك بالشعر الذي قاله حينما كان يجلس عند قصار فسمع صوت المدقة ومن ثم راح يحاكيه فقال على ايقاع الصوت:

للمنون دائـــراً ت يـــدورن صرفــهـــا
هن ينتقيننـــا واحـــداً فـــواحـــداً(٥)

والجدير بالذكر أن أبا العتاهية تحرر من القافية في هذا المثال تحرراً كاملاً.

ويشير يوهان فك إلى أنه قد نظمت في العصر العباسي أغان من شعر الأدوار المزدوجات بلغة الكتابة الفصحى أيضاً ويعتبر عصر هارون الرشيد

(١) د. هدارة اتجاهات الشعر ص ٥٣٨.
(٢) المرجع السابق ص ٥٣٩.
(٣) الفصول والغايات ص ١٣٢.
(٤) الشعر والشعراء ٢/٧٩١.
(٥) المصدر السابق ٢/٧٩٢.

بالذات هو العصر الذي يقدم شواهد أكيدة على نقل هذه القوالب الشعبية إلى الشعر الفني وأبسط هذه القوالب ما يسمى بالمزدوج وهو قالب شعري يؤلف فيه بيتان قصيران في الغالب من الرجز متحداً القافية وحدة خاصة أو دوراً مستقلاً وقد نظم أبو العتاهية في هذا القالب أرجوزته ذات الأمثال[١] كما يشير أيضاً الى أن تاريخ الدوبيت أو الرباعي الذي تتحد مصاريعه في القافية ما عدا المصراع الثالث قد يرجع إلى القرن الثاني حيث نظم بشار أبياتاً في هذا القالب قالها في جارية له اسمها رباب فقال:

رباب ربة البيت   تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات   وديك حسن الصوت[٢]

غير أننا نلاحظ أن هذا التجديد في أوزان الشعر كان في النهاية يحدث داخل العمود الشعري القديم بعكس ما حدث في الأندلس حيث وجدت أوزان شعرية جديدة تماماً عن العربية أطلق عليه اسم مولد جديد يتناسب مع طبيعته الخاصة هو « الموشح » وهي لفظة لم تعرفها العربية القديمة في مادة وشح التي نجد فيها الوشاح بمعنى أديم عريض ينسج ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحها[٣] ويعرف الزبيدي الموشح بقوله « اسم لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون وهو فن عجيب له أسماط وأغصان وأعاريض مختلفة وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات »[٤].

وقد اهتم ابن خلدون ببيان حقيقة هذا الشعر فقال « وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح ينظمونه اسماطاً

(١) العربية ص ١٩٦.
(٢) المرجع السابق ص ٩٨.
(٣) تاج العروس مادة وشح.
(٤) المصدر السابق نفس المادة.

اسماطاً وأغصاناً يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيها بعد إلى آخر القطعة وأكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة أبيات ويشمل كل بيت على أغصان عددها بعد الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد وتجاوزوا في ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس جملة الخاصة والعامة لسهولة تناوله وقرب طريقه »(١).

ومن أرفع الموشحات وأشهرها كما يقول ابن خلدون قول الشاعر:

ما للموله من سكره ... لا يفيق باله سكران
من غير خمر ما للكئيب المشوق ... يندب الأوطان
هل تستعاد أيامنا ... بالخليج ولياليـنا
أو يستفاد من النسيم ... الأريج مسك دارينا
أو هل يكاد حسن المكان ... البهيج أن يحيينا
نهر أظله روح عليه ... أنيق مورق الأفنان
والماء يجري وعايم وغريق ... من جنى الريحان (٢)

ولاشك أن بناء الموشح على هذه الصورة يشكل تطوراً في أوزان الشعر العربي حيث لا نجد فيه صورة القصيدة العربية القديمة بأبياتها المستقلة المعنى المتحدة القافية.

أما إلى أي مدى يتصل هذا التوليد في أوزان الشعر بالتطور اللغوي في الأندلس فتجده في وصف ابن خلدون لاختلاف لغات الأمصار عن العربية القديمة حيث يقول « أعلم أن عرف التخاطب في الأمصار بين الحضر ليس بلغة مصر القديمة ولا بلغة أهل الجيل بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا

---

(١) المقدمة ص ٥٢١.
(٢) المصدر السابق ص ٥٢٣.

وهي عن لغة مضر أبعد. أما أنها لغة قائمة بنفسها فهذا ظاهر يشهد له ما فيها من التغاير الذي بعد عن صناعة النحو لحناً وهي ذلك تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب، وكذا أهل الأندلس معهما وكل منهم متوصل بلغته إلى ناديه ومقصودة والابان عما في نفسه وهذا معنى اللسان واللغة وفقدان الاعراب ليس بضمائر لهم... وأما أنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل فلأن البعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجمة فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد... واعتبر ذلك في امصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق[1].

وعلى ذلك فإن هذا التجديد في الوزن متصل بطبيعة هذا التطور اللغوي وظهور الموشح على هذه الصورة الدقيقة من التقفية والبعيدة عن الشعر القديم متصل بطبيعة التطور اللغوي الذي طرأ على العربية في هذه البقعة من العالم الاسلامي ويؤكد ذلك ما ذكره المستشرق الروسي كراتشوفسكي من الأزدواج اللغوي الذي كان موجوداً ومنتشراً في الأندلس حيث أوجد هذا الازدواج كما يقول « في أسبانيا ذات اللغتين طريقة شعرية مختلفة فقد تطور شعر النزعة الكلاسيكية باللغة الفصحى من ناحية أخرى كانت النزعات الشعبية تجد كثيراً من الترحاب لدى طبقات الشعب الواسعة التي لم تتلقى تعليماً أدبياً خاصاً وكانت هذه النزعة تتقبل التأثيرات من الشرق ومن الغرب ولكن بعد تكييفها بطرقها الخاصة وكانت أحياناً تتجه إلى البناء في ظل حدود اللغة الفصحى نفسها لكنها كانت تجزيء اطراد وحدة القافية وتسلسلها وتستخدم مختلف التقسيمات البنائية وكانت أحياناً تسمح بادخال بعض اللهجات في اللغة الفصحى وأحياناً كان يتحول كلية إلى حديث دارج بل ومشبع باللغة الرومانية » ثم يقول

(١) المقدمة ص ٤٩٢ - ٤٩٣.

«وبمرور الزمن أو الوقت أخذ شعراء النزعة الكلاسيكية يميلون إلى استعمال تلك الصور والأشكال الشعرية وعلى الرغم من أنها ذات لون واحد إلا أنها لابد أن تكون باللغة الفصحى غير أنه كانوا يعتبرون ذلك هبوطاً بمستواهم وقد وجدت هذه الصور والأشكال أرضاً طيبة لدى الحريم وطبقات الشعب الدنيا وأخذت تتطور باستمرار وأخرجت من الوسط الشعبي كثيراً من الشعراء الموهوبين على متسوى عال ولم يكونوا يتمتعون بشعبية كبيرة في أي بلد عربي يمثل الشعبية التي يتمتعون بها في الأندلس ولهؤلاء الشعراء على وجه الخصوص كثير من الاعتبار في تاريخ الشعر العالمي قد يفوق ما لشعراء النزعة الكلاسيكية الذين كان من النادر أن يتعدى تأثيرهم خارج حدود الدوائر التي تستعمل اللغة العربية الفصحى وهناك شكلان شعريان يجذبان اليهما انتباهاً خاصاً وهما في الواقع لا يختلفان الا من الناحية اللغوية وأول هذين الشكلين يحمل اسم الموشح... أما الشكل الثاني فهو الزجل»(١).

من هذا كله يتضح لنا أن التجديد في الأوزان قد بدأ مع انتشار العربية المولدة في القرن الثاني الهجري وكلاهما متصل بطبيعة التطور اللغوي العام الذي أصاب العربية ومن ثم كان ظهور الموشح في الأندلس ببنائه اللغوي الجديد هو قمة التجديد في الوزن الشعري داخل العربية المولدة ويرجع ظهور هذا النمط من الشعر ممثلاً في الموشح في الأندلس إلى أن طبيعة التطور اللغوي الذي حدث هناك كان مختلفاً عن ذلك الذي حدث في المشرق. غير أننا نلاحظ أن بعض هذه الأوزان المولدة مثل المزدوجات والدوبيت أو الرباعي لم يكتب لها البقاء طويلاً كما حدث بالنسبة للموشح. أما الزجل فهو ينتمي في الحقيقة إلى العامية أكثر من انتمائه الى العربية المولدة التي تتصل بالعربية القديمة بأواصر كثيرة كما رأينا.

---

(١) كراتشكوفسكي، الشعر العربي في الأندلس ص ٦٣ ـ ٦٤.

وعلى هذا يمكن لنا أن نحدد أبرز خصائص العربية المولدة فيما يأتي:

١ ـ تستعمل العربية المولّدة ألفاظاً عربية الأصل والصيغة بدلالات جديدة لم تعرفها العربية القديمة.

٢ ـ تعريب ألفاظ أعجمية لم يعربها العرب القدماء وكذلك استعمال الفاظ دخيلة لم تستعملها العربية القديمة.

٣ ـ اشتقاق ألفاظ وأفعال من أسماء عربية وأعجمية لم يشتقها العرب القدماء.

٤ ـ اصطناع تراكيب جديدة دون مخالفة لقوانين العربية القديمة في التركيب ولكنها ذات أسلوب متميز عن العربية القديمة.

٥ ـ استعارة تراكيب مترجمة من بعض اللغات التي اتصلت بها العربية مثل اليونانية والفارسية.

٦ ـ توليد أوزان شعرية جديدة لم يعرفها العمود الشعري القديم.

تلك هي صورة العربية المولّدة وخصائصها وهي كما رأينا تتصل بالعربية القديمة من حيث التركيب والصياغة وهي الفيصل النهائي بين لغة ولغة ومنه يتضح لنا أن بعض المستشرقين لم يستطيعوا التفرقة بين ما هو لحن أو خطأ أو تحريف وبين ما هو توليد وكلاهما في الحقيقة يتصل بالتغير اللغوي الذي ألم بحياة العربية غير أن ظواهر اللحن والخطأ والتحريف تعتبر تغيراً يخالف خصائص العربية وسنتها وهو ينتهي بأن يفسد من نظمها ونظامها. أما التوليد بهذه الخصائص التي أشرنا اليها فهو تغير يجري وفقاً لسنن العربية في التركيب ولا يخالف طبيعتها وخصائصها الأصيلة ولعلي لا أكون مغالباً إذا قلت بأن التوليد بهذا المعنى هو التطور الطبيعي المتزن للعربية إذ هو يصلها ويربطها بالقديم العريق من خصائصها وفي نفس الوقت يفتح أمامها آفاق التطور للاستعمال الجديد وعلى هذا يمكن من خلال فصول البحث السابقة أن نميز في تاريخ العربية ثلاث مراحل رئيسية مرت بها حياة هذه اللغة وهي:

١ ـ المرحلة السامية Semitic Period

وهي تلك المرحلة التي أخذت فيها العربية تنفصل عن اللغة السامية الأم وتكون لنفسها خصائص ذاتية تنفرد بها عن بقية اللغات السامية الأخرى.

٢ ـ العربية القديمة Classical Arabic

وهي المرحلة التي استقرت فيها العربية على خصائص ثابتة واتخذها مجتمع الجزيرة العربية لغة له والتي تتمثل في الشعر الجاهلي ويعتبر القرآن الكريم قمة النضج الذي وصلت اليه هذه المرحلة.

٣ ـ العربية المولدة Neo - Classical Arabic

وهي اللغة التي نشأت بعد استقرار الفتح الإسلامي في الأمصار المفتوحة نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب الأخرى ثقافياً وجنسياً وامتازت عن العربية القديمة بتلك الخصائص التي ذكرناها.

أما المرحلة الرابعة من مراحل حياة هذه اللغة فهي العربية الحديثة Modern Arabic وهي المرحلة التي ستخصص لها الباب الرابع والأخير من هذا البحث.

الباب الرابع

العربية والنمو اللغوي في العصر الحديث

تمهيد

رأينا في الجزء السابق من هذا البحث كيف اجتازت العربية ثلاث مراحل رئيسية من حياتها حتى انتهت إلى المرحلة الثالثة وهي العربية المولدة والتي عرفنا خصائصها في الفصل السابق.

وفي هذا الباب الأخير من أبواب البحث سنحاول أن نتتبع مظاهر التوليد والنمو اللغوي في العربية الحديثة «Modern Arabic» وهي المرحلة الرابعة من حياة العربية حتى يومنا هذا، والعربية الحديثة التي نقصدها هي اللغة التي يكتب بها العرب المعـاصرون في الأدب والصحافة والتأليف العلمي والتي بدأت تتخذ صورتها الأولى مع مطلع عصر النهضة الحديثة في العالم العربي وما زالت حتى اليوم تواصل تطورها مع مقتضيات الحياة الفكرية والحضارية.

وبطبيعة الحال ليست هناك حدود قاطعة وثابتة بين هذه المرحلة والمراحل السابقة جميعاً أو بين كل مرحلة منها والمرحلة التي تليها بحيث يمكن للباحث أن يقول باطمئنان أن هذه المرحلة أو تلك بدأت عند فترة معينة أو أن مرحلة أخرى انتهت عند فترة محدودة، إذ الواقع أن هذه المراحل الأربعة تتداخل وتجمعها خصائص لغوية ظلت ثابتة لم تتغير، خصائص يمكن أن نتعرف فيها على العنصر السامي بجـانب المرحلة الأساسية في حياة تلك اللغة وهي العربية القديمة Classical Arabic والتي

ما زالت حتى الآن تظهر آثارها في العربية الحديثة ومن قبل في العربية المولدة: Neo - Chassical Arabic وذلك على الرغم من التطور والتغير الذي طرأ على العربية بشكل عام خلال هذه المرحلة الطويلة من حياتها. الا أن الباحث يلمس آثار ذلك بشكل واضح في المفردات والأصوات أكثر منه في الصيغ والتراكيب.

وسوف نفرد هذا الباب الأخير من أبواب هذا البحث لدراسة العربية الحديثة والمقتضيات الفكرية والحضارية للتطور والنمو في العربية الحديثة وخاصة فيما يتصل بالتوليد اللغوي باعتباره طريقاً هامة من طريق النمو اللغوي.

غير أن الباحث الذي يتابع حركة التطور اللغوي في العربية وارتباطها بالتطور الاجتماعي والحضاري والفكري يجد تشابهاً واضحاً بين مرحلتين في حياة هذه اللغة:

أولاهما نشأت وازدهرت في العصر العباسي، وثانيتهما بدأت مع النهضة الحديثة في القرن الماضي ولا تزال تتسع وتزدهر، وكلتا المرحلتين اعتمدت فيما اعتمدت عليه على التراث العربي القديم ثم على الترجمة والاتصال بالأمم والشعوب والحضارات الأخرى، ومن ثم زودت الفكر العربي بزاد خصب واثرت في تطور الثقافة العربيية وبالتالي في أداة هذه الثقافة وهي اللغة ولكن هاتين المرحلتين تفترقان في نواح أيضاً، لعل من أهمها، أن الأولى وجهت همها إلى التراث العلمي والفلسفي للأمم القديمة مستغنية بتراثها الأدبي عن آداب تلك الأمم لأسباب كثيرة ما زالت حتى الآن موضع خلاف بين الباحثين على حين حرصت الثانية على أن تجعل للغات والآداب نصيباً كبيراً من عنايتها وأن تصل الثقافة العربية بأهم ما عرفته ثقافات الأمم الأخرى في قديمها وحديثها[١].

(١) محمد محمد خلف الله أحمد، بحوث ودراسات في العروبة وآدابها ص ١٥٣ ـ ١٥٥.

ومهما يكن من أمر فقد تلقت العربية في كلتا المرحلتين زاداً جديداً أثر في تطورها ونموها تأثيراً ملحوظاً على النحو الذي رأيناه في الصفحات السابقة من هذا البحث.

وتحدد جمهرة من الباحثين بداية العصر الحديث في العالم العربي بدخول الحملة الفرنسية مصر عام ١٧٩٨ أي بأواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر وحتى الآن، وهي فترة كما نرى تمتد إلى قرن وثلثي القرن تقريباً، ولعل هذا يثير تساؤلاً وهو كيف يمكن أن يندرج مثل هذا التاريخ الطويل المختلف الفترات تحت عصر واحد يطلق عليه العصر الحديث، وكيف يمكن أن نطلق مثلاً على أوائل القرن التاسع عشر والثلث الأخير من القرن الحالي اسم العصر الحديث على ما بينهما من خلاف، وعلى الرغم من أن القديم والحديث من الأمور النسبية اذ أن ما هو حديث اليوم سوف يكون قديماً غداً، وما هو قديم اليوم كان حديثاً في يوم مضى، إلا أن تسميته تلك الفترة بالعصر الحديث وخاصة فيما يتصل بحياة اللغة العربية وتطورها تعد تسمية مناسبة ولا أقول دقيقة نظراً لطول تاريخ هذه اللغة وامتداده منذ أن استوت لغة لها خصائصها المميزة. على أننا فيما يتصل بالمقتضيات الفكرية والحضارية التي أثرت في نمو وتطور العربية الحديثة تستطيع أن نميز ثلاث مراحل رئيسية سنقيم عليها درسنا لهذه الفترة وهي:

١ ـ **المرحلة الأولى**: ويمكن أن نطلق عليها مرحلة التلقي والتقليد وتبدأ بدخول الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ وتنتهي عند منتصف القرن التاسع عشر تقريباً.

٢ ـ **المرحلة الثانية**: مرحلة الإحياء والتجديد، وتبدأ من النصف الثاني للقرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين تقريباً.

٣ ـ **المرحلة الثالثة**: مرحلة الابداع والابتكار وتبدأ مع مطلع القرن العشرين وما زالت مستمرة حتى الآن.

وقد تختلف وجهات النظر إلى مثل هذا التقسيم، وقد يعترض عليه من وجهة النظر الحضارية ولكنه من وجهة النظر اللغوية قد يكون صحيحاً رغم أننا قد نجد في المرحلة الأولى مظاهر للتجديد والبعث والاحياء ومع ذلك فإن الفصل بين هذه المراحل جميعاً بالحدود الحاسمة التي تمنع الاختلاط بينها أمر جد عسير لأن الفواصل الحاسة إنما تكون في الأمور المادية كما تقوم العلامة بين مرحلتين على الطريق أو كما يقوم الحائط بين منزلين أما فيما يتصل بالتطور الفكري واللغوي والثقافي بشكل عام فليس من شأنها أن تنفصل بعلامة أو تاريخ سياسي محدد. فقد نرى كما قلت في فترة التلقي والتقليد تجديداً وإحياء كما نرى في فترة التجديد والإحياء ابتكاراً وابداعاً وإنما تأتي التفرقة بين هذه المراحل على وجد التغليب والترجيح لا على وجه التحديد والتقنين.

وفي الفصل الأول من هذا الباب سنحاول أن نستعرض المعالم الكبرى وأسباب التطور اللغوي الحديث دون الدخول في تفاصيل الأحداث السياسية والاجتماعية التي ألمت بحياة العالم العربي الحديث إلا فيما يقتضيه الدرس اللغوي من تحليل وتعليل لظاهرة لغوية أو لأخرى.

الفصل الأول

عوامل وأسباب النمو اللغوي في العالم العربي الحديث

أولاً ـ مرحلة التلقي والتقليد:

كانت القرون الثلاثة التي سيطر فيها الحكم التركي على مصر من أشد فترات التاريخ ظلاماً في حياة العالم العربي ومصر خاصة، فقد فرض الأتراك على البلاد نوعاً من الاحتلال هو في الحقيقة محاولة لقتلها فكرياً وحضارياً وذلك لأنهم قد عملوا على امتصاص كل خيرات الشعب وأروع قدراته وتعويق ملكة الابداع فيه. وفي سبيل ذلك نقل الأتراك منذ بداية احتلالهم لمصر والعالم العربي كثيراً من العلماء والصناع عديداً من الكتب والنفائس، ثم فرضوا لغتهم التركيبة على الدواوين وجعلوا أهم الأعمال الإدارية في أيدي الأتراك والمماليك كما أكثروا من فرض الضرائب وأهملوا كل إصلاح ولم يوجهوا أية عناية أو رعاية الى التعليم، فأغلقت المدارس بل هدمت وانتهبت كتبها[1] وكانت النتيجة أن انطفأت شعلة الحياة العلمية والفكرية في مصر إلا من وميض خافت ينبعث من الأزهر الشريف[2]، محملاً بقيود التخلف واثقاله ولكنه مع ذلك ظل رمزاً وملاذاً لما بقي من العلوم الإسلامية وخاصة الدراسات اللغوية، كذلك تعطلت الحياة الأدبية بل وانحرفت العربية وفسدت من كثرة الدخيل التركي فيها وزحف العامي على متنها.

---

(١) علي مبارك، الخطط التوفيقية ١/٨٨.

(٢) دكتور عبد العزيز الشناوي، دور الأزهر في الحفاظ على الطابع العربي ص ٤ وما بعدها.

ومن هنا أصبح الأدب في حالة من السقم هي إلى الموت أقرب فكانت نماذجه النثرية والشعرية هزيلة ليس وراءها صدق الاحساس أو فنية التعبير وتغطي ركاكتها في أكثر الأحيان بألوان من البديع تبدو كأكفان ذات ألوان تضم أجداثاً وعظاماً نخرة، وكان أغلب النتاج الأدبي يدور في أفق ضيقة أشد الضيق إذ لم يكن يعدو بعض النواحي الشخصية كالتهنئة ببناء دار أو الرجوع من سفر أو تولي منصب أو رثاء صديق[1].

وانعكس كل ذلك على اللغة العربية وامتد إلى لغة الإدارة بشكل خاص ولعل الدراسة التي قام بها أحد الباحثين عن لغة الإدارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر تبين إلى حد كبير المستوى الذي وصلت إليه العربية في الدواوين آنذاك حيث نجد الاصطلاحات الديوانية أما عربية أو تركيـة أو عربية مشوبة بالتـركية استخدمها العثمانيون ابتداء أو آلت إليهم في ثنايا التراث العربي عن المماليك وأسلافهم ممن حكموا في البلاد المتكلمة بالعربية، ولم تكن الاصطلاحات التركية خالصة العنصر إذ أن اللغة التركية ذاتها كانت مزيجاً من الفارسية والعربية والتركية[2].

على أن الوظائف التي كان يتولاها الأتراك أو من ينتمي إليهم وهي الوظائف الرئيسية عادة كانت تتسم بالطابع التركي فكانت الادارة المركزية في العاصمة مثلاً تضم عديداً من الموظفين، وكان الوالي يلقب بـ «الباشا» وهو لقب تركي من « باش » أي الرأس أو من «با » بمعنى قدم و «شاه» أي ملك، وكان يعين بمرسوم « همايوني » أي سلطاني يسمى « فرماناً » ويسمى نائب الوالي « كتخدا » ويعرف قائد جيش الحامية التركية باللقب التركي «أغـا» كما كان هذا اللقب يطلق عادة على قادة الفرق العسكرية، وكانت الحامية التركية تتكون من فرق تسمى « أوجاقات » أو « وجاقات »

(١) محمد خلف الله أحمد، معالم التطور الحديث ص ٨٨.
(٢) راجع ص ٢٠٤، ٢١١ من هذا البحث.

ويسمى رجالها « أوجاقية » والمسنون منهم « اختيارية » وأقدمهم « باش اختيار ».

وهذه الأوجاقات هي « الشاويشان » وهو جمع فارسي « لشاوش التركية ثم « التفكشيان » أي حملة البنادق، « والإنكشارية » من « ينكجري » بجيم فارسية أي العسكر الجدد ويعرفون أيضاً بالمستحفظان أي الحفظة وهي كلمة عربية درج استعمالها بالتركية وجمعت على طريقة الجمع الفارسية.

وكان الديوان إذا رأى أن يعزل الوالي بعث إليه برسول من بين ضباط الأوجاقات بلقب « بالأوطة باش » يحمل إليه قرار العزل وتسمى الشرطة « الدرك » وهي موزعة على مخافر تسمى « قلقات » ويعرف ضباطها « بالأورطة باشا » و « القلقات » مفرد « قلق » محرفة عن التركية « قوللق » وكان رجالها يعرفون في مصر بذلك.

وإلى جانب رجال « الدرك » كان المحتسب أو أمين الاحتساب ويضطلع بالمهام المأثورة عنه منذ العصور الماضية كالاشراف على الأسواق والمعاملات التجارية وغيرها.

وقد ترجع بعض الأسماء أحياناً الى أصول عربية في صيغ تركية أو فارسية، فكان أمين « الضربخانة » موكلاً بدار صك النقود وتعرف باسم « الضربخانة » وكان « المعمرجي باشي » يشرف على شؤون المباني، والقافلة باشي يشرف على القوافل، وكانت الأقاليم المصرية تسمى « سنجقيات » اسندت إمارتها إلى مديرين من المماليك وكانوا على درجتين أما « بكوات » أو « سناجق » وإما « كشاف » والكاشف أرقى مرتبة من « السنجق » كما كان رجال الضبط في الأقاليم يعرفون باسم « الضبطجية » وتكتب أحياناً « الزبطجية » وكان « الشوربجية » من كبار المسؤولين من الموظفين العثمانيين وهم بالاصطلاح التركي أعيان البلاد ورؤساء القرى.

أما الإدارة المالية للأموال فكانت تسمى إدارة « الروزنامة » وهي كلمة فارسية الأصل معناها « الجريدة » أو التقويم ويعمل بها طائفة من الكتبة يسمون « أفندية الروزنامة » أو « الأفندية » أو « باش قلم » إشعاراً لما لهم من مكانة في الحكومة وكان يرأسهم « الروزنامجي » أي حافظ السجلات.

أما الإدارة المالية العامة للولاية المصرية فكانت تضم « الدفتردار » وهو مدير الشؤون المالية والخازندار وهو أمين الخزانة العامة(١).

على هذا النحو من العجمة عمد الأتراك إلى قتل العربية في دواوين الحكومة والإدارة وقد تأثرت بذلك إلى حد كبير فدخلها سيل من الألفاظ التركية وخاصة تلك التي كانت تدور على ألسنة الحكام الأتراك كما استعيرت بعض صيغها فأجريت على الألفاظ العربية، وإذا كانت العربية قد وصلت إلى هذه الصورة القاتمة في الدوائر التركية، فإنها لم تكن أفضل حالاً في الكتابات العربية الخالصة، ويكفي لتصوير المستوى اللغوي للعربية في ذلك العصر أن نقرأ بعض ما كتبه الجبرتي في تاريخه، وتصور لنا هذه الحادثة التي يرويها الجبرتي لغة النثر في هذا العصر أصدق تصوير، فهو يتحدث عن بعض الولاة فيقول: « ومما اتفق له أن بعض التجار بسوق الصاغة أراد الحج فجمع ما عنده من الذهبيات والفضيات واللؤلؤ والجوهر ومصاغ حريمه ووضعه في صندوق وأودعه عند صاحب له بسوق مرجوش يسمى الخواجه على الفيومي بموجب قائمة أخذها معه مع مفتاح الصندوق وسافر إلى الحجاز وجاور هناك سنة ورجع مع الحجاج وحضر إليه أحبابه وأصحابه للسلام عليه وانتظر صاحبه الحاج على الفيومي فلم يأته فسأل عنه فقيل إنه طيب بخير فأخذ شيئاً من التمر

---

(١) عبد السميع الهراوي، لغة الادارة العامة في مصر ص ٧٣ ـ ٧٩، جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، ص ١٠٠ ـ ١٠٢.

واللبان والليف ووضعه في منديل وذهب إليه ودخل عليه ووضع بين يديه ذلك المنديل فقال له من أنت فإني لا أعرفك قبل اليوم حتى تهاديني، فقال له: أنا فلان صاحب الصندوق الأمانة، فجحد معرفته وأنكر ذلك بالكلية ولم يكن بينه وبينه بينة تشهد بذلك فطار عقل الجوهري، وتحير في أمره وضاق صدره فأخبر بعض أصحابه فقال له اذهب إلى كجله محمد أوده باشه، فذهب إليه وأخبره بالقصة فأمره أن يدخل إلى المكان الداخل ولا يأتي إليه حتى يطلبه وأرسل إلى علي الفيومي فلما حضر بش في وجهه ورحب به وآنسه بالكلام الحلو ورأى في يده سبحة مرجان فأخذها من يده يقلبها ويلعب به ثم قام كأنه يزيل ضرورة وأعطاها لخادمه وقال له خذ خادم الخواجة صحبتك واترك دابته هنا عند بعض الخدم واذهب صحبة الخادم إلى بيته وقف عند باب الحريم وأعطهم السبحة أمارة وقل لهم إنه اعترف بالصندوق الأمانة، فلما رأوا الإمارة والخادم لم يشكوا في صحة ذلك وعندما رجع كجك محمد إلى مجلسه قال للخواجا بلغني أن رجلاً جواهرجي أودع عندك صندوق أمانة ثم طلبه فأنكرته، فقال لا وحيات[1] رأسك ليس له أصل وكأني اشتبهت عليه وأنه خرفان وزهلان ولا أعرفه قبل ذلك ولا يعرفني ثم سكتوا وإذا بتابع الأودة باشا والخادم داخلين بالصندوق على الحمار فوضعوه بين أيديهما فامتقع وجه الفيومي واصفر لونه فطلب الأودة باشه صاحب الصندوق فحضر فقال له هذا صندوقك فقال له نعم قال له عندك قائمة بما فيه، قال معي وأخرجها من جيبه مع المفتاح فتناولها الكتاب وفتحوا الصندوق وقابلوا ما فيه على موجب القائمة فوجدوه بالتمام فقال له خذ متاعك واذهب فأخذه وذهب إلى داره وهو يدعو له ثم التفت إلى الخواجة علي الفيومي وهو ميت في جلده ينتظر ما يفعل به فقال صاحب الأمانة خذها وايش جلوسك فقام وهو ينفض غبار الموت وذهب»[2].

---

(١) هكذا بالأصل.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار ١/٩٥ ـ ٩٦.

على هذه الصورة من ركاكة اللفظ وتفشي العامية في الأسلوب وكثرة التوليد المرضي كتب الجبرتي تاريخه الكبير ولغة الكتاب تعطي صورة صادقة لظاهرة التوليد دون داع حضاري وهو ذلك النمط من التوليد الذي تترهل به اللغة ولا ينميها، وما من شك في أن كتاب الجبرتي في حاجة إلى دراسة لغوية مستقلة تتبع ألفاظه وتراكيبه حيث يجد الباحث نفسه أمام لغة هي مزيج من العربية المولدة والعامية وذلك غير الكثرة الكثيرة من الألفاظ الدخيلة وأكثرها تركية.

ولم تكن حال الشعر تفضل النثر كثيراً ويكفي لتصوير ذلك أن نقرأ شعر الشيخ حسن البدري (ت ١١٢٢ هـ) الذي أورد الجبرتي أيضاً منه قدراً كبيراً وخاصة قصيدته التي مطلعها:

لا شيء تزرعه إلا قلعت سوى ... بني آدم من يزرعه يقلعه[١]

فإذا تركنا مصر واتجهنا إلى الشام وجدنا الأمر لا يختلف كثيراً بل لعله كان أكثر سوءاً وأضل سبيلاً، نظراً لتعرض الشام منذ وقت مبكر لغزوات المغول والصليبيين حتى إذا ما جاء القرن التاسع عشر كانت حال الشام كما وصفها الرحالة الكونت دي فولني في أواخر القرن الثامن عشر قائلاً « إن الجهل سائد في سوريا كما في مصر وسائر تركيا وقد انتقد بعضهم هذه الحالة عبثاً ولم يأت الكلام عن إنشاء الكليات ونشر التعليم والتهذيب بثمر لأن هذه الألفاظ لها عندهم معان غير ما نفهمه نحن منها، انقضى عصر الخلفاء وليس من العرب أو الأتراك الآن علماء في الرياضيات أو الفلك أو الموسيقى أو الطب ويندر فيهم من يحسن الفصادة وإذا احتاجوا إلى الكي استخدموا النار وإذا عثروا بمتطبب افرنجي عدوه من آلهة الطب، وأما علم النجوم فقد صار عندهم للنجامة واستطلاع الطوالع وفي دير مار يوحنا طائفة من الرهبان لهم اتصال برومية ولا يقلون جهلاً عن سواهم وإذا قيل

---

(١) المصدر السابق ١/٨٥.

لهم إن الأرض تدور عدوا قوله كفراً لأنه يخالف الكتاب المقدس »[1] ومن العجيب أن المدارس المسيحية الأجنبية في زمن الحكم العثماني كانت أكثر عناية باللغة العربية من المدارس الرسمية، وسبب هذه العناية ما كان يتمتع به المسيحيون من امتيازات خاصة خولت لهم حق تعليم أبنائهم باللغة العربية، أما المسلمون فكانوا لا يجدون أمامهم إلا الكتاتيب الدينية أو المدارس الرسمية التي تعلم باللغة التركية لذلك انتشر تعلم العربية بين المسيحيين قبل المسلمين ومن ثم كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء والشعراء الشاميين في العهد العثماني من المسيحيين[2].

وقد ظهر ذلك مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حيث كان معظم رواد التطوير اللغوي الحديث في الشام من المسيحيين مثل بطرس البستاني. ذلك هو المستوى الذي وصلت إليه العربية مع مطلع القرن التاسع عشر. كثرة من الألفاظ التركية والفارسية والألفاظ المولّدة دونما حاجة حضارية أو فكرية تنبيء عن المرض والتتخم أكثر مما تنبيء عن التطور والنمو يضاف إلى ذلك تلك العامية الفاشية لفظاً وتركيباً في أسلوب الأدب نثره وشعره ولم يكن من الممكن أن يستمر ذلك التخلف الفكري والحضاري أكثر مما استمر وشاءت الظروف أن تكون اليقظة مع دخول الحملة الفرنسية إلى مصر، إذ استيقظ العالم العربي وخاصة مصر من سبات امتد ثلاثة قرون على أصوات المدافع الفرنسية فتملكها شعور بالخوف والدهشة معاً، ويصور لنا ذلك بصدق وصف الجبرتي لإحدى زياراته لمعمل كيماوي من معامل الفرنسيين حيث شاهد بعض التجارب العلمية فقال: « وأفردوا مكاناً في بيت حسين كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوي ومن غريب ما رأيته في ذلك المكان أن بعض المتقدمين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوعة فيها بعض المياه

(١) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٥.

(٢) د. جميل صليبا، الاتجاهات الفكرية في الشام ص ٦٢ وما بعدها.

المستخرجة فصب منها شيئاً في كأس ثم صب عليها شيئاً من زجاجة أخرى فعلا الماء وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وصب ما في الكأس وصار حجراً أصفر فقلبه على البارجات حجراً يابساً أخذناه بأيدينا ونظرناه، ثم فعل كذلك بمياه أخرى فجمد حجراً ياقوتياً ثم أخذ مرة شيئاً قليلاً جداً من غبار أبيض ووضعه على السندال وضربه بالمطرقة بلطف فخرج له صوت هائل كصوت القرابانة انزعجنا منه فضحكوا منا... ولهم أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا يسعها عقول أمثالنا »[1].

ولكن سرعان ما انقشعت سحب الدهشة وحلت المقاومة لهذا الغزو الأجنبي فتحرك الشعب المصري للدفاع عن كيانه وحريته، غير أن الباحث لا يستطيع أن ينفي ما لهذه الحملة من أثر في تنبيه المصريين إلى آفاق من المعرفة غير تلك التي ورثوها والى أساليب من نالدرس والبحث العلمي لم يكن لهم بها عهد من قبل، وذلك بغض النظر عن الدوافع الفرنسية الكامنة وراء المعارف والعلوم التي أحضروها مع حملتهم على مصر، فقد وصف الجبرتي أيضاً في تسجيله لحوادث تلك الفترة ما استحدثه الفرنسيون من المكتبات التي فتحوا أبوابها للمصريين وإحضارهم أنواعاً من الكتب المطبوعة بها رسوم وتصاوير وكرات البلاد والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتاريخ القدماء وسير الأمم وقصص الأنبياء والمعاجم والآلات الفلكية والهندسية والمساحيق والكيماويات وما إلى ذلك من أمور وأحوال حارت فيها عقول المصريين[2].

وهكذا كانت الحملة الفرنسية كما يقول أستاذنا محمد خلف الله أحمد نعمة في طيها نقمة[3]. فقد ساعدت المصريين على الشعور بأنفسهم

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار ٣٧/٣.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥/٣.

(٣) راجع معالم التطور الحديث ص ٥.

والتطلع إلى آفاق أخرى من المعرفة وضروب جديدة من الاجتماع والعمران، فما أن تخلص المصريون من آثار هذا الغزو الأجنبي حتى أظهروا إرادتهم القومية في خلع الوالي التركي وتولية محمد علي الذي ظلت أسرته تحكم مصر إلى منتصف القرن الحالي.

وإذا كانت لغة أي أمة هي أداة التعبير عن الحياة والفكر والحضارة فيها، كان من الطبيعي أن تتأثر العربية بما ترتب على تلك اليقظة العلمية والحضارية والقومية وبالتالي تؤثر في عقول المتكلمين بها، وهذا التأثير المتبادل بين تطور حياة الأمة من جهة وتطور لغتها من جهة أخرى سنراه واضحاً في خط سير النهضة العربية الحديثة التي استقبلت شرارتها الأولى من نيران المدافع الفرنسية ثم تلقت بعد ذلك دفعات قوية في عهد محمد علي.

فعندما تولى عرش مصر كان العلم ما زال منزوياً في أروقة الأزهر وصحون بعض المساجد وقاعات المكاتب في المراكز والقرى وكان لعلماء الأزهر كما يقول رفاعة الطهطاوي (اليد البيضاء في إتقان الأحكام الشرعية العملية والاعتقادية وما يجب من العلوم الآلية كعلوم العربية والمنطق والوضع وآداب البحث والمقولات وعلم الأصول[(١)].

ومع ذلك فقد أستاذه الشيخ حسن العطار ثقته بهذه العلوم جميعاً منذ أن بهرته علوم الفرنسيين ومعارفهم وبالتالي راح يطلب لنفسه علماً جديداً غير تلك العلوم التقليدية التي تعلمها في أروقة الأزهر وأخذ يقرأ على تلاميذه كتباً غير كتب الأزهر وكان يقول « إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها وتتجدد بها من المعارف ما ليس فيها »[(٢)].

ويبدو أن ما هجس في نفس الشيخ العطار هجس أيضاً في نفس

---

(١) رفاعة الطهطاوي، مناهج الألباب ص ٣٧.

(٢) علي مبارك، الخطط التوفيقية ٤/٣٨.

الوقت في نفس محمد علي ومن ثم بدأ يعد العدة لإنشاء المدارس الجديدة ولم يجد أمامه سوى الأزهر يستمد منه المعلم والتلميذ، وعلى الرغم من أنه احتفظ للمدارس الجديدة بالطابع الإسلامي الشرقي إلا أنه تطلع إلى الغرب الأوروبي وحضارته[1] فكانت خطته الأولى أن يمهد السبيل لترجمة الكثير من الكتب العلمية إلى العربية أو التركية ليسهل على أبناء البلاد الاطلاع عليها والإفادة منها، وقد عهد فعلاً لكثير من الأجانب في مصر شرقيين وغربيين بترجمة بعض هذه الكتب، غير أنهم كانوا يتلكأون أو يهملون في عملهم حتى يقيم أحدهم عمل ستة أشهر في خمس سنوات[2].

ومن ثم راح محمد علي بعد ذلك يلتمس طريقاً آخر فرأى أن يبعث بنفر من أهل البلاد إلى أوروبا موطن هذه العلوم والمعارف والنظم ليدرسوا هذا الذي يريد نقله من منابعه الأصلية وباللغة التي كتب بها حتى إذا ما عادوا إلى مصر كانوا عدته وعدتها وحلوا محل الأجانب في الوظائف المختلفة وفي تعليم ما درسوه لأبناء أمتهم وفي ترجمة الكتب الأجنبية، ومهما كانت الدوافع الكامنة وراء حماس محمد علي لعلوم الغرب ومعارفه إلا أنه من الحق أن نقول بأن مصر قد أفادت من هذه البعثات في وصل نفسها بالتقدم العلمي والحضاري الحديث[3]. ونظرة سريعة إلى قوائم المبعوثين وتخصصات كل منهم توضح لنا إلى أي مدى حاول محمد علي أن يسد النقص الحضاري الذي كانت تعاني منه البلاد[4].

وهكذا كان أول لقاء عملي بين المصريين والحضارة الغربية في العصرالحديث وقد انتج هذا اللقاء ثماراً طيبة على اللغة والحياة معاً، إذ

---

(١) مناهج الألباب ص ١٦٢.
(٢) د. الشيال، تاريخ الترجمة ص ٨.
(٣) د. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث ص ٢٦ ـ ٢٧.
(٤) عمر طوسون، البعثات العلمية ص ٢٦ ـ ٢٩.

عاد هؤلاء المبعوثون بعلم جديد وعقل جديد فعملوا في المدارس والمصالح وترجموا الكتب[1]، كما ألفوا وخططوا وبهذا وضعوا أسس الحركة العلمية والفكرية الحديثة. وكان من آثار هذه الحركة أن أخذت العربية تستجيب لعوامل النماء والبعث فأخذ متنها يزداد ويتسع عن طريق ترجمة المصطلحات العلمية وتوليد كلمات عربية جديدة وقد شمل ذلك كافة ضروب المعارف العلمية والأدبية من طب وهندسة وفنون حربية وبحرية وصناعات وعلوم اجتماعية وكان من أجل مظاهر هذا كله إنشاء مدرسة الألسن التي اقترح إنشاءها رفاعة الطهطاوي وعهد إليه بإدارتها وكانت تعنى بدراسات اللغات الفرنسية والإيطالية والتركية والفارسية إلى جانب آداب اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والشريعة الإسلامية والشرائع الأجنبية وقد استطاعت هذه المدرسة بفضل خريجيها أن تترجم كثيراً من الكتب القيمة كما ترجم رفاعة نفسه رسائل عديدة في مختلف الفنون والعلوم[2].

ومن العلامات البارزة في تاريخ هذه الفترة والتي أثرت إلى حد كبير في تطور اللغة العربية ونموها بداية نشأة الصحافة المصرية التي اقترنت بتأسيس جريدة الوقائع المصرية وتطورها ذلك التطور الذي حل بها بفضل رفاعة الطهطاوي حين تولى رئاسة تحريرها بين عام ١٨٤٢ وعام ١٨٥٠. وتاريخ الوقائع المصرية يقترن بإنشاء أول مطبعة عربية هي المطبعة الأهلية بالقاهرة أيام الحملة الفرنسية، وقد كانت المهمة الأولى لهذه المطبعة طوال عهد الحملة طبع بيانات بونابرت ونداءاته ومراسيمه وقد صدرت عن هذه المطبعة الأهلية (جان جوزيف مارسيل) كما نشر له كتاب آخر في قواعد اللغة العامية المصرية واستعمالها باللغتين العربية والفرنسية، كما طبعت كتب دجنت Desgnettes كبير أطباء الحملة الفرنسية ومن أهمها رسالة في

---

(١) أنظر قائمة بالكتب المترجمة في عهد محمد علي في تاريخ الترجمة للدكتور الشيال الملحق الأول ص ٧ ـ ٢٨.

(٢) د. الشيال، تاريخ الترجمة ص ١٤٧ ـ ١٥٨.

الجدري ومكاتباته للديوان، ومن مطبوعاتها أيضاً حروف الهجاء العربية والتركية والفرنسية. وقد صدر هذا الكتاب عام ١٧٩٨م وهي لا تزال في الإسكندرية وكانت تسمى حينئذ المطبعة الشرقية، كما أخرجت هذه المطبعة في الإسكندرية كراسة عن تمارين للقراءة من الأدب العربي وهي منتخبات من الآيات القرآنية. كذلك أخرجت مجموعة من المستندات الخاصة باجراءات محاكمة سليمان الحلبي(١).

وبعد اندحار الحملة الفرنسية سنة ١٨٠١م أمر بونابرت بنقل هذه المطبعة إلى فرنسا حتى تولي محمد على أمر مصر واقتضت النهضة التي طرأت على حياة مصر تنظيم الأداة الحكومية في دواوين ومصالح احتاجت إلى تسجيل أمور الدولة فأنشئت مطبعة بولاق. وقد اختلف بعض المؤرخين في تاريخ إنشاء هذه المطبعة غير أنه من الثابت أن مطبعة بولاق أنشئت في نهاية عام ١٨١٩م وأطلق عليها اسم «دار الطباعة العامرة ببولاق مصر المحروسة»(٢).

ولم يبدأ نشاط المطبعة واضحاً منذ إنشائها إلى سنة ١٨٣٢م إلا أنها بعد تلك السنة تضاعف نشاطها خمس مرات ويرجع ذلك إلى كثرة المدارس المنشأة ونشاط حركة الترجمة يضاف إلى ذلك كله وجود صحيفة جرونال الخديوي والجريدة العسكرية، ثم جريدة الوقائع المصرية(٣).

وقد خرج العدد الأول من جريدة الوقائع تتصدره الافتتاحية باللغتين التركية - في اليمين - وترجمتها العربية في اليسار، وتحدد هذه الافتتاحة

---

(١) د. إبراهيم عبده، تاريخ الوقائع المصرية ص ٩ وما بعدها.

(٢) دكتور إبراهيم عبده، تاريخ الوقائع المصرية ص ٢٠ - ٢٤، وأنظر: جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٦٢ - ٦٣.

(٣) د. إبراهيم عبده، تاريخ الوقائع المصرية ص ٢٨.

الأغراض التي من أجلها صدرت الوقائع، كما ترسم خطتها وتحدد أهدافها[1].

ولغة هذه الافتتاحية تنبيء بأن العربية بدأت تزيل عن كاهلها آثار التخلف والجمود وتتجه لأن تكون لغة محددة تعبر عن فكر جديد، ومع ذلك يشعر قاريء هذه الافتتاحية بأنها ما زالت تنتمي إلى حد ما إلى لغة الجبرتي وغيره من كتاب العصر[2]. ويقول الدكتور إبراهيم عبده « وتتميز الوقائع في ذلك العهد بأن افتتحياتها أرق أسلوباً من رواية الأخبار فيها وإن لم تبلغ رصانة الأسلوب وبلاغة الكلام الذي عرفت به فيما بعد وإن حاول فيها التزويق والجناس غير أن هذا الأسلوب كثيراً ما مضى سليماً يلائم العصر ويتفق وقاريء ذلك الزمان »[3].

غير أن حال الجريدة قد تغير بعد ذلك شكلاً ولغة وموضوعاً وذلك بعد أن تولى رفاعة الطهطاوي رئاسة تحريرها. فبدأ أولاً بتنظيم الجريدة وكان من أهم التطورات التي طرأت عليها اعتبار اللغة العربية هي اللغة الرئيسية للجريدة وبالتالي أخذت الجانب الأيمن من الافتتاحية وانتقلت التركية إلى الجانب الأيسر، كما حاول إفراغ الترجمة التركية في قالب حسن دون الاخلال بالأصل العربي ولم يكن هذا التطور في حياة الجريدة مقصوراً على اللغة وحدها بل أن المسائل المصرية كانت لها الأولوية فيها. وعندما حاول رفاعة تغيير اسم الوقائع إلى « مظهر أخبار مصرية » رفض الباشا هذا التغيير وبقيت الوقائع باسمها الأول حتى اليوم[4].

وهكذا مضى رفاعة يحرر الأصل العربي وينظم الجريدة بصفة عامة

---

(١) راجع نص الافتتاحية في تاريخ الوقائع المصرية ص ٦٣ ـ ٦٥.
(٢) المرجع السابق ص ٦٣ ـ ٦٥.
(٣) المرجع السابق ص ٧٠.
(٤) المرجع السابق ص ٩٠ ـ ٩١.

يعاونه في ذلك مجموعة من المترجمين ورجال مدرسة الألسن، كما استعان بمجموعة من المحررين من أهمهم أحمد فارس الشدياق، على أن التطور الهام بجانب اعتبار اللغة العربية اللغة الرئيسية في الجريدة كان في طبيعة الفكر الذي أخذت الوقائع تنشره على الناس في عهد رفاعة، فقد انتقلت فجأة من توافة الأخبار والحوادث والافتتاحيات المحشوة مديحاً وثناء للوالي إلى موضوعات وأفكار لها خطرها لا في الشرق وحده بل في أوروبا نفسها في ذلك الوقت، وهو ما عبرت عنه المقالة الافتتاحية للعدد ٦٢٣ بقلم رفاعة الطهطاوي حيث نرى لوناً من الفكر الحديث لم يعرفه قارىء الوقائع من قبل وكان ذلك تحت عنوان « تمهيد » وكأنما كان رفاعة يعرف حقاً أنه يمهد لبناء فكر جديد ولغة جديدة، فقد كانت هذه المقالة تتحدث عن الفكر السياسي ونظم الحكم في أوروبا كما تضمن أيضاً رداً على ما يزعمه الأجانب من استبداد حكام الشرق[1]. ولأن الفكر جديد على اللغة العربية اقتضى ذلك لغة جديدة وبالتالي ترددت في المقال ألفاظ من اللغات الأوروبية التي تلقى منها الشرق هذا النوع من الفكر السياسي وخاصة من اللغة الفرنسية التي كان رفاعة يجيدها بعد عودته من فرنسا، فنجد في هذا المقال ألفاظ مثل:

البوليتيقية، البولوتيقي، البوليتيقة الخارجية، البوليتيقة الداخلية، ديموقراطية، ارستقراطية[2]. وبعض هذه الألفاظ كان رفاعة قد تعرض لها من قبل في مؤلفاته كما سنرى فيما بعد.

وهكذا أخذت العربية تتلقى عن طريق الصحافة الناشئة فكراً وألفاظاً جديدة دخلت بجانب ما دخلها من قبل من التركية والفارسية واللغات الأوروبية مثل الإيطالية والفرنسية ولكن هل تخلت اللغة العربية

(١) راجع نص المقال في تاريخ الوقائع المصرية ص ٩٦ وما بعدها.
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

في تلك الفترة عما كانت عليه أثناء الحملة الفرنسية، الواقع أنها اختلفت ولكنها لم تتغير تغيراً جوهرياً، فعلى الرغم من أنها بدأت تتجه نحو قدر أكبر من التحديد والدقة وتبتعد عن التكلف والزخرف إلا أنها كانت ما تزال أسيرة قرون الركود الفكري والتخلف الحضاري، ويمكن أن نجمل الخصائص اللغوية للعربية في تلك الفترة فيما يلي:

خصائص العربية في هذه الفترة:

لعل من أهم الخصائص الصوتية التي يمكن أن نسجلها لنطق المصريين للعربية في تلك الفترة ما لاحظه المستشرق الانجليزي إدوارد لين الذي وصف نطق المصريين في القاهرة لبعض الأصوات العربية فقال أن معظم القاهريين ينطقون حرف الجيم مثل نطقه في كلمة: Give الانجليزية، وهي الجيم المصرية التي نعرفها اليوم. كما ينطقون حرف القاف همزة حيث يسود نطق حرف الجيم الأول غير أن بعض المثقفين ينطقونه قافاً فصيحة، وتنطق الجيم الفصيحة أو قريباً منها في بعض مناطق مصر كما تنطق القاف أحياناً جيماً، وينطق المصريون جميعاً وكذلك أغلب الشعوب التي تتكلم العربية حرف الثاء تاء والذال دال والظاء ضاداً أو زاياً أحياناً[1].

أما أهم خصائص العربية في مصر من حيث التركيب فهو إضافة حرف الشين للدلالة على النفي ووضع اسم الإشارة بعد المشار إليه، وكثرة استعمال التصغير في الصفات بلا مسوغ[2]. ثم يقول «لين»: «ولا يوجد فرق كبير بين اللغة الأدبية والعامية، ويمكن وصف هذه العامية بأنها تبسيط للغة القديمة بحذف حركات الإعراب الأخيرة خاصة كما تهمل التفرقة بين إعراب الاسم وبعض تصاريف الأفعال»[3].

(١) Lane, Modern Egyptian., p.p 202 - 213.

(٢) Lane, op. cit.

(٣) Ibid. P. 213.

وكان تأثير اللغة التركية أيضاً واضحاً في تغير أصوات بعض الحروف العربية كنطق الضاد ظاء معجمة على ألسنة الأتراك لانفراد العربية بهذا الصوت وانتقل ذلك إلى العربية مثل نطقهم حضرة وضابط وعريضة، حظرة، ظابط عريظة وغالباً ما يكون ذلك على ألسنة الأتراك وهو ما جرت بها أيضاً بعض ألسنة العامة في بعض هذه الكلمات[1]. على أن تأثير التركية لم يقف عند هذا التطور الصوتي بل تعدى ذلك إلى بعض التراكيب وذلك على النحو التالي:

١ ـ الخلط في قواعد التذكير والتأنيث.

٢ ـ الخلط بين المثنى والجمع.

٣ ـ صياغة بعض التراكيب العربية على نمط التراكيب التركية مثل تقديم المضاف إليه على المضاف في بعض الأحيان كقولهم لاظ أوغلى أي ابن لاظ، يوزباشي أي رئيس مائة في التركية. وعلى ذلك قيل في العربية صف ضابط بدلاً من ضابط الصف وبلوك أمين بدلاً من أمين بلوك.

٤ ـ تركيب ألفاظ أو مواد عربية على نمط التراكيب التركية مثل صوغ النسب باضافة المقطع (لي) كقولهم عثمانلي واضافة المقطع (لو) في مثل قولهم دولتلو، عصمتلو، عطوفتلو.

٥ ـ صياغة اسم الفاعل للدلالة على المهنة أو الصنعة بإضافة المقطع (جي) مثل مخزنجي.

٦ ـ إضافة كلمة (باش) التركية أي رئيس وذلك في أول الكلمات العربية وأحياناً بعد الحاق ياء النسب مثل: باشكاتب، باشصراف، حكيمباشي.

٧ ـ إضافة الكلمة الفارسية (خان) أو (خانة) بمعنى بيت أو دار كما في

= وقارن بما ذكره «يوهان فك عن خصائص العربية المولدة» ص ١٠٢ وما بعدها من كتاب العربية.

(١) أنظر لغة الادارة فيس مصر ص ٣١٧.

كتبخانة، ضربخانة، عربخانة.

٨ ـ إضافة كلمة (دار) الفارسية بمعنى صاحب أو متولي مثل: خازندار، سلحدار، حكمدار.

وذلك غير استعمال الكثير من الكلمات التركية وخاصة في المصطلحات الديوانية مثل: بك وباشا وامباشي ويوزباشي وسركي واورنيك وغير ذلك(١).

كما انتقل أيضاً إلى العربية من اللغات الأوروبية العديد من الألفاظ الدخيلة وكانت الإيطالية في بداية الأمر من أكثر اللغات اتصالاً بالعربية وخاصة في بداية حكم محمد علي الذي أرسل أولى بعثاته الى ايطاليا(٢). ومن ثم امدت الإيطالية العربية بما يعوزها من ألفاظ وخاصة تلك التي تتصل بأسباب الحضارة الأوروبية فنجد مثلاً: ديوان الفاوريقات من Fabbrica أي المصنع، ولما تفشت الكوليرا في بعض بقاع العالم آنذاك أنشيء حجر صحي في الاسكندرية لفحص القادمين من المناطق الموبوءة وعرف هذا الحجم باسم: لازاريتو Lazzaretto ولعل تسمية أحد أحياء الإسكندرية باسم الأزاريطة يرجع لاقامة هذا الحجر في تلك المنطقة، كما أطلق أيضاً على الحجر الصحي اسم كورنتينه Quarantina، بينما كانت المستشفيات تسمى استبليات.

ولما أنشأ محمد علي الأسطول التجاري بادارة خاصة تشرف عليه سميت هذه الإدارة باسم القومبانية المصرية من كلمة Compagnia الإيطالية أي الشركة، وثمة كثير من الكلمات الإيطالية التي شاع استعمالها في اللغة العربية في مصر مثل: انتيكة أو انتيقة Antica أي القديم ولوكانده Locanda أي فندق، وابور Vapore أي بخار، طاولة Tavolaأي منضدة

---

(١) أنظر لغة الادارة العامة في مصر ص ٣١٤ ـ ٣٢٠.

(٢) راجع البعثات العلمية في عهد محمد علي ص ١٠.

وبنديره bandiera أي شعار وراية، ومنها كذلك فرقاطة Fregato وجندرمة Gendarme أي رجال الشرطة وبوستة Posta وبطاريـة: battaria أي مجموعة مدافع، وأسكله Scalo أي مرفأ، وغير ذلك من الألفاظ الإيطالية التي حملت بعض مظاهر الحضارة المادية الأوروبية[١].

كذلك لم تكن اللغة الفرنسية أيضاً غريبة عن العربية قبل ولاية محمد على فقد دخلت بعض ألفاظها إلى العربية مع الحملة الفرنسية ثم كانت فرنسا بعد ذلك من الدول التي وجه إليها محمد علي بعثته الثانية فدخلت ألفاظ فرنسية كثيرة إلى العربية وخاصة بعد عودة المبعوثين وعلى رأسهم رفاعة الطهطاوي[٢] فإذا أضفنا إلى ذلك الألفاظ المولدة والمصطلحات المعربة التي كان لرفاعة فضل تعريبها أو توليدها[٣] عرفنا إلى أي مدى بدأت اللغة العربية تنفض عن كاهلها غبار سنى التخلف الحضاري وبالتالي أخذت العربية تستجيب لدواعي التطور والنمو، ولعـل هذه الكثرة الكثيرة من الألفاظ المعربة والدخيلة من اللغات الأوروبية تؤكد أن مصر في تلك الفترة من حياتها وكذلك العالم العربي ما تزال تتلقى عن الغرب وتحاول تقليده سداً للفجوة الفكرية والحضارية التي حدثت بعد توقف الحضارة العربية عن النمو عقب هجوم التتار على بغداد.

ولأن الأصالة هي الطابع المميز للشخصية المصرية وللحضارة العربية بشكل عام مهما تكأكأت عليها السنون والأحداث فقد بدأت بعد ذلك مرحلة أخرى جديدة في حياة مصر والعالم العربي واتسمت تلك الفترة اللاحقة بالبحث عن الأصول الحضارية والمقـومات الشخصيـة للأمـة المصرية والعربية تلك التي تراكم عليها الاحتلال التركي طوال قرون ثلاثة

---

(١) لغة الإدارة العامة في مصر ص ١٩٨ وما بعدها.

(٢) أنظر بعض هذه الألفاظ في تخليص الإبريز، الاكتريستـة ص ٩٣، الجورنـال ص ١٥٠، اللوكنجه ص ١٦١.

(٣) أنظر الفصل الثـاني من هــذا البـاب.

والتي منعتها الحروب الصليبية ومن قبل هجوم التتار من استئناف نموها وتطورها، ولم يكن هذا التلفت إلى الماضي ومحاولة بعثه وإحيائه إلا من مظاهر هذه الأصالة الحضارية.

ففي مواجهة المد الحضاري الغربي الذي أخذ طابع التلقي والتقليد دون المشاركة والابداع كان لابد من بعث الحضارة العربية القديمة بشكل عام والتراث اللغوي بشكل خاص ليحدث ذلك التوازن المطلوب في حياة لأمة وفي حياة اللغة أيضاً. ومن هنا بـدأت المرحلة الثانية من مراحل التطور الحضاري الحديث تحمل في طياتها ظروفاً جديدة لمزيد من التطور والنمو اللغوي.

ثانياً: مرحلة البعث والاحياء:

كان من أهم ثمار المرحلة الماضية من الناحية السياسية والاجتماعية والفكرية ظهور جماعة من المثقفين الذين نهلوا من ثقافة الغرب وعلومه وحضارته كما اتقنوا أيضاً لغته ومن ثم أصبحوا يمثلون لوناً حضارياً جديداً بجانب اللون التقليدي المتمثل في علماء الأزهر آنذاك، ووقع على كاهل هؤلاء المثقفين الجدد ومن تلقوا عليهم العلم من تلاميذهم مسؤولية تطوير العالم العربي، كما كان أيضاً من ثمار هذه المرحلة السابقة نمو اللغة العربية بصورة لم تشهدها منذ نهاية القرن الرابع الهجري بحيث أصبحت لغة تتصل بالعلم الحديث، كماأصبحت أيضاً لغة لوسيلة جديدة عليها تماماً من وسائل الثقافة وهي الصحافة، وأخذت تعد نفسها لتكون أداة لنقل الفكر الجديد ومن ثم مالت أكثر من ذي قبل إلى الموضوعية وتخلت إلى حد ما عن الركاكة والتكلف وشيوع العامية في أسلوبها. وتلك كانت بحق بداية العربية الحديثة.

ولعل أهم ما تصادفه في هذه الفترة هو أن البذور الأولى للحضارة الحديثة التي انتقلت عن طريق الغرب إلى مصر وتلقتها بالقبول والتقليد قد

أخذت تؤتى أكلها وخاصة فيما يتصل بأدوات الثقافة الجديدة مثل الصحافة والطباعة حيث أخذت الصحافة تقوم بدور بارز في الثقافة القديمة وتطوير اللغة العربية فازدهرت الوقائع المصرية وارتقى أسلوبها الانشائي وظهرت مجلة (اليعسوب) عام ١٨٦٥ م وهي مجلة طبية شهرية ومجلة (روضة المدارس) التي أنشأها علي مبارك سنة ١٨٧٠ م حينما كان وزيراً للمعارف واسندت رياسة تحريرها إلى رفاعة الطهطاوي واشترك معه طائفة من أعلام الأدب والعلم. كما ظهر أيضاً في هذه الفترة صحيفة وادي النيل عام ١٨٦٧ م وهي من أقدم الصحف السياسية في مصر، كما انشئت أيضاً صحيفتان حربيتان(١).

هذا بالاضافة إلى ما كان يرد إلى مصر من صحف شرقية كالجوائب التي كانت تصدر في الآستانة ويقوم على تحريرها أحمد فارس الشدياق وكانت تنشر بين موادها نماذج من انتاج الكتاب المصريين، كما شهدت تلك الفترة أيضاً هجرة عدد كبير من مسيحيي الشام إلى مصر فراراً من الاضطرابات التي حدثت عام ١٨٦٠ م وقد جاء هؤلاء ومعهم حقد مرير على الحكم التركي الذي عانوا من ضغوطه كما كانت نفوسهم تتطلع إلى الحرية التي افتقدوها وكان معظم هؤلاء المهاجرين الشاميين من الأدباء والصحفيين فأضافوا جهداً إلى جهود المصريين في تطوير اللغة العربية بما كتبوه وأذاعوه وقد كانت جهودهم صحفية في المقام الأولى فأصدروا العديد من الصحف والمجلات منها: كوكب الشرق لسليم الحموي والأهرام لسليم وبشارة تقلا ومصر والتجارة لأديب اسحق سليم نقاش وغيرها(٢).

---

(١) د. ابراهيم عبده، تطور الصحافة في مصر ص ٦٢ وما بعدها.
وأنظر: محمد خلف الله أمد، معالم التطور الحديث ص ٧.

(٢) د. ابراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية ص ٧٨ وما بعدها.
وأنظر: جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٦٥ ـ ٦٨، د. أحمد هيكل. تطور الأدب الحديث في مصر ص ٤٩.

وكانت هذه الصحف بمثابة مختبرات علمية دخلتها اللغة العربية لتطوير نفسها لتلائم الفكر الحديث كما سنرى. ونستطيع أن نتابع هذه النهضة في تطورها وتقدمها حيث سارت قدماً إلى الأمام خلال هذه الفترة إلا من انتكاسات محدودة عندما أغلق الخديوي عباس الأول المدارس بما في ذلك مدرسة الألسن واستدعى أعضاء البعثات ونفى رفاعة إلى السودان وأمر بقصر الترجمة على التركية ثم ألغاها نهائياً كما ألغى ديوان المدارس وأوقف مطبعة بولاق وعطل حركة النشر(١). ولكن سرعان ما أعيد فتح المدارس بعد ذلك وانشئت مدارس أخرى جديدة كمدرسة دار العلوم سنة ١٨٧٢م التي افتتحت لتخريج مدرسين عصريين للغة العربية، كما انشئت مدارس البنات وبعض المدارس الفنية كالمساحة والمحاسبة وبعض المدارس الابتدائية والثانوية في القاهرة والإسكندرية، وفي هذه الفترة امتدت أيضاً روح الإصلاح إلى الأزهر منذ قدوم جمال الدين الأفغاني إلى مصر سنة ١٨٧١م مما مهد لظهور الشيخ محمد عبده ورجال مدرسته(٢). وفيها أيضاً أسست الجمعيات العلمية كجميعة المعارف سنة ١٨٦٨ م والجمعية الجغرافية سنة ١٨٧٥ م والجمعية الخيرية الإسلامية ١٨٧٨ م(٣).

على أن من أبرز نتائج هذه الفترة فيما يتصل بتطور اللغة العربية إحساس كثير من المثقفين بضرورة ابراز آثار الحضارة العربية الإسلامية في مقابل المد الحضاري الغربي خاصة وأن تلك الحضارة الغربية ارتبطت في أذهان الناس وعقولهم بالاستعلاء والتعالي والسيطرة ولذلك أراد هؤلاء المثقفون أن يواجهوا الثقافة الوافدة بثقافة عربية أصيلة، ولم تكن الثقافة التي خلفتها عصور التدهور الأخيرة هي الثقافة التي يمكن أن تسد حاجة هؤلاء المثقفين فكرياً ولغوياً كما لا تصلح لمواجهة الثقافة الغربية الوافدة،

(١) راجع: عزت عبد الكريم ـ تاريخ التعليم في مصر ١/ ٢٨ وما بعدها.
(٢) شارلز آدمز، الإسلام والتجديد في مصر ص ٧ ـ ٢٠، ص ٩٩ وما بعدها.
(٣) محمد خلف الله أحمد، معالم التطور الحديث ص ٦ ـ ٧.

ومن هنا اختلفت هذه الفترة عن الفترة السابقة في أنها تحولت من التلقي والتقليد المباشر للغرب إلى وضع معادل لهذه الثقافة الوافدة وذلك عن طريق تجديد وإحياء التراث العربي القديم وبذلك يحدث نوع من التوازن في الفكر واللغة على السواء.

وهكذا عادت اللغة العربية تتصل مرة أخرى بتراثها القديم وكانت نواة تلك الحركة جمعية المعارف التي عنيت كثيراً بإحياء عدد كبير من الكتب التاريخية والأدبية والقديمة، كما عنيت بنشر طائفة من الدواوين الشعرية التي انتحتها العصور العربية الزاهرة في المشرق والأندلس[1].

وفي الفصل التالي من هذا الباب سنجد أن مدرسة رفاعة قد شعرت بحاجتها إلى الاتصال بالتراث العربي القديم لتطوير اللغة العربية والاستعانة بها في التأليف العلمي وبالتالي أعادت نشر بعض الكتب العربية القديمةأيضاً[2]. غير أن هذه الحركة لم يقدر لهاأن تصل إلى مداها إلا في هذه الفترة لما صاحبها من اشتداد الوعي القومي وقد ساعد جمعية المعارف على إحياء كتب التراث القديم ودواوينه الشعرية ما كان لديها من مطبعة يسرت لها سبيل نشر تلك الكتب ومكنت القراء من الاطلاع عليها على نطاق واسع.

ولما لم يكن من الميسور لجميع الناس اقتناء الكتب فقد اقترح علي مبارك إنشاء دار تجمع فيها الكتب المتناثرة في الأضرحة والمساجد والمكتبات الخاصة ليقصدها الناس للقراءة والافادة مما بها من ذخائر، وهكذا انشئت دار الكتب المصرية سنة ١٨٧٠ م[3]. وكل ذلك ساعد على نمو الثقافة ولفت نظر المثقفين إلى ما في تراثهم وأدبهم من روائع وعلى ذلك كانت

---

(١) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٤/ ٩٣.
(٢) انظر الفصل الثاني من هذا الباب
(٣) علي مبارك، الخطط التوفيقية ٣/ ١٤.

تلك الفترة بحق فترة بعث وإحياء، بعث لتراث الأمة العربية وإحياء لهذا التراث بنشره على ضوء المناهج العلمية الحديثة وانعكس ذلك في شعور بالوعي والأصالة الذاتية أخذ مظهرين واضحين: أحدهما فكري انعكس على اللغة والأدب والآخر سياسي أدى إلى ثورة عسكرية شعبية في عهد الخديوي توفيق والتي قادها الزعيم المصري أحمد عرابي.

وما من شك في أن هذه العوامل المختلفة التي نمت الوعي القومي وأنضجته في هذه الثورة كانت ذات أثر واضح في لغة تلك الفترة كما كان أيضاً للنضج الفكري والثقافي أعظم الأثر في خروج العربية من طور إلى طور وانتقالها إلى مرحلة جديدة ذات سمات وخصائص واضحة، كالوسائل السالفة الذكر من طباعة وصحافة ونشر ومدارس وجمعيات علمية وغير ذلك من وسائل الثقافة الحديثة كل ذلك طوع اللغة إلى حد كبير وفتح أمامها ميادين جديدة من الإنشاء والكتابة كانت من قبل مجهولة لها كما غذتها بموضوعات وأفكار وقضايا وهبتها دماء جديدة ومرونة كما منحتها قابلية للتعبير عن كثير من النواحي الفكرية والوجدانية ويتضح لنا ذلك كله في لغة الأدب في تلك الفترة حيث نجد آثار إحياء التراث القديم وبعثه بجانب ما استقر في عقول المثقفين والكتاب والشعراء من مفاهيم جديدة. وليس من هدف هذا البحث تقديم دراسة لغوية لآثار هؤلاء الكتاب والشعراء لكي تدل على صدق ما نقول، وإنما سنكتفي هنا للتدليل على صحة ذلك بأن ندرس لغة شاعر وكاتب ليتضح صدق ما نقول، ولعل خير من يمثل ذلك في هذه الفترة من الشعراء محمود سامي البارودي ومن الكتاب الإمام الشيخ محمد عبده. ولكي ندرك عمق التطور والنمو اللغوي الذي طرأ على العربية في لغة هذا الشاعر وذلك الكاتب لابد أن نتذكر خصائص العربية في الفترة السابقة[1] من حيث تفشي

---

(١) راجع هذا البحث ص ٤٩٣.

العامية في اللفظ والتركيب وكثرة الدخيل التركي والأجنبي والحرص على الصناعة اللفظية التي أدت إلى التكلف والركاكة إلا من ومضات موحية في لغة رفاعة الطهطاوي كما سنرى فيما بعد:

١ - لغة البارودي: (١٨٣٨ م - ١٩٠٤م):

انعقد إجماع الدارسين للأدب العربي الحديث على أن البارودي هو مؤسس النهضة الشعرية الحديثة في مصر والعالم العربي[1] وقد أدرك البارودي نهاية فترة التلقي والتقليد إذ ولد عام ١٨٣٨م ثم عاصر المد والجزر في الحياة المصرية طوال مرحلة البعث والإحياء وشاهد الازدهار العمراني والثقافي كما شارك في بعض المعارك الحربية وقام بدور بارز في الثورة العرابية ثم أصابه ما أصاب زعمائها من نفي وتشريد ليعود بعد ذلك إلى وطنه شيخاً مهدماً فيدفن في أرضه بعد أربعة أعوام ١٩٠٤م. فالمرحلة التي عاش فيها البارودي وأنتج شعره وأدبه هي تلك المرحلة التي أطلقنا عليها مرحلة الإحياء والتجديد، والحق أن شعر البارودي ينطق بذلك بأصدق لسان بما يعكسه أولاً من ثقافة عربية خالصة ويوضح لنا هذا الجانب من ثقافة البارودي ما تحدث به صديقه وشيخه حسين المرصفي حيث يقول عنه: «لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلاً إلى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع إلى بعض من له دراسة وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصور في برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسب ما تقتضيه المعاني والتعليقات المختلفة وصار يقرأ ولا يكاد يلحن»[2] ثم يقول إنه

---

(١) أنظر على سبيل المثال محمد خلف الله أحمد، معالم التطور الحديث ص ٩٦ وما بعدها، عباس محمود العقاد، شعراء مصر ص ١٢٠ وما بعدها، عمر الدسوقي، في الأدب الحديث ص ١٢٦ وما بعدها، دكتور أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر ص ٦٠ وما بعدها.

(٢) حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية ٢/٤٧٤.

استقل بعد ذلك بقراءة دواوين مشاهير الشعراء العرب وحفظ منها الكثير وخاصة شعر أبي فراس والشريف الرضى والطغرائي. ثم يعقد المرصفي مقارنة بين شعر أبي نواس والشريف الرضى وأبي نواس والنابغة الذبياني وبعض قصائد البارودي التي أنشأها على نفس الوزن والروى[1].

والحق أن البارودي لم يكد يجدد في أغراض الشعر العربي القديم إلا قليلاً فهو يمدح ويهجو ويصف ويرثي ويفتخر ويبكي على الأطلال ويتغزل وكما حاكى القدماء في الأغراض حاكاهم أيضاً في اللغة والأسلوب، غير أن شعر البارودي يأتي بعد مرحلة لغوية ساد فيها التكلف والركاكة والعامية ومن هنا اشرق شعر البارودي بلغته القديمة الجديدة إن صح هذا التعبير فأحدث ذلك الاتصال والاستمرار بين القديم والجديد. ومن هنا أيضاً يمكن أن نفهم لماذا قال العقاد عنه « إنه وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والنقاء وأوشك أن يرتفع هذا الارتفاع بلا تدرج ولا تمهيد كأنه القمة الشاهقة نبتت في متون الطود عما قبلها فينقطع بينها وبينه طريق الوصول إلا أن تستدير لها من القمم التي تليها وتقترب منها »[2].

غير أن البارودي الحقيقي من الناحية اللغوية الخالصة يبرز في أنه بعث العربية من جديد بما أحياه من مفردات وتراكيب قديمة اندثرت تحت ركام العامي والدخيل وبالتالي وضع أمام المثقفين في عصره لغة الشعر العربي القديم حية نابضة فأجرى في عروقها دماء الاستعمال فأصبحت جزءاً من المعجم اللغوي لهؤلاء المثقفين، فقد مضت أكثر من خمسة قرون على الأقل منذ أن سمع المثقف العربي شاعراً يقول:

هنيئاً لريا ما تضم الجوانح وإن طوحت بي في هواها الطوائح

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) شعراء مصر ص ٢١.

فتاة لها في منصب الحسن سورة تقصرّ عنها الغيد وهي رواجح
أحاط على مثل الكثيب إزارها ودارت على مثل القناة الوشائح
ففي الغصن منها إن تثنت تشابة وفي البدر منها إن تجلت ملامح[١]

على هذه الصورة أعاد ألبارودي إلى الحياة لغة الشعر العربي القديم وهو ما أطلق عليه أحد الباحثين اسم « الأسلوب المحافظ البياني »[٢] على أن أستاذنا محمد خلف الله أحمد رأى في شعر البارودي تجديداً بما حواه من الصدق الفني فقال: « ولكن البارودي جعل من شعره سجلاً صادقاً لتجاربه ومشاعره وأحداث حياته في مراحلها المختلفة وتصوير بعض المشاهد التي تركت آثارها في نفسه سواء كانت مناظر طبيعية ومعارك حربية أم صلات بين الناس وتقلبا في الخواطر وعبراً تجيء بها الأيام وإرزاء تدخرها لعظماء الرجال وأحرار النفوس وهكذا سن البارودي للشعر العربي الحديث سنة الصدق الفني. . . وهذا الاتجاه بالشعر العربي الحديث إلى الصدق في وصف تجارب الحياة وتسجيل مشاهد الطبيعة والتعبير عن الذات وأحاسيسها يد للبارودي على النهضة الأدبية في العالم العربي »[٣].

وعلى الرغم من أن لغة البارودي لم تختلف كثيراً عن لغة الشعر العربي القديم حتى إننا نجد بعض الألفاظ المولدة قديماً تتردد أحياناً في شعره مثل: الصفع، القصف، فذلكة، السبحة[٤]. ومع ذلك لم تستطع لغته أن تفلت من تأثير العصر الذي عاش فيه رغم أنه يكاد أن ينتمي من الناحية اللغوية إلى عربية القرون الأولى فعكست لغته بعض أسماء المخترعات الحديثة مثل: الصحيفة، الوابور، الباخرة، الكهرباء[٥].

(١) الديوان ص ١/٨٩.
(٢) د. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر ص ٦٢.
(٣) معالم التطور الحديث ص ١٠٥ ـ ١٠٧.
(٤) الديوان ص ١/٢١٤، ٢/٥٠، ٢/٧٦، ٢/١٠٤.
(٥) الديوان ص ١/٢٠، ١/١٣١، ٢/١٠٤، ٢/٢١٣.

والصحيفة والباخرة من الألفاظ المولدة.

كما نجد أيضاً بعض التراكيب التي تدل على أسماء هذه المخترعات مثل: تيار الكهرباء، أسلاك الترسل والتلغراف(١).

كما نجده يستعمل بعض الألفاظ المولدة مثل: اصطلح بالمعنى المقابل للخصام وأصل الاصطلاح الاتفاق، وبكرة بمعنى غدا وأصل المعنى الصياح الباكر(٢). ويستعمل أيضاً عبارة عامية قديمة فيقول «يا نور عيني»(٣).

أما الألفاظ الدخيلة من التركية وهي التي كانت فاشية في لغة الكتاب قبيل عصره، فلا نجد في ديوانه سوى لفظة واحدة هي أفندي(٤) رغم أنه كان يعرف التركية والفارسية(٥).

وأما تراكيبه فتكاد تكون صورة من التراكيب الشعرية القديمة التي لا نكاد نجد فيها لحناً أو خروجاً على قاعدة لغوية إلا ما تبيحه الضرورة الشعرية.

على هذه الصورة استطاع البارودي أن يبعث الشعر العربي ولغته من مرقدهما ورد إليهما الحياة بعدما ذوت وذبلت قروناً متعاقبة فكان عمله هذا بحق بعثاً واحياء مثل طبيعة المرحلة التي عاش فيها. أما في النثر فلم يكن ما قام به الإمام الشيخ محمد عبده بأقل مما قام به البارودي في لغة الشعر بل لعله قد تجاوزه في ذلك كما سنرى من دراستنا للغته.

---

(١) المصدر السابق ص ١١٨/٢، ٢٣٧/٢.

(٢) المصدر السابق ص، ص ١٧/١، ٩٣/٢.

وأنظر أيضاً: تاج العروس مادة صلح ومادة بكر.

(٣) الديوان ٩٢/٢.

(٤) الديوان ص ١٨٣/١.

(٥) محمد خلف الله أحمد، معالم التطور الحديث ص ١٠٠.

٢ ـ لغة الإمام الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ م ـ ١٩٠٥م):

لعل الحديث عن محمد عبده حديث طويل لكي نبين حياة الرجل وسيرته وكفاحه وفكره فضلاً عن لغته وأسلوبه وليس من القصد هنا أن نؤرخ لهذه الحياة الحافلة للرجل والعالم والمصلح(١) أو نحلل شخصيته أو نناقش آراءه في مختلف الميادين الإصلاحية التي اتجه إليها(٢). ولكن يهمنا في المقام الأول أن نبين أثر كتاباته ومكانها في تطور الفكر واللغة في هذه الفترة من تطور العربية في العصر الحديث. والحقيقة أن كتابات محمد عبده ترتبط ارتباطاً وثيقاً بظهور قالب فني من قوالب الكتابة الأدبية لم يعرفه أدبنا القديم وهو قالب المقالة الذي ارتبط ظهوره بنشأة الصحافة وتطور بتطورها. والمقالة كما نعلم تتناول موضوعاً محدداً وتعرضه بصورة مركزة ويتصل هذا الموضوع عادة بقضية حية ويتجه فيه الحديث إلى الجماعة ويخضع في آخر الأمر في لغته لمقتضيات الصحافة التي نشأ معها. وقد بدأت الكتابة في هذا الفن بأسلوب متكلف يحمل بعض آثار فترة الجمود، بل لقد بدأ محمد عبده نفسه الكتابة بهذا الأسلوب(٣).

وكان الإمام من أوائل الرواد الذين كتبوا في هذا الفن ولكنه سرعان ما شعر بعدم جدوى الكتابة بالطريقة التقليدية وآمن بضرورة التخلص من تلك الآفات اللغوية المعوقة للفكر وكان قد استجاب في ذلك لتوجيهات أستاذه جمال الدين الأفغاني في وجوب الترسل في الكتابة، فلما أسند إليه تحرير الوقائع المصرية في عهد الخديوي توفيق عمل على تخليص كتاباتها من التقليدية فكان يكتب كتابة موضوعية حية مرسلة تعد نماذج رائدة في هذا الصدد كما كان يحث كتاب الوقائع على أن يحذوا حذوه في الأخذ بهذه

(١) أرخ السيد رشيد رضا لحياة الامام وجمع آثاره في كتاب ضخم في ثلاثة مجلدات تحت عنوان: تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده. مطبعة المنار سنة ١٩٣١.

(٢) شارلز آدمز، الإسلام والتجديد في مصر ص ٣٩ ـ ١٣٦.

(٣) د. عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر ٢/٧٦ وما بعدها.

اللغة التي يكتب بها[1].

ولكي تكتمل أمامنا صورة حية للغة الإمام لابد أن نعرض بالتحليل اللغوي لإحدى مقالاته في موضوع من أهم الموضوعات التي كرس لها حياته[2]. وجهوده وهو صلة الإسلام بالعلم والمدنية في العصر الحديث، وقد نشرت دار الهلال له مجموعة من المقالات حول هذا الموضوع عام **١٩٦٠م** بتحقيق طاهر الطناجي وسنعتمد عليها في هذه الدراسة.

يقول الأستاذ الإمام «أما الديانة الإسلامية فقد وضع أساسها على طلب الغلبة والشوكة والافتتاح والعدة ورفض كل قانون يخالف شريعتها ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها، فالناظر في أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكماً لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول ملة حربية في العالم وأن يسبقوا جميع الملل إلى اختراع الآلات القاتلة وإتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجر الأثقال والهندسة وغيرها ومن تأمل في آية «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة» أيقن أن من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلبة وطلب كل وسيلة إلى ما يسهل له سبيلها، والسعي إليها بقدر الطاقة البشرية فضلاً عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه. ومن لاحظ أن الشرع الإسلامي حرم المراهنة إلا في السباقة والرماية انكشف مقدار رغبة الشارع في معرفة الفنون العسكرية والتمرين عليها.

ولكن مع كل ذلك تأخذه الدهشة من أحوال المتمسكين بهذا الدين لهذه الأوقات إذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون في طلب لوازمها وليست

---

(١) المرجع السابق ص **٧٢/٢**.

(٢) أنظر عرض لما تضمنته **بعض مقالاته** من آراء وأفكار في معالم التطور الحديث لأستاذنا محمد خلف الله أحمد ص ٦١ **وما بعدها**.

لهم عناية بالبراعة في فنون القتال لولا اختراع الآلات حتى فاقتهم الأمم سواهم فيما كان أول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون إليه من تلك الفنون والآلات وسقط كثير منه تحت سلطة مخاليفهم واستكانوا لها ورضخوا لأحكامها ومن وازن بين الديانتين[1] حار فكره كيف اخترع مدفع الكروب والمتراليوز وغيرهما بأيدي أبناء الديانة الأولى قبل الثانية وكيف وجدت البندقية مرتين في ديار الأولين قبل وجودها عند الآخرين، وكيف أحكمت الحصون ودرعت البواخر واخذت مغالق البحار بسواعد أهل السلامة والسلم دون أهل الغلبة والحرب، ولم لا يحار الحكيم وإن كان نطاسياً، ولم لا يقف الحديد البصر دون استكناه الحقيقة، هل القرون الخالية والأحقاب الماضية لم تكن كافية لرسوخ الديانتين في نفوس المتمسكين بعراهما »[2].

والباحث في لغة النص السابق لا يكاد يجد في ألفاظه أو تراكيبه لفظة في غير موضعها أو تركيباً خالف سنن العرب في صياغة الكلام وكل ما يراه من جده واختلاف راجع إلى طبيعة الفكر والعصر ومع ذلك نجد الإمام يستعمل بعض الألفاظ المعربة والمولدة كأنه يرسي قواعد في استعمال هذه الألفاظ. فهو لم يجد غضاضة في أن يستعمل كلمات دخيلة مثل: المتراليوز كما استعمل القدماء لفظي الكمياء والهندسة اللتين استعملهما أيضاً في النص السابق.

واستعمل أيضاً من الكلمات المولدة حديثاً لفظتي المدفع والباخرة، كما لم يجد حرجاً في استعمال تركيب مولد قديم وهو استكناه الحقيقة[3].

على أن براعة الإمام تظهر حقيقة في تطويع اللغة العربية لتناول

(١) يقصد المسيحية والإسلام.
(٢) الإسلام بين العلم والمدنية ص ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) أنظر شفاء الغليل ص ١٩١.

موضوعات وأنحاء من الفكر كانت قد مضت عليها قرون طويلة حتى نسيتها اللغة وباتت أسيرة هذا التكلف الذي رأيناه متمثلاً في لغة الجبرتي من قبل. ولم يكن اتجاه الإمام محمد عبده إلى الكتابة على هذه الصورة أمر عفوي وإنما كان ذلك بعد إمعان نظر وطول تدبر فيها وصلت إليه لغة الكتابة في عصره وقبل عصره، حيث أخذ يدعو إلى إصلاح اللغة وتنميتها وانتشالها مما تردت فيه من حضيض الزخرف والتكلف. فجعل ذلك أحد هدفين دعا إليهما في حياته: «الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى... أما الأمر الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرر سواء كانت في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ أو مترجماً من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس»(١).

كما حدد طريقة الوصول إلى ذلك والزمن اللازم لهذا العمل فقال «إن اللغة العربية في حاجة إلى إصلاح آخر فوق إصلاح التعليم لفنونها وآدابها واتقان الكتابة والخطابة فيها وهو ما فعله الفرنسيس وغيرهم من شعوب العالم في أدبه، من تأليف المجامع لوضع المعاجم اللغوية وتاريخ تطور اللغة وما دخل فيها من اصطلاح ومعرب وغيره والمعاجم العلمية وفلسفة البيان والانتقاد وغير ذلك» وكان مما قرره في هذا الصدد أن هذا النوع من الاصلاح لا يرجى لمصر بلوغ شأو الأوروبيين فيه إلا بالاشتغال الجدي مدة خمسين عاماً(٢). ولهذا حرص على أن يدير دروسه في مدرسة دار العلوم والأزهر حول طائفة من أمهات الكتب العربية القديمة التي لم تكن مألوفة في الدراسات التقليدية بالأزهر مثل: مقدمة ابن خلدون

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر ٢/٦٥.

(٢) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام ١/٩٢٦.

وأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني الذي اشترك مع الشيخ محمد محمود الشنقيطي في تصحيحه وتحقيقه(١) ونهج البلاغة للإمام علي وديوان الحماسة، كما كانت له محاولة موفقة في التأليف في علم التوحيد على طريقة تجمع بين أصالة المتقدمين وطرائق الفكر الحديث في فهم الدين فألف وهو بالمنفى ببيروت رسالة التوحيد(٢). وجعلها محور دروسه هناك ثم في الأزهر بعد رجوعه ولا تزال هذه الرسالة بمنهجها ولغتها مرجعاً معتمداً من مراجع اللغة والفكر الإسلامي في العصر الحديث.

ولاشك في أن هذه الجهود مجتمعة تجعل للأستاذ الامام مكاناً خاصاً في حركة البعث والإحياء بل التجديد اللغوي أيضاً في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهو في هذا يقترن بالبارودي في حركة إحياء الشعر أن لم يكن يفوقه نظراً لأصالة الموضوعات والأفكار التي بثها فيما كتب أو دبج من رسائل ومقالات، وهكذا عادت العربية في فترة البعث والإحياء إلى شيء كثير من سيرتها الأولى في لغة البارودي ومحمد عبده ولكن اتصالها بعصرها وطبيعة الفكر فيه كان أكثر وضوحاً في لغة النثر عنه في لغة الشعر ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الشعر الخاصة سواء من ناحية اللغة أم الوزن أم التراكيب.

ولم يكن هذا التطور الذي طرأ على العربية واستدعته ظروف الحضارة الحديثة في هذه الفترة مقصوراً على الاستعمال اللغوي وحده بل ساعدت عليه ودفعت به خطوات إلى الأمام مجموعة من الدراسات اللغوية الأصيلة تعتبر امتداداً للدراسات اللغوية القديمة وخاصة أن هذه الفترة شهدت

---

(١) قام بنشر الكتاب محمد رشيد رضا وطبع بمطبعة الموسوعات بالقاهرة عام ١٣٢٠ هـ. أنظر خاتمة الكتاب ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

(٢) نشرت في طبعة حديثة ومحققة عن دار الهلال بتحقيق طاهر الطناحي سنة ١٩٦٣، أنظر في ظروف تأليف هذه الرسالة مقدمة المحقق ص ١٢ ـ ١٤.

حركة التأليف في المعاجم اللغوية والتي كانت قد توقفت منذ أن أخرج الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) معجمه تاج العروس.

ففي عام ١٨٦٦م ظهر في لبنان أول معجم عربي حديث هو محيط المحيط لبطرس البستاني ثم تبعه بقطر المحيط وهو مختصر لهذا المعجم ثم توالى التأليف بعد ذلك في المعاجم فظهر أقرب الموارد في عام ١٨٨٩م ثم ظهر معجم الطالب لجرجس همام الشويري ١٩٠٧ م وأخرج الأب لويس المعلوت المنجد ١٩٠٨م. ولعل أهم ما يلفت نظر الباحث في هذه المعاجم بالإضافة إلى إحياء التأليف في هذا الفن الذي توقف فترة طويلة هو عنايتها جميعاً بالمصطلحات والألفاظ المولدة وكان أكثر من فعل ذلك بطرس البستاني في محيط المحيط.

وكانت هذه الجهود رافداً من الروافد التي غذت حركة الإحياء والبعث في اللغة والأدب في مصر، فقد كان الاتصال الثقافي مستمراً وكان بعض علماء لبنان وسوريا كالشدياق وصروف وتقلا وجورجي زيدان والبستاني والكواكبي ينزحون إلى مصر ويقومون بدور هام في حركة الإحياء والبعث، وفي الوقت نفسه كان بعض علماء مصر كالشيخ محمد عبده وعبد الله فكري يذهبون إلى سوريا ولبنان مجاهدين أو زائرين فيهرع للقائهم الباحثون والأدباء والكتاب فتزداد بهم حركة الفكر والثقافة نشاطاً وحيوية[1].

كما ظهرت في الوقت نفسه دراسات لغوية بجانب حركة المعاجم هذه أخذت تعالج مشكلات اللغة العربية من حيث المحافظة والتجديد والفصحى والعامية وسهولة الأسلوب وصعوبته والتعريب والتوليد

(١) محمد خلف الله أحمد، معالم التطور الحديث ص ١١٩ - ١٢٢.

والاشتقاق وغير ذلك من وسائل تنمية الثروة اللغوية وقد حمل لواء تلك الدراسات مجموعة من العلماء في مصر والشام كما سنرى في الفصل الثاني من هذا الباب الذي سنعقده للجهود الفردية في التوليد.

ومما يؤسف له أن حركة البعث والإحياء هذه والتي حملت في أحشائها بذور التجديد والابتكار لم يقدر لها أن تمضي بلا عقبات، فتوقفت عدة سنوات وخاصة بعد فشل الثورة العرابية واحتلال الانجليز لمصر عام **١٨٨٢م** وكان من أبرز مظاهر هذا الاحتلال تخلف التعليم في السنوات الأولى له وانخفاض ميزانية التعليم. أما من الناحية اللغوية فقد أخذت اللغة الإنجليزية تزاحم اللغة العربية في معاهد العلم وحوربت العربية ألواناً من الحرب شديدة فلم تعد وسيلة للتدريس وإنما حلت محلها الإنجليزية، كما مضت بعض الدعوات الخبيثة تطارد العربية خارج قاعات الدرس فظهرت دعوات من خبراء الاستعمار وبعض من خدع من العرب راحت تهاجم اللغة العربية وتنسب إلى المصريين التخلف والعجز بسببها ونادى بعضهم باتخاذ العامية لغة للتأليف العلمي والأدبي وإحلالها محل الفصحى في القراءة والكتابة(١).

وهكذا تعثرت حركة البعث والإحياء وتناقص عدد المتعلمين ووجدت العربية صعوبات وعراقيل ولكن سرعان ما استعاد الوعي القومي قوته ويقظته التي نبتت منذ احتلال الفرنسيين لمصر وارتفع صوت مصطفى كامل منادياً بالجلاء وهبت مصر في ثورة بلغت ذروتها في الربع الأول من القرن العشرين بقيام ثورة **١٩١٩م** ومن ثم بدأت مرحلة جديدة في التطور الاجتماعي والثقافي واللغوي في مصر، هي مرحلة الابداع والابتكار دخلت فيها اللغة العربية المرحلة المعاصرة بما انتجه الكتاب والأدباء في فنون المسرح والقصة والرواية والمقالة، وفيها استكملت العربية الحديثة

---

(١) دكتورة نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر ص ٧٥ وما بعدها.

خصائصها وسماتها المعاصرة.

ثالثاً ـ مرحلة التجديد والابتكار:

إن الباحث في هذه الفترة من تاريخ التطور الحضاري والثقافي لمصر ليأخذه العجب حقيقة من ظهور مجموعة ضخمة من العمالقة في كافة ميادين الحياة السياسية والفكرية والعلمية والأدبية وفي الصحافة والمسرح والموسيقى وغير ذلك[1]. بالإضافة إلى تعدد منابر الكتابة والخطابة والرأي، فنمت الحياة الثقافية والحضارية نمواً لم تشهده من قبل وكان هذه النمو نتيجة لعدة عوامل من أهمها نشأة الجامعة المصرية وتدعيمها واتضاح شخصيتها بعد عودة طلائع مبعوثيها من الخارج وإسهامهم بنشاط واسع في الحياة الثقافية، وكان من ألمع هؤلاء الدكتور طه حسين. كما كان من أسباب تدعيم الجامعة واتضاح شخصيتها وضعها تحت إشراف الدولةعام **١٩٢٥م**. كذلك كان من مظاهر هذا النمو خلال تلك الفترة إصلاح الأزهر وإنشاء كلياته المتخصصة وتوسع الدولة في التعليم العام وتعليم المرأة وايفاد كثير من البعثات إلى الخارج وإنشاء بنك مصر بفروعه

---

(١) ـ في السياسة: مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول.

ـ في الشعر: شوقي وحافظ وأحمد محرم ومحمد عبد المطلب علي محمود طه وإبراهيم ناجي وخليل مطران وعبد الرحمن شكري.

ـ في الأدب والفكر: طه حسين ولطفي السيد والعقاد وتوفيق الحكيم والمازني وعبد العزيز البشري والزيات والرافعي والمنفلوطي وزكي مبارك وأحمد أمين.

ـ في الصحافة: عبد القادر حمزة ومحمد حسنين هيكل والشيخ علي يوسف ومحمود عزمي.

ـ في الطب والعلوم: نجيب محفوظ وعلي إبراهيم ومصطفى مشرفه.

ـ في القضاء: السنهوري وعبد الحميد بدوي.

ـ في قراءة القرآن: الشيخ رفعت والشيخ علي محمود والشيخ أحمد ندا.

ـ في المسرح والموسيقى والغناء والسينما: سيد درويش، نجيب الريحاني والشيخ سلامة حجازي ويوسف وهبي وجورج أبيض وأم كلثوم وعزيز عيد ومحمد عبد الوهاب ومحمد كريم وعزيزة أمير.

وشركاته الذي شارك الحكومة في إرسال طائفة من أبناء الأمة للتخصص في فنون مختلفة من الصناعة[1].

على أن هناك أجهزة أخرى غير الأجهزة التعليمية الرسمية قد أسهمت بشكل واضح في هذا النمو الثقافي والحضاري وكانت الصحافة من أهم تلك الأجهزة إذ انتشرت على نطاق واسع بعد نشأة الأحزاب السياسية فأنشأ كل حزب صحيفة له أو أكثر من صحيفة لخدمة أغراضه والدعوة لمبادئه. ولم يكن نشاط هذه الصحف مقصوراً على الفكر السياسي وحده بل أعطت اهتماماً للنواحي الثقافية والفنية والأدبية وكان لبعض تلك الصحف كتاب، هم أساساً من الرواد الثقافين في تلك المرحلة. فكان لحزب الوفد من الصحف البلاغ وكوكب الشرق والبلاغ الأسبوعي وكان لهم من الكتاب العقاد وسلامة موسى وعبد القادر حمزه، كذلك كان لحزب الأحرار من الصحف : السياسة والسياسة الأسبوعية، كما كان لهم من الكتاب طه حسين ومحمد حسنين هيكل ومحمود عزمي[2].

على أن الأمر لم يقتصر على هذه الصحف الحزبية وحدها بل كانت هناك صحافة ثقافية مثل الهلال والمقتطف، وكان يغلب على الأولى الطابع الأدبي وعلى الثانية الطابع العلمي وأصحاب كل من المجلتين من المهاجرين الشاميين كما ولدت في تلك الفترة صحافة ثقافية وأدبية خالصة أدت خدمات جليلة ويعتبر ميلادها بحق مرحلة تجديد وابتكار بما كتب فيها بأقلام عربية وقد تمثل هذا النوع من الصحافة في مجلات الرسالة والثقافة والرواية وأبوللو وغيرها.

كما وجد جهاز آخر بعد الصحافة لاشك أنه قد أسهم بدور كبير في

---

(١) دكتور أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر ص ٢٤٤.

(٢) د. ابراهيم عبده، تطور الصحافة في مصر ص ٢٣٦ وما بعدها.، د. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث ص ٢٤٥.

تنمية الحياة الثقافية في تلك الفترة وهو المسرح، الذي زاد الاهتمام به، فأنشئت الفرقة القومية وجعل على رأسها الشاعر خليل مطران، كما أنشأ يوسف وهبي فرقة رمسيس وكان صوت سيد درويش وموسيقاه ومسرحياته من قبل قد ملأت أسماع وأفئدة المصريين واشتهر مسرح نجيب الريحاني، وقد أسهم هذا النشاط المسرحي الخصب في افساح آفاق المشاهد والمؤلف على السواء، فنضجت المسرحية العربية وأصبح لها كتاب يبتكرون في هذا الأسلوب مسرحيات مصرية خالصة مثل توفيق الحكيم. ولا يمكن في هذا المجال أن نغفل دور السينما فقد دخلت لأول مرة إلى مصر في تلك الفترة إلا أنها سرعان ما نشأ جيل من السينمائيين أسهم في خلق الفيلم المصري، وكانت السينما من أخطر الأدوات الثقافية التي شهدت ميلادها هذه الفترة لاتصالها بقطاع كبير من الناس أشركتهم في قضايا فكرية واجتماعية زادت من معرفتهم وثقافتهم كذلك فقد دخل المذياع إلى مصر لأول مرة في هذه الفترة أيضاً وبدء بمحطات أهلية، وما لبث أن خضع لاشراف الدولة واهتم بالمواد الثقافية عن طريق البرامج والأحاديث والتمثيليات بل تجاوز ذلك إلى الاهتمام بالمواد الأدبية الخالصة: كالشعر والقصة والنقد.

وقد يطول بنا المقام لو أننا أخذنا نتتبع النمو الثقافي والحضاري الذي شهدته الحياة العربية وخاصة في مصر في هذه الفترة وصفوة القول أن هذه المرحلة كانت محصلة المراحل السابقة جميعاً، ذلك لأن معظم هذه الأجهزة الثقافية والعلمية مما نقل إلى الشرق عن طريق الغرب، غير أن هذه المرحلة تمتاز بأنها طبعت هذه الأجهزة جميعاً بطابع من التجديد والابتكار بحيث أصبحت وكأنها جزء من تطورنا الحضاري وأقصد بذلك ما كانت تذيعه هذه الأجهزة من مواد ثقافية امتازت في تلك الفترة بأنها مصرية أو عربية خالصة. وقد عكس أدب تلك الفترة هذا الطابع القومي ومثل أهم

معالمها النفسية والثقافية والفكرية[1].

فهو أولاً قد سجل الشعور باستقلال الشخصية كما صور ثانياً الإحساس بالفردية وهو ثالثاً قد جسم روح الابتكار والتجديد المتطلعة إلى التغير الحضاري، كما مثل أخيراً روح التطرف في الشعور بالاستقلال فترددت نداءات مصر للمصريين والدعوة إلى الرجوع إلى الأصول الفرعونية والثورة على الانتماء للعالم الإسلامي وغير ذلك من الدعوات إلى التي إن دلت على شيء فإنما تدل على الشعور بالاستقلال والنضج أكثر من أي شيء آخر. ومن ثم كان هناك صراع اشتعل أواره وتبلور بعد ذلك في ثلاثة اتجاهات واضحة هي:

١ ـ الاتجاه المحافظ وهو يمثل الامتداد الطبيعي للمرحلة السابقة ويمثله في الأدب الشعراء: إسماعيل صبري وأحمد شوقي وحافظ خليل مطران والمنفلوطي والرافعي.

٢ ـ الاتجاه التجديدي ويمثله في الشعر العقاد وشكري والمازني ومن الكتاب طه حسين وتوفيق الحكيم ولطفي السيد وهيكل.

٣ ـ الاتجاه المتطرف ويدعو إلى الارتماء في أحضان الحضارة الغربية ويمثله من الكتاب سلامة موسى.

وقد انعكس ذلك الصراع على اللغة العربية إذ هي الوعاء الذي احتوى هذا الصراع الثقافي والفكري والاجتماعي، ومن ثم دخلت هذه اللغة في هذه الفترة امتحاناً عصيباً تمثل في السؤال التالي:

هل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون في العصر الحديث؟

وعلى الرغم من أن العربية قد أجابت على جزء كبير من هذا التساؤل كما تمثله جهود رفاعة الطهطاوي ومن أتى بعده من المترجمين والعلماء

(١) دكتور أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر ص ٢٥٠ ـ ٢٥٦.

والكتاب ومن قبل ذلك في فترة العصر الذهبي لها أيام العباسيين إلا أن نزعة الابتكار والتجديد التي ميزت تلك الفترة بالاضافة إلى التقدم العلمي والفني الذي أصابه العالم الغربي قد أعاد طرح هذا التساؤل بشكل حاد عن ذي قبل.

والحق أنه على الرغم من المناقشات العنيفة التي دارت من خلال الاتجاهات الثلاثة السابقة للاجابة عن هذاالتساؤل والتي لم تكن دوافعها لغوية خالصة بل لعبت فيها السياسة والاجتماع دوراً بارزاً على الرغم من ذلك فإن ما كسبته اللغة العربية بعد انقشاع سحب هذا الحوار العنيف يعتبر نقطة تحول في حياة هذه اللغة.

فكما انقسم الرأي في الحياة الثقافية والأدبية في تلك الفترة إلى تلك الاتجاهات الثلاثة المحافظ والتجديدي والمتطرف انقسم الرأي في تطوير اللغة العربية إلى هذه الاتجاهات الثلاثة نفسها وتعكس المناقشات التي دارت في أولى جلسات مجمع اللغة العربية الذي أنشيء في هذه الفترة كجزء من الإجابة على هذا التساؤل تعكس الاتجاهين المحافظ والتجديد بشكل واضح كما سنرى ذلك بالتفصيل في الفصل الذي سنعقده لمجمع اللغة العربية في مصر وقضية المولد.

أما الاتجاه الثالث فقد اتخذ شكل مواجعة لغوية بين الفصحى والعامية إذ جمح البعض فدعا إلى اصطناع اللغة العامية وإحلالها في المجال الفكري والأدبي محل العربية الفصحى وردد تلك الدعوة طائفة من المتطرفين من أشهرهم « سلامة موسى » وكان قد سبقهم إليها بعض العلماء والخبراء الأوروبيين الذين لا ترتفع دعوتهم إلى ذلك عن مستوى الشبهات[1].

---

(١) أنظر مثالاً من كتابات سلامة موسى حول إحلال العامية محل الفصحى في:

١ ـ مجلة الهلال عدد يوليو ١٩٢٦.

٢ ـ كتاب البلاغة العصرية واللغة العربية، الطبعة الثانية، المطبعة العصرية سنة ١٩٥٣م.

وعلى الرغم من أن الضمير القومي قد رفض التخلي عن الفصحى إلا أنه عجز عن التصدي لفرض اللغة العربية في المجال العلمي فعزلت تماماً عن هذا المجال حتى اعترف بعض الغيورين على اللغة العربية بقصورها عن آداء العلوم الحديثة مالم تبذل في سبيل ذلك جهود مخلصة لعلاج هذا القصور، ويمكن القول بأن الشعور بمحنة العربية في هذا المجال قد بدء منذ أغلقت المعاهد العلمية ومدرسة الألسن في عصر سعيد عام ١٨٦٠م فدعا أحمد فارس الشدياق في مجلة الجوائب إلى أن تتآزر جهود العلماء لتعريب المصطلحات في العلوم والفنون وحمل هذه الدعوة من بعده عبد الله فكري ثم تولاها عبد الله النديم(١).

وفي عام١٩٠٠م كتب إبراهيم اليازجي في مجلة الضياء سلسلة مقالات طالب فيها بتعريب المصطلحات العلمية فقال « إذا نظرنا إلى حال الأمة العربية في هذا العهد وما انتشر فيها من التمدين الغربي وجدنا أنها قد أفضت إلى حال انتقلت فيها عن أفقها دفعة واحدة وهجمت على تمدن فجائي قد نبتت في غير أرضها. . . فوجدت بين أيدها من أنواع الملبس والمفرش والماعون وأدوات الترف والزينة ومصطلحات العلم والتجارة والصناعة والسياسة وفنون الأحاديث والتصورات وغير ذلك ما هو مباين لما عندها، وأصبح الكاتب فيها مضطراً إلى وضع مئات وبل الآلاف من الأسماء التي لا يجد لها رديفاً في لسانه. . . . فإذا لم نبادر إلى سن طريق يمكن بها وضع ألفاظ لهذه المستحدثات أو سبك ألفاظها في قالب عربي لا تتشوه به هيئة اللغة لم نلبث أن نرى الأقلام قد تقيدت عن الكتابة في هذه الأمور بتة أو أصبح أكثر اللغة أعجمياً »(٢).

=وعن تفاصيل تاريخ الدعوة إلى العامية أنظر: دكتورة نفوسة زكريا تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر.

(١) محمد خلف الله أحمد، معالم التطور الحديث ص ٦، ٥٧، ١١٧.

(٢) مجلة الضياء، ابريل سنة ١٩٠٠ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

على أن الدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى في هذه المرحلة طرحت موضوع قصور اللغة العربية عن ملاحقه التطور العلمي بشكل حاد وكانت النتيجة في صالح اللغة العربية إذ أنبرت مجموعة من العلماء تحاول نفي هذا القصور عن اللغة فشهدت هذه المرحلة سواء في مصر أو العالم العربي ظهور مجموعة من المعاجم العلمية من أشهرها معجم الدكتور محمد شرف بالإنجليزية والعربية في العلوم الطبية والكيمياء والطبيعة والنبات ومعجم الحيوان والمعجم الفلكي لأمين المعلوف ومعجم أسماء النباتات للدكتور أحمد عيسى ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي.

كما نشرت صحف ومجلات هذه المرحلة وخاصة مجلات المجامع اللغوية والمقتطف بحوثاً تناولت فيها الكثير من المصطلحات العلمية العربية أو المعربة واشتغل عدد من أعلام العصر بتحقيقات لغوية للألفاظ العلمية وتألفت لجان في مجامع مصر وسوريا والعراق لوضع مصطلحات علمية وتعريب المصطلحات العسكرية(1). وما تزال لجان المصطلحات العلمية حتى يومنا هذا تتابع عقد جلساتها ومؤتمراها وتثبت في تقاريرها ما يستقر عليه الرأي من مصطلحات معربة أو مترجمة.

ومع كل هذا الجهد بقيت الكليات العلمية في جامعاتنا حتى اليوم بمعزل عن هذا كله وتابعت التدريس في الطب والصيدلة والهندسة والطبيعة والرياضة باللغة الإنجليزية وكأن الجامعات في واد وجهود العلماء والمجامع اللغوية في هذا السبيل في واد آخر وذلك باستثناء كلية الطب في الجامعة السورية التي أخذت تدرس الطب بالعربية واستطاع بعض أساتذتها أن يؤلفوا كتباً في فروع الطب المختلفة باللغة العربية، ومن

---

(1) الأمير مصطفى الشهابي، **المصطلحات العلمية في اللغة العربية** ص ٥٥ وما بعدها، وانظ د. مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق ص ٥٢ وما بعدها.

العجيب حقاً أن نرى مؤلفات علمية في هذه الفروع من العلم تكتب باللغة الفارسية الحديثة، وكانت هذه اللغة من قبل عالة على العربية في مصطلحاتها العلمية(١).

كما كان من أثر القصور الذي شعر به الكتاب والعلماء في هذه الفترة ظهور عدة دراسات هامة تناولت مشكلات اللغة العربية وانحصرت هذه الدراسات في المشكلات الآتية:

١ - مشكلة النحو والصرف.

٢ - مشكلة المعجم والمفردات.

٣ - مشكلة الإملاء والحروف(٢).

وقد انقسم الرأي حول تلك المشكلات إلى اتجاهين:

الأولى ينادي بالتيسير والتخفيف من قواعد العربية القديمة سواء في النحو أم الصرف أم الإملاء والكتابة.

الثاني ينادي بالتخلي عن حركات الإعراب والسماح بدخول الكلمات الأجنبية وإحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية في الكتابة، وغالباً ما كانت تأتي صيحات أصحاب هذا الاتجاه من أوساط الداعين إلى إحلال العامية محل الفصحى.

غير أن هذا الانقسام في الرأي حول تطوير اللغة العربية إنما جاء مع نهاية هذه المرحلة وبداية المرحلة المعاصرة حيث اتخذ شكلاً معتدلاً مع وضح الانتماء العربي والإسلامي لمصر بعد تلك الدعوات التي نادت أحياناً

---

(١) أهدت جامعة طهران إلى جامعة الإسكندرية هذا العام (١٩٧٥) مجموعة ضخمة من الكتب بلغت حوالي ٤٥٠ كتاباً معظمها في الطب والصيدلة والهندسة والعلوم الرياضية والكمياء والطبيعة وكلها مكتوبة باللغة الفارسية.

(٢) أنظر جهود مجمع اللغة العربية في هذه المشكتلا في كتاب « مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً » للدكتور ابراهيم بيومي مدكور.

بانتمائها إلى الغرب وبالتالي تأكدت صلة العربية بتراثها القديم من ناحية وحاجتها إلى ملاحقة التطور الحضاري الحديث من ناحية أخرى وتبلور ذلك في اتجاه معتدل لا يرفض القديم ولا يقبل كل ما يأتي به الجديد من تغير وتطور في حياة هذه اللغة. وأصبح المطلوب الآن هو ذلك التطور الهادىء المطمئن بعيداً عن العامل الثوري الذي يدفع اللغة إلى التغير والتطور حتى تكاد تنسلخ عن خصائصها العريقة كما لا يدع عـامل المحافظة الذي يبقى على اللغة كما ورثت عن الأجداد والأسلاف مسيطراً عليها فيحول بينها وبين التطور والنماء[1].

وهنا ينبغي الإشارة الى أن فكرة التطور اللغوي وخاصة فيمايتصل بتطور العربية القديمة لم تكن من الأفكار المطروحة قبل مرحلة الابتكار والتجديد، حقاً لقد فطن بعض اللغويين القدماء إلى بعض جوانب من التطور اللغوي ونمو اللغة كما أشرنا إلى ذلك في صدر هذا البحث ولكن ذلك لم يكن منهجاً عاماً ونظرة كلية وجهت دراساتهم في هذا المجال وليس ذلك عن قصور منهم ولكنه يرجع إلى طبيعة المرحلة التي عاشوا فيها حتى إذا ما فتحت الجامعة المصرية وعاد مبعوثوها من الخارج وقد تعرفوا على مناهج الدرس اللغوي الحديث وبدأت فكرة التطور اللغوي تأخذ طريقها من خلال الجامعة إلى الفكر اللغوي بشكل عام وأخذ الدارسون ينظرون إلى اللغة العربية على ضوء هذه المناهج وبالتالي رجحت كفة التطوير على كفة التطور الذي يأخذ اللغة حيث لا يعرف أحد إلى أين سيقف بها.

وهكذا نلاحظ أن العربية في الوقت الذي كانت تدفعها فيه حاجات فكرية وحضارية جدت في المجتمع العـربي في هذه الفتـرة إلى النمو والتطور، كانت هناك أيضاً دعوات لتطوير اللغة العربية بحيث تصبح ملائمة لمطالب العلوم والفنون الحديثة.

---

(١) Dramest eter, la vie des Motes. P. 6.

هذا من ناحية الدراسات اللغوية أما من ناحية التطور الطبيعي للغة وللاستعمال اللغوي في هذه الفترة فيظهر ذلك في الكتابات المختلفة من أدبية وعلمية وصحفية حيث شاع أحياناً استعمال بعض الألفاظ الدخيلة والمعربة والمولّدة كما دخلت نتيجة للاتصال الحضاري ونمو حركة الترجمة عن الغرب كثير من العبارات والتراكيب المولّدة بالترجمة وخاصة من اللغات الأوربية الحديثة كالإنجليزية والفرنسية[1] كما تسرب بعض الأخطاء في الاستعمال فظهرت في تلك الفترة بعض المؤلفات أخذت تقاوم هذا التطور في الاستعمال اللغوي وخاصة في لغة الصحافة[2].

أما في اللغة المنطوقة فقد طرأت بعض التغيرات الصوتية على بعض أصوات اللغة العربية حتى على ألسنة بعض المثقفين من الرجال والنساء وغير ذلك من مظاهر التطور اللغوي. أما فيما يتصل بدعوى التطوير فقد حمل عبء القيام بها الأفراد والمجاميع اللغوية على السواء وكان جهد الأفراد في هذه المرحلة وما قبلها من مراحل سابقة على جهد المجامع اللغوية التي لم تنشأ إلا في فترة متأخرة نسبياً فأقدم هذه المجامع هو المجمع العلمي العربي بدمشق وانشيء عام ١٩١٩م، ثم انشيء بعد ذلك مجمع اللغة العربية في مصر عام ١٩٣٢م ثم مجمع اللغة في العراق عام ١٩٤٧م.

ولعله من المناسب الآن أن نتساءل عن الدور الذي قام به التوليد اللغوي في تنمية الثروة اللغوية خلال هذه المراحل الثلاث السابقة من التطور الحضاري والفكري في مصر والعالم العربي.

والحق أن التوليد كما سنرى قام بدور بارز في هذاالشأن وكان من الطرق الفعالة التي ساعدت على النمو اللغوي فلجأ إليه الأفراد والمجامع

---

(١) راجع الفصل الأول من هذا الباب.

(٢) وأنظر على سبيل المثال، ابراهيم اليازجي، لغة الجرائد ص ٢ وما بعدها. أسعد داغر، تذكرة الكاتب ص ١٠ وما بعدها.

على السواء طوال هذه المراحل الثلاث وتحمل الجهد الفردي في البداية العبء الأكبر وخاصة في المرحلتين الأولى والثانية. أما المجامع اللغوية فقد وقع عليها هذا العبء منذ المرحلة الثالثة وحتى الآن. والحقيقة أن جهد الأفراد في مجال التوليد جهد كبير جدير بالدراسة والبحث والتقويم ومن ثم خصصنا لهذا الجهد فصلاً مستقلاً وهو موضوع الفصل الثاني من هذا الباب.

الفصل الثاني

الجهود الفردية في التوليد

الحقيقة أن التوليد اللغوي هو حركة نمو متصلة الأسباب تكاد لا تنقطع في زمن من الأزمنة، غير أنها كانت تختلف قوة واتساعاً من عصر إلى عصر كما رأينا خلال هذا البحث، ولعل العصر الذهبي للعربية أيام بني العباس وعصر النهضة الحديثة منذ بداية القرن الماضي هي أكثر عصور العربية إنتاجاً في هذا المضمار، ففي كليهما نشأت حاجات فكرية واجتماعية وحضارية دفعت الأقلام فضلاً عن الألسنة إلى توليد كثير من الألفاظ لسد تلك الحاجات بألفاظ وتراكيب لم ترو عمن يحتج بكلامهم من العرب القدماء وهنا نلاحظ أن نظرة اللغويين القدماء إلى هذه المولدات يختلف عن نظر زملائهم من المحدثين، فالقدماء فيما عدا الشهاب الخفاجي لم يفتحوا لهاحرم اللغة للدخول ضمن الثروة اللغوية ولذا بقي معظمها خارج هذا الحرم موصوماً بكلمة « مولّد » وكانوا أحياناً إذا ذكروا المولد ذكروه على أنه غير عربي الأصل. وهكذا لم يعتد اللغويون القدماء بالتطور اللغوي عن طريق التوليد حتى ولو ورد هذا المولد في كلام كبار الكتاب والشعراء، وظل الأمر على هذا النحو حتى بداية النهضة الحديثة في القرن الماضي حيث كان الشعور بضرورة مسايرة اللغة للفكر واضحاً منذ بدء هذه النهضة وعلى طوال المراحل الثلاث التي مرت بها كما رأينا في الفصل السابق من هذا الباب حيث وقع عبء تطوير العربية لمسايرة الفكر والحضارة الحديثة على كاهل الأفراد في البداية، ثم تولته بعد ذلك في

المرحلة الأخيرة والمعاصرة المجامع اللغوية بعد إنشائها. ولم يكن هدا العبءمقصوراً على المصريين وحدهم بل شارك فيه من العالم العربي كثير من الأفراد وخاصة في نهاية القرن الماضي والربع الأول من القرن العشرين وأبادر فأقول إن استقصاء عمل الأفراد في مجال التوليد اللغوي في العالم العربي أمر يحتاج إلى بحث مفرد لإحصاء عمل هؤلاء الأفراد على وجه الدقة والشمول.

ففي مصر تألقت في هذا المجال أسماء منذ القرن الماضي يأتي على رأسهم رفاعة الطهطاوي كما شارك في هذا الجهد بعض من نزح من العالم الإسلامي أو من العالم العربي مثل أحمد فارس الشدياق وإبراهيم اليازجي، كما نجد في القرن العشرين أسماء أحمد تيمور وأحمد عيسى وبشر فارس ومحمود تيمور ممن شاركوا في هذا الجهد. وفي لبنان نجد مجموعة ضخمة أضافت إلى حركة التوليد دماً جديداً منهم خليل اليازجي وبطرس البستاني ونجيب حداد وشاكر شقير وسعيد الشرتوني وسليمان البستاني وبشارة زلزل وخليل سعادة وأمين المعلوف. وفي سوريا يلمع اسم الأمير مصطفى الشهابي وفي العراق أحمد رضا الشبيبي وأنستاس الكرملي. وفي فلسطين خليل السكاكيني وغيرهم من الكتاب والعلماء والمترجمين وعلى ذلك سنكتفي هنا بذكر جهود سبعة من هؤلاء الأفراد تغطي جهودهم القرن الماضي والقرن العشرين حتى قيام المجامع اللغوية، وهم: رفاعة الطهطاوي - أحمد فارس الشدياق - إبراهيم اليازجي - إنستاس ماري الكرملي - أحمد تيمور - الأمير مصطفى الشهابي - وأخيراً محمود تيمور باعتباره خاتمة هذا الرعيل الذي أعطى للتوليد اللغوي اهتماماً عن طريق وضع ألفاظ لمسميات حديثة.

١ - رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣ م):

كان رفاعه الطهطاوي(١) هو المبعوث الوحيد الذي تخصص في الترجمة من بين أعضاء البعثة العلمية الثانية التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا(٢). ومن ثم واجهته العديد من المشاكل اللغوية وهو يحاول أن ينقل إلى العربية بعض آثار الفكر الأوروبي الحديث وخاصة بعد عودته إلى مصر وإنشاء مدرسة الألسن وقلم الترجمة(٣). وذلك لأن العربية كما رأينا من قبل كانت قد بلغت درجة من الجمود والتدهور وانقطاع صلتها بالتطور الحضاري حداً بعيداً، وعلى ذلك لم تكن اللغة العربية لتسعف المترجم أو الكاتب الذي يريد أن يكتب أو يترجم فيما له أدنى اتصال بالحضارة الغربية التي حفلت بكثير من المسميات الجديدة للأشياء والأدوات الحضارية الحديثة فضلاً عن الآفاق الفكرية والعلمية التي فتحتها هذه الحضارة.

وفي مواجهة هذا النقص الذي أحس به رفاعة قبل غيره وهو ما يزال بعد في فرنسا يتخصص في الترجمة ويترجم مختلف العلوم والفنون فأحوجه هذا النقص أن يترجم « الجملة بجمل والكلمة بجملة ولكن من غير أن يقع في الخلط بل هو دائماً محافظ على روح المعنى الأصلي وقد عرف الشيخ الآن أنه إذا أراد أن يترجم كتب علوم فلابد أن يترك التقطيع وعليه أن

---

(١) أنظر ترجمة حياته وثقافته وجهوده العلمية في:
١ ـ علي مبارك، الخطط التوفيقية ١٣/٥٣ ـ ٥٤.
٢ ـ جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ص ٥٢ وما بعدها..
٣ ـ د. الشيال، تاريخ الترجمة في عصر محمد علي ص ١٢٠ وما بعدها.
٤ ـ د. أحمد بدوي، رفاعة الطهطاوي ص ١٢ وما بعدها.
٥ ـ محمد خلف الله أحمد، معالم التطور الحديث ص ١١.
٦ ـ د. مهدي علام وآخرون، مقدمة تخليص الابريز ص ٣ وما بعدها.
٧ ـ كتاب مهرجان رفاعة الطهطاوي ص ٣١ وما بعدها.
(٢) عمر طوسون، تاريخ البعثات العلمية في عصر محمد علي ص ١٧، ٢٨.
(٣) د. الشيال، تاريخ الترجمة ص ٣٨ ـ ٤٤.

يخترع عند الحاجة تغيراً مناسباً للمقصود »[1].

فلما عاد إلى مصر وبدأ يراجع بعض الكتب التي ترجمها في فرنسا ويعدها للطبع أحس بهذا النقص إحساساً قوياً وعبر عنه في أول كتاب طبع له وهو كتاب المعادن النافعة الذي طبع في بولاق سنة **١٢٤٨** هـ بعد عـودة رفاعة حيث يقول في مقدمته « وقد فسرت مفرداته على حسب ما ظهر لي بالفحص التام وما تعاصى منها حفظت لفظة ورسمته كما يمكن كتابته به وربما أدخلت بعض تفسيرات لطيفة والعذر لي إذا زل قدم ترجمتي في بعض التفاسير لأن اللغة الفرنساوية لم يفض ختامها إلى الآن بقاموس شاف مترجم »[2].

ويبدو أن رفاعة قد فكر منذ ذلك الوقت في سد هذا النقص في اللغة العربية وتخلفها عن الفرنسية في ميدان المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية فبدأ في وضع نواة لقاموس عربي فرنسي فعندما قدم كتابه الثاني « قلائد المفاخر » إلى المطبعة في السنة الثانية لظهور كتابه الأول وضع في أوله قـاموسـاً صغيراً يشرح ما ورد به من ألفاظ غريبة، كما دعا غيره من المترجمين أن ينهجوا نهجه فيلحق كل منهم بكل كتاب يترجمه قاموساً من هذا النوع حتى إذا ما مضى بعض الوقت كان للعربية من جهودهم قاموس علمي « مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو الترك »[3].

وكان مقصد رفاعة من وراء تقدم هذا المعجم تنمية اللغة العربية يقول « ولما كانت هذه الألفاظ في الأغلب أعجمية لم ترتب إلى الآن في

---

(١) تخليص الابريز ص **٢٤٩**.

(٢) المعادن النافعة ص **٣** عن تاريخ الترجمة ص ٨٨، د. أحمد بـدوي، رفاعـة الطهـطاوي ص ٢٨٧.

(٣) قلائد المفاخر ص ٢.

كتب اللغة العربية وكان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها عربناها بأسهل ما يمكن التلفظ به فيها على وجه التقريب حتى أنه يمكن أن يعتبر على مدا[١] الأيـام دخيلة في لغتنا كغيـرهـا من الألفـاظ المعـربـة عن الفـارسيـة واليونانية »[٢].

ويبدو أن رفاعة لم يكن يفرق بـين المعرب والدخيل ويفهم ذلك من كلامه في مقدمة الكتاب ومن معجم الألفاظ التي أوردهـا في صدره ومعظمها أسماء ممالك وبلدان وبحار وطوائف من الناس وبعض أسماء الأعلام ثم طائفة قليلة من أسماء الأشياء ومصطلحات العلوم حيث نجده يحرص من إثباتها مضبوطة حسب النطق الفرنسي ولكن على طـريقة المعاجم العربية القدمية مع ابدال الحروف اللاتينية بحروف عربية، فنراه مثلاً يقول في التعريف بلفظ المان « المان بفتح الهمزة وسكون اللام فميم بعدها ألف فنون، أمم من بلاد المانية »[٣].

وليس يعنينا هنا طريقة رفاعة في تعريب أسماء البلاد والأشخاص مثل تعريبه ابريزيله اسلنده ـ باسيفيك ـ بريطانيا ـ سويد شتلند ـ فرموزا ـ . . . الخ[٤] ومع ذلك فقد درس الدكتور أحمد بدوي طريقة رفاعة في التعريب بشكل دقيق[٥] ولكن يهمنا الدور الذي قام به التوليد اللغوي في جهود رفاعة في تنمية اللغة العربية.

والحقيقة أنه يمكن دراسة جهود رفاعة في ميدان التوليد اللغوي من خلال قسمين رئيسيين هما:

---

(١) هكذا في النص.
(٢) قلائد المفاخر ص ٢.
(٣) المصدر السابق ص ٧.
(٤) قلائد المفاخر صفحات ٢، ٤، ٢٣، ٢٧، ٥٢، ٥٧ على التوالي.
(٥) راجع د. أحمد بدوي، رفاعة الطهطاوي ص ٥٦ وما بعدها.

أولاً ـ التوليد المقصود ويسري ذلك على معظم مصطلحات العلوم والفنون التي وجد لها رفاعة في العربية ألفاظاً تؤدي معناها وكان منهجه في توليد هذا النوع من الألفاظ أن يبحث أولاً في اللغة العربية عن لفظ يمكن أن يستخدمه في الدلالة على ما يريد سواء تم له ذلك عن طريق نقل الدلالة أو توسيعها أو تضييقها أو الاشتقاق الجديد من المادة العربية وأحياناً يشتق من الكلمات الأجنبية، ويدل على ذلك قوله بعد أن وصف أنواعاً من المسارح أو كما قال (السبكتاكل Spectacle) « ولا أعرف اسماً عربياً يليق بمعنى سبكاتل أو التياتر غير أن لفظة سبكتاكل معناه منظر أو منتزه أو نحو ذلك ولفظ تياتر معناه الأصلي كذلك، ثم سمى بها اللعب ومحله وتعرب أن يكون نظيرها أهل اللعب المسمى خيالياً بل الخيالي نوع منها... ولا مانع أن تترجم لفظة تياتر أو سبكاتكل بلفظ خيالي ويتوسع في معنى هذه الكلمة »[1].

بهذه الطريقة أغنى رفاعة اللغة العربية بكثير من المصطلحات والألفاظ وإن لم يفطن إلى أن عمله هذا يعتبر توليداً مثلما فطن إلى عملية التعريب. والحقيقة أن الأمثلة على مولدات رفاعة أكثر من أن تحصى وهي بحق جديرة بالدراسة اللغوية التاريخية كما أشار إلى ذلك أستاذنا محمد خلف الله أحمد[2]. وعلى ذلك سنكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة من مولداته مما وردت في كتاب واحد من كتبه هو « تخليص الابريز » باعتبار أن الكتاب يعكس صورة دقيقة وأمينة لفكر رفاعة وآرائه في الحضارة الغربية كما رآها بنفسه أثناء بعثته في فرنسا، ومن ناحية أخرى لأن الكتاب يجمع بين دفتيه كثيراً من الكلمات الجديدة التي وضعها رفاعة ودخلت ضمن معجمه اللغوي الذي استعمله في تأليف كتبه الأخرى. وكان رفاعة يتبع في التوليد المقصود طريقين:

(١) تخليص الابريز ص ١٦٧.
(٢) معالم التطور الحديث ص ٤٣.

١ ـ الطريقة الأولى وهي استعمال الفاظ عربية خالصة مفردة أو مركبة لتعطي دلالة جديدة.

٢ ـ الطريقة الثانية الاعتماد على بعض الكلمات الأجنبية التي لم يجد لها نظيراً في العربية فيشتق منها على طريقة اللغة العربية ألفاظاً جديدة كما استخدم هذه الكلمات الأجنبية مع كلمات عربية في تراكيب جديدة.

فمن أمثلة الطريقة الأولى من التوليد المقصود في كتابه تخليص الابريز نجد:

أ ـ الألفاظ المفردة:

١ ـ المتولي: الحاكم.
٢ ـ الإرسالية: البعثة.
٣ ـ السفارة: فن معرفة المشي في مصالح الدول.
٤ ـ المشورة: المجلس.
٥ ـ المقعد: ظهر السفينة.
٦ ـ ايالات: المستعمرات أو الأقاليم.
٧ ـ الطبائعية: علماء الطبيعة.
٨ ـ الملعبة: المسرح.
٩ ـ الدن: البرميل.
١٠ ـ المواضع: الميادين.
١١ ـ الشرطة: الدستور.
١٢ ـ جهرية: علنية.
١٣ ـ الرسل: النواب في الجمعية الوطنية.
١٤ ـ العمالة: الدائرة الانتخابية أو المقاطعة أو الحي.
١٥ ـ مشغول: مطرز.
١٦ ـ السميات: الحشرات السامة.

١٧ - مرتب: حصة أو قدر معين.
١٨ - المقعد: صالة المسرح.
١٩ - اللعبة: المسرحية.
٢٠ - اللعب: التمثيل.
٢١ - التشكيل: التنكر في الكرنفالات.
٢٢ - المحم: البانيو.
٢٣ - التصدير: الرئاسة.
٢٤ - الكرسي: الحكم أو الملك.
٢٥ - الإيرادات: الاتهامات.
٢٦ - الأصوات: إبداء الرأي.
٢٧ - المرتبة: الطبقة الاجتماعية[1].

ب ـ التراكيب:

وهي أيضاً أكثر من أن تحصى في هذا الكتاب وكلها تدل على أشياء مادية أو معنوية لم تعرفها اللغة العربية من قبل وبعضها عرفته العربية بأسماء نقل رفاعة دلالتها إلى معان جديدة منها:

١ - كرسي المملكة: العاصمة.
٢ - فن المياه: الهيدرولكي Hydraulics
٣ - جاذبيته المحاكة: الكهرباء.
٤ - رسل العمالات: النواب في المجلس التشريعي.
٥ - بيت المال: وزارة المالية.
٦ - قاضي القضاة: رئيس المجلس التشريعي.

---

(١) أنظر تخليص الإبريز صفحات: ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٨١، ٨٩، ٩١، ٩٧، ١٠٢، ١١٧، ١٤٠، ١٤٤، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٢، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٨، ٣٠٥ على التوالي.

٧ - إناء القرعة: صندوق الانتخابات.
٨ - الشعور العارية: الشعر المستعار.
٩ - بيت الصحة: المستشفى.
١٠ - الشركاء في الضمانة: التأمين.
١١ - خزائن المستغربات: المتاحف.
١٢ - الصنائع الظريفة: الفنون الجميلة.
١٣ - طب البهائم: البيطرة[1].
١٤ - ورقة إنكار: الاحتجاج.
١٥ - شيخ المدينة: العمدة أو رئيس المدينة.
١٦ - الخفر الأهلي: الحرس الوطني.
١٧ - دار المدينة: مبنى المحافظة.
١٨ - أهل مشورة رسل العمالات: رؤساء المجلس النيابي.
١٩ - مشورة رسل العملات: المجلس . النيابي.
٢٠ - كتاب قوانين المملكة: الدستور.
٢١ - الموت الحكمي: إسقاط الحقوق المدنية والشرعية.
٢٢ - وقائع النوادر: الجرائد الهزلية.
٢٣ - ابن مزور: ابن غير شرعي.
٢٤ - الأبنية الخلائية: الترع والجسور والقناطر.
٢٥ - ميزان الحر: ميزان الحرارة.
٢٦ - وقاية الرعد: مانعة الصواعق.
٢٧ - النظارات المعظمة: الميكرسكوب أو المهجر
٢٨ - علم توفير المصاريف: علم الاقتصاد.
٢٩ - إشارة الأخبار: البرقيات[2].

---

(١) ولا أعرف لماذا لم يستعمل رفاعة لفظة البيطرة وهو لفظة قديم ويدل على ما يريد تماماً.
(٢) تخليص الإبريز صفحات: ٥٦، ٦٦، ٩٣، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٤، ١٦٤، =

ومن أمثلة الطريقة الثانية للتوليد المقصود عند رفاعة وهي استعمال الألفاظ الأجنبية على طريقة استعمال الألفاظ العربية من حيث الاشتقاق نجد لفظ الكرنتينة والتي دخلت العربية من الايطالية: quarantina منذ بداية عهد محمد علي ومعناها الحجر الصحي، فنجد رفاعه يشتق منها المصدر الكرتنة[1] ثم الفعل المضارع يكرتن[2].

كما استعمل رفاعة تراكيب مولدة مركبة من كلمة عربية وأخرى أجنبية للدلالة على أشياء جديدة لم تعرفها اللغة العربية مثل:

١ - جورية الجنايات: المحلفون[3].
٢ - أهل الجورنال: المحررون.
٣ - تخت المملكة: العاصمة.
٤ - أكدمة الحكمة: أكاديمية الطب.
٥ - البال العام: حفلات الرقص العامة.
٦ - البال الخاص: حفلات الرقص الخاصة.
٧ - حديقة التولري: حدائق تحيط بالقصر.
٨ - أيام الكرنوال: الكرنفال.
٩ - خزانة الارسال: مكتبة الترسانة البحرية.
١٠ - خزانة الانسطيطوت: Bibliotheque de L'istitut
٧ - حديقة التولري: حدائق تحيط بالقصر الملكي بباريس[4].

كما استعمل رفاعة لفظة الديوان وهي لفظة فارسية دخلت العربية

= ١٦٩، ١٧٤، ١٩٧، ٢١١، ٢١٦، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣١٢ على التوالي.

(١) تخليص الإبريز ص ٩٤.
(٢) المصدر السابق ص ٩٧.
(٣) جورية تعريب لكلمة Juries
(٤) Jardins des Tuleries

قديماً في تراكيب مولدة فقال: ديوان الملك ـ ديوان رسل العمالات ـ الديوان الحصص ـ ديوان سر الملك ـ ديوان الدولة للمشورة ـ ديوان الدولة ـ ديوان الإحسان(٢)

واستعمل أيضاً **لفظة بيما** ستان وهي من الألفاظ المعربة في العصر العباسي عن الفارسية وهي كلمة مركبة من مقطعين: بيمار ومعناها مريض وستان وهي لاحقة Suffix في اللغة الفارسية وتدل على المكان فيكون معنى الكلمة الحرفي مكان المرضى أي المستشفى(٣). وقد استعملها لرفاعة في صيغة المفرد المارستان وفي صيغة المثنى مارستانان والجمع المارستانات(٤).

كما أدخلها في تراكيب مع ألفاظ عربية فقال ديوان تدبير المارستانات ـ مارستان الشيخوخة مارستان للعميان ـ مارستان السقط ـ مارستان المجانين(٥).

ثانياً ـ المولد غير المقصود: وهو ما كان يقع في لغة رفاعة من الألفاظ المولدة قديماً أو من مولدات رفاعة نفسه التي لا يقصد بها مصطلحاً معيناً وإنما كانت تقع في لغته عفواً تدفعه في ذلك أحياناً مقتضيات التعبير اللغوي وقصور العربية عن الاستجابة للأفكار والتصورات الحديثة التي عرفها أثناء حياته في باريس، يضاف إلى ذلك طبيعة اللغة العربية في عصر رفاعة والتي تفشى فيها التوليد المرضي الذي لم تسلم منه لغة رفاعة نفسه، فمن ذلك:

---

(١) تخليص الإبريز صفحات: ١٤٧، ١٥٠، ١٥٥، ١٧٦، ١٦٧، ١٦٩، ٢١٠.

(٢) تخليص الإبريز ص ١٣٨ ـ ١٤٠، ١٩٥.

(٣) Haim, op. cit. V.I.P. 323.

(٤) تخليص الإبريز، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

أ ـ الألفاظ المفردة:

١ ـ الجهادية: الحياة العسكرية أو الجيش.
٢ ـ قيد: كتب.
٣ ـ الميقاتية: الذين يحددون الوقت.
٤ ـ النوبة: المرة بعد المرة.
٥ ـ المقصد: الجزء من الكتاب.
٦ ـ الموردة: الميناء.
٧ ـ السفرة: المائدة عليها الطعام.
٨ ـ الحشمة: الوقار والاحترام.
٩ ـ الشوكة: من أدوات المائدة.
١٠ ـ القهوة: المقهى.
١١ ـ الريشة: قلم المداد.
١٢ ـ قائمة: ورقة لكتابة الأشياء أو الأسماء.
١٣ ـ النزلات: الحملات العسكرية.
١٤ ـ الفرجة والتفرج: الرؤية.
١٥ ـ العمارة: الحضارة.
١٦ ـ السجادة: البساط.
١٧ ـ العوالم: النساء المغنيات.
١٨ ـ الضمة: الجماعة من الناس.
١٩ ـ الحكماء: الأطباء.
٢٠ ـ التبحر: التخصص بعمق.
٢١ ـ الطاقة: الشباك.
٢٢ ـ التشويش: الارتباك والاختلاط.
٢٣ ـ المكتوب: الخطاب.
٢٤ ـ المخادع: السراديب.

٢٥ - الهجاء: تقطيع الحروف في الكلمة.
٢٦ - الحرابة: الحرب.
٢٧ - الكيفية: حالة الشيء.
٢٨ - برهن: أقام الدليل[١].

ب - **التراكيب:**

ونجد منها الاستعمالات الآتية:

١ - رسم اسمي في جملة المسافرين: أي وقع عليه الاختبار للسفر.
٢ - قيدت في سفري رحلة صغيرة: كتبت.
٣ - يأكلون على كيسهم: أي على نفقتهم الخاصة.
٤ - تطرية الزمن: ترطيب الجو.
٥ - قطع العرق: أي قطع الدابر.
٦ - انحط عليه الرأي: أي استقر[٢].

ومع تعصب رفاعة للغة العربية الفصحى[٣] لم تخل كتبه ولاسيما تخليص الإبريز من الألفاظ والتراكيب العامية وقد لحظ ذلك المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي عندما قرأ مخطوطة كتابة تخليص الإبريز لأول مرة فقال « وعبارة هذا الكتاب في الغالب واضحة غير متكلف فيها التنميق كما يليق بمسائل هذا الكتاب وليست دائماً صحيحة بالنسبة لقواعد العربية ولعل سبب تلك أنه استعجل في تسويده وأنه سيصلحه عند تبييضه[٤].

---

(١) المصدر السابق ص: ٥٦، ٦٢، ٨٠، ٨٢، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٤٠، ١٤٨، ١٥٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٨٠، ٢٨٧.

(٢) تخليص الإبريز صفحات ٥٦، ٥٧، ١٢١، ١٣٣، ١٦٣، ٢٦٣، على التوالي.

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٨، ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق ص ٢٣٥.

والعبارات والكلمات العامية في هذا الكتاب أوضح من أن ندل عليها وقد أحصاها الدكتور أحمد بدوي[1] قائلاً « ونستطيع أن نتبين منها ما تغلبت عليه اللغة الفصحى من الألفاظ العامية في لغتنا الدارجة إذا نحن وازنا هذا المعجم العامي بما أصبحنا نتحدث به بدلاً من هذه الألفاظ العامية »[2].

ولعل هذا الذي ذكرناه من مولدات رفاعة في كتابه تخليص الإبريز وخاصة المولد المقصود يعطي صورة صادقة للنمو اللغوي الذي حدث في العربية على يد هذا الرائد وفي الوقت نفسه يعطي قيمة لغوية كبيرة لكتب رفاعة الطهطاوي خليقه بدراسة مفردة، فكل كتاب من كتبه الأخرى به إضافة ذات قيمة في هذا الباب كالذي صنعه في ترجمته للقانون الفرنسي المدني ولقانون التجارة فإذا أضفنا إلى هذا الجهد الذي قام به رفاعة ما أنتجه تلاميذه أيضاً في هذا الميدان من الألفاظ المولدة أثناء ترجمتهم للكتب سواء بتوجيهه أم بمشاركته لوجدنا مئات من المصطلحات والمفردات العلمية والثقافية والحضارية في شكل ألفاظ عربية قديمة بعثت أو أعطيت دلالات جديدة أو اشتقت أو لفظ أجنبي عرب أو صقل إذا عرفنا كل هذا تجلت لنا بحق قوة الدفعة التي يدفعها رفاعة ورجال مدرسته للنهضة العربية الحديثة ولنمو اللغة العربية وتجديدها.

٢ ـ أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤م ـ ١٨٨٧م):

تنوعت جهود الشدياق[3] في ميدان الدراسات اللغوية ما بين نقد

---

(١) رفاعة الطهطاوي ص ٢٨٤ ـ ٢٨٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٧.

(٣) انظر ما كتبه عن بعض مراحل حياته في:

١ ـ الساق على الساق ص ١٣ وما بعدها.

٢ ـ كشف المخبأ ص ٧٣ وما بعدها.

وأنظر أيضاً ترجمة حياته وثقافته اللغوية في:

=

لـلآراء اللغويين القدماء ودراسات حول المعاجم العربية وتنمية اللغـة ومشكلاتها بشكل عام، فنراه في كتابه الجاسوس على القاموس يتجه إلى نقد القاموس المحيط للفيروزبادي متخذاً منه مثالاً للمعاجم العربية التي كانت بما حوته من مادة لغوية من أسباب وصم العربية بـالانحطاط والتخلف عن متابعة الفكر الحديث ومن ثم تفضيل اللغات الأجنبية عليها، وكان القاموس المحيط من أشهر المعاجم وما زال، فهاجمه الشدياق ليبين أن القصور ناتج عن طبيعة وضع المعاجم لا من اللغة نفسها، وقد اتخذ من ذلك وسيلة إلى الدعوة لوضع معجم عربي حديث يسهل الرجوع إليه والبحث فيه وأهم ما نادى به الا يقتصر هذا المعجم على متن العربية القديمة وحدها بل يروي أيضاً ما جاء على ألسنة الشعراء والكتاب بعد عصور الاحتجاج.

يقول في مقدمة الجاسوس « أحببت أن أبين في هذا الكتاب من الأسباب ما يحض أهل العربية في عصرنا هذا على تأليف كتاب في اللغة يكون سهل الترتيب واضح التعاريف شاملاً للألفاظ التي استعملها الأدباء والكتاب وكل من اشتهر بالتأليف »(1).

والحقيقة أن هذه الدعوة من جانب الشدياق إلى إعادة النظر في المعاجم العربية دعوة كان لها ما يبررها في عصره وما زالت حتى يومنا هذا، أما أسبابها في عصر الشدياق فيوضحها بقوله « إن ألسنة الأجانب زاحمته في هذا العصر... لأن ترتيب كتب لغاتهم أسهل والوصول إليها أعجل ولاسيما أنها قليلة المشتقات وليس في تعريب ألفاظها اختلاف في

---

١ ـ الزركلي، الأعلام ١/١٨٤.
٢ ـ جورجي زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٦١/٢٦٢.
٣ ـ محمد خلف الله أحمد، معالم التطور الحديث ص ١١٣ ـ ١١٤.
(١) الجاسوس ص ٣.

الروايات، أما من يتعاطون منا التجارة ويحملون عبء الإمارة فإنهم يزعمون أن اللغة العربية لا تصلح في هذا الزمن لهاتين الخطتين، فلابد من الاستعانة بكلام الأجانب وان أدى ذلك إلى حطتين »[1] ثم ينتهي إلى ضرورة تنمية الثروة اللغوية وإعادة ترتيبها قائلاً « فمن ثم مست الحاجة إلى زيادة تفصيل لمفردات لغتنا ومركباتها وتبين لأصولها من متفرعاتها وافراز لأفعالها من مشتقاتها »[2].

وهذا الشعور بتخلف العربية عن مسايرة ركب التطور الحضاري وحاجتها إلى النمو اللغوي في عصر الشدياق يبدو لنا بصورة أدق فيما كتبه في جريدة الجوائب تحت عنوان « في فوائد سر الليال » ونشر هذه المقالات وغيرها مجموعة في كتاب أسماه « كنز الرغائب » وفي هذه المقالة يقول « لاشك في أن مفردات العربية غير تامة بالنظر إلى ما استحدث بعد العرب من الفنون والصنائع مما لم يكن يخطر ببال الأولين وهو غير شين على العربية إذ لا يحتمل أن واضع اللغة يضع أسماء لمسميات غير موجودة وإنما الشين علينا الآن في أن نستعبر هذه الأسماء من اللغات الأجنبية مع قدرتنا على صوغها من لغتنا، على أن أكثر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان أو الآلة وصوغ اسم المكان والآلة في العربية مضطرد من كل فعل ثلاثي فما الحاجة الى أن نقول فبريقة أو كارخانة ولا نقول معمل أو مصنع أو أن نقول بيمارستان ولا نقول مستشفى أو نقول ديوان ولا نقول مأمر أو نقول اسطرلاب ولا نقول منظر »[3].

وهنا نجد الشدياق يطرح بعض وسائل النمو اللغوي التي يراها مناسبة لتدارك هذا النقص في العربية على أساس صوغ اسم المكان أو الآلة بالاشتقاق ثم يتكلم عن النحت فيقول « وكيفما كان فإن النحت

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) كنز الرغائب ١/٢٠٢.

طريقة حسنة تكثر بها مواد اللغة وتتسع أساليبها ولها نظير في اللغة اليونانية وسائر اللغات الإفرنجية وهي التي كثرت مواد لغتهم واحوجتنا إلى الأخذ منها فقولنا الجغرافيا والفلسفة والجيومتريا والجولجيا كلها ألفاظ يونانية منحوتة أو مركبة ولولا هذا التركيب لما كان للغة اليونانية فضل على غيرها بشيء »[1].

والواقع أن ما تقترضه العربية من اليونانية أو غيرها من اللغات الأخرى لا يرجع أساساً الى كثرة ألفاظ لغة عن لغة وانما يرجع أصلاً إلى عدم وجود الأشياء بمسمياتها في الحضارة الإسلامية، والمقارنة التي عقدها الشدياق بعد ذلك في هذا المقال بين اللغات الانجليزية والفرنسية والعربية تعوزها الدقة في فهم طبيعة اللغات وحقيقة الأقتراض اللغوي اذ لا مجال لتفضيل العربية على الفرنسية أو الانجليزية إذا قالت العربية فهم والفرنسية Comprendre أو الانجليزية Understand لأن الألفاظ التي اصطلح عليها الافرنج للتفاهم كما قال « خالية المعنى »[2].

وهذه النظرة للغات الأخرى تنبع في الحقيقة من نظرة الشدياق إلى كمال اللغة العربية وأنها « أحسن اللغات صيغاً وأساليباً واتمها وأكملها نسقاً وتأليفاً »[3]. وهي نظرة قديمة انحدرت إلى الشدياق من اللغويين القدماء وقد أثرت الى حد كبير على فهمه لحقيقة الافتراض اللغوي بين اللغات وأنه ظاهرة طبيعية لا تخلو منه أي لغة[4].

ومهما يكن من أمر فإن الشدياق رغم هذه النظرة المعيارية إلى اللغة ينتهي إلى ضرورة تنمية اللغة العربية عن طريق النحت قائلاً « نرجو من

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق ١/٢٠٤.

(٣) المصدر السابق ١/٢٠٥.

(٤) أنظر ما كتبه عن الدخيل في اللغة العربية في كنز الرغائب ١/١٨٩ - ١٩١.

الأساتذة الكرام الذين يحررون في روضة المدارس أن يتواطأوا من هذا الباب أي باب النحت على ألفاظ تغنينا عن الألفاظ العجمية التي أحوجتنا إلى استعمالها وذلك نحو القومسيون والكونسيتوسيون والقرنقراس ومأأشبه ذلك. . . فإذا قرروا طريقة لصوغ الألفاظ المنحوتة أقتدي بهم جميع الكتاب والمؤلفين اللهم أن يقال أن النحت قصر على ألفاظ لا تتعدى إلى غيرها وهو مستبعد جداً »(١).

ثم يلتفت الشدياق إلى التأليف اللغوي باعتباره وسيلة لتنمية الثروة اللغوية أفضل من التعريب فيقول « وإذا ساغ للمستعربين أن يقولوا عيد شون وهي كما في القاموس دويبه لغة مصنوعة وغيرها كثير ساغ لناأيضاً أن نقول أكثر من ذلك مما تمس الحاجة إليه فهم رجال ونحن رجال ولو أن العرب الأولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد وأسلاك التلغراف والغاز والبوسطة ونحو ذلك مما اخترعه الإفرنج لوضعوا له أسماء خاصة ناصة فهم على هذا غير ملومين وانما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم وشاهدنا هذه الأمور بأعيننا ولم ننتبه لوضع أسماء لها على النسق الذي ألفته العرب وهو الاختصار والايجاز، أفيظن أحد أن لفظة المشير والسفير والوالي والمتصرف والمدير ومجلس الشورى لا ينبغي أن تعد من الألفاظ العربية لأنها لم تكن معروفة للدولة العباسية فإذا برأ أحد تلك الدولة لعدم اتخاذها هذه الألفاظ إذ الحاجة لم تمس اليها لم يكن له أن يلوم دولة أخرى على اتخاذها مع وجود الحاجة فقس عليها غيرها »(٢).

وعلى الرغم من أن العربية في العصر العباسي قد عرفت الوالي والمتصرف على عكس ما ذهب إليه الشدياق إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية ملاحظته من أن اللغة ملك للمتكلمين بها لا يحدها في ذلك زمان أو مكان

(١) كنز الرغائب ١/٢٠٥.
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

أو جنس، وهو في هذا يصدر عن موقف محدد من الألفاظ المولدة وحقها في دخول الثروة اللغوية.

ففي خاتمة كتابه الجاسوس نراه يعطي أهمية كبيرة للألفاظ المولدة والاصطلاحية التي جرت على ألسنة كبار الكتاب والشعراء ويرى ضرورة الاحتجاج بها كالألفاظ العربية القديمة سواء بسواء فيقول «وكنت نويت أن أجعل في مكان هذه الخاتمة نقداً يشتمل على ما فات صاحب القاموس من الألفاظ اللغوية والاصطلاحية الفصيحة وكنت جمعت منها نحو خمسة كراريس مع مقدمة وازنت فيها بين العرب العاربة والعرب المولدين والغرض من ذلك الاحتجاج بكلام هؤلاء إذ كانوا متضلعين من العربية كجرير والفرزدق والأخطل وبشار بن برد ومهيار الديبي وأبي نواس وأبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي فراس وأحزابهم»[1]. ويمضي مع رأيه هذا حتى يتعصب للمولدين ضد العربية في الجاهلية قائلاً «وقد أقمت على ذلك عدة بيانات من جملتها أن المولدين راعوا حق اللغة والتزموا قواعدها أكثر من العرب في الجاهلية لأنهم اعتقدوا أن اللغة وسيلة إلى فهم التنزيل والحديث الشريف فبالغوا في ضبطها ما أمكن وهذا الأمر لم يكن يخطر ببال العرب قط»[2].

وعلى الرغم من أن هذا الضبط للغة ليس هو السبب في الدعوة إلى الاعتراف بالألفاظ المولدة وإنما الدواعي والمقتضيات الحضارية وارتباط اللغة بالمجتمع إلا أننا نرى الشدياق بعد ذلك يحدد اتجاهه في النظر إلى المولد وخاصة المولد المقصود كما تمثله مصطلحات كاملة ويكتفي بذكر بعضها فيقول «ولو أنه عنى بجمع الألفاظ الاصطلاحية لكان أولى لأنها لم يصطلح عليها إلا لعدم وجود مرادف لها في اللغة فصارت من هذا القبيل

---

(١) الجاسوس ص ٥٢٠.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

جزءاً ضرورياً منها، كيف لا والذين اصطلحوا عليها كانوا أئمة ورعين فلو لم يروا لها لزوماً لما تداولوها »[1].

ومهما يكن من أمر فان حماس الشدياق لتنمية اللغة العربية بالاشتقاق والنحت والتوليد ودعوته إلى اقرار الألفاظ المولدة إنما كان عن شعور قوي بحاجة اللغة العربية الماسة إلى الاستجابة للمقتضيات الفكرية والحضارية للعصر الحديث، وعلى هذا أعطى لنفسه حرية توليد كثير من الألفاظ سواء عن طريق الاشتقاق أم النحت أم نقل الدلالة.

وفيما يلي نذكر بعضاً من مولدات الشدياق كما استعملها في كتابه « الواسطة في معرفة أحوال مالطة» وكتابة «كشف المخبأ عن فنون أوروبا » وقد نشرهما معاً في مطبعة الجوانب عام ١٢٩٩ هـ والكتابان يشبهان إلى حد ما كتاب رفاعة الطهطاوي تخليص الإبريز إذ هما يصوران رحلة الشدياق الى مالطة وأوروبا واحتكاكه ببعض مظاهر الحضارة الأوروبية الحديثة:

أ ـ الألفاظ:

١ ـ المخدع: مكان حفظ المأكولات.
٢ ـ اليدل: داء المافضل.
٣ ـ القاعدة: العاصمة.
٤ ـ المصطبة: شرفة صغيرة على الطريق العام.
٥ ـ العواجل: العربات والعجلات.
٦ ـ العقاقيرية: الصيدلية.
٧ ـ الخموم: حفظ اللحم والأسماك.
٨ ـ الترسيم: التلقين.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤٩.

٩ ـ المساجلة: الحوار[١].

١٠ ـ الرتل: عربات القطار.

١١ ـ المتشبعون: الارستقراطيون.

١٢ ـ الناقل: قطار يسير بسرعة ستة أميال.

١٣ ـ الشاروخ: قطار يسير خمسة عشر ميلاً في الساعة.

١٤ ـ المترجيات: القاطرات.

١٥ ـ الموقف: المحطة.

١٦ ـ المحترفات: المكاتب التجارية أو الورش.

١٧ ـ الفقع: البطاطس.

١٨ ـ الامتحان: تحقيق الشرطة.

١٩ ـ التكيس: الايتكيت.

٢٠ ـ دوائية: صيدلية.

٢١ ـ المرأب: البنسيون.

٢٢ ـ مشيخة: الأكاديمية.

٢٣ ـ الأزج: قوس النصر.

٢٤ ـ السباهلة: العاطلون.

٢٥ ـ المناصع: دورات المياه العامة.

٢٨ ـ المصبر: المحنط.

٢٩ ـ الفرد: المسدس.

٣٠ ـ المشاغل: المصانع[٢].

ب ـ التراكيب:

١ ـ لعب النار: الألعاب النارية.

---

(١) الواسطة، صفحات: ١٤، ١٨، ٢٢، ٢٩، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥١ على التوالي.

(٢) كشف المخبأ صفحات: ٧٧، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤، ١١٦، ١٣٥، ١٤٣، ١٧٦، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٨٩، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣٤٤ على التوالي.

٢ - المدرسة الجامعة: الجامعة[١].
٣ - حافلة المجد: القطار السريع.
٤ - طيار النار: الاكسبرس.
٥ - أغصان الميلاد: شجرة عيد الميلاد.
٦ - مجلس الشورى: المجلس النيابي.
٧ - قمر العسل: شهر العسل.
٨ - مواضع الفرج: المساحر والملاهي.
٩ - لعب الإشارة: البانتوميم.
١٠ - دار الاختبارات العلمية: المعامل.
١١ - الأرجاف الكهربائية: التيار الكهربي.
١٢ - آلة النار: آلة البخار.
١٣ - المرايا المكبرة: التلسكوب.
١٤ - اليد القصيرة: الاختزال[٢].

٣ - إبراهيم اليازجي (١٨٤٧م - ١٩٠٦م):

ترجع شهرة الشيخ إبراهيم اليازجي[٣] في المقام الأول إلى ما ولده من ألفاظ لمسيميات حضارية حديثة فكثيراً ما كان يولد من الكلمات العربية عن طريق الاشتقاق أو نقل الدلالة ما يدل على هذه المخترعات، يقول أمين نخلة في هذا الصدد «والشيخ إبراهيم اليازجي لا يلحق في هذا

---

(١) الواسطة ص ٢٣ - ٤٥.
(٢) كشف المخبأ، صفحات: ٧٠، ١٠٠، ١٢٨، ١٣٢، ١٧٤، ٢٥٥، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢٨، ٣٥٠، ٣٥٢.
(٣) أنظر ترجمة حياته وثقافته في:
أ - الزركلي، الأعلام ١/٧٢.
ب - تاريخ آداب اللغة العربية، ٤/٢٦٦ - ٢٦٨.
حـ - عيسى سابا، الشيخ إبراهيم اليازجي ص ١٣ وما بعدها.

الباب غباره »[1]. ويقول المنفلوطي « هو أكبر عالم لغوي في العصر الحاضر واتفق له مالا يتيسر إلا لقليل من اللغويين »[2] ومع ذلك فقد تنوعت جهود اليازجي في ميدان الدرس اللغوي فكتب عن اللغات العامية[3] وعن التذكير والتأنيث في أسماء الحيوان[4] وعن القياس اللغوي[5] وعن الترادف[6] وعن أصوات اللغة العربية وحروفها[7] وعن التعريب[8] ، كما تتبع لغة الجرائد في عصره في سلسلة من المقالات نشرها في مجلة الضياء أيضاً حاول فيها إصلاح ما تسرب إلى لغة الكتاب والصحفيين من خطأ أو لحن وقد جمعت هذه المقالات في كتاب نجد في مقدمته الدوافع التي حدت بالشيخ اليازجي إلى الكتابة في ذلك الموضوع يقول « لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذت عن منقول اللغة فأنزلت في غير منازلها واستعملت في غير معناها فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلاً عما ترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطأ ولاسيما إذا وقع في كلام من يوثق به فتتناوله الأقلام بغير بحث ولا نكير، ولا يخفى أن الغلط في اللغة أقبح من اللحن في الإعراب وأبعد عن نطاق التحقيق لرجوعها إلى النقل دون القياس فيكون الغلط فيها أسرع تفشياً وأشد استدراجاً للسقوط في دركات العصم، والعجب هنا أنك كثيراً ما ترى إنساناً من متقدمي الكتاب وذوي

---

(١) الحركة اللغوية في لبنان، ص ٣٩ ـ ٤٠ نقلاً عن: د. حسن ظاظا كلام العرب ص ٨٤.

(٢) عيسى سابا، الشيخ إبراهيم اليازجي ص ٣٢.

(٣) مجلة الضياء ١/١٤٨ سنة ١٨٩٨.

(٤) المرجع السابق ص ١/٦٢٧.

(٥) المرجع السابق ص ١/٧٣٤.

(٦) المرجع السابق ص ١/٢٣٤، ٥٢٩.

(٧) المرجع السابق ١/٥٠، ٤٣٣، ٥٢٦.

(٨) المصدر السابق ٢/٤٤٩ وأنظر أيضاً جانباً من مباحثه اللغوية في المجلد السادس من مجلة الضياء صفحات ٢٢، ٥٥، ٢٠٩، ٣٧٤، ٤٠٦، ٤٩٨، ٥٣٣، ٦٢٧ سنة ١٩٠٣.

القدم الراسخة في اللغة والإنشاء يعتمدون أحياناً على التقليد... حتى فشى بين تلك الطبقات وأصبح لكثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة بها تقتضي معجماً بحاله، ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخالف منه أن تفسد اللغة بأيدي أنصارها والموكول إليهم أمر إصلاحها وهو الفساد الذي لا صلاح بعده رأينا أن نفرد لذلك هذا الفصل نذكر فيه أكثر تلك الألفاظ تداولاً وننبه على ما فيها مع بيان ووجه صحتها من نصوص اللغة »[١].

ولم يكتف الشيخ اليازجي بهذا التوجيه والاصلاح لأساليب الكتابة الصحفية في عصره وإنما اتجه أيضاً اتجاهاً عملياً فوضع بين يدي الكتاب مادة لغوية يمكن لهم استعمالها فيما يكتبونه من مقالات أو رسائل في كتابه نجعة الرائد، وفي مقدمة هذا الكتاب نجده بعد أن يستعرض ما وصلت إليه اللغة العربية على مر العصور وما اعتورها من نمو وتطور وكيف استجابت لمطالب الخطابة والكتابة حتى نمت واكتملت بعد أن تعاقب عليها ما شاء الله من الأزمنة تلى فيها البليغ البليغ حتى إذ ما غربت شمس تلك العصور وانقلب حال ذويها بطناً لظهر وجفت أقلام كتابها أصبحت من مودعات الخزائن حتى أن الكاتب لا يجد إلا هذه الألفاظ المبتذلة والأوضاع العامية وقد يخطيء غرضه فيلجأ إلى الكلمات الأعجمية[٢]. ثم يقول « على أننا لا ننكر أن اللغة في هذا العصر قد انتعشت من عثارها وأخذ المتأدبون في إحياء ما درس من معالمها وطمس من آثارها ونشطت هممهم للطبع على غرار المتقدمين من أهل اللسان.. بيد أنهم ربما قعدت بهم الذرائع عن الوقوع على ضآلتهم من اللفظ الفصيح وأعوزتهم القوالب في تصوير ما يتمثل لهم من الخواطر على الأسلوب العربي الصحيح »[٣].

ثم يحدد هدفه من تأليف الكتاب قائلاً « ولذلك رأيت أن أخدم

(١) لغة الجرائد ص ٢.

(٢) نجعة الرائد، المقدمة ص د الى و.

(٣) المرجع السابق ص (و).

المشتغلين بهذه الصناعة وإن كنت أقلهم بضاعة بأن أجمع لهم من مترادف ألفاظ هذه اللغة وتراكيبها ما يجعل نارها منهم على حبل الذراع ويسدد أقلامهم للجري على محكم أسلوبها »[1]. ومع ذلك فقد ضمنه بعض الاستعمالات المولدة بعد أن نبه عليها مثل قولهم « صندل الشراب وعنبره »[2]، « سلّست الشراب اذا سيرته سلساً »[3].

على أن القضية التي أخذت جانباً كبيراً من اهتمام الشيخ اليازجي وشاركه فيها أيضاً بعض كتاب عصره كانت قضية تنمية اللغة العربية فنراه يكتب في مجلة الضياء تحت عنوان التعريب يقول « لم يمر على الكاتب العربي عصر كانت الكتابة فيه أصعب مزاولة ولا أوعر سبيلاً وأكثر عقبات من العصر الحالي ولا أتى على اللغة عهد هي فيه أضيق مجالاً واشد عقماً بمطالب أهلها من هذا العهد. . . فإذا نظرنا إلى حال الأمة العربية في هذا العهد وما انتشر بينها من التمدن الغربي وجدت أنها قد افضت إلى حال انتقلت فيها عن أفقها الأول دفعة واحدة، وهجمت على تمدن فجائي قد نبت في غير أرضها ونما في غير جوها ولم يبلغ إليها إلا وهو على تمام أشده وكمال كيانه فكان انتقالها إليه والحال هذه اشبه بالطفرة فوجدت بين أيديها من أنواع الملبس والمفرش والمطعم والماعون وأدوات الترف والزينة ومصطلحات العلم والتجارة والصناعة والسياسة وفنون الأحاديث والتصورات وغير ذلك ما هو مباين لما عندها »[4].

ومن ثم يرتب على هذا النقص في اللغة نتيجة هامة يخرج بها فيقول « وأصبح الكاتب مضطراً إلى وضع مئات بل آلاف من الأسماء التي لا يجد لها رديفاً في لسانه ولا في وسعه نقل تلك الألفاظ بصورتها إلى لغته لشدة

---

(١) المرجع السابق ص (ز).
(٢) المصدر السابق ١/٤٠.
(٣) المصدر السابق ١/١٣٦.
(٤) مجلة الضياء ٢/٤٤٩ ـ ٤٥٠ سنة ١٩٠٠.

التباين بين طبيعة هذه اللغة ولغات أولئك الأقوام لأن الألفاظ فيها محصورة الأوضاع محدودة الصيغ لا تقبل الزيادة عليها إلا منها، ولا يمكن أن تدس اللفظة الأجنبية بينها إلا بعد أن نجانسها ونآخيها »[١] وهنا يشعر اليازجي بصعوبة الاعتماد على الأفراد في القيام بهذا العمل الشاق فينادي بحاجة اللغة العربية إلى مجمع لغوي يتولى أمر تنميتها فيقول: « وما كان أحوجنا إلى مجمع لغوي يوكل إليه البحث في هذه الأوضاع وبناط به إحياء اللغة والحاقها بسائر لغات أهل العصر »[٢].

ويرى اليازجي في الاشتقاق والنحت والمجاز والتعريب وسائل ناجعة في تنمية اللغة العربية غير أننا نلاحظ أنه كان أحياناً يخلط بين التوليد والتعريب فهو يقول مثلاً « وتعريب الكلمة المفردة قد يكون بما يرادفها من الكلمة العربية ويسمى التعريب توسعاً »[٣] وهو يعني بهذا التوسع التوليد. ثم نراه يتحدث عن التوليد بالاشتقاق على أنه ضرب من ضروب التعريب فيقول « والضرب الثاني من أسماء الأجناس أسماء المصنوعات المختلفة من الأدوات والأثاث والماعون وغير ذلك من أشياء الحضارة ومرافق العمران والآلات العلمية والصناعية وهذه وأشباهها لا يتعين أن يعرب اللفظ الموضوع لها بمرادفه ولكن يكفي أن يعبر عنها بما يدل عليها ولو عن طريق العرب لأن هذه المذكورات إنما تضنع لضروب من الأغراض ويتوخى بها وجوه من الاستخدام فيشتق لها لفظ يدل على معنى من المعاني التخي تعتبر فيها أو يستعار لها لفظ يجمع بينها وبينه علاقة من علائق المجاز »[٤].

ثم يذكر أمثلة لهذه المعربات العصرية مثل المنطاد للبالون فإنه أخذ

---

(١) المرجع السابق ٢/٤٥٠.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ٢/٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٤) المرجع السابق ٢/٧٠٦.

من معنى الارتقاع لصدقه عليه وإن لم يطابق معنى اللفظ الأصلي ومثل ذلك في الرقاص للبندول والمأساة للتراجيديا والمجهر للميكـرسكوب والمرقب للتلسكوب والمسدس للرفلفر والجناح والحوذي والمجلة(١) وكل هذه الألفاظ كما نرى تدخل في نطاق التوليد لا التعريب.

ويبدو أن اليازجي قد تحاشى استعمال كلمة المولد لارتباطها في الأذهان بالخروج عن حدود الفصاحة كما عرفها القدماء(٢). ومن ثم آثر اعتبار هذا العمل داخل نطاق التعريب لا من التوليد نظراً للشرعية اللغوية التي اكتسبها التعريب في تاريخ اللغة العربية ويدل على ذلك أننا نراه يحرص دائماً على ذكر الكلمة الأجنبية أمام الكلمة المولدة إمعاناً منه في اعتبار عمله هذا في نطاق التعريب لا التعـريب عن طريق التوليد.

ومع ذلك فقد ترك لنا اليازجي ثروة من الكلمات المولدة ما زال منها الكثير يعيش في متن العربية الحديثة وبذلك شارك مشاركة حقيقية في تنمية اللغة بما وضعه من ألفاظ مولدة كان من أهمها الألفاظ الآتية:

١ ـ الأربة: الكرافتة.
٢ ـ الاستعهاد: التأمين على الحياة.
٣ ـ البائنة: الدوطة،
٤ ـ البيئة: الوسط.
٥ ـ التألق: الوميض الفسفوري.
٦ ـ الجناح: الشرفة.
٧ ـ الحاكي: الفونوجراف.
٧ ـ الحساء: السورية.
٩ ـ الحوذى: سائق العربة.

---

(١) المرجع السابق ٧٠٧/٢.

(٢) أنظر ما كتبه عن المولدين في مجلة الضياء ٤٤٩/٣ سنة ١٠٩١.

١٠ - الدراجة: البسكليت
١١ - الرجبيات: البكتريا.
١٢ - الرثية: الروماتيزم.
١٣ - الرعاد: الطوربيد.
١٤ - السفع: ضربة الشمس.
١٥ - الشاري: مانعة الصواعق.
١٦ - الشحنة: الشرطة.
١٧ - الشعار:
١٨ - الشعريَّة: الفرشاة.
١٩ - الضلع: المغزل.
٢٠ - الطارئة: الجالية.
٢١ - الطلاء: الدهان.
٢٢ - اللهاة: الصمام.
٢٣ - اللولب
٢٤ - المأساة
٢٥ - المجلة
٢٦ - المقصف
٢٧ - المقصلة
٢٨ - المنضخة
٢٩ - النابض: الزنبرك.
٣٠ - الدرئية: الستارة[١].

على هذا النحو شارك الشيخ إبراهيم اليازجي بهذه الكلمات المولدة وغيرها في تطوير اللغة العربية وتنميتها فأضاف إلى جهود الأفراد في هذا

(١) أنظر مجلة الضياء، ٢/ ٧١٠ - ٧١٢ سنة ١٩٠٠.

الشأن جهداً لافتاً للنظر وقد عاشت بعض هذه المولدات حتى الآن في متن العربية الحديثة مثل: الحاكي والحساء والدراجة والحوذى والقصف والمفصلة واللولب والطلاء وغيرها.

٤ - أنستاسي ماري الكرملي (١٨٦٦م - ١٩٤٧م):

ظهر الأب أنستاس الكرملي كعلم من أعلام النهضة اللغوية الحديثة في مطلع هذا القرن(٢) واحتل مكانته العلمية واللغوية في العامل العربي بما كتبه من كتب ودبجه من مقالات(٣). وكان الكرملي من الداعين لتنمية اللغة العربية ومن القائلين أيضاً بالحفاظ على الأصول القديمة لها والابتعاد عن كل ما ينأى عن البناء الصحيح والأسلوب القويم ومع ذلك فقد كان من المنادين بمبدأ التطور اللغوي بما رآه من آراء في الاستعمال وما درج عليه في فهمه للتعريب والمعربات(٤). ويقول الدكتور مصطفى جواد أنه أول من تكلم عن المصطلحات العلمية بالعراق أيام النهضة اللغوية الحديثة(٥)، فقد أصدر في بغداد سنة ١٩١١م مجلة عربية سماها «لغة العرب»(٦) عالج فيها اللغة والأدب والمصطلحات والتاريخ العراقي،

---

(١) أنظر ترجمة حياته وسيرته وجهوده اللغوية في:
١ - الزركلي، الأعلام ١/٣٦٦.
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٣/٦٠٨ - ٦١٦ سنة ١٩٤٨.
٣ - دكتور مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق ص ٥٥ وما بعدها.
٤ - دكتور إبراهيم السامرائي، الأب انستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية ص ١٢ - ١٥.
(٣) أنظر ثبتاً بما كتبه من كتب ومقالات في:
١ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٣/٦١٠ - ٦١٤ سنة ١٩٤٨.
٢ - دكتور إبراهيم السامرائي، أستناس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية ص ٣٤ - ٤٤، ٤٧ - ٤٨.
(٤) أنظر على سبيل المثال مقالاته: الكلم اليونانية في اللغة العربية مجلة المشرق ٣/٦٣ - ٦٦، ٣١٨ - ٣٢٢، ٦٤٤ - ٦٤٨، وأنظر أيضاً ٦/١٠٢٨ - ١٠٣٧، ١٠٧٧، ١٠٩٠.
(٥) المباحث اللغوية في العراق ص ٥٥.
(٦) مجلة المجمع العلمي العربي ٢٣/٦١٣.

وقال في أول جزء منها « ثم أننا لا ندع ديواناً من دواوين هذه المجلة إلا ونورد فيه شيئاً من المصطلحات الحديثة والأوضاع العربية الطريفة مما يوسع لغتنا الشريفة ويحدو بنا إلى مجارات الأقوام المتقدمة في الحضارة بما يستحدث فيها من الموضوعات العصرية والمدلولات العقلية والأدوات الفنية أو الصناعية والتصاوير الخيالية والأفكار العملية الي لا مقابل لها ولا مرادف في لساننا في هذا العهد لانقطاع نظام العقد بكثرة ما انتاب هذه الربوع من النوائب والرزايا وانقطاع ديارنا عن معالم الحضارة ومعاهدها الغربية التي لا زالت في سير حثيث شديد وتقدم وتجدد وتوسع وتولد »[١].

ثم بدأ الأب أنستاس باصدار المجموعة السنوية الثانية من مجلته في يوليو سنة **١٩١٣م** حيث أضاف فيها باباً سماه فوائد لغوية أخذ يتكلم فيه عن المسائل اللغوية جواباً عن سؤال أو اختيار لكلمة من الكلمات، وفي هذا الباب نجده يؤكد في رده على أحد الأسئلة أن لغتنا مفتقرة إلى تحرير ألفاظها العربية والإشارة إلى ما يقابلها في اللغة العربية وفي اللغات الافرنجية حتى يهتدي الكاتب إلى استعمالها في مواطنها دون خلط، ويرى أن اللغة لم تدون كاملة عن العرب فقد أنكر عليه أحدهم استعمال كلمة التنزه على أساس أنها لا توجد في المعاجم العربية فرد عليه قائلاً أن الدواوين العربية لا تحتوي جميع المفردات فإن كثيراً منها وارد في كتب الأقدمين وأشعارهم وفي مؤلفات المولدين وهي لم تدون إلى الآن فعدم وجودها في المعاجم اللغوية لا ينفي ورودها على ألسنة الأقدمين[٢].

ولذلك فكر الكرملي في وضع معجم يسد به هذا النقص في مفردات العربية يذكر فيه ما اغفلته المعاجم من الألفاظ وسمي معجمه هذا ذيل

---

(١) مجلة لغة العرب ١/١ ـ ٣ نقلاً عن د. مصطفى جواد، المباحث اللغوية ص ٥٦.
(٢) مجلة لغة العرب، ٢/٢٠٣، ٣٣٠، ٣٧٧ نقلاً عن د. مصطفى جواد، المباحث اللغوية ص ٦٢ ـ ٦٣.

لسان العرب ثم عدل عن هذه التسمية وأطلق عليه المساعد وفي بحث له بعنوان معجمنا أو ذيل لسان العرب قال « منذ أخذنا نفهم العربية حق الفهم وجدنا ما كنا نطالع فيه من كتب الأقدمين والمولدين والعصريين ألفاظاً جمة، ومناحي متعددة لا أثر لها في دواوين اللغة بخلاف ما كنا نتعلمه من اللغات الغربية فإننا كنا كلما جهلنا معنى كلمة ونقرنا عنها في معاجمهم وجدناها مع معانيها المتفرعة منها ولهذا رأينا في مصنفات السلف اللغوية نقصاً فأخذنا منذ ذلك الحين بسد تلك الثغرة بتدوين مالا نجده في كتب لساننا »[(١)].

ولاشك في أن الأب انستاس قد استوحى فكرة هذا المعجم من معجم دوزي الذي ظهرت طبعته الثانية في عام ١٩٢٧ م ويبدو أنه قد أعجب به إعجاباً كبيراً فحاول أن ينسج على منواله. وقد علق الدكتور مصطفى جواد علي معجم الأب أنستاس بقوله « وقد اطلعنا على حقيقة هذا المعجم وهو أن أنستاس عمد إلى نسخة من محيط المحيط تأليف بطرس البستاني ففسخ تجليدها واقحم بين كل ورقتين منها ورقة بيضاء ثم أعاد تجليدها باضافة عدة أوراق بيض إلى آخر كل جزء وكتب في الورق الأبيض تصحيح اللفظ الذي رآه في محيط المحيط وأضاف إليه كلمات جديدة استدركها عليه وردت في الكتب العربية وعبارات مولدة أو عامية وقد جمع فيه الغث والثمين وفيه فوائد كثيرة تهيأ له جمعها في أزمان متطاولة ومصادر مختلفة وهذا المعجم محفوظ في دير الآباء الكرملين ببغداد[(٢)].

بهذا العمل الدؤوب حاول الأب أنستاس أن يضيف مادة جديدة من

---

(١) مجلة لغة العرب ٨٣٣/٧ نقلاً عن د. إبراهيم السامرائي، الأب أنستاس وآراؤه اللغوية ص ١١١.

(٢) المباحث اللغوية في العراق ص ١٣٠ ـ ١٣١، وانظر أيضاً المعجم المساعد للكرملي مجلة مجمع اللغة العربية ص ٤٢/٩ ـ ٤٤ سنة ١٩٥٧.

الكلمات والتراكيب المولدة المنشورة في كتب الآداب والعلوم منذ العصر العباسي، غير أننا لا نستطيع أن نمضي في ذكر جهوده اللغوية دون الإشارة إلى كتابين من كتبه:

أما الأول فهو «نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها» وقد ألف هذا الكتاب وفي ذهنه تصور ناضج لفكرة التطور اللغوي ويظهر ذلك من منهج الكتاب ومادته فهو يضم موضوعات تتصل فيما بينها تسير وفق المنهج التطوري من البسيط إلى المركب فبعد أن تكلم عن نشأة اللغة العربية وعن كيفية وضع الكلمات العربية تكلم عن الثنائي وكيف يتحول هذا البناء بالتصدير Prefix إلى ثلاثي، أو بالكسع Suffix، أو بالحشو Infix إلى الثلاثي أيضاً ثم يذكر أمثلة لذلك(١).

ولعل الكرملي من أوائل الذين نحوا هذا المنحى الجديد في الدراسات اللغوية فقد أفاد مما كتبه اللغويون القدماء ثم أضاف إليه ما تهيأ له من معرفة لبعض اللغات السامية وبما ألم به مما كتبه المستشرقون في هذا الموضوع.

غير أن الكرملي يذهب في تناظر اللغة العربية وبعض اللغات الهندية الأوروبية مذهباً لا يقره عليه الدرس اللغوي الحديث، فهو يرى أن كلمات عربية مثل: دن، بيد، الذيل، الملح، باع وغيرها دخلت إلى اللغات الأوروبية من العربية في زمان موغل في القدم، عندما اتصل الجرمان بالعرب في العراق(٢) وفيما عدا اجتهادات الكرملي هذه فالكتاب يحتوي على طائفة أخرى من الأبحاث اللغوية جديرة بالدرس والتقويم.

أما الكتاب الثاني فهو أغلاط اللغويين الأقدمين وقد نشره في عام

---

(١) أنظر الكتاب ص ١ ـ ٧.

(٢) المرجع السابق ص ٧٠ ـ ٧٢.

١٩٣٢م، وهو عبارة عن سلسلة مقالات كتبها في جريدة الأهرام ثم جمعها في كتاب، وقد بدأها يذكر الألفاظ التي رأى أن اللغويين القدماء قد أخطأوا في دلالتها وفهمها وقد تعرض لبعض أصحاب المعاجم الحديثة في هذه المقالات مثل البستاني صاحب محيط المحيط والشرتوني صاحب أقرب الموارد وقد أثارت هذه المقالة معركة لغوية بين الأب الكرملي من جهة وأسعد داغر من جهة أخرى(١) تتبع فيها كل منهما أخطاء الآخر اللغوية واشترك معهما دكتور مصطفى جواد مدافعاً عن الأب ومصوباً لاستعمالاته اللغوية التي أخذها عليه داغر.

ويتصل بهذا النوع من المعارك اللغوية التي دخلها الكرملي والتي إن دلت على شيء **فإنما** تدل على الدفعات القوية التي تلقتها العربية في هذه الفترة دراسة وتحقيقاً وتوسعاً في استعمال الألفاظ فمن ذلك مثلاً تلك المناظرة اللغوية التي اشترك فيها كل من عبد الله البستاني صاحب معجم البستان والشيخ عبد القادر المغربي صاحب الاشتقاق والتعريب، ثم الأب أنستاس. وقد بدأت هذه المناظرة اللغوية على أثر مقاله نشرها في مجلة المجمع العلمي العرابي في دمشق في الصحف تحت عنوان عثرات الأقلام وكان يهدف من ورائها تقويم بعض الأخطاء التي يقع فيها الكتاب فتصدى عبد الله البستاني لهذه المقالات بالنقد والتفنيد ورد عليه الشيخ المغربي، ثم اشترك معهم الكرملي وفي هذه المعركة دار جانب منها حول المولد والتوليد ومن خلال الآراء التي تبودلت نستطيع أن نتعرف على رأي الكرملي وموقفه من قضية المولد.

ففي رده على الشيخ عبد الله البستاني الذي أنكر استعمال كلمة (حبذا) لكونها مولدة(٢).

---

(١) أنظر مثال ذلك لفظة التبذوكي التي اشعلت أوار هذه المعركة ص ٦ - ٩ من هذا الكتاب.

(٢) مناظرة لغوية ص ٥.

يقول الأب انستاس « انكار الشيخ البستاني لحبذا لكونه مولداً ولأن المولدين لم ينطقوا به بهذا المعنى الذي اتخذه له بعض كتاب هذا الزمان الأخير كلام لا يؤخذ به وإلا لو نأخذ به لطرحنا من العربية جميع مصطلحات العرب العلمية والفنية والصناعية والعمرانية ولم يبق بيدنا منها إلا الشيء النذر التافه الذي لا ينطبق إلا على حال البداوة أو على الحاضرة ولم يكن عندنا ما نؤدي به عن أحوالنا العصرية فنكون قد رجعنا القهقري إلى العصور الأولى وصرنا في أخريات الناس وهذا لا يقبل به عاقل. وإذا طرحنا من لغتنا المولد وبحجة أقوى لو طرحنا المحدث العصري لبقي منها القشور، وأما اللب فقد ذهب مع النفايات مع أن حضرته - يقصد الشيخ عبد الله البستاني - قد استعمل المولد والمحدث فيما كتبه فإنك ترى في مستهل كلامه ذكر الأدب والأدباء والمتأدبين والأوضاع وإمعان النظر والمقال بمعنى ما يكتب من كلام والناقد والانتقاد والمنتقدين والجهابذة والقرن بمعنى مائة سنة، والمعجم إلى غيرها، وهذا في عمود من عمد مقالة فكيف بنا لو توخينا عزل كل ما جاء في تلك المقالة »[1].

ثم يستطرد بعد ذلك في مناقشةالشيخ عبد الله البستاني في كلمتي حبذا والمواطن فيقول: « قول المولدين أو المعاصرين حبذا بمعنى استحسن لا غبار عليه، وأما المواطن وما استحدثه المعاصرون من الألفاظ الجمة فيقال عنها أن نطق بها العرب سابقاً جاهليين كانوا أو مولدين يؤخذ بها وإلا فلا وهذا بشرط أن يكون لها مرادف في كلامهم وإلا فإن اقتضت الحاجة إلى اتخاذها فلا يعبأ بورودها أو بعدم ورودها، بل تؤخذ وتسخر لآداءبنات الأفكار وإلا فمجرد المحافظة على ما نقل إلينا من كلامهم بدون التصرف فيه من زيادة أو نقصان هو من قبل الجمود بل الهمود والقضاء علينا وعلى لغتنا »[2].

---

(١) المرجع السابق ص ٥٨.

(٢) مناظرة لغوية ص ٥٩.

غير أن الأب الكرملي يعود بعد ذلك ليذكر صورة أخرى من صور التوليد اللغوي ويطلق عليها اسم المعرب المعنوي، فيقول في رده على البستاني: « إننا نقول أنه لا يحق لأحد أن يبدل الكلمات المذكورة[1] بغيرها فإنها من المعرب المعنوي، والمعرب المعنوي كثير في العربية منها: الدرجة والظفر والظفار والضفدع والبرده والرص وجار النهر والسرطان والثقاب واللسان والبواب والأعور والمستقيم، وكلها ألفاظ علمية تفيد معاني غير معانيها الموضوعة لها وكلها معربة تعريباً معنوياً عن الأعجمية والعمود في الجريدة من هذا القبيل »[2].

من هذا يتضح لنا أن الكرملي كان يعطي للمولد شرعية لغوية به يحيى بين الكلمات العربية القديمة ويرى في وجوده داخل الثروة اللغوية تنمية لها وفي طرحه بحجة أنه ليس من كلام العرب إفقار للغة وتضييع لثروتها من الألفاظ وخاصة المصطلحات العلمية، وهكذا نرى أن المولد أخذ يكتسب على أيدي اللغويين المحدثين حقاً لم يعترف به اللغويون القدماء وهم في هذا يستجيبون لمطالب الحياة الحديثة، وكما لا يمنع الكرملي دخول الألفاظ المولدة يسمح أيضاً بدخول المولد بالترجمة.

فبينما نرى الشيخ عبد الله البستاني يقف أمام قول القائل: « فلان رجل بكل معنى الكلمة » موقفاً محافظاً متردداً في قبول مثل هذا التركيب لأنه كما قال ليس من العربية في شيء ويفضل عليه قول العرب فلان رجل أي رجل أو هو الرجل كل الرجل »[3].

بينما هذا موقف عبد الله البستاني نرى الكرملي يربط بين الفكرة

---

(١) يقصد الكلمات المولدة مثل: الصحفيون والنشرة والصحائف والعمود في الصحيفة.

(٢) مناظرة لغوية ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق ص ٥ وانظر أيضاً ما كتبه حول نفس الموضوع في مجلة المشرق ٢١٢/٦ - ٢٢٢ سنة ١٩٠٣.

والتركيب اللغوي لينتهي بقبول هذه العبارة قائلًا: « قولهم فلان رجل بكل معنى الكلمة ليس في لغتنا كلام يؤدي هذا الفكر. وقول الشيخ البستاني فذلك تعبير ليس من العربية في شيء فالعرب يقولون فلان رجل أي رجل وأيما رجل على معنى كامل في كل صفات الرجولية... فهو غير مطلوب في التعبير الأول وذلك أن التعبير الأول يقدم فائدة أخرى وهو أن للكلمة الواحدة عدة معانٍ من وضعية أو حقيقية أو مجازية مطلقة ومقيدة وهذا لا يرى في التعبير الذي يذكره العرب، وأما قوله فذلك تعبير ليس من العربية بشيء فهذا لا ينفي استعماله لأن العرب لم تنطق بجميع التعابير وكيف تنطق بها وهي أكثر من أن تحصى بل لاحد لها والعرب لم تحصى في كتبها التعابير على أنواعها بل ما كان منها مخالفاً لتراكيبهم أو مناحيهم وليس الأمر هنا كذلك فإن التركيب تركيب عربي ومنحاه منحاهم واذ نطق به واحد منهم فهمه حالاً كل ناطق بكلامهم فلم يبق إلا اتخاذه »[1].

بهذا الفهم لحقيقة التوليد حاول الكرملي أن يشارك في حركة التوليد في اللغة العربية فوضع عديداً من الألفاظ والتراكيب المولدة يقول أنيس المقدسي أنها بلغت ستين لفظة لم يعش منها سوى ثمانية عشر كلمة فقط[2].

وفيما يلي بعض الألفاظ والتراكيب المولدة التي نسبت إلى الأب أنستاس الكرملي:

أ ـ الألفاظ:

١ - فوضوية: للدلالة على المذهب الغربي المعروف.

٢ - ملاط: الأسمنت.

---

(١) مناظرة لغوية ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) مجمع اللغة العربية، البحوث والمحاضرات ص ٨٨ سنة ٦٤/١٩٦٥.

٣ - مستودع: مخزن وقد اقترحها بدلاً من كلمة أسكلة.
٤ - العلواء: الملحمة.
٥ - المعلمة: دائرة المعارف.
٦ - الطهمل:
٧ - الطلل: البوفيه.
٨ - الرفوض: أرض الحياد.
٩ - الذرو: مباديء العلوم وأولياته[١].
١٠ - الرويضة: مقابل ديماجوجية[٢].

ب - التراكيب:

١ - قائد المجنبة: مقابل صول أغا.
٢ - حكومة الوجهاء أو الأعيان: ارستقراطية.
٣ - حكومة الشعب أو الجمهورية: الديموقراطية.
٤ - جادة التدريس: البرنامج الدراسي[٣].

ولعل منحى الأب الكرملي في اختيار الكلمات الغربية لتحميلها دلالات جديدة كما يظهر ذلك من مجموعة الكلمات المولدة المنسوبة إليه هي السبب وراء موت كثير من مولداته غير أن ذلك لا يقلل من مكانته اللغوية وجهده في خدمة العربية خاصة في الدعوة لاستعمال الألفاظ المولدة تنمية للغة في العصر الحديث.

٥ - أحمد تيمور (١٨٧١م - ١٩٣٠م):

لعلنا لسنا في حاجة إلى أن ندل على مكانة أحمد تيمور[٤] في العلم

(١) المباحث اللغوية في العراق صفحات ٥٧، ٥٨، ٦٥، ٦٧، ٦٢، ٦٣، ٨٠.
(٢) الأب انستاس وآراؤه اللغوية ص ٤٣.
(٣) المباحث اللغوية في العراق ص ٥٧.
(٤) أنظر ترجمته وثقافته العلمية واللغوية في:

والأدب والمعرفة باللغة العربية وتاريخها وتطورها وما كتب حول هذا التاريخ والتطور منذ أقدم العصور فقد اقتنى أحمد تيمور مكتبة من أكبر المكتبات الخاصة في مصر إن لم تكن من أكبرها في العالم العربي، أو هي كما يقول دكتور طه حسين ثالثة مكتبات ثلاثة: دار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية ومكتبة تيمور، وهي عدا ذلك قد تمتاز بمجموعة ضخمة من المخطوطات القيمة ليست في هذه المكتبة أو في تلك(١).

والواقع أن محتويات المكتبة التيمورية من الكتب اللغوية وما تركه صاحبها من مؤلفات خطية وتعليقات على هوامش بعض هذه الكتب تدل على شغف كبير بالبحث اللغوي كان من نتائجه أن ألفت بعد وفاته لجنة خاصة باسم «لجنة نشر المؤلفات التيمورية» ومهمتها نشر كتب أحمد تيمور ومعظم ما نشر عن هذه اللجنة متصل بدراسة العربية نحواً وصرفاً ومعجماً(٢).

ولعل كتاب البرقيات من بين الكتب التي نشرتها اللجنة يوضح لنا مدى اهتمام أحمد تيمور بقضية تطوير اللغة العربية في العصر الحديث ويبدو من عنوان الكتاب أنه أراد أن يحيى بعض الألفاظ العربية القديمة التي يمكن أن تستعمل في كتابة البرقيات والمقالات ولابد أن نلاحظ أن

= ١ - أحمد تيمور تاريخ الأسرة اليتمورية ملحق بكتاب لعب العرب ص ٨٩ - ٩٢.
٢ - الزركلي الأعلام ص ١ - ٩٥.
٣ - طه حسين، الأسرة التيمورية في مقدمة كتاب أوهام الشعراء ص وإلى ق.
٤ - عباس العقاد، مقدمة الموسوعة التيمورية ص هـ وما بعدها.
٥ - أحمد شوقي أمين العالم المحقق أحمد تيمور باشا في نهاية كتاب التذكرة التيمورية ص ٤٤٩ وما بعدها.

(١) مقدمة كتاب أوهام الشعراء ص: ط.
(٢) د. إبراهيم سلامة، عرض وتحليل للكتب التي أصدرتها لجنة نشر المؤلفات التيمورية في مقدمة كتاب البرقيات ص م وما بعدها.

كلمتي البرقيات والمقالات من الكلمات المولدة مما قد يوحي بأن تيمور قد أراد باثبات هذا النوع من الكلمات في هذا المعجم الصغير أن ينبه إلى أن هناك بعض الاستعمالات التي يمكن استغلالها في العربية الحديثة وخاصة في كتابة البرقيات والمقالات إذ هما بحكم طريقة الكتابة تحتاج كل منها إلى ألفاظ مختصرة معبرة عن غرض الكاتب سواء كان يكتب برقية أم مقالة، وقد رأى جانباً من هذا الدكتور إبراهيم سلامة فقال « هذا الكتاب الجديد الذي أغرب في تسميته المؤلف وسماه البرقيات لابد لنا أن نقف قليلاً أمام هذه التسمية وهي في الحق تستأهل وقفة طويلة فقد قرأنا الكتاب كله فوجدنا أن المادة اللغوية التي جمعها ولو أنها قليلة إلا أنها متخذة أثرها بعناية لغزارة معناها وإذا تكون التسميةبالبرقيات للرسالة والمقالة إن كل واحد منها تحتاج إلى اللفظ المحدد المعني الذي يستغني به صاحبه عن الجملة أو الجمل ومعنى البرقيات إذا الكلمات الخاطفة السريعة التي يستغني بها صاحبها عن التكرار والتردد في الكتابة »[1].

ولكنه عاد يقول بعد ذلك « واعدنا الكتابة فيما كتبه المؤلف في البرقيات فوجدناه يقول في أكثر من موضع ومن البرقيات كذا وكذا وأيت بالكلمة اللغوية إلى جانب أختها لأنها من مادتها في اللغة أو من لغتها في المعنى فهل معنى البرقيات يا ترى التجاوب في المعنى والتجانس في المادة لأن الكلمة تذكر بالكلمة والمعنى يجر إلى معنى آخر فيذكر الكلمة ثم يلمح لها معنى آخر فيثبته وكأنك تنتقل من لفظ إلى لفظ ومن معنى إلى معنى في سرعة البرق »[2].

والراجح أن أحمد تيمور لم يقصد هذا المعنى الأخير من كلمة البرقيات وإنما كان يقول ومن البرقيات عند بعض المواد لفتاً للنظر إلى استعمال

---

(١) مقدمة كتاب البرقيات ص: ت.

(٢) المرجع السابق ص ث.

بعض الكلمات التي استعملها في الشرح والتي من الممكن استعمالها ضمن موضوع الكتاب أي من الكلمات البرقية، فالمعجم وضع أصلاً لهذا النوع من الكلمات ولكن يحدث أن يتطرق في شرح إحداها إلى لفظ يرى أنه يصلح أيضاً لأن يكون من الكلمات البرقية ومن ثم ينبه عليه. ففي مادة ردى نراه يقول: « ردت الجارية رفعت رجلاً ومشت على الأخرى تلعب وفي معناه العتب وهو أن يثب الانسان برجل ويرفع الأخرى وكذلك إذا مشى على خشبة والعتب في الدواب الظلع والمشي على ثلاثة قوائم من العقر. ومن البرقيات في هذه المادة (التعتيب) وهو أن تجمع الحجزة وتطويها من قدام »(١).

وفي هذا الكتاب نرى أحمد تيمور يلفت النظر إلى بعض الاستعمالات المولدة في بعض الألفاظ الاصطلاحية وهذا يؤكد لنا أنه كان يهدف من وراء هذا الكتاب طرح مادة لغوية قديمة يمكن أن تستعمل في العربية الحديثة بدلالات جديدة أو بدلالاتها القديمة والتي رأى فيها تيمور مايسد النقص في العربية الحديثة للتعبير عن ألوان الحضارة. فهو في مادة ضرب من هذا الكتاب نراه يقول: « ضاربة في المال من الضاربة وهي أن تعطي إنساناً من مالـك ما يتجربه فيه على أن يكون الربح بينكما أو يكون له سهم معلوم من الربح »(٢) وكأنه يوجه النظر إلى إمكان استعمال هذه اللفظة في العصر الحديث. وفي مادة (طعم) نراه يؤكد على الدلالات الاصطلاحية للمادة فينقل عن الخوارزمي في مفاتيح العلوم قوله الطعمة هي أن تدفع الضيعة إلى الرجل ليعمرها ويؤدي عشرها وتكون له مدة حياته فإذا مات ارتجعت من ورثته أما القطيعة فتكون لعقبة من بعده »(٣) ومثل ذلك نجده

---

(١) المرجع السابق ص ١٧.
(٢) البرقيات ص ٢٧.
(٣) المرجع السابق ص ٢٩.

في مادة (فوض) حيث يتكلم عن الشركة المفاوضة[١] وفي مادة لمظ حيث يأتي بالمعنى المولد للمظ بمعنى أعطى الحق قبل حلول الوقت[٢] ثم ينقل عن الخوارزمي في مفاتيح العلوم معنى ألفاظ التلميذ والسلف والمقاصة ويعقب على ذلك بقوله « فأفادنا بذلك ثلاث كلمات برقية »[٣].

وكل هذا يؤكد أن أحمد تيمور كان مهتماً إلى حد كبير بتطوير اللغة العربية وإمدادها بالألفاظ التي توسع من قدرتها على التعبير عن العلم والحضارة في العصر الحديث، ورغبة منه في هذا التجديد اللغوي نراه يحرص على البحث والتنقيب في هذا الجانب الحضاري في الحضارة العربية القديمة بهدف العثور على بعض الألفاظ التي يمكن استعمالها حديثاً. ففي كتاب « أعلام المهندسين في الإسلام » والذي يبدو من عنوانه أنه كتاب في تراجم المهندسين العرب والمسلمين ولكننا مع التدقيق يتضح الهدف اللغوي من وراء هذا الكتاب وهو تزويد العربية الحديثة بذخيرة من الألفاظ الاصطلاحية القديمة في الهندسة والعلوم والفنون، فنراه في بداية الكتاب يعلق على لفظة الآطام قائلاً: « الأطام بالمد قصور عالية محصنة كانت للعرب واحدها أطم بضم فسكون أو بضمتين وهي من النوع المعروف عن الافرنج باسم Chateau Fort[٤] كما يلفت النظر أيضاً إلى بعض الألفاظ التي يمكن الاستعارة منها حديثاً، فيقول في ترجمته لأبي بكر البناء: « ويرى القاريء ألفاظاً ومصطلحات للفن كانت مستعملة في ذلك العهد مثل استعمال (المدامس) للمداميك التي تبني في الماء لأنها لا تكون ظاهرة. ومادة دمس في اللغة تفيد هذا المعنى[٥]. وأخيراً نجده يختم هذا

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦.
(٢) المرجع السابق ص ٤١.
(٣) المرجع السابق ص ٤٢.
(٤) أعلام المهندسين ص ٨.
(٥) أعلام المهندسين ص ٧٠.

الكتاب بمعجم يحوي جانباً هاماً من المصطلحات الهندسية والفنية والعلمية منها ما يتصل بالأبنية والدور وما فيها[١] وما يتصل بأسماء المعادن والأحجار الكريمة[٢] ومنها ما يتصل ببعض المصطلحات الهندسية عند أرباب الحرف والصناعات[٣] وجزء كبير من هذه الألفاظ مولد لم تعرفه العربية القديمة.

ومما يدل بصورة مباشرة على اهتمام تيمور بقضية النمو اللغوي بجانب هذه الأعمال اللغوية ما كتبه في هذا الصدد في يناير سنة **١٩٢٣م** حيث قال « إننا في حاجة كبيرة لألفاظ عربية تغنينا عن الدخيل ولهذا نرحب بكل لفظة فصيحة ترادف أقرب لفظة دخيلة بل إن النظر في وضع هذه الألفاظ من أهم ما يجب أن تشتغل به المجامع اللغوية إن لم يكن أهمها كلها »[٤] ولم يكن في العالم العربي حينئذ سوى مجمع واحد هو المجمع العلمي العربي بدمشق الذي أسس سنة **١٩١٩م**. ولكن أحمد تيمور كان حريصاً أن يكون لمصر مجمعاً من تلك المجامع اللغوية التي عرفتها المجتمعات الغربية فحاول مع الشيخ عبد القادر المغربي أن يقوم بما تقوم به هذه المجامع في تنمية اللغة وخاصة في مجال امدادها بالألفاظ الجديدة.

فقد ذكر الشيخ المغربي في مقال له أنه تحادث يوماً مع أحمد تيمور « في موضوع إحياء الألفاظ الفصيحة وادالتها من الألفاظ العامية وتواصفنا مبلغ الخطر على لغة القرآن من جرائها وقلنا أن فئة أهل الأدب التي تعمل على إحياء الفصيح إنما تنتقي الألفاظ الفصيحة وتعرضها على الجمهور عرضاً لا فرق بين عرضها على طريقتهم وبين عرضها مسرودة في معاجم اللغة أي أنها ما كانت تتوسل بوسيلة ما إلى ترديدها في لغة الصحافة والخطابة

---

(١) المرجع السابق ص ٨٣ ـ ١٠٠.
(٢) المرجع السابق ص ١٠١ ـ ١٠٤.
(٣) المرجع السابق ص ١٠٤ ـ ١١٢.
(٤) التذكرة التيمورية ص ٤٥٣.

والكتابة والدواوين واتفقنا على أنه لابد من استعمالها وتداولها على الألسنة وألسنة الأقلام حتى تحيى وتؤتى أكلها » ثم يقول: « وهذا ما جعله رحمة الله ينتقي عشرين كلمة من فصيح اللغة بنشرها في جريدة المؤيد عام ١٩٠٨م وينصح باستعمالها »[١].

ومن هذه الكلمات المولدة يذكر الشيخ عبد القادر المغربي الكلمات الآتية:

١ - الوهين: بواب العمارة أو ناظر العمارة.

٢ - اللفام: اليشمك.

٣ - السكبة: الطاقية.

٤ - الفروج: القفطان.

٥ - السواد: لبس التشريفة.

٦ - الصير: السردين.

٧ - طاقة الورد: صحبة الورد.

٨ - المعبر: المعدية.

٩ - النقل: المذة.

١٠ - الطرر: الفيلا[٢].

وقد أشار أحمد تيمور على الشيخ المغربي أن يكتب مقالاً يستعمل فيه هذه الكلمات كلها أو بعضها وقد نشر الشيخ المقال على شكل خطاب إلى صديق له وصف فيه أحوال الناس في القاهرة في ذاك العهد واستعمل فيه هذه الكلمات المولدة وعلى الرغم من ذلك كما يقول المغربي لم يعش منها شيء[٣].

---

(١) عبد القادر المغربي، مجامعنا اللغوية وأوضاعها مجلة المجمع العلمي العربي ٢٣/٢١٣ سنة ١٩٤٨.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ٢٣/٣١٢ - ٣١٣ سنة ١٩٤٨.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

ومهما يكن من أمر فقد كان أحمد تيمور من العلماء الذين نذروا حياتهم لخدمة العربية وتنميتها في النصف الأول من هذا القرن على أنه مما يلفت النظر في محاولته لتوليد بعض الألفاظ أنه فطن إلى ضرورة شيوع الألفاظ المولدة واستعمالها وهي العقبة التي وقفت أمام بعض الكلمات المولدة التي وضعها الأفراد أو المجامع فيما بعد. ومن أجل ذلك لجأ إلى تلك الوسيلة التي أشار إليها المغربي لنشر هذه الكلمات بين الكتاب ظناً منه أن ذلك قد يؤدي إلى استعمالها ولكننا نلاحظ أن بعض هذه الكلمات من الكلمات التاريخية التي أشار إلى مثلها اللغوي الفرنسي درامستيتر والتي تعيش عادة بعد إحيائها في بيئة محدودة وغالباً ما تكون بيئة العلماء وهي بيئة صناعية بالنسبة للغة[1]. ولعل هذا هو السبب في أن أحمد تيمور حاول إخراج هذه الألفاظ من بيئة العلماء إلى بيئة الجمهور أو إلى الاستعمال ولكن يبدو أن طبيعتها التاريخية غلبت عليها فماتت.

ولكن محاولات أحمد تيمور في سبيل تنمية اللغة العربية بقيت دليلاً على جهد عالم كرس حياته لخدمة هذه اللغة حتى بعد مماته بما خلفه من كتب ودراسات لها قيمتها اللغوية والتي تحتاج بلا أدنى شك إلى جهد خاص لدراستها دراسة مفردة.

٦ ـ الأمير مصطفى الشهابي (١٨٩٣م- ١٩٦٨م):

يمتاز الأمير مصطفى الشهابي[2] بأنه من العلماء القلائل الذين توافروا بجهد مخلص على وضع كثير من المصطلحات العلمية وخاصة في علوم

---

(١) Darmesteter, la vie des Mots. P. 152.

(٢) أنظر ترجمة حياته وثقافته في:

١ ـ د. عبد الحليم منتصر، مجلة مجمع اللغة العربية ٢٤/٢٨٨ ـ ٣٠٠ سنة ١٩٦٩.

٢ ـ د. حسني سبح، المرجع السابق ٣٣٠ ـ ٣٠٣.

٣ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤٤/٦٣٢ ـ ٦٦٣ سنة ١٩٦٩.

المواليد الثلاثة: النبات والحيوان والمعادن، وأعطى لعلم النبات اهتماماً خاصاً بحكم تخصصه في هذا المجال، كما كان أيضاً من الرواد الذين التفتوا إلى أهمية استعمال التوليد والألفاظ المولدة في لغة العلوم فكتب مقالات عديدة في مجلتي مجمع دمشق ومجمع القاهرة يلفت فيها النظر إلى أهمية انتخال الألفاظ المولدة واقرار الصالح منها في لغة العلوم خاصة (١).

ويقسم الشهابي الألفاظ المولدة إلى أنواع فيقول: «منها ما اشتقه المولدون على أساليب القياس العربية كاشتقاقنا مثلاً من الأعيان أفعال مثل كهرب من الكهرباء ونشي من النشا وبلر من البللور، وكالاشتقاق أيضاً من أسماء المعاني ومنها المصادر فهذه المشتقات في القديم كثيرة وقد اشتققنا في زماننا هذا فقلنا مثلاً المستشفى من الاستشفاء والمتحف من الاتحاف والجامعة من الجمع والمبزر من البزر ومثل ذلك كثير.

ومن أنواع المولد ألفاظ نقلت من معناها الأصلي إلى معنى عام وهي

---

(١) أنظر على سبيل المثال ما كتبه حول هذا الموضوع في:

١ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، كلمات مولدة في كتاب قوانين الدواوين ٣٣/٥٢٩ سنة ١٩٥٨.

٢ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، كتب الفلاحة العربية وألفاظها المولدة ٣٥/٥٢٩ سنة ١٩٦٠.

٣ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية وكلمات مولدة يفيد اقرارها ٣٨/٣٥٣، ٥٢٩ سنة ١٩٦٣.

٤ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، انتخال الألفاظ المولدة واقرار الصالح منها ٤٠/٧١٣ لسنة ١٩٦٥.

وأنظر أيضاً ما كتبه حول المصطلحات العلمية وتطوير العربية في:

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٤/٥١٥ لسنة ١٩٤٩، ٣٤/٥٤٥ لسنة ١٩٥٩، ٣٥/١١٧، ٣٥٣ لسنة ١٩٦٠، ٣٦/١٧٧، ٣٥٣ لسنة ١٩٦١، ٣٧/٣ لسنة ١٩٦٢، ٣٨/٣ لسنة ١٩٦٣، ٣٩/٣، ٥٢٩ لسنة ١٩٦٤، ٤٠/٣٦١ لسنة ١٩٦٥.

ويعتبر كتابة المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث خلاصة لهذه الدراسات جميعاً وقد طبعه في المجمع العلمي العربي بدمشق طبعة ثانية سنة ١٩٦٥.

كثيرة رجعوا فيها إلى المجاز وضمنوها معاني علمية جديدة فأغتنت العربية بها وكلنا يعرف في أيامنا هذه بعض ألفاظ مجازية ضمنت جديداً من المعاني كالقطار والسيارة والمدرعة والغواصة والمطبعة. ومن أنواع المولد أيضاً معربات كثيرة نقلت إلى لساننا بعد صدر الإسلام وهي مئات بل ألوف من الألفاظ مبثوثة في الكتب العلمية القديمة والحديثة ونحن اليوم نستعمل عدداً كبيراً من المعربات المولدة التي خلت منها المعجمات العربية القديمة.

وأخيراً من أنواع المولد ألفاظ ارتجلها المولدون ولا أصل لها في اللغة وألفاظ حرفت من اللغة الصحيحة ولا يمكن تخريجها على أحد أصول اللغة وكلا القسمين يسمى العامي والدارج... ومن الواضح أن هذا النوع الأخير من المولد لا يمكن عده صحيحاً، أما الأنواع الأخرى المقيسة على قواعد العربية فيمكن النظر في عد الكثير منها ألفاظاً صحيحة يجب أن تدخل معجماتنا الحديثة »[1].

ونلاحظ على تقسيم الشهابي هذا لأنواع الألفاظ المولدة أنه جرى فيه مجرى اللغويين القدماء فأدخل المعرب والعامي ضمن المولد وهما ليسا من المولد في شيء كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ولكنه يختلف عن القدماء في أنه قرر صلاحية الألفاظ المولدة للاستعمال وخاصة تلك التي تجري على أصول عربية وهو الموقف الذي اختلف فيه اللغويون المحدثون عن القدماء من حيث قبول الألفاظ المولدة التي رأى فيها الشهابي وسيلة فعالة لتنمية اللغة العربية. ويمضي الشهابي في تتبع الألفاظ المولدة في الكتب العربية القديمة ويخص كتب الزراعة والنبات بعنايته فيلفت النظر إلى وجود كثير من الألفاظ المولدة في هذه الكتب يمكن للعربية الحديثة أن تستفيد منها في تنمية ثروتها اللغوية وفي ذلك يقول:

« استعملت ألفاظ مولدة عديدة لا وجود لها في المعجمات العربية منها

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ٤٠/٧١٤ ـ ٧١٥ سنة ١٩٦٥.

المستساغ الذي يفيد اثباته في صلب اللغة ومنها المرذول الذي لا يجوز كتابته ولا النطق به، فمن القسم الأول مثلاً غراسة مصدر للغرس فقد ذكرها ابن العوام الإشبيلي بهذا المعنى غريسة ذكرها ابن العديم فيتاريخ حلب وهما اليوم شائعتان ومثل باقة لطاقة الزهر رأيتها بهذا المعنى مرات في نهاية الأرب ورأيتها في الأغاني. . . فهذه الكلمات وأشباهها من المولدات يفيد اقرارها وعدها من صحيح الكلم »[١].

ولكنه يدرج في المولد ألفاظاً مثل سنجقدار وشاهنشاه وطبردار ويوزباشي وبكباشي وغيرها من الألفاظ الدخيلة ويطلق عليها مولدات أعجمية[٢] ويبدو أن هذا الاضطراب في تحديد مفهوم ثابت للمولد عند الشهابي يرجع إلى التزامه بتقسيم القدماء وفهمهم للمولد[٣]. ومع ذلك فقد كان شعور الأمير الشهابي بتخلف العربية عن متابعة التطور العلمي الحديث لا يقل عن شعور معاصريه من العلماء بل لعله كان يفوقهم في هذا ويصور هذا الشعور بصدق قوله: « إذا أخذت معجماً علمياً بإحدى اللغات الأوروبية الكبيرة وقلبت صفحاته العديدة هالك ما تحتويه تلك الصفحات من آلاف الألفاظ في العلوم والمخترعات الحديثة فإذا قايسنا بين بعض العلوم القديمة وبعض العلوم الحديثة نجد البون شاسعاً فقد عرف القدماء مثلاً شيئاً من موضوعات علم الطبيعة (الفيزياء) وكيف يحدث الصوت والضوء والسائلات ولكنهم جهلوا بعض دساتيرها

---

(١) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٢٦.

وأنظر أيضاً مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، كتب الفلاحة العربية وألفاظها المولدة ٥٢٩/٣٥ لسنة ١٩٦٠.

(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٢٦.

(٣) أنظر ما كتبه حول ذلك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٧١٤/٤٠ ـ ٧١٥ لسنة ١٩٦٥.

الأساسية كما جهلوا بحث الكهرباء برمته ولم يكن لديهم آلات الضوء الحديثة مثل المجهر والمرقب ولا آلات الكهرباء العديدة وآلات الجويات كمقياس الحرارة والمطر والرياح وضغط الهواء... الخ وفي الحقيقة فقد تقدم علم الطبيعة تقدماً مدهشاً ولم يبق هناك صلة تذكر بين عهد مبادئه البسيطة في القديم وعهد الكهرباء وتحطيم الذرة في الحديث »[1] ثم يمضي مقارناً بين تقدم العلوم المختلفة في العصر الحديث وما عرفه القدماء وعنها في مجالات الطب والكمياء والنبات والعلوم الزراعية والهندسة والعلوم العسكرية وعلم الحشرات وغيرها لينتهي بعد ذلك إلى نتيجة هامة « من الواضح أن ما أرمي إليه في هذه الكلمات الموجزة عن اتساع العلوم الحديثة هو أن التعبير عن هذه العلوم قد حمل علماء الغرب عبء ايجاد آلاف مؤلفة من المصطلحات الحديثة ضموها إلى لغاتهم أو إلى اللغة العلمية في حين أن لغتنا هي خلو منها أو من معظمها »[2].

ولكي يسد الأمير مصطفى الشهابي هذا النقص في مصطلحات العربية وضع معجمه في الألفاظ الزراعية، ويعتبر هذا المعجم بحق قمة أعمال الشهابي في خدمة اللغة العربية الحديثة وفي تنميتها وهو معجم فرنسي عربي للألفاظ الزراعية الحديثة في كافة مجالات هذا العلم كالزراعة العامة وزراعة البساتين وعلم الحراج وتربية الخيل والماشية والنحل والسمك والطيور وماله صلة بالزراعة من نبات وحيوان وحشرات وآلات واقتصاديات وصناعات زراعية ويضم هذا المعجم حوالي عشرة آلاف مصطلح كان للمولد نصيب كبير منها »[3].

أما الغرض من تأليفه لهذا المعجم فيحدده لنا بقوله « والغرض من

(١) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣.

(٣) معجم الألفاظ الزراعية، المقدمة ص أ ـ ب.

تأليف المعجم أن يجد فيه العلماء والأدباء وأساتذة الجامعات والمدارس الزراعية والثانوية وأرباب الزراعة والمتأدبون أصلح الكلمات العربية أو المعربة التي يمكن استعمالها في زبدة العلوم الزراعية الحديثة وفي زبدة علوم المواليد من نبات وحيوان وجماد »[1].

وأما الطريقة التي أتبعها في وضع ألفاظ هذا المعجم فيلخصها بقوله: « سرت في الجملة على النهج الذي سار عليه قدماء النقلة والمؤلفين العرب في نقل علوم يونان وفارس وغيرهما إلى العربية وخلاصة القواعد التي التزموها في النقل هي على التتابع:

١ ـ تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي.

٢ ـ إذا كان اللفظ العلمي الأعجمي جديداً أي ليس له مقابل في لساننا ترجم بمعناه كلما كان قابلاً للترجمة أو أشتق له لفظ عربي مقارب بوسائل الاشتقاق والمجاز والنحت.

٣ ـ وإذا تعذر وضع لفظ عربي بالوسائل المذكورة عمدنا إلى التعريب مع مراعاة قواعده قدر المستطاع ».

ثم يقول: « وكلما وجدت في المعجمات العربية القديمة أو في كتب الزراعة والنبات والحيوان القديمة الموثوق بها كلمة صحيحة عربية أو معربة أو مولدة سائغة لها معنى موافق أو مقارب لمعنى الكلمة الفرنسية أو العلمية رجحت، تلك الكلمة الصحيحة أو المولدة السائغة على غيرهما من الكلم وإذا وجدت في المراجع المذكورة لمدلول الفرنسية أو العلمية كلمتين واحدة صحيحة والثانية مولدة رجحت الأولى على رفيقتها أو ذكرتهما جميعاً »[2].

على هذا النحو اعتمد الأمير الشهابي على الألفاظ المولدة وعلى التوليد كوسيلة هامة من وسائل وضع المصطلح العلمي في العربية الحديثة ومن ثم

---

(١) معجم الألفاظ الزراعية ص ٢.

(٢) المرجع السابق ص هـ.

نجد عدداً كبيراً من الألفاظ المولدة أما عن طريق الاشتقاق وأما عن طريق نقل الدلالة أو النحت الذي لم يلجأ إليه كثيراً[1] وضعها الأمير الشهابي في معجمه هذا.

فمن هذه الألفاظ:

١ - زهارة: لزراعة نباتات الزينة.
٢ - نحالة: تربية النحل.
٣ - حراجة: زراعة الغابات.
٤ - بستنة: زراعة البساتين.
٥ - ملبنة: مصنع الألبان.
٦ - مزبدة: مصنع الزبد أو مكان بيعه.
٧ - مقشدة: مصنع القشطة أو مكان بيعها.
٨ - مقطنة: مكان زراعة القطن وصناعته.
٩ - موردة: حديقة الورد.
١٠ - مرزة: حقول الأرز.
١١ - مقصبة: مكان زراعة قصب السكر.
١٢ - مسلفة: آلة الحرث سطح الأرض.
١٣ - مطيرة: بيت الطيور.
١٤ - الغراسة: زراعة الشجر.
١٥ - المبذر: آلة لبذر الحبوب[2].

والحق أن الأمثلة على مشاركة الشهابي في جهود الأفراد في التوليد لا

---

(١) راجع موقف الشهابي من الألفاظ المنحوتة مجلة المجمع العلمي العربي ٥٤٥/٣٤ لسنة ١٩٥٩م وأنظر أيضاً معجم الألفاظ الزراعية المقدمة صفحة ن.
(٢) أنظر المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٧٣ ـ ٧٥.
وأنظر أيضاً معجم الألفاظ الزراعية في هذه الكلمات.

تحصرها تلك الكلمات القليلة التي أوردناها وإنما له من ذلك مئات من الألفاظ العلمية المولدة بالاشتقاق فهو في هذا المجال يعتبر بحق نسيج وحده في مصطلحات العلوم الزراعية والإحيائية والمواليد الثلاثة »[1]. ويقول أمين المعلوف عن لغة الشهابي في مؤلفاته الزراعية « ما كتبت الزراعة بأصلح منها منذ صدر الإسلام »[2].

وهذه العجالة التي ألممنا فيها بجانب من جهد الشهابي في مجال التوليد اللغوي لا تعطي في الحقيقة صورة صادقة عن جهد هذا العالم وعمله طوال أكثر من ثلاثين عاماً وهو جهد خليق بأن يلفت أنظار الباحثين.

وقد يطول بنا المقام لو حاولنا تتبع الجهود الفردية على هذا النحو في ميدان التوليد اللغوي إذ أن ذلك كما أشرت يحتاج إلى جهد ودرس مفرد ولعل فيما ذكر في هذه الجهود ممثلاً في الأفراد الذين ذكروا يعطي صورة لما بذله بعض الكتاب والمترجمين والعلماء في سبيل تنمية العربية عن طريق التوليد وخاصة فيما يتصل بألفاظ الحضارة الحديثة.

على أن هناك مجموعة أخرى من العلماء والكتاب والأدباء لا تقل جهودهم عمن ذكرناهم وقد نسبت إليهم بعض الألفاظ المولدة فتجدر الإشارة إليهم وإلى ما وضعوه من ألفاظ فمنهم:

١ ـ الشيخ خليل اليازجي وتنسب إليه ألفاظ: الجواز (وثيقة السفر) الردهة، القفاز، النوط، الصبحة (لطعام الصباح خاصة)، الجديل (سير اللجام).

٢ ـ الشيخ نجيب الحداد: الصحافة.

٣ ـ المعلم شاكر شكير: المنظرة.

٤ ـ الدكتور خليل سعادة: آداب السلوك (الاتيكيت).

---

(١) د. عبد الحليم منتصر، مجلة مجمع اللغة العربية في مصر ٩٦/٢٤ لسنة ١٩٦٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٩١.

٥ - الدكتور بشارة زلزل: الأح (زلال البيض) وقد جعله للزلال عامة وكلمة الزلال لا غبار عليها ولا أدري لماذا تركها، الأمرط (لما ليس له ريش ولا زغب من الطير)، الانسلاخ تحول الهوام من حال الى حال، الأشرع (الطويل الأنف من الغرور)، البطرلأق (الطائر المعروف باسم البنجون).

٦ - الشيخ عبد الله البستاني: الآنسة، العقلية، الندى (التليفون)، المصاص (ورق النشاف)، الشاري (مانع الصواعق)، الداهية.

٧ - الدكتور يعقوب صروف: المصح، التلفزة، النشوء، الارتقاء، الصلب.

٨ - الشيخ سعيد الشرتوني: العاديات (الآثار القديمة)، القطار، القاطرة.

٩ - سليمان البستاني: الملحمة.

١٠ - الدكتور أمين المعلوف: النفط، الغول (الغوريلا)، السعن (الدلو) المسعن (السيفون).

١١ - جرجس همام الشويري: التلفيعة، الطلاسة، النابع (قلم الحبر)[1].

وأخيراً يجب الإشارة إلى آخر هذا الرعيل من العلماء والكتاب الذين اهتموا بوضع الألفاظ الحضارية الحديثة وهو محمود تيمور، والذي يختلف جهده قليلاً عن جهود هؤلاء الرواد الذين أخذوا على عاتقهم وضع ألفاظ جديدة. فهو لم يكن واضعاً وإنما كان مراقباً أو جامعاً إن صح هذا التعبير

(١) أمين نخلة، الحركة اللغوية في لبنان ص ٣٩ - ٤٠ نقلاً عن د. حسن ظاظا كلام العرب ص ٨٢ - ٨٣، وأنظر أيضاً فيما يتصل بجهد بعض هؤلاء الأفراد وغيرهم من العلماء في وضع المصطلحات العلمية المولدة في:

١ - مصطفى الشهابي المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٤٩ - ٥٩.

٢ - د. مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق ص ٥٥ وما بعدها.

لما يتولد في الحياة العامة من ألفاظ جديدة لم تنسب إلى واضع بعينه فيقوم بجمعها وعرضها في جلسات مجمع اللغة العربية باعتباره مقرراً للجنة ألفاظ الحضارة وقد ضم معجمه الذي وضعه معظم هذه الألفاظ وأسماه معجم الحضارة وكتب له مقدمة شرح فيها أهمية ألفاظ الحضارة وحاجة اللغة العربية الدائمة إلى النمو(١).

وهكذا ما نكاد نصل إلى منتصف هذا القرن أو بعده بقليل حتى تخرج قضية النمو اللغوي من المجالات الخاصة العلمية والفكرية إلى أفق واسع هو الحياة العامة نتيجة لنمو الوعي القومي والإحساس بضرورة التمسك بالعربية باعتباره اللغة القومية المعبرة عن شعب متميز. ومن ثمن أصبح هناك عزوفاً عن استعمال الكلمات الدخيلة أو المعربة أو على حد قول محمود تيمور « اتخاذ المواضعات من الفصحى تقابل الدخيل » ، وهذا ما أعطى للمولد أهمية خاصة في نهاية الأمر إذ هو جزء من الفصيح تغيرت دلالته إما بالقصد والإرادة وإما عفواً وفي كل هذا يكون التوليد أقرب لطبيعة اللغة من الدخيل ومن المعرب.

ومن ناحية أخرى فإن الاهتمام بالتوليد على هذا النحو المقصود أو غير المقصود يعكس في الواقع موقف المحدثين من التوليد وهو كما رأينا يختلف عن موقف القدماء الذين رفضوا المولد ووصفوه بأنه ليس من كلام العرب بل عدة بعضهم من الدخيل حتى غدت كلمة المولد تشبه وصمة العار التي كان يدمغ بها المجرمون في العصور الوسطى تمييزاً لهم عن الشرفاء، حتى اذا ما جاء عصر النهضة الحديثة رأينا التوليد يسترد مكانته على أيدي هذه المجموعة من الكتاب والعلماء والمترجمين بل منهم من رآه من أهم الوسائل

(١) راجع مقدمة معجم الحضارة ص ٤، ١٣ وأنظر أيضاً: محمود تيمور، مواليد جديدة
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية في مصر ١٣/٩٥ - ٩٦ سنة ١٩٦١.

في تنمية العربية مقابل المعرب والدخيل.

غير أننا نلاحظ أن قلة قليلة منهم هي التي تناولت التوليد من الناحية النظرية أما أكثر هؤلاء الكتاب والعلماء والأدباء فقد مارسوا التوليد عملياً دون الخوض في الجانب النظري ومن تكلموا في هذا الجانب لم تبتعد آراؤهم كثيراً عن آراء القدماء، بل لقد رأينا بعضاً منهم مثل إبراهيم اليازجي يقوم بتوليد الألفاظ ويعتبر ذلك من التعريب ولعل السبب في ذلك كما أشرت من قبل هو ما أحاط لفظة المولد منذ القدم من دلالة على عدم الأصالة في العربية ومرادفتها لمعنى الدخيل. ومهما يكن من أمر فإن كلمة المولد قد استردت اعتبارها بصورة رسمية مع إنشاء المجامع اللغوية. وفي الحقيقة فإنه لن تكتمل أمامنا صورة واضحة لموقف المحدثين من المولد إلا بعد أن نلم بموقف المجامع اللغوية وجهدها في هذا السبيل باعتبار أن هذه المجامع عقب إنشائها في الربع الأول من هذا القرن تقريباً ضمت نخبة ممتازة من علماء العربية وكتابها بالاضافة إلى المتخصصين في مجالات العلوم الأخرى وكانت لهم مناقشات حول التوليد والمولد ووضعه واقراره بالنسبة لنمو وتطور اللغة العربية الحديثة وفي الفصل التالي من هذا الباب سنحاول التعرف على الجهود الجماعية لمواجهة التطور اللغوي ودور المولد في ذلك.

الفصل الثالث

الجهود الجماعية المنظمة لمواجهة النمو اللغوي

رأينا في الفصل السابق كيف كان الشعور بضرورة مسايرة العربية لمطالب العلوم والفنون الحديثة سائداً بين الكتاب والعلماء والمترجمين والأدباء منذ القرن الماضي، وكيف كان نمو الثروة اللغوية مطلباً هاماً مما دفع بعضهم إلى التصدي لوضع كثير من الألفاظ الجديدة لسد هذا النقص الذي شعروا به سواء في لغة الكتابة أو الحضارة فكانت تلك الكلمات والتراكيب المولدة التي دخلت ضمن الثروة اللغوية للغة العربية.

ومع التقدم العلمي والفكري والحضاري في الغرب منذ مطلع القرن الحالي اشتد زحف الحضارة الغربية وخاصة فيما ابتكرته في وسائل مادية وأدوات حضارية وباتت العربية مهددة بغزو من الألفاظ الدخيلة كمسميات لهذه الوسائل والأدوات يفوق طاقة أي فرد وازاء هذا العشور بخطورة الغزو اللغوي بدأت فكرة إنشاء المجامع اللغوية تتردد في كتابات الكتاب وأحاديث العلماء، ولعل إعجاب رفاعة الطهطهاوي بالمجمع العلمي الفرنسي[1] هو جزء أصيل من تلك الدعوة التي تسلمها من بعده دعاة كثيرون منهم أحمد فارس الشدياق والإمام محمد عبده وأحمد تيمور وابراهيم اليازجي وغيرهم[2]، حيث راح كل منهم يدعو لانشاء ذلك

(١) تخليص الإبريز ص ٢١٤.

(٢) محمود النشري، نشأة اللغات وحاجة الأمة إلى مجمع لغوي ص ٧.

محب الدين الخطيب، حاجتنا اللغوية إلى مجمع يوثق به، مجلة المقتطف ٢٩١/٨٢ لسنة ١٩٣٣.

المجمع الذي يستطيع التصدي لما عجزت عنه الجهود الفردية في تنمية اللغة العربية لتلاحق هذا التطور الحضاري وذلك بما يلائمه ويواجهه من تطور لغوي.

وفي أواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحالي بدأت هذه الفكرة تخرج إلى حيز الوجود في شكل جماعات منظمة غير رسمية كانت هي المقدمة الأولى لنشأة المجامع اللغوية الرسمية فيما بعد.

١ ـ المجامع غير الرسمية:

الواقع أنه برغم هذه الجهود الفردية المتلاحقة لوحظ أن المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة والحياة العامة أخذت توضع بغير ضابط أو رابط، وقد تختلف هذه الألفاظ من واضع إلى آخر ومن مترجم إلى مترجم مما أثار القلق والبلبلة وكانت موضع أخذ ورد في الصحف والمجلات، كما لوحظ أيضاً أن العامية أخذت تنمو باضطراد وأن دعاتها يريدون لها أن تصبح لغة العلم والصحافة والمسرح فيقضون على الفصحى ويقطعون ما بين الماضي والحاضر ويباعدون بين أجزاء العالم العربي، ومما مكن لهذه الدعوة إن التعليم في المدارس كان باللغة الانجليزية ولهذا كله بدت الحاجة ماسة إلى هيئة قوامة على اللغة للنهضة بها في غير طفرة وتسير بها إلى النمو في حزم وحكمة.

وقد أدرك هذا جماعة من كبار الأدباء والعلماء والمترجمين في مصر منذ أواسط القرن الماضي تقريباً إذ لمسوا الخطر في تغلب التطور غير المنظم وخشوا أن يزعزع ذلك من أركان الفصحى ويعصف بتراكيبها ولاسيما بعد أن أخذت اللغات الأوروبية تغزو العربية بكثير من الدخيل أخذ يسري في كيان العربية حاملاً دلالات الحضارة الجديدة، ومن ثم لجأت هذه الجماعة إلى التفكير في الوسائل المؤدية إلى وقاية العربية من هذا لخطر وكان من أبرز تلك الوسائل تأليف مجمع لغوي على هيئة المجامع اللغوية الأوروبية

فكان لهم محاولات غير رسميةبعيداً عن سلطان الدولة، وقد أنتجت تلك المحاولات مجمعين:

أما الأول فقد ظهر قبل نهاية القرن التاسع عشر في سنة **١٨٩٢**م وهو المجمع الذي ينسب إلى السيد توفيق بكري اذ كان رئيساً له، وكان من بين أعضائه الإمام محمد عبده والشنقيطي[١] وكان هذا المجمع حريصاً على أن تكون العربية كفيلة بمواجهة مقتضيات العلم والحضارة الحديثة وأننا إذا نقبنا فيها استطعنا أن نجد ألفاظاً خيراً من الألفاظ الجديدة كما فكر هذا المجمع في وضع معجم لغوي للعربية ولكن لم تطل حياة هذا المجمع أكثر من سبع جلسات وضع فيها طائفة من الألفاظ العربية رأى أنها أجدر بالاستعمال من بعض الألفاظ الدخيلة فمن هذه الألفاظ:

١ - المدرة: الأفوكاتو.
٢ - مرحى: برافو.
٣ - عم صباحاً: بنجور.
٤ - عم مساء: بنسوار.
٥ - الوشاح: الكردون.
٦ - المرب: الكلوب (النادي)
٧ - المشجب: بورت مانتو.
٨ - بطاقة: كارت فزيت.
٩ - شرطي: بوليس.
١٠ - بهو: صالون.
١١ - معطف: بالطو.

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ١٧٤/١ سنة **١٩٣٤** وأنظر أيضاً: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٠٩/٢٣ سنة ١٩٤٨، د. إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ص ١٤.

١٢ - قفاز: جوانتي.
١٣ - الجديلة: الموضة.
١٤ - الحذاقة: شهادة البكالوريا.
١٥ - الطنف: البالكون(١).

هذه هي الكلمات التي أراد مجمع البكري إحياءها غير أن غرابة بعض هذه الألفاظ أسرعت بها إلى الموت فلم يعش منها إلا قليل وهذا القليل نازعته كلمات عربية أخرى اهتدى إليها الكتاب بسلائقهم وحلت محل تلك التي ماتت واسدل الستار على مجمع البكري بعد هذه المحاولة في نفس العام.

أما المجمع الثاني من المجامع غير الرسمية فقد ظهرت في عام ١٩١٧م أي بعد خمسة وعشرين عاماً من المجمع الأول إذ تجددت الرغبة واشتدت الحاجة إلى مجمع لغوي يحمي اللغة ويكفل سلامتها فألف في تلك السنة مجمع يسمى مجمع دار الكتب وكان رئيسه الشيخ سليمان البشري ومن أعضائه عاطف بركات وحفني ناصف وأحمد الإسكندري وحلمي عيسى كما كان أحمد لطفي السيد مقرراً له.

وكان من وضع هذا المجمع طائفة من الألفاظ معظمها شديد الغرابة فلم تكتب لها الحياة ولم تطل حياة المجمع نفسه بعدها إلا قليلاً فمن تلك الألفاظ:

١ - الون: الصاجات أو الصنج.
٢ - المتن: السلب.
٣ - الهرمول: الشوشة.
٤ - المقزعل: للدلالة على فساد البيض أو البطيخ.

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ٣٠٩/٢٣ - ٣١١ سنة ١٩٤٨، وانظر: د. إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ص ١٥.

٥ ـ الماصر: الجمرك.
٦ ـ البيزارة: النبوت.
٧ ـ المليل: الفول المدمس[١].

وقد تناولت أقلام الكتاب هذه الألفاظ بالنقد[٢].

والحقيقة أن اهتمام هذا المجمع لم يتجه الوجهة الصحيحة في إحلال الألفاظ العربية محل الألفاظ الدخيلة التي تتصل بوسائل الحضارة الحديثة تلك التي اقتحمت على الناس حياتهم ولغتهم أيضاً، وإنما اهتم بألفاظ لمسميات لا تشكل حاجة اساسية في حياة الناس اللهم إلا تحويل المجمع تركيب عبارة « الفول المدمس » إلى لفظة المليل ولا أظن أن هناك مجمعاً مهماً أوتي من سلطان يستطيع أن يحول الناس في مصر إلى غير هذا التركيب فضلاً عن أن الفعل دمس موجود في العربية بمعنى دفن[٣] وهو يؤدي الدلالة في هذا التركيب على أكمل وجه، ومهما يكن من أمر فقد انتهى أمـر هذا المجمع كما انتهى أمر زميله من قبل عند هذه الألفاظ.

غير أنه بين هذين المجمعين حدثت محاول أخرى هي بالندوة أشبه منها بالمجمع فقد أثيرت مشكلة المعرب والدخيل فيما كان يثار حينئذ من قضايا لغوية تتصل بتنمية اللغة العربية فعقد حفني ناصف في عام ١٩٠٨م ندوة خاصة في نادي دار العلوم الذي كان يرى من واجبه أن يفصل في شؤون اللغة وقد دامت هـذه الندوة أسبوعين كاملين القيت فيها عدة بحوث احتدم حولها النقاش منها بحث لفتحي زغلول ذكر فيه أن اللغة الحقة هي التي تمكننا من تعبير محكم في وضـوح تام ولا ضير على لغة أن

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٣/٣١١ لسنة ١٩٤٨.
(٢) المرجع السابق ص ٣١٢ وانظر أيضـاً د. إبراهيم مـدكور مجمـع اللغة العـربية في ثـلاثين عاماً ص ١٦.
(٣) تاج العروس مادة (د م س).

تأخذ عن الأخرى لأنها بذلك إنما تضيف إليها ثـروة جديدة، وما دمنا عرب فمن حقنا أن نتصرف في لغتنا على نحو ما تقتضيه مصلحتنا وان نساير الأمم في تقدمها فنطور لغتنا بحيث تصبح صالحة للتعبير دون إسراف في اشتقاق أو مجاز أو تعريب[1].

كما استعرض محمد الخضري في بحث لـه عن تعريب الأسماء الأعجمية ما بذل من جهود في هذا لشأن منذ النهضة الحديثة وكان من رأيـه أن وسائل تنمية الثروة اللغوية ثلاث هي:

١ - الوضع الجديد وهو ينكره كما أنكره القدماء.

٢ - المجاز والتوسع في الاستعمال وهو طريق ينبغي أن يسلك في حذر.

٣ - التعريب وقد أخذ به العرب في الجاهلية والإسلام ولا مانع من الأخذ به بعد الاشراف عليه وتعهده.

ثم دعا الى قيام مجمع لغوي يحصر أسماء الأجناس والاعلام الأجنبية ثم يبحث عن مقابل لها في العربية فإن لم يجد عرب[2].

وكان هذا في الواقع رأي المحافظين الذين تابعوا اللغويين القدماء في القول بعصور الاحتجاج ونزع الحق من المحدثين أو المولدين في الإضافة إلى الثروة اللغوية. ثم عرض طنطاوي جوهر في نفس الندوة لموضوع العامية والفصحى فقرر أن العامية المصرية عربية صحيحة وأن المحرف منها والدخيل قليل، وهي جديرة بأن ندرسها في عناية[3]. وكان هذا الرأي صدى لدعاة العامية.

ثم ختم هذه السلسلة من المحاضرات أو البحوث حفني ناصف

---

(١) د. إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ص ١٥.
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٣) المرجع السابق ص ١٦.

ببحث له عن الأسماء العربية لمحدثات الحضارة والمدنية وبعد أن لخص الآراء المختلفة وناقشها استطاع أن يحصر مواطن الخلاف في أسماء الأجناس التي لا يوجد في العربية لفظ يدل عليها وقرر أن سياسة الباب المفتوح التي تقبل كل دخيل وجديد لا يمكن أن يؤخذ بها، وإذا كان الأوائل قد عربوا قديماً فإنما كان ذلك بقدر وما رفضوه أكثر مما قبلوه وأنه لا محل مطلقاً لتعريب الحرف أو الفعل أما الاسم فمنه جامد ومشتق، وباب المشتقات فسيح في العربية فيه غناء عن الاقتراض من اللغات الأجنبية فلم يبق بعد ذلك إلا الأسماء الجامدة سواء أكانت أسماء ذوات أم أسماء معان، وهذه بدورها ينبغي التنقيب عنها في كتب الأدب واللغة فإن لم نجد منها ضالتنا قلنا بالتعريب(١).

وفي ضوء هذا كله انتهت الندوة إلى القرار التالي: « يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الأجنبي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض »(٢).

وهنا نلاحظ أن التوليد أو المولد لم يرد صراحة على لسان أحد من أعضاء هذه الندوة كما شاركهم في ذلك أعضاء مجمع البشري ومجمع دار الكتب. فأما المجمعان فقد مارسا التوليد في كثير من الألفاظ التي وضعوها وإن لم يشيروا إلى أن ذلك من التوليد في شيء، وأما أصحاب ندوة دار العلوم فيبدو أن القوى المحافظة كانت مسيطرة على الندوة فلم يرد ذكر المولد كوسيلة من وسائل النمو اللغوي وهو الموصوم من القدماء بأنه ليس من كلام العرب غير أننا نلمح اقتراب الندوة من التوليد في اقرارهم

---

(١) د. ابراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ص ١٦.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

بالتوسع في الإستعمال وإن غلبت عليهم محافظتهم فقالوا إن ذلك طريق ينبغي أن يسلك في حذر شديد والحقيقة أن التوسع انما هو صورة من صور التوليد اللغوي.

تلك هي أبرز المحاولات غير الرسمية التي حاولت إنشاء ما يشبه المجامع اللغوية وهناك محاولات أخرى سابقة أو لاحقة شبيهة بهذا أو أدنى منها ولكننا نستطيع القول أن فكرة إنشاء المجامع اللغوية ظلت تتردد بين العلماء والكتاب في مصر والعالم العربي أكثر من نصف قرن وربما كان السبب في عدم نجاح تلك المجامع الأولى أنها قامت بنفسها دون أن تعضدها الحكومات ولكن عندما بدأت هذه الحكومات الاهتمام بقضية اللغة ظهر إلى الوجود أول مجمع لغوي للغة العربية ولم يكن هذا المجمع في القاهرة وإنما كان في دمشق.

٢ - المجامع الرسمية:

١ - المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩١٩م):

كان هذا المجمع أول المجامع الرسمية ميلاداً، إذ تأسس في ٨ يونيو سنة **١٩١٩**م وخصته الحكومة السورية آنذاك باعانة سنوية ضئيلة وجعلت له شخصية اعتبارية واستقلالاً إدارياً ومالياً فأصلح المدرسة العادلية والمدرسة الظاهرية واتخذهما مقراً له وكان ذلك عقب انفصال الشام عن الدولة العثمانية في خريف **١٩١٨**م حيث قامت في سوريا حكومة وطنية وبرزت فيها حركة قومية ترمي إلى نقل سجلات الحكومة وقوانينها وأنظمتها إلى اللغة العربية وإلى نشر التعليم بهذه اللغة أيضاً كما بديء في تأليف كتب مدرسية عربية لتدريس مختلف العلوم العصرية في مدارس الحكومة والجيش، وكانت الحكومة السورية في هذا الوقت حكومة عسكرية، فسرعان ما أدركت أن الحاجة ماسة إلى رهط من الأدباء والعلماء واللغويين يعملون على تصحيح لغة الكتابة في دواوين الحكومة ويشرفون

على لغة الكتب المدرسية ويضعون المصطلحات والكلمات العربية بدلاً من الكلمات التركية والفرنسية التي تفشت في لغة الدواوين في الشام فألفت لتحقيق هذا الغرض شعبة للترجمة والتأليف كانت هي النواة الأولى للمجمع اللغوي السوري وسرعان ما صدر مرسوم بانشائه عندما كثرت وتعددت أعمال هذه الشعبة وتولى رئاسة المجمع الأستاذ محمد كرد على وهو يعد صاحب الفضل في تأسيس هذا المجمع(١).

وكان أعضاء هذا المجمع عند تأسيسه فريقين: أعضاء عاملين وأعضاء شرف وكان من الأعضاء العاملين الشيخ عبد القادر المغربي صاحب كتاب الاشتقاق والتعريب وعيسى إسكندر المعلوف وعز الدين التنوخي والشيخ طاهر الجزائري وغيرهم، وأما أعضاء الشرف فكان منهم علماء وأدباء من مصر والبلاد العربية ومستشرقون من ايطاليا وانجلترا وفرنسا والنمسا(٢). ومنذ اللحظة الأولى أعلن المجمع عن أهدافه والغرض من إنشائه في بيان أذاعه رئيس المجمع باللغتين العربية والفرنسية وكان في مقدمة تلك الأهداف «النظر في إصلاح اللغة ووضع ألفاظ للمستحدثات العصرية وتنقيح الكتب وإحياء المهم مما خلفه الأسلاف منها والتنشيط على التأليف والتعريب»(٣).

وهكذا تصدى هذا المجمع منذ ميلاده لقضية النمو اللغوي كما تصدى لها من قبل الأفراد والمجامع غير الرسمية ولعل أهم ما يمكن أن

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤٠/٦ ـ ٨ سنة ١٩٦٥، وانظر أيضاً: محمد كرد علي، أعمال المجمع العلمي العربي ص ٣ وانظر كذلك التقرير المقدم الى المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العربية عن أعمال مجمع دمشق في مجلة المجمع العلمي العربي ٧٢/٣٢ سنة ١٩٥٧.

(٢) راجع قائمة بأسماء أعضاء المجمع في: محمد كرد علي، أعمال المجمع العلمي العربي ص ١٩ ـ ١٨.

(٣) المرجع السابق ص ٣.

نلاحظه في تلك الفترة التي حدد فيها المجمع أهدافه أنه أباح لنفسه حق وضع ألفاظ للمستحدثات العصرية واعتبر ذلك من أهدافه الرئيسية التي شرع في تنفيذها فور إنشائه، حيث أذاع على الدوائر الرسمية والمعاهد العلمية نشرة طلب فيها أن تنبئه بما يحتاج إليه من الألفاظ وضعاً وتعريباً وان ترسل إليه من جانبها ممثلاً مختصاً يشترك في أبحاث المجمع ليوضح لأعضائه المدلول الفني للألفاظ. وسرعان ما أخذت قوائم عديدة ترد إليه من مختلف الجهات فعرضت على المجمع في جلساته وبعد مناقشتها إبقاء بعض الألفاظ لصحة عروبتها واستبدل البعض الآخر وعدل في بقية الكلمات ونشر مقترحاته في مجلته وفي الصحف المحلية للمناقشة والمدارسة واعتمدت الدوائر المذكورة هذه الألفاظ كما أقرها المجمع(١).

ومن أهم الألفاظ التي وضعها أو أقرها هذا المجمع في السنوات العشر الأولى من حياته نجد طائفة كبيرة من هذه الألفاظ وضعت عن طريق التوليد بصورة المختلفة وإن لم ينص المجمع على ذلك أمام كل لفظة فمن تلك الألفاظ نجد:

أ ـ الألفاظ:

١ ـ الاتداع: التقاعد.
٢ ـ الآذان: النوبتجي.
٣ ـ الإصبع: أداة معدنية في التليفون.
٤ ـ بيان: علم وخبر.
٥ ـ التدريب: المناورة.
٦ ـ التقويم: روزنامة.
٧ ـ عقيدة: طابو.

(١) انظر التقرير المقدم إلى المؤتمر الأول للمجامع العربية عن مجمع دمشق في مجلة المجمع ٧٤/٣٢ لسنة ١٩٥٧.

٨ - الجامعة: سوار من حديد يوضع في يدي السيجين.
٩ - الجلجل: جرس المنبه.
١٠ - الخازن: أمين الصندوق.
١١ - الخلال: دبوس ربط الأوراق.
١٢ - الران: ما يغطي الساق من جلد ونحوه.
١٣ - السوقاء: الجزمة.
١٤ - الشحنة: البوليس.
١٥ - الصك: الكمبيالة.
١٦ - الطراز: النيشان.
١٧ - الفراش: أوده جي.
١٨ - القيم: القائمقام.
١٩ - اللفافة: السجارة.
٢٠ - المجففة: نشافة الحبر.
٢١ - المحرس: كوخ خشبي للخفراء.
٢٢ - المسير أو المراقب: سائق القطار.
٢٣ - المصعد: الأسانسير.
٢٤ - المفرق: السنترال.
٢٥ - المقصورة: اللوج.
٢٦ - الملف: الدوسيه.
٢٧ - الملقح: المأمور الصحي.
٢٨ - الهاتف: التليفون(١).

---

(١) عمر رضا كحالة، فهرست مجلة المجمع العلمي العربي في شعر سنوات ١/٧٧ - ٨٢ لسنة ١٩٥٦.

ب - التراكيب:

١ - امتياز الاختراع: اختراع براءتي.
٢ - أوراق مالية.
٣ - تذكرة سفر: ببليت.
٤ - التوقف في دائرة الشرطة: الحبس في النظارة.
٥ - جدول المرتبات: البودرو.
٦ - جرائد الزاد: قوائم الزاد.
٧ - حافظ الأمانات: مأمور الأمانات.
٨ - دار الحكومة: السرايا.
٩ - دار العدل: دائرة العدلية.
١٠ - الرسائل الصادرة والواردة: أوراق مرسولة ومردودة.
١١ - دار اليتامى: الميتم.
١٢ - دائرة الملكية: دائرة الداخلية.
١٣ - رفيق الشحنة: معاون البوليس.
١٤ - شعبة حصر الدخان: دائرة نحصار الدخان.
١٥ - علم الحيل: علم الآلات.
١٦ - غير متجند: باش بوزق.
١٧ - فارس شحني: سيفيل بوليس.
١٨ - قائمة البضاعة: الفاتورة.
١٩ - قلم المال: دائرة المالية.
٢٠ - محبرة الخاتم: استراحبه.
٢١ - مفوض أول: سرقوميسير.
٢٢ - مفوض تحري: سيفبل قـوميسيـري.
٢٣ - المياه الساحلية: البحر البري.
٢٤ - نشرة تجارية: شركولاري Circulaire

٢٥ - وصل الشحن: بوليصة الشحن[١].

ولم يقف نشاط المجمع في تنمية الثروة اللغوية عند هذه الألفاظ والتراكيب وإنما اهتم أيضاً بمشكلة المصطلحات العلمية فاتصل بكثير من العلماء في الخارج والداخل للتعاون معهم في البحث عن المصطلحات والاتفاق على شكلها واستقر رأيه على ضرورة وضع معجم لغوي جامع حديث في ترتيبه وسعة مادته مستجيباً لمطالب العصر وقامت حول ذلك مناقشات طويلة وضحت فيها صعوبة تحقيق ذلك لأنه « لا يكون وافياً بنجاحه مالم تتعاون في وضعه الأقطار العربية لاختلاف الكلمات المولدة باختلاف الأقطار ومالم يحشد جميع العرب إمكاناتهم لتوحيد المصطلحات وإلا وقعت البلاد في بلبلة وشر مستطير »[٢].

ومع ذلك فقد بذل بعض أعضاء المجمع مثل الأمير مصطفى الشهابي وغيره جهداً في هذا السبيل يحتاج إلى دراسة خاصة فقاموا بوضع كثير من المصطلحات العلمية الحديثة نشر منها المجمع جزءاً كبيراً في مجلته وخاصة فيما يتصل بالعلوم الزراعية ومن الذين نشروا مصطلحات ووضعوا ألفاظ أيضاً الدكتور أمين المعلوف في علم النبات وأسماء النجوم والدكتور جميل صليبا في علم الطبيعة والدكتور داوود الشلبي في الجواهر والدكتور حسني سبح ومرشد خاطر في الطب والدكتور صلاح الدين الكوكبي في الكمياء والأب أنستاس الكرملي في الألفاظ العامة. ويقول الأمير الشهابي « إن المجمع لا يقر الألفاظ العلمية التي يضعها أو يحققها أعضاؤه أو غير أعضائه مما ينشر في مجلته وهذه الألفاظ على وجاهة الكثير منها لا تعبر إلا عن رأي أصحابها لأن المجمع لا يجيز لنفسه اقرارها والتشبث بها بل يرى

---

(١) عمر رضا كحاله، فهرس مجلة المجمع العلمي العربي في عشر سنوات ١/٧٧ - ٨٢ لسنة ١٩٥٦.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ٣٢/٧٥ لسنة ١٩٥٧.

أن ذلك إنما هو من حق مجمع لغوي يشترك فيه ممثلون للبلاد العربية كمجمع مصر للغة العربية مثلاً إذا أريد أن يكون مجمعاً للأمة العربية »[1].

وهكذا كان مجمع دمشق حفياً بالتوليد اللغوي من الناحية العملية دون التقعيد النظري للتوليد فاعتمد عليه في وضع واشتقاق كثير من ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية. وإذا كان المجمع لم يخص التحديد النظري للمولد والتوليد باهتمامه فإن بعض المقالات التي نشرت في مجلة المجمع قد تناولت هذا الموضوع بالبحث والدراسة ويأتي في مقدمة هؤلاء الأمير مصطفى الشهابي والدكتور أنيس المقدسي اللذين تناولا موضوع التوليد بالدراسة وكانت معظم الآراء التي تناولت هذا الموضوع تقرر استعمال المولد كوسيلة من وسائل النمو اللغوي الفعالة[2].

٢ ـ مجمع اللغة العربية في مصر (١٩٣٢م):

هو ثاني المجامع اللغوية ميلاداً، إذ انشيء بمرسوم صدر في ديسمبر عام **١٩٣٢**م وعين اعضاؤه الأول في سنة **١٩٣٤**م ومع ذلك فقد كان وما يزال أكثر المجامع اللغوية العربية نشاطاً واغزرها انتاجاً وأبعدها أثراً في حياة اللغة العربية وآدابها.

وحدد مرسوم إنشائه أغراض المجمع فيما يلي:

أ ـ أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب.

ب ـ أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وأن ينشر أبحاثاً

(١) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٦٤.

(٢) انظر على سبيل المثال مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٧١/٤٠ سنة ١٩٦٥.

دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها.

حـ ـ أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية.

د ـ أن يبحث في كل ماله شأن في تقدم اللغة العربية مما يعهد إليه.

وقضى المرسوم أيضاً بأن يكون للمجمع مجلة تنشر فيها أبحاثه وما يرى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب[1].

وجعل أعضاء المجمع على ثلاثة أصناف:

أعضاء عاملون وأعضاء فخريون وأعضاء مراسلون وبذلك استطاع المجمع أن يضم عن طريق التنوع في العضوية كبار رجال اللغة والفكر في العالم العربي وعدداً من المستشرقين من ألمانيا وانجلترا وفرنسا وإيطاليا.

والمتأمل لأغراض المجمع كما حددها مرسوم إنشائه يرى أن تنمية اللغة العربية وتطويعها لمطالب الحياة الحضارية والثقافية الحديثة كان من أهم الأغراض التي وضعها المجمع نصب عينيه، بل لعل ذلك كان الهدف الأول الذي أنشيء المجمع من أجله، إذ كانت قضية النمو اللغوي من أهم القضايا المطروحة في بيئة اللغويين والأدباء والعلماء والمفكرين على السواء بل أهم من ذلك كله كانت مطالب الحضارة الحديثة ومسمياتها تفرض تلك القضية فرضاً.

والحق أن المجمع لم يدخر وسعاً في القيام بهذه المهمة، فمنذ الجلسات الأولى دارت مناقشات واسعة حول طرق ووسائل تنمية اللغة العربية فناقش المجمع سبل الوضع اللغوي بصورة المختلفة من اشتقاق وتعريب

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ١/ ٦ ـ ٧ سنة ١٩٣٤.

د. إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ص ١٧ ـ ١٦، ٣٥ وانظر. الملحق الخاص بالوثائق الرسمية لنظام المجمع في المرجع السابق ص ١١٣ وما بعدها.

وقياس ونحت ومجاز وارتجال وكان للمولد في هذه المناقشات نصيب كبير كما سنرى ذلك فيما بعد(١).

فبالنسبة للاشتقاق كان هم المجمع أن ييسر من أمره ويفك بعض قيوده التي كبلها به اللغويون القدماء فأجاز الاشتقاق مما لا يشتق منه فجعله بهذا أداة طيعة في أيدي العلماء والأدباء تمكنهم من أن يجدوا الكلمات الملائمة لأداء ما يعن لهم من معان ولم يحرص المجمع في هذا القرار على أن يكون بصرياً أو كوفياً بقدر ما حرص على أن يواجه حاجات العصر ويحاول سدها.

فأجاز استثناء الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر فقال: مغنط من المغناطيس وقصدر من القصدير كما قالت العرب من قبل: ذهب من الذهب، وكبرت من الكبريت وكان ذلك ممنوعاً في عرف اللغويين القدماء حيث حصروا ذلك فيما ورد به السماع فقط.

وتوسع في المصدر الصناعي وجعله قياسياً يكفي أن تزاد على الكلمة فيه ياء النسب والتاء وله أمثلة كثيرة في العربية القديمة والمولدة مثل الجاهلية والشعوبية والقدرية والجبرية والربوبية والألوهية وبذلك فتح باب الاستعانة به على آداء أسماء كثير من المذاهب والنظريات العلمية الحديثة مثل الاشتراكية والرأسمالية والرجعية والتقدمية والتأثرية والوضعية وغير ذلك(٢).

على هذه الصورة من التيسير والتسهيل كان أيضاً موقف المجمع من

---

(١) انظر الفصل التالي

(٢) محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين في أصول اللغة ص ٦٢ ـ ٦٩.

وانظر أيضاً: د. إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامين ص ٤٣ وانظر أيضاً: القرارات العلمية التي اتخذها المجمع بشأن الاشتقاق في: محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين: مجموعة القرارات العلمية ٣/٧ ـ ٨، ٢١.

التعريب والنحت والقياس والمجاز فاتخذ قرارات سهلت من استعمال هـذه الطرق في تنمية اللغة العربية[1].

ومن الجدير بالذكر أن هذه القرارات اللغويـة لم تصدر لأول وهلة بـل لقـد طـال فيهـا الأخـذ والـرد ودرست في اللجـان المتخصصـة وفي مجلس المجمع ومؤتمره واستشهد لها واعترض عليها ومن بينهـا ما أعيـد النظر فيـه وعدل.

وقد أولى المجمع عناية خاصة لقضية المصطلحات العلمية وبـذل فيها جهداً علمياً جديراً بـأن يسجل لـه بكثير من التقـدير اذ لم تكن مهمتـه في بداية الأمر سهلة أو ميسرة، إذ اضطلع بها وحـده دون أن تعاونـه في ذلك هيئات علمية تقرر مصطلحاتها من الناحية الفنيـة وتدع للمجمـع الناحيـة اللغوية.

يضـاف إلى ذلك أن المصـطلح العلمي العربي القـديم كان مجهـولاً أو شبـه مجهول إذ تـراكمت عليه سنـون الجمود والتخلف التي تـركها العصـر التركي، كما كـانت هناك مصـطلحات جـديدة أخـذ بها في مـطلع النهضة الحديثة من غير تمحيض أو بحث، كما تباينت المصطلحـات من قطر عـربي إلى آخر بل أحياناً من باحث إلى باحث، وبرغم ذلك كله لم يتـردد المجمع في حمل هذا العبء فواجهه منذ جلساته الأولى وعني به عناية كبيرة فأعد له طائفة من المحررين والخبراء والمعاجم كما ألف لجاناً خـاصة لكـل فرع من فروع العلوم وكان حـريصاً عـلى التأني في إقـرار ما يستقـر الرأي عليـه من مصطلحات[2].

والـواقـع أنـه لم يستقم للمجمـع للوهلة الأولى منهـج محـدد لـوضـع

---

(١) انظر المراجع السابقة في التعريب والقياس والمجاز.

(٢) راجع دكتور إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامـاً ص ٥٢ ـ ٥٦، وأنظر: الأمير مصطفى الشهابي المصطلحات العلمية في اللغة العربية ٧١ ـ ٨٣.

المصطلحات واقرارها وتردد في ذلك زمناً أيخترع أم يسجل أم يعرب أم يحيى الألفاظ القديمة وهل يسلم بالنحت أم يرفضه ولكنه استطاع أخيراً كما يقول الدكتور إبراهيم بيومي مدكور الأمين العام للمجمع حالياً ـ أن يلائم بين هذا كله فهو يسجل ما اصطلح عليه المختصون ما دام لا يتعارض مع أصول اللغة وقد دعا إلى جمع المصطلحات العلمية القديمة وشجع عليها بجوائز خاصة ولكن المجمع في الوقت نفسه يرى أن هذه المصطلحات لا تفي بالحاجة وأن البحث العلمي الحديث في تنوعه وتشعبه يتطلب وسائل أوسع وأنجع ومن بينها التعريب كما عرب القدماء الذين أخذوا عن اليونانية والهندية والسريانية والعبرية والفارسية والتركية، كما عرب المحدثون عن الإنجليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية، وكان للمجمع في وضع المصطلحات العلمية وصوغها قرارات هامة زادت من فعالية العربية وقدرتها على النماء في مواجهة التطور العلمي الحديث[1].

وكما تصدى المجمع لمشكلة الألفاظ والمصطلحات تصدى أيضاً لمشكلة النحو العربي التي اقترنت في النهضة العربية الحديثة باستنكار العلل النحوية وضرورة تخليص النحو من فلسفته ودرسه في ضوء الشواهد الأدبية المستعملة قديماً وحديثاً وكان أخطر ما واجه اللغة العربية الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة للكتابة والتأليف بحجة صعوبة النحو وتعقده وانشيء المجمع وهذه الدعوة تتردد أصداؤها في البيئات العلمية في مصر والعالم العربي، ولكن على الرغم من قرارات المجمع الهامة بشأن تيسير النحو[2] إلا أن نجاحه في هذا السبيل لا يعدل نجاحه في المفردات والمصطلحات العلمية، ذلك لأن أمر النحو إذا أريد له أن يساير التطور اللغوي لا يرتبط في الواقع

(١) انظر في منهج المجمع في وضع المصطلحات وقراراته في ذلك: محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين، مجموعة القرارات العلمية ٣/١٣٧ وما بعدها.

(٢) راجع محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين، مجموعة القرارات العلمية للمجمع ٣/١٧٥ ـ ١٨٥.

بجهد المجمع وحده اذ لابد له من دراسة جديدة أو بمعنى أدق لابد من إجراء استقراء جديد لقواعد العربية لأن النحاة القدماء الذين نعتمد كتبهم حتى اليوم في دراسة النحو العربي قاموا بهذا الاستقراء على نصوص لغوية معينة التزموا فيها شروطاً وضعوها تتصل بقضية الاحتجاج من حيث الزمان والمكان والجنس وكان يحدوهم في ذلك الخوف على لغة القرآن الكريم من اللحن وهم في ذلك على حق إلى حد كبير لو أنهم قصروا عملهم هذا على الاستقراء وحده دون التقدير ووضع المذاهب واستكراه النصوص. ثم سار نحو في تطوره الطبيعي كأي علم من العلوم يبدأ بسيطاً ثم يزداد تعقداً حتى وصلنا في مؤلفات النحاة المتأخرين على صورة من التعقيد كبيرة.

وإذا كان النحاة القدماء قد قاموا بدورهم رغم هذا كله في الحفاظ على العربية فنحن بدورنا مطالبون أن نسلك نفس السبيل أي الاستقراء ويتم ذلك بالعودة إلى النصوص اللغوية وهنا قد تختلف في هذا الأمر مع النحاة القدماء، فبينما هم اقتطعوا من تاريخ العربية مرحلة اعتبروها قمة الفصاحة وعليها يجب أن يقاس الكلام فإننا سنعتبر كل كاتب أو شاعر عربي له وزنه من أصحاب النصوص المعتمد في هذا الاستقراء الجديد لقواعد العربية يستوي في ذلك العرب الخلص والمولدون وحتى العصر الحديث ولابد في هذا السبيل أن يدرس كل كاتب أو شاعر على حدة دراسة لغوية خاصة تتناول ألفاظه وتراكيبه وأسلوبه وتسجل القواعد النحوية التي التزمها كل واحد من هؤلاء الكتاب أو الشعراء وأوجه الاتفاق أو الخلاف بينهم ومن هذه الدراسات سيظهر أمامنا مجموعة ثابتة من القواعد تدور في كتابات الكتاب وشعر الشعراء وبالتنسيق بين هذه القواعد في أبواب جديدة للنحو سيكون للعربية نحو جديد ومعجم جديد أيضاً.

وبطبيعة الحال فإن مثل هذه الخطة طويلة الأجل والمدى ولا يقوى

المجمع وحده على القيام بها، بل هي في الحقيقة ليست من مهام المجمع في شيء وإنما مهمة المجمع في هذه الخطة تأتي في المرحلة الأخيرة منها وهي مرحلة التنظيم واختيار القواعد المضطردة، أما الدراسات فيقع عبؤها على الجامعات ومراكز البحث اللغوي في العالم العربي حيث يوزع تراث الأمة العربية من الشعر والنثر على باحثين متخصصين في الدراسات اللغوية للقيام بهذا العمل ثم توضع نتائجه في النهاية أمام المجمع للتنسيق واختيار القواعد. وقد تبدو هذه الخطة على جانب كبير من الخيال والطموح ومع ذلك فقد بدأ قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الاسكندرية الخطوات الأولى في هذا السبيل وتبعه في ذلك قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة[1].

وإذا مضينا في تتبع نشاط المجمع في سبيل تطوير العربية وجدناه قد أعطى اهتماماً ملحوظاً للمعاجم العربية بل لقد نص مرسوم إنشائه على أن يقوم بوضع معجم تاريخي للعربية وقد وضع المجمع هذا الهدف موضع التنفيذ منذ جلساته الأولى فكون في الدورة الأولى « لجنة المعجم من كبار اللغويين العرب والمستشرقين »[2] ووضعت اللجنة خطة لما ينبغي أن يكون عليه المعجم العربي وهي خطة تشبه إلى حد كبير الخطة التي ندعو إليها باستقراء النحو فقد دعت إلى تبع كتب الأدب المختلفة لجمع الألفاظ والتراكيب التي فاتت أصحاب المعاجم الحديثة ورسمت شكل الجزازات التي ستخرج عليها تلك الألفاظ كما أوضحت ما ينبغي أن تشتمل عليه كل جزازة وبحثت ترتيب الكلمات واشتقاقها وتدرج ذلك من الأصل

---

(١) قام أستاذنا الدكتور حسن ظاظا بتوزيع عدد من الشعراء والكتاب على طلبة الدراسات العليا بقسم اللغة العربية لدراسة لغتهم فدرس كاتب هذا البحث: لغة أبي العلاء المعري في رسالة الغفران ويدرس بعض الزملاء لغة بشار بن برد والسري الرفاء والأخطل ودرست في جامعة القاهرة لغة كعب بن زهير.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ١ / ٣١ لسنة ١٩٣٤.

الحسي إلى المعاني المجردة كما ربطت بين العربية واللغات السامية ولم يقتصر عملها على الألفاظ القديمة وحدها بل أدخلت ضمن مواد المعجم الألفاظ المولدة والمعربة واعتبرتها من صلب الثروة اللغوية العربية وكانت هذه نظرة جديدة للمعجم العربي الذي اقتصر على اثبات ألفاظ العربية القديمة دون الألفاظ المولدة وقلة قليلة من الألفاظ المعربة.

وكانت خطة المجمع فيما يتصل باصدار المعاجم أن يصدر المعجم التاريخي أو المعجم الكبير[١] ثم طلبت وزارة المعارف عام **١٩٣٦**م إلى المجمع أن يسعف العالم العربي بمعجم حديث بحيث لا يقل في نظامه عن المعاجم الأجنبية ولم ينتظم العمل في هذا المعجم إلا عام **١٩٤٠**م حتى ظهر عام **١٩٦٠**م في جزئين وكان ذلك هو المعجم الوسيط[٢].

والواقع أن هذا المعجم حوى تجديداً في نواح شتى فقد رسم في العربية فناً لوضع المعجم الحديث إذ اعتنى فيه بالترتيب والتبويب فأورد الكلمات مرتبة ترتيباً منطقياً حيث قدم الأفعال على الأسماء والمجرد على المزيد واللازم على المتعدي والمدلول الحسي على المدلول المجرد والمعنى الحقيقي على المجازي كما أدخل في متنه ما دعا إليه التطور اللغوي من الألفاظ المولدة والمعربة قديماً وحديثاً ففتح باباً فسيحاً لألفاظ الحضارة والحياة العامة مما أقره المجمع وارتضاه الكتاب والأدباء، كما ضم إليه طائفة من المصطلحات العلمية العربية والمعربة وكان هذا المعجم في الحقيقة من المصادر الهامة التي اعتمدت عليها في معرفة كثير من الألفاظ المولدة وخاصة في العصر الحديث كما أصدر المجمع بالاضافة الى ذلك معجماً لألفاظ

(١) صدر الجزء الأول حتى مادة أخيل من هذا المعجم عام ١٩٥٦، وانظر أيضاً المقدمة ص ز.

(٢) انظر مقدمة المعجم ص ٥ ـ ٦ من الطبعة الأولى وقد صدرت طبعة ثانية من هذا المعجم سنة ١٩٧٢.

القرآن الكريم نشر كاملاً في عام ١٩٧٠ م[١].

وصفوة القول أن مجمع اللغة العربية في مصر منذ إنشائه قد تصدى بكثير من النجاح لقضية النمو اللغوي بحيث حقق جانباً كبيراً من الغرض الذي أنشيء من أجله وهو جعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون في العصر الحديث.

٣ ـ المجمع العلمي العراقي ١٩٤٧م:

وهو ثالث المجامع اللغوية العربية ميلاداً إذ أنشأته الحكومة العراقية في عام ١٩٤٧م وكان قد سبق ذلك محاولات لانشاء مثل هذا المجمع فحاول المعهد العلمي العراقي ببغداد عام ١٩٢٥م أن ينشيء مجمعاً لغوياً فدعا جماعة من رجال العلم والأدب إلى اجتماع عقدوه بدار النادي وطرح المعهد فكرة إنشاء المجمع اللغوي ليقوم بتعريب الكلمات وايجاد المصطلحات العلمية ةوترجمة الكتب واشترك في هذا الاجتماع مجموعة من الأدباء والعلماء من بينهم أمين المعلوف وجميل الزهاوي وساطع الحصري وطه الراوي وغيرهم، ووعدت حكومة العراق باعانة المشروع ولكنها لم تفعل.

وفي عام ١٩٢٦م أنشأت وزارة المعارف العراقية لجنة تشبه المجمع اللغوي ووضعت لها اعتماداً مالياً وكان من أعضائها البارزين ساطع الحصري وأنستاس الكرملي ومعروف الرصافي ووضعت هذه اللجنة منهجاً للعمل سمي تعليمات الاصطلاحات العلمية في وزارة المعارف وكانت مهمة اللجنة أن تنظر في المصطلحات العلمية والأدبية وكل ما يجدو يحدث من الكلمات في اللغة وخاصة في المصطلحات التي تستعمل في المدارس

(١) انظر في المعاجم التي أصدرها المجمع د. إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ص ٦١ ـ ٧٢. وبالنسبة لقرارات المجمع في هذا الشأن انظر محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين مجموعة القرارات العلمية ٣/١٢٣ ـ ١٣١.

والكتب الدراسية[1].

وقـد وضعت هـذه اللجنـة خـطة لعملهـا في وضـع الكلمـات والمصـطلحات اعتمـدت فيها عـلى الاشتقاق والـوضع والتعـريب والتوليـد الشائع المشهور والدخيل كما اشتـرطت في التعريب رده إلى وزن من أوزان العربية وأشارت إلى أن اللغة إنما تنمو بـاستعمال العـامة أكـثر من أوضاع الخاصة[2].

ولكن هـذه اللجنة الغيت عـام ١٩٢٧م لأسباب مـالية وذلـك قبـل أن تنجز عملاً ذا بال. وشهد عام ١٩٤٧م الميلاد الحقيقي لمجمع اللغة العـربية العراقي إذ ألفت وزارة المعارف مجمعاً لغوياً باسم المجمع العلمي العراقي وهو ما بـرح قائـماً حتى اليوم، وقـد استفاد منشئـو هذا المجمـع من لائحة مجمع اللغة العربية في مصر في وضع لائحة المجمع وأغراضه مـع اختلاف طفيف اقتضـاه اهتمام المجمـع العراقي بيئيـة العراق بـاعتبارهـا بيئة ذات أصول حضارية قديمة مختلفة عن مصر[3].

أما بقية أغراض المجمع فتكاد تتفق مع المجامع اللغوية التي سبقته في سـوريا ومصـر فكان من أهم أغـراضه المحـافظة أيضـاً على سـلامة اللغـة العربية والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والفنون ويتوسل المجمع لتحقيق ذلك بوضع مجمعات لغوية وعلمية[4].

ويبـدو أن المجمع لم يصـدر حتى الآن أي معجم لغـوي وانمـا أعـطى اهتمامه لقضية المصطلحات وفي ذلك يقول الدكتـور مصطفى جـواد عضو المجمـع إن من أعمال المجمـع الأصلية « بـذله الـرعـايـة للمصـطلحـات والعنـاية بهـا وتوجيـه مجهوده ونشـاطه إلى تـوسيع أفقهـا ونشـرهـا بـالنقـل

(١) د. مصطفى جواد المباحث اللغوية في العراق ص ٨٤ ـ ٨٥.
(٢) د. مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق ص ٨٥ ـ ٨٦.
(٣) راجع قانون المجمع في مجلة المجمع العلمي العراقي ١٠/٣٧١ لسنة ١٩٦٣.
(٤) المصدر السابق ١٠/٣٧١ ـ ٣٧٢ لسنة ١٩٦٣.

والتعريب والاشتقاق »[١].

وطريقة المجمع في وضع هذه المصطلحات تتلخص في دراسة المصطلح المعروض عليه في لغة المختصين أولاً كأن يستعرض حدة ودلالته عند المتخصصين أو في الكتب الخاصة ويتعرف على أصله ونشأته ثم يسمع رأي المختصين فيما اختاروه من كلمات عربية مناسبة ثم يستعرض ما ورد في الكتب العربية قديمها وحديثها لغوية كانت أم اصطلاحية ليبحث عن كلمة موافقة له فإذا وقع على تلك الكلمة ورأى فيها السلامة والرشاقة عقد رأيه وبت في الأمر، على أن من عادة المجمع أن لا يرى رأياً في مصطلح ولا يبت فيه إلا بعد الوقوف على آراء علماء البلاد العربية الأخرى وخاصة مجمع اللغة العربية في مصر ومجمع اللغة العربية في دمشق زيادة في الاحتياط واخذاً بالتأني في قرارات المجمع[٢].

بهذه الطريقة كرس مجمع العراق معظم جهده لوضع المصطلحات والكلمات التي تتصل بمظاهر الحضارة الحديثة فنشر مجموعة ضخمة من الكلمات المولدة والمعربة مما يتصل بذلك غير أنه لم يول التوليد اللغوي عناية خاصة من الناحية النظرية ومن الموضوعات التي نشر فيها كلمات نجد: السكك الحديدية[٣] نقل الركاب[٤] الغزل والنسج[٥]. مقاومة المواد وهندسة إسالة الماء[٦] الجراحة[٧] علم الولادة[٨] علوم المياه[٩].

(١) د. مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق ص ١٢٢.
(٢) المرجع السابق ص ١٢٤.
(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ٩/٣٤٩ - ٣٦٤ لسنة ١٩٦٣.
(٤) المرجع السابق ١٠/٩٥ - ١٠٥ لسنة ١٩٦٣.
(٥) المرجع السابق ١٤/٢٢٥ - ٢٢٨ لسنة ١٩٦٧.
(٦) المرجع السابق ١٥/٢٢٥ - ٢٩١ لسنة ١٩٦٧.
(٧) المرجع السابق ١٦/١٥٤ - ٢٠٨ لسنة ١٩٦٨.
(٨) المرجع السابق ١٧/٢٠٦ - ٢٢٥ لسنة ١٩٦٩.
(٩) المرجع السابق ١٩/١٤٢ - ١٤٨ لسنة ١٩٧٠.

وهـذه نمـاذج من بعض المصـطلحـات والكلمـات التي وضعهـا وهي تتصل بالنقل والسكك الحديدية:

١ ـ الإقطار: تكوين القطارات.
٢ ـ الزلل: خروج القطار عن السكة.
٣ ـ المرعد: كبسولة انفجار للتبيين.
٤ ـ العدة: المعدات.
٥ ـ المرجل: الغلاية.
٦ ـ المصدة: الصدادة.
٧ ـ المرشحة: الفلتر.
٨ ـ الصهور: الفيوز Fuse
٩ ـ الكاظم: الباكم Backing
١٠ ـ المخفتة: كاتمة الصوت Silencer

كما قرر المجمع ترجمـة معجم للرياضيـات من اللغة الانجليـزية ألفـه جماعة من كبار المتخصصين وأسنـدت هذه التـرجمة إلى مجمـوعة من العلماء من بينهم الدكتور مصطفى جواد[1].

ولا يـزال المجمع العلمي العـراقي حتى اليوم يخصص جانبـاً كبيراً من جلساته للبحث في الكلمـات والمصطلحـات على اختـلاف أنواعهـا بحيث يمكن القول بأن معظم نشاط المجمع يتجه إلى المفردات اللغوية ومع ذلـك فـإن الباحث لا يعـدم وجود أبحـاث أخرى في تنميـة العربيـة متفرقـة بين صفحـات مجلة المجمع. ولكن يمكن القـول بـأن نشـاط المجمـع نفسـه لا

= المرجع السابق ٢٠/١٥٥ ـ ١٦١ لسنة ١٩٧٠.
المرجع السابق٢١/١٥١ ـ ١٥٩ لسنة ١٩٧١.
المرجع السابق ٢٢/١٨٨ ـ ١٩٥ لسنة ١٩٧٢.
(١) راجع المباحث اللغوية في العراق ص ١٢٥.

يتعدى دائرة المصطلحات العمية. أما قضية التوليد فلم تحظ باهتمام واضح من المجمع إذ لم يبحث فيها من الناحية النظرية كما أشرت إلى ذلك من قبل وإن كان قد اعتمد على التوليد من الناحية العملية فيما وضعه من كلمات أو مصطلحات كما رأينا في مجموعة الكلمات السابقة.

٤ ـ المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط ١٩٦١م :

أنشيء هذا المكتب بناء على توصية مؤتمر التعريب الذي انعقد في الرباط في الفترة من الثالث إلى السابع من شهر إبريل عام **١٩٦١**م ويعمل هذا المكتب تحت اشراف جامعة الدول العربية من خلال شعب داخلية منبثة في البلاد العربية ويقوم عمل هذا المكتب أساساً على توحيد واستكمال المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة في العالم العربي[١].

وقد وضع المكتب خطته لتنسيق ذلك على النحو التالي:

١ ـ انشاء مكتب في كل بلد عربي يسمى الشعبة الوطنية للتعريب.

٢ ـ تجمع كل شعبة حصيلة الأعمال التي يقوم بها المشتغلون بالتعريب كالمجامع اللغوية والجامعات والمعاهد المتخصصة وكذلك الكتب والمحاضرات والمقالات وغير ذلك مما يتصل بنشاط التعريب في المجال الذي تعمل فيه الشعبة.

٣ ـ يقوم المكتب الدائم في الرباط بالتنسيق بين هذا كله واذاعته على المهتمين بأعمال الترجمة والتعريب لاستعمال ما يستقر عليه المكتب[٢].

وقد توسل المكتب لنشر هذه المصطلحات بالإضافة إلى النشرات التي يصدرها بانشاء مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي لتكون سجلاً كاملاً لجميع الأعمال المبذولة من أجل تجديد

---

(١) انظر مجلة اللسان العربي ٢/١٤٠ ـ ١٤١ لسنة ١٩٦٥.

(٢) مجلة اللسان العربي ٢/١٤١ لسنة ١٩٦٥.

اللغة العربية وتطويرها وجعلها أداة للتعبير كافية ووافية »[1].

وتحوي الأعداد التي صدرت من هذه المجلة حتى الآن على مجموعة ضخمة من الأبحاث اللغوية تناولت مختلف وسائل وطرق تطوير اللغة العربية وذلك بالاضافة الى المصطلحات التي ينشرها المكتب على صفحات هذه المجلة وقد أعطت المجلة للتوليد اهتماماً واضحاً فنشرت في عدد منها بحثاً عن المولد باعتباره من العوامل الطارئة على اللغة[2].

وفيما يلي نماذج لبعض الكلمات التي أذاعها المكتب وطريقة وضعه لها:

١ ـ الساني: A jutage ou Ajoutoir

أ ـ المعنى الاصطلاحي: أنبوب صغير يركب على فوهة يجري سائل أو غاز لتنظيم تدفقه مثلاً ساني أنبوب الري، ساني المرشحة، ساني مصباح الغاز.

ب ـ الشرح المعجمي: اسم الفاعل من سنا بمعنى سقي فتح يسر.

حـ ـ تعليل الاقتراح: التجأنا الى اشتقاق هذا اللفظ العربي لدفع الالتباس والغموض اللذين لاحظناهما في ترجمة اللفظ الفرنسي فقد عربه البعض الصنبور، وهذا اللفظ الأخير قابل به مجمع اللغة العربية في مصر لفظ: Orifice وعربه آخرون بلفظ وصلة الذي عربوا به كذلك اللفظ الفرنسي Raccord وعربه بعضهم بميزاب ويقابله على الأصح لفظ: égout و Canal حسب كازميرسكي[3].

٢ ـ مليخ:

أ ـ المعنى الاصطلاحي: إنسان مليخ لا جنسية له شرعاً.

---

(١) المرجع السابق ١/٤ لسنة ١٩٦٤.

(٢) المرجع السابق ٨/٦٧ لسنة ١٩٧١.

(٣) انظر مجلة اللسان العربي ٦/٥١٣ لسنة ١٩٦٩.

ب ـ **الشرح المعجمي**: المليخ الضعيف والـذي لا طعم له كالمسيـخ وقـد ملخ ملاخة وملخ في الأرض ذهب.

حـ ـ تعليل الاقتراح: استعملنا هذا اللفظ العربي استعمالاً مجازياً تشبيهـاً للرجـل الذي لا جنسيـة له بـالطعـام الذي لا طعم لـه، ويؤيـد هـذا الاستعمال:

١ ـ أن المليـخ يعني كذلـك الضعيف وهـو وصف ينـطبق عـلى من لا جنسية له. وأن الفعـل ملخ يفيد النـزوح والذهـاب في الأرض وهو أيضـاً شأن من لا جنسية له.

٢ ـ أن اللفظ الفرنسي يرتجم إلى العربية بعبارة عديم الجنسية أو فاقد الجنسية أو من لا جنسية لـه ولا وطن وهذه العبـارات كلها التي هي أشبـه بشـرح منها بمقـابل لا تغني غنـاء اللفظ المفرد وقـد تـرجم اللفظ الفـرنسي كذلك بلفظ مشرد الذي لا يفيد معناه بتاتاً[1].

ولعل من أهم الأعمال التي قـام بها المكتب بـالاضافـة إلى نشاطـه في مجال التعريب نشره مجموعة من المعاجم المتخصصـة مثل المعجم السيـاسي ومعجم الكميـاء ومعجم الريـاضيات ومعجم الفيـزياء في جـزأين والمعجم المدرسي المصور وغير ذلك من الكتب والمعاجم التي تساهم في قضية النمو اللغوي[2].

تلك هي أهم الجهود الجماعية الرسمية التي عنيت بالتطور اللغوي في مواجهة الحياة الحضاريـة الحديثـة لم يحظ فيها التـوليد اللغـوي من الناحيـة النـظرية بـأهمية ذات بـال ويستثني من ذلك مجمـع اللغة العـربية في مصـر

---

(١) المـرجع السـابق ٦/٥١٤ لسنة ١٩٦٩. وانـظر أيضـاً كلمـة: بسـاء: Routine وطـريقـة معالجتها في المرجع السابق أيضاً ص ٥١٦ ونمـاذج أخرى من الكلمـات التي يقترحهـا هذا المكتب.

(٢) مجلة اللسان العربي ١/١٥٧ لسنة ١٩٦٤.

الذي أعطى للتوليد والمولد اهتماماً خاصاً منذ جلساته الأولى، غير أن ذلك لا ينفى أن هذه المجامع اللغوية الرسمية ومعها مكتب تنسيق التعريب قد لجأت إلى التوليد بصورة عملية في وضع كثير من الألفاظ والكلمات والمصطلحات وإن لم تنص في وضعها على أن تلك الكلمات من المولد.

ولانفراد مجمع اللغة العربية في مصر بالبحث في قضية التوليد والمولد ودورها في النمو اللغوي فقد أفردت لجهود هذا المجمع الفصل الرابع من هذا الباب لكي نتعرف على موقف المجمع من قضية التوليد التي هي موضوع هذا البحث.

الفصل الرابع

مجمع اللغة العربية بمصر وقضية المولد

لكي نستطيع أن نحدد بدقة موقف المجمع من قضية المولد لابد لنا أن نقسم البحث في ذلك إلى شقين:

الشق الأول: ويتناول الجانب النظري من القضية وهو يتصل بتعريف المولد وتحديده كما جاء في تعريف المجمع له والمناقشات التي دارت في جلسات المجمع حول هذا التعريف.

الشق الثاني: ويتناول الجانب العملي من حيث وضع الألفاظ المولدة واقرارها في المعاجم التي أصدرها المجمع.

وعلى الرغم من أن كلا الجانبين متصل بالآخر أشد الاتصال إلا أن هذا التقسيم تقتضيه الضرورة للوصل إلى نتائج أدق وأقرب إلى الصواب كما أن ذلك يمثل بحق المراحل التي اتخذها بحث المولد والتوليد في مجمع اللغة العربية بمصر.

١ ـ الجانب النظري:

لعلي لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت أن قضية المولد في اللغة والاستعمال كانت القضية الأولى التي فرضت نفسها على أول اجتماع عقده أعضاء مجمع اللغة العربية وهم يهمون بمناقشة نصوص قانون المجمع ومواده المختلفة، إذ توقف الأعضاء أمام عدد من الكلمات وردت في صياغة القانون فرأى بعض منهم عدم جواز استعمال هذه الكلمات بينما رأى

البعض الآخر أنه يجوز استعمالها وحسماً للخلاف تقرر ارجاء المناقشة في قانون المجمع من الناحية اللغوية إلى ما بعد الانتهاء من مناقشته من الناحية الموضوعية[1]. وكانت الكلمات التي توقف أمامها أعضاء المجمع هي: لائحة، شرعة، لاحقة، مشرع، مشروع، مقترح، وذلك للدلالة على قانون المجمع. ودارت المناقشة حول أي من هذه الكلمات الست أدل على ذلك، فبينما فضل الأب أنستاس الكرملي كلمة شرعة على لائحة قال الدكتور فارس نمر أن لمعنى اللائحة علاقة بالظهور في اللغة ولو مجازاً، وفسر عيسى إسكندر المعلوف كلمة اللائحة بأن أوامر الحكومة العثمانية في بلادها كان بعضها سرياً لا يطلع عليه غير الحكام وبعضها يظهر للجمهور ومن هنا وضعوا كلمة لائحة للأوامر الظاهرة.

واقترح المستشرق ماسنيون وضع كلمة مشرع بدلاً من شرعة، ورأى الشيخ عبد القادر المغربي أن تبقى كلمة لائحة لأصالتها في العربية وشهرتها في الاستعمال وعذوبتها في اللفظ، وطرح أحمد العوامري أخذ الآراء في اختبار كلة شرعة غير أنه فضل كلمة مقترح بدلاً من كلمة مشروع وعاد الشيخ عبد القادر المغربي لبيان رأيه السابق قائلاً إن كلمة مشروع ككلمة لائحة قد شاعت وهي من أصل عربي ».

واعترض الشيخ أحمد الاسكندري قائلاً إنه إذا وضعت لفظة لمعنى حديث فلابد أن توجد علاقة بين معناها القديم والحديث وإلا قبلنا كثيراً من الألفاظ العامية الشائعة لأنها خفيفة في الاستعمال ثم قال ونحن الآن أمام أمر ذي بال فهل نقبل كل ما يكتبه كتاب الصحف والدواوين لأنه شائع.

وعاد الشيخ المغربي يؤكد أن العلاقة واضحة بين معنى اللائحة في اللغة ومعناها في الاصطلاح قائلاً إنه قد وضع المرسوم ثم لاحت في

(١) انظر مجمع اللغة العربية محاضر الجلسات: ١/٨ لسنة ١٩٣٤.

أفكارنا لائحة للتعليق عليه فقلنا لائحة وهذا من قبيل التسمية بالصفة بعد حذف الموصوف.

وأقفل الدكتور محمد توفيق رفعت المناقشة في هذه الكلمات إلى ما بعد الانتهاء من مناقشة مواد القانون ذاته(١).

والمتأمل لهذه الكلمات يجدها جميعاً تتساوى في أن كلا منها لا تدل أصلاً على المعنى الذي يراد اطلاقها عليه وهو نصوص قانون ما قبل اقراره أو الموافقه عليه ولم تعرف العربية هذه الألفاظ بتلك الدلالة الجديدة وإنما عرفت من اللائحة معنى الظهور والوضوح. فالفعل لاح يعني ظهر ووضح ولائح بمعنى مليح إذا برز وظهر كما عرفت العربية القديمة لوائح الشيء بمعنى ما يبدو منه وتظهر علامة عليه(٢). أما شرعة ومشروع ومشرع فقد عرفت العربية الشرعة في قوله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً »(٣). وقد اختلف المفسرون في تفسير الشرعة والمنهاج فقالوا إن الشرعة الدين والمنهاج الطريق وقيل هما جميعاً بمعنى الطريق أي الدين، وقال ابن عباس شرعة ومنهاجاً أي سبيلاً وسنة أو الشرعة ما ورد به القرآن والمنهاج ما وردت به السنة(٤) كما عرفت الشرعة بمعنى حبال تنصب للقطا لصيدها والوتر الرقيق ومثل الشيء وشبيهه والعادة(٥) وعرفت أيضاً المشرع بمعنى الشرعة أي مورد الماء والمشروع بمعنى الشروع كالميسور بمعنى اليسير(٦).

أما لفظة المقترح فقد عرفته العربية بمعنى أول الشيء وبدايته قال أبو

---

(١) مجمع اللغة العربية، محاضر الجلسات ١/٦ ـ ٨ سنة ١٩٣٤.

(٢) تاج العروس مادة لوح.

(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

(٤) تاج العروس مادة شرع.

(٥) المصدر السابق نفس المادة.

(٦) المصدر السابق نفس المادة.

حنيفة « التقرح أول شيء يخرج من البقل » وقال ابن الاعرابي « وينبت البقل حينئذ مقترحاً صلباً وكان ينبغي أن يكون مقرحاً إلا أن يكون اقترح لغة في قرح وقد يجوز أن يكون قوله مقترحاً أي منتصباً قائماً[١]. وكذلك لم تعرف العربية اللاحقة بهذا المعنى الجديد[٢].

إذاً نحن أمام ست كلمات يراد توليد كلمة منها لتدل على نصوص القانون قبل إقراره وعندما واجه مجمع اللغة العربية هذه الكلمات اختلف على النحو الذي عرضنا له منذ قليل ولم يستطع أن يفصل في أي الكلمات أولى وأدل على ما يريد، ومع ذلك نستطيع أن نلمح اتجاه الرأي بالنسبة لهذه الكلمات، فهو بين مانع لها رافض لدخولها في الثروة اللغوية وبين محبذ لوجودها ما دامت تدل على المعنى المراد ولها صلة بالعربية.

ثم نشب الخلاف مرةأخرى حول كلمتي الصوت والرأي وأيها أدل على إبداء الرأي كتابة أو شفوياً[٣]. وحول كلمات: الإضبارة الربيدة المخزومة القمطر إضمامه للدلالة على الملف الذي توضع فيه الأوراق لحفظها[٤] ثم حول كلمة المكتبة للدلالة على خزانة الكتب[٥].

وكل ذلك يدل على حاجة العربية الماسة في ذلك الوقت إلى التجديد والنمو في ثروتها اللغوية، واللغة عادة لا تنتظر قرارات كي تستعمل ألفاظاً تعتبر بها وإنما يختار المتكلمون ما يستجيب وحاجاتهم الفكرية والحضارية ولذلك عاشت من تلك الألفاظ التي تردد المجمع في قبولها كلمات اللائحة وقد أدخلها المجمع فيها بعد ضمن مواد المعجم الوسيط الذي أصدره فقال « اللائحة مجموعة من المواد توضع لتنظيم العمل في هيئة أو مصلحة أو

(١) المصدر السابق مادة فرح.
(٢) المصدر السابق مادة لحق.
(٣) مجمع اللغة العربية، محاضر الجلسات ١/٣٣ ـ ٣٨ سنة ١٩٣٤.
(٤) المرجع السابق ١/٥٥ ـ ٥٦.
(٥) المرجع السابق ١/٥٧.

مؤسسة »[١]. ومثل ذلك في كلمة الصوت للدلالة على الرأي وما اشتق فيها أي صوت بمعنى أدلى برأيه[٢] وكذلك كلمة المكتبة للدلالة على مكان وضع الكتب وحفظها[٣].

وكان ذلك كله بمثابة تمهيد لمناقشة قضية التوليد التي اعترضت أعضاء المجمع في صورة هذه المجموعة من الألفاظ السابقة وهم ما زالوا بعد يناقشون لائحة المجمع ولكن كلمة المولد لم تكن قد وردت على لسان أحد الأعضاء صراحة حتى ذلك الوقت ولكنها طرحت عند مناقشة الأعضاء لميزانية المجمع فقد اعترض الشيخ حسين والى على استعمال كلمة مبلغ للدلالة عى قدر من المال لأنها مولدة وقال « هل تبقى كلمة مبلغ مع أنها مولدة كما نص شارح القاموس »[٤].

ووافقه على ذلك الشيخ أحمد الإسكندري وقال إنه لا يسيغ هذه الكلمة واعترض الأب أنستاس الكرملي على ذلك بأن الغاية من الكلام التفاهم وهذه الكلمة مولدة وجميع مصطلحات العلوم مولدة كذلك، وكونها مولدة لا يمنع استعمالها ما دام العلماء اصطلحوا على استعمال المولد، ولكن الشيخ حسين والي أصر على اعتراضه قائلاً ليس العرف حجة على اللغة العربية فكثيراً ما يتفق الناس على الخطأ ثم عاد إلى كلمة لائحة قائلاً إن كلمة لائحة التي اختلفنا فيها من قبل وجدنا بيننا من يخرجها تخريجاً عربياً باعتبارها صفة الموصوف محذوف ثم تساءل على أي نحو يخرج كلمة مبلغ. ثم أخذ في شرح المدلول الأصلي للكلمة فقال إن

---

(١) المعجم الوسيط ٢/٨٤٥ ط. ثانية.
(٢) المصدر السابق ١/٥٢٧ ط. ثانية.
(٣) المرجع السابق ٢/٧٧٥ ط. ثانية.
مجمع اللغة العربية محاضر الجلسات ١/٨٩ سنة ١٩٣٤.
وانظر أيضاً تاج العروس مادة بلغ حيث يقول الزبيدي « المبلغ كمقعد النقد من الدراهم والدنانير مولدة ».

المبلغ هو البلوغ أو مكانة فنقول مثلاً مبلغ فلان في العلم مبلغاً عظيماً وبلغ المال مبلغاً عظيماً ونحو ذلك فأين ذهب العامل حتى بقي المصدر وحده وهو لا يفيد إلا البلوغ العام أو مكانه وما الذي يخصص الكلمة بالدراهم والدنانير؟ .

وقال الدكتور فارس نمر العرف خصصها فرد عليه الشيخ والي قائلاً العرف المقبول يخصص بقدر واقترح توزيع المال المخصص بدلاً من كلمة المبلغ .

وأراد الشيخ إبراهيم حمروش أن يوفق بين الرأيين فقال يستعمل المولد إذا اشتهر ولكنه لا يستعمل في البلاغة والأدب واستدرك عليه الشيخ والي هذا الرأي قائلاً إننا لا نريد كل مولد فالذي تسوغه قواعد اللغة كالمجاز من طرقة المألوفة نقبله فإذا كانت العلاقة ضعيفة لا نقبله(١).

واستمرت المناقشة على هذا النحو حول قبول كلمةمبلغ المولدة أو رفضها وأي أنواع المولد يقبل وأيها يرفض واشترك فيها من المستشرقين نالينو وماسنيون(٢) وانقسم الرأي إلى اتجاهين واضحين :

١ ـ اتجاه محافظ يريد أن يضيق من دائرة التوليد ويقيد استعمال الألفاظ المولدة .

٢ ـ اتجاه مجدد يريد أن يوسع من دائرة المولد ويستغله في تنمية الثروة اللغوية وخاصة إذا كان من مصطلحات العلوم .

وأنهى الشيخ أحمد الإسكندري المناقشة بقوله « مسألة المولد مسألة ذات بال وهي إحدى مسائل ثلاث أو أربع سنبحثها في المستقبل بحثاً مفصلاً »(٣).

---

(١) مجمع اللغة العربية محاضر الجلسات ١/ ٩٠ سنة ١٩٣٤ .

(٢) المرجع السابق ١/٩١ ـ ٩٤ سنة ١٩٣٤ .

(٣) المرجع السابق ١/٩٤.

وكانت تلك هي الجولة الأولى التي نوقش فيها التوليد والمولد صراحة في جلسات مجمع اللغة العربية.

أما الجولة الثانية فكانت في الجلسة الثالثة والعشرين يوم **٣** مارس سنة **١٩٣٤**م وهي الجلسة التي خصصها اعضاء المجمع لبحث موضوع التوليد.

وافتتح الجلسة الشيخ حسين والي بقراءة بحث له حول التوليد فنقل عن اللسان بعض الدلالات اللغوية لكلمة مولد ثم نقل عن الشهاب الخفاجي قوله « وما عربه المتأخرون يعد مولداً »[١].

وعلى أثر ذلك القول بدأت المناقشة، وأراني مضطراً لكي نستطيع أن نتعرف على اتجاهات الرأي والمناقشة حول التحديد النظري لمعنى التوليد والمولد أن أنقل جزءاً مما دار في هذه الجلسة كما ورد في محاضر الجلسات ثم نقف بعدها للتحليل والتعقيب واستخلاص النتائج.

فعندما قال الشيخ حسين والي عبارة الخفاجي السابقة قال:

الشيخ إبراهيم حمروش: وما عربه المتقدمون أيضاً لأنه ليس هناك حدود مميزة بين المعرب والمولد.

الشيخ حسين والي: الذي عربه المتقدمون أي العرب الذين يعتمد بعربيتهم لا يقال له مولد وإنما يقال له معرب.

الشيخ إبراهيم حمروش: ما أدخله من لا يعتمد بعربية مولد وما أدخله من يعتمد بعربية معرب أي من كلامهم.

د. نمر فارس: هل ينحصر المعرب فيما أدخله العرب وحدهم في العربية؟

---

(١) المرجع السابق ٣١٧/١.
وانظر أيضاً شفاء الغليل ص ٣.

الشيخ حسين والي: نعم ينحصر فيما أدخله العرب الذين يعتد بعربيتهم.

د. نمر فارس: إذاً لا نقول إن الذين أتوا بعد العرب عربوا بل نقول ولدوا.

الشيخ حسين والي: هؤلاء هم المولدون والتعريب المطلق خاص بالعرب الذين يعتمد بعربيتهم أما التعريب الإضافي الذي أتى به من بعدهم فهو توليد.

الشيخ عبد القادر المغربي: إذا كنا نكتب العربية الفصيحة وهي باقية فينا فلماذا لا نكون فصحاء يعتد بعربيتنا.

الشيخ أحمد الإسكندري: ولِدك الذي يتعلم في المدرسة قواعد اللغة أعربياً تعد أم أعجمياً؟

الشيخ عبد القادر المغربي: أعده عربياً إلى حد ما وعلى قدر سنه.

الشيخ أحمد الاسكندري: الشهاب الخفاجي قال وما عربه المولدون ونحن نتابعه على ذلك وتكون التسمية مجازية.

عيسى إسكندر المعلوف: قال أبو البقاء في كلياته المولد كالمظفر من ولد عند العرب ونشأ مع أولادهم وتأدب بآدابهم وهو من الكلام المحدث يقال هذه عربية وهذه مولدة ومن أمثلته النحرير[1] قال الأصمعي ليس من كلام العرب بل هي كلمة مولدة وأجمعوا أن من المولدات التشويش وبحران عند الأطباء ويوم باحور شديد الحر في تموز ولا يكتنيهه الوصف أي لا يبلغ كنهه[2].

ثم نقل كلاماً عن القياس والسماع في اللغة عن أبي البقاء أيضاً في كلياته قائلاً إن اللغة العربية تنقسم إلى ما يضطرد فيه القياس ومالا يقاس

---

(١) أنظر أبو البقاء، الكليات ص ٣٤٨.

(٢) السيوطي، المزهر ١/٣١٠ وكلمة بحران ليست مولدة ولكنها من السريانية.

عليه فلذلك كان على الواضع أن يكون متضلعاً من أسرارها مدققاً في أصول اشتقاقها عارفاً طرق البيان منها كل المعرفة ليتمكن من وضع ما يلائم الموضوع له. وبعد أن نقل عن تاج العروس تعريف المولد والفرق بينه وبين الموضوع قال لذلك كان الوضع من التوسع في اللغة لسد ما هنالك من النقص أو التقصير مما لم يكن في زمن العرب بل وجد في زمننا فاضطررنا إلى ايجاده توسعاً في التعبير وتبسطاً في البحث.

الشيخ أحمد الإسكندري: لو أردنا أن نتوخى التدقيق في تحرير عبارة القرار الذي صدر عن المجمع في التعريب[1] لقلنا « والمجمع يجيز إدخال الكلمات الأعجمية في اللغة الفصيحة عند الضرورة.

د. محمد توفي رفعت: قد انتهينا من قرار التعريب في الجلسة الماضية ليكمل فضيلة الشيخ حسين والي الكلام في المولد بايراد أمثلة.

الشيخ حسين والي: من أمثلة المولد القصف بمعنى اللهو وأصل معناه قصف الغصن الصغير أي كسره، فكسر الغصن فيه صوت والصوت فيه قريب من اللهو قال الراغب « رعد قاصف أي مكسر ومنه قيل لصوت المعازف قصف ويتجوز به في كل لهو »[2].

وفي القاموس وأما القصف من اللهو فغير عربي والتقصف التكسر والاجتماع واللهو واللعب على الطعام يقال التقصف وفي القاموس التقصف والتكاثر[3]. ومن المولد المتن والشرح في اصطلاح العلماء

---

(١) قرار المجمع في التعريب هو « التعريب ادخال العرب في كلامهم كلمة أعجمية بصورتها أو بتصرف فيها وإن مجمع اللغة العربي الملكي يجيز التعريب عند الضرورة وقد وافق المجمع على هذا القرار واعترض عليه الشيخ حسين والي والشيخ أحمد الاسكندري اللذين رأيا إضافة عبارة « الذين يعتد بعربيتهم » إلى نص القرار انظر محاضر جلسات المجمع ٣٠٩/١ سنة ١٩٣٤ وقد عدل هذا القرار فيما بعد، انظر مجموعة القرارات العلمية ٦/٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤١٥. وانظر أيضاً لفظة المقصف في الباب الثالث من هذا البحث

(٣) القاموس المحيط مادة قصف.

وأصل المتن الظهر شبه متن الكتاب بالظهر لموضعه من القوة[1].

ولم يسمع عن العرب لفظ الماهية بمعنى حقيقة الشيء[2] وهناك الماهية أي الراتب الشهري كأنها نسبة الى الماة الذي هو بالفارسية الشهر أو القمر[3].

د. فارس نمر: العرب الذين يعتد بعربيتهم لم يؤلفوا شيئاً فلما ألف خلفهم أدخلوا المصطلحات جديدة وولدوها أفنقول إن كلام هؤلاء مولد؟.

الشيخ أحمد الإسكندري: الذي أدخله هؤلاء مولد صحح قيس على كلامهم وهنالك توليد عامي نشأ ارتجالاً.

د. فارس نمر: على أي نوع نقيس؟

الشيخ أحمد الاسكندري: نقيس على المولد الجاري على القواعد العربية لأن أكثر من واحد من العلماء يقول ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم. ثم اقترح أن يصاغ قرار المولد على النحو التالي: المولد هو اللفظ الذي نطق به المحدثون لا على طريقة العرب.

الشيخ حسين والي: ومن المولد « رد الباب » بمعنى أغلقه فالعربي يقول أغلقه والعامة تقول رد الباب، قيل هذا عامي مبتذل ويمكن تخريجه على معنى رد الباب إلى ما كان عليه.

العوامري والجارم: لا تقبل حكم القدماء بابنه مبتذل.

الشيخ حسين والي: لهذا نقول إن بعض الألفاظ قد يرتفع شأنه في عصر وينحط في عصر آخر ومن أمثلة المولد لفظة « مكبة » بفتح الميم غطاء الصحفة تداولها الناس واستعملها أبو بكر الخوارزمي في رسائله فهل تنطبق هذه على القواعد إذ يقال مثلاً كب الشيء قلبه.

---

(١) انظر لفظة المتن ص ٢٥٤ في الباب الثالث.

(٢) انظر لفظة الماهية ص ٢٧٢ في الباب الثالث.

(٣) انظر: Hiam, op. cit. Vol 2. p. 790.

علي الجارم: إذا كانت المكبة بفتح الميم فلا يمكن تخريجها.

الشيخ حسين والي: ومن المولد كلمة ست بمعنى سيدة، ويتفرج بمعنى ينظر إلى الشيء.

وعلى ما تقدم يكون المولد قسمين:

قسم يمكن تخريجه على القواعد وقسم لا يمكن تخريجه فالأول منه فصيح والثاني عامي.

الشيخ أحمد الإسكندري: هنالك قسم ثالث وهو العامي الذي نطق به المولدون على غير القواعد.

الشيخ إبراهيم حمروش: المولد ثلاثة أقسام: قسم أدخله العرب من غير لغتهم وقد سيمناه المعرب وقسم أدخله المولدون في كلام العرب على مثال كلامهم. وقسم نطق به المحدثون على غير القواعد وهو العامي[1].

وقد توقفت المناقشة عند هذا الحد حيث أخذ الشيخ عبد القادر المغربي يقرأ بحثاً كتبه عن الكلمات غير القاموسية مقابل الكلمات القاموسية التي ذكرتها المعاجم وقد قسم هذه الكلمات غير القاموسية إلى سبعة أقسام وهي:

١ ـ كلمة لم تذكر في المعاجم ولكنها وردت في كلام أحد الفصحاء الذين يحتج بأقوالهم مثل فعل تبدى بمعنى ظهر في قول عمر بن معدي كرب:

وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدى

٢ ـ كلمة لم تذكر في المعاجم ولكنها وردت في كلام أحد الفصحاء المتأخرين ممن لا يحتج بقولهم مثل قول الطبري في تاريخه اقصصت القصة يريد قصصتها ومثل استعمال الشيخ محمد عبده لكلمة الصدفة في مقدمة

(١) مجمع اللغة العربية محاضر الجلسات ١/٣١٧ ـ ٣٢١٠ سنة ١٩٣٤.

شرحه لنهج البلاغة[١].

٣ ـ كلمـات ولدهـا المتأخـرون ليؤدوا بها معنى اصـطلاحيـاً في فن أو زراعة أو صناعة أو إدارة مثل كلمة تشكيل في تشكيل المحاكم وتعـريفة في قولهم تعريفة الرسوم، ولائحة، وتقرير، ومشروع، ومبلغ، وميزانية.

٤ ـ كلمات كذلك ولدها المتأخرون لتدل على معان حيـوية مختلفـة ولا أثر منها للاصطلاح مثل خابره بمعنى راسله، تنزه خـرج إلى الخلاء، تفـرج نظر إلى الشيء متعجباً أو مسلياً نفسه، مكتبة لموضع الكتب.

٥ ـ كلمات أعجمية دخلت في اللغـة العربيـة مثل مشكـاة، كاغـد، المنولوج، الكومبارس.

٦ ـ أسـاليب أعجمية تسـربت إلى اللغة العـربية مثـل اعتنق فـلان الدين الفلاني، فلان لعب دوراً، ساد الجهل في البلاد.

٧ ـ كلمات لا يستعملها الخواص وإنما يستعملها العوام كثيـراً في لغة مخاطبتهم مثل عبيط، ملحوس، هلس، هجص، فرفش[٢]..

وكان الشيخ المغـربي قد استفتى قبـل ذلك خمسـة من أعضاء المجمـع حول هـذه الأنواع السبعـة من الكلمات وهم الأب أنستـاس الكرمـلي والشيـخ محمد الخضر حسين. وعيسى إسكندر المعلوف والشيـخ أحمد الإسكنـدري ثم الشيـخ المغربي نفسـه وقد وافقـوا على استعمـال الأنواع الثـلاثـة الأولى ورفض الشيخان الإسكندري وخضر حسين استعمال النوع الرابع واشترط الأعضـاء شروطـاً في استعمال النـوع الخـامس والسـادس ورفضـوا جميعـاً استعمال النوع السابع[٣].

---

(١) كتاب نهج البلاغة، المقدمة ص ٢.

(٢) مجمع اللغة العربية، محاضر الجلسات ١/٣٢١ ـ ٣٢٩ سنة ١٩٣٤.

(٣) المرجع السابق، ١/٣٢١ ـ ٣٣١ سنة ١٩٣٤.

ثم تلى بعد ذلك القرار الذي وضعته اللجنة للمولد ونصه:

« المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب وهو قسمان: قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك وحكمة أنه عربي سائغ.

وقسم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب أما بتحريف في اللفظ وإما بتحريف في الدلالة لا يمكن معه تخريجه على وجه صحيح وهذا القسم الثاني هو ما يسمى بالعامي ولا يجيزه المجمع في فصيح الكلام»[1].

واعترض الشيخ إبراهيم حمروش على نص القرار قائلاً:

عندنا مقامان الأول عمل المجمع وهو تعريب مالابد من تعريبه، والثاني بيان المولد عند العرب فإذا اقتصرنا على التعريب الذي في القرار لم نحط بأقسام المولد كلها ونحن هنا في مقام البيان.

الدكتور منصور فهمي: من هم العرب الذين يعتد بعربيتهم؟

المستشرق جب: أرجو ألا يبادر المجمع بتحديد معنى عبارة من العرب الذين يعتد بعربيتهم واستحسن أن يترك هذا لحضرات الأساتذة اللغويين ليثبتوا عربية كل كلمة عند الضرورة.

المستشرق فيشر: لابد أولاً أن نعرف معنى كلمةالمولدين وأول عصورهم.

الشيخ حسين والي: في القاموس وشرحه المولدة المحدثة من كل شيء ومنه المولدون من الشعراء وإنما سموا بذلك لحدوثهم وقرب زمانهم وهو مجاز[2].

علي الجارم: نريد تحديداً دقيقاً لأول عصور التوليد.

الشيخ أحمد الإسكندري: بعد القرن الثاني في الأمصار وبعد القرن الرابع

---

(١) المرجع السابق ١/ ٣٣٠.

(٢) راجع تاج العروس مادة ولد.

في البادية أي بعد أن فسدت السليقة العربية.

د. **منصور فهمي**: كل لغة فيها توليد وأنا لو عشت في القرن الأول لوجدت كلمات مولدة بالإضافة إلى من جاءوا قبلي فما معنى الفطرة ما دامت اللغة تتطور بطبيعتها وعلى الرغم من فطرة أهلها.

الشيخ أحمد الاسكندري نريد باللغة الفصيحة التي دونت من أجلها كتب النحو والصرف والبلاغة وهذه العربية لم ينطق بها أحد بدون تعلم الا قيل المأتين في الأمصار أما العربية التي درجت على القرون وعلمت بالصناعة فأهلها لا يعدون فصحاء بالفطرة ومثل ذلك اللغة اللاتينية فإن القدماء أمثال شيشرون وفرجيل ونحوهما كانوا يتكلمون بالفطرة أما الذين يتعلمونها الآن فيتكلمون بها بالصناعة لا بالفطرة.

د. **منصور فهمي**: لا أظن أن فرجيل كان يتكلم بالأسلوب الذي كان ينظم به الشعر وما أظن إمريء القيس كان يتكلم مع ذويه وأهله مثلاً بالأسلوب الذي يشبه أسلوب المعلقات.

علي الجارم: كان الأصمعي يدخل إلى البادية ويعاشر العرب وينقل كلامهم

د. **منصور فهمي**: إذا قيدنا الأستاذ الإسكندري بالمثل الأعلى الذي هو لغة القرن الثاني أو الأول فهل يظن أن ذلك القرن لم يكن فيه مولدون.

الشيخ أحمد الاسكندري كان في القرنين الأولين بعض الأماء والغلمان يتكلمون بلغة منحرفة وقد لحنت يوماً ابنه أبي الأسود الدؤلي فكان ذلك سبب وضع النحو ولكن وجود هؤلاء في ذلك العصر ليس حجة على أنه غير عربي أصيل.

د. **منصور فهمي**: عندما وضع أبو الأسود النحو كان في اللغة توليد فهل ذوق أبي الأسود يتحكم في ذوقي؟

الشيـخ أحمد الإسكنـدري: إنما نتتبـع أبا الأسـود وأمثـالـه لأنهم فصحـاء الناس.

د. منصور فهمي: هبني ادعيت أني من فصحاء الناس ولم لا يكون حافظ إبراهيم وأحمد شوقي من الفصحاء فأبغي الا يتقيد المجمع بعصر بعينه وأرى الا نهمل ذوقنا الخاص.

الشيخ أحمد الاسكندري: إذا كنا فصحاء بالفطرة فلماذا نضيع أوقاتنـا في تعلم القواعد في المدارس.

د. محمد توفيق رفعت: نعود إلى نص القرار.

علي الجارم: قرأ النص وعدل فيه القسم الثاني فصار على النحو التالي:

« قسم خرجوا فيـه عن أقيسة كـلام العرب بتحـريف اللفظ أو الدلالـة لا يمكن تخريجـه على وجـه صحيح أو بـوضع اللفظ ارتجـالاً أو باستعمـال لفظ أعجمي لم تعربه العـرب وهذا القسم يسمى العـامي والمجمع لا يجيز إلا الضرب الثاني إذا دعت الضرورة إلى استعماله ».

الشيـخ حسين والي: قلتم بـالأمس إننا نجيـز التعـريب للضـرورة واليـوم نسمي المعرب عامياً ونجيز ادخاله في فصيح الكلام.

د. نمر فارس: نريد أن نعرف ما المولد ومتى يبتديء.

الشيـخ أحمـد الاسكنـدري: الأحسن أن نعـدل قــرار التعـريب فنقــول « والمجمع يجيز استعمال اللفظ الأعجمي عند الضرورة ».

المستشرق فيشر: أرى هناك خلافاً في تحديد زمن المولـدين ونحن في أوروبا نرى أن زمن المولدين يبتديء من دولة بني العباس وكلام أهل العصـر العباسي عندنا لا يحتج به[1].

وانتهت الجلسة على ذلك ولكن المجمع أدخل تعديـلاً على نص قـرار المولد فكان القرار الجديد على النحو التالي:

(١) راجع مجمع اللغة العربية محاضر الجلسات ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣ سنة ١٩٣٤.

المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب وهو قسمان: قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك وحكمه أنه عربي سائغ. وقسم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب أما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره[1]. وإما بتحريف في اللفظ أو الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح وإما بوضع اللفظ ارتجالاً والمجمع لا يجيز النوعين الآخرين في فصيح الكلام[2]. وكان التعديل هو إضافة عبارة « إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراراً[3].

تلك هي المناقشة التي دارت حول المولد وتحديده في جلسات مجمع اللغة العربية وهي كما أشرت من قبل وكما اتضح من نصها على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لمن يريد أن يتعرف على موقف المجمع من قضية التولد ولذلك آثرت أن أثبتها بنصها لأهمية الآراء التي وردت فيها حول هذا الموضوع ومن هذه المناقشة نستطيع أن نستخلص عدة نتائج هامة توضح لنا موقف المجمع في هذه القضية وهي:

١ ـ اتضاح الاتجاهين المحافظ والمجدد بصورة لافتة للنظر وموقف كل منهما بالنسبة للتطور اللغوي، فبينما يتشدد الاتجاه المحافظ في قبول بعض أنواع المولد والمعرب يرى الاتجاه المجدد قبول المولد باعتباره تطوراً لغوياً لابد من الاعتراف به طالما أنه لا يتعارض مع طبيعة اللغة العربية.

٢ ـ اتفاق الاتجاهان على ضرورة تنمية اللغة العربية وخاصة لتلبية

---

(١) راجع قرار التعريب في صورته النهائية في مجموعة القرارات العلمية ٨٣/٣.

(٢) راجع مجمع اللغة العربية محاضر الجلسات ٣٤٨/١ سنة ١٩٣٤.

(٣) أنظر القرار قبل التعديل في محاضر الجلسات المجمع ٣٣٠/١ سنة ١٩٣٤.
وأنظر نصه بعد التعديل في مجموعة القرارات العلمية ٦/٣.

الحاجات الفكرية والحضارية للمتكلمين بها في العصر الحديث.

٣ ـ هناك خط بين المولد والمعرب فبينما يفرق بينهما بعض الأعضاء يعتبرهما البعض الآخر شيئاً واحداً.

٤ ـ الاتجاه المحافظ يربط بين المولد والمولدين ويحد التوليد بعصور الاحتجاج الاتجاه المجدد يرى أن التوليد ظاهرة لغوية في كل اللغات وعلى هذا تبنى المحافظون وجهة النظر اللغويةالقديمة بينما رفض المجددون الأخذ بهذه النظرة واعتبروا حافظاً وشوقي من الفصحاء الذين تؤخذ عنهم اللغة.

٥ ـ اعتبر بعض الأعضاء ما عربه العرب قديماً من الفصيح الذي يعتديه أما ما عرب بعد عصور الاحتجاج فهو مولد.

٦ ـ اتفقوا على أن للتوليد طرقاً هي المجاز والاشتقاق ونحوهما.

٧ ـ اتفقوا على ضرورة استعمال مصطلحات العلوم العربية القديمة وهي مولدة.

٨ ـ كان الاتجاه المحافظ بعيداً عن ربط اللغة بالمجتمع وبالتالي لم يأخذ في اعتباره المنظور الاجتماعي واللغوي بينما ربط الاتجاه المجدد اللغة بالمجتمع واعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما يخضع له المجتمع من تغيرات فكرية وحضارية.

٩ ـ اعتبروا الموضع ارتجالاً من المولد.

١٠ ـ اجمعوا على قبول التراكيب المولدة بالترجمة مالم تخالف طرق العربية في صياغة الكلام وقد كان الاتجاه المحافظ أقوى بشكل عام من الاتجاه المجدد ويتضح ذلك من القرار الذي اتخذه المجمع بشأن المولد إذ عبر هذا القرار عن ارادة المحافظين واتجاههم أكثر مما عبر عن وجهة نظر المجددين لذلك حوى نصه قيوداً حول استعمال المولد من أهمها:

١ ـ أنهم ربطوا بين المولد والمولدين وهو ربط لا مبرر له إلا فكرة الاحتجاج وقد رأينا من قبل في هذا البحث[١] أن التوليد ظاهرة لغوية لا تتصل بالزمان أو المكان أو الجنس.

٢ ـ انهم قسموا المولد إلى قسمين القسم الأول وهو ما جاء على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما كمصطلحات العلوم والصناعات وحكمه عندهم أنه عربي سائغ أما القسم الثاني فهو المحرف في اللفظ والدلالة والحقوا به ما عربه المولدون وهي قسمة لا مبرر لها أيضاً لأن المعرب سواء عربه العرب أم المولدون يتفق في أنه يقع تحت ظاهرة الاقتراض اللغوي من اللغات الأخرى فإذا كان يجري على سنن العرب في التعريب سمي المعرب سواء عربه المولدون أم العرب. وإذا لم يكن كذلك سمي الدخيل وكذلك بالنسبة للمحرف في اللفظ أو الصيغة فهو الملحون أو العامي. أما تحريف الدلالة وإبقاء اللفظ كما هو سواء عن طريق اتساع الدلالة أو تضييقها أو نقلها فإن ذلك يعد من المولد وحكمه حكم النوع الأول الذي اعتمده المجمع ولو أن أعضاء المجمع التفتوا إلى تحديد المصطلحات: المعرب والدخيل والمولد والعامي والملحون وحاولوا تحديدها تحديداً دقيقاً لما اضطروا إلى هذا التقسيم المضطرب للمولد ولو ضعت كل ظاهرة لغوية في مكانها الصحيح بحيث لا يشترك التوليد مع التعريب وبالتالي يبقى التوليد خالصاً لمعنى واحد لا يشترك مع المعرب أو المحرف أو العامي أو الملحون وكلها ليست من المولد في شيء[٢].

يضاف إلى ذلك أن الاتجاه المحافظ في المجمع آنذاك كان هو الاتجاه القوي كما رأينا ومن ثم استطاع أن يقطع ما بين العربية وتطور المجتمع

---

(١) راجع الباب الثاني من هذا البحث.

(٢) انظر في تحديد وتعريف هذه المصطلحات د. حسن ظاظا كلام العرب ٧٩ ـ ٨٠

العربي خاصة بعد الإسلام فنظر إلى اللغة في ضوء ما قرره اللغويون القدماء وتشبث بفكرة الاحتجاج وقد انعكس ذلك في قرارا المجمع بالنسبة للتوليد والتعريب معاً فجاء قراره بالنسبة للمولد محدوداً بهذه الشروط والقيود التي تحد من فعاليته في إمداد العربية بالألفاظ الجديدة وهذا كله استدعاه التحديد النظري غير الدقيق للمولد كما أصدره المجمع إذ أن المولد كما رأينا من قبل يتصل أساساً بالتغير الدلالي الذي يتصل بدوره بفكر المجتمع وحياته ومن ثم يحدث مع تطور المجتمع تطور في لغة هذا المجتمع يؤدي إلى تغيرات دلالية يلعب الذوق الفردي والاجتماعي فيها دوراً ومن هنا يبدو الوجه الحقيقي للتوليد بعيداً عن التحريف واللحن والعامي اذ أن هذه جميعاً قد تتصل أحياناً بالصيغة دون الدلالة ومن ثم يمكن القول بأن المولد هو التغير في دلالة بعض الألفاظ لتؤدي حاجات اجتماعية وفكرية اقتضاها التطور الاجتماعي وهذا التطور اعتبره المجمع تحريفاً في الدلالة والمولد بهذا المعنى الذي ذكرناه يعتبره ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات جميعاً مثله في ذلك مثل الاقتراض اللغوي وفي هذا المجال تسقط فكرة الاحتجاج وتحديد الفصاحة بزمان أو مكان أو جنس ولقد كان لدى القدماء ما قد يبرر لهم تلك القيود وهو المحافظة على لغة القرآن الكريم وهو أمر على جانب كبير من الأهمية يقتضي الدقة والتشدد والحرص أما المحدثون فلا مبرر أمامهم في الأخذ بفكرة الاحتجاج اللهم اذا كان الأمر محافظة على القديم ورفضاً للجديد.

ومع ذلك فلاشك أن اعتراف المجمع بالمولد ومناقشته هذه المناقشة الطويلة واتخاذ قرار بالنسبة لاستعماله يعتبر خطوة جديدة في حياة العربية التي ظلت ردحاً طويلاً من حياتها تطرد الكلمات المولدة من حظيرة الشرعية اللغوية وخاصة بعض اللغويين القدماء الذين هاجموا التوليد واعتبروه من اللحن إلا قليل منهم مثل الشهاب الخفاجي الذي حاول الدعوة إلى استعمال المولد ومع ذلك فلم يستطع هو أيضاً أن يتحلل تماماً

من آراء القدماء ونظرتهم للمولد.

إذاً فموقف مجمع اللغة العربية في مصر من ناحية التحديد النظري للمولد لم يكن موقفاً دقيقاً يتفق وما استقر عليه الدرس اللغوي الحديث في دراسة اللغة وتطورها إذ شاب هذا الموقف في كثير من نواحيه نظرة القدماء المعيارية في تحديدهم للمولد(١) وإذا كان هذا موقف المجمع من الناحية النظرية فما موقفه من الناحية العملية وأعني بها وضع الألفاظ المولدة واقرارها في المعاجم التي أخرجها.

٢ ـ الاتجاه العملي:

نص مرسوم المجمع على أن من أغراضه الهامة عمل المعاجم اللغوية وخص بالذكر المعجم التاريخي(٢) ثم طلبت بعد ذلك وزارة المعارف «التربية والتعليم» من المجمع أن يضع لها معجماً وسيطاً يلبي حاجة المتعلمين والمعلمين فاستعد المجمع لعمل المعجم الوسيط(٣) وقد أصدر المجمع في عام ١٩٥٦ القسم الأول من المجلد الأول من المعجم الكبير كما أصدر في عام ١٩٦١ الطبعة الأولى من المعجم الوسيط ثم أصدر طبعته الثانية لهذا المعجم عام ١٩٧٢.

فإذا حاولنا أن نتبين موقف المجمع من اللغة بشكل عام ومن الألفاظ المولدة بشكل خاص من خلال عمل المجمع في وضع هذين المعجمين وخاصة المعجم الوسيط وجدنا أن موقف المجمع يختلف تماماً عن موقفه أثناء مناقشة قضية المولد والتوليد وخاصة بالنسبة لطبيعة اللغة والتطور اللغوي وبالتالي بالنسبة للمولد كظاهرة من ظواهر هذا التطور. فبينما كان

---

(١) راجع أحمد الإسكندري الغرض من قرارات المجمع والاحتجاج لها، مجلة مجمع اللغة العربية ١/٢٠٢ ـ ٢٠٤ سنة ١٩٣٤.

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ١/٧ سنة ١٩٣٤.

(٣) راجع د. إبراهيم مدكور مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ص ٦٦.

المجمع في تحديده النظري للمولد مقيداً بآراء القدماء آخذاً في اعتباره فكرة الاحتجاج اللغوي وقصرها على عصر معين كما انحدرت إليه في التراث اللغوي القديم إذابه في أثناء وضعه لهذه المعاجم يرفض تلك الفكرة رفضاً تاماً ويأخذ بمبدأ التطور اللغوي بشكل واضح.

ففي مقدمة المعجم الكبير نجده يقول « والمجمع يعرف أن اللغة العربية كغيرها من اللغات بها قديمها الموروث الضخم ولها حاضرها الذي تحياه الأجيال التي تتكلمها ولها ما يطرأ عليها من الألفاظ التي يقتضيها التطور ويبتكرها العرب أنفسهم أحياناً أو يأخذونها عن الأمم التي يتصلون بها شأنها في ذلك شأن غيرها من اللغات الحية فحياة الأمم وحياة اللغات أخذ وعطاء ثم يقول « والمجمع يقدر هذا كله حق قدره ويحسب له حسابه في وضع هذا المعجم وهو من أجل ذلك قد أقدم على عمل خطير لم يقدم عليه أحد من قبله فلم يقف باللغة عند العصر الذي وقف بها عنده القدماء من أواسط القرن الثاني للهجرة ولم يهمل حساب هذه القرون التي مضت منذ ذلك العصر وحساب الأجيال الكثيرة التي تكلمت اللغة العربية وكتبتها أثناء هذه القرون الطوال ولو فعل المجمع ما فعل القدماء واللغويين لقضي على اللغة بأنها قد ماتت من ذلك العصر وأصبحت كاللغات القديمة التي يدركها الموت. . . فما دام الناس ينظمون في هذه اللغة شعرهم وينشئون فيها نثرهم ويسجلون فيها علمهم فهي حية معهم تخضع لكل ما يخضعون له من كل ألوان التطور. . . وهذا كله يجب أن يلاحظ حين يوضع معجم جديد للغة العربية فلا يتحرج الذين يعملون فيه من الاستشهاد بالشعر والنثر مهما يكن العصر الذي أنشيء فيه ولا يتجرمون من إثبات ألفاظ طارئة دعت إليها ضرورات التطور وفرضها تقدم الحضارة ورقي العلم وتشعبه في الحدود التي رسمها المجمع لقبول مثل هذه الألفاظ »[1].

---

(١) مقدمة المعجم الكبير ص هـ.

على هذا النحو من الأخذ بالتطور اللغوي وضع المجمع خطة تأليف المعجم الكبير وأضاف إلى ذلك خطوة جديدة فوصل بين العربية وأخواتها من اللغات السامية ثم رتبت المادة اللغوية حسب المعاني الكبرى متدرجاً بها من المدلول الحسي إلى المدلولات المجردة واستشهد على ذلك بنصوص من الشعر والنثر على اختلاف العصور دون التقيد بعصر معين وهو في هذا يستجيب إلى أحدث ما وصل إليه علم المعاجم.

ففي مادة (أ ت م) مثلاً نراه يحدد المدلول الحسي حسب التدرج التالي: القطع - الضم - الإبطاء - الإقامة ثم يأتي بمعاني القطع راجعاً بها إلى العربية الجنوبية ثم يذكر الدلالات المادية لكل أصل من هذه الأوص لففي المدلول الثاني للمادة وهو الضم يذكر لفظة « المأتم » ويحرص على توضيح التغيرات الدلالة التي طرأت على هذه اللفظة مستشهداً على ذلك بالشواهد من مختلف العصور وذلك بعد أن يوضح الأصل الذي اشتقت منه(١).

ويتضح لنا موقف المجمع من التطور اللغوي أيضاً ومن المولد بشكل خاص في وضعه للمعجم الوسيط، ففي مقدمة الطبعة الأولى من هذا المعجم نراه يعود إلى تأكيد ما سبق أن قرره في مقدمة المعجم الكبير من إيمان المجمع بالتطور اللغوي فتقول اللجنة المكلفة بوضع هذا المعجم(٢) « إن وضع هذا المعجم كان عملاً لابد منه لأن المعاجم الأخرى سواء منها القديم والحديث قد وقفت باللغة عند حدود معينة من المكان والزمان لا تتعداها فالحدود المكانية شبه جزيرة العرب والحدود الزمانية آخر المائة الثانية من الهجرة لعرب الأمصار وآخر المائة الرابعة لأعراب البوادي ومعظم هذه المعاجم قد تصونت عن اثبات ما وضع المولدون والمحدثون في الأقطار العربية القديمة من الكلمات والمصطلحات والتراكيب حتى قر في

(١) انظر المصدر السابق مادة (أ ت م).

(٢) كانت هذه اللجنة مشكلة من الأساتذة: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار وقد أشرف على طبع المعجم الأستاذ عبد السلام هارون.

نفوس الدارسين أن اللغة قد كملت في عهد الرواية واستقرت في بطون المعاجم وظل الأمر على هذا الحال حتى نهض العرب نهضتهم العامة في العصر الحديث وأرادوا أن يسايروا ركب الحضارة ويشاركوا في تحصيل العلوم والفنون الحديثة وينقلوها إلى أبنائهم بلغتهم فلم يجدوا من اللغة المأثورة المحصورة القدرة على التعبير عن أكثر ما يريدون أن ينقلوا من علوم أو فنون أو ما يستعملون من أدوات وآلات »(١).

ثم رأت وزارة المعارف ـ التربية والتعليم ـ ورأى معها المجمع أن من أهم الوسائل لإنهاض اللغة وضع معجم حديث يقدم للمثقفين ما يحتاجون إليه من مادة لغوية في أسلوب واضح قريب المأخذ سهل التناول، فاستجاب المجمع لذلك وسارت اللجنة المشكلة لوضع المعجم الوسيط على هذا الفهم لطبيعة التطور اللغوي فاجتمع في هذا المعجم « مالم يجتمع في غيره من خصائص ومزايا فقد اهملت اللجنة كثيراً من الألفاظ الحوشية الجافية أو التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها أو قلة الفائدة منها كبعض أسماء الإبل وصفاتها وأدواتها وطرق علاجها وأهملت كذلك الألفاظ التي اجمعت المعاجم على شرحها بعبارات تكاد تكون واحدة شرحاً غامضاً مقتضباً لا يبين حقائقها ولا يقر معانيها كذلك اغفلت بعض المترادفات التي تنشأ عن اختلاف اللهجات(٢).

وعلى العكس من ذلك « عنيت اللجنة باثبات الحي السهل المأنوس من الكلمات والصيغ وبخاصة ما يشعر الطالب والمترجم بالحاجة إليه »(٣) وأهم من ذلك كله أنها اعترفت بالنمو اللغوي « فأدخلت في متن المعجم ما دعت الضرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولدة أو المحدثة أو المعربة أو

---

(١) انظر المعجم الوسيط، المقدمة ص ٩ ط. أولى.

(٢) المصدر السابق ص ١٠.

(٣) المصدر السابق ص ١١.

الدخيلة التي أقرها المجمع وارتضاها الأدبـاء فتحركت بهـا ألسنتهم وجرت بها أقلامهم »[1].

وهنا نجد أن المجمع ممثلاً في اللجنة التي قامت بوضع المعجم الوسيط قد استدرك على نفسه ما فاته في التحديد النظري للمولد ففرق بين الألفاظ المولدة والمعربة والدخيلة، وهي تفرقة كان لابد منها لكي يتضح تيار المـولد بعيداً عن الألفاظ الأخرى المعربة والدخيلة إذ أن كل نوع منهـا يختلف عن الآخر اختلافاً ملحوظاً كما رأينا من قبل.

وفي الطبعة الثانية من هذاالمعجم رأت اللجنة التي أشرفت على هذه الطبعة[2] أن تعيد النظر فيه فحرصت على أن تحبث عما وصـل إلى المجمع من الملاحظات على الطبعة الأولى فأعادت قراءة هذه الطبعة مادة مـادة على ضوء هذه الملاحظات بالاضافة إلى مزيد من الفحص التمحيص فتتبعت ما ترك المعجم في طبعته الأولى من الألفاظ أو فروع المعـاني لتضيف ما يسـوغ منها إلى الطبعة الجديدة[3].

ومما يدل على هذه المـراجعة أن المعجم الـوسيط في طبعته الأولى أثبت أمـام لفظة المـولد قـوله هـو « المستحدث من كـل شيء منه المـولـدون من الشعراء، ومن الكلام كل لفظ كان عربي الأصل ثم غيرته العامة بهمـز أو تسكين.أو تحريك وما استحدثه العرب ولم يكن من كلامهم فيما مضى[4].

والجـزء الأول من هذا التحـديـد هـو المنسـوب إلى ثعلب وقـد أورده

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) كانت هذه اللجنة مكونـة من: الدكتـور إبراهيم أنيس، د. عبـد الحليم منتصر الأستـاذ عطية الصوالحي، الأستاذ محمد خلف الله أحمد، وقد أشرف على الطبـع حسن علي عـطية ومحمد شوقي أمين.

(٣) المعجم الوسيط المقدمة ص ٦ ط الثانية.

(٤) المعجم الوسيط ٢/١٠٦٨ ط أولى.

السيوطي وعرضنا له فيما سبق بالمناقشة والتحليل[1].

أما الجزء الثاني في تعريف المعجم الوسيط في طبعته الأولى للمولد وهو قوله ما استحدثه العرب ولم يكن من كلامهم فيما مضى فهو فضلاً عن أنه يخالف تحديد المجمع للمولد فإنه أيضاً يجمع كل ما دخل اللغة العربية دون تفرقة واضحة بين المولد والمعرب والدخيل والعامي والملحون.

أما في الطبعة الثانية من هذا المعجم فقد استدركت اللجنة القائمة عليها هذا التحديد للمولد فكانوا أقرب إلى الصواب في تعريفهم للمولد فقالوا « المولد المحدث من كل شيء ومنه المولدون من الشعراء ومن الكلام كل لفظ كان عربي الأصل ثم تغير في الاستعمال واللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية »[2]. وعلى الرغم من أن هذا التعريف لم يحدد طبيعة التغير الذي يطرأ على اللفظ الا أننا لو حددنا هنا التغير بأنه في الدلالة لجاء هذا التعريف أكثر دقة وأقرب إلى الصواب وعلى ذلك يمكن أن يكون التعريف على النحو التالي:

« المولد المحدث من كل شيء ومنه المولدون من الشعراء، ومن الكلام كل لفظ عربي الأصل ثم تغيرت دلالته بالاستعمال واللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية ».

شيء آخر رأى القائمون على الطبعة الثانية للمعجم الوسيط أن يضيفوه إلى هذه الطبعة وهو أنها « وقفت من التفرقة بين المولد والمحدث موقفاً حاولت فيه ما أمكن الإقلال من احتمال التداخل بين هذا وذاك »[3].

والحق أنه من الناحية اللغوية ليس هناك فرق بين المولد والمحدث وإنما

---

(١) انظر المزهر، ١/٣١٠ - ٣١١، وأنظر أيضاً هذا البحث الباب الثاني

(٢) المعجم الوسيط ٢/١٠٥٦ ط. ثانية.

(٣) المعجم الوسيط المقدمة ص ٦ ط. ثانية.

الفـرق يأتي من زمن استعمـال اللفظ وقد خصصت اللجنـة المحدث للفظ المستعمل في العصر الحديث، أما المولد فقد جعلته لما ولد في العـربية بعـد عصر الاحتجاج وقد استعمل اللغويون القدماء لفظ المحـدث للدلالة عـلى المولد[1] وعلى ذلك فإن استعمال لفظة المحدث الآن للدلالة على المـولد في العصر الحديث قـد يتداخـل مع بعض الألفـاظ المولـدة قديمـاً خاصـة وان بعض المعاجم تصف هذه الألفاظ بأنها محـدثة، ولعـل أفضل من ذلـك أن نقول « مولد قديم » « ومـولد حـديث » فإن ذلـك فضلاً عن أنـه لا يوحي بأن هناك اختلافاً في تحديد المولد والمحدث فإنـه أيضاً من النـاحية الـزمنية يفرق بدقة بين ما ولد قديماً أو ما ولد في العصر الحديث.

وهكذا تعامل المعجم الوسيط مع المولد فاعتـرف به وحـاول أن يحدده بدقة وبالتالي رفع تلك القيود التي قيدها به التحديـد النظري الـذي وضعه المجمع في النصف الأول من هذا القرن ولاشك أن تطور الدرس اللغـوي في هذه الفترة الزمنية قـد ساعـد على هـذا الموقف من المـولد. وعـلى ذلك أثبت المعجم الوسيط في متنه عدداً ضخماً من الألفاظ المولدة وهو أكبر عدد من الألفاظ المولدة احتوى عليها معجم عربي حديث[2].

ومن الغريب حقـاً أن المجمع عنـدما شـدد على المـولـد في التحـديـد النظري وحق المحدثين في التوليـد والوضـع ودارت حولـه تلك المناقشـات التي رأينا طرفاً منها فيما سبق فإنه على العكس من ذلـك سهل فيـما بعد من أمر الوضع اللغوي وتوسع في إدخـال ألفاظ جـديدة إلى الثـروة اللغويـة لم تكن تعرفها العربية القديمة، فعندما قال المجمع بالاشتقاق والمجاز والنحت والنقل كوسائل للوضع اللغوي وتنميـة الثروة اللفـظية فـإنه في الحقيقـة قد

---

(١) المزهر ٣٠٤/١.

(٢) أنيس المقـدسي الكلام المـولـد في معـاجمنـا الحـديثـة، مجمـع اللغـة العـربيـة، البحـوث والمحاضرات ص ٨٦ سنة ٦٤ ـ ١٩٦٥ .

فتح باب التوليد على مصراعيه، فقد أجاز مثلاً الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر وترخص في أمر تلك القاعدة المشهورة عند اللغويين القدماء من أن لا يشتق من الجامد أو الأعيان وأن الاشتقاق تختص به المصادر والأفعال، وقد أحس المجمع بأن هذا لا يتفق وطبيعة النمو اللغوي فقال الشيخ أحمد الإسكندري وهو الذي تشدد في قرار المولد « ومما يؤسف عليه أن أئمة اللغة منعوا الاشتقاق من هذه الأعيان وحصروه في المصادر والأفعال مع ورود الكثير من مشتقات الأعيان في اللغة بحيث تعد بالمئات بل بالألوف »(١). وعلى ذلك اتخذ المجمع قراراً بقياسية الاشتقاق من الأعيان فقال « اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان والمجمع يجيز هذا الاشتقاق للضرورة في لغة العلوم »(٢).

ومثل ذلك يمكن أن نجده في قراراته بقياسية بعض المصادر مثل قياسية مصدر « فعاله » للدلالة على الحرفة ومنه جاءت الكلمات المولدة حديثاً مثل الطباعة والصحافة وغيرها(٣). وكذلك مصدر « فعلان » للدلالة على التقلب والاهتزاز والاضطراب ومنه جاءت في لغة العلوم ألفاظ مثل: الموجان من الموج والطرفان من الطرف.

وكذلك قياسية مصدر « فعال » للدلالة على أسماء الأمراض ومصدر « فعيل » للدلالة على الصوت وكذلك توسع في المصدر الصناعي وجعله قياسياً مضطرداً يكفي فيه أن تزاد على الكلمة ياء النسب والتاء وأصبح هذا القرارا اليوم مصدر كثير من الألفاظ الجديدة التي دخلت العربية ولم يعرفها العرب القدماء إلا قليلاً وذلك للدلالة على أسماء المذاهب الاجتماعية والسياسية والفلسفية والعلمية مثل الاشتراكية والشيوعية

---

(١) مجمع اللغة العربية محاضر الجلسات ١/٩ سنة ١٩٣٥.

(٢) محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين، مجموعة القرارات العلمية ٣/٧.

(٣) راجع ملحق هذا البحث.

والرأسمالية والواقعية[1]. ومن صيغ المشتقات التي جعلها المجمع قياسية صيغة « فعال » للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء، كما كان قرار قياسية اسم الآلة بصيغة: « مفعل » « مفعلة » « مفعال » من القرارات الهامة التي ساعدت على تنمية اللغة العربية بالعديد من الألفاظ التي تدل على كثير من المسميتت الحديثة[2].

وقد استفاد الأمير مصطفى الشهابي من هذه القرارات كلها في إضافة كثير من الألفاظ المولدة بالاشتقاق إلى معجم الألفاظ الزراعية الذي وضعه[3].

ومع ذلك فقد فات المجمع أن يربط بشكل واضح بين تلك القرارات وبين التوليد وإن كان قد أشار إلى ذلك إشارة مبهمة في القرار الذي اتخذه في المولد عندما قال ومن المولد « قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما »[4]. وعلى هذا ادخل واضعوا المعجم الوسيط في طبعته الأولى والثانية كثيراً من الألفاظ المولدة عن طريق تلك القرارات واستدركوا ما فات المجمع في التحديد النظري من أن هذه الألفاظ المشتقة تعتبر من التوليد فأشاروا إلى بعضها بأنها من المولد أو المحدث.

وهكذا كان موقف المجمع من المولد عملياً أكثر توفيقاً منه نظرياً ولعل للفترة الزمنية الواقعة بين اتخاذ القرار النظري وما طرأ عليه من تعديلات ثم وضع المعاجم دخلاً كبيراً فيما حدث في موقف المجمع من تغير فقد اتخذا القرار النظري في عام ١٩٣٤ بينما صدرت الطبعة الأولى من المعجم الوسيط الذي حوى كثيراً من الألفاظ المولدة وأقر استعمالها عام ١٩٦١

---

(١) راجع هذا البحث الفصل الرابع من هذا الباب.
(٢) راجع في هذه القرارات جميعاً مجموعة القرارات العلمية ٣/٢١ - ٣٦.
(٣) انظر مقدمة هذا المعجم ص ط.
(٤) مجموعة القرارات العلمية ٣/٦.

وكانت طبعته الثانية في عام ١٩٧٢ .

ولكن هل توقفت حركة التوليد اللغوي عن المضي في إنماء الثروة اللفظية في العربية؟

الواقع أن حركة التوليد في اللغة حركة دائمة ومتجددة أبداً ولكي نجيب على هذا التساؤل لابد لنا أن نلقي نظرة على التوليد المعاصر في لغة الأدب والصحافة اليوم وهو موضوع الفصل الأخير من هذا البحث ولكن من الضرورة أن نشير قبل ذلك إلى أن قرارات مجمع اللغة العربية السابقة قد نظمت من حركة التوليد إلى حد كبير في لغة العلوم أما في لغة الصحافة والأدب فما زال الأمر يخضع الى حد كبير إلى ذوق الكاتب ومدى معرفته بأسرار اللغة وفي الفصل التالي من هذا البحث سنجد الدليل على صدق ذلك.

الفصل الخامس

التوليد اللغوي المعاصر في الصحافة والأدب

ونعني بالمرحلة المعاصرة الفترة الممتدة منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن وبذلك تكتمل من الناحية التاريخية مراحل حركة التوليد اللغوي الحديثة والتي بدأت مع نهاية القرن الماضي وما زالت مستمرة حتى اليوم(١).

وفي هذه المرحلة أعني المرحلة - المعاصرة - ألمت بحياة العالم العربي كثير من التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كما طرأ على العالم تطور حضاري وفكري وخاصة في مجال العلوم والتقدم العلمي حيث استطاع الإنسان أن يخترق لأول مرة حجب الفضاء الخارجي ويصل إلى القمر مسافراً من الأرض ومكتشفاً عوالم جديدة من الكون الذي يعيش فيه وكانت تلك المرحلة نتيجة لتقدم هائل في المعارف العلمية والتطبيقية على وجه الخصوص اتصلت بها العربية الحديثة وربما لم تشارك في صنعها ولكنها لاشك تلقت منها أفكاراً ومعارف جديدة احتاجت إلى مضاعفة الجهد لكي تبقى لغة علمية حديثة.

كما كان لوقوع كثير من التغيرات الاجتماعية والسياسية في مصر والعالم العربي عقب ثورة ١٩٥٢ دخل كبير في تطور لغوي استدعى وجود كثير من التراكيب والألفاظ اللغوية الجديدة التي أخذت تدل على أوضاع سياسية واقتصادية جديدة أيضاً.

---

(١) راجع هذا البحث الفصل الأول من الباب الرابع.

يضاف إلى ذلك سهولة المواصلات وسرعتها بين الشرق والغرب مما جعل التأثير اللغوي سواء عن طريق الاتصال المباشر بين العربية واللغات الأخرى أو عن طريق الترجمة واضح الأثر في العربية الحديثة.

لهذا كله اختلفت مادة المعجم العربي المعاصر اختلافاً كبيراً عن مادة المعجم العربي الوسيط والقديم على السواء. ولعل مقارنة لغوية بين مشتقات مادة مثل مادة « جمع » كما جاءت في لسان العرب ثم في معجم دوزي ثم في المعجم الوسيط توضح لنا إلى حد كبير حقيقة هذا التغير والتطور الذي طرأ على متن اللغة العربية منذ أن خرجت من الجزيرة العربية وحتى الآن.

فنحن نعلم أن المادة اللغوية التي ضمها معجم لسان العرب المؤلف في القرن الثامن الهجري قد أخذت من معاجم سبق تأليفها في مراحل سابقة وهذه المعاجم بدورها أخذت مادتها من الرسائل اللغوية التي أسفرت عنها حركة جمع اللغة في البادية منذ أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني ثم على امتداد القرن الثاث كله ومن ثم فمادة اللسان مادة بدوية تمثل اللغة العربية وهي في داخل الجزيرة وقبل انتشارها مع المسلمين عقب الفتح الإسلامي.

أما معجم دوزي فهو محاولة لاستكمال ما فات المعاجم العربية القديمة من ألفاظ الحضارة الإسلامية التي دخلت العربية بعد الفتح الإسلامي واستقرار العرب في الأمصار والبلاد المفتوحة ثم ترجمتهم للعلوم والمعارف المختلفة التي ازدهرت الحضارة الإسلامية بها وبلغت أوجهاً في القرن الرابع الهجري وهي المادة اللغوية التي أغفلها اللغويون القدماء وخاصة أصحاب المعاجم منهم باعتبارها من المولد أو المحدث الطاريء على العربية القديمة. وكان لابد من استكمال المعجم العربي بادخال هذه المادة اللغوية الجديدة ضمن متن اللغة القديم وهو ما حاول القيام به المستشرق

الهولندي دوزي Dozy فألف معجمه ملحق المعاجم العربية[1]. حيث رتب فيه هذه المادة اللغوية الجديدة التي توافر على جمعها أكثر من ثلاثين عاماً من القراءة في المؤلفات العربية في العصر الوسيط[2] فحوى هذا المعجم عدداً كبيراً من الاستعمالات اللغوية الجديدة والمولدة وبالتالي أكمل جانباً من النقص في المعاجم العربية القديمة.

وأما المعجم الوسيط فهو يعكس بما أثبته من ألفاظ مولدة ومستحدثه صورة العربية الحديثة بما طرأ عليها من نمو وتغير حيث ماتت كثير من الألفاظ القديمة وحلت محلها ألفاظ أخرى استدعاها التطور الفكري والحضاري للعالم العربي الحديث.

فالمقارنة إذاً بين هذه المعاجم الثلاثة في مادة من المواد اللغوية توضح لنا حجم التغير اللغوي الذي طرأ على العربية ومداه خلال هذه القرون الطويلة والصورة التي انتهت إليها الآن غير أننا لابد أن نلاحظ أن للعربية القديمة فضل إمداد العربية الحديثة بالأصول اللغوية كما أمدتها أيضاً بالصيغ والأوزان التي اشتقت على نهجها العربية طوال هذه القرون ألفاظاً جديدة وبطبيعة الحال لم تكن العربية في بعض الأحيان بحاجة إلى استخدام جميع الأوزان المعروفة والصيغ في كل مادة غير أنه لم يكن من الممكن لها أن تنمو وتتطور وتولد كلمات جديدة عن طريق الاشتقاق لولا وجود هذه المادة اللغوية الأصيلة ثم تلك الصيغ والأوزان العربية القديمة. فإذا بدأنا تلك المقارنة بأقدم هذه المعاجم وهو لسان العرب وجدنا أن مادة جمع مثلاً في هذا المعجم ترجع دلالتها الحسية الى تأليف المتفرق وضم الشيء وتكتله ومن هذا الأصل جاءت لفظة « الجامعة » بمعنى الغل لأنه يجمع اليدين والرجلين معاً، و « الجماع » أصل الشيء ومجتمعه، و

---

(١) Supplément aux Dictionnaires Arabes p. VIII.

(٢) Ibid p. XIII.

« الجمعاء » البهيمة لم يذهب من بدنها شيء، و « الجامع » المسجد ولا يكاد يستعمل في العربية القديمة إلا مع هذا للفظ فيقال مسجد جامع أو المسجد الجامع لأنه يجمع الناس، و « الجميع » بمعنى أشتات من التمر مختلفة الأنواع، و « جمع » بمعنى لبث و « المجمع » لوقت الجمع، و « الجمعة » القبصة من التمر، و « الجماعة » الجمع من الناس أو الشجر أو النبات وغير ذلك من المشتقات التي يمكن إرجاعها إلى هذا الأصل الحسي[1]. ولنقف قليلاً عند كلمة « الجامعة » فهذه الكلمة استخدمت كما يقول لسان العرب صفة للمؤنث واسماً، أما الصفة فمثل قولهم سورة جامعة أي جمعت فيها أشياء كثيرة والجامعة اسماً بمعنى الغل أو القيد[2]. أما الاستخدام الحديث للفظ الجامعة التي نجدها في المعجم الوسيط فتدل على « مجموعة من المعاهد العلمية تسمى كليات تدرس فيها الآداب والفنون والعلوم »[3] كما نعرف أيضاً بالاضافة إلى ذلك الجامعة بمعنى الرابطة السياسية وذلك كما تسخدمها في قولنا « الجامعة الإسلامية » ثم للدلالة على منظمة سياسية كما في الجامعة العربية.

أما كلمة « جماعة » فيبدو أن استخدامها قد كثر وشاع بمعنى جديد في عصر الحضارة الإسلامية فهي في لسان العرب الجمع من الناس أو الشجر أو النبات ولكن إذا انتقلنا إلى معجم دوزي لاحظنا أن معظم ما أورده من استعمالات تدور حول استخدام اللفظة بمعنى المذهب أو الصف الإسلامي الواحد مثل: مذهب السنة والجماعة ـ أهل السنة والجماعة ـ جماعة المسلمين ـ أمر الجماعة ـ افترق دار الجماعة ـ سلطان الجماعة[4]. كما نجد ألفاظاً جديدة اشتقت من المادة مثل كلمة « جمعية » التي لا نجد

---

(١) راجع لسان العرب مادة جمع.

(٢) المصدر السابق نفس المادة.

(٣) المعجم الوسيط مادة جمع ط ثانية.

(٤) Dozy, op. cit. Tom I.P. 215.

لها أثراً في لسان العرب ونجدها في معجم دوزي والمعجم الوسيط.

ففي معجم دوزي يذكر تحتها عبارة « جمعية أهل البلد » أي جماعة الناس من أهل البلد أو اجتماعهم[1] أما في المعجم الوسيط فنجدها تدل على معنى جديد حدده بقوله « طائفة تتألف من أعضاء لغرض خاص وفكرة مشتركة ومنها الجمعية الإسلامية والجمعية التشريعية والجمعية التعاونية والجمعية العلمية والأدبية، محدثة »[2] ومع ذلك فنحن اليوم نتحدث عن أنواع أخرى من الجميعات مثل الجمعية العمومية والجمعية العامة للأمم المتحدة والجمعية الاستهلاكية.

ومثل ذلك في كلمة « اجتماع » فقد ذكرها دوزي بمعنى اللقاء « اجتماع بين وبين » لابد من الاجتماع[3] ولكنها في العربية الحديثة تدل على علم من العلوم ففي المعجم الوسيط نجد « الاجتماع علم يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموها وطبيعتها وقوانينها ونظمها ويقال رجل اجتماعي مزاول للحياة الاجتماعية كثير المخالطة للناس[4].

ولعله من غير المتصور اليوم أن يتحدث مثقف عربي دون أن يستخدم كلمة « المجتمع » التي عرفتها العربية القديمة بمعنى موضع الاجتماع أو الجماعة من الناس[5] ولكنها لم تعرفها بالمعنى الاصطلاحي الذي نعرفه بها ويشبه هذا كله كلمة « مجمع » التي عرفتها العربية القديمة بمعنى الجمع من الناس ومكان وموضع الاجتماع[6] وعرفتها العربية المولدة بمعنى السوق

---

(١) Ibid.

(٢) المعجم الوسيط مادة جمع ط ثانية.

(٣) Dozy, op. cit., Tom I. P. 214.

(٤) المعجم الوسيط مادة جمع.

(٥) لسان العرب مادة جمع.

(٦) المصدر السابق نفس المادة.

والجامعة من الناس[١]. أما بمعنى مؤسسة للنهوض باللغة أو العلوم أو الفنون نحوها وجمعها مجامع فلفظ جديد عرفته العربية الحديثة.

ومثل ذلك لفظ « الجماعية » للدلالة على مذهب اشتراكي في الاقتصاد السياسي[٢] وفوق هذا أو ذاك كلمة « المجموع » كاسم قائم بذاته وكذلك لفظة « المجموعة » كاسم آخر.

فالمجموع في لسان العرب ما جمع من هنا وهناك وان لم يجعل كالشيء الواحد[٣] ولكننا نعرضها كاسم متداول في حديث طلاب الثانوية العامة عن المجموع لدخول الجامعة. وأما « المجموعة » فقد ذكرها دوزي كصفة في « قرية مجموعة عامرة » - بليدة مجموعة أي عامرة بالسكان[٤] ولكننا نستخدمها الآن كاسم في قولنا « درس في المجموعة ».

واذا كانت الأوزان قديمة والمادة اللغوية قديمة أيضاً فليس معنى ذلك أن الاستعمال اللغوي القديم كان بحاجة إلى صياغة كل المشتقات من هذه الأوزان وعلى ذلك فقد نجد بعض هذه المشتقات الجديدة في العربية المولدة أو الحديثة فنجد من مادة جمع الفعل انجمع على وزن انفعل وقد ذكرها دوزي في قول من قال « فانجمعت عن عليّ النفوس »[٥]. وهي صيغة لم تحتج إليها العربية القديمة.

وإذا أضفنا إلى هذا كله الألفاظ الاصطلاحية والعلمية المشتقة من مادة جمع كما استعملت عند الفقهاء والنحويين والصوفيين والمنجمين والمناطقة وغيرهم من أصحاب العلوم الإسلامية وجدنا أن هذه المادة أضافت إلى

---

(١) Dozy, op. cit. Tom I, p. 217.

(٢) المعجم الوسيط مدة جمع.

(٣) لسان العرب مادة جمع.

(٤) Dozy. op. cit. Tom I, p. 217.

(٥) Ibid P. 214.

العـربية عـدداً متنوعـاً من الألفاظ العلميـة وكلها ذات دلالات جـديـدة لم يعرفها لسان العرب أو العربية القديمة(١).

والمتأمل في طبيعة هذا النمو اللغوي الذي حدث في متن اللغة العربية يجده في الحقيقة يكمن في توليد ألفاظ جديـدة من أوزان معروفـة أو قديمـة كما يظهر أيضاً في استخـدام الكلمة القـديمة لتؤدي دلالـة جديـدة أرادت العلوم أو الحضارة الحديثة التعبير عنها فوجدت الكلمة القديمة طاقة مـواتية فطورتها باستعمالها في المعنى الجديد فاكتسبته حتى أصبحنـا لا نكاد نعـرفها في العـربيـة الحـديثـة إلا في هـذا الاستخـدام الجـديـد وذلـك مثـل لفـظة « الجـامعة ». عـلى هذا النحـو من التغير والتـطور والنمو وصلت العـربيـة المعاصرة ولم يكن ذلك التطور في الحقيقـة مقصوراً على مـادة المعجم العربي ومتن اللغـة وإنما تنـاول ذلـك أيضـاً مستـويـات اللغـة الأخـرى سـواء في الأصوات أم التراكيب أم الصرف. وعلى الـرغم من أن ما يعنينـا في هذا البحث هو المستوى الـرابع من هـذه المستويـات أي التطور الـدلالي إذ هو مجال التوليد ومسرح نشاطه فـإن الباحث لا يستـطيع أن يغفـل عما حـدث على المستويات اللغوية الأخرى. والحقيقـة أن دراسة التـطور اللغوي عـلى المستوى الصوتي للعربية المعـاصرة يحتـاج إلى درس مفرد فضـلاً عما يكتنف هذا الدرس من صعوبات جمة نتيجة لاختلاف النطق من بيئة اجتماعية إلى بيئة اجتماعية أخرى ومع ذلك فقد حاول بعض الباحثين أن يتتبع بالدرس بعض مظاهر التـطور الصوتي في العـربية المعـاصرة فـوجد أنها قـد أصيبت بالتطور الصوتي على مستوى الأصوات المفـردة وعلى مستـوى الكلمة أيضـاً كما وجد في العربية المعاصرة أصـواتاً تختلف عـما يقابلهـا في عربيـة القرون السـابقة وكـان من أهـم الأصوات التي أصـابها التـطور والتغـير أصـوات: الضاد والطاء والقـاف والجيم(٢). فإذا انتقلنـا الى التطور في مجـال الصرف

---

(١) راجع الخوارزمي مفاتيح العلوم صفحات ٨، ٥٣، ٥٩، ٢٣٢، ٢٤١.

(٢) راجع د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة ٢/ ١٣١ - ١٣٦.

وجدنا أن أكثر ما جاء من هذا الباب في العربية الحديثة ينظر اليه على أنه خطأ وذلك لوجود آثار صريحة تنص على خلافه، ولعدم شهرة ما ورد من هذا القبيل عمن يعتمد عليهم من المثقفين، وأمثلة هذا النوع كثيرة وكلها ترجع إلى عدم معرفة بالصيغة وأوزانها أو عدم معرفة الضبط وأصول الكلمات وقواعد الاشتقاق أو من تأثير العامية على الفصحى. فمن ذلك مثلاً بدء بكسر الباء، بناء بضم الباء سهولة وصعوبة بفتح السين والصاد ومنه أيضاً قولهم يزيد بضم الباء لجعله متعدياً من أزاد على حين الثلاثي هو زاد متعد بنفسه كقوله تعالى « يزيد في الخلق ما يشاء »[1].

وهناك أمثلة أخرى خرجت عن الأصل العربي القديم ولكنها شاعت في الاستعمال المعاصر إلى درجة تؤهلها للدخول في نظام اللغة وقوانينها فمن ذلك مثلاً:

١ - تقييم في مقابل تقويم المنصوص عليها قديماً.

٢ - عضوه بالتأنيث في اطلاقها على المرأة.

ومن هذا القبيل مفردات جمعت على غير جموعها المنصوص عليها في كتب اللغة أو بجموع لم ترد في اللغة مثل:

١ - نوايا جمع نية والجمع العربي المصاغ على الأوزان نيات.

٢ - نجاحات جمع نجاح ولم يسمع في العربية القديمة.

٣ - نشاطات جمع نشاط والعربية القديمة تجمعه على أنشطة.

٤ - حاجيات جمع حاجة فيقولون مثلاً الحاجيات المنزلية والياء هنا لا مبرر لوجودها.

وقد يذهب البعض إلى أن هذه الأمثلة ضرب من الخطأ الصريح وهذا القول يعتمد في حكمه على القواعد المنصوص عليها يهمل

---

(١) دراسات في علم اللغة ٢/١٣٦.

الاستعمال وشهرته وقيمة ذلك في مقياس الصواب والخطأ[1].

أما في التراكيب فهناك ظواهر كثيرة يلاحظها الباحث في بناء الجملة العربية المعاصرة ولا تكاد تظهر في الضوابط التي استخرجها النحاة من العربية القديمة، فالجملة العربية المعاصرة كما نعرفها في المؤلفات والصحافة تعرف نوعاً من تراكم المصادر على نحو لم يعرف قديماً بنفس القدر من الانتشار.

فنحن نقرأ مثلاً اليوم عن « احتمال قيام حرب في منطقة ما » والكلمات احتمال ـ قيام ـ حرب كلها مصادر أضيف أيضاً سابقها إلى لاحقها على نحو لم يستعمله العرب القدماء ويعرف النثر العربي المعاصر اتجاهاً إلى فك حالة الاضافة باستخدام حرف جر وهي ظاهرة شائعة في لغتنا المعاصرة نمارسها كثيراً، فنحن نتحدث مثلاً عن « الأمين العام لجامعة الإسكندرية » ـ المراسل الخاص للأهرام ـ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، فالتعبير منظمة التربية... الخ قد فك بدخول اللام على المضاف إليه « التربية » وبدخول مضاف إليه جديد مضاف إلى المضاف الأول فتحدثنا عن منظمة الأمم المتحدة لـ ... ومثل ذلك عن وزير الدولة لـ ... وعن سوء استعمال الناس لـ ... وعن أول اجتماع لـ ... وعن استغلال الدولة لـ ...

وهكذا نلاحظ أن ظاهرة فك حالة الإضافة باستخدام اللام بين المضاف القديم والمضاف إليه ارتبطت بتخصيص المضاف القديم أما بالصفة أو بمضاف إليه جديد.

وبجانب هذا نلاحظ أن فك حالة الإضافة يستخدم أيضاً فيه حرف الجر « الباء » فنحن نقرأ مثلاً عن قرار « بتأميم الشركة » أو « بتفويض » أو

---

(١) المرجع السابق ٢/١٣٧.

« أوامر بانشاء » وغير ذلك وهي ظاهرة شائعة في النثر العربي الحديث ولا يكاد يعرفها الاستخدام اللغوي القديم.

وتلتقي اللغة العبرية الحديثة مع العربية المعاصرة في هذا الاتجاه نحو فك حالة الإضافة، ففي العبرية القديمة يكون المضاف والمضاف اليه في تركيب واحد مثل: (سيفر يوسف) أي كتاب يوسف ولكن التعبير الحديث يقول: (سيفر شل يوسف) أي الكتاب الذي ليوسف ولو شئنا أن تكون أكثر دقة لترجمنا العبارة العبرية الأخيرة إلى العامية المصرية قائلين « الكتاب بتاع يسوف » فحالة الإضافة فكت في العبرية باستخدام « شل » أي الذي كأداة للربط بين المضاف والمضاف اليه[1].

كما أنشأت العربية المعاصرة أساليب احتوت على مصاحبات مرفوضة في القديم أو معترض عليها أو جاءت على غير المشهور المعتد به فمن ذلك مثلاً مصاحبة السين أو سوف للا النافية مثل سوف لا أسافر بدلاً من لن أسافر ومعها كذلك مصاحبة قد للا النافية مثل « قد لا يجوز » بدلاً من « ربما لا يجوز »، وكذلك وقوع بعض الأدوات في غير مواقعها وفي التعدي واللزوم أو استعمال حرف مكان حرف آخر[2].

على أن أهم ما يمكن أن نلاحظه من ناحية التركيب في العربية المعاصرة أنه لم يرد فيها أمثلة نستنتج منها أي اتجاه جديد نحو التخلي عن الإعراب أو مخالفة قواعده القديمة. وكل ما ورد من ذلك أما يقع في دائرة الخطأ أو مما يمكن تخريجه على وجه من الوجوه القديمة. والحقيقة أن أهم مظاهر التطور في العربية المعاصرة قد وقع في المستوى الدلالي سواء في الألفاظ أم في التراكب وترجع كثرة ورود أمثلة على هذا المستوى خاصة إلى

---

(١) راجع د. محمود حجازي علم اللغة العربية ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨.

(٢) د. كمال بشر دراسات في علم اللغة ٢ / ١٤١ ـ ١٤٦.

أسباب متعددة منأهمها:

١ ـ التطور الفكري والاجتماعي والقومي الذي حدث في العالم العربي في الفترة الممتدة من عام **١٩٥٢** حتى الآن.

٢ ـ نمو الاتصال بين الشرق والغرب سواء كان هذا الاتصال حضارياً قائماً على التعاون أم على الصراع وكان من نتيجته أن تأثر العربي بالحضارة الغربية سواء رضى أم كره وامتد هذا التأثر إلى جوانب كثيرة من حياته اليومية فصار يقرأ ثمار الفكر الغربي في لغته الأصلية أو مترجماً أو كان من جراء ذلك أن تسربت الى العربية المعاصرة تراكيب مولدة عن طريق الترجمة وخاصة في لغة الصحافي والأدب المعاصر.

٣ ـ تأصل أشكال فنية حديثة في الأدب العربي المعاصر مثل القصة والمسرحية واحتياج لغة الكتابة في هذه الفنون إلى شروط فنية مما دفع كثيراً من الكتاب إلى التصرف في بعض الألفاظ بتغيير دلالتها وبالتالي شاعت بعض التعابير الجديدة.

٤ ـ نمو اتساع وسائل الإعلام الحديثة وانتشارها مثل الاذاعة والتليفزيون والسينما واقبال الناس على المشاهدة والاستماع أكثر من القراءة مما خلق طبقة من الكتاب المحترفين للكتابة لهذه الأجهزة استعملوا لغة جديدة.

٥ ـ انتشار الصحافة وتطورها وتنوع موضوعات الكتابة فيها من سياسية واقتصادية ونقدية واجتماعية ورياضية.

وصفوة القول أن هناك أسباباً كثيرة لو شئنا أن نعدد أسباب التوليد في العربية المعاصرة، وهي أسباب تتشابك وتتداخل كما تتشابك وتتداخل أسباب الحياة في أي مجتمع من المجتمعات المعاصرة، حيث تكون الحياة المادية والفكرية والحضارية والسياسية نسيجاً معقداً هو في النهاية المجتمع

الذي تتعدد فيه وتكثر حاجات المتكلم باللغة أو الذي يمارس الكتابة في هذا المجتمع ومن ثم تدفعه تلك الحاجات إلى البحث عن الكلمات التي يعبر بها عن الأشياء والمعاني وخصة تلك التي تجد في حياته مما يقع تحت بصره أو يلامس سمعه أو يشعر به في ذات نفسه ثم لا يجد لها في اللغة الموروثة ما يعبر بها، فيعالج الكاتبون والمتكلمون ذلك النقص الذي يشعرون به في اللغة بسبل مختلفة، فطوراً يقترضون من اللغات الأجنبية الكلمات والتراكيب، وهنا تقوم ثقافة الكاتب أو المتكلم بدور كبير في هذا الاقتراض اللغوي من حيث الانتقاء والاختيار وتارة تقوم اللغة بنفسها نتيجة لاحتكاكها بغيرها بمهمة الاقتراض، وطوراً يعالجون ذلك باشتقاق كلمات جديدة أو نقل ألفاظ قديمة إلى معان جديدة وكل هذا يدخل اكثره في نطاق التوليد الذي يبدأ عادة على مستوى الفرد أو افراد بمعنى أن الذي يبادر إلى عملية التوليد في اللغة إنما هو في الغالب فرد أو عدة أفراد لم يتواطأوا عامدين إذا استثنينا من ذلك عمل المجامع اللغوية في هذا المجال(١).

وهذه المرحلة تسمى مرحلة الابتداع في اللغة ثم تليها بعد ذلك مرحلة الانتشار والاستعمال وغالباً ما يحدث ذلك عندما يسمع فرد أو مجموعة من الأفراد الكلمة أو التركيب المولد فيعلق بذهنه ويستعمله ثم يستعمله من بعده آخرون ومن ثم يأخذ طريقة شيئاً فشيئاً إلى الشيوع ويرتضيه الكاتب والمتكلم فيصبح جزءاً من المعجم اللغوي المستعمل.

على أننا يجب أن نفرق في هذا المجال بين نوعين من التوليد:

١ ـ الأول التوليد الضروري « الصحي » الذي يكون استجابة إلى تطور الحياة الاجتماعية وهذا النمط من التوليد يثري اللغة وينميها ويكون

---

(١) أصبح عمل المجمع الآن هو فحص المستعمل فعلاً من هذه الألفاظ واقرار الصالح منها بالإضافة إلى توليد الفاظ جديدة. راجع محمود تيمور، معجم الحضارة، المقدمة ص ٥.

في الوقت ذاته استجابة لحاجات ملحة لم يعد في قدرة الألفاظ القديمة أن تعبر عنها بدقة ومن ثم يلجأ الكاتب إلى هذا النوع من التوليد وقد تحتاج اللفظة لفترة حتى تشيع ويقبلها المجتمع وهذا النوع من التوليد مطلوب ومرغوب فيه.

٢ ـ التوليد المرضي وهو توليد لا تدفع إليه حاجات اجتماعية أو حضارية وإنما يلجأ إليه الكاتب أحياناً أو المتكلم لغرض من الأغراض كالاضحاك مثلاً[١] أو الرغبة في التجديد اللغوي بلا مبرر أو حاجة كما سنرى ذلك فيما بعد. وهذا النوع من التوليد لا يكسب اللغة نمواً أو ثراء بل على العكس يثقل معجمها بما يشبه الترهل في جسم الإنسان يعوقه عن الحركة ويعرضه لكثير من الأمراض والشيخوخة المبكرة.

وفيما يلي سنعرض لبعض الاستعمالات المولدة من النوع الأول وظورف تولدها في لغة الصحافة والإذاعة والأدب وقد يكون بعضها قد ولد في فترة سابقة ولكن انتشارها وتداولها واستعمالها كان ملحوظاً في العربية المعاصرة وبطبيعة الحال لن يكون ما سنذكره منها إلا على سبيل المثال أما الحصر فيحتاج الى درس مفرد جدير بأن يلقي عناية الباحثين في العربية المعاصرة ويلفت نظرهم.

نحن نعرف أنه من خصائص التغير اللغوي أنه يسير عادة ببطء لا يفطن إليه إلا المتتبع الدقيق، وحياة اللغة ترتبط بحياة المجتمع وأي تغير يطرأ على حياة هذا المجتمع يترك آثاره في اللغة وقد يكون ذلك ببطء ولكن قد يحدث ذلك أيضاً بصورة لافتة للنظر في ظروف خاصة مثل قيام الثورات أو غيرها من التغيرات الاجتماعية المفاجئة، ومن ثم تتبع اللغة

---

(١) انتشرت في فترة من الفترات في إحدى التمثيليات الإذاعية مجموعة كبيرة من الألفاظ والتراكيب المبتدعة التي سرعان ما التقطها الصبية والأطفال وراحوا يرددونها مما استدعى تدخل مجمع اللغة العربية في مصر الذي نبه إلى خطورة ذلك النوع من التوليد على اللغة.

المجتمع في هذا التغير فتطرح عن نفسها بعض الألفاظ والتراكيب وتولد في الوقت نفسه ألفاظاً وتراكيب جديدة ما تلبث أن تحـل محل تلك التي مـاتت أو اندثرت بحدوث هذا التغـير وتحليل التغيـرات الدلاليـة Samantic shifts التي تصحب الثورات أمر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لظاهرة لغوية كظاهرة التوليد التي تكاد تسيطر على هـذا التغير الدلالي سيـطرة كاملة وهـو ما لاحظه بعض اللغـويين القـدماء ودرسـوا جانبـاً منه تحت اسم الألفـاظ الاسـلامية[1] ولـو أننا درسـا أثر التـاريخ الثـوري على العـربية المعـاصـرة لاتضحت لنا حقائق لغوية كثيرة على جانب كبير من الأهمية.

فمثلاً وقعت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م في هذه الفترة من حياتنا المعاصرة فكان لها شأن كل ثورة آثارها على اللغة حيث نجد التوليد يقوم بدور هـام في خلق كلمات وتراكيب جديدة فمما أحدثته هذه الثورة من ألغاء الألقاب قـد حكم بالمـوت على كثـير من الكلمات والعبـارات من لغـة[2] الكتـابـة الصحيفة بوجه خاص فلم تعـد تطلق عـلى المصريـين ألقاب مثـل: بك ـ باشا ـ صاحب العزة ـ صاحب السعادة ـ صـاحب المعالي ـ صـاحب المقام الرفيع ـ صاحبة العصمة ـ الأمير ـ الأميرة ـ سمو الأمـير ـ سمو الأميـرة ـ الملك ـ صاحب الجلالة ـ جلالة الملك ـ الذات الملكية... الخ.

وفي هذا المجال برزت كلمتان جديدتان فيما يتصل بهذه الألقاب.

أما الكلمة الأولى فهي كلمة « السابق » وتسعمل في الكتابة الصحفية وغيرها عندما يحتـاج الأمر إلى الإشـارة إلى أحد من حملة الألقـاب القديمـة فكان يوضع هذا اللقب القديم بين قوسين أو أن يذكر اللقب ويردف بكلمة السابق أو مؤنثها السابقة أو سابقاً فيقال مثلاً الملك السـابق وهي هنا بمعنى

(١) انظر هذا البحث الباب الثـاني الفصل الثـالث.

(٢) راجع د. محمود السعران، اللغة والمجتمع ص ٧٨ وما بعدها.

لم تعرفه العربية القديمة[١].

وأما الكلمة الثانية فهي لقب السيد فان إلغاء الألقاب المشعرة بالفوارق الاجتماعية لم يمنع من إحياء هذه الكلمة العربية القديمة واستعمالها كلقب يتساوى فيه جميع المصريين، وتظهر الدراسة التي قام بها أستاذنا المرحوم الدكتور محمود السعران حول لقب السيد ومشتقاته في العربية أن هذا اللقب ذو تاريخ طويل متطور اصطنعه العرب في الجاهلية ثم الإسلام واستعملته الأمم التي تكلمت العربية بعد إسلامها وبعض الأمم الإسلامية الناطقة بغير العربية وهو لا يزال قائماً حتى أيامنا هذه وقد أصبح له في مصر بعد الثورة دلالة جديدة[٢].

وقد اقتضى تحول مصر من النظام الملكي إلى النظام الجمهوري استعمال لفظ الجمهور وهي لفظة عرفتها العربية القديمة قال الأصمعي « الجمهور الرملة المشرفة على ما حولها وهي المجتمع » ثم أطلق على الناس والأشراف منهم خاصة[٣]. ولكنه استعمل في العربية الحديثة والمعاصرة للدلالة على سواد الأمة والشعب وقد اشتق منه الفعل المولد تجمهر بمعنى اجتمع الناس[٤] ومنه الجمهوري نسبة إلى الجمهور والجمهورية وهي نظام من أنظمة الحكم يكون الحكم فيه بيد أشخاص من الشعب ينتخبهم ويكون للأمة رئيس ينتخب لمدة محدودة وهو مصطلح سياسي في العربية الحديثة انتشر في العربية المعاصرة في مصر وخاصة بعد قيام الثورة ثم دخل في تراكيب جديدة فأصبح يقال مثلاً: الجمهورية المصرية ـ القصر الجمهوري ـ المرسوم الجمهوري ـ رئاسة الجمهورية ـ جيش الجمهورية. . . الخ. واستعملت ايضاً كلمة التحرير بشكل لافت للنظر

---

(١) راجع تاج العروس مادة سبق.

(٢) د. محمود السعران اللغة والمجتمع ص ٧٩ ـ ٨٨.

(٣) القاموس المحيط مادة جهر.

(٤) المعجم الوسيط ١/١٣٧ ط ثانية.

بمعنى تحرير الوطن والمواطنين من كافة أنواع الاستغلال والاستعمار وهي دلالة مولدة لم تعرفها العربية إذ كان معنى التحرير في العربية القديمة عتق الرقبة من الرق(٢).

وفي عام ١٩٦١ م أعلن النظام الاشتراكي وصدرت عدة قوانين هامة فاستفاض استعمال كثير من مفردات النظرية الاشتراكية ومصطلحاتها وعباراتها من سياسية واقتصادية واجتماعية ودخل العربية شيء جديد من هذه الكلمات حتى صارت جزءاً أساسياً من لغة الصحافة والكتابة كما ترددت مختلف المراسيم والقوانين والقرارات وأخذت تصدر عن الحكام في أحاديثهم وخطبهم وتصريحاتهم وتسمع في الإذاعة والتليفزيون ويتفوه بها الخطباء في المساجد أحياناً وتدرس في المدارس بل يشدو بها المغنون والمغنيات، وما زالت دراسة هذه المفردات والمصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حاجة إلى من يتعقبها منذ بداية استعمالها في العربية الحديثة مع بيان التطور الذي طرأ عليها في السنوات الأخيرة عندما اتسع مجال استعمالها ودور الترجمة عن اللغات الأجنبية في امداد العربية بهذا اللون من الألفاظ المولدة.

فمن هذه الألفاظ نجد:

١ ـ الانتاج:

لفظة مولدة من مادة ن ت ج التي تدل في العربية القديمة على نتاج الإبل والغنم والفرس(٣). ولكن العربية الحديثة توسعت في مدلول المادة

---

(١) القاموس المحيط مادة حرر.

(٢) راجع د. إبراهيم السمرائي تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ص ٥٨ وما بعدها حيث أورد كثيراً من الألفاظ التي سنعرض لها مع خلاف في المعالجة والتحليل.
وانظر أيضاً للمؤلف نفسه التطور اللغوي التاريخي ص ١٢٤ وما بعدها.

(٣) القاموس المحيط مادة نتج.

فأصبحت تدل على ثمرة الشيء مادياً ومعنوياً، وقد صاغت العربية المعاصرة من هذه المادة مصدراً صناعياً فقالوا الانتاجية ويقصدون بها قابلية الانتاج ولعلها ترجمة للكلمة الأجنبية Productive كما استعمل اللفظ في الأشياء المادية والمعنوية على السواء فقالوا الانتاج الفكري والأدبي والفني كما قالوا الانتاج الصناعي والزراعي، وقد دخلت في هذه المادة كلمة أخرى مولدة هي النتيجة بمعنى التقويم السنوي ونتيجة الامتحان والنتيجة المنطقية ولم يذكر المعجم الوسيط كلمةالانتاج ضمن كلماته المولدة.

٢ ـ الانتهازية:

وهي مصدر صناعي من مادة ن هـ ز تشيع في كتابات المعاصرين للتعبير عن نمط من الأخلاق غير مستحب، فالانتهازي عندهم هو النهاز للفرص بغية الحصول على منفعة خاصة وهي من مادة نهز التي تدل في العربية القديمة على الضرب والدفع(١) وقد عرفت العربية القديمة النهزة بالضم بمعنى الفرصة ومنها جاء الفعل انتهز الفرص بمعنى اغتنمها(٢).

وقد صاغت العربية الحديثة من هذا الفعل لفظة الانتهازية للدلالة على هذا النمط من السلوك الذي يتصف به الانتهازي وهي في الغالب ترجمة لكلمة Apprtonist ولم يضع المعجم الوسيط هذه اللفظة الجديدة ضمن مادته.

٣ الانهزامية:

والانهزامي هو الذي لا يحتمل مواجهة الأمور الصعبة والظروف الدقيق وسرعان ما يدعو إلى الاستسلام لها أو الابتعاد عنها وهي مصدر صناعي من مادة هزم التي تدل في العربية القديمة على صوت الكسر

---

(١) القاموس المحيط مادة نهز.

(٢) المصدر السابق نفس المادة.

والريح والفرس والسحاب، ومن دلالة الكسر بصوت جاء في المادة معنى الضرب والهزيمة للجيش[1] ومن هذه الدلالة أخذت العربية الحديثة دلالتها الجديدة وعممتها على كل من يدعو إلى التراجع في أمر من الأمور أو يدعو للاستسلام كأنه مهزوم، ولم يضع المعجم الوسيط أيضاً هذه الكلمة المولدة ضمن مادته.

٤ ـ التقدمية:

مصدر مولد يدل في العربية المعاصرة على طريقة في التفكير وأسلوب في العمل يجنح إلى التقدم والعزوف عن الجمود وقد شاعت اللفظة في الكتابة السياسية وبين علماء الاجتماع وقد عرفت العربية القديمة التقدمية بقاف ساكنة وتدل على المضي في الحرب قال صاحب القاموس « التقدمية والتقدمة إذا مضى في الحرب »[2] وهي مشتقة من قدم في العربية واللغات السامية وهي من الكلمات السامية المشتركة[3].

على أن استعمال كلمة التقدمية في العربية المعاصرة أوشكت أن تكون مرادفة في لغة السياسة للاشتراكية أو الشيوعية أحياناً في نظر طائفة من الناس، ومع ذلك فقد يستعملها البعض بمعنى ضد الجمود والتخلف مطلقاً وهكذا يستعملها بعض الكتاب المعاصرين ولم يضف المعجم الوسيط هذه الكلمة ضمن كلماته المحدثة أو المولدة.

٥ ـ الرجعية:

مصدر صناعي جديد للتعبير عن الميل إلى الأفكار القديمة والتمسك بنمط من الحياة لا يقبل الجديد من الفكر أو العمل، ويستعمل في العربية

---

(١) القاموس المحيط مادة هزم.

(٢) القاموس المحيط مادة قدم.

(٣) Geseniuis p. 869.

وانظر أيضاً برجشتراسر، التطور النحوي ص ١٤١.

المعاصرة كصفة غير مستحبة، وغالباً ما يكون ذلك من أصحاب التقدمية وهي مشتقة من مادة رجع، ويبدو أن الدلالة الأصلية لهذه المادة هو التجمع والتماسك(١) ومنه جاء الرجوع بمعنى العودة طلباً للراحة ومن هذه الدلالة اشتقت معظم الألفاظ في العربية(٢).

وقد أثبت المعجم الوسيط هذه اللفظة في مادته وقال هي « البقاء على القديم من الأفكار والعادات دون مسايرة التطور » ووصفها بأنها من الكلمات المحدثة(٣).

٦ ـ الرائد:

وهي كلمة عربية قديمة استعملت بمعنى الرجل يرسل في طلب الكلأ(٤) أو ليدل على الطريق إليه، أما الاستعمال الحديث لهذه الكلمة ففيه دلالة مولدة خاصة عندما يوصف بها زعيم من الزعماء فيقال مثلاً الزعيم الرائد وقد يوصف بها أيضاً فيقال الصحافة الرائدة أو الفكرة الرائدة بمعنى السابقة والداعية إلى طريق جديد في الحياة. كما دخلت معجم الجيوش العربية كرتبة عسكرية.

٧ ـ العميل:

وجمعها عملاء وهي من كلمات النبذ والشتم في قاموس الصحافة المعاصرة وتعني الذي يعمل لجهة أو فكرة أجنبية ضد مصلحة وطنه وقد عرفت العربية القديمة العميل بمعنى من يعامل غيره في شأن من الشؤون(٥) وهي مشتقة من مادة عمل الأصيلة في اللغات السامية والعربية

---

(١) القاموس المحيط مادة رجع.

(٢) المصدر السابق نفس المادة وقارن Geseniuis p. 921.

المعجم الوسيط ١/٣٣١ ط ثانية.

القاموس المحيط مادة رود.

راجع القاموس المحيط مادة عمل.

أيضاً[1] والتي تدل على بذل الجهد وفعل الشيء وتولي أمره[2].

وقد اشتقت في العربية الحديثة ألفاظ أخرى مولدة من هذه المادة بجانب لفظة العميل مثل:

١ ـ العملة للدلالة على أوراق النقد أو النقود عامة.

٢ ـ العملية للدلالة على جملة أعمال تحدث أثراً خاصاً مثل عملية جراحية أو حربية أو مالية[3] وقد فات المعجم الوسيط أن يذكر ضمن كلماته المولدة لفظة العميل على الرغم من شيوعها في العربية المعاصرة.

٨ ـ الرأسمالية:

مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصاد وقد شاعت في الكتابات العلمية والصحفية في العربية المعاصرة وهي مركبة بالنحت من كلمتي رأس + مال وتجمع على رؤوس أموال وأحياناً تسهل الهمزة فيقال رسمال، وغالباً ما يكون ذلك على لسان العامة وقد ذكرها المعجم الوسيط على أنها من الكلمات التي أقرها المجمع قال «الرأسمالية النظام الاقتصادي الذي يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة»[4].

٩ ـ الاشتراكية:

وهي كلمة مقابلة للكلمة السابقة من حيث الدلالة فهي تعني نظاماً سياسياً واقتصادياً يقوم على الملكية الجماعية لموارد الثروة. كما ذكرها المعجم الوسيط[5].

وهي مصدر صناعي من مادة شرك القديمة في اللغات السامية ويرجع

---

(١) Gesiniuis p. 764.

(٢) القاموس المحيط مادة عمل.

(٣) المعجم الوسيط ٢/٦٢٨ ط. ثانية.

(٤) المعجم الوسيط ١/٣١٩ ط ثانية.

(٥) المصدر السابق ١/٤٨٠ ط ثانية.

المدلول الأصلي لها إلى معنى اللي والربط[1] ومنه جاء الفعل اشترك بمعنى تداخل وارتبط واجتمع لعمل من الأعمال ومن هذا الفعل اشتق اللفظة التي نحن بصددها وهي مولدة في العربية الحديثة منذ مطلع القرن الحالي تقريباً ولكنها شاعت في العربية المعاصرة.

١٠ ـ المحسوبية:

وهي كلمة جديدة في العربية تستعمل كثيراً في لغة الحياة اليومية وفي لغة الصحافة وفي الدواوين الحكومية ويراد بها أن الأمور لا تسير بين الناس على وجه العدل وإنما على وجه المعرفة والصلة الشخصية وخاصة من أولي الأمر الذين يميزون البعض لصلة القربى أو لمصلحة مشتركة واللفظ من المصادر الصناعية المولدة من مادة حسب التي تدل على العد والإحصاء والمعرفة[2] وقد أمدت هذه المادة اللغة العربية بكلمات مولدة قديماً منها:

١ ـ الحسبان بمعنى صغار الأسهم وقد نص الأصمعي على أنها مولدة[3].

٢ ـ الحسبة وهو منصب كان يتولاه في الدولة الإسلامية رجل يشرف على مراقبة الأسعر والموازين والمكاييل في الأسواق.

٣ ـ المحتسب وهو اسم من يتولى هذا المنصب.

أما المحسوبية بالمعنى المعاصر فهي مولدة في العربية حديثاً ولم يذكرها أيضاً المعجم الوسيط.

ويطول بنا المقام لو أردنا تتبع هذا النوع من الألفاظ المولدة التي دخلت العربية المعاصرة وشاع استعمالها نتيجة لتغير الحياة السياسية والاجتماعية فهناك الكثير غير ما ذكرنا مثل:

القاموس المحيط مادة شرك وأنظر أيضاً: Gesiniuis p. 976.

القاموس المحيط مادة حسب.

(٣) المزهر ١/٣٠٤.

الثورية ـ الفوضوية ـ المسؤولية ـ النضالية ـ الوصولية ـ العصرية ـ الكفاية ـ النوعية ـ التصعيد ـ اللاوعي ـ التسبب ـ اللامركزية ـ الالتحام ـ الاستقطاب ـ الاستجابة ـ الانفتاح ـ الانتفاضة ـ الانبثاق ـ الاستهلاك ـ الالتزام ـ التذويب ـ التطلع ـ التبعية وغير ذلك كثير.

ولم يكن هذا الجهد مقصوراً على الأسماء أو المصادر وحدها وإنما امتد أيضاً إلى توليد بعض الأفعال التي تغيرت دلالتها واعطتها العربية المعاصرة دلالات لم تعرفها العربية القديمة فمن هذه الأفعال نجد:

١ ـ احتج:

يرد هذا الفعل غالباً في لغة السياسة المعاصرة ولم تسلم منه أيضاً لغة الأدب ويستعمل بمعنى استنكر وهي دلالة لم تعرفها العربية القديمة، ومادة هذا الفعل في العربية هي حج وفي اللغات السامية أيضاً وتدل فيها جميعاً على الاتجاه والقصد(١) ثم تخصص المدلول إلى معنى الذهاب إلى بيت الله الحرام أو الى أي مكان مقدس آخر وقد عرف الفعل في بعض اللغات السامية بمعنى الاحتفال بالذهاب إلى الحج أو الاحتفال مطلقاً(٢). أما في العربية فقد عرف الفعل احتج بمعنى صلب كما قالوا احتج بالشيء أي اتخذه حجة والحجاج الخصام واللجاج(٣) وهو معنى قريب من الدلالة الحديثة بمعنى استنكر.

وقد ذكر المعجم الوسيط هذا الفعل ضمن الكلمات المولدة فقال احتج بمعنى عارضه مستنكراً فعلة مولدة، وكان يجب أن يقول محدثة متمشياً مع فهمه في التفرقة بين المولد والمحدث(٤).

---

(١) تاج العروس مادة حجيج وأنظر أيضاً: Gesiniuis p. 290.

(٢) Gesiniuis p. 290.

(٣) تاج العروس مادة حجج.

(٤) المعجم الوسيط ١/١٥٦ ط ثانية.

٢ ـ ساهم :

فعل جديد اشتقته العربية المعاصرة والحديثة من مادة سهم بمعنى شارك وقد عرفت العربية القديمة السهم بمعنى القضيب والقدح يقارع به كما عرفت أيضاً الفعل سهم كمنع بمعنى داء يصيب الابل[١] .

ولكن العربية المعاصرة أفادت من هذه المادة واشتقت منها الفعل ساهم أو أسهم بمعنى النصيب نحو المشاركة المادية في إحدى الشركات أو المساهمة المعنوية بالجهد وقد ذكر المعجم الوسيط أسهم بمعنى اشترك ولكنه لم يشر الى الدلالة الجديدة للفعل[٢] .

٣ ـ شجب:

يرد هذا الفعل في العربية المعاصرة ولاسيما في الكتابة الصحفية كما يتحدث به السياسيون ويدل على معنى ندد واستنكر وقد عرفت العربية القديمة شجب بمعنى هلك والشجب الحاجة والسهم[٣] ولكن العربية المعاصرة ولدت من هذه المعاني دلالة الاستنكار والتنديد فيقال مثلاً شجبت الدول العربية التأييد الأمريكي لاسرائيل بمعنى استنكرت وأدانت ولم يذكر المعجم الوسيط هذا الفعل ضمن كلماته المولدة .

٤ ـ شجّر :

وهو فعل مشتق من لفظة شجر ويدل على عملية غرس الأشجار وقد عرفت العربية القديمة الشجر والشجراء أي الأرض الكثيرة الشجر ومن هذا المعنى جاء الفعل اشتجر بمعنى تشاجر أي تنازع والرجل عن الأرض صرفه ونحاه ومنعه ودفعه[٤]. ولكن العربية الحديثة اشتقت من كلمة

---

(١) القاموس المحيط مادة سهم .

(٢) راجع المعجم الوسيط ١/٤٥٩ ط ثانية .

(٣) القاموس المحيط مادة شجب.

(٤) القاموس المحيط مادة شحب.

الشجر الفعل شجّر بمعنى غرس الشجر ومنه جاء المصدر التشجير ويقصد به زرع الأرض بالأشجار وهي دلالة لم تعرفها العربية القديمة في المادة وقد أثبتها المعجم الوسيط بين ألفاظه المولدة قال « شجّر الأرض غرس فيها الشجر مولد »[1].

٥ ـ خابر :

وهذا أيضاً فعل له دلالة جديدة إذ يستعمل في العربية المعاصرة بمعنى أخبر أو أنبأ، وأكثر ما يكون ذلك في الحديث عن الاتصال التليفوني فيقال مخابرة تليفونية بمعنى محادثة تليفونية وفي كل هذا يبتعد الاستعمال المعاصر عن العربية القديمة التي عرفت المخابرة بمعنى المشاركة في الزراعة مقابل جزء من نتاج الأرض قال صاحب القاموس « المخابرة أن يزرع على النصف ونحوه »[2] وقد أثبت المعجم الوسيط هذا الفعل بدلالته الجديدة ضمن ألفاظه المحدثة قال « خابره بادله الأخبار » محدثة[3].

٦ ـ فشل :

وهذا الفعل من الأفعال الشائعة في الكتابات المعاصرة ويستعمل بمعنى الفعل أخفق، فيقال مثلاً فشل في مسعاه أو كانت النتيجة الفشل والذي تعرفه العربية القديمة لا يكاد يقترب من هذه الدلالة المولدة فقد عرفت الفشل بمعنى الكسل والضعف والتراخي والجبن[4] ومنه قوله تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »[5].

---

(١) المعجم الوسيط ١/٤٧٣ ط ثانية.
(٢) القاموس المحيط مادة خبر.
(٣) المعجم الوسيط ١/٢١٤ ط ثانية.
وأنظر أيضاً ملحق هذا البحث.
(٤) القاموس المحيط مادة فشل.
(٥) سورة الأنفال آية ٤٦.

وقد فطن مجمع اللغة العربية الى هـذا التغير في استعمـال هذا الفعـل فقال في معجمه الوسيط « فشل في عمله أخفق كلمة مجمعية »[1].

٧ ـ قارن :

ويستعمـل هذا الفعـل بما يـدل عليه القـدماء بكلمـة الموازنـة فقالـوا الموازنة بـين أبي تمام والبحتـري أي ابتغاء استخـراج أوجه الشبـه والخلاف بينهما.

واستعمال عذا الفعل بهذه الدلالة الجـديدة لم تعـرفه العـربية القـديمة وإنمـا عرفت من المقـارنة المصـاحبة والجمـع وشـد الشيء إلى الشيء ومنـه القران في الحج أي أن يجمع بين الحج والعمرة[2]. ومنـه أيضاً القـران أي الجمع بين الزوجين برباط الزواج وهي لفظة مولدة[3].

وقـد أثبت المعجم الـوسيط الفعـل قـارن بمعنى وازن ضمن الفـــاظـه المحدثة فقال « قارن الشيء بالشيء وازنه به محدثة، وبين الشيئين والأشياء وازن بينهما فهو مقارن، ويقال الأدب المقارن والتشريع المقارن محدثة »[4].

٨ ـ تكاتف :

وهو فعل جديد مشتق من اسم عضـو من أعضاء جسم الإنسـان وهو الكتف ويـدل التكاتف في العـربية المعـاصرة عـلى التضـامن والـوحـدة في مواجهة أمر من الأمور ولم تعرف العربية القـديمة هـذا الفعل كـما لم تعرف أيضاً هذه الدلالة وإنما عرفت الفعـل كتف كضرب أي مشي رويـداً ورفق في الأمر وشد حنوى الرجل أحدهما على الآخر كما عرفت كتف فلانـا بمعنى

---

(١) المعجم الوسيط ٢ / ٦٩٠ ط ثانية.

(٢) القاموس المحيط مادة قرن.

(٣) المعجم الوسيط ٢ / ٧٣٠ ط ثانية.

المصدر السابق نفس الصفحة.

شد يديه الى خلف بالكتاف وهو حبل يشد به، كما عرفت كتف بمعنى ضربة في كتفه[1] ولم يشر المعجم الوسيط إلى هذا الفعل المولد من لفظة كتف وإنما ذكر كلمة أخرى مولدة من اللفظة وهي الكتف بمعنى السناد والدعامة[2].

٩ ـ هدف:

يستعمل هذا الفعل في العربية المعاصرة بمعنى قصد ويتعدى بحرف الجر إلى فيقال هذا الأمر يهدف إلى كذا أي يقصد من ورائه غرضاً واشتقاق هذا الفعل واستعماله على هذا النحو من المولد الذي لم تعرفه العربية القديمة وإنما عرفت الفعل هدف بمعنى جاء فيقال « هل هدف إليكم هادف أي حدث ببلدكم أحد » كما عرفت هدف إليه بمعنى دخل وأهدف عليه بمعنى أشرف وإليه لجأ واستهدف انتصب وارتفع والهدف كله مرتفع من بناء أو كثيب أو رمل أو جبل[3].

١٠ ـ تضامن:

ويدل هذا الفعل في العربية المعاصرة على معنى الاتحاد والتعاون في عمل أمر من الأمور بين فرد أو بين مجموعة وأخرى فيقال مثلاً تضامن الأمة العربية أي اتحادها ولم تعرف العربية القديمة التضامن بهذا المعنى وإنما عرفت التضامن بمعنى التكامل[4] وقد أشار المعجم الوسيط إلى دلالة أخرى مولدة للتضامن فقال، التضامن التزام القوى أو الفتى معاونة الضعيف أو الفقير محدثة[5].

---

(١) القاموس المحيط مادة كتف.
(٢) المعجم الوسيط ٢/٧٧٦ ط ثانية.
(٣) القاموس المحيط مادة هدف.
(٤) القاموس المحيط مادة ضمن.
(٥) المعجم الوسيط ١/٥٤٤ ط ثانية.

وهكـذا أضاف الاستعمـال في العربيـة المعاصـرة مجموعـة من الأفعال المـولدة كـما أضاف مجمـوعة من المصـادر والأسماء أيضـاً وليس الهـدف من التعرض لهذه النماذج التي ذكرناها كما قلت الاحاطة والشمول وإنما الهـدف ضرب المثل والإشـارة إلى الظاهـرة إذ الاحاطـة بهذه المـولدات الكثيـرة في العربية المعاصرة يقتضي استقصـاء شامـلاً لجميع النصـوص على اختـلاف موضوعاتها وهو أمر يتجاوز الهدف من هذا البحث.

وإذا كـانت معظم هـذه الألفاظ المـولـدة قـد انتشـرت في لغـة الحيـاة السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما انعكست في الكتابـة في الصحافـة، فان لغة الأدب لم تسلم أيضاً من هذا المولد الجديد أو القـديم على السـواء فاستعملت النصوص الأدبية المعاصـرة لكبار الكتـاب المعاصـرين كثيراً من الألفـاظ المولـدة قديمـاً وحديثـاً، ففي آخر أعمـال الأديب المعاصـر نجيب محفوظ وهو بعنوان « حكايـات حارتنـا » نجده يستعمـل كثيراً من الألفـاظ المولدة منها القديم ومنها الحديث فمن ذلك نجد:
الصمـدية ـ الـرؤ ية بمعنى الحلم ـ التـدخين ـ بسمـل ـ المأمـور ـ منصب ـ اللوح بمعنى قـطعة من الصفيـح أو الخشب يكتب عليها ـ الأسـطوانـة التي يسجـل عليها الغنـاء ـ المصلحة ـ الـوظيفـة ـ فـك الخط ـ السقـوط بمعنى الرسوب في الامتحان ـ الناظر بمعنى مديـر المدرسة ـ النتيجة مـا يسفر عنـه الامتحان ـ الماشطة حرفة تقوم بها امرأة ـ الاحتجاج ـ الاستنكار ـ الأعلام ـ الرايات ـ الرصاص طلقات نارية ـ قارن ـ العـالمة ـ السلسلة ـ دوريـة ـ التسميع ـ النكتة ـ الفكاهة ـ المخبر ـ السبيل بمعنى مكان يشرب منه الماء ـ التـلاشي ـ العدم ـ حـوقلة ـ الـزاويـة بمعنى المسجـد الصغـير ـ الحـاكي ـ الجرثومة ـ الاستشهاد[1].

---

(١) انـظر حكايـات حارتنـا صفحات ٥، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٤، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٦٩، ٧٧، ٩٤، ١٥٢، ١٧٦ عـلى التوالي.

ولعل الباحث لا يستطيع وهو يتناول صور التوليد في العربية المعاصرة ان يغفل نمطاً من أنماط التوليد انتشر في العربية المعاصرة انتشاراً واسعاً وهو:

التوليد بالترجمة:

وهي ظاهرة كما قلت انتشرت في العربية المعاصرة أكثر من انتشارها في أي مرحلة أخرى من حياة العربية نظراً لسهولة الاتصال والنقل والترجمة عن اللغات الأخرى وانتشار عدد كبير ممن يتكلمون اللغات الأجنبية بين أبناء العربية، بل لقد أصبح تعلم هذه اللغات الأجنبية جزءاً من البرامج التعليمية يلقي من القائمين على التعليم رعاية واهتماماً حتى أصبح عدم إجادة لغة أجنبية واحدة على الأقل من الأمور التي يتجنبها المثقف العربي اليوم ويحرص على ألا يوصم بها فاشتد الأقبال على تعلم اللغات الأجنبية وقد أوجد هذا كله نوعاً من الاتصال الدائم والمباشر بين اللغة العربية واللغات الأجنبية المعاصرة. يضاف إلى هذا بداية الاتصال بين الشرق والغرب في مطلع القرن الماضي وكانت العربية من قبل في معزل عن اللغات الأجنبية المعاصرة وحضارتها وفي مأمن من هذا الغزو الذي لم يقتصر كما رأينا من قبل على الميدان السياسي بل تعداه إلى غيره من ميادين الحياة.

وقد بدأ الشرق العربي منذ ذلك الحين يأخذ بجوانب كثيرة من الحضارة الغربية وكان من نتيجة ذلك أن تأثر العربي وهو في بيته بهذه الحضارة كما تأثرت بها أفكاره ولعل من أهم مظاهر هذا التأثر أن العربي اليوم يستطيع أن يقرأ ثمرات الفكر الغربي في لغته الأصلية وكان من جراء ذلك أن استفادت العربية الحديثة والمعاصرة شيئاً جديداً فقد جدت فيها أساليب كثيرة نتيجة لهذا التأثر ولكثرة الترجمة وهي في حقيقتها غريبة عن العربية ومع ذلك لم تتنكر لها اللغة العربية بل تقبلتها وطبعتها بطابعها حتى أصبح القاريء اليوم وهو يقرأ صحيفته اليومية أو مجلته أو يطالع كتاباً في

الآداب أو العلوم يظن أن الذي يقرؤه من هذه الأساليب عربي أصيل.

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن استفادة العربية من هذه الأساليب لم تكن ايجابية دائماً بل حملت في طياتها جوانب سلبية إذ لم تستفد منها العربية غنى وثراء لغوياً، ذلك لأن بعض هذه التراكيب الأعجمية ترجمت وحشرت في العربية وكان السبب في ذلك جهل من تصدى للترجمة بأصول اللغة العربية وفنون القول فيها فلم يتيسر لهم نقل الأفكار الغربية بأسلوب عربي ولو عرف هؤلاء بلاغة العربية لما اندست فيها أساليب غربية عنها(١).

ويرى الشيخ عبد القادر المغربي أن الباب مفتوح لدخول الأساليب الأعجمية بسلام ويعني بهذه الأساليب الأعجمية التراكيب المولدة بالترجمة ولكنه اشترط مثل هذه الأساليب ألا تكون مخالفة لقواعد اللغة العربية وهو يقصد بتعريب الأساليب ما أراده مجمع اللغة العربية بتعريب الكلمات(٢).

والحق أنه لا ضير على العربية من دخول مثل هذه التراكيب المولدة بالترجمة لاسيما إذا كانت تستفيد منها اللغة ثراءً ونمواً وتسد حاجات المتكلمين بها، والحقيقة أن العربية لم تكن في يوم من الأيام بمعزل عن اللغات الأجنبية تأثيراً وتأثراً بل الحقيقة أيضاً أنه لا توجد لغة حية ذات تراث وحضارة لم تخضع لهذا التأثير المتبادل بين اللغات ومن صفات اللغة الحية أن تقبل من غيرها وتطبعه بطابعها فتنمو وتزدهر.

والعربية المعاصرة لا تشذ عن تلك القوانين التي تحكم اللغات فهي تؤثر وتتأثر تأخذ وتعطي، ولعل لغة الصحافة اليوم تعكس آثار هذا التأثر بصورة لافتة للنظر، ولعل أيضاً ظهور فن التقسيم والتنقيط في العربية المعاصرة أثر من آثار هذا التأثر، فالعربية القديمة كانت تعتمد على الفصل

(١) د. إبراهيم السمرائي تنمية اللغة العربية ص ٧٦.

(٢) الاشتقاق والتعريب ص ٩٨.

والوصل بطرق وأدوات لغوية ذات استعمالات خاصة، أما لغة الصحافة اليوم فتعتمد على فن التنقيط والتقسيم فعرفت الفصلة والفصلة المنقوطة والنقطتين الرأسيتين والنقطة الكاملة وعلامة الاستفهام وعلامة التعجب وشرطة الاعتراض وشرطة الربط ونقطة التعليق، وواضح أن كل هذه الإشارات تفيد بصورة أو بأخرى الفصل والوصل في العربية القديمة، ومن ثم ظهر في لغة الصحافة المعاصرة تسامح شديد في الالتزام بقواعد هذا الباب إذ يكتفي الكاتب المعاصر بهذه العلامات(١).

ومثل هذا التأثر الأجنبي نلحظه أيضاً في لغة الكتابة نفسها من حيث الميل إلى السرعة والايجاز الذي انتقل إلينا بعدوى الأساليب الأوروبية في الكتابة بعد نقلها إلى العربية، وهنا نجد أن المجاز يعتبر الباب الواسع لدخول هذه التراكيب المولدة بالترجمة إلى العربية، ويبدو المجاز في هذه الأساليب المترجمة بصورة لافتة للنظر أكثر منه في الكلمات المفردة، فنحن مثلاً عندما نقول في العربية المعاصرة « طلب فلان يد فلانة » إنما نعني أنه تقدم لخطبتها ونصل إلى هذا المعنى أو تلك الدلالة من خلال الجملة بأكملها لا من خلال لفظ واحد من ألفاظها، فالمجاز هنا حادث لا نتيجة لتركيب الكلمات طلب - فلان - يد - فلانة وإنما للمعنى المجازي في طلب اليد التي تضمنته هذه الجملة وهو معنى لا يفهمه العربي القديم على الرغم من أن هذه الكلمات من ناحية التركيب Syntax عربية محضة وهو ما قصده الشيخ عبد القادر المغربي عندما عرف الأسلوب المولد بالترجمة بقوله « هي كلمات عربية محضة ركبت تركيباً عربياً خالصاً لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات(٢).

إذاً فالمجاز هنا أمر واضح وواقع وإلا بدت الجملة بلا دلالة إذا فهمنا

---

(١) د. حسن ظاظا، اللسان والإنسان ص ١١٠.

(٢) الاشتقاق والتعريب ص ٩٨.

منها المعنى المعجمي لهذا التركيب وهو طلب اليد ولكن المجاز يعطي لهذا التركيب دلالته المقصودة وذلك بعكس الكلمة المفردة فإننا لو قلنا مثلاً القطار بمعنى هذه الآلة البخارية التي تمر وراءها عربات والتي نعرفها اليوم في اسكك الحديدية ووصفنا هذه الكلمة بأنها مجاز لقطار الإبل في العربية القديمة فهل يبدو لنا المجاز واضحاً هنا كما هو واضح في الجملة السابقة. وعلى ذلك يمكن أن نخصص التوليد عن طريق المجاز بالجمل دون الكلمات المفردة أما الكلمات المفردة فهي نتيجة لنقل الدلالة أو توسيعها أو تضيقها.

يضاف إلى هذا كله الجانب البلاغي والجمالي الذي ارتبط بمصطلح المجاز في الدراسات العربية وهو ما يدل على الكلمة المفردة بعكس الجمل ففي التعبير عن الخطبة بطلب اليد ملمح جمالي لا نكاد نلمحه في لفظ القطار، وعلى ذلك أرى أن نقصر استعمال التوليد بالمجاز على الجمل دون الألفاظ التي رأى الشيخ أحمد الإسكندري في نقل دلالتها نوعاً من أنواع المجاز[1] إذ الحقيقة أن المجاز والاستعارة والكناية من الوسائل التي أمدت العربية بتراكيب وأساليب لا بألفاظ سواء تم ذلك عن طريق الترجمة أم عن طريق العربية ذاتها. وفيما يلي سنعرض لبعض التراكيب المولدة بالترجمة في عربيتنا المعاصرة: فمن ذلك مثلاً استعمال الفعل « عاش » في تركيب مجازي حيث يقولون « عاش المسألة أو عاش المحنة » بمعنى كابدها واحتملها وخبر نتائجها، وهذا الاستعمال كما يبدو توليد بالترجمة عن طريق المجاز فيما يعنيه الفرنسيون بقولهم Il a vecu في الكلام على شيء مثل هذا. حيث يتعدى الفعل مباشرة في الفرنسية، وقد انتقل هذا التعبير إلى العربية من هذا الاستعمال الأعجمي فشاع هذا الفعل في صيغة المتعدي وقد تجاوز الاستعمال المعاصر الفعل إلى مشتقات أخرى كما في قولهم « الواقع

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ١/٢٩١ وما بعدها سنة ١٩٣٤.

المعـاش » بزنـة اسم المفعـول من غـير الثـلاثي وكـان الصحيـح أن يقـال « المعيش » بالرجوع إلى صيغة الثلاثي [١].

مثل ذلك استعمال الفعل « عاد » في تركيب لم تعرفه العـربية القـديمة وإنما حدث ذلك عن طريق التوليد بالترجمة كأن يقال « لم يعد فلان قادراً » أو « لم يعد فلان يستطيع » وهذا ترجمة للاستعمال في اللغات الأوروبية كما في الفـرنسيـة Il n'est plus capable وكـذلـك تعبـير « وضـع النقط فـوق الحروف » تعبير متـرجم لم تعرفـه العربيـة إلا بعد أن تـرجمه المتـرجمون عن الفرنسية Mettre les points sur les ii، ومن منا يظن أن قـول من يعاقـرون الخمـر « في صحتكم » متـرجم أيضـاً عن الفـرنسيـة A Votre Santé وأن استعمال اصطلاح اللاسامية في العربيـة المعاصـرة محاولـة لترجمـة اصطلاح أوروبي حديث Antisémitisme [٢].

ومثل ذلك أيضاً في قولنا « ذر الرمـاد في العيون » وهـو في الانجليزيـة To throw dust in the eye وقـولنا « يلعب دوراً » من الانجليـزية He plays his part وكذلك استعمال الفعل أعطى في قولنا « أعطى وعداً » و « أعطى صـوته في الانتخـاب » الأول من To give a promis والثـاني من قـولهم To give on's vote to كما نقول اليوم « يصطاد في الماء العكر » للدلالـة على من ينتهز فرصة خلاف ليستفيد وهو من قـولهم في اللغات الأوروبيـة to fish in troubled water ونحن نقـول اليـوم « لا جـديـد تحت الشمس » وهـو من قولهم Rien de nouvesu sous le soleil [٣].

ومما يلحق بهذه الأسـاليب المولـدة بالتـرجمة قـولهم « فلان عـظيم بكل معنى الكلمة » وتعذيب الضمير وضميري يعذبني ولعل الاستعمـال العربي

(١) د. إبراهيم المسرائي تنمية اللغة العربية ص ٦٩.

(٢) د. حسن ظاظا كلام العرب ص ٩٨، ٩٩.

(٣) راجع ابراهيم السمرائي تنمية اللغة العربية ص ٨٧.

وأنظر أيضاً عبد القادر المغربي الاشتقاق والتعريب ص ١٠٧.

في هـذا هو مـا جاء بـه القرآن الكـريم في قولـه تعـالى « النفس اللوامـة، ويقولون اليوم « نقد بريئي » innocant وربما كان الاستعمال العربي القديم أن يقال النقد الخالص، ويقولـون الكاتب أو الشـاعر الـلامع Brilliant أو الملهم inspiration، ويقـولون نفعـل كـذا عـلى ضـوء كـذا، وكـان القـوم متحمسين ومتحمسين جداً ويقولون وخصص عمره للأدب وللأدب وحده ويقولون أيضاً وهو كثـير وكثير جـداً، ومثل هـذا الأسلوب المولـد بالتـرجمة نلحظه كثيراً في كتابات المرحوم الدكتور طه حسين(١).

ويقـولون أيضـاً في العربيـة المعاصـرة « عناصـر الأدب » و « عنـاصـر القصة » و « عناصـر الموضـوع » وهم يريـدون بالعنـاصر الأجـزاء الأصيلة المعنوية وهو ما يمكن رده إلى لفظة eléments في اللغات الأوروبيـة ولذلـك نـراهم يستعملون مع لفـظة العناصـر كلمة « التحليـل » فيقـولـون تحليـل القصة وتحليل الشعـر وتحليل الشـاعريـة وكل ذلـك من اللغات الأوروبيـة Analitical كما يقولون أيضاً المدرسة الإفلاطونية والمدرسة الحديثة وغير ذلك من التراكيب التي يدخل فيها لفظ المـدرسة للدلالـة على مجمـوعة التعـاليم والآراء التي أصبحت لعـالم أو فنـان أو فيلســوف أو لاتجـاه في العلوم أو الآداب.

ومن هذه الأساليب المولدة بـالترجمـة ما نجـد عليه مسحـة دينية فمن ذلك قولهم اعتنق الفكرة نجده في الانجليـزية في قـولهم He embraced the idia وكذلك يقال « كرس حياته وهو من قولهم في الانجليـزية To sacrifice one's life وفي الفـرنسيـة Il a consacre sa vie والفعـل كـرس من الألفـاظ الكنسية المسيحية وهو من أصل سرياني آرامي عـلى أن التركيب مـولد عن طريق الترجمة(٢).

(١) عبد القادر المغربي الاشتقاق والتعريب ص ١١٠.

(٢) د. إبراهيم السمرائي تنمية اللغة العربية ص ٨١.

غير أن الشيخ عبد القادر المغربي يرى أن التوارد قد يقع بين اللغات في هذا النمط من التراكيب فيقول « وقد يقع التوارد بين لغتنا ولغة غيرنا في الأساليب فلهم أساليب ولنا أساليب بمعناها ولدينا طائفة من الأساليب العربية نرى مثلها في كلام الأعاجم وتكون هناك قرائن تدل على أن لا تواطؤ ولا علاقة بينها، وأن كلا منها نشأ في لغته وبيئته من دون أن يتأثر بالآخر(١).

فمن ذلك مثلاً تقول في وصف الرجل بالغيظ « صرف أسنانه » «وحرق الأرم » أي حك أسنانه بعضها ببعض وهم يقولون « Crincer des dents » ونحن نقول في التنويه بالحب القديم « ما الحب إلا الحبيب الأول » وهم يقولون : L'homme revieut toujours a ses premiers amours ونحن نقول في طلب الانتباه افتح اذنيك وهم يقولون ouvres les oreilles ونحن نستعمل أكل اللحم كما في قوله تعالى « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » أو تمزيقه بالأسنان للدلالة على الغيبة والنميمة وهم يقولون Déchirer a belles dents أو coup de deuts وفي القرآن الكريم أيضاً « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » وهم يقولون A quelque chose malheureux est boh(٢).

ومهما يكن من أمر فإن دخول مثل هذه التراكيب المولدة بالترجمة قد شاع في العربية المعاصرة وخاصة في لغة الصحافة بحيث يمكن للمتتبع لها أن يضع معجماً صغيراً في مثل هذه التراكيب(٣) على أن دخول هذه التراكيب إلى العربية كما يقول أستاذنا الدكتور حسن ظاظا لا غبار عليه

---

(١) الاشتقاق والتعريب ص ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠١ .

(٣) قام الدكتور إبراهيم السمرائي بجمع عدد كبير من هذه التراكيب نشره للمرة الأولى في كتابه دراسات في اللغة ص ٢٣٩ - ٢٥٦ ثم أعاد نشره مرة أخرى في كتابه تنمية اللغة العربية ص ٧٨ - ٩٤ .

طالما كانت حاجة المتكلمين تمس إليه وتقتضيه ولأن تبادل التأثير والتأثر سنه اللغات والاحياء[1].

ولكن اللغات كما تستفيد من هذا النمو عن طريق التوليد بالترجمة الذي يسد حاجات فكرية وحضارية معينة لا تستطيع اللغة أن تلبيها سريعاً هذه اللغات قد تعاني أحياناً من نوع آخر من التوليد المرضي الذي يثقل متن اللغة بألفاظ وتراكيب لا مبرر لها ولا تستدعيه مقتضيات فكرية أو حضارية وإنما تدفع إليه رغبة جامحة في التحذلق والابتكار بلا مبرر ظاهر وهو ما نسميه التوليد المرضي في مقابل التوليد الذي تستفيد منه اللغة ثراءً ونمواً.

ولا أجد شاهداً أصدق على ذلك مما كتبه الدكتور كمال يوسف الحاج في كتابه « فلسفة اللغة » فهو يعطي لنفسه الحق في توليد كثير من الأسماء والأفعال بطريقة تخالف روح العربية في الاشتقاق بالإضافة إلى وجود ألفاظ في العربية تغني عن هذا التكلف والغريب حقاً أنه ينحو هذا المنحى لأن العربية عنده « رغم بذل المجهود في تنميتها واستفراغ الطاقة في تعليتها فاترة غير قادرة على السير في طريق الحضارة البشرية الجديدة لذا كانت بحاجة الى عناية ورعاية وتوجيه وتوحيد »[2].

ولا أظن أن الطريق التي سلكها في تنمية العربية هي الطريق المثلى التي ستنتهي بها إلى أن تصبح لغة حية قادرة على السير في طريق الحضارة البشرية الجديدة فهو كما قلت يعطي لنفسه حرية واسعة في الاشتقاق والنحت والتوليد على نحو يجافي روح العربية وخصائصها فيأتي الجديد في اللغة عنده أو المولد نابياً بعيداً عن روح العربية وذوقها.

فهو مثلاً يرى أن « مرجلة » نسبة إلى رجل أدل من « رجولة » و

---

(١) كلام العرب ص ٩٩.

(٢) انظر فلسفة اللغة ص ٢٥١.

« رجولية » ويشتق من لفظة الكلام « مكلمن » فيقول « لا وجود لفكـر غير مكلمن ». ويستعمل صيغة انفعـل من وجد فيقـول « يستحيل عـلى الفكر أن يتوجد عارياً بدون لسان » ولفـظة يوجـد أولى وأدل ويقول « يتمـظهر » بدلاً من « يظهر » ويشتق مصدراً صناعياً من ما + وراء فيقول « الماورائية » ويجمع « عند » عـلى « عنديـات » ويصنع مصـدراً صناعيـاً من « افرنقـع » فيقـول « الافرنقعيـة » ويستعمل الفعـل « علب » المشتق من الاسم الجامـد « علبه » في غير الموضع الذي يستعمل فيه فيقول « الحياة لا يعلبها الـذهن المتنــطق » ويقـول « الإنســانيـة لا تعلب » وينسب إلى اللفــظة الـدخيلة الكلاسيكية فيقول « الكلاسي » ويجمع لا شيء على الليشيـات ويشتق من لفظة « الإنسان » فعـلاً فيقول « تـأنسن » و « يتأنسن » وكـذلك من لفـظة « الـطبع » فيقـول « تتطبعن » ومن « الآلـة فيقـول « يتـألهن » ومن كلمـة اللفظ » يقول « يتلفظن » ومن « الفكر » « يتفكرون »، و « الممكن » عنده تصبــح « اليمكن » ومن « المـذهب » يقــول « التـذهبن » ومن « النفس » « تنفسن »(١).

ونتيجـة لاستعمالـه هذا النمط من التـوليد جـاءت كثـير من تـراكيبـه عسيرة الفهم مغلقة المعنى فماذا نفهم مثلاً من قوله: الأفعولات الوجـدانية - مرتفعات الـوجدان - صعـاليك الـدواة - الاطلال السكـوني - المعضلات النخاسة - قصبات الوجدان - اللغة الافرنقعية - المعاضل الماورائية - الزخم الحياتي - يعيش اليمكن - الازدواجية المشكوكة في قاعنا - المعرفة المكلمنـة، وغير ذلك من التراكيب المغلقة العسيرة الفهم المبهمة(٢).

---

(١) فلسفـة اللغـة صفحــات ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ٣٣، ٣٤، ٥٤، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٩٨، ٩٩ على التوالي.
انـظر أيضاً نمـاذج أخرى من هـذه الاستعمـالات صفحـات ٣٧، ٧١، ٧٤، ١٠١، ١٠٦، ١١٠.

(٢) المـرجع السـابق صفحـات ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ٣٠، ٥٢، ٧٨، ١١٧ على التوالي.

ولعلنا لسنا في حاجة إلى القول بأن هـذا النوع من التـوليد لا تستفيـد منه اللغة نمواً ولا ثراء وإنما هو يثقل متنها بألفاظها هي كالشحم عـلى جسد الإنسان تزيده ضعفاً وترهلاً ولا تزيده قوة أو منعة ضد الأمراض.

ومثل هذا أيضاً تعاني منه اللغة نتيجة لاختلاف الألفاظ المولدة للمعنى الواحد ولعـل للعربيـة هنا مـوقفاً خـاصاً نـظراً لتعدد البلدان النـاطقة بهـا وكذلك وجود أكثر من مجمع لغوي في البلاد العربية يعمل كل منها مستقلاً عن الآخر بصورة أو بأخرى، فيضع ألفاظـاً لمعنى ويضع مجمـع آخر لفـظاً آخـر لنفس المعنى وخاصـة في المسميات الحـديثـة لبعض الآلات والأدوات التي لم تعرفها العربية القديمة.

فمثلاً ما نطلق عليه في العامية اسم « الفرامل » وهو عبارة عن أشكال شتى تستعمل لجعل وسائل النقل المختلفة تبطيء من سيرها أو تتوقف نجد مجمع اللغة العربية في مصـر يضع لهـا في سنواتـه الأولى لفظة الكمـاحة[1] وهي مشتقة من الكبح أي رد الفرس باللجام، ولكن عدم اطلاع المؤلفين والكتـاب على مـا وضعه المجمـع من ألفاظ جـديدة بـالإضـافـة إلى عـدم استعمالها للكتابة وخاصة في لغة الصحافـة من قبل هؤلاء الـذين عرفـوها أدى الى وضع عدة ألفاظ أخرى في بعض البلاد العربيـة للدلالة عـلى هذه الآلة أما عن طريق الأفراد أو المجامع حتى أصبـح لها مسميـات كثيرة فهي في العـراق « المـوقف » وفي ســوريـا « المــاسـك والمبكــح »[2] وفي بعض الاستعمـالات الأخـرى هي « اللجـام » و « الحكمـة » و « الضــابـطة » و « الميقف » و « الفرملة » و « المعوقة » و « الفران » وتلفظ بالأمالة[3].

فهذه عشرة أسماء عربيـة مولـدة وواحد منهـا معرب أطلقت عـلى آلة

---

(١) مجمع اللغة العربية محاضر الجلسات ١/١٨٠ سنة ١٩٣٥.

(٢) مجملة المجمع العلمي العربي ٣/٣٥٤ سنة.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

واحـدة مشهورة ومعـروفة وربمـا كان هنـاك أسماء أخـرى لم نعرفهـا، فـأي تضخم من الممكن أن تصـاب به اللغـة العربيـة لو استمـر هذا النـوع من التـوليد الـذي تختلف ألفاظـه وتتعدد لمعنى واحـد، وكـان الأولى أن نتجـه بـالتوليـد إلى وضع أسـماء لأجزاء أخـرى من السيارة مثـلاً فنبحث لها عن ألفـاظ تحل محـل الألفاظ الأجنبيـة التي ما زالت تستعمـل حتى اليـوم عـلى نـطاق واسع وخـاصة ف دوائـر أصحـاب المهن والحـرف حيث تلتقط أذن الانسان مئات من الألفاظ الأعجمية يتداولها هؤلاء الناس فتسمع مثلاً من أسماء أجزاء السيارة: الفتيس ـ الكرونة ـ البوجيه ـ الكونتاكت ـ الدبـرياج ـ الشكمـان ـ الدينـامو ـ المـارش ـ البطاريـة ـ الكـرنـك ـ الكـربيـراتـير ـ الرادياتير ـ الجوان ـ الشربون ـ البارابريز ـ السلندر ـ وغير ذلك من أسـماء لأجزاء السيارة ما زالت تنتظر من يضـع لها ألفـاظاً عـربية منـاسبة، وعـلى ذلك بقية الآلات في المصانع ولوازم المهن والحرف المختلفـة وكلها مـا تزال بلا ألفاظ عربية معروفة.

وكل هذا وغيره يضع المجامع اللغوية والأفراد المهتمين بتنمية العربيـة المعاصرة وتطويرها أمام عمـل لابد من انجـازه، ذلك لأن التـوليد مـا زال متجهاً حتى الآن إلى خدمة اللغة الخاصة، لغـة العلماء والفلاسفـة والأطباء والرياضيين والفنانـين وغيرهم من رجـال الثقافـة العليا، أمـا اللغة العـامة وهي لغة البيت والشارع والسـوق والمصنع والـورشة والحقـل فما تـزال نهباً للدخيل والعامي والملحـون، والكتاب والمتـرجمون والصحفيـون وسائـر من يتصلون بهـذه اللغـة العـامـة لا يعنيهم كثيـراً تلك اللغـة العلميــة وإنمـا يستعملون ما شاع وذاع عـلى ألسنة سـواد الأمة الـذين يقومـون في الحقيقة بتسمية الأشياء لا يراعون في ذلـك قاعـدة أو منهجاً وإنمـا جل همهم الفهم والافهام ويأتي بعد ذلك الكتاب والصحفيون فيجدون اللفظ قد شاع فإمـا يستعملونه على علته فيكون الفساد اللغوي وإما يضع كل كاتب لفظاً لمعنى فيكـون التوليـد المرضي والبلبلة اللغـوية والصحـافة والنـاس متنافسـان في

الوضع بأنواعه سواء توليداً أم تعريباً أم استعمالاً للدخيل.

والدليل على ذلك نقرؤه في أحدث ما كتبه الأديب يوسف السباعي في آخر مؤلفاته وهي رواية بعنوان « لست وحدك » فالكاتب يستعمل اللغة الشائعة لا يكاد يبالي فهو يستعمل ألفاظاً دخيلة وعامية شاعت على ألسنة الناس مثل: الكلوبات ـ البروفات ـ الكازوزة ـ الأوتوبيس ـ السبرتاية ـ السندوتش ـ الكلينوس ـ البلموليف[1].

كما يستعمل كلمات مولدة مثل: الأعلام بمعنى الرايات ـ الأصول بمعنى أصل الكتاب أو المقالة ويشتق من لفظة الريش فعلاً فيقول ريش النوافذ أي نظفها بآلة التنظيف المصنوعة من الريش كما يستعمل لفظ المطبعة[2].

ويستعمل ألفاظاً وتراكيب عامية خالصة فيقول: رحلة مهببة ـ فركة كعب ـ ناولني أي زفتة ـ جتتي ملبشة ـ تسير بالورب ـ البلبوعة ـ الباشمهندس[3].

وعلى هذا النمط من استعمال مستويات لغوية متعددة تسير بقية لغة هذه الرواية.

إذاً نحن أمام شيء أشبه بالفوضى والبلبلة اللغوية نتيجة لنمو غير منسق للغة العربية المعاصرة، فبينما هناك النمو الحقيقي الذي يكسب اللغة ثراء وغنى هناك أيضاً النمو المرضي نتيجة لتعدد جهات الوضع ونتيجة لاستعمال الكتاب والصحفيين لشائع على ألسنة الناس وكل ذلك يثقل كاهل اللغة بنوع من النمو قد يعوق حركتها وتقدمها ويحول بينها وبين ملاحقة الفكر والتطور ولهذا كله فالتنسيق اللغوي أمر يقتضيه هذا النمو

(١) انظر رواية « لست وحدك » صفحات ١٠، ١١، ١٣، ١٩، ٢١ على التوالي.
(٢) المرجع السابق صفحات ١٠، ١١، ١٣.
(٣) المرجع السابق صفحات ١٢، ١٣، ١٤، ٢٠، ٢٤.

غير الصحي للعربية المعاصرة إذا أردنا لهذه اللغة السلامة والصحة والبقاء.

وفي ظني أن التوليد اللغوي من الممكن أن يقوم في هذا المجال بدور كبير في المحافظة على طبيعة اللغة العربية وأصالتها، ذلك لأن المولد بطبيعته ليس كالدخيل أو المعرب جسماً غريباً على اللغة وإنما هو كما رأينا من خلال هذا البحث ألفاظ وتراكيب عربية الأصل أعطيت دلالات جديدة أو هي ألفاظ أجنبية اشتق منها على طريقة العربية بالاشتقاق ألفاظ جديدة ولكننا في نهاية الأمر لا ندخل في جسم اللغة ألفاظاً أجنبية عليها قد تتكاثر يوماً بعد يوم إذا استسهلنا التعريب أو استعمال الدخيل الذي يسمم اللغة شيئاً فشيئاً حتى يقضي في النهاية عليها.

والحق أن في التوليد مخرجاً من هذا الخطر وليس معنى ذلك أن نرفض المعرب أو الدخيل وإنما نستعمل هذه الوسيلة من وسائل النمو بقدر وحذر في حين يتجه عمل المجامع والأفراد إلى التوليد وهذا يقتضي بعث وإحياء المعاجم اللغوية القديمة وإعادة نشرها بصورة علمية حديثة تسهل على الباحث العثور على ضآلته من الألفاظ في متنها وقد يقتضي ذلك عملاً دائباً لمدة طويلة وهو ما لمحه وأشار إليه الامم محمد عبده منذ القرن الماضي عندما قال إن إحياء العربية يقتضي عملاً دائباً لمدة خمسين عاماً.

وأقول أن تنمية العربية المعاصرة يحتاج قبل هذا كله إلى من التنسيق اللغوي يقوم على التعاون بين المجامع اللغوية العربية وبين العلماء والكتاب والصحفيين وكذلك الأفراد من أصحاب المهن والحرف المختلفة.

وصفوة القول نحن في حاجة إلى أن نبدأ عملية جمع جديد للغة العربية المعاصرة على طريقة السلف من اللغويين القدماء ثم يأتي بعد ذلك دور التنسيق والتبويب وتأليف المعاجم العربية المعاصرة التي تسد نقصاً نحن في أمس الحاجة إليه اليوم.

خاتمة ونتائج

وبعد، فأما وقد بلغت نهاية المطاف في هـذا البحث فأجـد من اللازم أن استجمع ما أسفر عنه من نتائج في هذه الخاتمة.

وقد حاولت منذ البداية أن ألتزم بالمنهج الـذي حددتـه لنفسي، ذلك المنهج الذي يقوم على أن الصلة بين اللغة والمجتمـع صلة حية قـائمة عـلى تبادل التأثير والتأثر، وعلى ذلك أثبت في الفصل الأول من الباب الأول من هذا البحث أهم النتائج التي توصـل إليها علم اللغـة الحديث في أمـر هذه الصلة، وكذلك العوامل والمؤثرات الاجتماعية والفكريـة والحضاريـة التي تؤثـر على اللغـة فتدفعهـا إلى التطور والتغـير والنمـو، وذلـك بـاعتبـار أن القوانين العامة التي أسفر عنها البحث اللغوي الحديث في هذا السبيل هي الدعامة النظرية التي قام عليها هذا البحث.

ومع ذلك فقد حرصت على أن أثبت للغويين العرب القدماء جهدهم في هذا الميدان فأشرت إلى بعض عـوامل التـطور اللغوي التي التفت اليهـا هؤلاء العلماء وخاصة فيما يتصل بالنمو اللغوي وذلك تأصيلاً للفكر اللغوي العربي وبياناً لجوانب مشرقة فيه.

أمـا في الفصل الثـاني من هـذا البـاب فقـد درست طـرق نمـو الثـروة اللغوية في العربية فـأشرت إلى أهم هـذه الطرق من اشتقـاق ونحت ومجاز واقتـراض لغوي، كـما اعتبرت انقـراض الكلمات صـورة من صور النمـو

باعتبار أن ذلك يطرح عن اللغة بعض الألفاظ والتراكيب التي تثقل ثروتها اللغوية وبالتالي يحدث نوعاً من التوازن بين ما يضاف إلى اللغة وبين ما يطرح عنها وبذلك تبقى حية نامية متطورة.

وفي الفصل الأخير من هذا الباب درست ظاهرة التوليد اللغوي باعتبارها الطريق الرئيسي من طرق النمو اللغوي التي يوليها هذا البحث اهتمامه فحددت مفهومه وحقيقته بدقة ثم قيمته ودوره بالنسبة لطرق النمو الأخرى في إمداد اللغة بحاجتها ثم علاقة التوليد في اللغة بقضيه الاحتجاج اللغوي وذلك لأن اللغويين القدماء قد ربطوا بين ظاهرة التوليد وقضية الاحتجاج ربطاً احتاج إلى أن نخلص هذه الظاهرة من الحكم المعياري الذي وصمت به في التراث اللغوي العربي وكان ذلك كله في ضوء آراء اللغويين القدماء والمحدثين مع تحديد موقف كل فريق من ظاهر التوليد في اللغة.

وفي الباب الثاني حاولت أن أتتبع تاريخياً ظاهرة التوليد ودورهة في نمو الثروة اللغوية في العربية والعوامل المؤثرة فيها وذلك في ضوء التغير الفكري والاجتماعي والحضاري للمتكلمين بالعربية وخاصة بعد الإسلام وانتشار العربية في بيئات وبين أمم ذات تراث حضاري ولغوي تميز تميزاً واضحاً عن التراث العربي.

فدرست في الفصل الأول من هذا الباب أثر الإسلام في اللغة العربية وخاصة فيما استحدثه من ألفاظ وتراكيب لم تعرفها العربية القديمة.

وفي الفصل الثاني درست التطور اللغوي للعربية كما حدث على ألسنة الأعاجم والمولدين وخاصة فيما استحدثه الشعراء المولدون من ألفاظ مولدة وموقف اللغويين القدماء من هذه الاستعمالات الجديدة.

وفي الفصل الثالث من هذا الباب درست النمو اللغوي للعربية نتيجة

للتطور العلمي والحضاري الذي أصاب حياة العرب وخاصة بعد ترجمة العلوم والثقافات الأجنبية فأوضحت أثر ذلك كله وكيف تحولت العربية من لغة بدوية إلى لغة للعلوم والفنون.

وفي الفصل الرابع والأخير من هذا الباب درست الصراع اللغوي بين العربية واللغات الأخرى وخاصة اللغتين الفارسية والتركية اللتين ظهرتا على مسرح الحياة الإسلامية منافستين للعربية فبينت أثر ذلك في انتشار العربية والثقافة الإسلامية ومقاومة العربية لهذا الصراع وأبرزت أهمية التوليد اللغوي ودوره في المحافظةعلى العربية ضد الدخيل الذي أخذ يغزوها مع تدهور الحياة السياسية والعلمية وخاصة خلال قرون الجمود الفكري الذي صاحب الغزو العثماني للعالم العربي وذلك باعتبار أن المولد وثيق الصلة بالفصحى بعكس الدخيل الذي يعتبر في نهاية الأمر عنصراً غريباً عن اللغة إذا تكاثر سيطر عليها وقد يؤدي بها إلى الموت.

أما الباب الثالث من هذا البحث فقد عقدته لدراسة لغوية تحليلية للألفاظ والتراكيب المولدة اعتمدت فيه على نوع من السبر اللغوي أخذت فيه (عينة لغوية) من الألفاظ والتراكيب المولدة بحيث تغطي كل جوانب التراث الفكري والحضاري للعربية فدرست مجموعة من الألفاظ الدينية والتشريعية والسياسية والحربية والفلسفية والأدبية والعلمية «تقنية» والعامة، دراسة تحليلية بين فيها اشتقاقها وتطورها الدلالي وما انتهت إليه من دلالات مولدة مستعيناً في ذلك بفقه اللغة المقارن بين العربية واللغات السامية الأخرى.

كما توقفت أيضاً في هذا الباب عند ظاهرة التوليد عن طريق الترجمة وخاصة فيما ترجمه المترجمون السريان، وختمت هذا الباتب بدراسة لخصائص العربية المولدة رددت فيه على ما ذهب إليه المستشرق الألمان يوهان فك من وجود لغة عربية مولدة ذات سمات وخصائص صوتية

وتركيبية تختلف عن العربية القديمة حتى كادت تصبح لغة مستقلة عنها.

وأما الباب الرابع والأخير من هذا البحث فقد أفردته لدراسة النمو اللغوي للعربية في العصر الحديث والعوامل التي أثرت فيه ودور المولد في إمداد العربية الحديثة بحاجتها من الألفاظ والتراكيب المولدة لمواجهة المقتضيات الفكرية والحضارية في هذا العصر بعد مرحلة الجمود والتخلف التي أصابت العربية، كما بينت جهود الأفراد والمجامع اللغوية في مواجهة هذا التطور بوضع الألفاظ والتراكيب المولدة وخاصة مجمع اللغة العربية في مصر الذي أولى قضية المولد اهتماماً انفرد به عن بقية المجامع اللغوية الأخرى، وختمت هذا الباب بدراسة لبعض مظاهر التوليد اللغوي المعاصر في لغة الصحافة والأدب اليوم.

فإذا أردت أن أرصد أهم النتائج التي أسفر عنها هذا البحث وجدتها تنقسم إلى قسمين: القسم الأول نتائج نظرية والقسم الثاني خطة عملية لانتخال الألفاظ المولدة.

أولاً: النتائج النظرية:

١ ـ التوليد اللغوي ظاهرة لغوية عامة تخضع لها كل اللغات في كل زمان ومكان مثلها في ذلك مثل ظاهرة الاقتراض اللغوي وهو استجابة لغوية للتطور الفكري والحضاري للمتكلمين باللغة.

وينقسم المولد الى قسمين:

أ ـ المولد المقصود وهو يتصل بالمصطلحات ومسميات الحضارة الجديدة.

ب ـ المولد غير المقصود وهو ما يولده الأفراد عفواً وتسوق إليه الحاجة سوقاً طبيعياً.

وهذان النوعان من التوليد هما من التوليد الضروري الذي تسدعيه مقتضيات

فكرية وحضارية معينة أما التوليد المرضي فهو نوع من التوليد يعوق اللغة أكثر مما ينميها.

٢ ـ يتصل التوليد أساساً بالتغير في دلالة الألفاظ وتطورها وهناك عدة طرق لذلك هي:

أ ـ توسيع أو تضييق أو نقل دلالة لفظ قديم إلى دلالة جديدة.

ب ـ اشتقاق أو نحت لفظ جديد من مادة لغوية أصيلة أو دخيلة.

وقد سلكت اللغة العربية هذه الطرق في تنمية ثروتها اللغوية نتيجة لظروف ومقتضيات فكرية وحضارية معينة مرت بحياة هذه اللغة وخاصة بعد الإسلام.

٣ ـ على الرغم من التفات بعض اللغويين العرب القدماء للعلاقة بين التطور الفكري والحضاري وظهور لألفاظ لغوية جديدة لم يعرفها العرب القدماء، إلا أنهم لم يضعوا تلك الملاحظات في إطار منهجي عام، وبالتالي جاءت نظرتهم إلى المولد نظرة معيارية نتيجة لسيطرة فكرة الاحتجاج اللغوي عليهم ومن ثم لم يستطيعوا التوصل إلى مفهوم دقيق لهذه الظاهرة اللغوية فاعتبروا كل تغير أو تحريف سواء في الصيغة أو الدلالة من المولد كما أضافوا إليه ما عرب أو دخل العربية بعد عصر الاحتجاج.

٤ ـ أغلق القدماء أبواب الاستعمال في وجه الألفاظ المولدة قديماً واعتبروها خارج حرم الفصاحة على الرغم من أنها ألفاظ عربية صحيحة تغيرت دلالتها، وذلك بحجة أن العرب القدماء لم يستعملوا مثل هذه الألفاظ بهذه الدلالات.

٥ ـ يمكن أن نحدد أبرز خصائص العربية المولدة فيما يلي:

أ ـ استعمال ألفاظ عربية الأصل والصيغة بدلالات جديدة لم تعرفها العربية القديمة.

ب ـ تعريب ألفاظ أعجمية لم يعربها العرب القدماء وكذلك استعمال

ألفاظ دخيلة لم يستعملها العرب.

حـ ـ اشتقاق أسماء وأفعال من مواد عربية أو أعجمية لم يشتقها العرب القدماء.

د ـ اصطناع تراكيب جديدة دون مخالفة لطريقة العربية الفصحى في التركيب ولكنها تميزت بأسلوب خاص افترقت به عن العربية القديمة وخاصة في طول الجملة.

هـ ـ استعارت تراكيب مترجمة من بعض اللغات التي اتصلت بها العربية.

و ـ استعمال أوزان شعرية جديدة لم يعرفها العمود الشعري القديم.

٦ ـ كان اللغويون المحدثون من العرب أكثر دقة في تناولهم لقضية المولد نتيجة لتطور الدرس اللغوي الحديث واتساع آفاقه ودقة منهجه وبالتالي وضعوا هذه الظاهرة في إطارها الصحيح من التطور اللغوي للعربية، ومع ذلك فلم يسلم بعض هؤلاء اللغويين من آثار الفكر اللغوي القديم فاعتبروا ما عربه المولدون من المولد مما أدى الى اضطراب التحديد النظري للمولدة كما أقره مجمع اللغة العربية في مصر.

٧ ـ كان الاتجاه العملي لمجمع اللغة العربية في مصر مختلفاً عن موقفه النظري من قضية المولد فبينما قيده التحديد النظري بقيود من أثر الفكر اللغوي القديم نراه في خطته العملية يقر ما استعمل من الألفاظ المولدة ويدخلها في مادة معجمه الوسيط بل يضع كثيراً من الألفاظ والمصطلحات المولدة.

٨ ـ كانت جهود الأفراد في التوليد واضحة وخاصة في بداية النهضة العربية في العصر الحديث وشمل ذلك المولد المقصود وغير المقصود أيضاً.

٩ ـ يمكن القول بأن الحاجة إلى التوليد اللغوي تشتد في فترات الانتقال الحضاري والفكري ويؤيد ذلك التشابه الواضح الذي نجده بين

حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي وما صاحبها من احتياجات لغوية وبين حركة النهضة الفكرية والعلمية في العصر الحديث وما استدعته من تجديد لغوي.

ثانياً: نتائج عملية وتوصيات:

لاشك أن انتحال الألفاظ والتراكيب المولدة في اللغة العربية أمر على جانب كبير من الأهمية وهو يحتاج إلى جهد ضخم يمكن أن يتجه إلى مصدرين أساسيين:

المصدر الأول: المعاجم اللغوية القديمة والحديثة ومعاجم المصطلحات مثل مفاتيح العلوم للخوارزمي وتعريفات الجرجاني وكليات أبي البقاء وغيرها من المعاجم المتخصصة، ويقضي العمل في هذا الجانب قراءة هذه المعاجم جميعاً قراءة دقيقة واستخراج الكلمات المولدة التي نبه عليها أصحاب هذه المعاجم، تلك التي لم يلتفتوا إليها ووضع ذلك كله على جزازات مع ذكر مصدر كل لفظة، ويجب أن نفرق أثناء عملية الجمع بين المصطلحات المولدة والألفاظ العامة باعتبار أن المصطلحات ذات استعمال محدد في مجال كل علم من العلوم حتى يسهل بعد ذلك وضع معجم مستقل لمصطلحات كل علم من العلوم بعد ذلك.

المصدر الثاني: الذي يجب أن تتجه إليه عملية جمع الألفاظ المولدة هو النصوص الأدبية والتاريخية والعلمية ويقضي العمل في هذا المجال تقسيم هذه النصوص تقسيماً، تاريخياً بحيث تنفرد كل مرحلة من مارحل حياة اللغة العربية بنصوصها، ثم تبدأ قراءة دقيقة لهذه النصوص واستخراج الاستعمالات المولدة سواء بالنسبة للألفاظ أم التراكيب على جزازات خاصة أيضاً مع ذكر المصدر الذي تستقي منه المادة المولدة.

ومن حصيلة العمل في هذين المصدرين ـ وهو عمل قد يستغرق

سنوات طويلة ـ يمكن ترتيب هذه المادة اللغوية واستكمال المعجم المنشود للألفاظ المولدة والاصطلاحية وهنا يجب أن نلفت النظر إلى أن المستشرق الهولندي دوزي قد قام وحده بجزء غير يسير من هذا العمل استغرق حوالي ثلاثين عاماً ركز فيها اهتمامه على نصوص العصور الوسطى، وعلى ذلك يمكن اعتبار معجمه من المصادر الهامة للألفاظ التراكيب المولدة في تلك المرحلة.

ولاشك أننا في نهاية هذا العمل سنجد بين أيدينا ثروة ضخمة من الألفاظ المولدة نستطيع أن نستغني بها عن كثير من الألفاظ الدخيلة التي تستعمل اليوم وخاصة في مجال المصطلحات العلمية.

فإذا كان ثمة جديد في البحث فانني أستطيع القول بأنه قد خلص ظاهرة التوليد في اللغة من كثير من الأحكام المعيارية ووضعها في إطارها الصحيح من التطور اللغوي للعربية.

د. حلمي خليل

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المراجع والمصادر العربية

١ ـ المخطوطات

أبو حاتم الرازي: أحمد بن حمدان
الجزء المخطوط من كتاب الزينة
جامعة القاهرة صورة مكبرة عن مخطوط المتحف العراقي تحت رقم ٢٦٤٠١ بمكتبة الجامعة.

ابن القمري: أبو منصور الحسن بن نوح
رسالة في الاصطلاحات الطبية، مخطوط منسوخ نقلاً عن مجموعة خطية تحت رقم ١١٩ طب من الخزانة التيمورية الموجودة بدار الكتب المصرية وموجودة بالمكتبة العامة جامعة الاسكندرية تحت رقم ٥٥ مخطوطات.

كتاب الذكر المخلف في بيان اللفظ المولد مجهول المؤلف وقد قدمه مؤلفه إلى محمد راغب باشا الصدر الأعظم ولم يسم نفسه نسخة مصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدولة العربية.

٢ ـ المعاجم ودوائر المعارف

ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك
النهاية في غريب الحديث والأثر ـ القاهرة، المطبعة العثمانية، ١٣١١ هـ.

ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي

كتـاب جمهرة اللغـة ـ بيروت، دار صـادر، طبعة بـالأوفست عن الـطبعـة الأولى ١٣٥١ هـ.

ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل
المخصص ـ بولاق، المطبعة الكبرى الأميرية ١٣١٦ هـ.

ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن زكريا
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققـه وقدم لـه الدكتـور مصطفى الشويمي، بيروت، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م.

ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن زكريا
معجم مقـاييس اللغة، تحقيق وضبط عبـد السـلام هـارون القـاهـرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ الجزء الأول والثاني.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
لسان العرب ـ بولاق المطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة الأولى، ١٣٠٠ هـ

أحمد بدوي: هرمان كيس
المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمـة ـ القاهـرة، الهيئة العـامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٥٨ م.

أمين فهد المعلوف: معجم الحيوان ـ القاهرة، مطبعة المقتطف، ١٩٣٢ م.

أمـين فهـد المعلوف: المعجم الفلكي ـ القـاهـرة، مـطبعـة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥ م.

بـطرس البستـاني: كتـاب محيط المحيط قـامـوس مـطول للغـة العـربيـة. بيروت، المجلد الأول ١٨٦٧ م، المجلد الثاني ١٨٧٠ م.

جرجس همام الشويري: معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية بصيدا (لبنان)، المطبعة العثمانية ١٩٠٧ م.

الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد
المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦١ هـ.

الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد
تاج اللغة وصحاح العربية ـ القاهرة، المطبعة الكبرى، ١٢٩٢ هـ.

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ إستنبول، مطبعة وكالة المعارف، ١٣٦٠ هـ.

دائرة المعارف الاسلامية: الترجمة العربية

الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد
المفردات في غريب القرآن ـ مصر، المطبعة الميمنية، ١٣٢٤ هـ.

الزبيدي: محب الدين السيد محمد مرتضى
تاج العروس من جواهر القاموس ـ القاهرة، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ.

الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمد بن عمر
أساس البلاغة ـ القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٣ م.

سركيس: يوسف السيان
معجم المطبوعات العربية والمصرية ـ مصر، مطبعة سركيس ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م.

عبد الله البستاني: البستان معجم لغوي - بيروت المطبعة الأميركانية ١٩٢٧ م.

الفيروزبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب
القاموس المحيط - القاهرة، المطبعة الحسينية، الطبعة الأولى ١٣٣٠ هـ

الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري
المصباح المنير - القاهرة المطبعة الأميرية، الطبعة الثانية، ١٩٢٦ م.

لويس المعلوف: المنجد في اللغة - بيروت، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٦٥ م.

مجمع اللغة العربية: المعجم الكبير - القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٥٦ م.

مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط - قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد على النجار وقد أشرف على طبعه عبد السلام هارون القاهرة - مطبعة مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م.

مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط - قام بإخراجه الدكتور إبراهيم أنيس - الدكتور عبد الحليم منتصر - عطية الصوالحي - محمد خلف الله أحمد، وأشرف على الطبع حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين. القاهرة - مطابع دار المعارف، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.

محمود تيمور: معجم الحضارة - القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٩٦١ م.

مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية - القاهرة، مطبعة مصر، الطبعة الثانية ١٩٥٧ م.

منير البعلبكي: المورد قاموس انجليزي عربي - بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧١ م.

وجدي رزق غالي: المعجمات العربية، بيلوجرافيا شاملة مشروحة تقديم الدكتور حسين نصار القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م.

ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله
معجم الأدباء، طبعة الدكتور أحمد فريد الرفاعي مصر، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون تاريخ.

٣ ـ الكتب

أ ـ س. مرمرجي الدومنيكي: المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية، القدس، مطبعة الآباء الفرنسيسيين ١٩٣٨ م

إبراهيم أنيس (دكتور): الأصوات اللغوية ـ القاهرة، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.

إبراهيم أنيس (دكتور): دلالة الألفاظ ـ القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٣ م.

إبراهيم أنيس (دكتور): طرق تنمية الألفاظ في اللغة ـ القاهرة، مطبعة النهضة الجديدة، ١٩٦٦/١٩٦٧ م.

إبراهيم أنيس (دكتور): في اللهجات العربية ـ القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٦٥ م.

إبراهيم أنيس (دكتور): مستقبل اللغة العربية المشتركة، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية مطبعة الرسالة ١٩٦٠ م.

إبراهيم أنيس (دكتور): من أسرار اللغة ـ القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ.

إبراهيم السمرائي (دكتور): الأب انستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية

- القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة المعرفة ١٩٦٩ م.

إبراهيم السمرائي (دكتور): التطور اللغوي التاريخي، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات اللغوية والأدبية بمعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية - القاهرة دار الرائد للطباعة ١٩٦٦ م.

إبراهيم السمرائي (دكتور): تنمية اللغة العربية في العصر الحديث - القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي ١٩٧٣ م.

إبراهيم السمرائي (دكتور): الفعل زمانه وأبنيته - بغداد، مطبعة الآداب الطبعة الثالثة ١٩٤٦ م.

إبراهيم عبده (دكتور): تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية القاهرة، مطبعة التوكل، الطبعة الأولى، ١٩٤٤ م.

إبراهيم مدكور (دكتور): مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً - القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م.

إبراهيم اليازجي: كتاب نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد بيروت، مطبعة القديس بولس، الطبعة الثانية ١٩١٣ م.

إبراهيم اليازجي: لغة الجرائد - القاهرة، مطبعة التقدم، بدون تاريخ.

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي

الكامل في التاريخ ـ ليدن، مطبعة بريل ١٨٩٣ م

ابن بري: أبو محمد عبد الله
رسالة مشتملة على انتقاد ابن الخشاب البغدادي على أبي محمد الحريري في مقاماته والرد عليه مطبوعة مع مقامات الحريري مصر ـ المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٦ هـ.

ابن البيطار: ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد
كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ـ بولاق، ١٢٩١ هـ.

ابن جنى: أبو الفتح عثمان
الخصائص، بتحقيق محمد علي النجار ـ القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ثلاثة أجزاء، الجزء الأول ١٣٧١ هـ/١٩٥٢ م ـ الجزء الثاني ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م ـ الجزء الثالث ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م

ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة ـ كلكتا ١٨٨٨ م

ابن خالويه: أبو عبد الله الحسين بن أحمد
ليس في كلام العرب ـ القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ.

ابن خلدون: عبد الرحمن
المقدمة ـ القاهرة، المطبعة الأزهرية ١٣٤٨ هـ/١٩٢٠ م.

ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن
الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام هارون القاهرة، مؤسسة الخانجي ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨ م

ابن رشيق: أبو علي الحسن القيرواني
العمدة في صناعة الشعر ونقده ـ القاهرة، مطبعة أمين هندية، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ/١٩٢٥ م.

ابن سلام: محمد بن سلام الجمحي
طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر القاهرة، دار المعارف ١٩٥٢ م.

ابن العبري: جريجوريوس الملطي
تاريخ مختصر الدول، وقف على طبعة ووضع حواشيه الأب انطوان صالحاني اليسوعي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية ـ الطبعة الثانية ١٩٥٨ م.

ابن العديم: الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد
زبده الحلبي من تاريخ حلب، نشر وتحقيق الدكتور سامي الدهان بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٢ م.

ابن عقيل: عبد الله بن أحمد
شرح ابن عقيل على متن الألفية ـ القاهرة، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الخامسة بدون تاريخ.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم
أدب الكاتب، حققه وضبط غريبه محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم
الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ـ القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٤٩ هـ

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم
الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر القاهرة، مطابع دار المعارف، الجزء الأول ١٩٦٦، الجزء الثاني ١٩٦٧.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم

الإمامة والسياسة ـ القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م.

ابن كمال باشا: التنبيه على غلط الجاهل والتنبيه، تحقيق عبد القاهر المغربي دمشق، مطبعة الترقي ١٣٤٤ هـ.

ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد
تجارب الأمم ـ القاهرة، مطبعة التمدين الصناعية ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م.

ابن مماتي، الأسعد: كتاب قوانين الدواوين، جمعة وحققه عزيز سوريال عطية القاهرة، مطبعة مصر ١٩٤٣ م

ابن مطرف الكناني، أبو عبد الله محمد بن أحمد
كتاب القرطين ـ القاهرة، مطبعة الخانجي ومكتبتها، الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ.

ابن النديم: محمد بن اسحق
الفهرست ـ القاهرة، المطبعة التجارية الكبرى ١٣٤٨ هـ.

ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف
شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة السابعة ١٩٥٧ م.

ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ـ بدون مطبعة أو تاريخ.

ابن يعيش: موفق الدين يعيش بن علي
شرح المفصل ـ القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية بدون تاريخ

أبو البقاء الحسيني: كتاب الكليات ـ القاهرة، دار الطباعة العامرة، الطبعة الثانية، ١٢٨١ هـ.

أبو بكر الزبيدي: محمد بن حسن
لحن العوام، تحقيق وتعليق وتقديم د. رمضان عبد التواب القاهرة، مكتبة دار العروبة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤ م.

أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي
الديوان، فسر ألفاظه اللغوية ووقف على طبعة محيى الدين الخياط القاهرة، طبع بمناظرة والتزام محمد جمال مرخصا من نظارة المعارف العمومية، بدون تاريخ.

أبو حاتم الرازي: أحمد بن حمدان
كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضة بأصوله وعلق عليه حسين ابن فيض الله الهمداني ـ القاهرة مطابع دار الكتاب العربي الجزء الأول ١٩٥٧ م ـ القاهرة، مطابع الرسالة الجزء الثاني ١٩٥٨.

أبو حيان التوحيدي: على بن محمد بن العباس
الامتاع والمؤانسة، صححه أحمد أمين القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٣٩ هـ/١٩٤٢ م

أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس
مثالب الوزيرين، بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني دمشق، دار الفكر ١٩٦١ م.

أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي: مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين القاهرة، محمد سامي أمين الجانجي، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ /١٩٥٤ م.

أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان
رسالة الغفران، تحقيق وشرح الدكتورة عائشة عبد الرحمن القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة ١٩٦٦ م.

أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان
الفصول والغايات، طبعه وفسر غريبة محمود حسن زناتي القاهرة، مطبعة حجازي الطبعة الأولى **١٣٥٦** هـ/**١٩٣٨** م.

أبو نواس: الحسن بن هانيء
الديوان، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي القاهرة، مطبعة مصر **١٩٥٣** م.

أبو هلال العكسري: الحسن بن عبد الله بن سهل
كتاب الصناعتين ـ الاستانة، مطبعة محمود بك، الطبعة الأولى **١٣١٩** هـ.

أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم: كتاب الخراج القاهرة، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية **١٣٥٢** هـ

أحمد أحمد بدوي: رفاعة الطهطاوي بك ـ القاهرة، مطبعة لجنة البيات العربي **١٩٥٠** م

أحمد أمين: ضحى الإسلام ـ القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة **١٩٦٤** م.

أحمد أمين: فجر الإسلام ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية، الطبعة التاسعة **١٩٦٤** م.

أحمد تيمور: أعلام المهندسين في الإسلام ـ القاهرة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى **١٣٧٧** هـ/ **١٩٥٧** م.

أحمد تيمور: أوهام شعراء العرب في المعاني ـ القاهرة، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى **١٣٦٩** هـ/ **١٩٥٠** م.

أحمد تيمور: البرقيات للرسالة والمقالة ـ القاهرة، مطبعة دار التأليف، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

أحمد تيمور: التذكرة التيمورية ـ القاهرة، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

أحمد تيمور: لعب العرب ـ القاهرة، مطبعة دار التأليف، الطبعة الأولى، ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م.

أحمد تيمور: الموسوعة التيمورية ـ القاهرة، الدار القومية للطباعة، ١٩٦١ م.

أحمد صادق الجمال: الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي ـ القاهرة، الدار القومية ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

أحمد عزت عبد الكريم (دكتور) تاريخ التعليم في مصر ـ القاهرة، مطبعة النصر، ١٩٤٥.

أحمد عيسى: التفسرة ـ القاهرة، مطبعة الاعتماد، الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ/ ١٩١٧ م.

أحمد عيسى: التهذيب في أصول التعريب ـ القاهرة، مطبعة مصر، الطبعة الأولى ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٣ م

أحمد فارس الشدياق: الجاسوس على القاموس ـ القسطنطينية، مطبعة الجوائب ١٢٩٩ هـ.

أحمد فارس الشدياق: كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ـ الاستانة، مطبعة الأستانة العلية، الطبعة الأولى ١٢٨٨ هـ.

أحمد فارس الشدياق: الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبأ عن فنون أوروبا القسطنطينة، مطبعة الجوائب، الطبعة الثانية ١٢٩٩ هـ.

أحمد مختار عمر (دكتور): البحث اللغوي عند العرب ـ القاهرة مطابع سجل العرب ١٩٧١ م.

أحمد هيكل (دكتور): تطور الأدب الحديث في مصر ـ القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٧١ م.

آدمز، تشارلز: الإسلام والتجديد في مصر ترجمة عباس محمود القاهرة، مطبعة الاعتماد ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م.

أسعد خليل داغر: تذكرة الكاتب ـ مصر، المطبعة العصرية ١٩٣٣ م.

إسماعيل مظهر: تجديد العربية بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.

الأصفهاني: أبو عبد الله حمزة بن الحسين
التنبيه على حدوث التصحيف، حققه محمد أسعد طلس ومراجعة أسماء الحمصي وعبد المعين الملوحي ـ دمشق، مطبعة الترقي ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

الأشموني: شرح الأشموني على الألفية ـ القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

البير حبيب مطلق: الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، بيروت، المكتبة العصرية ١٩٦٧ م.

الآمدي: سيف الدين أبو الحسن علي: الأحكام في أصول الأحكام ـ القاهرة، دار الكتب الخديوية مطبعة المعارف ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م.

الأنباري: كمال الدين عبد الرحمن بن محمد
الأنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة، مطبغة السعادة، الطبعة الثانية ١٩٥٥ م.

الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد
نزهة الألبا في طبقات الأدبا ـ مصر ١٢٩٤ هـ.

أنستاس ماري الكرملي: أغلاط اللغويين الأقدمين ـ بغداد، مطبعة الأيتام ١٩٣٣ م.

أولمان: س
دور الكلمة في اللغة ـ ترجمة وقدم له وعلق عليه الدكتور كمال محمد بشر القاهرة، دار الطباعة القومية ١٩٦٢ م.

أوليري: ديلاسي: الفكر العربي ومكانته في التاريخ، ترجمة الدكتور تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب ١٩٦١ م

أوليري، ديلاسي: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب نقله إلى العربية الدكتور تمام حسان القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٧ م.

الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب
إعجاز القرآن تحقيق السيد أحمد صقر القاهرة ـ دار المعارف ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م.

براون: إدوار جرانفيل
تاريخ الأدب في إيران، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربي القاهرة مطبعة السعادة ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل
صحيح البخاري ـ مصر، المطبعة الميمنية ١٣١٢ هـ.

برجشتراسر: أصول نقد النصوص ونشر الكتب، إعداد وتقديم الدكتور محمد حمدي البكري، القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ م.

برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية ـ القاهرة، مطبعة السماح ١٩٢٩ م.

بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أحمد فارس،

منير البعلبكي بيروت دار العلم للملايين ١٩٥٣ م.

البطليوسي: أبو محمد عبد الله محمد بن السيد
الأنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين ـ القاهرة، مطبعة الموسعات، ١٣١٦ هـ.

البغدادي: أبو منصور عبد القاهرة بن طاهر
كتاب الفرق بين الفرق، وقف على طبعة وضبطه وتعليق حواشيه محمد بدر القاهرة، مطبعة المعارف ١٩١٠ م.

البغدادي: عبد القادر بن عمر
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ بولاق المطبعة الأميرية ١٢٩٩ هـ.

البكري: أبو عبيد
سمط اللألي في شرح أمالي القالي نسخه وصححه وحققه عبد العزيز الميمني، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م

البلاذري: أبو الحسن
فتوح البلدان، عنى بمقابلته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٢ م

بندلي جوزي: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ـ القدس، مطبعة بيت المقدس ١٩٢٨ م.

تمام حسان (دكتور): اللغة بين المعيارية والوصفية ـ القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨ م.

تمام حسان (دكتور) مناهج البحث في اللغة ـ القاهرة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٥ م

التهانوي: محمد علي بن علي
كشاف مصطلحات الفنون ـ استنبول، مطبعة اقدام ١٣١٧ هـ الجزء الأول.

الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م.

الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل
كتاب فقه اللغة وأسرار العربية ـ مصر، المطبعة الأدبية، الطبعة الأولى ١٣١٧ هـ.

الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل
يتيمة الدهر ـ القاهرة، مطبعة الصاوي، ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م.

ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى
مجالس ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام هارون القاهرة، دار المعارف ١٩٤٩ م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
البخلاء، حقق نصه وعلق عليه الدكتور طه الحاجري القاهرة، دار الكاتب المصري ١٩٤٨م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي بيروت، دار الاعتصام ١٣٩٢ هـ /١٩٧٢ م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون القاهرة مكتبة الخانجي ـ الطبعة الثالث ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ /١٩٣٨ م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
كتاب التربيع والتدوير، عنى بنشره وتحقيقه شارل بلات دمشق، المعهد الفرنسي ١٩٥٥ م.

جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ـ القاهرة دار المعارف ١٩٤٥ م.

الجبرتي: عبد الرحمن
عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ مصر، المطبعة العامرة الشرقية ١٣٢٣ هـ.

الجرجاني: عبد القاهر
أسرار البلاغة، وقف على طبعه وتصحيحه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا مصر، مطبعة الترقي ١٣٢٠ هـ.

الجراجاني: عبد القاهر
دلائل الاعجاز، صححه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي مصر، مطبعة الموسعات بدون تاريخ.

الجراجاني: القاضي علي بن عبد العزيز
الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة

الثالثة بدون تاريخ.

جروهمان: أدلف
أوراق البردى العربية - القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤ / ١٩٣٦ م.

جمال الدين الشيال (دكتور)
تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي - القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٥١ م.

جميل صليبا (دكتور): الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، المطبعة الكمالية ١٩٥٨ م.

الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس
كتاب الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي - القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م.

جواد علي (دكتور): تاريخ العرب قبل الإسلام (القسم اللغوي)، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ الجزء السابع.

الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد
شرح أدب الكاتب - القاهرة، مكتبة القدسي ١٣٥٠ هـ.

جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية - القاهرة، مطبعة الهلال ١٩١١ م.

جورجي زيدان: اللغة العربية كائن حي، مراجعة الدكتور مراد كامل، القاهرة، دار الهلال بدون تاريخ.

جورجي زيدان: مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ـ مصر، مطبعة الهلال، الجزء الأول ١٩٠٢ م.

الحريري: أبو محمد القاسم بن علي
درة الغواص في أوهام الخواص ـ القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٢٢٩ هـ ومعه شرح درة الغواص لأحمد شهاب الدين الخفاجي.

الحريري: أبو محمد القاسمبن علي
مقامات الحريري ـ مصر، المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦ هـ.

حسام الدين القدسي (جامع): مناظرة لغوية أدبية بين عبد الله البستاني وعبد القادر المغربي وأنستاس الكرملي، القاهرة، مكتبة القدسي ١٣٥٥ هـ.

حسن ظاظا (دكتور): الساميون ولغاتهم، تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية للعرب، الإسكندرية مطبعة المصري، توزيع دار المعارف ١٩٧١ م.

حسن ظاظا (دكتور) اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة الإسكندرية، مطبعة المصري، توزيع دار المعارف ١٩٧١ م.

حسن ظاظا (دكتور): محاضرات في فقه اللغة ـ بيروت، مكتبة كريدية أخوان العام الجامعي ٦٦/١٩٦٧ م.

حسين المرصفي: الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ـ القاهرة، مطبعة المدارس الملكية ١٢٩٢ هـ.

حسين مجيب المصري: تاريخ الأدب التركي ـ القاهرة، مطبعة الفكرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م.

حسين مؤنس (دكتور): فجر الأندلس ـ القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٥٩ م.

حسين نصار (دكتور): المعجم العربي، نشأته وتطوره، القاهرة، دار الكتاب العربي ١٩٥٦ م

الحلاج: أبو المغيث الحسين بن منصور
كتاب الطواسين، تحقيق لويس ماسنيون، باريس ١٩١٣ م.

حلمي خليل: لغة أبي العلاء في رسالة الغفران، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٧١ م.

الخوارزمي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف
كتاب مفاتيح العلوم، تحقيق فان فولتن، بريل ١٨٩٥ م.

الدمشقي: الشيخ بدر الدين محمد بن محمد
رسالة في آداب المؤاكلة، حققها ونشرها الدكتور عمر موسى باشا، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الجزء الثاث والرابع من المجلد الثاني والأربعين سنة ١٩٦٧ م.

دي بور، ت ج: تاريخ الفلسفة في الإسلام ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ م.

رفاعة رافع الطهطاوي: تخليص الإبريز في تخليص باريز، حققه وعلق عليه د. مهدي علام وآخرون القاهرة وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٥٨ م.

رفاعة رافع الطهطاوي: قلائد المفاخر في عوائد الأوائل والأواخر، القاهرة، مطبعة بولاق ١٢٤٩ هـ.

رفاعة رافع الطهطاوي: مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، القاهرة، دار الطباعة ١٢٨٦ هـ.

رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية - بيروت، المطبعة

الكاثوليكية، الطبعة الثانية ١٩٥٩ م.

رمضان عبد التواب (دكتور): لحن العامة والتطور اللغوي ـ القاهرة، دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٦٧ م.

الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق
كتاب الأمالي، يشرح العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي، القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ.

الزركلي: خير الدين
الأعلام، قاموس تراجم، القاهرة، مطبعة كوستاتوماس وشركاه، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ ـ ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ م.

زكي محمد حسن: فنون الإسلام ـ القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م.

الزمخشري: محمود بن عمر
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بولاق دار الطباعة المصرية ١٢٨١ هـ.

الزوزني: أبو عبد الله الحسين بن أحمد
شرح المعلقات السبع ـ القاهرة، مطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق ١٣٠٤ هـ.

السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر
كتاب مفتاح العلوم ـ مصر، المطبعة الأدبية، الطبعة الأولى ١٣١٧ هـ.

سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية ـ القاهرة، المطبعة العصرية، الطبعة الثانية بدون تاريخ.

السيد أحمد خليل (دكتور): دراسات في القرآن، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٢ م.

السيد سليمان: الدليل على المولد والدخيل - دهلي، طبع بأمر ندوة العلماء السنوية المنعقدة في دهلي سنة ١٩١٢.

السيد يعقوب بكر(دكتور) دراسات مقارنة في المعجم العربي - بيروت، جامعة بيروت العربية ١٩٧٠ م.

السيرافي: أبو سعيد الحسن بن عبد الله
كتاب أخبار النحويين البصريين، اعتنى بنشره وتهذيبه فرتيس كرنكو بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٦ م.

السيوطي: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر.
الاتقان في علوم القرآن، نسخة مصورة عن طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، بيروت، دار الفكر بدون تاريخ.

السيوطي: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر
الاقتراح - الهند، مطبعة المجنبائي ١٣١٤ هـ.

السيوطي: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر
المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ.

الشابشتي: أبو الحسن علي بن محمد
الديارات، عنى بتحقيقه ونشره كوركيس عواد بغداد، مطبعة المعارف ١٩٥١ م.

الشافعي: محمد بن إدريس
الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلي الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ / ١٩٤٠ م.

الشربيني: يوسف بن محمد بن عبد الجواد

هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف بولاق، المطبعة الأميـرية، الـطبعة الثانية ١٣٠٨ هـ.

الشريف الجرجاني: علي بن محمد
كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٦٩ م.

الشهاب الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري
شفاءالغليـل فيـما في كلام العـرب من الدخيـل القاهـرة، المطبعـة الوهبيـة ١٢٨٢ هـ.

الشهر ستاني: محمد بن عبد الكريم
الملل والنحل على هامش كتاب الفصل لابن حزم، مصر، المطبعة الأدبية، الطبعة الأولى ١٣١٧ هـ.

شوقي ضيف (دكتور): العصر الاسلامي ـ القاهرة، دار المعارف، الطبعـة الرابعة ١٩٦٣ م.

شوقي ضيف (دكتور): العصر العباسي الثـاني ـ القاهـرة، دار المعارف، ١٩٧٣ م

شوقي ضيف (دكتور): الفن ومذاهبه في الشعر العربي ـ القاهرة، مـطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٣ م.

شوقي ضيف (دكتور): المدارس النحوية ـ القاهـرة، دار المعارف ١٩٦٨ م.

صبحي الصـالح (دكتـور): دراسات في فقـه اللغة ـ بيـروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك
الغيث المسجم في شرح لاميه العجم ـ القاهرة، المـطبعة الأزهـرية ١٣٠٥ هـ. ١٩٣٩ م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير
تاريخ الأمم والملوك ـ القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية **١٣٣٦** هـ.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير
جامع البيان عن تأويل أي القرآن، حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر وراجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر ـ القاهرة، دار المعارف **١٣٧٤** هـ.

الطرماح بن حكيم: الديوان، نشره وترجمه إلى الانجليزية ف . كرنكو ـ لندن **١٩٢٧** م

طه حسين وآخرون: تعريف القدماء بأبي العلاء ـ القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر **١٩٦٥** م.

طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ـ القاهرة، مكتبة العرب، الطبعة الثانية **١٩٣٢** م.

ظاهر خير الله الشويري: اللمع النواجم في اللغة والمعاجم، رسالة مطبوعة في صدر معجم الطالب لجرجس همام الشويري ـ بصيدا (لبنان) المطبعة العثمانية **١٩٠٧** م.

عائشة عبد الرحمن (دكتورة): لغتنا والحياة ـ القاهرة، دار المعارف **١٩٧١** م.

عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ـ القاهرة ـ مطبعة حجازي **١٣٥٥** هـ / **١٩٣٧** م.

عبد الرحمن أيوب (دكتور): اللغة والتطور ـ القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الكيلاني **١٩٦٩** م.

عبد الرحمن بدوي (دكتور): التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية **١٩٤٠** م.

عبد الرزاق السمرقندي: كمال الدين أبي الغنايم
كتاب اصطلاحات الصوفية نشر شبرنجد، كلكتا ١٨٤٥ م.

عبد السميع سالم الهراوي: الادارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م.

عبد الصبور شاهين (دكتور): القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر مطبعة دار القلم ١٩٦٦ م.

عبد العزيز الشناوي (دكتور): دور الأزهر في الحفاظ على الطابع العربي لمصر إبان الحكم العثماني من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة المنعقدة في مارس ١٩٦٩م ـ القاهرة، **مطبعة دار الكتب ١٩٧١م**.

عبد العزي صالح (دكتور): حضارة مصر القديمة وآثارها ـ القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٦٢ م

عبد القادر المغربي: كتاب الاشتقاق والتعريب ـ القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م.

عبد القادر المغربي: اللغة العربية في دولة الترك العثمانيين، تعليق على رسالة التنبيه على غلط الجاهل والتنبيه لابن كمال باشا ومنشوره في ذيلها، دمشق مطبعة الترقي ١٣٤٤ هـ.

عبد اللطيف البغدادي: أبو محمد يوسف بن محمد
ذيل الفصيح ـ القاهرة، مطبعة وادي النيل المصرية الطبعة الأولى ١٢٨٩ هـ.

عبد اللطيف حمزة (دكتور): أدب المقالة الصحفية في مصر ـ القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٥٠ م.

عبد الله أمين: الاشتقاق ـ القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.

عبد الله العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، تحقيق الدكتور أسعد علي بيروت، دار النعمان، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م

عبد المجيد عابدين (دكتور): المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية، القاهرة مطبعة الشبكشي، الطبعة الأولى ١٩٥١ م.

عبده الراجحي(دكتور): اللهجات العربية في القراءات القرآنية ـ القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨ م.

عثمان آمين (دكتور): في اللغة والفكر ـ القاهرة، مطبعة النهضة الجديدة ١٩٦٧ م.

علي عبد الواحد وافي (دكتور): علم اللغة ـ القاهرة، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الرابعة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م.

علي عبد الواحد وافي (دكتور): فقه اللغة ـ القاهرة، دار نهضة مصر، الطبعة السادسة، بدون تاريخ.

علي عبد الواحد وافي (دكتور): اللغة والمجتمع ـ القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م.

علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ .

عمر طوسون: البعثات العلمية في عهد محمد علي ـ الإسكندرية، مطبعة صلاح الدين ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م.

عيسى ميخائيل سابا: الشيخ إبراهيم اليازجي ـ القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

الفخر الرازي: أبو الفضل محمد فخر الدين التميمي
التفسير الكبير ـ القاهرة، المطبعة المصرية، الجزء الأول، بدون تاريخ.

فك، يوهان: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب نقله إلى العربية، وحققه وفهرس له الدكتور عبد الحليم النجار، القاهرة ـ مطبعة دار الكتاب العربي، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م.

فليش، هنري: العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م.

فندريس، ج: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠ م.

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري
الجامع لأحكام القرآن ـ القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م.

القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوذان
الرسالة القشيرية في علم التصوف ـ القاهرة، مطبعة التقدم العلمية ١٣٤٦ هـ

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله
صبح الأعشى ـ القاهرة، المطبعة الأميرية ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م

الكرملي: الأب أنستاس ماري
نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، القاهرة، المطبعة العصرية ١٩٣٨ م

كراتشكوفسكي: الشعر الشعربي في الأندلس، ترجمة وتعليق الدكتور محمد منير مرسي، القاهرة عالم الكتب ١٩٧١ م.

الكسائي، علي بن حمزة: كتاب ما تلحن فيه العوام، نسخه وصححه عبد العزي الميمين الراجكوتي، القاهرة المطبعة السلفية ١٣٤٤ هـ.

كمال بشر (دكتـور): دراسات في علم اللغـة (القسم الثاني) ـ القـاهرة، دار المعارف ١٩٧١ م.

كمال يوسف الحاج: في فلسفة اللغة ـ بيروت، دار النهار ١٩٦٧ م.

لانسـون ومييه: منهـج البحث في الأدب واللغـة تـرجمـة الـدكتـور محمـد مندور، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٤٦ م.

ماكيفر، شارلزبيج: المجتمع، ترجمة دكتـور علي أحمـد عيسى، القاهـرة ـ مطبعة مصر ١٩٦١ م.

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب
كتاب الأحكام السلطانية ـ مصر، مطبعة الوطن ١٢٩٨ هـ.

المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد
الكامل، وقف على طبعه وشرح ألفاظه الشيخ إبراهيم الدلجموني الأزهري القاهرة، مطبعة الفتوح الأدبية ١٣٣٩ هـ.

المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين
الديوان، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام القـاهرة، مـطبعة لجنـة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٤ م.

المجلس الأعـلى لرعـاية الفنـون والآداب والعلوم الاجتماعيـة: مهرجـان رفاعة رافع الطهطاوي ـ القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية ١٩٦٠ م.

محمد أحمد أبـو الفرج (دكتـور): المعاجم اللغـوية ـ بيـروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م
محمد أحمد أبـو الفرج (دكتـور): المعاجم اللغـوية ـ بيـروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م.

محمد أحمد أبو الفرج (دكتور): مقدمة لدراسة فقه اللغة - بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م.

محمد خلف الله أحمد: بحوث ودراسات في العروبة وآدابها، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي ١٩٧٠ م

محمد خلف الله أحمد: معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦١ م.

محمد خلف الله أحمد: محمد شوقي آمين
كتاب في أصول اللغة - القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م.

محمد خلف الله أحمد: محمد شوقي أمين
مجموعة القرارات العلمية لمجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.

محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، القاهرة، مطبعة المنار، الطبعة الأولى، ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م.

محمد زغلول سلام (دكتور): ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد، القاهرة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة بدون تاريخ.

محمد صديق خان: العلم الخفاق من علم الاشتقاق - بدون مطبعة أو تاريخ.

محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدنية، عرض وتحقيق وتعليق طاهر الطناجي القاهرة، دار الهلال ١٩٦٠ م.

محمد عبده: رسالة التوحيد، تقديم وتحقيق وتعليق طاهر الطناجي، القاهرة، دار الهلال ١٩٦٣ م.

محمد عبده: شرح كتاب نهج البلاغة، طرابلس الشام، مطبعة البلاغة ١٣١٣ هـ.

محمد كرد علي: الإدارة الإسلامية في عز العرب ـ القاهرة، مطبعة مصر ١٩٣٤ م.

محمد كرد علي: أعمال المجمع العلمي العربي (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤)، دمشق، المطبعة البطريركية الأرثوذكسية ١٩٢٤ م.

محمد مصطفى هدارة (دكتور): اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٣ م.

محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية ـ بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م.

محمود أحمد عمر النثوي: نشأة اللغات وحاجة الأمة للمجمع اللغوي بدون مطبعة أو تاريخ.

محمود سامي البارودي: ديوان البارودي، ضبطه وصححه وشرحه علي الجارم، محمد شفيق معروف، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٥٤ م.

محمود السعران (دكتور): علم اللغة، مقدمة للقاريء العربي ـ القاهرة، دار المعارف ١٩٦٢ م.

محمود السعران (دكتور): اللغة والمجتمع، رأي ومنهج ـ الإسكندرية، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٦٣ م.

محمود فهمي حجازي (دكتور): علم اللغة العربية ـ الكويت، وكالة المطبوعات ١٩٧٣ م.

المزرباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران

الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ـ القاهرة، المطبعة السلفية ١٣٤٣ هـ.

مصطفى جواد (دكتور): المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية، بغداد، مطبعة العاني، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، دمشق مطبعة الترقي، مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م.

مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ـ القاهرة، مطبعة الاستقامة، الطبعة الثالثة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م.

مهدي المخزومي (دكتور): الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومناهجه، بغداد، مطبعة الزهراء ١٩٦٠ م

هـدي المخزومي (دكتور): في النحو العربي ـ بيروت منشورات المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٩٦٤ م.

ميتز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده ـ القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م.

نالينو، كارلو: تاريخ الأداب العربية، اعتنت بنشره مريم نالينو، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٤ م.

نجيب محفوظ: حكايات حارتنا ـ القاهرة، مكتبة نهضة مصر دار مصر للطباعة ١٩٧٥ م.

نفوسه زكريا سعيد (دكتورة): تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، الإسكندرية، دار نشر الثقافة، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

الهرثمي: أبو سعيد الشعراني
مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون ـ مراجعة الدكتور محمد

مصطفى زيادة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤ م.

الهمذاني: عبد الرحمن بن عيسى
كتاب الألفاظ الكتابية، اعتنى بضبطه وتصحيحه أحد الآباء اليسوعيين، بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ١٨٨٥ م.

الهروي: أبو سهل محمد بن علي
تلويح في شرح كتاب الفصيح - القاهرة، مطبعة وادي النيل ١٢٨٥ هـ.

وطواط: رشيد الدين
حدائق السحر في دقائق الشعر، تعريب إبراهيم الشواربي، القاهرة، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م.

ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اللغات السامية - القاهرة، لجنة التأليف الترجمة والنشر ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م.

ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله
كتاب معجم البلدان - ليبزج ١٨٦٦ م.

يوسف توما البستاني (جامع): رسائل اليازجي - مصر، المطبعة اليوسفية ١٩٢٠ م.

يوسف السباعي: لست وحدك - القاهرة، مؤسسة الخانجي ١٩٧٠ م.

٤ - الدوريات

١ - الضياء: المجلد الأول ١٨٩٨ - ١٨٩٩
المجلد الثاني ١٩٩٠
المجلد الثالث ١٩٠١

المجلد السادس ١٩٠٤

٢ ـ المقتطف: المجلد ٨٢: ١٩٣٣

٣ ـ الشرق: المجلد الرابع: ١٩٠١
الملجد السادس: ١٩٠٣

٤ ـ مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي سابقاً): (المجلد ٢٣ سنة ١٩٤٨)، (٢٤ ـ ١٩٤٩)، (٢٥ ـ ١٩٥٠)، (٣٢ ـ ١٩٥٧)، ٣٣ ـ ١٩٥٨)، (٣٤ ـ ١٩٥٩)، (٣٥ ـ ١٩٦٠)، (٣٦ ـ ١٩٦١)، (٣٧ ـ ١٩٦٢)، (٣٨ ـ ١٩٦٣)، (٣٩ ـ ١٩٦٤)، (٤٠ ـ ١٩٦٥)، (٤٤ ـ ١٩٦٩)، (٤٥ ـ ١٩٧٠)، (٤٧ ـ ١٩٧٢).

٥ ـ مجمع اللغة العربية (مصر)
أ ـ المجلة: المجلد الأول ١٩٣٤
المجلد السابع ١٩٥٣
المجلد التاسع ١٩٥٧
المجلد الثالث عشر ١٩٦١
المجلد الرابع والعشرون ١٩٦٩
ب ـ محاضر الجلسات المجلد الأول
حـ ـ البحوث والمحاضرات دورة ١٩٦٤/ ١٩٦٥

٦ ـ المجمع العلمي العراقي: (المجلد ٩ ـ ١٩٦٢)، (١٠ ـ ١٩٦٣)، (١١ ـ ١٩٦٤)، (١٤ ـ ١٩٦٧)، (١٥ ـ ١٩٦٧)، (١٦ ـ ١٩٦٨)، (١٧ ـ ١٩٦٩)، (١٩ ـ ١٩٧٠)، (٢٠ ـ ١٩٧٠)، (٢١ ـ ١٩٧١)، (٢٢ ـ ١٩٧٢).

٧ ـ اللسان العربي: المجلد الأول: ١٩٦٤
المجلد الثاني: ١٩٦٥

المجلد السادس : ١٩٦٩
المجلد الثامن : ١٩٧١
المجلد التاسع : ١٩٧٢

٨ ـ **عالم الفكر** : المجلد الثاني العدد الأول ١٩٧١

٩ ـ **اللسانيات** : المجلد الأول العدد الأول ١٩٧١

١٠ ـ **الهلال** : عدد يوليو ١٩٢٦

ثانياً: المراجع الأجنبية

CARROLL:John B.
Language and Thought, New jersey, Prentice - Hall, inc, 1964.

DARMESTETER:Arsene
La vie des Mots, Etudiée dans leurs significations, Paris, librairie Delagraoe, 1932.

DINNEE,:Francis, P.
An Introduction to general linguistics, New York, Holt, Rinehart, inc, 1967.

Dozy:R.
Supplément aux Dictionnaires Arabes, paris, Maiseon-neuoeuoe Freres, 1927. 2. Edition.

E. Lettrer:
Dictionnaire de la langue Francaise Edution Hachette, paris, 1887

The Encyclopaedia of Islam:
New Edition leidin, Brill, 1971.

GESENIUS:William
A Hebrew and English lexion of the old testement,

transleted by Edward Robinson Oxford, at the clarendon press, 1972.

G REENE:Judith
Psycholinguistics, london, penguin books, 1973

JASTROW
Dictionary of the Talmoud, london, 1926.

LANE, E. W
The modern Egyption, London, 1936

LYONS:John
Introduction to theoretical linguistics Cambridge, 1971.

THE OXFORD English Dictionary
Oxford, at the clarendon Press, 1933 Vol VII

PEI :MARIO
The story of language, london, George Allen, 1968

RUSSELL:Betrand
An Inquiry into Meaning and Truth, London, penguin boóks. 1963.

SAPIR:Edward
Language, An Introduction to the study of speech, New York. 1949.

S. Haim
New Persion - English Dictionary Téheran, 1934.

SMITH:J. Paynne
A Comoendions Syriac Dictionary, Oxford, 1957.

STURTEVANT:E. H.
Linguistic change, an Introduction to the His-

torical study of language. Chicago, The University of Chicago press, 1961.

WEHR:Hans
A Dictionary of Modern written Arabic, london, 1966.

WILLMORE:J. Seldem
The spoken Arabic of Egypt, London, 2 ed, 1905.

فهرس الموضوعات